THE BOOK WAS DRENCHED

*

*

*

الجزء الاول من كتاب

امالى السيد المرتضى

الشريف أبى القاسم على بن الطاهر أبى أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ رضى الله عنه

في التفسير والحديث والادب

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٢٥ هـ سنة ١٩٠٧ م)

(على نفقة احمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه (السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي)

(طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسماعيل)



بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين)

قال السيد المرتضى علم الهدى ذو المجدين أبو القاسم عليّ بن الطاهر ذى المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنهم وقدّس الله أرواحهم

المجلس الأول ١

[تأويل آية] .. قال الله تعالى ﴿ وإذا أَرَدنا أَنْ نُهلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فيها ﴾ الآية .. فى هذه الآية وجوه عدّة من التأويل كل منها يبطل الشبهة الداخلة على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه وصرفوه عن بابه .. أولها ان الاهلاك قد يكون حسناً وقد يكون قبيحاً فاذا كان مستحقاً أو على سبيل الامتحان كان حسناً وانما يكون قبيحاً اذا كان ظلماً فتعلق الارادة به لا يقتضى تعلقها به على الوجه القبيح ولا ظاهر الآية يقتضى ذلك واذا علمنا بالأدلة تنزيه القديم تعالى عن القبائح علمنا ان الارادة لم تتعلق إلاّ بالاهلاك الحسن .. وقوله تعالى ﴿ أمرنا مترفيها ﴾ المأمور به محذوف وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق وان وقع بعده ويجرى هذا مجرى قول القائل أمرته فعصى ودعوته فأبى والمراد إنى أمرته بالطاعة ودعوته الى الاجابة والقبول .. ويمكن أن يقال على هذا الوجه ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه وانما موضعها أن يقال أيّ معنى لتقدم الارادة فان كانت متعلقة باهلاك مستحق

بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى اذا أردنا أمرنا لأن أمره بما يأمر به لايحسّن ارادته العقاب المستحق بما تقدم من الافعال وان كانت الارادة متعلقة بالاهلاك بمخالفة الأمر المذكور في الآية فهذا هو الذي يأبونه لأنه يقتضي انه تعالى مريد لاهلاك من لم يستحق ذلك العقاب •• والجواب عن ذلك انه تعالى لم يعلق الارادة الا باهلاك مستحق بما تقدم من الذنوب والذى حسّن قوله تعالى واذا أردنا أمرنا هو ان يكون الامر بالطاعة والايمان اعذاراً الى العصاة وانذاراً لهم وايجابا واثباتا للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوه وأقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرار الوعظ والوعيد والانذار ممن يحق عليه القول وتجب عليه الحجة ويشهد بصحة هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ وما كنّا مُعَذِّبين حتى نبعَثَ رسُولا ﴾ ••والوجه الثاني في تأويل هذه الآية ان يكون قوله تعالى أمرنا مترفيها من صفة القرية وصلتها ولا يكون جوابا لقوله تعالى واذا أردنا ويكون تقدير الكلام واذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها انا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها وتكون اذا على هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهر في الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ••ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة ﴿حتّى اذا جاؤها وفُتِحَتْ أبوابُها وقالَ لهم خزَنَتُها سَلامٌ عليكم طِبْتُم فادخُلوها خالدينَ وقالوا الحمد لله الذي صَدَقَنا وعْدَهُ وأورَثَنا الأرضَ نتبوّأُ من الجنّةِ حيثُ نشاء فنعم أجرُ العاملين﴾ ولم يأت لإذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه ويشهد أيضاً لصحة هذا الجواب قول الهذلي

حتّى اذا سلكُوهُم في قُتائدة   شلاًّ كما تطرُدُ الجمّالةُ الشُّرُدَا [١]

فحذف جواب اذا ولم يأت به لأن هذا البيت هو آخر القصيدة •• والوجه الثالث ان يكون ذكر الارادة في الآية مجازاً واتساعا وتنبيهاً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم وانهم متى أُمروا فسقوا وخالفوا ويجرى ذكر الارادة ههنا مجرى قولهم اذا

---

(١) ــ قتائدة ــ ثنية أو عقبة أو كل ثنية قتائدة ــ وشلاً ــ طرداً ــ وشرداً ــ جمع شرود وشارد وهو النافر

أراد التاجر ان يفتقر أتته النوائب من كل وجهة وجاءه الخسران من كل جانب . . وقولهم اذا أراد العليل ان يموت خلّط في مأكله وتسرّع الي كل ماتتوق اليه نفسه ومعلوم ان التاجر لم يرد فى الحقيقة شيئاً ولاالعليل أيضاً لكن لما كان المعلوم من حال هذاالخسرانَ ومن حال هذا الهلاكَ حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه وكلام العرب وحي واشارات واستعارات ومجازات ولهذا الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة فان الكلام متى خلا من الاستعارات وجرى كله على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة برّيا من البلاغة وكلام الله تعالى أفصح الكلام . . والوجه الرابع ان تحمل الآية على التقديم والتأخير فيكون تلخيصها اذا أمرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب أردنا اهلاكهم والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير ومما يمكن ان يكون شاهداً لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى ﴿ ياأيُّها الذينَ آمنُوا اذا قُمتُم الى الصَّلاةِ فاغسلوا وُجُوهَكم وأيديَكم الى المرافِقِ ﴾ والطهارة انما تجب قبل القيام الى الصلاة وقوله تعالى ﴿ واذا كنتَ فيهم فأقمتَ لهم الصلاةَ فلتقمْ طائفةٌ منهم معَكَ ﴾ وقيام الطائفة معه يجب ان يكون قبل اقامة الصلاة لان إقامتها هي الاتيان بجميعها على الكمال أمّا قراءة من قرأ الآية بالتشديد فقال أمّرنا وقرأ من قرأها بالمد والتخفيف فقال آمرنا فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجوه التي ذكرناها الا الوجه الاول فان معناه لايليق الا بان يكون ماتضمنته الآية هو الأمر الذى يستدعي به الى الفعل

[تأويل خبر] . . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه : قال من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم : قال أبو عبيد القاسم بن سلاّم مفسراً لهذا الحديث فى كتابه غريب الحديث الاجذم المقطوع اليد واستشهد بقول المتلمس

وَمَا كُنْتُ الاَّ مثْلَ قَاطِعِ كَفِّه بكَفٍّ لهُ أُخْرَى فأَصْبحَ أجْذَمَا[1]

وقد خطّأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبا عبيد في تأويله هذا الخبر . . وقال الاجذم

(١) المتلمس هو عدى بن عبد المسيح وهو صاحب الصحيفة المشهورة التى يضرب بها المثل ورفيق طرفة الي عامل البحرين وقصتهما مشهورة وهذا البيت من قصيدة له تعد فى

وان كان مقطوع اليد فان هـذا المعنى لايليق بهذا الموضـع قال لأن العقوبات من الله لاتكون الا وفقا للذنوب وبحسبها واليد لامدخل لها في نسيان القرآن فكيف يعاقب فيها واستشهد بقوله تعالى ﴿ الذينَ يأ كُلونَ الرّبا لايقومونَ الاّ كما يقومُ الذى يتخبّطهُ الشيطانُ من المسّ ﴾ وزعم ان تأويل الآية أن الربا اذا أكلوه ثقل في بطونهم وربا فى أجوافهم فجعل قيامهم مثل قيام من يتخبطه الشيطان تعثُراً وتخبّلاً واستشهد أيضاً بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله رأيت ليلة أسرى بى قوما تقرض شفاههم وكلما قـرضت وفّيَت فقلت ياجـبريل من هؤ لاء فقال لي جـبريل هؤ لاء خطباء أمتك تقرض شفاههم لانهـم يقولون مالا يفعلون ٠٠ قال والاجذم في الخـبر انما هو المجذوم وانما جاز ان يسمى المجذوم أجذم لأن الجذام يقطّع أعضاءه ويشذّبها والجذم القطع ٠٠[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وقد أخطأ الرجلان جميعاً وذهبا عن الصواب ذهابا بعيـداً وان كان غلط ابن قتيبة أفحش وأقبح لأنه علّل غلطه فأخرجه الى أغاليط كثيرة ونحن نبين معنى الخبر ثم نتكلم على ماأورداه ٠٠ أما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بمذاهب العرب فى كلامها وإنما أراد عليه الصلاة والسلام بقوله يحشر أجذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال والتشبيه له بالاجذم من حسن التشبيه وعجيبه لأن اليـد من الأعضاء الشريفة التى لايتمّ كثير من التصرف ولايوصل الى كثير من المنافع الا بها ففاقدها يفقد ما كان عليه من الكمال وتفوته المنافع والمرافق التى كان يجعل يده ذريعة الى تناولها وهذه حال ناسى القرآن ومضيعه بعد حفظه لأنه يفقد ما كان لابساً له من الجمال ومستحقاً له

جيد شعر العرب وبعده

يداه أصابت هذه حتف هـذه	فلم تجد الأخرى عليها مقدما
فلما استقادَ الكفُّ بالكفّ لم يجد	له دَرَكا فى أن تبينَا فأحجما
فأطرقَ إطراقَ الشجاع ولو رأى	مساغاً لناباه الشجاعُ لصمما
لذى الحلم قبل اليوم ماتقرعُ العصا	وما عُلّم الانسانُ الا ليعلما

وقوله لناباه جعله بالالف وتلك طريقة لهم في الزام المثنى الالف في حالاته الثلاث

من الثواب وهذه عادة للعرب فى كلامهم معروفة يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه فلان بعد فلان أجدع وقد بقي بعده أجذم وقال الفرزدق يرثى مالك بن مسمع

تَضَعْضَعَ طَوْدَا وَائِلٍ بعْدَ مالكٍ   وَأَصْبَحَ مِنْها مَعْطِسُ العِزِّ أَجْدَعا

وانما أراد المعنى الذي ذكرناه وللعرب ملاحن فى كلامها واشارات الى الأغراض وتلويحات بالمعاني متى لم يفهمها ويتسرع الي الفطنة لها من تعاطي تفسير كلامهم وتأويل خطابهم كان ظالماً نفسه متعديا طوره ونعود الي الكلام على ماذكره الرجلان .. أما أبو عبيد فان خطأه من حيث لم يفطن للغرض من الخبر فضلّ عن وجهه والافالاجذم هو الاقطع لامحالة كما قال الا انه لايليق بهذا الموضع فاذاحمل عليه لم يفد شيئاً فان كانت شبهته التي أوقعته فى ذلك ظنه ان ذلك يكون على سبيل العقوبة على نسيان القرآن فليس كما ظن لأن الجذم أولا ليس بعقوبة لان الله تعالى قد يجذم أولياءه والصالحين من عباده ويقطع أعضاءهم بالامراض وقديبتدأ خلق من هو ناقص الاعضاء فليس بلازم فى الجذم ان يكون عقوبة ثم لو كان يستحق ناسى القرآن عقوبة على نسيانه لكان حفظ القرآن بأسره فرضاً واجباً وحتما لازما لان العقوبة لاتستحق بترك ماليس بواجب وليس حفظ جميع القرآن كذلك .. وأما ابن قتيبة فانه غلط من حيث لم يفطن للوجه فى الخبر الذي ذكرناه ومن حيث ظنّ ان العقوبة لاتكون الا فى محلّ الذنب وهذا القول يوجب عليه أن لايجلد ظهر الزانى وتختص العقوبة بفرجه وكذلك القاذف كان يجب أن يعاقب في لسانه دون سائر أعضائه والخبر الذي استشهد به حجة عليه لانا نعلم ان اللسان أقوى حظاً فى باب الكلام من الشفة فلم لم يخص بالعقوبةوحلّت بالشفاه دونه .. ثم غلطه في تأويل الآية التي أوردها أقبح من كل ماتقدم لانه توهم أنما تضمنته الآية من تخبط آكل الربا وتعثره فى القيام انما هو في الدنيا من حيث يثقل ماأكله فى معدته فيمنعه من النهوض ونحن نعلم ضرورةً خلاف ذلك ونجد كثيراً من آكلى الربا أخف نهوضاً وأسرع قياماًوتصرفا من غيرهم ممن لم يأكل الربا قط والمعنى في الآية هو ماذكره المفسرون من ان ماوصفهم الله به يكون عند قيامهم من قبورهم فيلحقهم العثار

والزال والتخبُّل على سبيل العقوبة لهم وليكون ذلك أيضاً أمارة لمن يعاقبهم من الملائكة والخزنة على الفرق بين الوليّ والعدوّ ومستحق الجنة ومستحق النار وليس بمعروف ولا ظاهر ان الأجذم هو المجذوم ٠٠ ورد ابن قتيبة معناه واشتقاقه الى الجذم الذي هو القطع يوجب عليه أن يكون كل داء يقطع الجسد ويفرق الأوصال كالجدري والأكلة وغيرهما يسمى جذاماً ويسمى من كان عليه أجذم وهذا باطل ٠٠ وأما قول الشاعر حيث يقول

وحَرَّقَ قيسٌ عليَّ البلادَ حتى إذا اضطَرَمَتْ أَجْذَما

فليس هو من هذا الباب بل هو من الاجذام الذي هو الاسراع فكأنه قال لما اضطرمت أسرع عني وتباعد مني [١] والاجذام بالذال المعجمة والدال غير المعجمة جميعاً الاسراع ٠٠ وأما قول عنترة في وصف الذباب

هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَهُ بِذِراعِهِ قَدحَ المُكبِّ على الزِّنادِ الأَجذمِ

فهو من هذا الباب لأن الأجذم من صفة المكب لا من صفة الزناد فكأنه قال قدح المكب الأجذم وهو من أحسن التشبيه وأوقعه

[مسألة] [٢] كان بعض المشايخ المتقدمين يقول ليس يمتنع أن يمكن الله تعالى من الظالم من يعلم من حاله انه يرد القيامة غير مستحق لشيء من الأعواض أو لما يوازي القدر المستحق عليه منها فاذا أراد الانتصاف منه تفضل عليه بما ينقله الى مستحق العوض ويقول ليس هذا ببعيد ولا مستحيل لأن العوض ليس يختص بصفة تمنع من التفضل بمثله ولا يجري في ذلك مجرى الثواب والمستقر من مذاهب الشيوخ وهو الصحيح ان الانتصاف لا يجوز أن يكون موقوفاً على ما يتفضل به لأن الانتصاف واجب على الله تعالى من حيث خلى بين

---

(١) ويروى البيت (حتى اذا اضطرمت أحجما) أي نكص وتأخر وحاصل المعنى على الروايتين واحد

(٢) ما ذكر في هذه المسألة مبني على القول بالعدل ووجوب الأصلح على الله تعالى وهي مقالة للمعتزلة ومنهم المؤلف وأهل السنة يخالفونهم فيها فلا تغتر بما تراه هنا وكن منه على حذر

عباده وبين الظلم فلا يجوز أن يتعلق إلاّ بأمر واجب والتفضل لفاعله أن لا يفعله فتؤول الحال الى تعذر الانتصاف .. وقالوا من يعلم الله انه يرد القيامة ولا أعواض له يمنعه من الظلم ولا يمكنه منه لهذه العلة ويجيزون أن يمكن من الظلم من يكون في الحال غير مستحق للعوض أو غير مستحق للقدر الذى يوازى الظلم من العوض بعد أن يكون المعلوم من حاله انه يرد القيامة وقد يستحق من الأعواض ما يوازى ما عليه منها .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وهذا القول يعنى تجويز تمكين الظالم من الظلم وهو فى الحال غير مستحق للعوض يبطل بالعلة التى أبطلنا بها قول من أجاز الانتصاف بالتفضل لأنا نعلم ان تبقية المكلف لا تجب وللقديم تعالى أن لا يفعلها فلو لم يفعلها واخترم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن وقد تعلق الانتصاف على هذا القول بما ليس بواجب كما علقه من قدمنا حكاية قوله بما ليس بواجب وليس لهم أن يقولوا ذلك يحسن لأن الله تعالى يعلم انه يبقيه فيستحق أعواضاً لأن عليهم مثل ذلك اذا قيل لهم فأجيزوا أيضاً أن يرد القيامة وهو لا يستحق العوض ويعلم الله انه يتفضل عليه بما يقع به الانتصاف فاذا قالوا علم الله بأنه يتفضل لا يخرج التفضل من أن يكون غير واجب قيل لهم وعلم الله بأنه يبقى من لا عوض له ليستحق العوض لا يخرج التبقية عن أن تكون غير واجبة فاستوى الأمران والصحيح أن يقال انه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له فى الحال ليستقيم الكلام ويطرد

مجلس آخر ٢

[تأويل آية] .. قال الله تعالى (يسألونك عن الروح قُلِ الروحُ من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا) .. وقد ظن قوم من غفلة الملحدة وجهلا لهم أن الجواب عما سئل عنه فى هذه الآية لم يحصل وان الامتناع منه انما هو لفقد العلم به وان قوله تعالى (وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا) تبكيت وتقريع لم يقعا موقعهما وانما هو على سبيل المحاجزة والمدافعة عن الجواب .. وفى هذه الآية وجوه من التأويل تبطل ما ظنوه وتدل

على ماجهلوه .. أولها انه تعالى انما عدل عن جوابهم لعلمه بأن ذلك أدعى لهم الى الصلاح في الدين وان الجواب لو صدر منه اليهم لازدادوا فساداً وعناداً إذ كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين وليس هذا بمنكر لأنا قد نعلم في كثير من الأحوال فيمن يسألنا عن الشئ ان العدول عن جوابه أولى وأصلح في تدبيره .. وقد قيل ان اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمداً عن الروح فان أجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي فانا نجد في كتبنا ذلك فأمره الله تعالى بالعدول عن ذلك ليكون علماً ودلالة على صدقه وتكذيباً لليهود الرادين عليه وهذا جواب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي .. وثانيها أن القوم انما سألوه عن الروح وهل هي محدثة مخلوقة أو ليست كذلك فأجابهم بأنها من أمر ربي وهو جوابهم عما سألوه بعينه لأنه لا فرق بين أن يقول في الجواب انها محدثة مخلوقة وبين قوله انها من أمر ربي لانه انما أراد انها من فعله وخلقه وسواء على هذا الجواب أن تكون الروح التي سألوا عنها هي التي بها قوام الجسد أو عيسى أو جبرائيل عليهما السلام وقد سمي الله جبرائيل روحاً وعيسى أيضاً بذلك مسمى في القرآن .. وثالثها انهم سألوه عن الروح الذي هو القرآن وقد سمى الله القرآن روحاً في مواضع من الكتاب فاذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه لأنه قال لهم الروح الذي هو القرآن من أمر ربي ومما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ليجعله دلالة له وعلماً على صدقه وليس من فعل المخلوقين ولا مما يدخل في إمكانهم وهذا الجواب للحسن البصري ويقويه قوله تعالى بعد هذه الآية (ولئن شئنا لنذهبنّ بالذى أوحينا اليكَ ثم لا تجدُ لكَ علينا وكيلا) فكأنه تعالى قال ان القرآن من أمري وفعلي ومما أنزلته علماً على نبوة رسولي صلى الله عليه وسلم ولو شئت لرفعته وأزلته وتصرفت فيه كما يتصرف الفاعل فيما يفعله

[فصل] .. قال أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني في قوله تعالى (والأرضَ مَدَدْناها وَأَلْقينا فيها رَوَاسِيَ وَأَنبتنا فيها مِنْ كلّ شئٍ مَوزون) قال انما خص الموزون دون المكيل بالذكر لوجهين .. أحدهما ان غاية المكيل تنتهي الى الوزن لأنّ سائر المكيلات اذا صارت طعاماً دخلت في باب الوزن وخرجت عن باب الكيل فكان الوزن أعمّ من الكيل .. والوجه الآخر ان في الوزن معنى الكيل لأن الوزن هو طلب

مساواة الشيء بالشيء ومقايسته اليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت فى الكيل وخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل هذا قول أبى مسلم .. ووجه الآية وماشهد له ظاهر لفظها غير ما سلكه أبو مسلم وانما أراد الله تعالى بالموزون المقدّر الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصاً عنها ولا زائداً عليها زيادة مضرة أو داخلة فى باب العبث ونظير ذلك من كلامهم قولهم كلام فلان موزون وأفعاله موزونة مقدرة وانما يراد ما أشرنا اليه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين فى القرآن على أحد التأويلين وانها التعديل والمواساة بين الثواب والعقاب .. قال الشاعر هو ذوالرمة

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمُ الحَوَاشِي لاهُرَاءٌ وَلاَ نَزْرُ

ـ الهراء ـ الكثير ـ والنزر ـ القليل وكأنه قال ان حديثها لا يقل عن الحاجة ولا يزيد عليها وهذا يجرى مجرى أن يقول هو موزون .. وقال مالك[1] بن أسماء بن خارجة الفزارى

وَحَدِيثٌ أَلَذُّهُ هُوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنَا

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلحنُ أَحْيَا نَاوَخَيْرُ الحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

---

(١) .. قال ابن قتيبة بعد أن ذكر نسبه وكان مالك شاعراً غزلاً ظريفاً وهو القائل فذكر البيتين وذكر بعدهما قوله

حبذا يومنا بتل بونّا حيث نُسقى شرابنا ونُغنى

من شراب كأنه دم جوف يترك الكهل كالفتى مُرجحنا

أيما دارت الزجاجة دُرنا يحسب الجاهلون أنا جُننا

ومررنا بنسوة عطرات وسماع وقرقف فنزلنا

ـ وبونّا ـ من قرى الكوفة .. ويقال ان عمر بن أبى ربيعة مرّ بمالك هذا فاستنشده شيئاً من شعره فأنشده فقال عمر ما أحسن شعرك لولا أسماء القرى التى تذكرها فيه قال مثل ماذا قال مثل قولك

أشهدتنى أم كنت غائبةً عن ليلتى بحديثة القَسْب

.. ومثل قولك

وهذا الوجه الذى ذكرناه أشبه بمراد الله تعالى في الآية وأليق بفصاحة القرآن وبلاغته الموفيتين على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم .. فأما قول الشاعر الذي استشهدنا بشعره وتلحن أحياناً فلم يرد اللحن فى الأعراب الذي هو ضد الصواب وانما أراد به الكناية عن الشئ والتعريض بذكره والعدول عن الافصاح عنه على معنى قوله تعالى (ولتعرفنهم فى لحن القول) .. وقول الشاعر

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُمْ لِكَيما تَفطَنُوا ‏ ‏ ‏ ‏ وَلَحنتُ لَحنًا لَيسَ بِالمُرْتَابِ

وقد قيل ان اللحن الذى عنى به فى البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على معنى ماروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته أي أفطن لها وأغوص عليها .. ومما يشهد لما ذكرناه ماأخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى قال حدثنا أحمد بن عبد الله العسكرى قال حدثنا العنزي قال حدثنا على بن اسماعيل اليزيدى قال أخبرنا اسحاق بن ابراهيم قال تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة فلحنت وهي عند الحجاج فقال لها أتلحنين وأنت شريفة وفى بيت قيس قالت أما سمعت قول أخي مالك لامرأته الانصارية قال وما هو قالت قال

مَنطِقٌ صائبٌ وَتَلحَنُ أحيَا ‏ ‏ ‏ ‏ ناوَخَيرُ الحديثِ ما كانَ لحنَا

فقال لها الحجاج انما عنى أخوك اللحن فى القول اذا كنى المحدث عما يريد ولم يعن اللحن فى العربية فأصلحى لسانك .. [قال المرتضى] رضى الله عنه قد ظن عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه وقال ان اللحن مستحسن من النساء الغرائر وليس بمستحسن منهم كل الصواب والتشبه بفحول الرجال واستشهد بأبيات مالك بعينها وظن انه

حبذا يومنا بتل بونا ‏ ‏ ‏ ‏ حيث نسقى شرابنا ونغنى

فقال مالك هي قرى البلد التى أنا فيه وهي مثل ما تذكره أنت في شعرك من أرض بلادك قال مثل ماذا قال مثل قولك

ما على الربع بالبليين لو بيـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـين رجع السلام أولو أجابا

فأمسك ابن أبي ربيعة ولم يجب بشئ

أراد باللحن ما يخالف الصواب وتبعه على هذا الغلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فذكر في كتابه المعروف بعيون الأخبار أبيات الفزاري واعتذر بها من لحن أصيب في كتابه * وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني يحيى بن علي المنجم قال حدثني أبي قال قلت للجاحظ مثلك في عقلك وعلمك بالادب ينشد قول الفزاري ويفسره على انه أراد اللحن في الاعراب وانما أراد وصفها بالظرف والفطنة وانها تورّي عما قصدت له وتتنكب التصريح فقال له قد فطنت لذلك بعدُ قلت فغيره من كتابك فقال كيف لي بما سارت به الركبان قال الصولي فهو في كتابه على خطئه [قال المرتضي] رضي الله عنه ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكناية ما أخبرنا به أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أن رجلا من بني العنبر حصل أسيراً في بكر بن وائل فسألهم رسولاً الى قومه فقالوا لا ترسل الا بحضرتنا لأنهم كانوا عزموا على غزو قومه فخافوا أن ينذرهم فجيء بعبد أسود فقال له أتعقل فقال نعم اني لعاقل فقال ما أراك عاقلا وأشار بيده الى الليل فقال ما هذا قال الليل قال أراك عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل فقال كم هذا فقال لا أدري ولكنه كثير فقال أيما أكثر النجوم أم التراب فقال كل كثير فقال أبلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلاناً يعني أسيراً كان في أيديهم من بكر فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد أدبى [١] وشكت النساء وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد طال ركوبها وان يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت معكم حيساً واسألوا أخي الحارث عن خبري فلما أدّى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جُنّ الأعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله قد أدبى العرفج يريد ان الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح وقوله شكت النساء أي اتخذن الشكاء للسفر [٢] وقوله الناقة الحمراء أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان [٣] وهو الجمل

---

(١) ــ العرفج ــ ضرب من النبات ــ وأدبى ــ خرج منه مثل الدبى وهو أصغر الجراد

(٢) ــ الشكاء ــ جمع شكوة وهو وعاء من جلد يجعل للماء واللبن

(٣) ــ الصمان ــ والصمانة كل أرض صلبة ذات حجارة الى جنب رمل والصمان موضع بعالج

الأصهب وقوله أكلت ممكم حيساً يريد اخلاطاً من الناس قد غزوكم لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه

[تأويل خبر] •• روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه غريب الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال من أحبنا أهل البيت فليعد للفقر جلباباً أو تجفافاً •• قال أبو عبيد وقد تأول بعض الناس هذا الخبر على انه أراد به الفقر في الدنيا وليس ذلك كذلك لانا نرى فيمن يحبهم مثل ما نرى في سائر الناس من الغنى والفقر ولا تميز بينهما قال والصحيح انه أراد به الفقر في يوم القيامة وأخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة والحث على الطاعات فكأنه أراد من أحبنا فليعد لفقره يوم القيامة ما يجبره من الثواب والقرب الى الله تعالى والزلفى عنده •• قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وجه الحديث خلاف ما قاله أبو عبيد ولم يرد الا الفقر في الدنيا ومعنى الخبر ان من أحبنا فليصبر على التقلل من الدنيا والتقنع فيها وليأخذ نفسه بالكف عن أحوال الدنيا وأعراضها وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف أو الجلباب لأنه يستر الفقر كما يستر الجلباب أو التجفاف البدن قال ويشهد بصحة هذا التأويل ماروى عنه عليه والسلام انه رأى قوماً على بابه فقال ياقنبر من هؤلاء فقال له قنبر هؤلاء شيعتك فقال مالي لاأرى فيهم سيما الشيعة قال وما سيما الشيعة قال خمص البطون من الطوى ويبس الشفاه من الظما وعمش العيون من البكا هذا كله قول ابن قتيبة والوجهان في الخبر جميعاً حسنان وان كان الوجه الذي قاله ابن قتيبة أحسن وأنصع •• ويمكن أن يكون في الخبر وجه ثالث تشهد لصحته اللغة وهو ان أحد وجوه معنى لفظة الفقر أن يحز أنف البعير حتى يخلص الى العظم أو قريب منه ثم يلوى عليه حبل يذلل بذلك الصعب يقال فقره يفقره فقراً اذا فعل به ذلك وبعير مفقور وبه فقرة وكل شيء حززته وأثرت فيه فقد فَقَّرته تفقيراً ومنه سميت الفاقرة وقيل سيف مفقر فيحمل القول على أن يكون عليه السلام أراد من أحبنا فليزمّ نفسه وليخطمها وليقدها الى الطاعات وليصرفها عما تميل طباعها اليه من الشهوات وليذللها على الصبر عما كره منها ومشقة ما أريد بها كما يفعل ذلك بالبعير الصعب وهذا وجه ثالث في الخبر لم يذكر ولايستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله اذا كان

له شاهد فى اللغة وكلام العرب لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ويجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منهما منفرداً وليس عليه العلم بمراده بعينه فان مراده مغيب عنه وأكثر ما يلزمه ماذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام

[فصل] . . قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وممن كان من مشهوري الشعراء ومتقدميهم على مذهب أهل العدل[١] ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة وكنيته أبو الحارث وذو الرمة لقبٌ لقب به لبيت قاله وهو في صفة الوتد

* أَشْعَثُ بَاقِي رُمَّةِ التَّقْلِيدِ *[٢]

ـ والرمة القطعة البالية من الحبل يقال حبل أرمام اذا كان ضعيفاً بالياً وقيل انه انما لقب بذى الرمة لأنه كان وهو غلام يتفزع[٣] فجاءته أمه بمن كتب له كتاباً وعلقته عليه برمة من حبل فسمى ذا الرمة ويشهد بمذهبه فى العدل ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى قال حدثنا ابن دريد قال أخبرنا أبو عثمان الاشناندانى عن

(١) ـ أهل العدل لقب المعتزلة لقبوا به أنفسهم لقولهم بوجوب الصلاح والأصلح عليه تعالى وانه يعاقب المسيء على اساءته ويثيب المحسن على احسانه ولا بد وانما سموا المعتزلة لأن رئيسهم واصل بن عطاء كان يحضر حلقة الحسن البصري فسأله يوماً عن مرتكب الكبيرة هل يكون مؤمناً أو لا فقال انه مؤمن وأمره فى كبيرته مفوض الى ربه ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه فلم يعجب ذلك واصل فقعد الى سارية من سوارى المسجد يقرر ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وانه مخلد فى النار فقال الناس قد اعتزل واصل فقيل لمن وافقه على رأيه معتزلة

(٢) الذي فى غيره من كتب الأدب وانما قيل له ذا الرمة لقوله

لم يبق منها أبد الأبيد غيرُ ثلاثٍ ماثلاتٍ سودِ
وغير مشجوج القفا موتود فيه بقايا رمة التقليد

(٣) أي يفزع فى نومه

التوزى عن أبي عبيدة قال اختصم رؤبةُ وذو الرمة عند بلال بن أبي بردة فقال رؤبة والله ما فحص طائر أفحوصاً ولا تقرمص سبع قرموصاً الا بقضاء من الله وقدر فقال له ذو الرمة والله ماقدّر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيايل ضرائك قال رؤبة أفبقدرته أكلها هذا كذب على الذئب ثانٍ فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب الذئب وهذا الخبر صريح في قوله بالعدل[1] واحتجاجه عليه وبصيرته فيه فأما — العيايل — فجمع عَيِّل وهو ذو العيال — والضرائك — جمع ضريك وهو الفقير ٠٠ وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي عن أبي العيناء عن الأصمعي عن اسحاق بن سويد قال أنشدني ذو الرمة

وَعَيْنَانِ قَالَ اللهُ كُونَا فَكَانَتَا ... فَعُولَانِ بِالأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ

فقلت له فعولين خبر الكون فقال لي لو سبحت ربحت وانما قلت وعينان فعولان فوصفتهما بذلك وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا الوجه ٠٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أحمد بن خالد النحاس قال حدثني محمد بن القاسم أبو العيناء قال حدثني الأصمعي قال لما أنشد ذو الرمة قوله

وَعَيْنَانِ قَالَ اللهُ كُونَا فَكَانَتَا ... فَعُولَيْنِ بِالأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ

وهو يريد كونا فكانتا فعولين حيث كانتا قال له عمرو بن عبيد ويحك قلت عظيما[2] فقال

---

(١) لأن المعتزلة يقولون ان الله لا يريد الشر وان ما يقع في الكون من الشرور فانما يقع على خلاف ارادته وليس لقول ذي الرمة والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيايل ضرائك معنًى الا ان هذا شر والشر لا يكونُ مراداً لله تعالى

(٢) — قلت عظيما — انما قال له ذلك لأنه لما نصب فعولين جعله معمولا لكانتا فاقتضى ان كون العينين فعولان بالألباب كما تفعل الخمر بأمر الله تعالى وهو شر لا يصلح أن تتعلق به ارادة الله تعالى على مذهب عمرو بن عبيد وكان عمرو بن عبيد هذا شيخ المعتزلة في عصره ولسانهم وكان آية في الذكاء والحفظ وكان متقشفاً زاهداً

فعولان بالالباب فقال ذوالرمة ما أبالي قلت هذا أم سبحت فلما علم ما ذهب اليه عمرو قال سبحان الله او عنيت ماظننت كنت جاهلا .. وممن روي انه كان على مذهب أهل العدل من شعراء الطبقة الاولى أعشى قيس بن ثعلبة واستشهد بقوله

إِستأثَرَ اللهُ بِالوَفاءِ وَبِالعَدْ   لِ وَوَلَّى المَلامَةَ الرَّجُلا

وممن قيل انه على مذهب الجبر [1] من المشهورين أيضاً لبيد بن ربيعة العامري واستدل بقوله

إِنَّ تَقْوى رَبِّنا خَيْرُ نَفَلْ   وَبِإِذْنِ اللهِ رَيْثي وَالعَجَلْ

مَنْ هَداهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهْتَدى   ناعِمَ البالِ وَمَنْ شاءَ أَضَلْ

وان كان لاطريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبيد الا هذان البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك .. أما قوله وباذن الله ريثي والعجل فيحتمل ان يكون بعلمه كما يتأول عليه قوله تعالى (وما هم بضارّين به من أحد الا باذن الله) أي بعلمه وان قيل في هذه الآية أنه أراد بتخليته وتمكينه وان كان لاشاهد لذلك في اللغة أمكن مثله في قول لبيد .. وأما قوله من هداه اهتدى ومن شاء أضلّ فيحتمل ان يكون مصروفا الى بعض الوجوه التي يتأوّل عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضي الاجبار اللهم الا ان يكون مذهب لبيد في الاجبار معروفا بغير هذه الابيات فلا يتأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه

[مسئلة] .. اعلم ان أصحابنا لما استدلوا على نفي الرؤية بالابصار عن الله بقوله (لاتدركه الأَبْصارُ وهوَ يُدرِكُ الأَبصارَ وهُوَ اللطيفُ الخبيرُ) وبينوا انه تعالى تمدح بنفي الادراك الذي هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع الى ذاته فيجب ان يكون

يضرب به المثل في ذلك فيقال أزهد من عمرو بن عبيد وفيه يقول القائل

كلكم طالبُ صيد   غير عمرو بن عُبَيد

(١) يريد بالجبر مذهب أهل السنة وانما سموا مجبرة لأنهم لما جعلوا أفعال العبد مخلوقة لله تعالى وليس لقدرة العبد دخل في ايجاد أفعاله فقد جعلوا العبد مجبوراً على مايصدر عنه من الافعال وأما المعتزلة فقالوا ان أفعال العبد من قدرته فكان مختاراً عندهم

ثبوت الرؤية له في وقت من الاوقات نقص وذمّ .. قال لهم مخالفوهم كيف يتمدح بانه لايرى وقد شاركه في نفي الرؤية ماليس بممدح كالمعدومات والارادات والاعتقادات فقالوا لهم لم يتمدّح تعالى بنفي الرؤية فقط وانما تمدّح بنفي الرؤية عنه واثباتها له فتمدحه بمجموع الامرين وليس يشاركه فى هاتين الصفتين مشارك لان الموجودات المحدثات أصناف .. منها مالا يرى ولا يرى كالارادات والاعتقادات .. ومنها مايُرى ولا يَرى كالألوان .. ومنها مايرى ويرى كالانسان وضروب الاحياء وليس فيها مايَري ولايُري فثبت المدح لله تعالى بمتضمن الآية .. فقال لهم المخالفون وكيف يجوز ان تكون صفة لاتقتضى المدحة بانفرادها ثم تصير تقتضيها مع غيرها ولئن جاز هذا ليجوزن أن يتمدّح متمدح بأنه شئ عالم أوموجود قادر فاذا كان لامدحة فى وصف الذات بانها شئ وموجود وان انضمت الي صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لاتقتضى مدحا فكذلك لامدحة فى نفي الرؤية عما ثبت له من حيث كانت بانفرادها لاتقتضي مدحا. فأجاب أصحابنا عن هذا الكلام بان قالوا ليس يمتنع فى الصفة أن تكون لاتقتضي مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت الى غيرها ومثلوا ذلك بقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم فان نفي السنة والنوم ههنا انما يكون مدحاً اذا انتفى عمن هو بصفة الاحياء وان كان بانفراده لايقتضى مدحاً لمشاركته ذوات كثيرة غير ممدوحة فيه وفصلوا بين الوصف بالنفي والوجود وبين ماذكروا بالشئ من حيث لاتأثير لهاتين الصفتين فى المدح .. واعلم ان صفات المدح المتضمنة للاثبات ماتكاد تفتقر الي شرط في كونها مدحاً .. وصفات النفي اذا كانت مدحاً فلا بدّ فيها من شرط وانما افترق الامران من حيث كان النفي أعمّ من الاثبات فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح والاثبات أشدّ اختصاصاً ألا ترى ان ماليس بعالم من الذوات وليس بموجود أكثر مما ثبت له العلم والوجود منها لان الاول لا يكون الا غير متناه والثاني لا بد أن يكون متناهياً فلما اشتملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت الى شرط يخصها وأنت اذا اعتبرت سائر صفات النفي التي يتمدح بها وجدتها مفتقرة الي الشروط ألا تري ان من ليس بجاهل انما يكون ممدوحا بهذا النفي اذا كان حياً ذاكراً لانه قد يكون الحي لاعالماً ولاجاهلا لسهو يلحقه وذهول

يعتريه ومن ليس بعاجز انما يكون ممدوحاً اذا كان أيضاً موجوداً حياً ومن ليس بظالم انما يكون ممدوحاً اذا كان قادراً على الظلم وله دواع اليه ولا بد فى الشرط الذي يحتاج اليه فى صفات النفي حتي يكون مدحاً من ان يكون أيضاً إثباتاً أو جاريا مجري الاثبات ولا يكون نفياً لانه ان كان نفياً لم يتخصص وساوى فيه الممدوح ماليس بممدوح • مثال ذلك أنا اذا مدحنا غيرنا بانه لايظلم وشرطنا فى هذه المدحة انه لم يدعه داع الي الظلم لم تحصل المدحة لانه قد يشاركه فى نفي الظلم ونفي الدواعي اليه ماليس بممدوح فلا بدّ من شرط يجرى مجرى الاثبات وهو ان نقول وهو ممن تدعوه الدواعي الى الافعال ويتصرف فيها بحسب دواعيه فاذا صحت هـذه الجملة فالوجه ان نقول ان المدحة فى الآية انما تتعلق بنفي الادراك عن القديم تعالي لكن بشرط ان يكون مدركا ونجعل كل واحد من الصفتين تقتضى المدح مجتمعاً مع أن كل واحدة لاتقتضيه على سبيل الانفراد وليس بمنكر ان يقتضى الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى فاذا لم يوجد لم يحصل مقتضاه ونفي السنة والنوم والظلم عن الله تعالي انما كان مدحاً بشروط معروفة على نحو ماذكرناه وهذا التلخيص فى هذا الموضع أولى وأحسم للشبه مما تقدم ذكره

(مجلس آخر ٢)

[تأويل آية]•• ان سأل سائل فقال ما تقولون فى قوله تبارك وتعالى حكاية عن موسى ﴿ فألقَى عَصَاهُ فإِذَا هيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ •• وقال تعالى في موضع آخر ﴿ وأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كأَنَّها جَانٌّ ولَّي مُدْبِراً ولَمْ يُعَقِّبْ ﴾ والثعبان الحية العظيمة الخلقة والجان الصغير من الحيّات فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز ان تكون العصا في حال واحدة بصفة ماعظم خلقه من الحيّات وبصفة ماصغر منها وبأي شيء تزيلون التناقض عن هذا الكلام (الجواب) أول مانقوله ان الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبراً عن قصة واحدة باطل بل الحالتان مختلفتان فالحال التي أخبر ان العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوّة وقبل مصير موسى الي فرعون والحال التي صار

العصا عليها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وابلاغه الرسالة والتلاوة تدلّ على ذلك واذا اختلفت القصتان فلا مسئلة على ان قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب على هـذا السؤال إما لظنهم ان القصة واحدة أو لاعتقادهم ان العصا الواحدة لايجوز ان تنقلب فى حالين تارة الى صفة الجان وتارة الى صفة الثعبان أو على سبيل الاستظهار في الحجة وان الحال لو كانت واحدة على ماظنّ لم يكن بين الآيتين تناقض وهذا الوجه أحسن ماتكلف به الجواب لاجله لان الاولين لايكونان الا عن غلط أو عن غفلة وذكروا وجهين تزول بكل واحد منهما الشبهة من تأويلها .. أحدها انه تعالى انما شبهها بالثعبان فى إحدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبّهها في الآية الاخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجان وسرعة حركته وهـذا أبهر في باب الاعجاز وأبلـغ في خرق العادة ولا تناقض معه بين الآيتـين .. وليس يجب اذا شبهها بالثعبان ان يكون لها جميع صفات الثعبان واذا شبهها بالجان ان يكون لها جميع صفاته وقد قال الله تعالى ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ ولم يرد تعالى ان الفضة قوارير على الحقيقة وانما وصفها بذلك لانه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقتها مع انها من فضة وقد تشبه العرب الشئ بغيره فى بعض وجوهه فيشبّهون المرأة بالظبية وبالبقرة ونحن نعلم أن فى الظباء والبقر من الصفات مالا يستحسن ان يكون في النساء وانما وقع التشبيه في صفة دون صفة ومن وجه دون آخر .. والجواب الثاني انه تعالى لم يرد بذكر الجان فى الآية الاخرى الحية وانما أراد أحد الجن فكأنه تعالى أخبر بان العصا صارت ثعبانا في الخلقـة وعظم الجسم وكانت مع ذلك كأحـد الجنّ في هول المنظر وافزاعها لمن شاهدها ولهذا قال تعالى ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ويمكن ان يكون في الآية تأويل آخر استخرجناه ان لم يزد على الوجهين الاوّلين لم ينقص عنهما والوجـه في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحجة وان التناقض الذى تُوُهِّمَ زائل على كل وجه وهو ان العصا لما انقلبت حيـة صارت أولا بصفة الجان وعلى صورته ثم صارت بصفة الثعبان ولم تصر كذلك ضربة واحدة

فتتفق الآيتان على هذا التأويل ولا يختلف حكمهما وتكون الآية الاولى تتضمن ذكر الثعبان اخباراً عن غاية حال العصا وتكون الآية الثانيـة تتضمن ذكر الحال التي ولى موسى فيها هاربا وهي حال انقلاب العصا الى خلقة الجان وان كانت بعـد تلك الحال انتهت الى صورة الثعبان •• فان قيل على هذا الوجه كيف يصح ماذكرتموه مع قوله تعالى فاذا هي ثعبان مبين وهذا يقتضى أنها صارت ثعبانا بعد الالقاء بلا فصل •• قلنا ليس تفيـد الآية ماظن واءا فائدة قوله تعالى فاذا هي الاخبار عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة وانه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ويجرى هذا مجرى قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ مع تباعد مابين كونه نطفة وكونه خصيماً مبيناً وقولهم ركب فلان من منزله فاذا هو في ضيعته وسقط من أعلا الحائط فاذا هو في الأرض ونحن نعلم ان بين خروجـه من منزله وبلوغه ضيعته زماناً وانه لم يصل اليها الا على تدريج وكذلك الهابط من الحائط وانما فائدة الكلام الاخبار عن تقارب الزمان وانه لم يطل ولم يمتد

[آية أخرى] •• قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ ••وقدظن [1] بعض من لا بصيرة له ولافطنة عنده ان

---

(١) اعلم ان للمفسرين فى هذه الآية قولين أحـدهما ان ذلك الاخراج والاشهاد حقيقة واليه ذهب كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبي وابن عباس قالوا ان الله استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك واقرارهم به واحتجوا لذلك بأحاديث كثيرة وردت من طرق متعددة يقوى بعضها بعضاً منها ماروى مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذ.ية الحديث وروى على عن ابن عباس فى قوله تعالى واذ أخذ ربك الآية قال

تأويل هذه الآية ان الله استخرج من ظهر آدم جميع ذريته وهم في خلق الذر فقررهم بمعرفته وأشهدهم على أنفسهم وهذا التأويل مع ان العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأن الله تعالى قال واذ أخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم

ان الله تعالي خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر فقال لهم من ربكم قالوا الله ربنا ثم أعادهم فى صلبه حتي يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم الي يوم القيامة أما المعتزلة وأصحاب المعقولات من المفسرين فانهم جعلوا ذلك على سبيل التمثيل وقالوا انه تعالى أخرج الاولاد وهم الذرية من أصلاب آبائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فاخرجها الله تعالى الى أرحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغـة ثم جعلهم بشراً سويا وخلقا كاملا ثم أشـهدهم على أنفـهم بما ركب فى عقولهم من دلائل وحـدانيته وعجائب خلقته وغرائب صنعته فكأنه قررهم وقال ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا واعترفنا بوحدانيتك قالوا وباب التمثيل واسع فى كلام الله ورسوله وكلام العـرب وفى القرآن الكريم (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين •• وقال الشاعر

امتلأ الحوض وقال قطني ... مهلاً رويداً قد ملأت بطني

وطعنوا فيما ذهب اليه الفريق الأول بما بسطه المؤلف هنا وكل ما طعنوا به يمكن الجواب عنه •• أما قولهـم ان المذكور في القرآن ان الله أخذ من بني آدم من ظهورهم لا من آدم ولا من ظهره وما روى أصحاب القول الأول يدل على انه أخذ من آدم كما فى الرواية التي سبق نقلها ••فالجواب عنه ان الله انما أخرج من صلب كل رجل ذريته الا انهم لما كانوا جميعاً من صلب آدم صح أن يقال انه أخذهم من صلب آدم ومثل هذا الاستعمال سائغ لامجال للطعن فيه •• وأما قولهم انهم حين أخرجوا فان كانوا عقلاء مستوفين لشرائط التكليف لزم أن يذكروا ذلك حين وجودهم وان لم يكونوا عقـلاء لم يكن للاشهاد معنى ••فالجواب عنه أن نختار انهم كانوا عقلاء ولا يلزم أن يذكروا ذلك حين وجودهم الآن فان النفس انما تذكر حين ملابستها للبدن ما كان وقع لها حين ملابسته

ولم يقل من ظهره وقال ذرياتهم ولم يقل ذريته ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا انهم كانوا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وانهم نشؤا على دينهم وسنتهم وهذا يقتضى ان الآية لم تتناول ولد آدم لصلبه وانها تناولت من كان له آباء مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ولد آدم فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويله فأما شهادة العقل فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من أن تكون من ظهر آدم فخوطبت وقررت أن تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف أو لا تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف فان كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وانشائهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه لأن العاقل لا ينسى ما يجري هذا المجرى وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز أن يتصرف أحدنا في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم وسائر أحواله وليس أيضاً لتخلل الموت بين الحالين تأثير لأنه لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون

فأما ما وقع لها عند تجردها عن البدن والانقطاع عنه فلا تذكره ومثل هذا يقع لأصحاب الرياضات فقد يتفق لبعضهم وقت تجرد فيه نفوسهم عن أبدانهم ويصدر عنهم حينئذ من الاقوال والافعال شيء كثير فاذا عادت نفوسهم اليهم لم يذكروا شيئاً مما كان منهم ولهذا أسباب ليس هذا محل بسطها انما الغرض أن نبين ان النفس انما تذكر عند ملابسة البدن ما يقع لها في مثل ذلك الحال واذا جاز أن تفارق النفس البدن زمناً طفيفاً ثم لا تذكر عند العود الى البدن ما كان منها عند المفارقة فكيف لها أن تذكر ما كان لها قبل أن يخلق البدن بآلاف من السنين .. هذا أقوى ما احتجوا به على ابطال قول الفريق الاول .. ثم اعلم بعد هذا ان ما ذهب اليه الفريق الثاني لا يبطل قول الفريق الأول ولا هو مستنكر في ذاته والتمثيل غير منكر في كلام أي كلام كان من كلام الخالق أو البشر وكما أمكن حمل الآية على التمثيل يمكن حمل الاحاديث فانها غير صريحة في ان الاخراج حقيقة وانما دعواهم ان المعنى الحقيقي غير ممكن ارادته ودعوى ان ذلك باطل شرعا وعقلا مما ننكره ونأباه وليس فيه الا تغليب الرأي والوهم على ظاهر الكتاب والسنة كما هي عادة المتكلمين

والاغماء من أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم لأن سائر ما عددناه مما ينفى العلوم يجرى مجرى الموت في هذا وليس لهم أن يقولوا اذا جاز فى العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه فى حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك انما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه اذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملو العقول ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه على ان تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض في الآية وذلك أن الله تعالى أخبرنا بأنه انما قررهم وأشهدهم لئلا يدّعوا يوم القيامة الغفلة وسقوط الحجة عنهم فيه فاذا جاز نسيانهم له عاد الامر الى سقوط الحجة وزوالها وان كانوا على الصفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم واشهادهم وصار ذلك عبثاً قبيحاً * فان قيل قد أبطلتم قول مخالفيكم فما تأويلها الصحيح عندكم * قلنا فى الآية وجهان • أحدهما أن يكون تعالى انما عنى بها جماعة من ذرية بني آدم خلقهم وبلغهم وأكمل عقولهم وقررهم على ألسن رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب من طاعته فأقروا بذلك وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وانما أتى من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظن أن اسم الذرية لا يقع الا على من لم يكن عاقلا كاملا وليس الأمر كما ظن لأنه سمى جميع البشر بأنهم ذرية آدم وان دخل فيهم العقلاء الكاملون وقد قال تعالى (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ التى وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْواجهم وذرّيّاتهم) ولفظ الصالح لا يطلق الا على من كان كاملا عاقلا فان استبعدوا تأويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلفين فهذا جوابهم • والجواب الثانى انه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيباً يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته وأراهم العبر والآيات والدلائل فى أنفسهم وفي غيرهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم وكانوا فى مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذى أراده الله تعالى وتعذر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقر المعترف وان لم يكن هناك اشهاد ولا اعتراف على الحقيقة ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) وان لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى

(شاهدين على أنفسهم بالكفر) ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم وانما ذلك لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ومثل هذا قولهم جوارحي تشهد بنعمتك وحالي معترفة باحسانك .. وما روى عن بعض الحكماء من قوله سل الارض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة فى النظم والنثر يغنى عن ذكر جميعها القدر الذى ذكرناه منها

(تأويل خبر) .. قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال أراد يستغن به واحتج بقولهم تغنيت تغنياً وتغانيت تغانياً وأنشد بيت الاعشى

وَكُنْتُ امرَأً زَمنًا بِالعِرَاقِ عفِيفَ ٱلْمنَاخِ طوِيلَ ٱلتَّغَنْ

.. وقول الآخر

كلاَنَا غنِيّ عَنْ أَخيهِ حيَاتَهُ وَنَحْنُ اذَا متْنَا أَشَدُّ تغَانيَا

واحتج أيضاً بقول ابن مسعود من قرأ سورة آل عمران فهو غني أى مستغن وبالحديث الآخر نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها فى آخر الليل والصعلوك الفقير واحتج بحديث آخر روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن ان أحداً أعطي أفضل مما أعطى لانه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل من ملكه . واحتج أيضاً بخبر رفعه عن عبد الله بن نهيك انه دخل على سعد بيته فاذا مثال رث ومتاع رث فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن .. قال أبو عبيد فذكره المتاع الرث والمثال الرث يدل على ان التغنى بالقرآن الاستغناء به عن الكثير من المال ــ والمثال ــ هو الفراش قال الشاعر

بِكُلِّ طُوَالِ ٱلسَّاعِدَيْنِ كأَنَّمَا يرَى بِسُرَى اللَّيْلِ ٱلمثَالَ ٱلمُمَهَّدَا

يعنى الفراش .. قال أبو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك اذ كان من لم يرجع بالقرآن ليس منه عليه الصلاة والسلام .. وذكر عن غير أبى عبيد جواب آخر وهو انه عليه الصلاة والسلام أراد من لم يحسن صوته بالقرآن ولم يرجع فيه واحتج

صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السائب قال أتيت سعداً وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من أنت فأخبرته فقال مرحباً بابن أخي بلغني انك حسن الصوت بالقرآن وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا فقوله فابكوا أو تباكوا دليل على ان التغني هو الترجيع والتحنين .. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يأذن الله لشيء من أهل الارض الا لأصوات المؤذنين والصوت الحسن في القرآن ومعنى قوله يأذن يستمع له يقال أذنت للشيء آذن أذنا اذا استمعت له .. قال الشاعر

صُمٌّ اذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ ... وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

.. وقال عدي بن زيد العبادي

أَيُّهَا القَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ ... إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ

والاذن هو السماع وانما حسن تكرير المعنى اختلاف اللفظ وللعرب في هذا مذهب معروف ومثله

* وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ *

فأما الددن فهو اللهو واللعب وفيه لغات ثلاث دد على مثال دم ودداً على مثال فتى ودَدَنٍ على مثال حزنٍ .. ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما أنا من ددٍ ولا الددُ منّيه * فان قيل كيف يحمل لا يأذن الله لشيء كاذنه لكذا وكذا على معنى الاستماع وهو تعالى سامع لكل شيء مسموع فأي معنى للاختصاص * قلنا ليس المراد ههنا بالاستماع مجرد الادراك وانما المراد به القبول فكأنه عليه الصلاة والسلام قال ان الله لا يتقبل أو يثيب على شيء من أهل الأرض كتقبله وثوابه على كذا وكذا ومن هذا قولهم هذا كلام لا أسمعه وخاطبت فلانا بكلام فلم يسمعه وانما يريد نفي القبول لا الادراك والبيت الذى أنشدناه يشهد بذلك لانه قال * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا * ونحن نعلم أنهم يستمعون الذكر بالخير والشر معاً من حيث الادراك فوجه الاختصاص ما ذكرناه وقد ذكر أبو بكر محمد بن القاسم الانبارى وجهاً ثالثاً فى الخبر قال أراد عليه الصلاة والسلام من لم يتلذذ بالقرآن ويستحله ويستعذب تلاوته كاستحلاء أصحاب الطرب للغناء والتذاذهم به

وسمى ذلك تغنياً من حيث يفعل عنده ما يفعل عند التغني بالغناء وذكر ان ذلك نظير قولهم العمائم تيجان العرب والحباء حيطان العرب والشمس حمامات العرب •• وأنشد بيت النابغة

بُكَاء حَمَامَةٍ تَدعُو هديلاً　　مُفَجَّعَةٍ عَلَى فَنَنٍ تُغَنِّى (١)

فشبه صوتها لما أطرب اطراب الغناء بالغناء وجعلوا العمائم لما قامت مقام التيجان تيجاناً وكذلك القول في الحباء والشمس • وجواب أبي عبيد أحسن الأجوبة وأسلمها وجواب أبي بكر أبعدها لأن التلذذ لا يكون الا في المشتهيات • وكذلك الاستحلاء والاستعذاب وتلاوة القرآن وتفهم معانيه من الأفعال الشاقة فكيف يكون ملذاً مشتهىً • فان عاد الى أن يقول قد تستحلى التلاوة من الصوت الحزين • قلنا هذا رجوع الى الجواب الثاني الذي رغبت عنه وانفردت عند نفسك بما يخالفه ويمكن أن يكون في الخبر وجه رابع خطر لنا وهو أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام من لم يتغنّ من غَنِيَ الرجل بالمكان اذا طال مقامه به ومنه قيل المغنى والمغاني قال الله تعالى كأن لم تغن بالأمس وكأن لم يغنوا فيها أي لم يقيموا بها وقال الاسود بن يعفر الايادى

وَلَقَدْ غَنَوا فِيهَا بِأَنعَمِ عِيشَةٍ　　فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَادِ (٢)

---

(١) ـ الهديل ـ ذكر الحمام وقيل انه طائر كان على عهد نوح عليه السلام صاده جارح من الطير فما من حمامة الا وهي تبكي عليه الى اليوم وهذا من خرافات العرب فى الزمن الأول وقد ضمن بعض شعراء الاسلام أشعارهم هذه الحكاية كقول أبي العلاء يرثي رجلا

يا بنات الهديل أسعدن أوعد　　ن قليل العزاء بالاسعاد

إيه لله دركن فأنتن　　اللواتي تحسن حفظ الوداد

ما نسيتن هالكا في الأوان الـ　　خال أودي من قبل هلك إياد

والمقصود حكاية المشهور لا أنهم يعتقدون ذلك ـ والمفجعة ـ المؤلمة بفقد ما يعز عليها ـ والفنن ـ الغصن وجمعه أفنان

(٢) هو له من أبيات يشكو بها من موت لداته وتأخر وفاته أولها

وبيت الاعشى الذى أنشده أبو عبيد

وَكُنتُ امرَأً زَمَنًا بِالعِرَاقِ عَفيفَ الْمُنَاخِ طَوِيلَ التَّغَنْ

بطول المقام أشبه منه بالاستغناء لان المقام يوصف بالطول ولا يوصف الاستغناء بذلك فكان الاعشى أراد انى كنت ملازماً لوطنى مقيماً بين أهلى لا أسافر للانتجاع والطلب ويجرى قوله هذا مجرى قول حسان بن ثابت الانصاري

أَوْلاَدُ جَفْنَةَ حوْلَ قبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الجوَادِ المُفْضِلِ

أراد بقوله حول قبر أبيهم انهم ملوك لاينتجعون ولا يفارقون محالهم وأوطانهم فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القرآن فلا يجاوزه الى غيره ولا يتعداه الى سواه ويتخذه مغنى ومنزلا ومقاما فليس منا * فان قيل أليس يتعدى القرآن الى السنة والاجماع وسائر أدلة الشرع فكيف يحظر علينا تعديه * قلنا ليس فى ذلك تعد للقرآن لان القرآن دال على وجوب اتباع السنة وغيرها من أدلة الشرع فمن اعتمد بعضها فى شئ من الاحكام لايكون متجاوزاً للقرآن وأما قوله عليه الصلاة والسلام ليس منا فقد قيل فيه انه لا يكون على أخلاقنا واستشهد ببيت النابغة

اذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإنى لسْتُ منكَ وَلَسْتَ مِنّي

ومن الحوادث لا أبا لك انني ضُربتْ عليّ الأرض بالاسداد

لا أهتدي فيها لموضع تلعة بين العذيب وبين أرض مراد

كان كف فى آخر عمره فهو يقول ذلك

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد اياد

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

نزلوا بأنقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجيء من أطواد

أرض تخيرها لطيب مقيلها كعب بن مامة وابن أم دؤاد

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

فأرى النعيم وكل ما يلهى به يوماً يصير الى بلى ونفاد

•• وقيل انه أراد ليس منا أى على ديننا وهذا الوجه لايليق الا بجوابنا وهو بعده بجواب أبي عبيد أليق لانه محال ان يخرج عن دين النبي وملته من لم يحسن صوته بالقرآن ويرجع فيه أو من لم يتلذذ بتلاوته ويستحيلها

[مسئلة] •• إعلم ان أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ماظنه أصحاب الرؤية فى قوله تعالى (وُجُوه يَوْمَئذٍ نَاضِرَةٌ إلىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) على وجوه معروفة لأنهم بينوا ان النظر ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من أحد محتملاته ودلوا على ان النظر ينقسم الى أقسام كثيرة •• منها تقليب الحدقة الصحيحة فى جهة المرئي طلباً لرؤيته •• ومنها النظر الذى هو الانتظار •• ومنها النظر الذى هو التعطف والمرحمة •• ومنها النظر الذى هو الفكر والتأمل وقالوا اذا لم يكن فى أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعلق واحتجنا جميعا الى طلب تأويل الآية من غير جهة الرؤية وتأولها بعضهم على الانتظار للثواب وان كان المنتظر في الحقيقة محذوفا والمنتظر منه مذكوراً على عادة للعرب معروفة وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الآية على رؤية أهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف المرئي فى الحقيقة وهذا كلام مشروح في مواضعه وقد بينا مايرد عليه ومايجاب به عن الشبهة المعترضة فى مواضع كثيرة •• وههنا وجه غريب فى الآية حكي عن بعض المتأخرين لايفتقر معتمده الى العدول عن الظاهر أوالى تقدير محذوف ولايحتاج الى منازعتهم فى أن النظر يحتمل الرؤية أولا يحتملها بل يصح الاعتماد عليه سواء كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب أم الرؤية بالعين وهو ان يحمل قوله تعالى الى ربها الى انه أراد نعمة ربها لان الآلاء النعم وفي واحدها أربع لغات ألاً مثل قفاً وألى مثل رمي وإلى مثل مِعي وإلي مثل حني قال أعشى بكر بن وائل

أَبيَضُ لاَيَرهَبُ الهُزَالَ وَلاَ يَقطَعُ رُحمًا وَلاَ يَخُونُ إلي

أراد أنه لايخون نعمة وأراد تعالى الى ربها فأسقط التنوين للاضافة * فان قيل فأي فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على انه أراد به الى ثواب ربها ناظرة بمعني رائية لنعمه وثوابه * قلنا ذلك الوجه يفتقر الى محذوف لانه اذا جعل الى حرفا

ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف وفى الجواب الذى ذكرناه لايفتقر الى تقدير محذوف لان الى فيه اسم يتعلق به الرؤية ولايحتاج الى تقدير غيره[1] والله أعلم بالصواب

اعلم أن مما وقع فيه الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة رؤية البارى جلّ شأنه في الآخرة فأثبت الأولون جواز ذلك ووقوعه ونفى المعتزلة الأمرين واعتلوا لما ذهبوا اليه من عدم جواز رؤيته تعالى بأن الرؤية تعتمد كون المرئي فى جهة وكونه مقابلا للرائي وكونه غير مفرط البعد عنه ولا مفرط القرب منه فان اختل شرط من ذلك لم يمكن وقوع الرؤية . قالوا وكل هذه الشروط لايمكن اعتبارها فى حقه سبحانه وتعالى فلا تكون رؤيته جائزة لأن مايتوقف على محال فوجوده محال: وبناء على القاعدة المعروفة بين المتكلمين من ان النقل اذا عارضه العقل وجب تأويله حتى يوافق العقل عمدوا الى تأويل النصوص القرآنية المصرحة بوقوع رؤيته تعالى لجماعة من المؤمنين فى الآخرة لئلا تصادم العقل فتأولوا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) بما ذكره المصنف وتأولوا قوله تعالى لموسى (لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقرّ مكانه فسوف تراني) بأنه علق الرؤية على استقرار الجبل حين تحركه واستقرار الجبل حين تحركه محال فما علق عليه كذلك والحق الذي يجب المصير اليه أن رؤية الباري جل شأنه جائزة والآيات القرآنية التي وردت بوقوعها في الآخرة ان كان فيها بعض اجمال يسوّغ التأويل فقد ورد فى الأحاديث الصحيحة الصريحة مالا يمكن الطعن فيه ولا صرفه عن ظاهره ومن ذلك الحديث الذي رواه أحد وعشرون صحابياً ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فكان هذا بياناً لمجمل الآيات ثم ان كون الرؤية مشروطة بما تقدم من الشروط فانما ذاك فى رؤية الحوادث وكون ذلك مشروطاً فى رؤيته تعالى غير معلوم وقياس الغائب على الشاهد مع اختلاف ما بينهما غير جائز والوقوف عند ظواهر الشريعة واجب ما أمكن والتسرع في التأويل لمجرد التوهم غير حميد والله الهادي

مجلس آخر ٤

[تأويل آية] .. ان قال قائل ماتأويل قوله تعالى (وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاّ بِإِذْنِ
ويَجْعَلُ الرِّجْسَ على الذينَ لايَعْقِلُونَ) فظاهر هذا الكلام يدل على ان الايمان
كان لهم فعله باذنه وأمره وليس هذا مذهبكم وان حمل الاذن ههنا على الارادة اق
أن من لم يقع منه الايمان لم يرده الله منه وهذا أيضاً بخلاف قولكم ثم جعل الر
الذي هو العـذاب على الذين لايعـقلون ومن كان فاقداً عقله لايكون مكلفاً فكي
يستحق العذاب وهو بالضـد من الخبر المروي عن النبي صـلى الله عليه وسلم انه
أكثر أهل الجنة البله .. الجواب يقال له فى قوله تعالى الا باذن الله وجوه .. من
يكون الاذن الامر ويكون معنى الكلام ان الايمان لايقع إلا بعد ان يأذن الله فيه وي
به ولا يكون معناه ماظنه السائل من انه لايكون للفاعل فعله الا باذنه ويجري هذا مج
قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله ومعلوم ان معنى قوله ليس لها في
الآية هو ماذكرناه وان كان الاشبه في هذه الآية التي فيها ذكر الموت أن يكون ال
بالاذن العلم .. ومنها أن يكون الاذن هو التوفيق والتيسـير والتسهيل ولا شبهة في
الله يوفق لفعل الايمان ويلطف فيه ويسهل السبيل اليه .. ومنها أن يكون الاذن
من قولهم أذنت لكذا وكذا اذا سمعته وعلمته وأذنت فلانا بكذا اذا أعلمته فتك
فائدة الآية الاخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات فانه ممن لايخفى عليه الخفيات .. و
أنكر بعض من لابصيرة له أن يكون الاذن بكسر الالف وتسكين الذال عبارة عن ا
وزعم ان الذى هو العلم الاذَنُ بالتحريك واستشهد بقول الشاعر

* إِنَّ هَمِّي في سَمَاعٍ وَأَذَنْ *

وليس الامر على ماتوهمه هذا المتوهم لان الاذن هو المصـدر والاذن هو اسم الف
فيجري مجرى الحذر والحذر في انه مصدر والحذر بالتسكين الاسم على انه لو لم ي
مسموعا الا الاذن بالتحريك لجاز التسكين مثل مَثَلٍ ومِثْلٍ وشَبَهٍ وشِبْهٍ ونظائر ذ
كثيرة .. ومنها أن يكون الاذن العلم ومعناه إعلام الله المكلفين بفضل الايمان وما يد

الى فعله ويكون معنى الاية وما كان لنفس ان تؤمن الا باعلام الله لها بمايبعثها على الايمان وما يدعوها الى فعله .. فاما ظن السائل دخول الارادة في محتمل اللفظ فباطل لان الاذن لايحتمل الارادة في اللغة ولو احتملها أيضاً لم يجب ماتوهمه لانه اذا قال ان الايمان لايقع إلا وأنا مريد له لم ينف أن يكون مريداً لما لم يقع وليس في صريح الكلام ولا دلالته شيء من ذلك .. وأما قوله تعالى ويجعل الرجس على الذين لايعقلون فلم يعن بذلك الناقصي العقول وانما أراد الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ماوجب عليهم علمه من معرفة الله خالقهم والاعتراف بنبوة رسله والانقياد الى طاعتهم ووصفهم تعالى بانهم لايعقلون تشبيها كما قال تعالى صم بكم عمي وكما يصف أحدنا من لم يفطن لبعض الامور أو لم يعلم ماهو مأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل .. فاما الحديث الذى أورده السائل شاهداً له فقد قيل انه عليه السلام لم يرد بالبله ذوى الغفلة والنقص والجنون وانما أراد البله عن الشر والقبيح وسماهم بلهاً عن ذلك من حيث لايستعملونه ولا يعتادونه لامن حيث فقدوا العلم به ووجه تشبيه من هذه حاله بالابله ظاهر فان الابله عن الشيء هو الذى لايعرض له ولا يقصد اليه فاذا كان المتنزه عن الشر معرضاً عنه هاجرا لفعله جاز ان يوصف بالبله للفائدة التي ذكرناها ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر

وَلَقَدْ لَهَوْتُ بِطِفْلَةٍ مَيَّالَةٍ ... بَلْهَاءَ تُطْلِعُنِي عَلَى أَسْرَارِهَا

أراد انها بلهاء عن الشر والريبة وان كانت فطنة لغيرها .. وقال أبو النجم العجلى

مِنْ كُلِّ عَجْزَاءَ سَقُوطِ البُرْقُعِ ... بَلْهَاءَ لَمْ تُحْفَظْ وَلَمْ تُضَيَّعِ

أراد بالبلهاء ماذكرناه .. فأما قوله ـ سقوط البرقع ـ فاراد انها تبرز وجهها ولا تستره ثقة بحسنه وادلالاً بجماله وقوله لم تحفظ أراد ان استقامة طرائقها تغني عن حفظها وانها لعفافها ونزاهتها غير محتاجة الى مسدّد وموقف وقوله ـ لم تضيع ـ أراد انها لم تهمل في أغذيتها وتنعيمها وترفيهها فتشقى ومثل قوله سقوط البرقع .. قول الشاعر

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلَتْ ... وُجُوهٌ زَهَاهَا الحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا

.. ومثله أيضاً

بِهَا شَرَقٌ مِنْ زَعفرَانٍ وَعَنْبَرٍ أَطَارَتْ منَ الحُسْنِ الرِّدَاءَ المُحَبَّرَا

أى رمت بهاعنها ثقة بالجمال والكمال •• ومثله وهو مليح

لَهَوْنَا بِمَنجُولِ البَرَاقعِ حِقْبَةً فَمَا بَالُ دَهْرٍ لَزَّنَا بِالوَصَاوِصِ

أراد بمنجول البراقع اللاتى يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ومنه الطعنة النجلاء والعين النجلاء ثم قال ما بال دهر أحوجنا واضطرنا الى القباح اللواتي يضيقن عيون براقعهن لقبحهن والوصاوص هي النقب الصغار للبراقع •• ومما يشهد للمعنى الاول الذى هو الوصف بالبله لابمعنى الغفلة قول ابن الدمينة

بِمَالِي وَأَهْلِي مَنْ اذَا عَرَضُوا لَهُ بِبَعْضِ الأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ

ويروى بنفسى وأهلي

وَلَمْ يَعْتَذِرْ عُذْرَ البَرِيِّ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ سَكْتَةٌ حَتَّى يُقَالَ مُرِيبُ

•• ومثله

أُحِبُّ اللَّوَاتى في صِبَاهُنَّ غِرَّةٌ وَفِيهِنَّ عَنْ أَزْوَاجِهِنَّ طِمَاحُ

مُسِرَّاتُ حُبٍّ مُظْهِرَاتُ عَدَاوَةً تَرَاهُنَّ كَالمَرْضَى وَهُنَّ صِحَاحُ

•• ومثله

يكْتَبِينَ اليَنْجُوجَ فِي كَبَدِ المَشْـ ـتي وَبُلْهٌ أَحْلَامُهُنَّ وِسَامُ

••أما قوله ــ يكتبين ــ فمأخوذ من لفظ الكبا وهو العود أراد يتبخرن به واليَنجوج هو العود وفيه ست لغات • يَجوج• وأنجوج •ويلنجوج• وألنجوج •وبلنجج • وألنجج ••فاما كبد المشتى فهو ضيقه وشدته••ومنه قوله تعالى(لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِي كَبَدٍ) وقد روى فى كبّة المشتى والمعنى متقارب لان الكبّة هي الصدمة مأخوذ من كبة الخيل وأما الوسام فهي الحسان من الوسامة وهي الحسن •• ويمكن ان يكون فى البله جواب آخر وهو ان يحمل على معني البله الذى هو الغفلة والنقصان في الحقيقة ويكون معني

الخبر ان أكثر أهل الجنة الذين كانوا بلها فى الدنيا فعندنا ان الله ينعّم الاطفال فى الجنة والمجانين والبهائم وانما لم نجعلهم بلهاً فى الجنة وان كان مايصل اليهم من النعيم على سبيل العوض أو التفضل لايفتقر الى كمال العقل لان الخبر ورد بأن الاطفال والبهائم اذا دخلوا الجنة لم يدخلوها الا وهم على أفضل الحالات وأكملها ولهذا صرفنا البله عنهم في الجنة ورددناه الي أحوال الدنيا والا فالعقل لايمنع من ذلك كمنعه إياه فى باب الثواب والعقاب

[تأويل آية أخرى] •• قال الله تعالى مخبراً عن يوم القيامة ﴿ ذٰلكَ يومٌ مجموعٌ لَهُ الناسُ وذلكَ يومٌ مَشهُودٌ وَما نُؤَخِّرُهُ الا لأجَلٍ معدُودٍ يومَ يأتي لاتكلّمُ نفسٌ إلا باذنه ﴾ ٭وقال في موضع آخر ﴿هَذَا يومُ لا يَنطِقُونَ ولا يُؤْذَنُ لهمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾٭وفى موضع آخر ﴿ وأقبل بَعضُهُمْ عَلَى بَعضٍ يَتَسَاءلون﴾ وظاهر هذه الآيات ظاهر الاختلاف لان بعضها ينبيء عن أن النطق لايقع منهم فى ذلك اليوم ولا يؤذن لهم فيه وبعضها ينبيء عن خلافه •• وقد قال قوم من المفسرين فى تأويل هذه الآيات إن يوم القيامة يوم طويل ممتد فقد يجوز ان يمنع النطق فى بعضه ويؤذن لهم فى بعض آخر وهذا الجواب يضعّف لان الاشارة الى يوم القيامة بطوله فكيف تجعل الحالات فيه مختلفة وعلى هذا التأويل يجب ان يكون قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون في بعضه والظاهر بخلاف ذلك[1] •• والجواب السديد عن هذا أن يقال انما أراد الله تعالى نفى النطق المسموع المقبول الذى ينتفعون به ويكون

---

(١) اعلم ان اليوم فى لغة العرب قد يستعمل مراداً به بياض النهار من حين طلوع الشمس الى غروبها وذلك اذا أضيف الي فعل له امتداد كقولك صمت يوماً فان الصوم وهو الامساك ممتد فيراد باليوم بياض النهار وقد يراد به مطلق الوقت أي ساعة كان من ليل أو نهار كما تقول جئتك يوم السبت وزرتك يوم قدم زيد فهاهنا المراد باليوم مطلق الوقت ولا يصح ارادة المعنى الأول وفي الآية المضاف الى اليوم النطق منفياً وهو فعل غير ممتد فيكون المراد باليوم مطلق الوقت قل أو كثر فلا تكون هذه الآية منافية لما حكى الله عنهم من قولهم ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ وقولهم ﴿ ربنا أخرجنا منها ﴾ الى غير ذلك مما أخبر الله عنهم من قولهم وهذا الجواب لا يحتاج الى تكلف تقدير لا ينطقون في بعضه حتى يكون خلاف الظاهر كما توهم المصنف

لهم في مثله عذر أو حجة ولم ينف النطق الذي ليست هذه حاله ويجرى هـذا مجرى قولهم خرس فلان عن حجته وحضرنا فلانا يناظر فلانا فلم يقل شيئاً وان كان الذى وصف بالخرس عن الحجة والذي نفى عنه القول قد تكلم بكلام كثير غزير الا انه من حيث لم يكن فيـه حجة ولا به منفعة جاز إطلاق القول الذى حكيناه عليـه ومثل هذا قول الشاعر

أَعْمَى إِذَا ما جَارَتِى خَرَجتْ ... حتَّى يُوَارِى جَارَتِى الخِدْرُ
وَيَصَمُّ عَمَّـا كَانَ بَينَهُـمَا ... سَمْعِي وَما بِي غَـيْرُهُ وَقْـرُ

•• وقال الآخر

لَقدْ طَالَ كِتْمَانِيكَ حَتَّى كَأَنَّني ... بِرَدِّ جَوَابِ السَّائِلِي عَنْكَ أَعْجَمُ

وعلى هذا التأويل قد زال الاختلاف لان التساؤل والتلاوم لاحجة فيه •• وأما قوله تعالى ولا يُؤْذَنُ لهم فيعتذرُونَ فقد قيل [1] انهم غير مأمورين بالاعتذار فكيف يعتذرون ويجاب بحمل الاذن على الامر وانما لم يؤمروا به من حيث كانت تلك الحال لاتكليف فيها والعباد ملجؤن عند مشاهدة أحوالهم الى الاعتراف والاقرار •• وأحسن من هذا التأويل ان يحمل يؤذن على معنى انه لايستمع لهم ولا يقبل عذرهم والعـلة فى امتناع قبول عذرهم هي التي ذكرناها

[تأويل خبر] •• روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لاتسبوا الدهر فان الدهر هو

(١) هذا الاستشكال ساقط لا محل له ومنشأ توهم المتوهم انه ظن لرفع يعتذرون المقرون بالفاء مع كونه بعد النفى انه منقطع عما قبله وان المعنى وهم يعتذرون ولم يؤذن لهم بالاعتذار وليس كما توهم وانما هو مرتبط بما قبله والمعنى ولا يؤذن لهم بالاعتذار مما كان منهم حتى يعتذروا وهو عطف على يؤذن وانما رفع لأنه رأس آية فرق بينه وبين ماقبله من رؤس الآى والرفع والنصب جائزان فى مثل هـذا كما فى قوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له) قرئ بالرفع والنصب جميعاً

الله .. وقد ذكر قوم في تأويل هذا الخبر ان المراد به لاتسبوا الدهر فانه لافعل له وان الله مصرّفه ومدبره فحذف من الكلام ذكر المصرّف والمدبر وقال هو الدهر .. وفى هذا الخبر وجه آخر هو أحسن من ذلك الذى ذكرناه وهو ان الملحدين ومن نفى الصانع من العرب كانوا ينسبون ماينزل بهم من أفعال الله كالمرض والعافية والجدب والخصب والبقاء والفناء الى الدهر جهلا منهم بالصانع جلّت عظمته ويذمون الدهر ويسبونه فى كثير من الاحوال من حيث اعتقدوا أنه الفاعل بهم هذه الأفعال فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لاتسبوا من فعل بكم هذه الافعال ممن تعتقدون أنه الدهر فان الله تعالى هو الفاعل لها .. وانما قال ان الله هو الدهر من حيث نسبوا الى الدهر أفعال الله وقد حكي الله سبحانه عنهم قولهم ماهي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر .. وقال لبيد

فِي قُرُومٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ... نَظَرَ الدَّهْرُ اليهِمْ فَابْتَهَلْ

أى دعا عليهم .. وقال عمرو بن قميئة

كَأَنى وَقَدْ جَاوَزْتُ تسعينَ حجَّةً ... خَلَعْتُ بها عنّي عِذَارَ لجَامي

عَلى الرَّاحتَينِ مرَّةً وَعلى العَصَا ... أَنُوءُ ثلاثًا بعدَهُنَّ قيَامى

رَمتْني بنَاتُ الدَّهرِ من حيثُ لا أَرَى ... فَكَيفَ بمَنْ يُرْمى وَلَيسَ برَامى

فَلوْ أَنَّها نبلٌ إِذا لاتقيْتُها ... وَلَكنَّني أُرْمى بغَيْرِ سِهَامِ

إِذا ما رَآني النَّاسُ قالوا أَلم تَكُنْ ... جليدًا حَديدَ الطَّرْفِ غيرَ كَهَامِ

وَأَفْنىَ وَما أُفني منَ الدَّهرِ لَيلَةً ... وَلَمْ يُغْنِ مَا أَفْنَيتُ سِلكَ نِظَامِ

وَيُهلِكُني تأْميلُ يوْمٍ وَلَيلَةٍ ... وَتأْميلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامِ

.. وقال الأصمعي ذم أعرابى رجلا فقال هو أكثر ذنوبا من الدهر وأنشد الفراء

حَنَتْني حَانِيَاتُ الدَّهرِ حتّي ... كأَنّي خَاتِلٌ أَدْنو لِصَيدِ

قَصِيرُ الخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رَآنِي ... وَلَسْتُ مُقَيَّدًا أَنِّي بِقَيْدِ

•• وقال كثير

وَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيحَةٍ ... وَرِجْلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتِ

•• وقال آخر

فَاسْتَأْثَرَ الدَّهْرُ الغَدَاةَ بِهِمْ ... وَالدَّهْرُ يَرْمِينِي وَمَا أَرْمِي

يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجْعَتَنَا ... بِسَرَاتِنَا وَوَقَرْتَ فِي العَظْمِ

قوله — وقرت فى العظم — أراد به اتخذت فيه وقراً أو وقيرة والوقر هى الحفيرة العظيمة تكون فى الصفا يستنقع فيها ماء المطر والوقب أيضاً كذلك والوقيرة أيضاً الحفيرة إلا أنهادون الاوليين فى الكبر وكل هؤلاء الذين روينا أشعارهم نسبوا أفعال الله التى لايشاركه فيها غيره الى الدهر لحسن وجه التأويل الذي ذكرناه

[مسئلة] •• إعلم ان المنافع التى عرض الله تعالي الاحياء لها ثلاث منفعة تفضل ومنفعة عوض ومنفعة ثواب •• فاما المنفعة على سبيل التفضل فهي الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق ولفاعلها أن يفعلها وله أن لايفعلها •• وأما منفعة العوض فهي المنفعة المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها •• وأما منفعة الثواب فهي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل •• فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل المصاحبين له فكأن التفضل أصل لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخر ماعداه لانه لاسبيل للمنتفع أن ينتفع بشيء دون أن يكون حيًّا له شهوة والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضل فقد صح أنه لاسبيل الي النفع بمنفعة العوض والثواب إلا بعد تقدم التفضل •• فاما المنفعة بالثواب فهي الاصل للمنفعة بالعوض لان الآلام وما جرى مجرى الآلام مما يُستحق به العوض متى لم يكن فيها اعتبار يفضى الي الثواب ويستحق به لم يحسن فعلها وجرى عندنا مجرى العبث ولهذا نقول ان الله تبارك وتعالى لو لم يكلف أحداً من المكلفين ماكان يحسن منه أن يبتدىء بالآلام وان عوض عليها والاحياء على ضروب فمنهم من عرض للمنافع الثلاث •• ومنهم

من عرض لاثنتين ومنهم من عرّض لواحدة والمكلف المعرض للثواب لابد أن يكون منفوعا بالتفضل من الوجه الذى قلناه لانه اذا خلق حيًّا وجعل له القدرة والشـهوة والعقل وضروب التمكين فقد نفع بالتفضل وليس يجب فيمن هذه حاله أن يكون منفوعا بالعوض لانه لايمتنع أن يخلو المكلف منا من ألم يبتدؤه الله به فلا يكون معرّضاً للعوض فنى عرّض له فقد تكاملت فيـه المنافع فصار المكلف مقطوعا على تعريضـه لاثنتين من المنافع ومجوزاً تكامل الثلاث له ٠٠ فاما من ليس بمكلف فمقطوع فى تعريضه على إحدى المنافع وهى التفضل من حيث خلق حياً ومكن من كثير من المنافع ومشكوك فى تعريضه للعوض من الوجه الذى بينا وكما قطعنا على أحـد المنافع فيه فنحن قاطعون أيضاً على نفى التعريض للثواب عنه لفقد مايوصل اليه وهو التكليف ولا بد فى كل حيّ محدث أن يكون معرّضاً لاحدى هـذه المنافع أو لجميعها وإنما أوجبنا ذلك من جهة حكمة القديم تعالي لامن جهـة أنه يستحيل فى نفسه وانما قلنا ليس بمستحيل لان كونه حياً وعاقلا وذا شهوة وقدرة ليس منفعة بنفسه وانما يكون منفعة ونعمة اذا فعل تعريضاً للنفع فاما اذا فعـل تعريضاً للضرر أو لوجـه من الوجوه فانه لايكون منفعة ولا نعمة وأوجبناه من جهة حكمة القديم لانه اذا جعل الحيّ بهذه الصفات فلا يخلو من أن يكون أراد بها نفعه أوضره أو لم يرد بها شيئاً فان كان الاول فهو الذي أوجبناه وان كان الثانى أو الثالث فالقديم تعالى منزه عنهما لان الثانى يجري مجرى الظلم والثالث هو العبث بعينه وقد يشارك القديم تعالى فى النفع بالتفضـل والعوض الفاعلون المحدثون ولا يصح ان يشاركوه فى النفع بالثواب لان الصـفة التى يستحق المكلف لكونه عليها الثواب وهي كون الفعل شاقا عليه لايكون إلا من قبـله تعالي وليس لاحد أن يظن فيمن يهدي الى الدين والرشاد الى الايمان وما يستحق به الثواب انه معرّض للثواب وذلك أن المكلف قد يكون معرّضاً للثواب ويصح أن يستحقه من دون كل هداية وإرشاد يقع منا ولولا الصفة التى جعله الله عليها لم يصح ان يستحقه فبان الفصل بين الامرين على ان أحدنا وإن نفع غيره بالتفضل وبالتعريض للعوض فهذه المنافع منسوبة الى الله تعالى ومضافة اليه من قبل انه لولا نعمه ومنافعه لم تكن هذه منافع ولا نعماً ألا ترى

أنه لو لم يخلق الحياة والشهوة لم يكن مايوصل اليهما مما ذكرنا منفعة ولا نعمة ولو لم يخلق المشتهى الملذوذ لم يكن سبيل لنا الى النفع والانعام فبان بهذه الجملة ماقصدناه

مجلس آخر ٥

[إن سأل سائل] •• فقال ماتأويل قوله تعالى مخبراً عن مهلك قوم فرعون وتوريثهم نعمهم (كذلكَ وأورَثناها قوماً آخرينَ فما بكتْ عليهمُ السماءُ والأرضُ وماكانوا مُنظَرينَ) وكيف يجوز أن ينفي البكاء عنهما وهو لا يجوز فى الحقيقة عليهما •• والجواب يقال له فى هذه الآية وجوه أربعة من التأويل •• أوّلها انه تعالى أراد أهل السماء والأرض فحذف كما حذف فى قوله واسئل القرية وفى قوله حتى تضع الحرب أوزارها أراد أهل القرية وأصحاب الحرب ويجرى ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم يريد السخاء سخاء حاتم •• وقال الحطيئة

وَشرُّ المنَايا ميّتٌ وَسطَ أهلِهِ ... كهُلكِ الفتَى قدْ أسلَمَ الحيَّ حاضِرُهْ

أراد شر المنايا منية ميت •• وقال الآخر

قليلٌ عيبُهُ وَالعيبُ جَمٌّ ... ولكنَّ الغنى رَبٌّ غفورُ

أراد غنى رب غفور •• وقال ذو الرمة

هُمُ مجلسٌ صُهبُ السِّبالِ أذِلّةٌ ... سوَاسيةٌ أحرَارُهَا وَعبيدُهَا

أراد أهل [illegible] صهب السبال – فانما أراد به الاعداء والعربُ تصف الاعداء [illegible] الأسبلة •• [illegible] – سواسية – يريد انهم مستوون مشتب[illegible] أراد تأكيد المبالغة فى وصف القوم [illegible] أخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت ك[illegible] النهار والسماء والارض يريدون بذلك المبالغة في عظم الامر وشمول ضرره •• قال جرير يرثى عمر بن عبد العزيز

الشَّمْسُ طَالعَةٌ لَيْستْ بكَاسفةٍ تبْكي عليكَ نُجُومَ اللَّيلِ وَالقمَرَا

•• وقال يزيد بن مفرّغ الحميري

الرّيحُ تَبْكي شجْوَهَا وَالبَرْقُ يَلْمعُ في الغَمَامَهْ

•• وهذا صنيعهم في وصف كل امرئ جلّ خطبه وعظم موقعه فيصفون النهار بالظلام وان الكواكب طلعت نهاراً لفقد الشمس وضوئها •• قال النابغة

تَبْدُو كَوَاكبُهُ وَالشَّمْسُ طَالعَةٌ لاَ النُّورُ نُورٌ وَلاَ الإظْلاَمُ إظْلاَمُ

•• وقال طرفة

ان تُنَوّلهُ فقَدْ تَمْنَعهُ وَتُرِيهِ النجمَ يجْرِى بالظُّهُرْ

•• ومن هذا قولهم لأرينك الكواكب بالنهار ومعناه أوردعليك مايظلم له في عينك النهار فتظنه ليلا ذاكواكب •• وأما بيت جرير فقد قيل في انتصاب القمر والنجوم وجوه ثلاثة •• أحدها انه أراد الشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لأن عظم الرزء قد سلبها ضوءها فلم يناف طلوعها ظهور الكواكب •• والوجه الثاني أن يكون انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم لا أكلمك الأبد والدهر وطوال المدى وماجري مجرى ذلك فكأنه أخبر بان الشمس تبكيه ماطلعت النجوم وظهر القمر •• والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم الليل باكين الشمس على هذا المرثى فبكتهن أي غلبتهن بالبكاء كما يقال باكاني عبد الله فبكيته وكاثرني فكثرته أي غلبته وفضلت عليه •• وثانيها أن يكون معنى الآية الاخبار عن انه لا أحد أخذ بثارهم ولا انتصر لهم لأن العرب كانت لا تبكي على قتيل الا بعد الأخذ بثاره وقتل من كان بواء به من عشيرة القاتل فكني تعالي بهذا اللفظ عن فقد الانتصار والأخذ بالثار على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن •• ورابعها أن يكون ذلك كناية عن أنه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها الى السماء ويطابق هذا التأويل ماروي عن ابن عباس في قوله تعالى ما بكت عليهم السماء والارض قيل له أو يبكيان على أحد قال نعم مصلاه في الأرض ومصعد عمله في السماء •• وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مامن مؤمن الا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا

مات بكيا عليه ومعنى البكاء ههنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده ‎.. قال ابن مقبل

لعمرُ أبيكَ لقدْ شاقني ‏ مكانٌ حزِنتُ لهُ أوْ حزِنْ

‎..وقال مزاحم العقيلي

بكتْ دارُهُمْ منْ أجلهمْ فتهلّتْ ‏ دُمُوعي فايَّ الجازِعينَ ألُومُ

أمُستَعبِرًا يبْكى منَ الهوْنِ والبلاَ ‏ وَآخرَ يبكي شجْوَهُ ويَتيمُ

فاذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين أخبر الله عن بوارهم مقامٌ صالح فى الأرض ولا عمل كريم يرفع الي السماء جاز أن يقال فما بكت عليهم السماء والارض.. ويمكن في الآية وجه خامس وهو أن يكون البكا فيها كناية عن المطر والسقيا لان العرب تشبه المطر بالبكاء ويكون معنى الآية أن السماء لم تسق قبورهم ولم تَجُدْ عليهم بالقطر على مذهب العرب المشهور فى ذلك لأنهم كانوا يستسقون السحاب لقبور من فقدوه من أعزائهم ويستنبتون لمواضع حفرهم الزهر والرياض ..قال النابغة

فمَا زَالَ قبرٌ بينَ تبْنى وجَاسمٍ ‏ عليهِ منَ الوَسمى طَلٌّ وَوَابِلُ [1]

فيُنْبِتَ حوْذَانًا وَعَوفًا منوّرًا ‏ سأُتبِعُهُ منْ خيْرِ مَا قالَ قائلُ

وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومسئلة الله لهم الرضوان والفعل الذى أضيف الي السماء وان كان لا يجوز اضافته الي الارض فقد يصح عطف الارض على السماء بان

---

(١) ــ تبنى ــ بضم أوله وسكون ثانيه مقصور بلدة بحوران من أعمال دمشق وقال ابن حبيب تبنى قرية من أرض الثنية لغسان قال ذلك في تفسير قول كثير

أكاريسَ حلّت منهم مرجَ راهط ‏ فأكناف تبنى مرجها فتلالها

كأن القيان الغر وسط بيوتهم ‏ نعاجٌ بجوٌّ من رُماح حلالها

ــ وجاسم ــ موضع آخر بالشام دفن بين هذين الموضعين أحد آل جفنة فرثاه النابغة ــ وطل ــ يروى بدله جود ــ والوسمي ــ مطر الربيع الاول ويقال للمطر الثاني الولى لأنه يلى

يقدر لها فعل يصح نسبته اليها والعرب تفعل مثل هذا ٠٠ قال الشاعر

يَالَيْتَ زَوْجَكِ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا

فعطف الرمح على السيف وان كان التقلد لا يجوز فيه لكنه أراد حاملا رمحاً ومثل هذا يقدر في الآية فيقال انه تعالى أراد أن السماء لم تبك قبورهم وان الأرض لم تعشب عليها وكل هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله ورضوانه

[تأويل خبر]٠٠ روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحب الأعمال الى الله عز وجل أدومها وان قل فعليكم من الاعمال بما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وفي وصفه تعالى بالملل وجوه أربعة ٭أولها انه أراد نفي الملل عنه وانه لا يمل أبداً فعلقه بما لا يقع على سبيل التبعيد كما قال تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) ٠٠ وقال الشاعر

فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْكُمُ أَوْ تُنَاهِي اذَا مَاشِبْتَ أَوْ شَابَ الغُرَابُ

أراد انك لا تحكم أبداً ٠٠ فان قيل ومن أين قلتم انما علقه به لا يقع حتى حكمتم بأنه أراد نفي الملل على سبيل التأبيد ٠٠ قلنا معلوم ان الملل لا يشتمل البشر في جميع آرائهم وأوطارهم وانهم لا يعرون من حرص ورغبة وأمل وطمع فلهذا جاز أن يعلق ماعلم تعالى أنه لا يكون بمللهم ٠٠ والوجه الثاني ان يكون المعنى انه لا يغضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له وتعرضوا عن سؤاله والرغبة في حاجاتكم الى جوده فسمى الفعلين مللا وان لم يكونا في الحقيقة كذلك على مذهب العرب في تسمية الشيء باسم غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه ٠٠ قال عدي بن زيد العبادي

ثُمَّ أَضْحَوْا لَعِبَ الدَّهْرُ بِهِمْ وَكَذَاكَ الدَّهْرُ يُوْدِي بِالرِّجَالِ

٠٠ وقال عبيد بن الأبرص الأسدي

سَائِلْ بِنَا حُجْرَ ابْنَ أُمِّ قَطَامِ اذْ ظَلَّتْ بِهِ السُّمْرُ الذَّوَابِلُ تَلْعَبُ[1]

---

(١) ـ حجر بن أم قطام ـ هو حجر بن عمرو الكندي أبو امرىء القيس الشاعر وكان حجر هذا ملك على بني أسد فكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً فامتنعوا منه فسار

فنسب اللعب الى الدهر والقنا تشبيهاً •• وقال ذو الرمة

وَأَبيضُ مَوْشيُّ القَميصِ نَصبتُهُ ... على خصْرِ مِقلاَةٍ سَفيهٍ جدِيلُها

فسمى اضطراب زمامها وشدة تحركه سفهاً لأن السفه فى الاصل هو الطيش وسرعة الاضطراب والحركة وانما وصف ناقته بالذكاء والنشاط •• وأما قوله ــ وأبيض موشي القميص ــ فانما عنى سيفه وقميصه جفنه والمقلاة الناقة التي لا يعيش لها ولد * والوجه الثالث أن يكون المعنى انه تعالى لا يقطع عنكم فضله واحسانه حتى تملوا من سؤاله ففعلهم ملال على الحقيقة وسمى فعله ملالا وليس بملال على الحقيقة للازدواج ومشاكلة اللفظتين في الصورة وان اختلفتا في المعنى ومثل هذا قوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم •• وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها) •• ومثله قول الشاعر وهو عمرو بن كلثوم التغلبي

أَلاَ لاَيَجْهلنْ أَحدٌ علَيْنَا ... فَنَجْهلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهلينَا

وانما أراد المجازاة على الجهل لان العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به •• والوجه الرابع أن يكون الراوي وهِمَ وغلط من الفتح الى الضم وان يكون قوله يُمل بالضم لا بالفتح وعلى هذا يكون له معنيان أحدهما انه لا يعاقبكم بالنار حتى تملوا من عبادته وتعرضوا

اليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصى فسموا عبيد العصى وأسر منهم جماعة فيهم عَبيد بن الأبرص الأسدي فقام بين يدى الملك •• فقال

يا عين فابكي ما بني ... أسد هم أهل الندامه
أهل القباب الحمر والـ ... ـنعم المؤبل والمدامه
في كل واد بين يثـ ... ـرب والقصور الى اليمامه
تطريب عان أو صيا ... ح محرق وزقاء هامه
أنت المليك عليهم ... وهم العبيد الى القيامه

فرحمهم الملك وعفا عنهم وسرحهم الى بلادهم ثم انهم أغاروا عليه فى غرة منه فقتلوه واستولوا على أمواله فقال عبيد عدة قصائد يفتخر بذلك

عن طاعته لان الملة هي مشتوي الخبز يقال ملّ الرجل الخبزة وغيرها يملها اذا اشتواها في الملة وقيل ان الجمر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماد٠والمعنى الثاني أن يكون أراد انه لا يسرع الي عقابكم بل يحلم عنكم رفقاً وحتى تملوا حلمه وتستعجلوا عذابه بركوبكم المحارم وتتابعكم في المآثم ٠٠ وروي انه قيل للفرزدق هل حسدت أحداً على شئ من الشعر فقال لا لم أحسد على شئ منه إلا ليلى الأخيلية في قولها

وَمُخَرَّقٍ عنهُ القَميصُ تخالُهُ ... بَينَ البيُوتِ منَ الحياء سَقيماَ

حتّي اذَا رُفعَ اللّويُ رَأَيتَهُ ... تحتَ اللّويّ على الخميسِ زَعيماً (١)

لاَتقرَبنَّ الدّهرَ آلَ مُطرّفٍ ... لاَ ظَالِماً أبدًا وَلاَ مَظلوماَ

٠٠ قال على أني قد قلت

وَرَكبٍ كأنّ الرّيحَ تَطلبُ عندَهم ... لهَا تِرَةً من جَذبِها بالعصَائبِ

سَرَوْا يَخبطُونَ اللّيلَ وَهيَ تَلفّهمْ ... إلي شُعَبِ الاكوَارِ من كلّ جَانبِ

اذَا أبصَرُوا نارًا يَقُولُون لَيتَها ... وَقدْ خصرَتْ أيدِيهمْ نارَ غَالبِ (٢)

وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات ليلى بل هي أجزل ألفاظاً وأشد أسراً الا أن أبيات ليلى أطبع وأنصع ٠٠ وقد كان الفرزدق مشهوراً بالحسد على الشعر والاستكثار لقليله والافراط في استحسان مستحسنه٠٠ورويان الكميت بن زيد الاسدى رحمه الله لما عرض على الفرزدق أبياتاً من قصيدته التي أولها

---

(١) ــ اللوى ــ اللواء سمي بذلك لأنه يلوى به يقال ألوى الرجل بثوبه اذا أشاح به ــ والخميس ــ الجيش لأن له خمسة أركان مقدمة ومؤخرة وقلب وجناحان ــ والزعيم ــ الكفيل بالأمر القائم به

(٢) ــ خصرت ــ أصابها الخصر وهو شدة البرد ــ وغالب ــ أبو الفرزدق٠٠يقول انهم يتمنون اذا أبصروا ناراً أن تكون نار غالب لانهم يرون عندها من القرى مالا يرون عند نار أخرى

أتَصرِمُ الحَبلَ حبلَ البَينِ لَم أم تَصلُ ... فكيفَ وَالشيبُ في فَودَيكَ مُشتَمِلُ

والأبيات

لمَّا عبَاتَ لقَوسِ المَجدِ أسهُمَهَا ... حيثُ الجدُودُ على الأحساب تتَّصلُ

أحرَزتَ من عشرِهَا تسعًا وَواحِدَةً ... فلاَ العمى لكَ من رَامٍ وَلاَ الشَّللُ

الشَّمسُ إيَّاكَ إلاَّ أنَّها امرَأةٌ ... وَالبَدرُ إيَّاكِ إلاَّ أنَّهُ رَجُلُ

حسده الفرزدق فقال له أنت خطيب وانما سلّم له الخطابة ليخرجه عن أسلوب الشعر ولما بهره من حسن الابيات وأفرط بها اعجابه ولم يتمكن من دفع فضلها جملة عدل في وصفها الي معنى الخطابة ٠٠ وحسد الفرزدق على الشعر واعجابه به من أدل دليل على حسن نقده وقوة بصيرته فيه وان كان يطرب للجيد منه فضل طرب ويعجب منه فضل عجب ويدل أيضاً على انصافه فيه وأنه مستقل للكثير الصادر من جهته فان كثيراً من الناس قد يبلغ بهم الهوى والاعجاب والاستحسان لما يظهر منهم من شعر وفضل الى أن يعموا عن محاسن غيرهم ويستقلوا منهم الكثير ويستصغروا الكبير ٠٠ ولابيات الفرزدق التي ذكرناها خبر مشهور متداول ٠٠ أخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ومعه نصيب الشاعر فقال سليمان للفرزدق أنشدني فأنشده الابيات التي تقدم ذكرها فاسودّ وجه سليمان وغاظه فعله وكان يظن أنه ينشده مديحاً له فلما رأى نصيب ذلك قال ألا أنشدك فانشده

أَقولُ لرَكبٍ قَافلينَ لَقيتُهُم ... قَفا ذَاتِ أَوشَالٍ وَمَولاَكَ قَارِبُ

قفُوا خبِّرُوني عن سُليمَانَ إنَّني ... لمعرُوفهِ من أهلِ وَدَّانَ طَالبُ

فَعاجُوا فأَثنَوا بالَّذِي أنتَ أهلُهُ ... وَلَو سكَتُوا أثنَت عليكَ الحقائبُ

فقال له سليمان أنت أشعر أهل جلدتك ٠٠ وفي بعض الاخبار ان الفرزدق قال ذلك في نصيب لما سأله عنه سليمان ٠٠ وروي أيضاً أنه لما أنشد نصيب أبياته قال له سليمان

أحسلت ووصله ولم يصل الفرزدق فخرج الفرزدق وهو يقول

وَخيرُ الشّعْرِ أكرَمُهُ رِجَالاً   وَشَرُّ الشّعْرِ ماقَالَ العَبيدُ

ولا شبهة في ان أبيات الفرزدق مقدمة فى الجزالة والرصانة على أبيات نُصَيب وان كان نصيب قد أغرب وأبدع فى قوله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب * الا ان أبيات نصيب وقعت موقعها ووردت في حال تليق بها وأبيات الفرزدق جاءت فى غير وقتها على غير وجهها فلهذا قدمت أبيات نصيب والفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الذروة العلياء والغاية القصوى شريف الآباء كريم البيت له ولآبائه مآثر لاتدفع ولا تجحد والفرزدق لقبٌ لقب به وليس باسمه وانما لقب به لجهامة وجهه وغلظه لأن الفرزدقة هي القطعة الضخمة من العجين وقيل انها الخبزة الغليظة التى تتخذ منها النساء الفتوت .. واسمه همام بن غالب وكنيته أبو فراس وقيل إنه كان يكنى فى شبابه بأبي مكية [١] وهي أغرب كناه .. وكان شيعيا مائلا الي بني هاشم ونزع فى آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق وراجع طريقة الدين على انه لم يكن فى خلال فسقه منسلخاً من الدين جملة ولا مهملا أمره أصلا .. ومما يشهد بذلك ما أخبرنا به على بن محمد الكاتب عن أبى بكر محمد بن يحيي الصولى عن أبى حفص الغلاّس عن عبد الله ابن سوّار عن معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال دخلت على الفرزدق فجعلت أحادثه فسمعت صوت حديد يتقعقع فتأملت الامر فاذا هو مقيد الرجلين فسألت عن السبب

---

(١) كنى بذلك ببنت له اسمها مكية وكانت كأبيها حاضرة الجواب خبيثة اللسان فيقال ان رجلا قرع باب الفرزدق يسأل عنه وكان مقطوع اليد فخرجت اليه مكية فسألها عن أبيها فقالت انه خرج في بعض حاجه ثم قالت مالي أرى يدك مقطوعة فقال قطعها الحرورية فقالت بل قطعت فى اللصوصية فانصرف الرجل خجلا ثم جاء الفرزدق فأخبر بذلك فقال أشهد انها بنتي حقاً ثم أنشأ يقول

حام اذا ماكنت ذا حميه   بدارمي بنه صبيه   صمحمح يكنى أبامكيه

وكانت مكية هذه من زنجية

فى ذلك فقال انى آليتُ على نفسى انى لا أنزع القيد من رجلى حتى أحفظ القرآن ‥ وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال أخبرنا أبو ذر القراطيسى قال أخبرنا ابن أبي الدنيا قال أخبرنا الرّياشى عن الأصمعي عن سلام بن مسكين قال قيل للفرزدق علام تقذف المحصنات فقال والله اللهُ أحب الىّ من عينىّ هاتين أفتراه يعذبني بعدها ‥ وروى انه تعلق باستار الكعبة فعاهد الله على ترك الهجاء والقذف اللذين كان ارتكبهما ‥ وقال

ألَمْ تَرَنى عاهدتُ رَبي وإنَّني لبينَ رِتَاجٍ قَائماً وَمقام
على حلفةٍ لاأَشتمُ الدَّهرَ مُسلماً وَلاَخارجاًمنْ فيّ زُورُ كَلامِ
أطعتُكَ ياإبليسُ تسعينَ حَجةً فلمَّا قَضى عمْرى وَتمَّ تمامى
فزِعتُ إلي رَبي وأيقنتُ أنَّني مُلاَقٍ لأيَّامِ الحُتوفِ حمامي

‥ وروى الصولي عن الحسين بن الفيّاض عن إدريس بن عمران قال جاءني الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله وسعتها فكان أوثقنا بالله فقال له رجل ألك هذا الرّجاء والمذهب وأنت تقذف المحصنات وتفعل ماتفعل فقال أرونى لو أذنبت ذنباً الى أبويّ أكانا يقذفاني فى تنور وتطيب أنفسهما بذلك فقلنا لا بل كانا يرحمانك قال فأنا والله برحمة ربى أوثق منى برحمتهما ‥ وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن ابراهيم قال حدثنا عبد الله بن أبي سعيد الورّاق قال حدثنى محمد بن محمد بن سليمان الطفاوى قال حدثنى أبى عن جدى قال شهدت الحسن البصرى فى جنازة النوار امرأة الفرزدق وكان الفرزدق حاضراً فقال له الحسن وهو عند القبر ياأبا فراس ماأعددت لهذا المضجع قال شهادة أن لاإله الا الله منذ ثمانين سنة فقال له الحسن هذا العمود فاين الطنب ‥ وفي رواية أخرى أنه قال نعم ماأعددت ثم قال الفرزدق فى الحال

أخَافُ وَرَاءَ القبرِ إنْ لمْ يُعافني أشدَّ منَ الموْتِ التهاباً وَأضيقا
إذَا جاءَني يوْمَ القيامةِ قائدٌ عنيفٌ وَسوَّاقٌ يسُوقُ الفرزْدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلي النار مغلول القلادة أزرقا
يقاد إلي نار الجحيم مسربلاً ... سرابيل قطران لباساً محرقا

.. قال فرأيت الحسن يدخل بعضه فى بعض ثم قال حسبك .. ويقال ان رجلا رأى الفرزدق بعد موته فى منامه فقال مافعل الله بك فقال عفا عني بتلك الابيات .. وأما مايدل علي تشيعه وميله الى بنى هاشم فما أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عمرو ابن داود العماني قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابى قال حدثنا مهدى بن سابق قال حدثنا أبولبيد قال جاء الكميت الى الفرزدق فقال ياعم انى قد قلت قصيدة أريد أعرضها عليك فقال له قل .. فانشده

* طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ *

فقال له الفرزدق فالي من طربت ثكلتك أمك فقال

* ولاَ لعباً مني وذو الشيب يلعبُ *

ولم تلهني دارٌ ولاَ رسمُ منزلٍ ... ولم يتطربني بنانٌ مخضبُ

فقال له إلام طربت فقال

ولاَ أنا ممن يزجرُ الطيرَ همهُ ... أصاحَ غرابٌ أمْ تعرضَ ثعلبُ

[قال المرتضى رضى الله عنه] .. تقف علي الطير ثم تبتدئ بهمه ليعلم الغرض

ولاَ السانحاتِ البارحاتِ عشيةً ... أمرَّ سليمُ القرنِ أم مرَّ أعضبُ (١)
ولكن إلي أهلِ الفضائلِ والنهى ... وخيرِ بني حواء والخيرُ يطلبُ

.. قال الفرزدق هؤلاء بنو دارم .. فقال الكميت

---

(١) ـ السانحات ـ جمع سانحة ـ والبارحات ـ جمع بارحة والسانح من الطير ما مر من مياسرك الى ميامنك والبارح بعكسه والعرب كانوا يتيمنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح .. ومن أمثالهم من لى بالسانح بعد البارح أى بالمبارك بعد المشؤم

إلى النَّفَرِ البيضِ الذَّينَ بحُبّهمْ ... الى اللهِ فِيما نابَني أتقَرَّبُ

فقال الفرزدق هؤلاء بنو هاشم فقال الكميت

بَني هاشمٍ رَهطِ النَّبيِّ فانّني ... بِهِمْ وَلَهُمْ أرْضى مِرَاراً وأغْضَبُ

فقال له الفرزدق والله لوجزتهم الي سواهم لذهب قولك باطلا ٠٠ومما يشهد أيضاً بذلك ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني ٠٠ قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا جدى يحيي ابن الحسن العلويّ قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال حدثني غير واحد من أهل الادب أن علي بن الحسين عليه السلام حج فاستجهر الناس جماله وتشوّفوا له وجعلوا يقولون من هذا فقال الفرزدق

هَذَا ابْنُ خيرِ عبادِ اللهِ كلّهم ... هذَا التقيُّ النقيُّ الطّاهرُ العلَمُ

هَذَا الذّى تَعرِفُ البطْحاءُ وَطأَتَهُ ... وَالبيتُ يَعرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

اذَا رأتهُ قُرَيشٌ قالَ قائلُها ... الي مكَارمِ هذَا يَنتَهِي الكَرَمُ

يَكادُ يُمْسِكُهُ عِرفانَ رَاحتِهِ ... ركنُ الحَطِيمِ اذَا ماجاءَ يَستلمُ

يُغْضِى حياءً وَيُغضَى منْ مَهابتِهِ ... فَما يُكلّمُ إلاَّ حينَ يَبتَسِمُ

أيُّ القبَائلُ لَيستْ في رقَابهمُ ... لأوَّليَّةِ هـذَا أوْلَهُ نعَمُ

منْ يَشكُرِ اللهَ يَشكُرْ أوَّليّةَ ذَا ... فَالدِّينُ منْ بَيتِ هذَا نالَهُ الأُمَمُ

٠٠ وفى رواية الغلابى أن هشام بن عبد الملك حج فى خلافة عبد الملك أو الوليد وهو حدث السن فاراد أن يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه فجلس ينظر خلوةً فاقبل علي بن الحسين عليه السلام وعليه إزار ورداء وهو من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً بين عينيه سجادة كأنها ركبة عنز فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحّى الناس له عنه حتى يستلمه هيبة له واجلالا فغاظ ذلك هشاما فقال له رجل من أهل الشام من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لاأعرفه لئلا يرغب فيه أهل

الشام فقال الفرزدق وكان هناك حاضراً لكني أعرفه وذكر الأبيات وهي أكثر مما رويناه لكننا تركناها لانها معروفة .. قال فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فبعث الى الفرزدق باثني عشر ألف درهم وقال اعذرنا ياأبا فراس فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر منها لوصلناك به فردها الفرزدق وقال يا ابن رسول الله ماقلت الذى قلت الا غضباً لله ولرسوله وما كنت لارزأ عليه شيئاً وردها اليه فردها عليه وأقسم عليه في قبولها وقال له قد رأى الله مكانك وعلم نيتك وشكر لك ونحن أهل بيت اذا أنفذنا شيئاً لم نرجع فيه فقبلها وجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو في الحبس .. ومما هجاه به

أَتَحْبِسُنِي بَيْنَ المَدِينَةِ وَالَّتِي ... اليهَا رِقَابُ النَّاسِ يَهْوِي مُنِيبُهَا
يُقَلِّبُ رَأْساً لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ ... وَعَيْناً لَهُ حَوْلَاءَ بَادٍ عُيُوبُهَا

مجلس آخر ٦

[ان سأل سائل] .. فقال ماعندكم في تأويل قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ وظاهر هذه الآية يقتضي أنه تعالى ماشاء أن يكونوا أمة واحدة وأن يجتمعوا على الايمان والهدى وهذا بخلاف ماتذهبون اليه .. ثم قال ولذلك خلقهم فلا يخلو من أن يكون عنى إنه للاختلاف خلقهم أو للرحمة ولا يجوز ان يعنى الرحمة لأن الكناية عن الرحمة لاتكون بلفظة ذلك ولو أرادها لقال ولتلك خلقهم فلما قال ولذلك خلقهم كان رجوعه الى الاختلاف أولى وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكوراً فيها لان الرحمة أيضاً غير مذكورة فيها واذا جعلتم قوله تعالى الا من رحم دالا على الرحمة فكذلك قوله مختلفين دالا على الاختلاف على أن الرحمة هي رقة القلب والشفقة وذلك لايجوز على الله تعالى ومتى ماتعديتم بها ماذكرناه لم يعن بها الا العفو وإسقاط الضرر وماجرى

مجراها عن مستحقه وهذا مما لايجوز أن يكونوا مخلوقين له على مذهبكم لأنه لو خلقهم للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومؤاخذة المستحقين .. الجواب يقال له أما قوله تعالى ولو شاء ربك فانما عنى بها المشيئة التي ينضم اليها الالجاء ولم يعن المشيئة على سبيل الاختيار وانما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته وانه لايغالب ولا يعصى مقهوراً من حيث كان قادراً على العباد واكراههم على ماأراد منهم .. فاما لفظة ذلك في الآية فحملها على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف[1] بدليل العقل وشهادة اللفظ .. فاما دليل العقل فمن حيث علمنا أنه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز أن يكون شائياً له ومخبرا بخلق العباد عليه .. وأما شهادة اللفظ فلأن الرحمة أقرب الى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على أقرب المذكورين اليها أولى في لسان العرب .. فاما ماطعن به السائل وتعلق به من تذكير الكناية وان الكناية عن الرحمة لاتكون الا مؤنثة فباطل لان تأنيث الرحمة غير حقيقي واذا كنى عنها بلفظة التذكير كانت الكناية على المعنى لان معناها هو الفضل والانعام كما قالوا سرّني كلمتك يريدون سرّني كلامك وقال تعالى (هذا رحمة من ربي) ولم يقل هذه وانما أراد هذا فضل من ربي .. وقالت الخنساء

فَذَلِكِ يَاهِنْدُ الرَّزِيَّةُ فَاعْلَمي ... وَنِيرانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُودُها

أرادت الرزء .. وقال امرؤ القيس

---

(١) ــ قلت ــ بل الصواب أن يعود على الاختلاف لا لأن رجوع اسم الاشارة على الرحمة غير ممكن بل لأن السياق يدل على خلافه فان الله جل شأنه ذكر صنفين من خلقه أحدهما أهل اختلاف وباطل والآخر أهل حق ثم عقب ذلك بقوله ولذلك خلقهم فعمّ بقوله ذلك صفة الصنفين فأخبر عن كل فريق منهما انه ميسر لما خلق له ومعنى قوله ولذلك خلقهم على هذا انه على علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم انه يكون فيهم المؤمن والكافر والشقي والسعيد خلقهم فاللام في قوله ولذلك بمعنى على وبهذا يندفع كل اشكال يرد هنا

بَرَهْرَهَةٍ رَوْدَةٍ رَخصَةٍ   كَخُرْعُوبَةِ ٱلبَانَةِ المنفَطِرْ [١]

فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن •• وقال الآخر

هَنيئًا لسَعْدٍ مااْقتضى بعدَوَقعتي   بناقةِ سَعْـدٍ وَالعَشـيَّةُ بَارِدُ

فذكّر الوصف لانه ذهب الى العشيّ •• وقال الآخر

قَامَتْ تُبَـكِّيهِ على قَـبْرِهِ   مَنْ لِيَ مِنْ بَعْدِكَ ياعَامِـرُ

تَرَكْتَني فِي الدَّارِ ذَاغُرْبَةٍ   قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصرُ

فقال ذا غربة ولم يقل ذات غربة لانه أراد شخصاً ذا غربة ••وقال زياد الاعجم

إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَاحَةَ ضُمِّنَا   قبرًا بمَرْوَ على الطَّرِيقِ الوَاضِحِ

•• فقال ضمنا ولم يقــل ضمنتا •• قال الفراء لأنه ذهب الى ان السماحــة والشجاعة مصدران والعرب يقولون قصارة الثوب يعجبني لان تأنيث المصادر يرجع الى الفعل وهو مذكر •• وقال الفرزدق

تَجُوبُ بنَا الفلاَةَ الي سَعِيدٍ   إِذَامَا الشَّاةُ فِي الأَرْطَاةِ قَالاَ

فذكر الوصف لأنه أراد التيس ••فأما ـ الارطاة ـ واحدة الارطي وهو شجر ينبت في الرمل تستظل بظلاله الظباء من الحر وتأوى اليه •• قال الشماخ

إِذَا الأَرْطَا تَوَسَّدَ أبرديه   خُدُودُ جوَازِىءٍ بالرَمْلِ عِينِ

•• وقوله ـ قالا ـ من القيلولة لامن القول على ان قوله تعالى الا من رحم ربك كما يدل على الرحمة يدل أيضاً على ان يرحم فاذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن أن يرحم كان التذكير في موضعه لأن الفعل مذكر ويجوز أيضاً أن يكون قوله ولذلك خلقهم كناية عن

(١) ـ البرهرهة ـ الناعمة البيضاء من النعمة ـ والرودة ـ اللينة من قولهم ريح رود أي لينة ـ والرخصة ـ الغضة الناعمة ـ والخرعوبة ـ والخرعوب الغصن لسنته أو الغصن السامق الناعم الحديث البنات

اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه أمة واحدة [1] ولا محالة ان لهذا خلقهم ويطابق هـذه الآية قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) .. وقال قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ان معناه انه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنة فيكونوا فى وصول جميعهم الى النعيم أمة واحدة وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) في انه أراد هداها الى طريق الجنة فعلى هذا التأويل أيضاً يمكن ان ترجع لفظة ذلك الي ادخالهم أجمعين الجنة لانه تعالى انما خلقهم للمصير اليها والوصول الى نعيمها .. فاما قوله ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات .. وذكر أبو مسلم محمد بن بحر فى قوله مختلفين وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه ان خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم فى الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضاً وقولك اختلفوا وسواء قولك قتل بعضهم بعضاً واقتتلوا .. ومنه قولهم لاأفعل كذا ماختلف العصران والجديدان أي جاء كل واحد منهما بعد الآخر فاما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل لكنه فعل النعم والاحسان يدل على ذلك ان من أحسن الى غيره وأنعم عليه يوصف بأنه رحيم به وان لم تعلم منه رقة قلب عليه بل وصفهم بالرحمة من لايعهدون منه رقة القلب أقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك لان مشقة النعمة والفضل والاحسان على من لارقة عنده أكثر منها على الرقيق القلب وقد علمنا أن من رق قلبه لو امتنع من الافضال والاحسان لم يوصف بالرحمة واذا أنعم وصف بذلك فوجب أن يكون معناها ماذكرناه على أنه لايمتنع أن يكون معنى الرحمة فى الاصل ماذكرتم ثم انتقل بالتعارف الي ماذكرناه كنظائره وقد وصف الله القرآن بانه هدى ورحمة من حيث كان نعمة ولا يتأتى فى القرآن ماظنوه وانما وصفت رقة القلب بانها رحمة لانها مما

---

(١) ــ قلت ــ هذا الجواب لا يمشى الا على مذهب المعتزلة الذين يجوزون على والكافرجل شأنه أن يقع فى ملكه ما لايريد .. أما على مذهب أهل السنة فلا يسح اشكال بردتهم للاجتماع على الايمان لم يفترقوا فيه

مجاوره الرحمة التي هي النعمة في الاكثر وتوجد عنده فحل محل وصف الشهوة بانها محبة لما كانت توجد عندها المحبة في الاكثر وليست الرحمة مختصة بالعفو بل تستعمل في ضروب النعم وصنوف الاحسان ألا ترى انا نصف المنعم على غيره المحسن اليه بالرحمة وان لم يسقط عنه ضرراً ولم يتجاوز له عن زلة وانما سمى العفو عن الضرر وما جري مجراه رحمة من حيث كان نعمة لان النعمة باسقاط الضرر تجرى مجرى النعمة بايصال النفع فقد بان بهذه الجملة معنى الآية وبطلان ماضمنه السائل سؤاله . . فان قيل اذا كانت الرحمة هى النعمة وعندكم أن نعم الله شاملة للخلق أجمعين فاي معني لاستثناء من رحم من جملة المختلفين ان كانت النعمة هي الرحمة وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامة . . قلنا لاشبهة فى ان نعم الله شاملة للخلق أجمعين غير ان في نعمه أيضاً مايختص بها بعض العباد إما لاستحقاق أو لسبب يقتضى الاختصاص فاذا حملنا قوله تعالى الا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهر لان النعمة به لاتكون الا مستحقة فمن استحق الثواب بأعماله وصل الى هذه النعمة ومن لم يستحقه لم يصل اليها وان حملنا الرحمة فى الآية على النعمة بالتوفيق للايمان واللطف الذي وقع بعده فعل الايمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصة لانه تعالى انما لم ينعم على سائر المكلفين بها من حيث لم يكن في معلومه تعالى أن لهم توفيقاً وان في الافعال مايختارون عنده الايمان فاختصاص هذه النعم ببعض العباد لايمنع من شمول نعم أخر كما أن شمول تلك النعم لايمنع من اختصاص هذه

[تأويل خبر] . . روى أبو مسعود البدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحى فاصنع ماشئت وفى هذا الخبر وجوه من التأويل ثلاثة . . أحدها أن يكون معناه اذا علمت أن العمل لله وأنت لاتستحي من الناظرين اليك ولا تتخوفهم أن ينسبوك فيه الى الرياء صنعت ماشئت لان فكرك فيهم ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ويمنعانك من القيام بحدود حقوقه واذا اطرحت الفكر توفرت على استيفاء عملك . . والوجه الثانى ان من لم يستحي من المعاير والمخازى والفضائح صنع ماشاء والظاهر ظاهر أمر والمعنى معنى تغليظ وانكار مثل

قوله تعالى (اعملوا ماشئتم) وقوله عز وجل (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وهذا نهاية التغليظ والزجر والاخبار عن كبر الذنب واطراح الحياء ويجري مجرى قولهم بعد أن فعل فلان كذا فليفعل مايشاء وبعد أن أقدم على كذا فليقدم على ماشاء والمعنى المبالغة في التعظيم لما ارتكبه وقبح مااقترفه ٠٠ والوجه الثالث أن يكون معنى الخبر اذا لم تفعل ماتستحي منه فافعل ماشئت فكأن المعنى اذا لم تفعل قبيحاً فافعل ماشئت لانه لاضرب من ضروب القبائح الا والحياء يصاحبه ومن شأن فاعله اذا قرّع به أن يستحي منه فتى جانب الانسان مايستحي منه من أفعاله فقد جانب سائر القبائح وما عدا القبيح من الافعال فهو حسن ويجرى هذا مجرى خبر عن نبينا عليه الصلاة والسلام فيما أظنه أن رجلا جاءه فاسترشده الى خصلة يكون فيها جماع الخير فقال عليه الصلاة والسلام أشترط عليك أن لاتكذبني ولن أسألك ماوراء ذلك فهان على الرجل ترك الكذب خاصة والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبائح وشرط على نفسه ذلك فلما انصرف جعل كل ماهم بقبيح يفكر ويقول أرأيت لو سألني عنه النبي ما كنت قائلا له لانني ان صدقته افتضحت وان كذبته نقضت العهد بيني وبينه فكان ذلك سببا لاجتنابه لسائر القبائح ، هكذا معنى الخبر الذى تأولناه لان في اجتناب مايستحي منه اجتنابا لسائر القبائح

[تأويل خبر آخر] ٠٠ روى محمد بن الحنفية عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال[١] كان قد كثر على مارية القبطية أم ابراهيم في ابن عم لها قبطي كان يزورها ويختلف اليها فقال لي النبي عليه الصلاة والسلام خذ هذا السيف وانطلق به فان وجدته عندها فاقتله قلت يا رسول الله أكون في أمرك كالسكة المحماة أمضى لما أمرتني أم الشاهد يرى مالا يرى الغائب فقال النبي عليه الصلاة والسلام بل الشاهد يرى مالا يرى الغائب فأقبلت متوشحاً بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما أقبلت نحوه علم انى أريده فأتى نخلة فرقى اليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فاذا انه أجبُّ أمسح

---

(١) ـ قلت ـ في النفس من هذا الحديث أشياء وفى عبارته ركة وفى سياقه اضطراب ولم يتيسر لنا حين النظر فيه الكشف عنه والوقوف على حقيقته وأغلب الظن انه موضوع لا أصل له

ماله مما للرجال قليل ولا كثير فغمدتُ السيف ورجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال الحمد لله الذي يصرف عنا الرجس أهل البيت ٠٠[قال المرتضى] رضى الله عنه في هذا الخبر أحكام وغريب ونحن نبدأ بأحكامه ثم نتلوه بغريبه ٠٠فأول مافيه أن لقائل ان يقول كيف يجوز أن يأمر الرسول بقتل رجل على التهمة بغير بينة ولا مايجرى مجراها ٠٠والجواب عن ذلك ان القبطي جاز أن يكون من أهل العهد الذين أخذ عليهم أن تجري عليهم أحكام المسلمين وأن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام تقدم اليه بالانتهاء عن الدخول الى مارية فخالف وأقام على ذلك وهذا نقض للعهد وناقض العهد من أهل الكفر مؤذن بالمحاربة والمؤذن بها مستحق للقتل ٠٠فأما قوله — بل الشاهد يرى مالايرى الغائب — فانما عنى به رؤية العلم لا رؤية البصر لأنه لا معنى فى هذا الموضع لرؤية البصر فكأنه عليه الصلاة والسلام قال بل الشاهد يعلم ويصح له من وجه الرأي والتدبير ما لا يصح للغائب ولولم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال وانما جاز منه عليه الصلاة والسلام أن يخير بين قتله والكف عنه ويفوّض الى أمير المؤمنين عليه السلام من حيث لم يكن قتله من الحدود والحقوق التى لا يجوز العفو عنها ولا يسع الا اقامتها لأن ناقض العهد ممّن الى الامام القائم بأمر المسلمين اذا قدر عليه قبل التوبة أن يقتله وان يمن عليه ٠٠ ومما فيه أيضاً من الاحكام اقتضاؤه ان مجرد أمر الرسول عليه الصلاة والسلام لايقتضى الوجوب لأنه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولااستفهامه وفى حسنها ووقعها موقعها دلالة على أنه لا يقتضى ذلك ٠٠ومما فيه أيضاً من الاحكام دلالته على أنه لا بأس بالنظر الى عورة الرجل عندالامر ينزل ولا يوجد من النظر اليها بدّ إمّا لحد يقام أو لعقوبة تسقط لان العلم بأنه أمسح أجب لم يكن الا عن تأمل ونظر وانما جاز النظر والتأمل لتبين هل هو ممن يكون منه ما قرف به أم لا والواجب على الامام فيمن شهد عليه بالزنا وادعى انه مجبوب أن يأمر بالنظر اليه وتبين أمره وبمثله أمر النبى عليه الصلاة والسلام فى قتل مقاتلة بني قريظة لأنه أمر أن ينظروا الى مُؤتزر كلّ من أشكل عليهم أمره فمن وجدوه قد أنبت قتلوه ولولا جواز النظر الى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة الزنا لأن من رأى رجلا مع امرأة واقعاً عليها ولم يتأمل أمرهما حتى

التأمل لم تصح شهادته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة وقد سأله عمن يوجد مع امرأته رجلا أيقتله فقال لا حتى يأتي بأربعة شهداء ولو لم يكن للشهداء اذا حضروا تعمد النظر الى عورتيهما لإقامة الشهادة كان حضورهم كغيبتهم ولم تقم شهادة الزنا لأن من شرطها مشاهدة العضو في العضو كالميل في المكحلة ٠٠ فان قيل كيف جاز لأمير المؤمنين الكف عن القتل ومن أي جهة آثره لما وجده أجب وأي تأثير لكونه أجب فيما استحق به القتل وهو نقض العهد ٠٠ قلنا انه عليه الصلاة والسلام لما فوض اليه الامر في القتل والكف كان له أن يقتله على كل حال وان وجده أجب لان كونه بهذه الصفة لا يخرجه عن نقض العهد وانما آثر الكف الذى كان اليه ومفوضاً الى رأيه لازالة التهمة والشك الواقعين في أمر مارية ولأنه أشفق من أن يقتله فيحقق الظن ويلحق بذلك العار فرأى عليه السلام ان الكف أولى لما ذكرناه ٠٠ وأما غريب الحديث فقوله شغر برجله يريد رفعها وأصله في الوصف اذا رفع رجله للبول فأما نكاح الشغار فبالكسر وقد قيل الشغار بالفتح وهو أن يزوج الرجل من هو وليها من بنت أو أخت غيره على أن يزوجه بنته أو أخته بغير مهر وكان أحد العرب في الجاهلية يقول للآخر شاغرني أي زوّجني حتى أزوجك وأظنه مأخوذاً من الشغر الذى هو رفع الرجل لان النكاح فيه معنى الشغر فسمي هذا العقد شغارا و مشاغرة لافضائه في كل واحد من المتزوجين الى معنى الشغر وصار اسما لهذا النكاح كما قيل في الزنا سفاح لان الزانيين يتسافحان الماء أي يسكبانه والماء هو النطفة ٠٠ ويمكن أن يكون أيضاً الماء الذى يغتسلان به فكني بذلك عن الزنا ثم صار اسما له وعلماً عليه ٠٠ ومن الشغر الذى هو رفع الرجل قول زياد لابنة معاوية وكانت عند ابنه وافتخرت يوما عليه وتطاولت فشكاها الى أبيه زياد فدخل عليها بالدرة يضربها ويقول لها أشغراً وفخراً ٠٠ وأما قول الفرزدق

شَغَّارَةٌ تَقِذُ الفَصِيلَ بِرِجْلِهَا … فَطَّارَةٌ لِقَوَادِمِ الأَبْكَارِ

٠٠ فانه من غريب شعره وفسره فقال شغارة — انها ترفع رجلها بالبول وقوله — تقذ الفصيل برجلها — أي تركله وتدفعه عن الدنو الى الرضاع ليتوفر اللبن على الحلب أو أراد بتقذه أي تبالغ في إيلامه وضربه ومنه الموقوذة فاما قوله — فطارة لقوادم الابكار — فالفطر

هو الحلب بثلاث أصابع والقوادم هي الاخلاف وانما خص الابكار بذلك لان صغر أخلافها يمنع من حلبها ضبا ــ والضب ــ هو الحلب بالاصابع الاربع كلها فكأنه لايمكن فيها لقصر أخلافها الا الفطر ومعنى البيت تعييره نساء جرير بأنهن راعيات وذلك مما تعير به العرب النساء ألا ترى الى قوله قبل هذا البيت

كَمْ عَمَّةٍ لكَ ياجَرِيرُ وَخَالَةٍ فدعاء قَدْ حَلَبتْ عليّ عِشَارِى
كُنا نُحَاذِرُ أنْ تَضيعَ لِقَاحُنَا وَلَهاً إِذَا سَمِعَتْ دُعَاءَ يَسَارِ

ثم تلا ذلك بقوله شغارة .. [قال المرتضى رحمة الله عليه] وعندى أن قوله شغارة كناية عن رفع رجلها للزنا وهو أشبه أن يكون مراده فى هذا الموضع ألا ترى انه قد وصفها بالوله وترك حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يسار ــ ويسار ــ اسم راع فكأنه قد وصفها بالوله الى الزنا والاسراع اليه وترك حفظ مااستحفظته من اللقاح فالأشبه أن يكون قوله شغارة مع كونه عقيب البيت الذي ذكرناه محمولا على ماأشرنا اليه .. فاما قولهم ذهبوا شغر بغر فليس من هذا في شيء وانما يراد به انهم ذهبوا مفرقين مشتتين ومثله ذهبوا عباديد وشعاليل وشعارير وأيادى سبأ كل ذلك بمعنى واحد .. وأما قوله ــ فاذا انه أجب ــ فيعني به المقطوع الذكر لأن الجب هو القطع ومنه بعير أجب اذا كان مقطوع السنام وقد ظن بعض من تأول هذا الخبر أن الامسح ههنا هو قليل لحم الالية كالارصع والأرسح والازلّ وهذا غلط لان الوصف بذلك لامعنى له فى هذا الخبر وانما أراد تأكيد الوصف له بانه أجب والمبالغة فيه لان قوله أمسح يفيد انه مصطلم الذكر ويزيد على معنى أجب زيادة ظاهرة .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى القاسم بن الحسن الورّاق قال حدثنا سليمان بن داود الطوسي قال حدثنا سوّار بن عبد الله القاضى عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد في الليل فتذاكرنا أحوال القمر فقلت العرب تقول للقمر اذا كان ابن ليلة ماأنت ابن ليلة قال رضاع سُخَيْلَة حل أهلها بِرُمَيْلَة .. قيل له فما أنت ابن ليلتين قال حديث أمتين بكذب ومين .. قيل له ماأنت ابن ثلاث قال قليل اللَّبَاث . وقيل أيضاً حديث فتيات غير جدّ مؤتلفات .. قيل له فما أنت ابن أربع قال عتمة أمّ رُبَع وقيل عتمة أم الرُّبَع غير جائع ولا مرضَع .. قيل له فما أنت ابن

خمس قال عشاء خلفات قعس ويقال حديث وأنس ويقال سر ومس .. قيل له فما أنت ابن ست قال سروبت ويقال تحدث وبت .. قيل فما أنت ابن سبع قال دلجة ضبع وقيل هدى لأنس ذى الجمع وقيل حديث جمع وقيل يضفر فى النسع وقيل يلتقط فى الجزع .. قيل فما أنت ابن ثمان قال قمر أضحيان .. قيل فما أنت ابن تسع قال منقطع الشسع وقيل يضفر في الجزع وقيل يلتقط فى الجزع وقيل الودع وقيل عشية أهل جمع .. قيل فما أنت ابن عشر قال ثلث الشهر وقيل مخنق الفجر وقيل أؤديك الى الفجر وقيل أبادر الفجر .. قيل فما أنت ابن احدى عشرة قال اطلع عشاء وأرى بكرة وقيل وأغيب بسحرة .. قيل فما أنت ابن اثنتي عشرة قال مؤنق للبشر للبدو والحضر .. قيل فما أنت ابن ثلاث عشرة قال قمر باهر يعشى له الناظر .. قيل له فما أنت ابن أربع عشرة قال مقتبل الشباب أضيء مدجنات السحاب وقيل مضيء للسحاب .. قيل فما أنت ابن خمس عشرة قال تم الشباب وانتصف الحساب .. قيل فما أنت ابن ست عشرة قال ناقص الخلق بالغرب والشرق .. قيل فما أنت ابن سبع عشرة قال أمكنت المقتفر القفرة .. قيل فما أنت ابن ثمانى عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء .. قيل فما أنت ابن تسع عشرة قال بطيء الطلوع بين الخشوع .. قيل فما أنت ابن عشرين قال أطلع بسحرة وأضيء بالبهرة وقيل أهجر بالبهرة .. قيل فما أنت ابن احدي وعشرين قال كالقبس يرى بالغلس .. قيل فما أنت ابن اثنين وعشرين قال لاأطلع الا ريث ماأرى .. قيل فما أنت ابن ثلاث وعشرين قال أطلع فى قتمة ولا أجلو الظلمة .. قيل فما أنت ابن أربع وعشرين قال لاقمر ولا هلال .. قيل فما أنت ابن خمس وعشرين قال دنا الأجل وانقطع الأمل .. قيل فما أنت ابن ست وعشرين قال دنا مادنا فلا يرى منى الا شفا .. قيل فما أنت ابن سبع وعشرين قال أطلع بكراً ولا أرى ظهراً .. قيل فما أنت ابن ثمان وعشرين قال أسبق شعاع الشمس .. قيل فما أنت ابن تسع وعشرين قال ضئيل صغير فلا يراني الا البصير .. قيل فما أنت ابن ثلاثين قال هلال مستبين .. قال الأصمعي ثم قلت للرشيد يقال انه لايحفظ هذا الحديث من الرجال الا عاقل وقال خذه علي قلت هات فاعاده حتى بلغ الى قيل له ماأنت ابن ثمان قال قمر

أضحيان •• قوله اما رضاع سخيله أراد تصغير سخله والمعني ان القمر يبقي بقدر ماينزل قوم فتضع شاتهم سخلة ثم ترضعها ويرتحلون فبقاؤه في الأفق بمقدار هذا الزمان •• وقوله حل أهلها برميله فأظن ان المعنى فيه الاخبار عن قلة اللبات وسرعة الانتقال لأن الرمل ليس بمنزل مقام للقوم لأنهم كانوا يختارون فى منازلهم جلد الأرض وهضبها والأماكن التي لاتستولى السيول عليها فخص الرميلة لهذا المعنى •• وقوله حديث أمتين بكذب ومين يريد أن بقاؤه قليل بمقدار ماتلتقى الأمة الأمة فتكذب لها حديثاً ثم يفترقان •• وقوله حديث فتيات غير جد مؤتلفات يريد انه يبقى بقاء فتيات اجتمعن على غير ميعاد فتحادثن ساعة ثم انصرفن غير مؤتلفات •• وقوله عتمة أم الربع يقال عتمت إبله اذا تأخرت عن العشاء •• وقوله أم ربع يعني الناقة وهو تأخير حلبها يريد أن بقاءه بمقدار ماتحلب ناقة لها ولد ولدته فى أول الربيع وهو أول النتاج والولد فى هذا الوقت يسمى رُبَعاً اذا كان ذكراً فان كان أنثى قيل رُبَعة فان كان في آخر النتاج قيل هبع للذكر وللانثى هبعة •• وقوله عشاء خلفات قعس فالخلفات اللواتى قد استبان حملهن واحدها خلفة وهى واحدة المخاض ولا واحد للمخاض من لفظها وانما قال عشاء خلفات لانها لاتعشى الى أن يغيب القمر في هذه الليلة والقعساء الداخلة الظهر الخارجة البطن •• وقوله سروبت يريد انه لايبقى الا بقدر مايبيت الانسان ثم يسير •• وقوله قمرٌ أضحيان أي ضاح وبارز ويقال قمرٌ أضحيانٌ بالتنوين فيهما جميعاً وقمر أضحيان بالاضافة ومنه قيل ليلة أضحيانة اذا كانت نقية البياض •• وقوله منقطع الشسع أراد أنه يبقى بقدر مايبقى شسع من قدٍّ يمشى به حتى ينقطع •• وقوله يلتقط فيَّ الجزع أي انه مضيء أبلج لو انقطعت مخنقة فتاة فيها شذور منفصلة بجزع ماضاع منها شيء لضيائه وبقائه •• وقوله أضيء بالبهرة يعنى لصفائه وسط الليل لأن بهرة الشيء وسطه •• وقوله أمكنت المقتفر القفرة فالمقتفر الذى يتبع الآثار وقفرته موضعه الذى يقصده

مجلس آخر ٧

[ان سأل سائل] عن قوله تعالى ﴿ وَمَنْ كانَ في هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى

وَأَضلُّ سَبيلاً) فقال كيف يجوز أن يكونوا فى الآخرة عمياً وقد تظاهر الخبر عن الرسول بان الخلق يحشرون كما بدؤا سالمين من الآفات والعاهات قال الله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده) وقال الله تعالى (وكما بدأكم تعودون) وقال جل وعز (فبصرك اليوم حديد) .. الجواب يقال فى هذه الآية أربعة أوجه .. أحدها أن يكون العمي الاول انما هو عن تأمل الآيات والنظر فى الدلالات والعبر التى أراها الله تعالى المكلفين في أنفسهم وفيما يشاهدون ويكون العمى الثاني هو عن الايمان بالآخرة والاقرار بما يجازى به المكلفون فيها من ثواب أو عقاب .. وقد قال قوم ان الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى (ربكم الذى يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) الي قوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ثم قال بعد ذلك (ومن كان فى هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) يعنى في هذه النعم وعن هذه العبر فهو في الآخرة أعمى أي هو عما غيّب عنه من أمر الآخرة أعمى ويكون قوله فى هذه كناية عن النعم لاعن الدنيا .. ويقال ان ابن عباس سأله سائل عن هذه الآية فقال له اتل ماقبلهافنبهه على التأويل الذى ذكرناه .. والجواب الثاني من كان في هـذه يعنى الدنيا أعمى عن الايمان بالله والمعرفة بما أوجب الله عليه المعرفة به فهو فى الآخرة أعمى عن الجنة والثواب بمعني أنه لايهتدى الى طريقهما ولا يوصل اليهما أو عن الحجة اذا سئل وأوقف ومعلوم ان من ضل عن معرفة الله تعالى والايمان به يكون يوم القيامةمنقطع الحجة مفقودالمعاذير .. والجواب الثالث أن يكون العمى الاول عن المعرفة والايمان والثانى بمعنى المبالغة فى الاخبار عن عظم ماينالهه هؤلاء الكفار الجهال بالله من الخوف والغم والحزن الذي أزاله الله عن المؤمنين العارفين بقوله (لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) ومن عادة العرب ان تسمى من اشتد همه وقوى حزنه أعمى سخين العين ويصفون المسرور بانه قرير العين قال الله تعالى (فَلاَ تَعلَمُ نَفسٌ ماأُخفِي لَهُم منْ قُرَّةِ أَعيُنٍ جزَاء بما كانوا يَعمَلُونَ) .. والجواب الرابع أن يكون العمي الأول عن الايمان والثانى هو الآفة في العين على سبيل العقوبة كما قال الله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمي قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت

بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) ومن يجيب بهذا الجواب يتأول قوله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده) على ان المعنى فيه الاخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الاعادة كما أنها معدومة في الابتداء ويجعل ذلك نظيراً لقوله تعالى (وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ويتأول قوله (فبصرك اليوم حديد) على ان معناه الاخبار عن قوة المعرفة وان الجاهل بالله فى الدنيا يكون عارفاً به في الآخرة والعرب تقول فلان بصير بهذا الأمر وزيد أبصر بكذا من عمرو ولا يريدون ابصار العين بل العلم والمعرفة ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) أي كنت غافلا عما أنت الآن عارف به فلما كشفنا عنك الغطاء بان أعلمناك وجعلنا في قلبك المعرفة عرفت وعلمت فأما الخبر الذي يدعي رؤيته فهو خبر واحد ولا حجة في مثله واذا عرف لفظه ربما أمكن تأوله على ما يطابق هذا الجواب ومن ذهب الى الأجوبة الأول يجعل العمى الأول والثاني معاً غير الآفة فى العين فان عورض بقوله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمى) نؤله بالعمى عن الثواب أو عن الحجة وقال فى قوله لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ان معناه انى كنت بصيراً فى اعتقادى وظنى من حيث كنت أرجو الهداية الى الثواب وطريق الجنة والمحصل من هذه الجملة انه لا يجوز أن يراد بالعمى الأول والثاني جميعاً الآفة في العين لانه يؤدي الى ان كل من كان مكفوف البصر فى الدنيا من مؤمن وكافر وطائع وعاص يكون كذلك في الآخرة وهذا باطل وبمثله يبطل أن يراد بلفظة أعمى الثانية المبالغة بمعنى أفضل من فلان ويبطله أيضاً أن العمى الذى هو الخلقة لا يتعجب منه بلفظة افعل وانما يقال ما أشد عماه ولا يجوز أن يراد بالعمى الأول عمى العين والثانى العمي عن الثواب أو الجنة أو الحجة لانا نعلم ان فيمن عميت عينه في الدنيا من يستحق الثواب ويوصل اليه ولا يجوز أن يراد بالأول والثاني العمى عن المعرفة والايمان لا على طريق المبالغة والتعجب ولا على غير ذلك لانا نعلم ان الجهال بالله تعالى المعرضين فى الدنيا عن معرفته لا يجوز أن يكونوا في الآخرة كذلك فضلا أن يكونوا على أبلغ من هذه الحالة لأن المعارف في الآخرة ضرورية يشترك فيها جميع الناس فلم يبق

بعد الذى أبطلناه الا ما دخل فى الأجوبة وعلى الأجوبة الثلاثة الأول اذا أريد بأعمى الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه لأن عمي القلب وضلاله يتعجب منه بلفظة أفعل وان لم يجر ذلك فى عمى الجارحة .. ولمن أجاب بالجواب الرابع أن لا يجعل قوله تعالى فهو فى الآخرة أعمى لفظة تعجب بل يجعله إخباراً عن عماه من غير تعجب وان عطف عليه بقوله وأضل سبيلا ويكون تقدير الكلام ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وهو أضل سبيلا .. فان قيل ولم أنكرتم التعجب من الخلق بلفظة افعل .. قلنا قد قال النحويون فى ذلك ان الالوان والعيوب لا يتعجب منها بلفظة التعجب وانما يعدل فيها الى أشد وأظهر وماجرى مجراهما .. قالوا لأن العيوب والألوان قد ضارعت الأسماء وصارت خلقة كاليد والرجل ونحو ذلك فلا يقال ما أسوده ولا أعوره كما لا يقال ما أيداه وما أرجله بل يقال ما أشد سواده كما يقال ما أشد يده ورجله .. واعتلوا بعلة أخرى قالوا ان الفعل من الألوان والعيوب على افعلّ وافعالّ نحو احمرّ واعورّ واحولّ واحوالّ والتعجب لا يدخل فيما زاد على ثلاثة أحرف من الأفعال ألا ترى أنه لا يدخل فى انطلق واستخرج ودحرج لزيادته على ثلاثة أحرف .. فان قيل لهم فقد قالوا عورت عينه وحولت قالوا هذا منقول من افعلّ وهو في الحكم زائد على ثلاثة أحرف يدل على ذلك صحة الواو فيه كما صحت فى اسودّ واحمرّ ولولا أنه منقول لاعتلت الواو فقلت عارت وحالت كما قيل خاف وهاب .. وحكى عن الفراء فى ذلك جوابان . أحدهما ان أفعل فى التعجب فيه زيادة على وصف قبله اذا قال القائل أفضل وأجمل فهو أزيد في الوصف من جميل وفاضل ولم يقولوا ما أبيض زيداً لئلا يسقط التزيد ولا يكون قبل أبيض وصف يزيد أبيض عليه يخالف لفظه لفظه كما خالف أفضل وأجمل فاضلا وجميلا فلما فاتهم فى أبيض وأحمر علم التزيد أدخلوا عليه مايبين الزيادة فيه وقالوا ما أظهر حمرة زيد وما أشد سواد عمرو لأن أظهر يزيد على ظاهر وأشد يزيد على شديد .. والجواب الآخر أن التعجب مبنىّ على زيادة يصلح أن يتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ التناهي فقالوا ما أعلم زيداً ليدلّوا على زيادة علمه لأنهم فى قولهم عالم وعليمٌ لم يبلغوا فى التناهي مبلغ اعلم ولم يقولوا ما أبيض زيداً لأن البياض لا تأتي

منه زيادة بعد نقص فعدلوا الى التعجب بأشد وما جرى مجراها وهذا الجواب ليس بسديد لأن الالوان قد تأتى فيها الزيادة بعد نقص وقد تدخل فيها المفاضلة ألا ترى انما حله قليل من أجزاء البياض يكون أنقص حالا في البياض مما حله لكثير من الأجزاء .. والجواب الأول الذي حكيناه عن الفراء أصوب وان كان ماقدمناه عن البصريين هو المعتمد .. وقد أنشد بعضهم معترضا على ماذكرناه قول الشاعر

يَالَيْتَنِي مِثْلُكِ فِي الْبَيَاضِ ... أَبيضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي ابَاضِ (1)

.. وأنشدوا أيضاً قول الشاعر

أَمَّا الْمُلُوكُ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَلأَمُهُمْ ... لُؤْماً وَأَبْيَضُهُمْ سِرْبَالَ طَبَّاخِ

فأما البيت الأول فان أبا العباس المبرد حمله على الشذوذ وقال ان الشاذ النادر لا يطعن في المعمول عليه والمتفق على صحته ويجوز أيضاً أن يقال في البيت الثاني مثل ذلك وقد قيل فى البيت الثانى ان أبيض فيه ليس هو للمفاضلة وانما هو افعل الذي مؤنثه فعلاء كقولهم أبيض وبيضاء ويجرى ذلك مجرى قولهم هو حسن القوم وجهاً وشريفهم خلقاً فكان الشاعر قال ومبيضهم فلما أضافه انتصب ما بعده لتمام الاسم وهذا أحسن من حمله على الشذوذ .. ويمكن فيه وجه آخر وهو ان أبيض فى البيت وان كان في الظاهر عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية عن اللؤم والبخل فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ ولو انه أراد بأبيضهم بياض الثوب ونقاءه على الحقيقة لما جاز أن يتعجب بلفظة افعل والذي جوز تعجبه بهذه اللفظة ماذكرناه .. فأما قول المتنبي

أَبْعِدْ بَعِدْتَ بَيَاضاً لاَ بَيَاضَ لَهُ ... لأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ

فقد قيل فيه ان قوله لأنت أسود فى عيني كلام تام ثم قال من الظلم أي من جملة الظلم

(١) — أنشد — اللغويون البيت بلفظ

جارية فى درعها الفضفاض ... أبيض من أخت بني اباض

— ودرع فضفاض — واسعة وجارية فضفاض ممتلئة

كما يقال حرّ من أحرار ولؤم من لئام أي من جلتهم .. قال الشاعر

وَأَبيَضُ مِنْ مَاءِ الحَدِيدِ كأَنَّهُ شِهَابٌ بَدَا وَاللَّيلُ دَاجٍ عَسَاكِرُهُ

كأنه قال وأبيض كائن من ماء الحديد وقوله من ماء الحديد وصف لأبيض وليس يتصل به كاتصال من بافضل في قولك هو أفضل من زيد ولفظة من في بيت المتنبي مرفوعة الموضع فانها وصف لأسود واذا أريد المفاضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع بأسود كما يقال زيد خير منك فنك في موضع نصب بخير كأنه قال قد خارك بخيرك أي فضلك في الخير وهذا التأويل يمكن أن يقال في قول الشاعر * ابيضُ من أختِ بَني اباضِ *
ويحمل على انه أراد من جلتها ومن قومه ولم يرد التعجب وتأويله على هذا الوجه أولى من حمله على الشذوذ فاما قول المتنبي * أبعد بعدت بياضاً لابياض له *
فالمعنى الظاهر للناس فيه انه أراد لاضياء له ولا نور ولا اشراق من حيث كان حلوله محزنا مؤذنا بتقضي الأجل وهذا لعمرى معنى ظاهر الا أنه يمكن فيه معنى آخر وهو ان يريد انك بياض لالون بعده لأن البياض آخر الألوان فى الشعر فجعل قوله لابياض له بمنزلة لالون بعده وانما سوّغ ذلك له أن البياض هو الآتي بعد السواد فلما نفى أن يكون للشيب بياض كان نفيا لان يكون بعده لون .. وقد اختلف القراء فى فتح الميم وكسرها من قوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى) فقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الميمين وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائى بكسر الميم فيهما جميعاً وفى رواية حفص لايكسرهما وكسر أبو عمرو الاولى وفتح الأخيرة ولكل وجه .. أما من ترك امالة الجميع فان قوله حسن لان كثيراً من العرب لايميلون هذه الفتحة .. وأما من أمال الجميع فوجه قوله انه يحو بالالف نحو الياء ليعلم أنها تنقلب الى الياء .. وأما قراءة أبي عمرو بامالة الاولى وفتح الثانية فوجه قوله انه جعل الثانية افعل من كذا مثل أفضل من فلان فاذا جعلها كذلك لم تقع الألف فى آخر الكلمة لان آخرها انما هو من كذا وانما تحسن الامالة في الاواخر وقد حذف من أفعل الذى هو لتفضيل الجار والمجرور جميعا

وهما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله تعالى ﴿فانه يعلم السر وأخفى﴾ المعنى وأخفى من السر فكذلك قوله تعالى ﴿وأضل سبيلا﴾ فكما أن هذا لا يكون الا على أفعل من كذا فكذلك المعطوف عليه

[تأويل خبر] •• روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تَقِيء الارض أفلاذ كبدها مثل الأُصطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في مثل هذا قتلت ويجيء القاطع الرحم فيقول فى مثل هذا قطعت رَحِمي ويجيء السارق فيقول في مثل هذا قطعت يدى ثم يتركونه ولا يأخذون منه شيئاً •• معنى ــ تقيء ــ أي تخرج مافيها من الذهب والفضة وذلك من علامات قرب الساعة •• وقوله تقيء تشبيه واستعارة من حيث كان اخراجا واظهاراً وكذلك تسمية ماقى الارض من الكنوز كبداً تشبيهاً بالكبد التى فى بطن البعير وغيره وللعرب فى هذا مذهب معروف •• قال مرّة بن محكان[1] السعدى فى قِدْرٍ نصبها الاضياف

لها أَزِيزٌ يُزِيل اللحمَ إزملُهُ   عَنِ العظَامِ اذاما استُحْمِشَتْ غَضَبا
تَرْمي الصَّلَاةَ بنبلٍ غيرِ طائشةٍ   وفقاً إذَا آنَسَتْ مِنْ تحتِها لَهَبا

فوصفها بالغضب تشبيهاً واستعارة •• فأما ــ الازيز ــ فهو الغليان والعرب تقول لجوفه أزيز مثل أزيز المرجل ــ والازمل ــ الصوت ــ واستحمشت ــ أي غضبت يقال حمشه

(١) ــ محكان ــ بفتح أوله واسكان ثانيه من الماحكة وهي الملاحاة ورجل محكان عسر الخلق لجوج فان كان محكان اسمه فهو من قبيل تسميتهم بسارق وظالم وان كان لقباً له فلعله انما لقب به لسوء كان في أخلاقه : وكان يقال لمرة أبو الاضياف لمحبته لهم واكرامه اياهم وفى هذه القصيدة يقول لزوجته

وقلت لما غدوا أوصى قعيدتنا   غذي بنيك فلن تلقيهم حُقُبا
ادعي أباهم ولم أقرف بأمهم   وقد هجمت ولم أعرف لهم نسبا
أنا ابن محكان أخوالي بنو مطر   أنمي اليهم وكانوا معشراً نجبا

وقتله صاحب شرطة مصعب بن الزبير ولا عقب له ــ وصلاة ــ فى بيتي الأصل جمع صال وهو المستدفئ بالنار ــ ونبلها ــ كناية عما يتطاير من القدر من الماء لشدة الغليان

أي أغضبه •• وقال النابغة الجعدي في معنى الاستعارة

سألتني بأناسٍ هلكوا   شرِبَ الدهرُ عليهم وأكلْ

فوصف الدهر بالا ... بها واستعارة •• وقال قوم معنى البيت شرب أهل الدهر بعدهم وأكلوا •• واختلف أهل اللغة في الافلاذ •• فقال يعقوب بن السكيت الفلذ لا يكون الا للبعير وهو قطعة من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا فلذ البقرة ويقال اعطني فلذاً من الكبد وفلذة من الكبد •• قال أعشى باهلة

تكفيه حزّةُ فلذٍ إن ألمّ بها   منَ الشِّواء ويُروي شُربَهُ الغُمَرُ

الغمر القدح الصغير •• قال يعقوب ولا يقال اعطني حزّة من السنام ولا من اللحم وانما الحزة في الكبد خاصة فاذا أرادوا ذلك من السنام واللحم قالوا أعطني حذية من لحم وهي القطعة الصغيرة وفلقة من سنام •• وقال الطوسي عن أبي عبيد عن الاصمعي قال يقال اعطني حذية من لحم وحزة من لحم اذا كانت مقطوعة طولا فاذا كانت مجتمعة قلت اعطني بضعة من لحم وهبرة من لحم وذرّة من لحم •• ومثل هذا الحديث قوله (وأخرجت الأرض أثقالها) معناه أخرجت مافيها من الكنوز •• وقال قوم عنى به الموتى وأنها أخرجت موتاها فسمي الله تعالى الموتى أثقالا تشبيها بالحمل الذى يكون في البطن لأن الحمل يسمى ثقلا قال تعالى (فلما أثقلت) •• والعرب تقول ان للسيد الشجاع ثقلا على الأرض فاذا مات سقط عنها بموته ثقل •• قالت الخنساء ترثي أخاها صخراً

أبعدَ ابنِ عمرو من آلِ الشّريـد حلّتْ به الأرضُ أثقالَها

معناه انه لما مات حلّ عنها بموته ثقل لسودده وشرفه •• وقال قوم معنى حلت زينت موتاها به وهو مأخوذ من الحلية •• وقال الشمردل اليربوعي يرثي أخاه

وحلّتْ بهِ أثقالَها الأرضُ وانتهى   لمثواهُ منها وهوَ عفٌّ شمائلُهْ

•• وروى أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب قال قال زهير بن أبي سلمى المزني بيتاً ثم أكدى ومر به النابغة الذبياني فقال له يا أبا أمامة أجز قال ماذا قال

تزالُ الأرضُ إمّا متَّ خفّاً   وتحيا ما حييتَ بها ثقيلاً

نَزَلتَ بِمُستقرِّ العزِّ منها . . . .

فما ذا قال فأكدى والله النابغة أيضاً وأقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له أبوه أجزيا بني فقال ماذا فانشده البيت الأول ومن البيت الثاني قوله بمستقر العز منها .. فقال كعب

* فتمنعُ جانبَيها أنْ يَزُولاَ *

فقال زهير أنت والله ابني وانما خص الكبد من بين مايشتمل عليه البطن لانه من أطايب الجَزور .. والعرب تقول أطايب الجزور السنام والملحاء والكبد ..[قال المرتضى]رضى الله عنه واني لأستحسن قول الخنساء وقد قيل لها مامدحت أخاك حتى هجوت أباك .. فقالت

جارَى أباهُ فأقبلاَ وَهُمَا يَتَعاوَرَانِ مُلاَءةَ الحُضُرِ
حتَّى إذَا نَزَتِ القُلُوبُ وَقَدْ لُزَّتْ هُنَاكَ العُذْرُ بالعُذْرِ [1]
وَعلا هتافُ الناسِ أيُّهُما قال المُجيبُ هُنَاكَ لا أدْرِي
برَزَتْ صَحِيفَةُ وَجهِ وَالدِهِ وَمَضَى على غُلَوَائهِ يَجْرِي
أوْلَى فأوْلَى أنْ يُسَاوِيَهُ لوْلاَ جلاَلُ السِّنِّ وَالكِبَرِ
وَهُما وَقَدْ بَرَزَا كأنَّهُمَا صقْرَانِ قدْ حَطَّا إلى وَكْرِ

ويقال انه قيل لأبي عبيدة ليس هذه الابيات في مجموع شعر الخنساء فقال أبو عبيدة العامة أسقط من أن يجاد عليها بمثل ذلك .. ولعمرى انها قد بلغت فى مدح أخيها من غير إزراء على أبيها النهاية لانها جعلت تَقَدُّمَ أبيها له عن قدرة منه على المساواة وعن غير تقصير منه وأنه أفرج له عن السبق معرفة بحقه وتسليما لكبره وسنه .. وكأنَّ الخنساء نظرت في هذا المعنى الى قول زهير

فَشَجَّ بِها الأَماعِزَ فَهْيَ تَهْوِي هُوِيَّ الدَّلْوِ أسلَمَها الرِّشاءُ

(١) ـقولها ـ نزت القلوب أى طمحت وتاقت الى معرفة السابق من نزا ينزو اذا وثب . وقولها ـ لزت العذر بالعذر ـ أي قرنت العذر بالعذر

فَلَيسَ لَحاقُهُ كَلَحَاقِ إِلْفٍ وَلاَ كَنَجائِها مِنْهُ نَجاءُ

يُقَدِّمُهُ إِذَا اختَلفتْ عَلَيهِ تَمامُ السِّنِّ مِنْهُ وَالذَّكاءُ

ويشبه أن يكون الكميت أخذ من الخنساء قوله فى مخلد بن يزيد بن المهلب

ما إِنْ أَرَى كأَبيكَ أَدرَكَ شأْوَهُ أَحَدٌ وَمِثْلكَ طالباً لَمْ يَلْحَقِ

يَتَحاذَيانِ لهُ فَضيلةُ سِنِّهِ وَتَلوتَ بعدُ مُصَلِّياً لَمْ تَسْبُقِ

إِنْ تَنزِعا وَلهُ فَضِيلةُ سِنِّهِ فَبِمثْلِ شأْوِ أَبيكَ لَمْ يُتعلَّقِ

وَلَئِنْ لَحقتَ بِهِ علي ما قد مَضى مِنْ بُعْدِ غايتِهِ فَأَحجِ وَأَخلِقِ

ويشبه هذا المعنى •• قول المؤمل بن أميل الكوفى المحاربي يمدح المهدى في حياة المنصور

لَئِنْ فُتَّ الملوكَ وَقدْ تَوافَوا اليكَ مِنَ السُّهُولَةِ وَالوُعُورِ

لَقدْ فَاتَ الملوكَ أَبُوكَ حتَّى بَقوا مِنْ بَيْنِ كَابٍ أَوْ حَسِيرِ

وَجِئْتَ وَرَاءَهُ تَجْرِي حَثِيثاً وَمَا بِكَ حيثُ تَجْرِي مِنْ فُتُورِ

وقالَ النَّاسُ ما مِنْ ذَيْنِ إِلاَّ بِمَنْزِلَةِ الخَلِيقِ مِنَ الجَدِيرِ

فَإِنْ سَبَقَ الكَبيرُ فأَهلُ سَبْقٍ لهُ فَضْلُ الكَبيرِ علي الصَّغيرِ

وإِنْ بَلَغَ الصَّغيرُ مَدَا كَبيرٍ فَقدْ خُلِقَ الصَّغيرُ مِنَ الكَبيرِ

•• ومن هذا المعنى قول الشاعر

جِيادٌ جَرَتْ في حَلْبَةٍ فَتَفاضَلَتْ على قَدَرِ الأَسْنانِ والعِرْقُ واحِدُ

ومما له بهذا المعني بعض الشبه وان لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبر •• قول زهير

هوَ الجَوَادُ فإِنْ يلْحَقْ بِشأْوِهِما علي تَكالِيفِهِ فَمِثْلُهُ لَحِقا

أَوْ يَسبِقاهُ علي ما كانَ مِنْ مَهَلٍ فَمِثْلُ ما قَدَّما مِنْ صالِحٍ سَبَقا

•• وروى انه عرضت على جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي جارية شاعرة فاراد أن يبلوها فقال لها قولي في معنى بيتى زهير اللذين ذكرناهما فقالت

بَلَغتَ أو كدتَ يحيا أو لحقتَ بهِ فنلتُما خالدًا في شأوِ مُستبقِ
لٰكن مَضى وتَلى يحيي فأنتَ لهُ تالٍ تَعلّلتَ دُونَ الرَّكضِ بالعَنَقِ

ومن أحسَنِ ماقيل فى المساواة والمقاربة وهو داخل فى هذا المعنى مناسب له

•• قول عباد بن شبل

إذا اخترتَ من قوم خيارَ خيارهمْ فكُلُّ بَني عبدِ المُدانِ خيارُ
جرَوْا بعنانٍ واحدٍ فضلَ بينهمْ بأنْ قيلَ قدْ فاتَ العِذارَ عِذارُ

•• وقول الكميت

مُصَلٍّ أباهُ لهُ سابقٌ بأنْ قيلَ فاتَ العِذارُ العِذارا

ومثله قول العتابى وهو مليح جداً

كما تَقاذَفُ جُرْدٌ في أعنّتِها سَبْقًا بآذانِها مرًّا وبالعُذُرِ

•• وأول من سبق الى هذا زهير فى قوله يصف مطاردة البازى للقطاة ومقاربته لها

دُونَ السَّماءِ وفوقَ الأرضِ قدرُهُما عندَ الذُّنابى فلا فوتٌ ولا دَرَكُ

•• وقد لحظ أبو نواس هذا المعنى فى قوله يمدح الفضل بن الربيع ويذكر مقاربته لأبيه فى المجد والسودد

ثُمَّ جرَى الفَضلُ فانثنى قدَمًا دُونَ مَداهُ منْ غيرِ ترَهيقِ
فقيلَ راشا سَهمًا يُرادُ بهِ الـغايةِ والنَّصلُ سابقُ الفُوقِ [1]

ويشا كل ذلك قول البحترى فى ابن أبى سعيد الثغرى

(١) — راش — السهم ألزق عليه الريش — والنصل — حديدة السهم — والفوق — موضع الوتر من السهم •• يقول ان أباه سابق عليه من غير قصور منه

جَدٌّ كجدِّ أبي سعيدٍ إنّهُ ... تركَ السِّماكَ كأنهُ لم يُشرِفِ

قاسمتهُ أخلاقهُ وهيَ الرَّدا ... للمعتدي وهيَ النَّدا للمعتفِي

وإذا جرى من غايةٍ وجريتَ من ... اخرى التقى شأواكما في المنصفِ

ويشبهه أيضاً قوله

وإذا رأيتَ شمائلَ ابنيْ صاعدٍ ... أدَّتْ إليكَ شمائلَ ابنيْ مخلدِ

كالفرقدينِ إذا تأمَّلَ ناظرٌ ... لمْ يَعلُ موضعُ فرقدٍ عنْ فرقدِ

فاما قول الخنساء - يتعاوران ملاءة الحضر - فهى تعنى بالملاءة الغبار فان عدي بن الرقاع كأنه نظر اليها فى قوله يصف حماراً وأتانا

يتعاوران منَ الغُبار ملاءةً ... بيضاء محدثةً هُما نسجاها

تُطوَى إذا وطئا مكاناً جاسياً ... وإذا السنابكُ أسهلتْ نشراها

وهذا المعنى وان كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد فى استيفائه عليها زيادة ظاهرة صار من أجلها بالمعنى أحق منها .. وقد ابتدأ بهذا المعنى رجل من بني عقيل فقال من قصيدة

يُثيرانِ منْ نسجِ التُّرابِ عليهما ... قميصينِ أسمالاً ويرتديانِ

مجلس آخر ٨

[ان سأل سائل] .. عن قوله تعالى (وَجاؤُا على قميصهِ بدمٍ كذبٍ قالَ بلْ سوّلتْ لكُمْ أنفسُكُمْ أمراً فصبرٌ جميلٌ واللهُ المُستعانُ على ماتصفُونَ) فقال كيف وصف الدم بانه كذب والكذب من صفات الاقوال لامن صفات الاجسام وأي معنى لوصفه الصبر بانه جميل ومعلوم ان صبر يعقوب على فقد ابنه يوسف لايكون الا جميلا ولم ارتفع

الصبر وما المقتضي لرفعه .. الجواب يقال له أما كذب فمعناه مكذوب فيه وعليه فمثل قولهم هذا ماء سكب وشراب صب يريدون مسكوبا ومصبوبا ومثله أيضاً قولهم ماء غور ورجل صوم وامرأة نوح .. قال الشاعر

تَظَلُّ جِيادُهُمْ نَوْحاً عليهمْ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَها صُفُونا

أراد بقوله نوحا أي نائحة عليهم .. ومثله ما لفلان معقول يريدون عقلا وماله على هذا الأمر مجلود يريدون جلداً .. قال الشاعر

حتَّى إذا لم يَترُكوا لعِظامِهِ لَحماً ولاَ لِفُؤَادِهِ مَعْقولا

وأنشد أبو العباس لثعلب

قدْ والذي سَمَكَ السَّماءَ بِقدْرَةٍ بَلَغَ العَزاءُ وأَدْرَكَ المَجلودُ

.. وقال الفراء وغيره يجوز في النحو بدم كذباً بالنصب على المصدر لأنّ جاؤا فيه معنى كذبوا كذباً كما قال تعالى (والعاديات ضبحاً) فنصب ضبحاً على المصدر لأن العاديات بمعنى الضابحات وانما كان دماً مكذوباً فيه لأن اخوة يوسف عليه السلام ذبحوا سخلة ولطخوا قميص يوسف بدمها وجاؤا أباهم بالقميص وادعوا أكل الذئب له فقال لهم يعقوب عليه السلام يا بني لقد كان هذا الذئب رفيقاً حين أكل ابني ولم يخرق قميصه قالوا بل قتله اللصوص قال فكيف قد قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه أحوج منهم الى قتله .. وقد قيل انه كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين قدّ قميصه من دبر وحين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيراً وحين جاؤا عليه بدم كذب فتنبه أبوه على ان الذئب لو أكله لخرق قميصه .. وأما وصف الصبر بأنه جميل فلأن الصبر قد يكون جميلا وغير جميل وانما يكون جميلا اذا قصد به وجه الله وفعل للوجه الذي وجب فلما كان في هذا الموضع واقعاً على الوجه المحمود صح وصفه بذلك وقد قيل انه أراد صبراً لاشكوى فيه ولاجزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبة الشكوى والجزع له وأما ارتفاع قوله فصبر جميل فقد قيل ان المعنى وشأني صبرٌ جميل أو الذي أعتقده صبر جميل .. وقال قطرب معناه فصبري صبر جميل .. وأنشدوا

شكا إليَّ جملي طولَ السُّرى ... يا جملي ليسَ إليَّ المُشتكا
صبرٌ جميلٌ فكلانا مُبتلى

معناه فليكن منك صبر جميل .. وقد روي ان في قراءة أُبيّ فصبراً جميلاً بالنصب وذلك يكون على الاغراء والمعنى فاصبري يا نفس صبراً جميلاً .. قال ذو الرمة

ألاَ إنَّما ميٌّ فصبراً بليَّةٌ ... وقد يُبتلى الحرُّ الكريمُ فيصبرُ

.. وقال الآخر

أبَى اللهُ أنْ يُبقى لحيٍّ بَشاشةً ... فصَبْراً على ماشاءَهُ اللهُ لي صبْرا

[تأويل خبر] في الحديث ان قيس بن عاصم .. قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد أهل الوبر فقلت يارسول الله ما المال الذى ليست عليّ فيه تبعةٌ من طالب ولا ضيف فقال عليه الصلاة والسلام نعم المال أربعون والكثر ستون وويل لأصحاب المئين الا من أعطي الكريمة ومنح الغزيرة ونحر السمينة فأكل وأطعم القانع والمُعتر ..وفي رواية أخرى الا من أعطى من رسلها وأطرق فحلها وأفقر ظهرها ومنح غزيرتها وأطعم القانع والمعتر فقلت يارسول الله ما أكرم هذه الاخلاق وأحسنها انه لا يحل بالوادى الذي فيه إبلي من كثرتها فقال كيف تصنع في العطيمة قلت أعطى البكر وأعطي الناب قال فكيف تصنع في المنحة قلت اني لأمنح المائه قال كيف تُعطي الطروقة قلت يغدوا الناس بابلهم فلا يوزّع رجل عن جمل يخطمه فيمسكه ما بداله حتى يكون هو الذى يرده وفي الرواية الأخرى قال فكيف تصنع في الاطراق قال يغدوا الناس فمن شاء أن يأخذ برأس بعير فيذهب به قال فكيف تصنع في الإفقار قلت اني لأُفقرُ الناقة المدرّة والضرع الصغيرة قال فكيف تصنع في المنيحة قلت انى لأمنح في السنة المائة قال فمالك أحب اليك أم مال مواليك قلت لا بل مالى قال فان مالكَ ماأكلتَ فأفنيتَ وأعطيتَ فأمضيتَ .. وفى الرواية الأخرى ولبستَ فأبليتَ وسائره لمواليك قلت لا جرم والله لئن رجعت لأقلنّ عددها فلما حضره الموت جمع بنيه فقال يا بنيّ خذوا عني فانكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني لا تنوحوا عليّ فان رسول

الله صلى الله عليه وسلم يَنُخ عليه أحد وقد سمعته ينهى عن النياحة وكفنوني في ثيابي التي كنت أصلى فيها وسوّدوا أكابركم فانكم اذا سوّدتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفةٌ واذا سودتم أصاغركم هان أكابركم على الناس وزهدوا فيكم وأصلحوا عيشكم فان فيه غِنًى عن طلب الى الناس وإياكم والمسئلة فانها آخر كسب المرء واذا دفنتموني فاخفوا قبري عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماشات في الجاهلية فلا آمنُ سفيهاً منهم أن يأتي أمراً يدخل عليكم عيباً في أبيكم .. فاما قوله صلى الله عليه وسلم ـ الكثرستون ـ فمعناه الكثير تقول العرب نسأل الله الكثر ونعوذ به من القلّ أى نسأله الكثير ونعوذ به من القليل .. قال الشاعر

فإنَّ الكُثْرَ أعيانى قديماً ولمْ أُقتِرْ لَدُنْ أنى غلامُ

.. وقال آخر

وقدْ يُقصِرُ القُلُّ الفتَى دُونَ هَمِّهِ وقدْ كانَ لولاَ القُلُّ طَلاَّعَ أَنجُدِ

ـ والكريمة ـ يعني بها كرائم ماله ـ وأمنح الغزيرة ـ أي أعطيها من يحلبها ويردّها ومن ذلك الحديث والعارية مُؤدّاة والمنحة مردودة والدين مقضيّ والزعيم غارم فالمنحة الناقة أو الشاة يدفعها الرجل الى من يحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها عليه ـ والزعيم ـ الكفيل ويقال له أيضاً القبيل والصبير والحميل ومنه قوله تعالى (وأنا به زعيم) .. قال الشاعر

فلستُ بآمرٍ فيها بسِلمٍ ولكني على نفسى زَعيمُ

.. وقال آخر

قلتُ كفَى لكِ رَهنٌ بالرِّضا فازْعَمي يا هندُ قالتْ قدْ وَجَبْ

معناه اكفلي ويروى فاقبلي من القبيل الذي هو الكفيل أيضاً .. وقال الفراء القانع هو الذي يأتيك فيسألك فان أعطيته قبل ـ والمعتر ـ الذي يجلس عند الذبيحة ويمسك عن السؤال فكأنه يعرض في المسئلة ولا يصرح بها يقال قنِع الرجل قناعة اذا رضي وقنع قُنوعاً اذا سأل .. فأما قوله ـ لاجرم ـ فقال قوم معنى جرم كسب وقالوا في قوله تعالى (لاجرم أن لهم النار) أنّ لا ردٌّ على الكفار ثم ابتدأ فقال جرم ان لهم النار

بمعني كسب قولهم ان لهم النار •• وقال الشاعر

نَصبنا رَأْسهُ في رَأْسِ جِذْعٍ بما جَرَمَتْ يَدَاهُ وما اعتَدَينا

أي بما كسبت •• وقال آخرون معني جرم حقاً وتأول الآية بمعنى حقق قولهم أن لهم النار •• وأنشدوا

ولقد طَعَنْتُ أبا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً جَرَمَتْ فَزَارَةُ بَعدَها أَنْ تغضبا

أراد حققت فزارةُ •• وروى الفراء فزارة بالنصب على معنى أكسبت الطعنة فزارة الغضب •• وقال الفراء لاجرم فى الاصل مثل لا بد ولا محالة ثم استعملته العرب فى معنى حقاً وجاءت فيه بجواب الأيمان فقالوا لاجرم لأقومنّ كما قالوا والله لأقومن وفيها لغات يقال لا جَرَم ولاجُرْمَ بضم الجيم وتسكين الراء ولا جَرَ بحذف الميم ولا ذا جرم [1] •• قال الشاعر

إنَّ كِلاَباً والذِي لاَذَا جَرَمْ لأَهدُرَنَّ اليومَ هدراً في النَّعَم

(١)ــ قلت وفى أن بعد لا جرم وجهان •• الفتح وهو الغالب نحو لاجرم أن الله يعلم فالفتح عند سيبويه على أن جرم فعل ماض معناه وجب وأن وصلتها فاعل أى وجب أن الله يعلم ولا صلة زائدة للتوكيد ورده الفراء بان لا لاتزاد في أول الكلام وعلله فى المغني بأن زيادة الشيء تفيد اطراحه وكونه أول الكلام يفيد الاعتناء به وجوابه ما أجاب به الفارسى عن القول بزيادة لا في لا أقسم من أن القرآن كالسورة الواحدة •• وقال المرادى وجرم عند سيبويه بمعنى حقّ ولا ردٌّ لما قبلها واوقف على لا وأن وما بعدها فى موضع الفاعل والفتح عند الفراء على أن لا جرم مركبة من حرف واسم بمنزلة لا رجل في التركيب ومعناهما بعد التركيب لابد أو لا محالة ومن أو في بعدهما مقدرة أى لا بد من أن الله يعلم أو لامحالة في أن الله يعلم ونقل عن الفراء أن لا جرم بمنزلة حقاً وأصل جرم من الجرم بمعنى الكسب •• والكسر على ماحكاه الفراء عن العرب من أن بعضهم ينزلها منزلة اليمين فيقول لا جرم لآتينك ولا جرم لقد أحسنت ولا جرم إنك ذاهب بكسر إنَّ

هَذر المغنّي ذِي الشّقاشِقِ اللّهِمْ

والناب ــ الناقة الهرمة وجمعها نيب ومثلها الشارف .. قال الشاعر

لاَ أفتأُ الدّهرَ أبكيهمْ بأَرْبعةٍ ما اجترّتِ النّيبُ أو حنّتْ إلي بَلَدِ

ويقال للبعير أيضاً اذا كبر عودٌ وللأنثى عودةٌ .. قال الشاعر

عَوْدٌ على عوْدٍ مِنَ القُدُمِ الأُوَلْ يَموتُ بالتّركِ ويَحْيى بالعَمَلْ

وهذا من أبيات المعاني ومعناه بعيرٌ عود على طريق متقادم وسمى الطريق بأنه عود لتقادمه تشبيها بالبعير .. وقوله ــ يموت بالترك ويحيي بالعمل ــ أراد أنه اذا سُلك وطُرق ظهرت أعلامه وظهرت طرقه واهتدى سالكه لسلوكه ولم يضل عن قصده فكان هذا كالحياة له واذا لم يسلك طمست آثاره وانمحت معالمه فلم يهتد فيه راكب لقصد وكان ذلك كالموت له فأما ــ الخماشات ــ فهي الجنايات والجراحات .. قال ذو الرمة يذكر الحمار والأتن

رَبَاعٍ لها مُذْ أَوْرَقَ العُودُ عندَهُ خُمَاشاتُ ذَحْلٍ مايُرَادُ امتثالُها

يريد بقوله مايراد امتثالها أى مايراد اقتصاصها يقال أمثلنى من هذا الرجل واقدنى واقصنى بمعنى واحد .. فأما قوله ــ لا يورع ــ أى لا يحبس ولا يمنع ويقال ورعت الرجل توريعاً اذا منعته وكففته والورع هو الرجل المتحرج المانع نفسه مما تدعوه اليه يقال وَرِعَ ورَعاً ورعةً .. قال لبيد

أكُلَّ يومٍ هامتِي مقَزَّعَه لا يمنَعُ الفتيانَ مِنْ حُسْنِ الرِّعَه

ويقال ما ورّع أن فعل كذا وكذا أى ما كذّب فأما الورع بالفتح فهو الجبان وأما ــ الطروقة ــ فهي التي قد حان لها أن تطرق وهي الحِقّة وقوله فى الرواية الأخرى ــ الا من أعطى من رسلها ــ فالرسل اللبن ــ والافقار ــ هو أن يركبها الناس ويحملهم على ظهورها مأخوذ من فَقَار الظهر ــ والاطراق ــ للفحول هو أن يبذلها لمن يُنزيها على اناث ابله وذكر الاطراق فى هذه الرواية أحب الى من الطروقة لأنه قد تقدم من قوله انه يعطي الناب والبكرَ والضرعَ والمائة فلامعنى لاعادة ذكر الطروقة وقوله فى الجواب ــ تغدو الناس

فلايورع رجل عن جمل يخطمه فيمسكه ما بدا له ثم يرده ـ لا يحتمل غير الاطراق ولا يليق بمعنى الطروقة •• وكان قيس بن عاصم شريفاً فى قومه حليما ويكنى أبا على وكان الأحنف بن قيس يقول انما تعلمت الحلم [1] من قيس بن عاصم أوتى بقاتل ابنه فقال رعبتم الفتى وأقبل عليه وقال يا بني نقصت عددك وأوهنت ركنك وفتّت في عضدك وأشمت عدوك وأسأت بقومك خلوا سبيله وما حلّ حبوته ولا تغير وجهه •• وقال ابن الاعرابي قيل لقيس بماذا سدت قومك فقال بثلاث بذل الندى وكف الأذى ونصر الولي •• وذكر المدائنى قال كان قيس بن عاصم يقول لبنيه اياكم والبغي فما بغى قوم قط إلا قلوا وذلوا •• وكان الرجل من بنيه يظلمه بعض قومه فينهى اخوته أن ينصروه وقيس بن عاصم هو الذى حفز الحوفزان بن شريك الشيباني بطعنة فى يوم جدود [2]

---

(١) ـ قلت وبالأحنف هذا يضرب المثل فيقال أحلم من الأحنف وسئل هل رأيت أحلم منك قال نعم وتعلمت منه الحلم قيل ومن هو قال قيس بن عاصم المنقرى حضرته يوماً وهو محتب يحدثنا إذ جاؤا بابن له قتيل وابن عم له كتيف فقالوا ان هذا قتل ابنك هذا فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته حتى اذا فرغ من الحديث التفت اليهم فقال أين ابني فلان فجاءه فقال يابني قم الى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وأنشأ يقول

إنى امرؤ لا يعترى خلقى ... دنس يفنده ولا أفنُ
من منقرٍ من بيت مكرُمةٍ ... والغصن ينبت حوله الغصن
خُطباء حين يقوم قائلهم ... بيضُ الوجوه مصاقع لسنُ
لا يفطنون لعيب جارهمُ ... وهمُ لحسن جوارهِ فطنُ

وهو شاعر فارس شجاع حليم كثير الغارات مظفر فى غزواته أدرك الجاهلية والاسلام فساد فيهما وله وفادة على النبى صلى الله عليه وسلم

(٢) قوله يوم جدود جدود بالفتح موضع فى أرض بني تميم وكان من حديث ذلك اليوم ان الحارث بن شريك كانت بينه وبين بني يربوع موادعة ثم هم بالغدر بهم فجمع

فسمي الحارث الحوفزان ٠٠ وقال سَوَّار بن حيان المنقري في ذلك

ونحنُ حفزْنا الحَوْفزانَ بَطعنةٍ　　سقتهُ نجيعاً من دَمِ الجوفِ أشكلا
وحُمْرانَ قسراً أنزلتهُ رماحُنا　　يُعالجُ غلاًّ في ذِراعيهِ مُقفَلا

وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم

جزَا اللهُ يَرْبوعاً بأسوإِ سعيِها　　إذا ذُكِرَتْ في النائباتِ أمورُها
ويومَ جَدُودٍ قد فضحتُمْ ذِمارَكُمْ　　وسالمتُمُ والخيلُ تدمي نحورُها
ستَحطِمُ سَعْدٌ والرِّبابُ أنوفَكُمْ　　كما حَزَّ في أنفِ القَضيبِ جَريرُها

ـ القضيب ـ الناقة المقتضبة الصعبة ٠٠ وفي قيس يقول عَبْدة بن الطبّيب [1]

بني شيبان وبني ذهل واللهازم وقيس بن ثعلبة وتيم الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بني يربوع فنذر به عتيبة بن الحارث بن شهاب بن شريك فنادى في قومه بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريك على بني مقاعس واخوتهم بني ربيع فلم يجيبوهم فاستصرخوا بني منقر فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يوم شديد الحر فما شعر الحوفزان الا بالأهتم بن سمي بن سنان بن خالد ابن منقر واسم الأهتم سنان وهو واقف على رأسه فوثب الحوفزان الى فرسه فركبه وقال للأهتم من أنت فانتسب وقال هذه منقر فاقتتلوا قتالا شديداً فهزمت بكر بن وائل وخلوا ما كان في أيديهم وتبعهم بنو منقر بين قتل وأسر فأسر الأهتم حمران وقصد قيس بن عاصم الحوفزان ولم يكن له همة غيره والحارث على فرس له قارح يدعي الزبد وقيس على مهر فخاف قيس أن يسبقه الحارث فحفزه بالرمح في أسته فحفز به الفرس فجاء فسمي الحوفزان وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبني ربيع وسباياهم وأخذ أموال بكر ابن وائل وأساراهم وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات

[1] قوله يقول عبدة بن الطبيب ٠٠ قلت سبب هذه الأبيات ان عبدة وقيساً كان بينهما لحاء فهجره قيس بن عاصم ثم حمل عبدة دما في قومه ثم خرج يسأل فيما تحمّله فجمع

عليكَ سلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصمٍ ورحمتُهُ ما شاء أنْ يترحّما

سلامُ امرىءٍ جلّلتهُ منكَ نعمةً إذا زارَ عن شحطٍ بلادَكَ سلّما

فما كانَ قيسٌ هلكُهُ هلكَ واحدٍ ولكنّهُ بنيانُ قومٍ تهدّما

[قال المرتضي رضى الله عنه] ..ذاكرني بعض الأصدقاء بقول أبي دهبل الجمحي وهو يعني ناقته

وأبرزتُها من بطنِ مكّةَ عندما أصاتَ المنادِي بالصّلاةِ فأعتما (١)

وسألني إجازة هـذا البيت بأبيات تنضم اليه وأجعل الكناية فيه كأنها كناية عن امرأة لا عن ناقة فقلت في الحال

فطيّبَ ريّاها المقامُ وضوّأتْ بإشراقها بينَ الحطيم وزمزما

ابلا ومرّ به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الدية وقال فيم يسأل عبدة فأخبر فساق اليه الدية كاملة من ماله وقال قولوا له ليستدفع بما صار اليه وليسق هذه الى القوم فقال عبدة أما والله لولا أن يكون صاحبي إياه بعقب هـذا الفعل عاراً عليّ لصالحته ولكنى أنصرف الى قومي ثم أعود فأصالحه ومضى بالابل ثم عاد فوجد قيساً قد مات فوقف على قبره وأنشد الأبيات

(١) قوله وأبرزتها من بطن مكة الخ هو من أبيات حسان أولها

ألا عاقَ القلب المتيم كلما لجاجاً ولم يلزم من الحب ملزما

خرجتُ بها من بطن مكة بعدما أصات المنادي بالصلاة وأعتما

فما نام من راعٍ ولا ارتدّ سامرٌ من الحي حتى جاوزت بي يلملما

ومرّت ببطن البيت تهوي كأنما تبادرُ بالإدلاج نهباً مقسّما

أجازت على البزواء والليل كاسرٌ جناحين بالبزواء ورداً وأدهما

الخ الأبيات فقال له موسى بن يعقوب ما كنت الا على الريح فقال يا ابن أخي ان عمك كان اذا هم فعل وهي الحاجة

فيارَبِّ إنْ لقّيتَ وَجهاً تحيةً   فحَيِّ وُجُوهاً بالمَدينةِ سُهَّما
تجافينَ عن مَسّ الدّهان وطالَما   عَصَمْنَ عن الحنّاء كَفّاً ومِعصَما
وكَمْ من جَليدٍ لا يُخامِرُهُ الهوَى   شَنَنَّ عليه الوَجْدَ حتّى تَتَيَّما
أهانَ لهُنَّ النّفسَ وهيَ كَريمةٌ   وألقى اليهنَّ الحَديثَ المُكتَّما
تسفَّهتَ لمّا أنْ وَقفتَ بدَارِها   وعُوجِلتَ دُون الحِلْمِ أنْ تتحلَّما
فعُجتَ تقَرّي دَارساً مُتنكّراً   وتَسألُ مَصرُوفاً عن النُّطقِ أعْجَما
ويومَ وَقفنا للوَدَاعِ وكلُّنا   يعدُّ مُطيعَ الشّوقِ مَنْ كانَ أحزَما
نُصِرْتُ بقلبٍ لا يُعنَّفُ في الهوَى   وعينٍ متى استَمطَرْتُها قطَرَتْ دَما

وكان أبو دهبل من شعراء قريش وممن جمع الى الطبع التجويد واسمه وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيحة بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى بن غالب وكان اسم جمح تيما واسم أخيه زيداً وهما ابنا عمرو بن هصيص واستبقا الى غاية فمضى تيم عن الغاية فقيل جمح تيمٌ فسمى جُمح ووقف عليها زيد فقيل سهم زيدٌ فسمى سهماً .. فأما كنيته فهي مشتقة من الدهبلة وهى المشي الثقيل يقال دهبل الرجل دهبلة اذا مشى ثقيلا .. أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال قيل لأبي عمرو بن العلاء ما يعجبك من شعر أبي دهبل الجمحي فقال قوله

يا عَمْرُ حُمَّ فِراقُكُمْ عُمَرا   وعزَمْتِ منّا النّأيَ والهجْرا
يا عَمْرُ شيخَكِ وهوَ ذُو شرَفٍ   يَرْعى الزِّمامَ ويُكْرِمُ الصِّهْرا
والله ما أحبَبْتُ حبَّكمُ   لا ثيّباً خُلقتْ ولا بِكْرا
إنْ كانَ هذَا السِّحرُ منكِ فلا   تُرْعي عليَّ وجَدِّدي السِّحْرا

إحدَى بنى أَوَدٍ كَلِفتُ بها ... حمَلَتْ بلاَ تِرَةٍ لنا وِترا

وترَى لها دَلاًّ إذَا نَطقتْ ... تركَتْ بناتِ فؤاده صُعْرا

كتَساقطِ الرُّطَبِ الجَنِيِّ منَ ا ... أَقناء لا نَـثْرًا ولا نَزْرا

ومقالةٍ فيكمْ عرَكْتُ لها ... جَنْبي أُرِيدُ بها لكِ العُذْرا

ومُرِيدُ سِرّكمُ عدَاتُ بهِ ... عمَّا يحاولُ مَعْدِلاً وَعرَا

قالتْ يُقيمُ لنا لنجزِيَهُ ... يوماً فخيَّمَ عندَها شهرا

ما إنْ أُقيمُ لحاجةٍ عرَضتْ ... إلا لأُبلِى فيكُمُ عُذْرا

وإذا همَمْتُ برِحلةٍ جزِعتْ ... وإذا أقمنا لمْ تُفِدْ نقرا (١)

إنى لأَرضَى ما رَضيتِ بهِ ... وأرَى لحُسْنِ حدِيثكمْ شُكْرا

وروى أبو عمرو الشيبانى لأبى دهبل

يا ليتَ منْ يمنعُ المعرُوفَ يمنعهُ ... حتي تَذُوقَ رِجالٌ غِبَّ ما صنعوا

وليتَ رِزْقَ رِجالٍ مِثْلَ نائلهِمْ ... قوتٌ كقوتٍ ووُسعٌ كالذي وَسِعُوا

ويروى . . ضيق كضيق ووسع كالذى اتسعوا

وليتَ للناسِ خطًّا في وُجوهِهِمُ ... تبينُ أخلاقُهمْ فيهِ إذا اجتمعوا

وليتَ ذا الفحْشِ لاقَى فاحشاً أبدا ... ووافقَ الحلمُ أهلَ الحلمِ فاتدَعُوا

ولأبى دهبل فى قتل الحسين بن على عليه السلام

تَبِيتُ النَّشاوَى منْ أُمية نوَّما ... وبالطَّفِّ قتلَى ماينامُ حَميمُها

وما ضيَّعَ الإسلامَ إلاَّ عِصابةٌ ... تأمَّرَ نوْكاها ودامَ نَعيمُها

---

(١) النقر بالكسر مانقر ونقب من الخشب والحجر ونحوها كالنواة . . والمعنى لم تفد شيئاً

وصارت قناةُ الدِّينِ في كَفِّ ظالِمٍ ... إذا مالَ منها جانبٌ لا يُقيمُها

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال روى أبو عمرو الشيباني لأبي دهبل قال ويقال انها للمجنون

أأترُكُ ليلى ليسَ بيني وبينَها ... سِوى ليلةٍ إني إذًا لَصبُورُ

هَبُوني امرأً منكم أضلَّ بعيرَهُ ... له ذِمةٌ إنَّ الذِّمامَ كبيرُ

وللصاحبُ المتروكُ أعظمُ حُرْمةً ... على صاحبٍ من أن يَضلَّ بعيرُ

عفى اللهُ عن ليلى الغداةَ فإنَّها ... إذا وَلِيَتْ حُكماً عليَّ تجورُ

وروى أبو عمرو الشيباني لأبي دهبل وقد رواه أبو تمام في الحماسة له

أقولُ والرَّكبُ قد مالتْ عمائمُهُمْ ... وقد سقى القومَ كأسَ النشوةِ السَّهرُ

يا ليتَ أني بأثوابي وراحلتي ... عبدٌ لأهلكِ طُولَ الدَّهرِ مُؤتَجرُ

إنْ كانَ ذا قَدَرٌ يُعطيكِ نافلةً ... منّا ويَحرِمُنا ما أنصفَ القَدَرُ

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال مثل قول أبي دهبل

ولو تركونا لاهدى اللهُ أمرَهُمْ ... فلمْ يُلحِموا قولاً من الشرِّ يُنسَجُ (١)

---

(١) قوله ولو تركونا لاهدى الله أمرهم الخ هو من أبيات حسان قالها أبو دهبل في امرأة من قومه يقال لها عمرة كانت امرأة جزلة يجتمع الرجال عندها لانشاد الشعر والمحادثة وكان أبو دهبل لايفارق مجلسها مع كل من يجتمع اليها وكانت هي أيضاً محبة له وكان أبو دهبل من أشراف بني جمح وزعمت بنو جمح أنه تزوجها بعد وزعم غيرهم انه لم يصل اليها ولم يجر بينهما حلال ولا حرام وكانت عمرة تتقدم عليه في حفظ ما بينهما وكتمانه فضمن ذلك لها فجاء نسوة كنّ يحدثن اليها فذكرن لها شيئاً من أمر أبي دهبل وقلن قد علق امرأة قالت وما ذاك قلن ذكر أنه عاشق لك وانك عاشقة له فرفعت مجلسها ومجالسة الرجال ظاهرة وضربت حجاباً بينهم وبينها وكتبت الى أبي دهبل تعذله وتخبره

لأوشكَ صرفُ الدّهرِ تفريقَ بيننا * ولن يستقيمُ الدّهرُ والدّهرُ أعوجُ

قول العجاج لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره وتمنى موته

لمّا رآني أرعشتْ أطرافي * استعجلَ الدّهرَ وفيهِ كافي

يخترمُ الإلفَ عنِ الألّافِ

.. قال ومثله

بما بلغها من سوء صنيعه فعند ذلك يقول

تطاول هذا الليل ما يتبلّجُ * وأعيت غواشي عبرتي ما تفرّجُ

وبتُّ كئيباً ما أنام كأنما * خلالَ ضلوعي جمرة تتوهجُ

فطوراً أمنّي النفسَ من عمرةَ المنى * وطوراً اذا ما لجّ بي الحزنُ أنشجُ

لقد قطع الواشون ما كان بيننا * ونحن الى أن يوصل الحبل أحوجُ

رأوا غرّة فاستقبلوها بالبهم * فراحوا على ما لا نحب وأدلجوا

وكانوا أناساً كنت آمنُ غيبهمُ * فلم ينههم حام ولم يتحرّجوا

همُ منعونا ما نحبُّ وأوقدوا * علينا وشبوا نار صرم تأججُ

ولو تركونا لا هدى الله سعيهم * ولم يلحموا قولاً من الشر ينسجُ

لأوشك صرف الدهر يفرق بيننا * وهل يستقيم الدهر والدهر أعوجُ

عسى كربةٌ أمسيت فيها مقيمةٌ * يكون لنا منها نجاة ومخرجُ

فيكبتَ أعداءٌ ويجذل آلفٌ * له كبد من لوعة الحب تنضجُ

وقلت لعبّاد وجاء كتابُها * لهذا وربي كانت العينُ تخلجُ

وخططتُ في ظهر الحصير كأنني * أسيرٌ يخافُ القتل ولهانُ مُلفَجُ

فلما التقينا لجلجت في حديثها * ومن آية الصّرم الحديث الملجلَجُ

واني لمحجوبٌ عشية زرتها * وكنتُ اذا ما زرتها لا أعرّجُ

وأعيي عليّ القولُ والقولُ واسعٌ * وفي القول مستنٌّ كثيرٌ ومخرجُ

عَدِمتُ ابنَ عمٍّ لا يزالُ كأنّهُ وإنْ لم تراهُ مُنطوٍ لي على وترِ [(١)]

يُعينُ عليَّ الدهرَ والدهرُ مُكتفٍ وإنْ أستعنهُ لا يُعِنِّي على الدهرِ

[قال المرتضى رضى الله عنه] •• ومثل الجميع قول أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

إلى كم يكونُ العتبُ في كلِّ ساعةٍ وكم لا تملّين القطيعةَ والهجرا

رُوَيدكِ إنَّ الدهرَ فيهِ كفايةٌ لتفريقِ ذاتِ البينِ فانتظري الدهرا

﴿ مجلس آخر ٩ ﴾

[ان سأل سائل] ماوجه التكرار في سورة الكافرين وما الذى حسّن اعادة النفى لكونه عابداً مايعبدون وكونهم عابدين مايعبد وذكر ذلك مرة واحدة يغنى •• وماوجه التكرار في سورة الرحمن لقوله تعالى ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ •• الجواب يقال له قد ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة الكافرون وجهاً وهو أن قال القرآن لم ينزل دفعة واحدة وانما كان نزوله شيئاً بعد شيء والأمر في ذلك ظاهر فكأن المشركين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له استلم بعض أصنامنا حتى نؤمن بك ونصدق بنبوتك فأمره الله تعالى بأن يقول لهم ﴿لا أعبد ما تعبدون ولا أنا عابد ماعبدتم﴾ ثم غبروا مدة من الزمان وجاؤه فقالوا له اعبد بعض آلهتنا واستلم بعض أصنامنا يوماً أو شهراً أو حولا لنفعل مثل ذلك بالهك فأمره الله تعالى بأن يقول لهم ﴿ولا أنا عابدٌ ماعبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾

(١) قوله وان لم تراه الخ ان قال قائل لِمَ لَمْ يحذف الألف من تراه للجازم •• فجوابه انها ثبتت ضرورة أوهي اشباع والحرف الأصلي حذف للجازم وقيل هي أصلية بناء على قول من يجزم المعتل بحذف الحركة المقدرة ويقر حرف العلة على حاله ومثل البيت قوله

هجوتَ زبّانَ ثم جئت معتذراً من هجوِ زبّانَ لم تهجو ولم تدعِ

أي ان كنتم لا تعبــدون إلهي الا بهذا الشرط فانكم لا تعبدونه ابداً •• وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال انه يقتضى شرطاً وحذفاً لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو ما شرطه فى قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد قال واذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادته مايعبدون مطلقاً غير مشروط فكذلك ماعطفه عليه وهذا الطاعن غير صحيح لانه لايمتنع أثبات شرط بدليل وان لم يكن فى ظاهر الكلام ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة ••وعن هذا السؤال ثلاثة اجوبة كل واحد منها اوضح مما ذكره ابن قتيبة •• اولها ماحكى عن ابى العباس ثعلب انه قال انما حسن التكرار لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى وتلخيص الكلام قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد في هذه الحال أيضاً واختص الفعلان منه ومنهم بالحال •• وقال من بعد ولا أنا عابد ما عبدتم فى المستقبل ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تســتقبلون فاختلف المعانى وحسن التكرار فى اختلافها ويجب ان تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم انه لا يؤمن •• وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت في أبي جهل والمستهزئين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد والمستهزؤن هم العاصى بن وائل والوليد بن المغيرة والأسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث وعديّ بن قيس ••والجواب الثاني وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد كقول المجيب مؤكداً بلى بلى والممتنع مؤكداً لا لا •• ومثله قول الله تعالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) •• وأنشد الفراء

وكائنْ وكمْ عندِي لهمْ منْ صنيعةٍ أيادِيَ ثنَّوها عليَّ وأوْجبوا

•• وأنشد أيضاً

كَمْ نِعمةٍ كانتْ لكُمْ كَمْ كَمْ وكَمْ

•• وأنشد أيضاً

نَعقَ الغُرَابُ ببينِ لُبْنَي غُدْوَةً كم كم وكم لفِرَاقِ لُبنَى ينعِقُ

•• وقال آخر

أَرَدْتُ لنفسيَ بعضَ الأُمورِ فأَوْلِي لِنفسيَ أَوْلِي لَها

٠٠والجواب الثالث وهو أغربها اني لاأعبد الأصنام التي تعبدونها ولا أنتم عابدون ما أعبد أي أنتم غير عابدين الله الذي أنا عابده اذ أشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها معبودة من دونه أو معه وانما يكون عابداً له من أخلص له العبادة دون غيره وأفرده بها وقوله ولا أنا عابدٌ ما عبدتم أي لست أعبد عبادتكم وما في قوله ما عبدتم فى موضع المصدر كما قال تعالى (والأرض وما طحاها ونفس وما سواها) أراد طحيَه إياها وتسويته لها وقوله تعالى (ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) يريد بفرحكم ومرحكم ٠٠ قال الشاعر

يا رَبعَ سَلاَّمَةَ بالمُنحنَى بخَيفِ سَلعٍ جادَكَ الوَابلُ

إن تُمسِ وَحشاًفبماقدتُرَى وأنتَ مَعمورٌ بهِ آهلُ

أراد فبرؤيتك معموراً آهلا٠٠ومعنى قوله ولا أنتم عابدون أى لستم عابدين عبادتي على نحو ما ذكرناه فلم يتكرر الكلام الا لاختلاف المعاني ٠٠ وتلخيص ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للكفار لا أعبد آلهتكم ومن تدعونه من دون الله ولا أنتم عابدون الهي وان زعمتم انكم عابدون إلهي فأنتم كاذبون إذ كنتم من غير الجهة التى أمركم بها تعبدونه فأنا لاأعبد مثل عبادتكم ولا أنتم مادمتم على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتى ٠٠فان قيل أما اختلاف المعبودين فلاشبهة فيه فما الوجه فى اختلاف العبادة ٠٠قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يعبد من يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئاً وهم يشركون فاختلفت عباداتهماولأنه أيضاً كان يتقرب الي معبوده بالأفعال الشرعية التى تقع على وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك الأفعال ويتقربون بأفعال غيرها يعتقدون جهلا أنها عبادة وقربة ٠٠ فان قيل ما معنى قوله تعالى (لكم دينكم ولي دين) وظاهر هذا الكلام يقتضى اباحتهم المقام على أديانهم ٠٠قلنا فى هذا ثلاثة أجوبة٠٠أولها ان ظاهر الكلام وان كان ظاهره اباحة فهو وعيد ومبالغة فى النهي والزجر كما قال تعالي (اعملوا ما شئتم) ٠٠ وثانيها انه أراد لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ٠٠

وثالثها انه أراد لكم جزاؤكم ولي جزائي لان نفس الدين هو الجزاء .. قال الشاعر

إِذَا ما لقُونا لَقينَاهُمُ ... ودِنَّاهُمُ مثلَ مايقرِضونا

.. فأما التكرار في سورة الرحمن فانما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة فكلما ذكر نعمة أنعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره ألم أُحسن اليك بأن خولتك الأموال ألم أحسن اليك بأن خلصتك من المكاره ألم أحسن اليك بأن فعلت بك كذا وكذا فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم .. قال مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليباً

وهمّامُ بنُ مُرّةَ قد تركنا ... عليه القشعمانِ من النسور (١)

على أنْ ليسَ عدلاً من كُليب ... إذا طُرِدَ اليتيمُ عن الجزورِ

على أنْ ليسَ عدلاً من كليب ... إذا ما ضِيمَ جيرانُ المجيرِ

على أنْ ليسَ عدلاً من كليبِ ... إذا خرجتْ مخبأَّةُ الخدُور

على أنْ ليسَ عدلاً من كليب ... إذا رجفَ العضاهُ من الدَّبُورِ

على أنْ ليسَ عدلاً من كليبٍ ... إذا ما أُعلِنَتْ نجوى الأُمورِ

على أنْ ليسَ عدلاً من كليب ... إذا خيفَ المخوفُ من الثغورِ

على أنْ ليسَ عدلاً من كليبٍ ... غداةَ بلابلِ الأمرِ الكبيرِ

على أنْ ليسَ عدلاً من كليب ... إذا ما خامَ جارُ المستجيرُ

.. وقالت ليلى الأخيلية ترثي توبة بن الحُمَيِّر

(١) ـ قلت القشعمان مرفوع بالابتداء وخبره قوله عليه مقدماً والجملة في موضع النصب على الحال وتقديره وعليه فحذف الواو لأن الهاء في عليه تربط الكلام بأوله ويروى عليه القشعمين بالنصب ووجهه أن يكون منصوباً بقوله تركنا

لنعمَ الفتى ياتوبُ كُنتَ ولم تكُنْ　　لتُسبَقَ يوماً كُنتَ فيهِ تحاولُ
ونعمَ الفتى ياتوبُ كُنتَ إذا التقتْ　　صُدُورُ الأَعالي واُستَشالَ الأَسافلُ
ونِعمَ الفتى يا توبُ كُنتَ لخائفٍ　　أتاكَ لكَيْ يُحمي ونِعمَ المُحاملُ
ونعمَ الفتى يا توبُ جارًا وصاحباً　　ونعمَ الفتى يا توبُ حينَ تُناضلُ
لعَمرِي لأَنتَ المَرْءُ أبكي لفقدِهِ　　بجدٍّ ولو لامتْ عليهِ العواذلُ
لعَمرِي لأَنتَ المرْءُ أبكي لفقدِهِ　　ويكثُرُ تسهيدِي لهُ لا أُوائلُ
لعَمرِي لأَنتَ المَرْءُ أبكي لفقدِهِ　　ولوْ لامَ فيهِ ناقصُ العقلِ جاهلُ
لعمري لأَنتَ المرْءُ أبكي لفقدِهِ　　إذا كثُرتْ بالملْحمينَ البلابلُ
أَبا لكَ ذمُّ الناسِ يا توبُ كلّما　　ذُكِرتَ أُمورٌ مُحكَماتٌ كواملُ
فلا يُبعِدَنكَ اللهُ يا توبُ إنّما　　لَقيتَ حِمامَ الموْتِ والموتُ عاجلُ
ولا يُبعِدَنكَ اللهُ يا توبُ إنّها　　كذاكَ المنايا عاجلاتٌ وآجلُ
ولا يُبعِدَنكَ اللهُ يا توبُ والتقتْ　　عليكَ الغوادِي المُدْجناتُ الهواطلُ

فخرجت في هذه الابيات من تكرار الى تكرار لاختلاف المعاني التى عددتها على نحو ما ذكرناه ٠٠ وقال الحارث بن عبادٍ وكان قاضي العرب

قرِّبا مَربَطَ النعامةِ منّي　　لَقحتْ حرْبُ وائلٍ عنْ حِيالِ

ثم كرر قوله قرّبا مربط النعامة في أبيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذى ذكرناه ٠٠ وقالت ابنة عم للنعمان بن بشير ترثى زوجها

وحدّثني أَصحابُهُ أنّ مالكاً　　أَقامَ ونادَى صحبَهُ برَحيلِ
وحدّثني أَصحابُهُ أنّ مالكاً　　ضَرُوبٌ بنصلِ السَّيفِ غيرُ نكُولِ

وحدَّثني أصحابُهُ أنَّ مالِكاً   خفيفٌ على الحدثانِ غيرُ ثقيل

وحدَّثني أصحابُهُ أنَّ مالِكاً   جَوادٌ بما في الرَّحلِ غيرُ بخيلِ

وحدَّثني أصحابُهُ أنَّ مالِكاً   صَرُومٌ كماضي الشفرتينِ صقيلِ

وهذا المعنى أكثر من أن نحصيه وهذا هو الجواب عن التكرار فى سورة المرسلات بقوله عز وجل ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ .. فان قيل اذا كان الذي حسن التكرار فى سورة الرحمن ما عدده من الآيات ومن نعمه فقد عدد فى جملة ذلك ماليس بنعمة وهو قوله ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ وقوله ﴿ هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ .. فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ وليس هذا من الآلاء والنعم .. قلنا الوجه في ذلك أن فعل العقاب وان لم يكن نعمة فذكره ووصفه والانذار به من أكبر النعم لأن فى ذلك زجراً عن مايستحق به العقاب وبعثاً على مايستحق به الثواب فانما أشار تعالى بقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان بعد ذكر جهنم والعذاب فيها الى نعمة يوصفها والانذار بعقابها وهذا مما لاشبهة فى كونه نعمة.

[قال المرتضى رضى الله عنه] .. وكما أنه في الجاهلية وقبل الاسلام وفى ابتدائه قوم يقولون بالدهر وينفون الصانع وآخرون مشركون يعبدون غير خالقهم ويستنزلون الرزق من غير رازقهم أخبر الله عنهم فى كتابه وضرب لهم الأمثال وكرر عليهم البينات والاعلام فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يتستر باظهار الاسلام ويحقن باظهار شعائره والدخول فى جملة أهله دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون فمنعهم عن الاسلام عن المظاهرة وألجأهم خوف القتل الى المساترة وبلية هؤلاء على الاسلام وأهله أعظم وأغلظ لأنهم يدغلون في الدين ويموهون على المستضعفين بجأش رابط ورأي جامع فعل من قد أمن الوحشة ووثق بالأنسة بما يظهره من لباس الدين الذى هو منه على الحقيقة عار وبأثوابه غير متوار .. كما حكى ان عبد الكريم بن أبي العوجا قال لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور وأحضره للقتل وأيقن

بمفارقة الحياة لئن قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة . . والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبدالملك . والحمادون حماد الراوية . وحماد بن الزبرقان . وحماد عجرد . وعبد الله بن المقفع . وعبد الكريم بن أبي العوجا . وبشار بن برد . ومطيع بن إياس . ويحيى بن زياد الحارثي . وصالح بن عبد القدوس الازدي . وعلي بن خليل الشيباني وغير هؤلاء ممن لم نذكره وهم وإن كان عددهم كثيراً فقد أقلهم الله وأذلهم وأرذلهم بما شهدت به دلائله الواضحة وحججه اللائحة على عقولهم من الضعف وآرائهم من السخف ونحن نذكر من أخبار كل واحد ممن ذكرناه وتهمته في دينه نبذة ونومئ فيها الى جملة كافية والذى دعانا الى التشاغل بذلك وان كانت عنايتنا بغيره أقوى مسئلة من نرى اجابته ونؤثر موافقته فتكلفناه له من أجله مع انه غير خال من فائدة ينفع علمها ويتأدب بروايتها وحفظها . . أما الوليد فكان مشهوراً بالالحاد متظاهراً بالعناد غير محتشم في اطراح الدين أحداً ولا مراقب فيه بشراً وفي الحديث انه وُلِدَ لأخي أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد فقال النبي عليه الصلاة والسلام سميتموه بأسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد لهو شرٌّ على هذه الأمة من فرعون على قومه قال الأوزاعي فسألت الزهري عنه فقال ان استخلف الوليد بن يزيد وإلاّ هو الوليد بن عبد الملك . . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على أن يبني فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمور ويشرف على الطواف فقال بعض الحجبة لقد رأيت المجوسي البنّاء فوق الكعبة وهو يقدّر مواضع أركان القبة فلم تمس تلك الليلة حتى وافى الخبر بقتل الوليد . . وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني عبد الله بن يحيي العسكري عن أبي اسحاق الطلحي قال أخبرني أحمد بن ابراهيم بن اسمعيل عن أبي العالية قال أخبرني بعض أهل العلم قال قال يزيد بن الوليد وهو الملقب بالناقص لما ولي نشدت الله رجلاً سمع شيئاً من الوليد الا أخبر به فقام ثور بن يزيد فقال اشهد لسمعته وهو يقول

إسقياني وابنَ حرْبٍ   واستُرَانا بإزَارِ

وأتركا من طلب الجنة يسعى في خسار

سأسوس الناس حتى يركبوا دين الحمار

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني ابن خالد النخاس قال حدثنا محمد بن مكحول قال نشر الوليد بن يزيد يوماً المصحف وكان خصه كأنه أصابع وجعل يرميه بالسهام ويقول

يذكرني الحساب ولست أدري أحقاً ما يقول من الحساب

فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شرابي

[قال الشريف المرتضى رضى الله عنه] .. ويله من هذه الجراءة على الله ويلاً طويلا وما أقدر الله أن يمنعه طعامه وشرابه وحياته وما أولاه اللعين بأليم العذاب وشديد العقاب لولا ماتم به المحنة وينتظم به التكاليف من تأخير المستحق من الثواب والعقاب وتبعيدهما من أحوال الطاعات والمعاصى .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثني أحمد بن كامل قال كان الوليد بن يزيد زنديقاً وانه افتتح المصحف يوماً فرأى فيه (واستفتحوا وخاب كل جبارٍ عنيدٍ) فاتخذ المصحف غرضاً ورماه حتى مزقه بالنبل وهو يقول

أتوعد كل جبارٍ عنيدٍ فها أنا ذاك جبارٌ عنيدُ

فإن لاقيت ربك يوم حشرٍ فقل يارب خرقني الوليدُ

وأما حماد الراوية فكان متسامحاً من الدين وزارياً على أهله مدمناً لشرب الخمور وارتكاب الفجور .. وقال أبو عمرو الجاحظ كان منقذ بن زياد الهلالي ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد وحفص بن أبي وردة وقاسم بن زنقطة وابن المقفع ويونس بن أبي فروة وحماد عجرد وعلي بن الخليل وحماد بن أبي ليلى الراوية وحماد بن الزبرقان ووالبة بن الحباب وعمارة بن حمزة بن ميمون ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ المهلبي وبشار بن برد المرعث وأبان اللاحقي يجتمعون على الشرب وقول الشعر ويهجو بعضهم بعضاً وكل منهم متهم فى دينه .. وعمل يونس بن أبي فروة كتاباً فى مثالب العرب وعيوب الاسلام

بزعمه وصار به الى ملك الروم فأخذ منه مالاً •• وقال أحمد بن يحيي النحوى قال رجل يهجو حمّاد الراوية

نِعْمَ الفَتى لوْ كانَ يَعرِفُ رَبَّهُ ويُقيمُ وَقتَ صلاَتِه حَمَّادُ
بَسَطَتْ مَشافِرَهُ الشَّمولُ فأَنفُهُ مِثلُ القَدُومِ يَسنُّها الحَدَّادُ
وابيَضَّ مِنْ شُربِ المُدامةِ وجهُهُ فبَياضُهُ يومَ الحِسابِ سَوَادُ
لا يُعْجِبنَّكَ بَزُّهُ ولِسانُهُ إنَّ المَجُوسَ يُرَى لها أَسْبادُ

وكان حماد مشهوراً بالكذب فى الرواية وعمل الشعر واضافته الى الشعراء المتقدمين ودسه فى أشعارهم حتى ان كثيراً من الرواة قالوا قد أفسد الشعر لأنه كان رجلا يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل ما يشاكل طريقته[1] فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم

---

(١) قوله يدخل في شعر كل رجل ما يشاكل طريقته الخ فمن ذلك ان المهدي سأل المفضل الضبى عن سبب افتتاح زهير قصيدته

دع ذا وعدّ القول فى هرم خير البُداة وسيد الحُضْر

ولم يتقدم له قبل ذلك قول فما الذي أمر نفسه بتركه فقال له المفضل إني توهمته كان مفكراً فى شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا أي دع ما انت فيه من الفكر وعد القول في هرم فامسك عنه ودعى حماداً فسأله فقال ليس هكذا قال زهير وأنشده

لمن الديار بقنة الحجر أقوين مذ حجج ومذ دهر
قفر بمندفع النحائت من ضفوى أولات الضال والسدر

دع ذا الخ فاستحلفه المهدي فأقر أنه هو الذى ادخلها فى شعر زهير فأمر المهدي ان من اراد شعراً محدثاً فليأخذه من حماد ومن اراد رواية صحيحة فليأخذها من المفضل •• وقال له الوليد بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية فقال بأنى اروي لكل شاعر تعرفه او سمعت به ثم اروى لأكثر منهم ممن تعرف أنك لا تعرفه ولم تسمع به ثم لا أنشد شعراً لقديم ولا محدث إلا ميزت القديم منه من المحدث فقال ان هذا لعلم

وهذا الفعل منــه وان لم يكن دالاً على الالحاد فهو فسق وتهاون بالكذب في الرواية .. وأما حماد بن الزبرقان فهذه طريقته في التخرم والتهتك .. أخبرنا أبو الحسن علي ابن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا الاشناندانى قال دعا حماد بن الزبرقان أبا الغول النهشلي الى منزله وكانا يتقارضان فانتهره أبو الغول فلم يزل المفضل به حتى أجابه وانطلق معــه فلما رجع الى المفضل قال ما صــنعت أنت وحماد قال اصطلحنا على أن لا آمره بالصلاة ولا يدعوني الى شرب الخمر .. ثم أنشد المفضل قوله

* نعم الفتى لو كان يعرف ربه *

وذكر الأبيات التي تقدمت في الرواية الأخرى منسوبة الى هجا حماد الراوية .. فأما حماد عجرد فشهرته في الضلالة كشهرة الحمادين وكان يرمي مع ذلك بالثنية .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن عبد الله الفارسي قال أخبرني أبي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني علي بن عبد الله بن سعد قال حدثني السري عن الصباح الكوفي قال دخلت على بشار بالبصرة فقال لي يا أبا علي أما إني قد أوجعت صاحبكم وبلغت منه يعني حماد عجرد فقلت بماذا يا أبا معاذ فقال بقولي فيه

يا ابن نهيا رأسٌ عليَّ ثقيلٌ   واحتمالُ الرأسين خطبٌ جليلُ

فادعُ غيري إلي عبادة ربيــــن فإني بواحدٍ مشغولُ

فقلت له أدعه في عماه ثم قلت له قد بلغ حماد هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا قال ماذا يقول قلت يقول

فادعُ غيري إلي عبادة ربيــــن فإني عن واحدٍ مشغولُ

وأبيك كبير فكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثيراً ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شــعر الاسلام فامتحنه فأنشده حتى ضجر فوكل به من سمع منه ألفين وتسعمائة قصــيدة للجاهليين فأمر له بمائة ألف درهم واسم أبيه ميسرة

فلما سمعه أطرق وقال أحسن والله ابن الفاعلة ثم قال اني لأحتشمك فلا تنشد أحداً هذين البيتين وكان اذا سئل عنهما بعد ذلك قال ما هما لي •• وأخبرنا المرزباني قال أخبرني عليّ بن هارون عن عمه يحيى بن عليّ عن عمر بن شبة قال حدثني خلاد الأرقط قال بشار بلغني ان رجلا كان يقرأ القرآن وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس على القارئ فقال حماد علام تجتمعون فوالله لما أقول أحسن مما يقول فقتله الناس على هذا •• وروى ابن شبة عن أبي عُبيدة قال كان حماد عجرد يعيّر بشاراً بالقبح لأنه كان عظيم الجسد مجدوراً طويلا جاحظ العينين قد تغشاها لحم أحمرُ فلما قال حماد فيه

والله ما الخنزيرُ في نَتْنهِ   بِرُبْعهِ في النَّتنِ أو خُمْسهِ

بلْ ريحهُ أطيبُ منْ ريحه   ومَسُّهُ أليَنُ منْ مَسِّه

ووَجههُ أحسنُ منْ وَجهه   ونفسهُ أفضلُ منْ نفسه

وعودُهُ أكرمُ منْ عوده   وجنسهُ أكرمُ منْ جنسه

فقال بشار ويلي على الزنديق لقد نفث بما في صدره قيل وكيف ذاك قال ما أراد الزنديق الا قول الله تعالى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) فأخرج الجحود بها مخرج هجائي وهذا خبث من بشار وتغلغل شديد •• وأول من جعل نفي الالحاد تأكيداً للوصف به وأخرج ذلك مخرج المبالغة مساور الوراق في حماد عجرد فقال

لوْ أنَّ ماني وديصاناً وعصبتهمْ   جاؤا إليكَ لَماَ قلْناكَ زنديقُ

أنتَ العبادةُ والتوحيدُ مُذْ خلقَا   وذا التزندُقُ نيرنجٌ مخاريقُ

•• فأما ابن المقفع [1] فان جعفر بن سليمان روى عن المهدي انه قال ماوجدت كتاب

---

(١) اسم ابن المقفع روزبة قبل الاسلام وعبد الله بعده والمقفع اسمه المبارك ولقب بالمقفع لأن الحجاج بن يوسف ضربه ضرباً فتقفعت يده ورجل متقفع اليدين أي متشنجهما وقيل هو المقفع بكسر الفاء لعمله القفعة بفتح القاف وسكون الفاء والقفعة شيء يشبه الزنبيل بلا عرى وتعمل من خوص ليست بالكبيرة •• وقال الليث القفعة تتخذ من خوص مستديرة يجتنى فيها الرطب ونحوه

زندقة قط إلاّ وأصله ابن المقفع •• روى ابن شبّة قال حدثني من سمع ابن المقفع وقد مر ببيت نارٍ للمجوس بعد ان أسلم فلمحه وتمثل

يا بيتَ عاتكةَ الذى أتعزّلُ حذَرَ العِدَي وبكَ الفؤادُ مُوكّلُ

إني لأمنحُكَ الصُّدودَ وإنّني قسماً اليكَ مع الصُّدودِ لأميَلُ

وروى أحمد بن يحيى ثعلب قال قال ابن المقفّع يرثي يحيي بن زياد وقال الاخفش والصحيح انه يرثى بها ابن أبي العوجا

رُزِئْنا أَبا عمرو ولا حيَّ مثلهُ فللّه رَيبُ الحادثاتِ بمَنْ وَقعْ

فإنْ تكُ قدفارقتَناوتركتَنا ذَوِي خَلّةٍ مافي انسدادِلهاطَمعْ

لقدْ جرَّ نفعا فقدُنا لكَ أنّنا أمِنَّا على كلِّ الرَّزايامنَ الجزَعْ

قال ثعلب البيت الأخير يدل على مذهبهم فى أن الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير •• وأخبرنى عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنى محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي من حفظه، قال حدثنا خالد بن خداش قال كان الخليل بن أحمد يحب أن يرى عبد الله بن المقفع وكان ابن المقفع يحب ذلك فجمعهما عبّاد بن عباد المهلبي فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهنّ فقيل للخليل كيف رأيت عبد الله قال ما رأيت مثله وعلمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال مارأيت مثله وعقله أكثر من علمه قال المغيرة فصدقا أدّى عقل الخليل الخليل الى ان مات أزهدَ الناس وجهلُ ابن المقفع أدّاه الى ان كتب أماناً لعبد الله بن عليّ فقال فيه ومتى غدر أمير المؤمنين بعمّه عبد الله فنساؤه طوالقٌ ودوابه حُبسٌ وعبيده أحرارٌ والمسلمون فى حِلٍّ من بيعته فاشتد ذلك على المنصور جدًّا وخاصةً أمر البيعة •• وكتب الى سفيان بن معاوية المهلبي وهو أمير البصرة من قبله بقتله فقتله وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيّد الكلام فصيح العبارة له حكم وأمثال مستفادة •• من ذلك ما روي من ان يحيي بن زياد الحارثى

كتب اليه يلتمس معاقدة الإخاء والاجتماع على المودّة والصفاء فأخّرجوا به فكتب اليه كتاباً آخر يسترثيه فكتب اليه عبد الله ان الإخاء رقٌّ فكرهت ان أملكك رقي قبل ان أعرف حسن كنهك ٠٠ وكان يقول ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء والعشير السوء والجليس السوء فان ذلك لايكاد يخطئك ٠٠ وكان يقول اذا نزل بك أمر مهم فانظر فان كان مما له حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع ٠٠ ودعاه عيسى ابن علي للغداء فقال أعز الله الأمير لست يومي للكرام أكيلا قال ولم قال لاني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الأحرار ٠٠ وكتب الى بعض اخوانه أما بعد فتعلّم العلم ممن هو أعلم به منك وعلمه من أنت أعلم به منه فانك اذا فعلت ذلك علمت ماجهلت وحفظت ماعلمت ٠٠ وقال لبعض الكتاب إياك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة فان ذلك هو العيّ الأكبر ٠٠ وقال لآخر عليك بما سهل من الألفاظ مع التجنب لألفاظ السفلة ٠٠ وقيل له ما البلاغة فقال التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها ٠٠ وقال لاتحدث من تخاف تكذيبه ولا تسأل من تخاف منعه ولا تعد مالا تريد إنجازه ولا تضمن مالاتثق بالقدرة عليه ولا ترج ماتعنف برجائه ولا تقدم على ما تخاف العجز عنه ٠٠ وقال لبعض اخوانه اذا صاحبت ملكا فاعلم انهم ينسبونك الى قلة الوفاء فلا تشعرن قلبك استبطاءه فانه لم يشعر أحد قلبه إلا ظهر على لسانه ان كان سخيفاً وعلى وجهه ان كان حليما ٠٠ وكان يقول ان مما سخا بنفس العالم عن الدنيا علمه بان الأرزاق لم يقسم فيها على قدر الأخطار ٠٠ وأما ابن أبي العوجا فقد ذكر ماروى من اعترافه بدسه في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام أحاديث مكذوبة وروى انه رأى عدلاً قد كتب عليه آية الكرسي فقال لصاحبه لم كتبت هذا عليه فقال لئلا يسرق فقال قد رأينا مصحفاً سرق ٠٠ ولبشار فيه

قُلْ لعبدِ الكريم يا ابنَ أبي العوْ ... جاءَ بعتَ الإسلامَ بالكُفرِ موقا

لا تُصلّي ولا تَصومُ فإنْ صُمْـ ... ـتَ فبعضَ النّهارِ صوماً دقيقا

لا تُبالي إذا أَصبتَ من الخمْـ ... ـرِ عتيقاً ألاّ تكونَ عتيقا

لَيْتَ شِعْرِي غَدَاةَ حُلِّيتَ فِي الْجُنْــدِ حَنِيفاً حُلِّيتَ أَمْ زِنْدِيقا

فأما بشار بن برد فروى المازنى قال قال رجل لبشار أتأكل اللحم وهو مباين لديانتك يذهب الى انه ثنوى فقال بشار ان هذا اللحم يدفع عني شر هذه الظلمة ٠٠ قال المبرد ويروى ان بشاراً كان يتعصب للنار على الأرض ويصوّب رأى ابليس فى الامتناع عن السجود وروى له

النَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّارُ

وروى بعض أصحابه قال كنا اذا حضرت الصلاة نقوم اليها ويقعد بشار فنجعل حول ثوبه تراباً لننظر هل يصلى فنعود والتراب بحاله ولم يقم الى الصلاة ٠٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني على بن عبد الله الفارسى قال أخبرني أبى قال حدثني ابن مهرويه عن أحمد بن خلاد قال حدثني أبى قال كنت أكلم بشاراً وأرد عليه سوء مذهبه بميله الى الالحاد فكان يقول لا أعرف الا ماعاينت أو عاينه معاين فكان الكلام يطول بيننا فقال ماأظن الأمر ياأبا مخلد الا كما يقال انه خذلان ولذلك أقول

طُبِعْتُ عَلَى مَا فِيَّ غَيْرَ مُخَيَّرٍ هَوَايَ وَلَوْ خُيِّرْتُ كُنْتُ الْمُهَذَّبَا

أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى وَلَمْ أُرِدْ وَغُيِّبَ عَنِّي أَنْ أَنَالَ الْمُغَيَّبَا

وَأُصْرَفُ عَنْ قَصْدِي وَعِلْمِي مُبَصِّرٌ وَأُمْسِي وَمَا أَعْقَبْتُ إِلَّا التَّعَجُّبَا

قال الجاحظ كان بشار صديقاً لواصل بن عطاء الغزّال قبل أن يظهر مذاهبه المكروهة وكان بشار مدح واصل بن عطاء وذكر خطبته التي نزع منها الراء وكانت على البديهة فقال

تَكَلَّفَ الْقَوْمُ وَالأَقْوَامُ قَدْ حَفَلُوا وَحَبَّرُوا خُطَباً نَاهِيكَ مِنْ خُطَبِ

فَقَامَ مُرْتَجِلاً تَغْلِي بَدَاهَتُهُ كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ لَمَّا حُفَّ بِاللَّهَبِ

وَجَانَبَ الرَّاءَ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَ التَّصَفُّحِ وَالإِغْرَاقِ فِي الطَّلَبِ

.. ومثل ذلك قول بعضهم في واصل

ويجعلُ البُرَّ قمحاً في تكلُّمهِ　　وجانبَ الرَّاء حتَّى احتالَ للشَّعَرِ

ولَمْ يقُلْ مَطراً والقَوْلُ يُعجِلُهُ　　فعاذَ بالغيثِ إشفاقاً منَ المَطرِ

فلما أظهر بشار مذاهبه هتف به واصل فقام بذكره وتكفيره وقعد فقال بشار فيه

ما لي أُشايعُ غزَّالاً لهُ عُنُقٌ　　كنقنقِ الدَّوِّ إنْ وَلَّى وإنْ مَثَلا

عُنْقَ الزَّرافةِ ما بالي وبالُكُمُ　　تُكَفِّرُونَ رِجالاً أكفَرُوا رَجُلا

فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحاده قال عند ذلك أما لهذا الأعمى الملحد أما لهذا المشنف المكنى بأبي معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لدست اليه من يبعج بطنه في جوف منزله على مضجعه أو في يوم حفلة ثم كان لايتولى ذلك إلا عقيلي أو سدوسي[1] فعدل واصل بن عطاء من الضرير الى الأعمى ومن الكافر الى الملحد ومن المرعث الى المشنف ومن بشار الى أبي معاذ ومن الفراش الى المضجع ..وزاد قوم فقالوا ومن أرسلت الى دست ومن يبقر الى يبعج ومن داره الى منزله ومن المغيرية الى الغالية والأول أشبه بان يكون مقصوداً وما ذكر ثانياً فقد يتفق استعماله من غير عدول عن استعمال الراء .. فأما قوله لايتولى ذلك الا عقيلي فلأن بشاراً كان مولى لهم وذكره بني سدوس لأن بشاراً كان ينزل فيهم فأما لقب بشار بالمرعث فقد قيل فيه ثلاثة أقوال . أحدها انه لقب بذلك لبيت قاله وهو

قالَ ريمٌ مُرَعَّثٌ　　فاترُ الطَّرْفِ والنَّظَرْ

---

(١) وسئل عثمان البرى كيف كان يصنع واصل في العدد وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الاربعاء وشهر رمضان وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الآخرة ورجب فقال مالي فيه قول الا ماقال صفوان

ملقنٌ ملهم فيما يحاوله　　جم خواطره جواب آفاق

لَسْتَ واللهِ نائِلِي قُلْتُ أو يَغلِبَ القَدَرْ

• والقول الثاني انه كان لبشّار ثوبٌ له جيبان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فكان اذا أراد لبسه يضمه عليه ضمًا من غير ان يدخل رأسه فيه فشبهاسترسال الجيبين وتدليهما بالرّعاث وهي القرطة فقيل المرعّث ٠٠وقال أبو عبيدة انما سمي المرعّث لانه كان يلبس في صباه رعاثا وهذا هو القول الثالث ٠٠ وكان بشار مقدما فى الشعر جداً حتى ان كثيراً من الرواة يلحقه بمن تقدم عصره عليه من المجوّدين٠٠ وأخبرنا المرزبانى عن محمد بن يحيي الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن اليشكرى قال قيل لأبي حاتم من أشعر الناس قال الذى يقول

وَلها مَبْسَمٌ كَثَغْرِ الأَقاحي وحَدِيثٌ كالوَشْيِ وَشْيِ البُرُودِ
نَزَلَتْ في السَّوادِ مِنْ حَبَّةِ القلبِ ونالَتْ زِيادَةَ المُسْتَزِيدِ
عِنْدَها الصَّبْرُ عَنْ لِقايَ وعِنْدِي زَفَراتٌ يأْكُلْنَ صَبْرَ الجَلِيدِ

يعنى بشاراً قال وكان يقدمه على جميع الناس ولما قال بشار

بَنِي اميَّةَ هُبُّوا طالَ نومُكُمُ إنَّ الخليفةَ يعقوبُ بنُ داوُدِ
ضاعَتْ خِلافَتُكُمْ ياقومِ فالتَمِسوا خليفةَ اللهِ بَيْنَ النّاىِ والعُودِ

فبلغ المهدى ذلك فوجد عليه وكان سبب قتله

مجلس آخر ١٠

فأما مطيع بن إياس الكناني فأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى عن على بن هارون عن عمه يحيي بن عليّ عن أبي أيوب المدنى عن أحمد بن ابراهيم الكاتب قال أخبرني أبي قال رأيت بنتاً لمطيع بن إياس قد أُتي بها فى أول أيام الرشيد فأقرّت بالزندقة وقراءتها وتابت وقالت هذا شيء علمنيه أبي فقبل الرشيد توبتها وردّها الى أهلها٠٠وقال محمد بن داود الجراح فى أخبار مطيع بن إياس انه كان يرمى بالزندقة ٠٠ روى انه

لما حضرته الوفاة أحاط به أهل بيته فأقبلوا يقولون له قل يامطيع لاإله إلاالله فلا يقول حتى صارت نفسه في ثغرة نحره تنفس ثم أهوى الى الكلام فقالوا له قل لاإله الا الله فتكلم كلاما ضعيفاً فتسمّعوا له فاذا هو يقول

لَهفَ نفسي على الزمانِ وفي أيّ زمانٍ دهتني الأزمانُ
حينَ جاء الرَّبيعُ واستُقبِلَ الصيّفُ وطابَ الطلاءُ والرَّيحانُ

قال المرزباني وهذا الحديث يرويه الهيثم بن عدي ليحيي بن زياد .. فأما يحيي بن زياد فهو يحيي بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي الكوفي وزياد بن عبيد الله هو خال أبي العباس السفاح ويكنى يحيي أبا الفضل وكان يعرف بالزنديق وكانوا اذا وصفوا إنسانا بالظرف قالوا هو أظرف من الزنديق يعنون يحيي لانه كان ظريفاً وهذا المعنى قصد أبو نواس بقوله

تيهُ مُغَنٍّ وظَرفُ زنديقِ

قال الصولي وانما قال ذلك لان الزنديق لايدع شيئاً ولا يمتنع عما يدعي اليه فنسبه الى الظرف لمساعدته على كل شيء وقلة خلافه .. وروى انه قيل ليحيي بن زياد وهو يجود بنفسه قل لاإله إلا الله فقال

لم يَبقَ إلاَّ القِرطُ والخلاخلُ

ثم أغمى عليه فلما أفاق أعيد عليه القول فقال

وبازلٌ تَغلي بهِ المَراجلُ

وروى محمد بن يزيد قال قال مطيع بن إياس يرثي يحيي بن زياد وكانا جيعاً مرميين بالخروج عن الملة

يا أهلُ بكُّوا لقلبيَ القَرِحِ وللدُّموعِ الهوامِلِ السُّفُحِ
راحوا بيَحيَى إلى مُغيَّبهِ في القبرِ بينَ التُّرابِ والصُّفُحِ
راحوا بيحيي ولو تُساعِدُني الـ أقدارُ لم يَبتَكِرْ ولم يَرُحِ

يا خيرَ من يحسنُ البكاءُ لهُ الـــيومَ ومَنْ كانَ أمسِ للمدَحِ
قد ظفرَ الحزنُ بالسُّرورِ وقد أُديلَ مكروهُنا من الفرَحِ

ولمطيع يرثيه

أُنظرْ إلى الموتِ كيفَ بادهَهُ والموتُ مقدامةٌ على البُهَمِ
لو قد تدبَّرتَ ما صنعتَ بهِ قرعتَ سناً عليهِ من ندَمِ
فاذهبْ بمن شئتَ إذ ذهبتَ بهِ ما بعدَ يحيي للرُّزْءِ من ألَمِ

وأما صالح بن عبـد القدوس فكان متظاهراً بمـذاهب الثنوية ويقال ان أبا الهذيل العلاّف ناظره فقطعـه ثم قال له على أى شيءٍ تعزم ياصالح فقال أستخير الله وأقول بالاثنين فقال أبو الهذيل فأيهما استخرت لاأملك ٠٠ وروى ان أبا الهذيل ناظره في مسئلة مشهورة في الامتزاج الذي ادّعوه بين النور والظلمة وأقام عليه الحجة فانقطع وأنشأ يقول

أبا الهذيلِ هداكَ اللهُ يا رجلُ فأنتَ حقاً لعمري مُعضلٌ جدِلُ

وروى انه رُؤى يصلى صلاة تامة الركوع والسجود فقيل له ماهذا ومذهبك معروف قال سنّة البلد وعادة الجسد وسـلامة الأهل والولد ٠٠ ويقال انه لما أراد المهدى قتله على الزندقة رمي اليه بكتاب قال له اقرأ هذا قال وما هو قال كتاب الزندقة قال صالح أو تعرفه أنت ياأمير المؤمنين اذا قرأته قال لا قال أفتقتلنى على مالا تعرف قال فانى أعرفه قال صالح فقد عرفته ولست بزنديق وكذلك اقرؤه ولست بزنديق ٠٠ وذكر محمد بن يزيد المبرّد قال ذكر بعض الرواة ان صالحاً لما نوظر فيما قذف به من الزندقة بحضرة المهدى قال له المهدى ألست القائل فى حفظك ما أنت عليه

رَبَّ سرٍّ كتمتُهُ فكأنى أخرسٌ أو ثنى لساني خَبَلُ
ولو انّى أبديتُ للنّاسِ علمى لم يكُنْ لي في غيرِ حبسي أكلُ

قال صالح فاني أتوب وأرجع فقال له هيهات ألست القائل

والشَّيخُ لا يَتركُ عاداتِهِ حتَّى يُوارَى في ثرَى رَمسِهِ
إذا ارْعوَى عاودَهُ جهلُهُ كَذي الضَّنا عادَ إلى نُكسِهِ

ثم قدم فقتل ويقال انه صلبه على الجسر ببغداد ومن شعره وهو في الحبس

خرجنا منَ الدُّنيا ونحنُ منَ اهلِها فلسنا منَ الأحياءِ فيها ولا الموتى
إذا دخلَ السجّانُ يوماً لحاجةٍ عجبنا وقلنا جاءَ هذا منَ الدُّنيا
ونفرحُ بالرُّؤيا فجلُّ حديثِنا إذا نحنُ أصبحنا الحديثُ عنِ الرُّؤيا
فانْ حسُنتْ لمْ تأتِ عجْلى وأبطأتْ وإنْ قبُحتْ لمْ تحتبسْ وأتتْ عجْلى
طوى دوننا الأخبارَ سجنٌ ممنَّعٌ لهُ حارسٌ تهدى العيونُ ولا يَهدى
قُبِرنا ولمْ نُدفنْ ونحنُ بمعزلٍ عنِ النّاسِ لا نُخشى فنَغشى ولا نَغشى
الا أحدٌ يأوي لأهلِ محلّةٍ مُقيمينَ في الدُّنيا وقدْ فارقوا الدُّنيا

[قال المرتضى رضى الله عنه] .. وأظن ان ابن الجهم لحظ قول صالح فنغشى ولا نغشى في قوله يصف الحبس

بيتٌ يُجدِّدُ للكريمِ كرامةً ويُزارُ فيهِ ولا يَزورُ ويُحمَدُ

وأما على بن الخليل فقد ذكر محمد بن داود قال كان على بن الخليل وهو مولى يزيد بن مزيد الشيباني ويكنى أبا الحسن وهو كوفيٌّ متهمٌ بالزندقة فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقة فاستتر طويلا ثم قصد الرقة وبها الرشيد فمدحه ومدح الفضل بن الربيع .. روى انه لما قعد الرشيد للمظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة والخضاب معه قصيدة فأشار بها فأمر الرشيد بأخذها منه فقال ياأمير المؤمنين أنا أحسن قراءة لها من غيرى فأذن لى في قراءتها ففعل فقال اني شيخ كبير ولا آمن الاضطراب اذا قمت فان رأيت أن تأذن لى فى الجلوس فعلت فقال له اجلس فجلس ثم أنشأ يقول

يا خيرَ مَنْ وَخدَتْ بأَرْحُلِهِ نُجُبُ الرِّكابِ بِمَهْمَهٍ جَلْسِ
تَطوِي السَّباسِبَ في أَزِمَّتِها طَيَّ التِّجارِ عَمائِمَ البِرْسِ
لمّا رأتكَ الشَّمسُ طالعةً سجَدتْ لوجهكَ طَلْعةُ الشَّمْسِ
خيرُ الخلائقِ أنتَ كلُّهمُ في يومِكَ الماضي وفي أمْسِ
وكذاكَ لا تنفكُّ خيرَهُمُ تُمسي وتُصبحُ فوقَ ماتُمسي
مِنْ عُصبةٍ طابَتْ أُرُومتُها أهلِ العفافِ ومُنتهى القُدْسِ
فوقَ النُّجومِ فُرُوعُ نَبعتِهمْ ومعَ الحَضيضِ مَنابتُ الغَرْسِ
إني رَحلتُ اليكَ مِنْ فزَعٍ (١) كانَ التَّوكُّلُ عندَهُ تُرسي
ما ذاكَ إلاَّ أنَّني رَجُلٌ أصبُو إلي بقَرٍ مِنَ الإنْسِ
بقَرٌ أوانسُ لا قُرُونَ لها يقتُلْنَ بالتَّطويلِ والحبْسِ
وأجاذِبُ الفتيانَ بينَهمُ صهباءَ مثلَ مُجاجةِ الوَرْسِ
للماءِ في حافاتِها حَبَبٌ نَظمٌ كَطيِّ صحائفِ الفُرْسِ
واللهُ يَعلمُ في بَرِيَّتِهِ ما إنْ أضعتُ إقامةَ الخَمْسِ

(١) قوله انى رحلت اليك الخ فى غير الاصل

اني اليك لجأت من هرب قد كان شردني ومن لبس
واخترت حكمك لا أجاوزه حتى أوسّدَ في ثرى رمسي
لما استخرت الله فى مهل يممت نحوك رحلة العنس
كم قد قطعت اليك مدّرعا ليلا بهيم اللون كالنقس
ان هاجنى من هاجس جزعٌ كان التوكل عنده ترسي

وفى سائر الرواية اختلاف يسير

فقال له هارون من أنت قال على بن الخليل الذى يقال انه زنديق قال أنت آمن وكتب الى حمدويه ألاّ يعرض له .. ومن تركنا ذكره من هؤلاء أكثر مما ذكرنا وانما اعتمدنا من كان بهذه الثلبة أشهر وأمره فيها أظهر وأوردنا مع ذلك قليلا من كثير وجملة من تفصيل .. واذا كنا قد ذكرنا جملة من أخبار أهل الضلالة والمنقادين بالجهالة حسب سؤلنا فنحن نتبعها بشئ من أخبار أهل التوحيد والعدل وملح حكاياتهم ومستحسن ألفاظهم ليعلم الفرق بين من ربحت بيعته وبين من خسرت صفقته فقد سئلنا أيضاً ذلك .. أعلم ان أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين على عليه السلام وخطبه وانها تتضمن من ذلك مالا مزيد عليه ولا غاية وراءه ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم ان جميع ماأسهب المتكلمون من بعدُ فى تصنيفه وجمعه انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول .. وروى عن الائمة من أبنائه عليهم السلام من ذلك مالا يكاد يحاط به كثرة ومن أحب الوقوف عليه وطلبه من مظانه أصاب منه الكثير الغزير الذى فى بعضه شفاء للصدور السقيمة ونتاج للعقول العقيمة ونحن نقدّم على ماتريد ذكره شيئاً مما روي عنهم فى هـذا الباب .. فمن ذلك مارُوى عن أمير المؤمنين على عليه السلام وهو يصف الله تعالي .. بمضادّته بين الاشياء علم ان لا ضد له وبمقارنته بين الامور علم ان لاقرين له ضادّ النور بالظلمة والخشونة باللين واليبوسة بالبلل والصرد بالحرور مؤلف بين متباعداتها مفرّق بين متدانياتها .. وروى عنه عليه السلام انه سئل بم عرفت ربك فقال بما عرّفني به قيل وكيف عرّفك قال لا تشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس .. وقيل له عليه السلام كيف يحاسب الله الخلق قال كما يرزقهم فقيل كيف يحاسبهم ولا يرونه فقال كما يرزقهم ولا يرونه .. وسأله رجل فقال أين كان ربك قبل أن يخلق السماء والارض فقال أين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان .. وروى عن أبي عبيد الله الصادق عليه السلام انه سأله محمد الحلبي فقال له هل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم رآه بقلبـه فاما ربنا جل جلاله فلا تدركه أبصار الناظرين ولا تحيط به اسماع السامعين .. وروى صـفوان بن يحي قال دخل أبو قرة المحـدث على أبي الحسن الرّضا عليه السـلام فسأله عن أشياء من

الحلال والحرام والاحكام والفرائض حتى بلغ سؤاله الى التوحيد فقال أبو قرّة إنا روينا أن الله قسم الكلام والرؤية فقسم لموسى عليه السلام الكلام ولمحمد صلى الله عليه وسلم الرؤية فقال الرضا عليه السلام فمن المبلّغ عن الله الى الثقلين الجنّ والانس انه لاتدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء أليس محمد نبياً صادقا قال بلى قال وكيف يجيء رجل الى الخلق جميعاً فيخبرهم انه جاء من عند الله يدعوهم اليه بأمره ويقول لاتدركه الابصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء ثم يقول سأراه بعيني وأحيط به علماً ألا تستحيون ماقدرت الزنادقة ان ترميه بهـذا أن يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر ٠٠ قال أبو قرّة فانه يقول ولقد رآه نزلةأخرى عند سدرة المنتهى ٠٠ قال عليه السـلام مابعد هـذه الآية يدل على مارأى حيث يقول ماكذب الفؤاد مارأى يقول ماكذب فؤاد محمد مارأت عيناه ثم أخبر بما رأى فقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى وآيات الله غـير الله وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علماً فاذا رأته الابصار فقد أحاط به العلم فقال أبو قرّة فأكذّب بالرؤية فقال الرضا عليه السلام إنّ القرآن كذّبها وما أجمع عليه المسلمون انه لايحاط به علماً ولا تدركه الابصار وليس كمثله شيء ٠٠ وأتى أعرابي أبا جعفر محمد بن على عليه السلام فقال أرأيت ربك حين عبدته فقال لم أكن لأعبد شيئاً لم أره فقال كيف رأيته فقال لم تره الابصار بالمشاهدة والعيان بل رأته القلوب بحقائق الايمان لايدرك بالحواس ولايقاس بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لايجور فى أقضيته هو الله الذى لااله الا هو فقال الاعرابى الله أعلم حيث يجعل رسالاته ٠٠ وروى ان شيخاً حضر صفّين مع أمير المؤمنين عليـه السلام فقال أخبرنا ياأمير المؤمنين عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء من الله تعالى وقدر قال له نعم ياأخا أهل الشام والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ماوطئنا موطئاً ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء من الله وقدر فقال الشامي عند الله أحتسب عناي ياأمير المؤمنين وما أظن ان لى أجراً فى سعي اذا كان الله قضاه علىّ وقدّره فقال له عليه السلام ان الله قـد أعظم لكم الأجر على مسـيركم وأنتم سائرون وعلى مقامكم وأنتم مقيمون ولم تكونوا فى شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال الشامي

كيف ذاك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال له عليه السلام ويحك ياأخا أهل الشام لعلك ظننت قضاء لازما وقدراً حاكما لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والأمر من الله والنهي ولما كان المحسن أولى بثواب الاحسان من المسيء والمسيء أولى بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يطع مكرها ولم يعص مغلوبا ولم يكلف عسيراً ولم يرسل الانبياء لعباً ولم ينزل الكتب لعباده عبثا ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار .. قال الشامي فما القضاء والقدر الذى كان مسيرنا بهما وعنهما قال الأمر من الله بذلك والحكم ثم تلا ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ فقام الشامى فرحا مسروراً لما سمع هذا المقال وقال فرّجت عنى فرّج الله عنك ياأمير المؤمنين وجعل يقول

أنتَ الإمامُ الّذي نَرْجُو بطاعَتهِ ... يومَ الحِسابِ منَ الرّحمنِ غفرانا
أوْضَحتَ مِنْ أمْرِنا ما كانَ مُلتَبساً ... جزَاكَ رَبُّكَ بالإِحسانِ إحسانا

وروى ان أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله فسلمت عليه وقمت من عنده ورأيت ابنه موسى في دهليزه قاعداً فى مكتبه وهو صغير السن فقلت له أين يُحْدِثُ الرجل عندكم اذا أراد ذلك فنظر اليّ ثم قال يتجنب شطوط الانهار ومسقط الثمار وأفناء الدور والطرق النافذة والمساجد ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شاء قال فلما سمعت هذا القول نبل فى عيني وعظم في قلبي فقلت له جعلت فداك ممن المعصية فنظر اليّ ثم قال اجلس حتى أخبرك فجلست فقال ان المعصية لابد أن تكون من العبد أو من ربه أو منهما جميعاً فان كانت من الله فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله . وان كانت منهما فهو شريكه والقوي أولى بانصاف عبده الضعيف . وان كانت من العبد وحده فعليه وقع الامر واليه توجه النهي

وله حق العقاب والثواب ووجبت الجنــة والنــار قال فلما سمعت ذلك قلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم •• وقد نظم هذا المعنى شعراً فقيل

لم تخلُ أفعالُنا اللاتى نُذَمُّ بها ۞ إحدى ثلاث خلال حين نأتيها
إمّا تفرّدَ بارينا بصنعتها ۞ فيسقطُ اللّومُ عنّا حين نُنشيها
أو كانَ يَشرَكُنا فيها فيلحقهُ ۞ ما سوفَ يَلحقُنا من لائمٍ فيها
أو لم يكُنْ لإلهي في جنايتها ۞ ذَنبٌ فما الذَّنبُ إلاّ ذنبُ جانيها

وأحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار من أهل ميسان مولى لبعض الانصار وكان اسم أمه خـيرة مملوكة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويقال ان أم سلمة كانت تأخـذ الحسن اذا بكي فتسكته بثديها فكان يدرّ عليه فيقال ان الحـكمة التى أوتيها الحسن من ذلك وبلغ الحسن من السن تسعا وثمانين سنة فمن تصريحه بالعدل ماروى عن أبي الجعد قال سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله جاء يوم القيامة مسوداً وجهـه ثم تلا ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ •• وقال داود بن أبى هند سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء[1] الله وقدر الا المعاصى •• وكان الحسن رباع الفصاحة بليغ المواعظ

(١) ـ قوله سـمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله جاء يوم القيامة مسوداً وجهه الى قوله سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء وقدر الا المعـاصي •• أقول هذا مذهب المعتزلة وطوائف أخر من المتكلمين والواجب فى هذا الباب الرجوع الى مافى كتاب الله وسنة رسوله ونبذ ما سواهما وعـدم الخوض فى هذا الباب قال تعالى ﴿ انا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ وفى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحاج آدم وموسى فحج آدم موسى قال له موسى أنت آدم الذى أغويت الناس وأخرجتهـم من الجنة هذا لفظ الموطأ وفى الصحيحين من وجه آخر عن أبى هريرة مرفوعا احتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة وفى رواية أنت

كثير العلم وجميع كلامه من الوعظ وذم الدنيا أوجله مأخوذ لفظاً ومعنىً أو معنىً دون لفظ من كلام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام فهو في ذلك القدوة والغاية ٠٠ فمن ذلك قوله عليه السلام شيئان أحدهما مأخوذ من الآخر أحدهما أكثر شئ في الدنيا والآخر أقل شئ في الدنيا العبر والاعتبار ٠٠ وقوله عليه السلام مثل الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب متى ازددت من أحدهما قرباً ازددت من الآخر بعداً ٠٠ وقوله شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره ٠٠ وقوله في وصف الدنيا ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب من صح فيها أمن ومن فرّط فيها ندم ومن استغنى فتن ومن افتقر حزن ٠٠ ومن قول له في كلام يا أيها الذام للدنيا والمغتر بغرورها متى استذمت اليك بل متى غرتك أبمضاجع آبائك من الثرى أم بمنازل أمهاتك من البلا كم مرضت بكفيك وكم عالجت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء مثلت لك بهم الدنيا نفسك وبمصرعهم مصرعك [قال المرتضى رضى الله عنه] ٠٠ وهذا باب إن

آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك فى جنته ثم أهبط الناس بخطيئتك الى الارض فقال له آدم أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شئ واصطفاه على الناس برسالته وفي رواية للصحيحين اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده وفى أخرى اصطفاك الله برسالته وكلامه وأعطاك الالواح فيها تبيان كل شئ قال نعم قال افتلومني على أمر قدر قبل ان أخلق وفي الحديث الذي في آخره هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ٠٠ وال الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وفى رواية كله وفى أخرى حلوه ومره وقال ابن القيم والمخاصمون فى القدر نوعان أحدهما من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره كالذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا والثاني من ينكر قضاءه وقدره السابق والطائفتان خصماء الله قال عوف من كذب بالقضاء فقد كذب بالاسلام ان الله تبارك وتعالى قدر أقداراً وخلق الخلق بقدر وقسم الآجال بقدر وقسم الارزاق بقدر وقسم البلاء بقدر وقسم العافية بقدر وأمر ونهي .

ولجناه اغترفنا من ثبج بحرز اخر أو شؤبوب غمام ماطر وكل قول في هذا الباب لقائل اذا أضيف اليه أو قورِيس به كان كاضافة القطرة الي الغمرة أو الحصاة الي الحرة فانما أشرنا اليه اشارة وأومأنا اليه ايماء ٠٠ ثم نعود الى ما كنا فيه ٠٠ روى ان اعرابياً سمع كلام الحسن البصرى فقال المؤمن فصيح اذا لفظ نصيح اذا وعظ ٠٠ وروى ان الحسن تلا يوما (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) ثم قال ان قوما غدوا فى المطارف العتاق والعمائم الرقاق يطلبون الامارات ويضيعون الامانات يتعرضون للبلاء وهم منه فى عافية حتى اذا أخافوا من فوقهم من أهل العفة وظلموا من تحتهم من أهل الذمة أهزلوا دينهم واسمنوا براذينهم ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم ألم ترهم قد جددوا الثياب وأخلقوا الدين تبكي يتكئ أحدهم على شماله ويأكل من غير ماله طعامه غصب وخدمته سخرة يدعو بحلو بعد حامض وبحار بعد بارد ورطب بعد يابس حتى اذا أخذته الكظة تجشأ من البشم ثم قال ياجارية هاتي حاطوما يعنى هاضوما يهضم الطعام ياأحمق لا والله لن تهضم الا دينك أين جارك أين يتيمك أين مسكينك أين ما أوصاك الله به ٠٠ وذكر يوما الحجاج فقال أتانا أعيمش أخيفش له جميمة يرجلها وأخرج الينا بنانا قصاراً والله ماعرق فيها عنان فى سبيل الله فقال بايعوني فبايعناه ثم رقى هذه الاعواد ينظر الينا بالتصغير وننظر اليه بالتعظيم يأمرنا بالمعروف ويجتنبه وينهانا عن المنكر ويرتكبه ٠٠ وروى عيسى بن عمر قال قال الحسن ان هذه القلوب طلعة فاقدعوها فانكم ان تطيعوها تنزع بكم الى شر غاية وحادثوا هذه النفوس فانها سريعة الدثور قال عيسى بن عمر فحدثت بذلك أبا عمرو بن العلاء فعجب من فصاحته ٠٠ وكان يقول فى بعض كلامه مايشاء ان ترى أحدهم أبيض بضاً يملخ فى الباطل ملخاً ينفض مذرويه يقول هاأنا ذا فاعرفونى قال ــ والبض ــ هو الرخص اللحم وليس هو من البياض على مايظنه قوم لأنه قد تكون الرخاصة مع الأدمة وأما قوله ــ يملخ ــ فان الملخ هو التثني والتكسر يقال ملخ الفرس اذا لعب ٠٠ قال رؤبة يصف

مُنْتَرِمِ التَّجْلِيحِ مَلاَّخِ المَلَقْ

ـ والمذروان ـ فرعا الاليتين ٠٠ قال عنترة

أَحَوْلي تَنفُضُ اُستُكَ مِذْرَوَيْهَا لِتقتُلَني فها أنا ذا عُمَارا

٠٠ هذا قول أبو عبيد وقال ابن قتيبة [1] راداً عليه ليس المذروان فرعي الاليتين حَسْبُ بل هما الجانبان من كل شيْ تقول العرب جاء فلان يضرب أصدريه ويضرب عطفيه وينفض مذرويه وهما منكباه ٠٠ وذكر انه سمع رجلا من فصحاء العرب يقول قنّع الشيب مذرويه يريد جانبي رأسه وهما فرداه وانما سميا بذلك لانهما يذريان أي يشيبان والذري الشيب قال وهذا أصل الحرف ثم استعير للمنكبين والاليتين والطرفين من كل شيْ ٠٠ قال أمية بن أبي عائذ الهذلي يذكر قوما

على عَجَسٍ هتّافة المِذْرَوَين زَوْراءَ مُضجَعَةٍ في الشِّمَالِ

أراد قوسا ينبض طرفاها ٠٠ قال فلا معنى لوصف الرجل الذى ذكر الحسن بانه يحرك اليته ولا من شأنه أن يبذخ وينبه على نفسه ويقول ها أنا ذا فاعرفوني ان يحرك أليته وانما أراد أنه يضرب عطفيه وهذا مما يوصف به المرح المختال وربما قالوا جاءنا ينفض مذرويه اذا تهدد وتوعد لأنه اذا تكلم وحرك رأسه نفض قرون فوديه وهما مذرواه ٠٠ قال رضي الله عنه ليس الذى ذكره أبو عبيد بعيد لان من شأن المختال الذى يزهي بنفسه أن يهتز ويتثني فتتحرك أعطافه وأعضاه ومذرواه من جملة مايهتز ويتحرك لأنهما بارزان

---

(١) ـ قلت قال ابن سيدة عن الجرمازى رانفة كل شيْ ناحيته والمذرى طرف الألية وهما المذروان وقيل المذروان أطراف الأليتين وليس لهما واحد وقال أبو عبيدة وهو أجود القولين لانه لو كان لهما واحد فقيل مذرى لقيل فى التثنية مذريان وأنشد

أَحَوْلي تَنفُضُ استكَ مِذْرَوَيْهَا لتقتلنى فها أنا ذا عُمَارَا

مَتَى ما نَلتقي فَرْدَين تَرْجُفْ روانِفُ أَلْيَتَيكَ وتُستطارا

قلت قوله لقيل مذريان علة ذلك ان المقصور اذا كان على أربعة أحرف يثني بالياء على كل حال نحو مقلى ومقليان وشذ فى تثنية أليةٍ أليان ومثلها خصية وخصيان وقيل هما تثنية ألي وخصي المذكرين وذكرت خصية استطرادا فليتنبه لذلك

من جسمه فيظهر فيهما الاهتزاز وانما خص المذروين بالذكر مع ان غيرهما يتحرك أيضاً على طريق التقبيح لهذا المختال والتهجين لعمله وقول ابن قتيبة ليس من شأن من يبذخ ان يحرك اليته ليس بشيء لان الأغلب من شأن المختال البذاخ الاهتزاز وتحريك الاعطاف على ان هـذا يلزمه فيما قاله لانه ليس من شأن كل متوعـد ان يحرك رأسه وينفض مذرويه فاذا قال ان ذلك في الاغلب والاكثر فهذا مثله ٠٠ وكان الحسن يقول يا ابن آدم جمعاً جمعاً سرطاً سرطاً جمعا في وعاء وشدًّا في وكاء وركوب الذلول ولبس اللين حتى قيل مات فافضى والله الى الآخرة فطال حسابه ٠٠ وكان يقول مسكين ابن آدم مكتوم الاجل مكنون العلل أسير جوع صريع شبع ان من تؤلمه البقة وتقتله الشرقة لبادي الضعف فريسة الحتف ٠٠ وكان يقول ماأطال أحد الامل الا أساء العمل وماأساء العمل الاذل ٠٠ وكتب الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان طول البقا الى فنا فخذ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى والسلام ٠٠ وكان يقول اذا رأيت رجلا ينافس في الدنيا فنافسه في الآخرة ٠٠ وسأله رجل ماحالك فقال له باشد حال ماحال من أمسى وأصبح ينتظر الموت ولا يدري مايفعل الله به ٠٠ وكان يقول يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عمالك فاملل ما شئت فأكثر أو أقلل ٠٠ وفي خبر آخر وكل بك ملكان كريمان ريقك مدادهما ولسانك قلمهما ٠٠ روى أبو بكر الهذلي قال لما قدم عمر بن هبيرة والياعلى العراق نزل واسطا وبعث الى الشعبي والى الحسن البصري فقال لهما ان يزيد بن عبد الملك عبد أخذ لله ميثاقه وانتجبه لخلافته وقد أخذ بنوا صينا وأعطيناه عهودنا ومواثيقنا وصفقة أيدينا فوجب علينا السمع والطاعة له وانه بعثني الى عراقكم غير سائل إياه الا انه لايزال يبعث الينا في القوم نقتلهم وفي الضياع نقبضها أو في الدور نهدمها فنوليه من ذلك ماولاه لله فما تريان فتأمل الشعبي فقال قولا فيه بعض اللين وأما الحسن فانه قال له ياعمر اني أنهاك عن الله ان تتعرض له فان الله مانعك من يزيد وما يمنعك يزيد من الله إنه يوشك أن ينزل اليك ملك من السماء فيستنزلك من سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ثم لا يوسعه عليك الا عملك ان هذا السلطان انما جعل ناصراً لدين الله فلا تركبوا دين الله وعباد الله بسلطانه تذلونهم به فانه لا طاعة لمخلوق في

معصية الخالق عز وجل •• وذكر عن الشعبي انه قال كان والله الحسن أكرمنا عليه ••وروى أبو بكر بن عياش قال قال مسلمة بن عبد الملك للحسن عظني فقال اذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به فقال عظني فقال أوُليت قط فقال نعم قال فما كنت تحب ان يؤتى اليك فأته الى من وليته •• وعن ثابت البناني قال قال رجل للحسن آخذ عطاي أم أدعه حتى آخذه من حسناتهم يوم القيامة فقال له قم ويحك خذ عطاءك فان القوم مفاليس من الحسنات يوم القيامة •• وولد للحسن غلام فهناه بعض أصحابه فقال الحسن نحمد الله على هبته ونستزيده من نعمه ولا مرحبا بمن ان كنت غنياً أذهلني وان كنت فقيراً أتعبني لاأرضى بسعي له سعياً ولا بكدّي له في الحياة كداً أشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي وأنا في حال لايصل اليّ من همه حزن ولا من فرحه سرور ••وكان الحسن يقول لولم يكن من شؤم الشراب الا انه جاء الى أحب خلق الله الى الله فأفسده فكان ينبغي للعاقل ان يتركه يعني العقل ••وعزي جاراً له يهوديا فقال جزاك الله عن مصيبتك بأعظم ماجازى به أحداً من أهل ملتك وهذا تخلص منه مليح لأنه لم يدع له بالثواب الذي لايستحقه الكفار وأراد بالجزاء العوض الذي يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب •• وكان يقول ليس لفاسق المعلن بالفسق غيبة ولا لاهل الاهواء والبدع غيبة ولا للسلطان الجائر غيبة ••وقال في قوله تعالى ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة ﴾ قال العلم ﴿ وفي الآخرة حسنة ﴾ قال الجنة •• وخرج الحسن في جنازة معها نوائح فقال له رجل ماترى ياأبا سعيد هذا وهمّ الرجل بالرجوع فقال له الحسن ان كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسنا أسرع ذلك في دينك •• وذكرت عنده الدنيا فقال

أحلامُ نومٍ أو كظلٍّ زائلٍ إنّ اللبيبَ بمثلها لا يُخدَعُ

وكان يتمثل

اليومَ عندكَ دَلُّها وحديثُها وغدا لغيرِكَ كفُّها والمعصَمُ

وعن أبي عبيدة قال لما فرغ الحجاج من قصر واسط نادى في الناس أن يخرجوا فيدعوا له بالبركة فخرج الناس وخرج الحسن فاجتمع عليه الناس فخاف أهل الشام

على نفسه أن يقتلوه فرجع وهو يقول قدنظرنا ياأخبث الاخبثين وأفسق الافسقين أما أهل السماء فمقتوك وأما أهل الارض فغروك ثم قال أبى الله تعالى للميثاق الذى أخذه على أهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم انصرف فبلغ الحجاج ذلك فقال ياأهل الشام وهم حوله آلله أيقومن عُبيد من عبيد أهل البصرة ويتكلم فىّ بما يتكلم ولا يكون عند أحد منكم تغيير ولا نكير قالوا ومن ذلك أصلحك الله اسقنا دمه فقال علىّ به وأمر بالنطع والسيف فأحضر ووجّه اليه فلما دنى الحسن من الباب حرك شفتيه والحاجب ينظر اليه فلما دخل قال له الحجاج ههنا وأجلسه قريباً من فرشه وقال له ما تقول في عليّ وعثمان قال أقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك قال فرعون لموسى مابال القرون الأُولى قال علمها عند ربي في كتابٍ لايضل ربي ولا ينسى علم عليّ وعثمان عند الله فقال له الحجاج أنت سيد العلماء ياأبا سعيد ثم دعا بغالية فغلّف بها لحيته فلما خرج الحسن اتبعه الحاجب فقال ياأبا سعيد لقد دعاك لغير هذا الذي فعل بك ولقد أحضر السيف والنطع فلما أقبلت رأيتك قد حركت شفتيك بشيء فما قلت قال قلت ياعدّتي عند كربتي وياصاحبي عند شدتي ويا وليّ نعمتي ويا إلهي وإله آبائى ابراهيم واسمعيل واسحٰق ويعقوب ارزقني مودّته واصرف عني أذاه ومعرّته ففعل ربي عزوجل ذلك .. وكان الحسن يقول مازال النفاق مقموعاً حتى عُمّم هذا عمامة وقلد سيفاً .. وروى أبو بكر الهذلي ان رجلا قال للحسن يا أبا سعيد ان الشيعة تزعم انك تبغض علياً فأكب يبكي طويلا ثم رفع رأسه فقال لقد فارقكم بالأمس رجل كان سهماً من مرامي الله عزوجل على عدوه ربّاني هذه الأُمة ذو شرفها وفضلها وذو قرابة من النبي صلى الله عليه وسلم قريبة لم يكن بالنُوَمة عن أمر الله ولا بالغافل عن حق الله ولا بالسروقة من مال الله أعطى القرآن عزائمه فيما له وعليه فأشرف منها على رياضٍ مؤنقة واعلام بينة ذلك علىّ بن أبي طالب يالكع .. وكان الحسن اذا أراد أن يحدث في زمن بني أمية عن أمير المؤمنين قال قال أبو زينب .. وشهد الحسن جنازة فقال ان أمراً هذا أوله لينبغي أن يحذر منه وان أمراً هذا آخره لينبغي أن يزهد فيه .. وعن حميد الطويل قال خطب رجل الى الحسن ابنته وكنت السفير بينهما فرضيته وأراد أن يزوجه فأثنيت

عليه ذات يوم وقلت وأزيدك يا أبا سعيد فان له خمسين ألفاً قال أقلت له خمسون ألفاً ما اجتمعت من حلال قلت يا أبا سعيد انه والله ما علمته إلاّ ورعاً مسلماً فقال اذا كان جمعها من حلال فقد ضن بها على حق لا يجرى بيني وبينه صهر أبداً ٠٠ وقيل لعليّ ابن الحسين عليه السلام قال الحسن البصرى ليس العجب ممن هلك كيف هلك وانما العجب ممن نجى كيف نجى فقال عليه السلام أنا أقول ليس العجب ممن نجى كيف نجى انما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله ٠٠ وأتى عليه السلام يوماً الحسن البصرى وهو يقص عند الحِجر فقال أترضى ياحسن نفسك للموت قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فثم دار للعمل غير هذه الدار قال لا قال فلله فى أرضه معاذ غير هذا البيت قال لا قال فلم تشغل الناس عن الطواف

مجلس آخر ١١

وممن تظاهر بالقول بالعدل واشتهر به واصل بن عطاء الغزّال ويكنّى أبا حذيفة وقيل انه مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم وقيل مولى بني هاشم وروى انه لم يكن غزّالا وانما لقب بذلك لأنه كان يكثر الجلوس فى الغزالين وقيل انه كان يكثر الجلوس فى الغزالين عند رضيع له يعرف بأبي عبد الله الغزّال [١] وذكر المبرد ان واصلا كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء ليصرف صدقته اليهن ولقب بذلك كما لقب أبو مسلمة حفص بن سليمان بالخلاّل وهو وزير أبي العباس السفاح ولم يكن خلالا وانما كان منزله بالكوفة بقرب الخلالين وكان يجلس عندهم فسمي خلالا ومثله أبو عليّ الحرمازى مولى لبنى هاشم وانما لقب بذلك لانه كان ينزل فى بني الحرماز وابراهيم بن يزيد الخوزى وليس بخوزي ولكنه كان ينزل بمكة بشعب الخوز وأبو سعيد المقبرى لانه نزل المقابر ٠٠ وكان واصل ألثغ فى الراء قبيح اللثغة فكان يخلص من كلامه الراء

(١) قلت وأبو عبد الله هذا مولى لقطن الهلالي ومثل ذلك أبو مالك السدي اشتهر بالسدي لأنه كان يبيع الخُمُر فى سدة المسجد

يعدل عنها فى سائر محاوراته وقد ذكرنا طرفاً من ذلك فى أخبار بشار بن برد ..
وذكر أبو الحسن البردعي المتكلم أن انساناً سأل عمرو بن عبيد أو غيره عن شئ في القدر بحضرة واصل بن عطاء فتكلم السائل بشئ أغضب عمراً فأجابه عمرو بجواب لم يرضه واصل فقال له واصل إياك وأجوبة الغضب فانها مندمة والشيطان يكون معها وله فى تضاعيفها همزة وقد أوجب الله جل وعز على نبيه أن يستعيذ من همزات الشيطان وأن يكونوا معه بقوله أعوذ بك من همزات الشياطين الى خاتم الآية وقلما شاهدتُ أحداً تثبت فى جوابه وما ينطق به لسانه فيلحقه اللوم .. قال البردعي أنظر الى واصل كيف كلم عمراً فأخرج الراء من كلامه فقال موضع والشيطان يحضرها يكون معها وقد أوجب الله تعالى على نبيه ولم يقل أمره وقال وأن يكونوا معه بدلا من أن يحضروه ثم قال الى خاتم الآية ولم يقل الى آخر الآية .. [قال المرتضي رضي الله عنه] ومما لم يذكره البردعي انه عدل عن افتتاح الآية من أجل الراء أيضاً لأن أولها وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ولولا قصده الى العدول لكان ذكرها واجباً من ابتدائها لاسيما وفى ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية دعائه والاستعاذة به .. وقيل إن رجلا قال له كيف تقول أسرج الفرس قال ألبد الجواد .. وقال له آخر كيف تقول ركب فرسه وجر رمحه قال استوى على جواده وسحب عامله .. وذكر أبو الحسين الخياط أن واصلا كان من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ومولده سنة ثمانين ومات سنة احدى وثلاثين ومائة .. وكان واصل ممن لقى أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وصحبه وأخذ عنه وقال قوم انه لقى أباه محمداً عليه السلام وذلك غلط لأن محمداً توفى سنة ثمانين أو احدى وثمانين وواصل وُلد فى سنة ثمانين .. وواصل هو أول من أظهر المنزلة بين المنزلتين لأن الناس كانوا فى أسماء أهل الكبائر من أهل الصلاة على أقوال كانت الخوارج تسميهم بالكفر والشرك .. والمرجئة تسميهم بالايمان وكان الحسن وأصحابه يسمونهم بالنفاق فأظهر واصل القول بأنهم فساق غير مؤمنين ولا كفار ولا منافقين .. وكان عمرو بن عبيد من أصحاب الحسن وتلاميذه فجمع بينه وبين واصل يناظره فيما أظهر من القول بالمنزلة بين المنزلتين فلما اتفقوا على الاجتماع ذكر أن واصلا

أقبل ومعه جماعة من أصحابه الى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس فلما نظر الى واصل وكان فى عنقه طول واعوجاج قال أرى عُنقاً لايفلح صاحبها فسمع ذلك واصل فلما سلم عليه قال له يابن أخي ان من عاب الصنعة عاب الصانع للتعلق الذي بين الصنعة والصانع فقال له عمـرو بن عبيد ياأبا حذيفة قد وعظت فأحسنت ولن أعود الى مثل الذى كان منى وجلس واصل فى الحلقة وسئل أن يكلم عمراً فقال واصل لعمرو لمقلت من أتى كبيرة من أهل الصلاة استحق اسم النفاق فقال عمرو لقول الله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسـقون) فكان كل فاسق منافقاً اذ كانت ألف المعـرفة ولامها موجودتين فى الفاسق فقال له واصل أليس قد وجدت الله تعالى يقول (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) وأجمع أهل العلم على أن صاحب الكبيرة استحق اسم ظالم كما استحق اسم فاسق فألا كفرت صاحب الكبيرة من أهل الصلاة بقول الله تعالى (والكافرون هم الظالمون) فعرف بألف ولام التعريف اللذين فى قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) كما قال فى القاذف (وأولئك هم الفاسقون) فسميته منافقاً لقوله تعالى (ان المنافقون هم الفاسـقون) فأمسك عمـرو ثم قال له واصل ياأبا عثمان أيّما أولى أن تستعمل فى أسماء المحدثين من أمتنا ما اتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة أو ما اختلفوا فيـه فقال عمرو بل ما اتفقوا عليـه أولى فقال له واصل ألست تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسـقاً ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه لأن الخوارج تسميه مشركا فاسقاً والشـيعة تسميه كافر نعمة فاسقاً ٠٠[قال المرتضي رضى الله عنه] يعني بالشيعة الزيدية ٠٠والحسن يسميه منافقاً فاسقاً والمرجئة تسميه مؤمناً فاسقاً فاجتمعوا على تسميته بالفسق واختلفوا فيما عدا ذلك من أسمائه فالواجب أن يسمى بالاسم الذى اتفق عليه وهو الفسق لاتفاق المختلفين عليه ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التي اختلف فيها فيكون صاحب الكبيرة فاسقاً ولا يقال فيه انه مؤمنٌ ولا منافقٌ ولا مشركٌ ولا كافرٌ فهذا أشـبه بأهل الدين فقال له عمرو ابن عبيد مابيني وبين الحق عـداوة والقول قولك فليشهد عليّ من حضر أني تارك

للمذهب الذى كنت أذهب اليه من نفاق صاحب الكبيرة من أهل الصلاة قائل بقول
أبي حذيفة فى ذلك وأني قد اعتزلت مذهب الحسن في هـذا الباب فاستحسن الناس
هذا من عمرو ‥ وقيـل إن اسم الاعتزال انما اختص بهذه الفرقة لاعتزالهم مذهب
الحسن بن أبي الحسن في تسمية مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة بالنفاق وحكي غير
ذلك ‥ وقيل ان قتادة بعد موت الحسن البصرى كان يجلس مجلسه وكان هو وعمرو
ابن عبيد جميعاً رئيسين متقدمين فى أصحاب الحسن فجرت بينهـما نفرة فاعتزل عمرو
مجلس قتادة واجتمع عليـه جماعـة من أصحاب الحسن فكان قتادة اذا جلس مجلسه
سأل عن عمرو وأصحابه فيقول مافعل المعتزلة فسموا بذلك ‥[قال المرتضي رضى الله
عنه] أما ما ألزمه واصل بن عطاء لعمرو بن عبيد أوّلا فسديدٌ لازم وأما ما كلمه به ثانياً
فغير واجب ولا لازم لأن الاجماع وان لم يوجد فى تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق وغير
ذلك من الأسماء كما وجد في تسـميته بالفسق فغير ممتنع أن يسمي بذلك لدليل غـير
الاجماع ووجود الاجماع فى الشيء وان كان دليلا على صحته فليس فقده دليـلاً على
فساده ‥ وواصل انما ألزم عمراً أن يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ويقتصر على
التسمية بالفسق للاتفاق عليه وهذا باطلٌ ولو لزم ماذكره للزمه أن يقول قد اتفق أهل
الصـلاة على استحقاق صاحب الكبيرة من أهـل القبلة الذم والعقاب ولم يتفقوا على
استحقاقه التخليد في العقاب أو نقول انهم اجتمعوا على استحقاقه العقاب ولم يجمعوا
على فعل المسـتحق به فيجب القول بما اتفقوا عليه ونفى مااختلفوا فيه فاذا قيـل
استحقاقه للخلود أو فعل المستحق به من العقاب وان لم يجمعوا عليه فقد علم بدليـل
غير الاجماع ‥ قيل له مثل ذلك فيما عوّل عليه وبطل على كل حال أن يكون الاختلاف
في القول دليلا على وجوب الامتناع منه وهـذا ينتقض بمسائل كثيرة ذكرها يطول
على أن المقـدمة التى قدمها لاتشـبه ماألزم عليها لأن الاجماع أولى من الاختلاف فيما
يتعارض ويتقابل والاجماع والاختلاف فى الموضع الذي كلم عليـه واصـل عمراً فى
مكانين لأن الاجماع هو على تسميته بالفسق والاختلاف هو فى تسـميته بما عداه من
الأسماء فلا تعارض بينهما ‥ وله أن يأخذ بالاجماع في موضعه ويعوّل فيما الاختلاف

فيه على دلالة غير الاجماع لأن فقد الاجماع من القول لايوجب بطلانه •• وحكي أن واصلا كان يقول أراد الله من العباد أن يعرفوه ثم يعملوا ثم يعلّموا قال الله تعالى (ياموسى إني أنا الله) فعرّفه نفسه ثم قال (اخلع نعليك) فبعد ان عرّفه نفسه أمره بالعمل قال والدليل على ذلك قوله تعالى (والعصر إن الانسان لفي خسر إلاّ الذين آمنوا) يعني صدقوا (وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) علموا وعملوا وعلموا •• وروى المبرد قال حدثت أن واصل بن عطاء أقبل في رفقة فاحسوا بالخوارج وكانوا قد أشرفوا على العطب فقال واصل لأهل الرفقة ان هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني وإياهم فقالوا شأنك قال الخوارج له ما أنت وأصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويقيموا حدوده فقالوا قد أجرناكم قال فعلمونا أحكامه فجعلوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلت أنا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال لهم ليس ذلك لكم قال الله تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) فأبلغونا مأمننا فساروا بأجمعهم حتى بلغوا الأمن •• وحكى أن محمداً وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاهما واصل الى القول بالعدل فاستجابا له وذلك لما حج واصل ودعا الناس بمكة والمدينة •• وحكى أبو القاسم البلخي أن عبد الله قال لابنه محمد كل خصالك محمودة إلاّ قولك بالقدر قال يا أبت فهو شيء أقدر على تركه فورد الكلام على رجل عاقل فقال لا عاتبتك عليه أبداً •• [قال المرتضى رضي الله عنه] قال أبو القاسم يقول ان كنت أقدر على تركه فهو قولي وان كنت لا أقدر عليه فلم تعاتبني على شيء لا أقدر عليه •• فأما عمرو بن عبيد فيكنى أبا عثمان مولى لبني العدوية من بني تميم قال الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن باب وباب نفسه من سبي كابل من سبي عبدالرحمن بن سَمُرَة وكان باب مولى لبني العدوية قال وكان عبيد شرطياً وكان عمرو متزهداً فكانا اذا اجتازا معاً على الناس قالوا هذا شر الناس أبو خير الناس فيقول عبيد صدقتم هذا ابراهيم وأنا تارخ •• قال عليّ بن الجعد هو عبيد بن باب وكان بوابا للحكم بن أيوب قال وكان باب مكارياً له دكان معروف يقال له دكان باب وكان فارسياً وللفرزدق معه خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته وفحش فيه •• وذكر أبو الحسين

الخيّاط أن مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعاً سنة ثمانين قال ومات عمرو بن عبيد في سنة مائة وأربع وأربعين وهو ابن أربع وستين سنة ٠٠ روى أن عمراً استأذن على المنصور فدخل عليه الربيع فقال له بالباب رجل قال إني عمرو بن عبيد وكانت على المنصور جبّة يمنية مخففة فقال ويلك يا ربيع عمرو بالباب قال نعم قال هات لي قميصاً أبيض فأتاه به فألقاه عليه ثم قال رد من خلفي فغط الجبة وذرر عليّ قال الربيع ولم أكن أرى أحداً يوقره المنصور حتى رأيت عمرو بن عبيد فدخل عليه رجل آدمّ مربوع السكنة بين عينيه أثر السجود حسن الأدب حسن اللسان كأنه لم يزل مع الملوك في توقيره للخليفة وإعظامه إياه قال فسلم عليه فاجتذبه المنصور ليجلس معه فأبا وطرح نفسه بين يديه فسائله وأحفى به فلما أراد عمرو القيام قال له عظ يا أبا عثمان وأوجز قال له ان مافي يدك لست بوارثه عن أحد وانما هو شئ صار اليك وقد كان في يد غيرك قبلك ولو دام لك ابقى في يد الأول والسلام ٠٠ وروى الأصمعي قال قال مطر الوراق لعمرو بن عبيد إني لأرحمك مما تقول الناس فيك فقال عمرو أتسمعني أقول فيهم شيئاً قال لا قال فاياهم فارحم ٠٠ وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد لم لا تأخذ مني فتقضي ديناً ان كان وتصل رحمك فقال له عمرو أما دين فليس عليّ وأما صلة رحمي فلا يجب عليّ وليس عندي قال فما يمنعك أن تأخذ مني قال يمنعني انه لم يأخذ أحد من أحد شيئاً إلاّ ذلّ له وأنا والله أكره أن أذل لك ٠٠ ويقال إن ابن لهيعة لقي عمرو بن عبيد في المسجد الحرام فسلم عليه وجلس اليه وقال له يا أبا عثمان ماتقول في قوله تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فقال ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم يكلفها فأما العدل بينهن في القسمة من النفس والكسوة والنفقة فهو مطابق لذلك وقد كلفه بقوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل) فيما تطيقون (فتذروها كالمعلّقة) بمنزلة من ليست أيمّا ولا ذات زوج وقال ابن لهيعة هذا والله هو الحق ٠٠ ويقال إن عمرو بن عبيد أتى يونس بن عبيد يعزيه عن ابن له فقال له ان أباك كان أصلك وان ابنك كان فرعك وان امرأ ذهب أصله وفرعه لحري أن لا يطول بقاؤه ٠٠ وقيل ان عبد الله بن عبد الأعلى أخذ هذا المعنى فقال

صَحِبْتُكَ قبلَ الرُّوحِ إذْ أنا نُطفةٌ ... تُصانُ فما يَبْدُو لِعَينٍ مَصُونُها

أرَى المَرْءَ دَيناً لِلمَنايا وما لَها ... مطالٌ إذَا حلَّتْ بنفسٍ دُيونُها

فما ذا بَقاءُ الفَرْعِ مِنْ بَعدِ أصلِهِ ... ستَلقَى الذِي لاَقى الأُصولَ غُصونُها

وأول من سبق الي هذا المعنى امرؤ القيس فى قوله

فبَعْضَ اللَّوْمِ عاذِلَتي فإِنِّي ... سَتَكْفِيني التَّجارِبُ وانْتِسابي

إلى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجَتْ عُرُوقِي ... وهذَا المَوْتُ يَسلُبُنِي شَبابِي

وأخذ ذلك لبيد فى قوله

فإِنْ أنتَ لَمْ تَصْدُقْكَ نَفسُكَ فانتَسِبْ ... لَعلَّكَ تَهدِيكَ القُرُونُ الأَوائِلُ

فإِنْ لمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدنانَ والِدًا ... ودُونَ مَعَدٍّ فَلتَزَعْكَ العَواذِلُ

وأخذه أيضاً فى قوله

تَوَدُّ ابْنَتايَ أنْ يَعيشَ أبُوهُما ... وهَلْ أنا إلاَّ مِنْ رَبِيعةَ أوْ مُضَرْ

ونظر اليه محمود الوارق وابراهيم بن العباس الصولى .. فأما محمود ففى قوله

إذا ما انتَسَبْتَ إلى آدمٍ ... فلَمْ يَكُ بينَكُما مِنْ أبِ

وجازَتْ سِنُوكَ بِكَ الأَربعينَ ... وصِرْتَ الى الجانِبِ الأَجْنَبِ

ودَبَّ البَياضُ خِلالَ السَّوادِ ... فأَصبَحْتَ في شَبَهِ الأَشْهَبِ

وكيفَ تُؤَمِّلُ طُولَ الحَياةِ ... إذا كانَ حِلْمُكَ لمْ يَعزُبِ

وأما ابراهيم ففى قوله

نَعَى نفسي إليَّ أبي ... وخَبَّرَ أينَ مُنقلَبي

بمَوْعِظةٍ رآها فِي ... أبيهِ كما رأيتُ أبِي

وكان أبا نواس لحظ هذا المعنى فى قوله

وما النّاسُ إلاّ هالكٌ وابنُ هالكٍ ... وذُو نَسَبٍ في الهالكينَ عريقِ
اذا امتحنَ الدُّنيا لبيبٌ تكشّفتْ ... لهُ عنْ عَدُوٍّ في ثيابِ صديقِ

مجلس آخر ١٢

قال روى أن عمرو بن عبيد دخل على معاوية بن عمر الغلابي وهو يجود بنفسه فقال له ان الله تعبدك فى حال الصحة بالعمل بجوارحك وقلبك ووضع عنك فى هذه الحالة عمل الجوارح ولم يكلفك الا العمل بقلبك فاعطه بقلبك مايجب له عليك ٠٠ وروي أن قوماً اجتمعوا الى عمرو بن عبيد فتذاكروا السخاء فأكثروا فى وصفه وعمرو ساكت فسألوه ماعنده فقال ماأصبتم صفته ان السخي من جاد بماله تبرعاً وكف عن أموال الناس تورعاً ٠٠ وذكر اسحاق بن المفضل الهاشمى إنى لعلى باب المنصور يوماً والى جنبي عمارة بن حمزة إذ طلع عمرو بن عبيد على حمار فنزل عن حماره ثم دفع البساط برجله وجلس دونه فالتفت الىّ عمارة فقال لاتزال بصرتكم ترمينا منها بأحمق فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول أبو عثمان عمرو بن عبيد قال فوالله ما دل على نفسه حتى أرشد اليه فاتكأه يده ثم قال له أجب أمير المؤمنين جعلت فداك فمر متوكئاً عليه فالتفت الى عمارة فقلت ان الرجل الذى استحمقته قد أُدخل وتركنا فقال كثيراً ما يكون ذلك فأطال اللبث ثم خرج الربيع وهو متوكئ عليه والربيع يقول يا غلام حمار أبي عثمان فما برح حتى أتى بالحمار فأقره على سرجه وضم اليه نشر ثوبه واستودعه الله فأقبل عمارة على الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل ملو فعلتموه بولي عهدكم لقضيتم ذمامه قال فما غاب عنك مما فعل به أكثر وأعجب قال عمارة فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال الربيع ماهو إلاّ أن سمع الخليفة بمكانه فما أمهل حتى أمر بمجلس ففُرش لُبُوداً ثم انتقل اليه والمهدي معه عليه سواده وسيفه ثم أذن له فلما دخل عليه سلم بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى أتكأه فخذه

وتحفى به ثم سأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلاً رجلاً وامرأة امرأة ثم قال يا أبا
عثمان عظنا فقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (والفجر وليالٍ عشر
والشفع والوتر والليل اذا يسرِ) ومر فيها الى آخرها وقال ان ربك يا أباجعفر لبالمرصاد
قال فبكا المنصور بكاء شديداً كأنه لم يسمع تلك الآيات الا تلك الساعة ثم قال زدني
فقال ان الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم أن هـذا الأمر الذى
صار اليك انما كان في يد من كان قبلك ثم أفضى اليك وكذلك يخرج منك الى من هو
بعدك وأني أحذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة قال فبكا أشد من بكائه الأول
حتى رجف جنباه .. وفي رواية أخرى انه لما انتهى الى آخر السورة قال ياأمير المؤمنين
ان ربك لبالمرصاد لمن عمل مثل عملهم أن ينزل به مثل ما نزل بهم فاتق الله فان من وراء
بابك نيراناً تأجج من الجور مايعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسوله فقال ياأباعثمان إنا
لنكتب اليهم في الطوامير نأمرهم بالعمل بالكتاب فان لم يفعلوا فما عسى أن نصنع فقال
له مثل أذن الفأرة يجزيك من الطوامير ألله أتكتب اليهم فى حاجة نفسك فينفذونها
وتكتب اليهم في حاجة الله فلا ينفذونها والله لولم ترض من عمالك إلا رضى الله اذاً لتقرب
اليك من لانية له فيه .. [قال المرتضى] رضى الله عنه رجعنا الى نسق الحديث فقال له سليمان
ابن مجالد رفقاً بأمير المؤمنين فقد أتعبته منذ اليوم فقال له بمثلك ضاع الأمر وانتشر
لا أبا لك وما ذا خفت على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله .. وفى رواية أخرى
ان سليمان بن مجالد لما قال له ذلك رفع عمرو رأسه فقال له من أنت فقال أبو جعفر أو
لاتعرفه ياأبا عثمان قال لا ولا أبالي أن لا أعرفه فقال له هذا أخوك سليمان بن مجالد فقال
هذا أخو الشيطان ويلك يابن مجالد خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين ثم أردت أن
تحول بينه وبين من أراد نصيحته ياأمير المؤمنين ان هؤلاء اتخذوك سلّماً لشهواتهم
فأنت كالآخذ بالقرنين وغيرك يحلب فاتق الله فانك ميتٌ وحدك ومحاسب وحدك
ومبعوث وحدك ولن يغنى عنك هؤلاء من ربك شيئاً فقال له المنصور ياأبا عثمان أعنى
بأصحابك أستعن بهم فقال له اظهر الحق يتبعك أهله قال بلغنى أن محمد بن عبد الله بن
الحسن كتب اليك كتاباً قال قد جاءنى كتاب يشبه أن يكون كتابه قال فما ذا أجبته

قل أو لست قد عرفت رأيي فى السيف أيام كنت تختلف الينا وإني لا أراه قال أجل ولكن تحلف ليطمئن قلبي قال لئن كذبتك تقية لأحلفن لك تقية قل له أنت الصادق البار وقد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على زمانك فقال لاحاجة لي فيها فقال المنصور والله لتأخذنها قال والله لا أخذتها فقال له المهدى يحلف أمير المؤمنين وتحلف فترك المهدي وأقبل على المنصور فقال من هذا الفتى فقال هذا ابني محمد وهو المهدى وهو ولي العهد فقال والله لقد سميته اسماً ما استحقه بعمل وألبسته لبوساً ما هو من لبوس الأبرار ولقد مهدت له أمراً امتع مايكون به أشغل ما تكون عنه ثم التفت الي المهدى فقال نعم يابن أخي اذا حلف أبوك حلف عمك لان أباك أقدر على الكفارة من عمك قال المنصور ياأباعثمان هل من حاجة قال نعم قال ماهي قال ألا تبعث الي حتى آتيك [1] قال اذاً لا نلتقي قال عن حاجتي سألتني ثم ودعه ونهض فلما ولى اتبعه بصره وأنشأ يقول

كلُّكُمْ طالبُ صيدْ   كلُّكُمْ يمْشي رُوَيدْ
غيرَ عمْرِو بنِ عُبيدْ

وروى أن هشام بن الحكم قدم البصرة فأتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو لا يعرفه فقال لعمرو أليس قد جعل الله لك عينين قال بلى قال ولم قال لأنظر بهما فى ملكوت السموات والأرض فاعتبر قال وجعل لك فماً قال نعم قال ولم قال لأذوق الطعوم وأجيب الداعي ثم عدد عليه الحواس كلها ثم قال وجعل لك قلباً قال نعم قال ولم قال لتؤدي اليه الحواس ماأدركته فيميز بينها قال فأنت لم يرض لك ربك

---

(١) وروى من غير هذا الوجه فقال له ترفع هذا الطيلسان عنى فرفع وكان أمر المنصور أن يطرح عليه عند دخوله فقال له لا تدع إتياننا قال نعم لا يضمني واياك بلد الا أتيتك وان بدت لي حاجة اليك سألتك ولا تدعنى حتى آتيك قال اذا لا نأتينا أبداً فلما ولوا للخروج اتبعهم المنصور بصره ثم قال

كلكم يمشي رويد   كلكم حابل صيد   غير عمرو بن عبيد

تعالى ان خالق لك خمس حواس حتى جعل لها اماماً ترجع اليه يرضى لهـذا الخلق الذين حشى بهم العالم أن لا يجعل لهم اماماً يرجعون اليه فقال له عمرو ارتفع حتى ننظر في مسألتك وعرفه ثم دار هشام فى حلق البصرة فما أمسى حتى اختلفوا •• وروى أبو عبيدة قال دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علىّ بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمان أخبرنى عن صاحبك يعني الحسن يزعم أن علياً عليه السـلام قال إنى وددت أنى كنت آكل الحشف بالمدينة ولم أشهد مشهدى هذا يعنى يوم صفين فقال له عمرو بن عبيد لم يقل هـذا لانه ظن ان أمير المؤمنين شك ولكنه يقول ودّ انه كان يأكل الحشف بالمدينة ولم تكن هذه الفتنة قال فقوله فى عبد الله بن العباس يفتينا في القملة والقميلة وطار بأموالنا في ليلة فقال له فكيف تقول هـذا وابن عباس لم يفارق علياً حتى قتل وشهد صلح الحسن عليه السلام وأي مال يجتمع فى بيت مال البصرة مع حاجة علىّ الى الأموال وهو يفرّغ بيت مال الكوفة فى كل خمس ويرشه وقالوا انه كان يقيل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة هـذا باطل •• قال الجاحظ نازع رجـل عمرو بن عبيد فى القدر فقال له عمـرو ان الله تعالى قال في كتابه ما يزيل الشك عن قلوب المؤمنين فى القضاء والقدر قال تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) ولم يقل لنسألنهم عما قضيت عليهـم أو قدرته فيهم أو أردته منهم أو شئته لهم أو ليس بعد هذا الأمر الاّ الاقرار بالعـدل والسكوت عن الجور الذى لا يجوز على الله تعالى •• قال خلاد الأرقط حدثني زميل عمرو بن عبيد قال سمعته فى الليلة التى مات فيها يقول اللهم ان كنت تعلم انه لم يعرض لي أمران قط أحدهما لك فيه رضاً والآخر لى فيه هوى الاّ قدمت رضاك على هواي فاغفر لى [١] •• ومر أبو جعفر المنصور على

---

(١) وقال اسماعيل بن مسلمة أخو القعنبي رأيت الحسين بن أبي جعفر بعبادان في المنام فقال لى يعقوب ويونس بن أبي عبيد في الجنة فقلت فعمرو بن عبيد فقال في النار ثم رأيته فى الليـلة الثانية والثالثة كذلك فقلت له فى الثالثة فعمرو بن عبيد فقال في النار كم أقول لك

قبره بمرّان وهو موضع على ليال من مكة على طريق البصرة [1] وأنشأ يقول

صلّى الإلهُ عليكَ من متوسّدٍ	قبرًا مررْتُ بهِ على مرّانِ
قبرًا تضمّنَ مؤمنًا متخشّعًا	عبدَ الإلهَ ودانَ بالفرقانِ
وإذا الرّجالُ تنازعوا في شبْهةٍ	فصلَ الخطابَ بحكمةٍ وبيانِ
فلوَ انَّ هذا الدّهرَ أبقى صالحًا	أبقا لنا عمرًا أبا عثمانِ

فأما أبو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبيد الله بن مكحول العبدي ‥ وقال أبو القاسم البلخي هو من موالي عبد القيس وولد في سنة أربع وثلاثين ومائة ‥ وقال أبو الحسن الخياط ولد سنة احدى وثلاثين ومائة وقيل انه توفي في أول أيام المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين وكان سنّه مائة سنة ‥ قال البرذعي لحق أبا الهذيل في آخر عمره خرَفٌ إلاّ أنه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام بحجته وكف بصره قبل وفاته ‥ وأخذ أبو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل بن عطاء ‥ وقيل ان أبا الهذيل في حداثته بلغه ان رجلا يهودياً قدم البصرة وقطع جماعة من متكلميها فقال لعمه يا عم امض بي الى هذا اليهودي حتى أكلمه فقال له عمه يابنيّ كيف تكلمه وقد عرفت خبره وانه قطع مشايخ المتكلمين فقال لابد من أن تمضي بي اليه فمضى به قال فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلام فاذا اعترفوا له بها قال نحن على مااتفقنا عليه الى أن نجتمع على ماتدّعونه فتقدمت اليه فقلت أسألك أم تسألني فقال بل أسألك فقلت ذاك اليك فقال لي أتعترف بأن موسى نبي صادق أم تنكر ذلك فتخالف صاحبك فقلت له ان كان موسى الذي تسألني عنه هو الذى بشر بنبيي وشهد بنبوّته وصدّقه فهو نبي صادق وان كان غير من وصفت فذلك شيطان لا أعترف بنبوّته فورد عليه مالم يكن في حسابه ثم قال لي أتقول ان التوراة حق فقلت هذه المسألة تجري مجرى الأولى ان كانت هذه التوراة التى تسألني عنها هي التي تتضمن

(١) قوله على طريق البصرة وقيل بين مكة والمدينة وهو بفتح الميم

البشارة بنبي عليه الصلاة والسلام فتلك حق وان لم تكن كذلك فليست بحق ولا أقرّ بها فبُهت وأفحم ولم يدر ما يقول ثم قال لي أريد أن أقول لك شيئاً بيني وبينك فظننت أنه يقول شيئاً من الخير فتقدمت اليه فسارّني وقال أمك كذا وكذا وأم من علمك ولا يكني وقدّر أني أثب به فيقول وثبوا بي وشغبوا عليّ فأقبلت على من كان في المجلس فقلت أعزكم الله ألستم قد وقفتم على مسألته إياي وعلى جوابي له فقالوا نعم قلت أفليس عليه أن يرد جوابي أيضاً قالوا بلى قلت لهم فانه لما سارّني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد وشتم من علمني وانما ظن أني أثب عليه فيدعي أننا وثبناه وشغبنا عليه وقد عرّفتكم شأنه بعد الانقطاع فانصروني فأخذته الأيدي من كل جهة فخرج هارباً من البصرة •• وعن أبي العيناء قال قال أبو الهذيل مامعنى الخسف فقلت أن تنقلب الأرض أعلاها أسفلها فقال إن لايكن هذا اليوم بالأرض فانه لبا لناس •• وقال أبو الهذيل قال لي المعذّل بن غيلان العبدى وكان من سادات عبد القيس وكان يجتمع اليه أهل النظر ياأبا الهذيل ان فى نفسي شيئاً من قول القوم في الاستطاعة فبين لي ما يذهب بالرّيب عنى فقال خبرني عن قول الله عزوجل (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون) هل يخلو من أن يكون أكذبهم لأنهم مستطيعون الخروج وهم يكذبون فيقولون لسنا نستطيع ولو استطعنا لخرجنا معكم فأكذبهم الله تعالى على هذا الوجه أويكون على وجه آخر يقول انهم لكاذبون أى ان أعطيتهم الاستطاعة لم يخرجوا فتكون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يخرجون ولا يكون الخروج وعلى كل حال قد كانت الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج ولا نعقل للآية معنى ثالثاً غير الوجهين الذين ذكرناهما •• حكى سليمان الرّقي ان أبا الهذيل لما ورد سُرّ من رأى نزل فى غرفة الى أن يطلب له داراً تصلح له قال فمررت به فقلت له ياأبا الهذيل أتنزل فى مثل هذا المنزل فأنشدني

يقولونَ زَينُ المَرْءِ يا مَيُّ رَحلُهُ ... ألا إنَّ زَينَ الرَّحلِ يامَيُّ راكِبُه

وعن أبي مجالد قال رأيت رجلا وقد سأل أبا الهذيل وهو فى الورّاقين بقصر وضّاح

فقال له من جمع بين الزانيين فقال له يابن أخي أما بالبصرة فانهم يقولون القوادون ولا أحسب أهل بغداد يخالفونهم على هذا القول فما تقول أنت قال فخجل الرجل وسكت •• وقال أبو الهذيل قلت لرجل ممن ينفي الحركة ولم يسمه وزعم قوم انه الأصم خبّرني عن قول الله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائةَ جلدة) وذكر القاذف فقال فاجلدوه ثمانين جلدة فأيهما أكثر فقال حد الزاني قلت بكم قال بعشرين قلت فخبرني عن الجلد أهو يد الجلاد قال لا قلت أفهو السوط قال لا قلت فهو ظهر المجلود قال لا قلت أفهو الانفراج الذي بين السوط وظهر المجلود قال لا قلت أفثم شيء غير هذا يقال هو الجلد قال لا قلت فانما تقول أن لاشيء أكثر من لاشيء بعشرين فانقطع •• وقال أبو الهذيل قلت لمجوسي ما تقول في النار قال بنت الله قلت فالبقر قال ملائكة الله قص أجنحتها وحطها الى الأرض يحرث عليها فقلت فالماء قال نور الله قلت فما الجوع والعطش قال فقر الشيطان وفاقته قلت فمن يحمل الأرض قال بهمن الملك قلت فما في الدنيا شر من المجوس أخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله ثم شووها ببنت الله ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحوها على رأس بهمن أعز ملائكة الله فانقطع المجوسي وخجل مما لزمه •• ودخل أبو الهذيل يوماً على الحسن بن سهل بفم الصلح وعنده فتى قد رفع مجلسه فقال أبو الهذيل من هذا الفتى الذي قد رفعه الأمير ليوفّيه بمعرفته حقه قال رجل من أهل النجوم قال من أهل صناعة الحساب أم الأحكام قال الأحكام قال ذلك عملٌ يبطل أفنسأله قال سل فأخذ أبو الهذيل تفاحة من بين يديه وقال آكل هذه التفاحة أم لا قال تأكلها فوضعها أبو الهذيل وقال لست آكلها قال فتعيدها الى يدك وأعيد النظر فوضعها وأخذ غيرها فقال له الحسن لم أخذت غيرها قال لئلا تقول لى لا تأكلها فآكلها خلافاً عليه فيقول قد أصبت في المسألة الأولى (١) •• وقال النعمان المناني يوماً لأبي الهذيل دُلَّ على

---

(١) وحكى انه اتى صالح بن عبد القدوس وقد مات له وَلد وهو شديد الجزع عليه فقال له أبو الهذيل لا أعرف لجزعك عليه وجهاً اذا كان الانسان عندك كالزرع

حدوث العالم بغير الحركة والسكون فقال له أبو الهذيل مثلك مثل رجل قال لخصمه احضر معي الى القاضي ولا تحضر بينتك •• وذكر محمد بن الجهم صاحب الفرّاء قال رأيت أبا الهذيل وقد جاء الى الديوان في أيام المأمون فسأل سهل بن هرون بن راهيون أن يكتب له كتاباً في حاجة الى حفصويه صاحب الجيش ونهض أبو الهذيل فأملى عليَّ سهل بن هرون

إنَّ الضَّميرَ إذا سأَلتُكَ حاجةً ... لأَبي الهُذَيلِ خِلافُ ما أُبدِي

فإِذا أَتاكَ لحاجةٍ فامدُدْ لهُ ... حَبْلَ الرَّجاءِ بمُخْلَفِ الوَعْدِ

وأَلِنْ لهُ كَنفاً ليَحسُنَ ظَنُّهُ ... في غيرِ مَنْفَعةٍ ولا رِفْدِ

حتَّى إذا طالَتْ شَقاوَةُ جَدِّهِ ... ورَجا الغِنى فأَجِبهُ بالرَّدِّ

وانِ استَطَعتَ لهُ المَضَرَّةَ فاجتَهِدْ ... فيما يَضُرُّ بأَبلَغِ الجَهْدِ

وانظُرْ كَلامي فيهِ فارْمِ بهِ ... خَلفَ الثُّرَيَّا مِنكَ في البُعْدِ

وكَذاكَ فافعَلْ غيرَ مُحتَشِمٍ ... إنْ جِئتُ أَسأَلُ في أَبي الهِندِي

[قال المرتضى رضى الله عنه] ويشبه هذا المعنى ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا أبو العيناء قال كان لي صديق فجاءني يوماً فقال لي أريد الخروج الى فلان العامل وأحببت أن تكون معي اليه وسيلة وقد سألت مَن صديقه فقيل لي أبو عثمان الجاحظ وهو صديقك فأحب أن تأخذ لي كتابه اليه بالعناية قال فصرت الى الجاحظ فقال لي في أي شئ جاء أبو عبد الله فقلت مسلماً

قال صالح يا أبا الهذيل انما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك فقال له كتاب الشكوك ماهو يا صالح قال هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان فقال له أبو الهذيل فشك أنت في موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان كان قد مات وشك أيضاً في قراءته كتاب الشكوك وان كان لم يقرأه

وقاضياً لحق وفي حاجة لبعض أصـدقائي وهي كذا وكذا فقال لا تشغلنا الساعة عن الحادثة فاني في غد أوجه اليك بالكتاب فلما كان من الغد وجـه اليَّ بالكتاب فقلت لابني وجه هذا الكتاب الى فلان ففيه حاجته فقال لي ان أبا عثمان بعيد الغور فينبغي أن تفضه وتنظر ما فيه ففعل فاذا في الكتاب كتابي اليك مع من لا أعرفه وقد كلمني فيه من لا أوجب حقه فان قضيت حاجته لم أحمـدك وان رددته لم أذممك فلما قرأت الكتاب مضيت من فوري الى الجاحظ فقال ياأبا عبد الله قد علمت أنك أنكرت ما في الكتاب فقلت أو ليس موضع نُـكرة فقال لا هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن اعتني به فقلت لا والله ما رأيت رجلا أعلم بطبعك وما جلت عليه من هذا الرجل أعني صاحب الحاجة أعلمت انه لما قرا الكتاب قال اعطأم الجاحظ عشرة آلاف وأم من يسأله فقلت ماهذا أتشتم صديقنا فقال هذه علامتي فيمن أشكره .. وفي رواية أخري ان أبا العيناء سلم الكتاب الى صاحب الحاجة وقال له فض الكتاب فقال انه مختومٌ فقال طينه فهو من طنه .. [قال المرتضي] رضي الله عنه وأظن ان أبا العيناء تنبه على فض الكتاب وقراءته بخبر طرفة بن العبـد والمتلمس الضبعي وذاك انهـما وفدا على عمرو بن هند ونادماه واحتظيا به ثم أفضى الأمر الى ان هجاه كل واحد منهما (١) وعرض به بالشعر

(١) قوله أفضى الأمر الى ان هجاه كل واحد منهما أما طرفة فهجاه بأبياته المشهورة

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثا حول قبتنا تخورُ

.. ومنها أيضاً

قسمت الدهر في زمن رخي كذاك الحكم يقصد أو يجور

وسبب علمه بهجو طرفة بن العبد إياه انه نظر يوماً الى كشح عبد عمرو بن مرثد فقال لقد أبصر طرفة حسن كشحك وتمثل

ولا خير فيه غير أن له غنى وان له كشحاً اذا قام أهضما

وهو من أبيات هجا بها طرفة عبد عمرو فغضب وقال لقد قال للملك أقبح من هذا قال عمرو وما الذي قال فندم عبـد عمرو لأن طرفة كان ابن عمه وأبى أن يسـمعه فقال أسمعنيه وطرفة آمن فأنشده القصيدة

المشهور فحق عليهما وهم بقتلهما ثم أشفق من ذلك وأراد قتلهما بيد غيره وكان على طرفة أحنق فعلم انه ان قتله هجاه المتلمس فكتب لهما كتاباً الى البحرين وقال لهما إني قد كتبت لكما بصلة فاشخصا لقبضها فخرجا من عنده والكتابان في أيديهما فمرّا بشيخ جالس على ظهر الطريق منكشفاً يتبرز ومعه كسرة خبز يأكل منها ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه فقال أحدهما لصاحبه ما رأيت أعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقالته فقال وما ترى من عجب ادخل طيباً واخرج خبيثاً واقتل عدواً وان أعجب مني لمن يحمل حتفه بيده وهو لا يدري فأوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب بكتابه فلقيه غلام من أهل الحيرة فقال له أتقرأ يا غلام قال نعم ففض خاتم كتابه ودفعه الى الغلام فقرأه فاذا فيه اذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً فأقبل على طرفة فقال له تعلمن والله لقد كتب فيك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقرأه عليك فقال كلاً ما كان ليجسر على قومي بمثل هذا ولم يلتفت الى قول المتلمس فألقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة وقال

قَذَفتُ بها بالثِّنْيِ منْ جَنْبِ كافرٍ ... كَذَلِكَ أَقنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلَّلِ

رَضِيتُ لها بالماءِ لَمَّا رأيتُها ... يَجُولُ بها التَّيارُ في كُلِّ جَدْوَلِ

وأما المتلمس فذكر ابن السكيت في شرح ديوان طرفة انه هجاه بقصيدة منها

ألك السدير وبا ... رق ولك الخورنق

وروى أبو الفرج الأصبهاني من طريقه عن ابن السكيت انه هجاه بأبيات منها

قولا لعمرو بن هند غير متئب ... يا أخنس الأنف والأضراس كالعدس

ملك النهار وأنت الليل مومسة ... ماء الرجال على فخذيك كالقرس

لو كنت كلب قنيص كنت ذا جدد ... تكون إربته في آخر المرس

أراد بالقرس القريس وهو الجامد والقنيص القانص والقنيص أيضاً الصيد والاربة العقدة والمرس الحبل أي هو أخس الكلاب فقلادته أخس القلائد .. وقال ابن الكلبي هذا الشعر لعبد عمرو بن عمار يهجو به الأبيرد الغساني وبسببه قتل عبد عمرو

ـ كافر ـ نهر بالحيرة ـ وأقو ـ انثني ـ والقط ـ الكتاب ـ والتيار ـ معظم الماء وكثرته .. وقال المتلمس أيضاً

مَنْ مُبلغ الشُّعَراء عنْ أَخويْهِمُ نبأً فتصدُقُهُمْ بذلكَ الأَنفُسُ
أَوْدَى الذي عَلِقَ الصحيفةَ منهما ونجا حِذارَ حِبائهِ المتلمِّسُ
أَلقَى صحيفتَهُ ونجَّتْ كُورَهُ وَجناءُ مُجمرةُ المناسمِ عِرْمِسُ
عَيْرانةٌ طبخَ الهواجرُ لحمَها فكأنَّ نقبتَها أديمٌ أملسُ
أَطُرَيْفةَ بن العَبْدِ إنّكَ حائنٌ أبسالةِ الملكِ الهمامِ تمرَّسُ
أَلْقِ الصحيفةَ لا أبالَكَ إنّهُ يُخشَى عليكَ مِنَ الحِباءِ النِّقْرِسُ

ـ النقرس ـ هنا الداهية الدهماء ومضى طرفة بكتابه الى البحرين فأمر به المعلّى ابن حنش العبدي فقتل .. فقال المتلمس

عَصاني فما لاقى رَشادا وإنما تبيَّنَ في أمرِ الغويِّ عواقبُهْ
فأَصبحَ محمولاً على ظهرِ آلةٍ تمجُّ نجيعَ الجوفِ منهُ تَرائبُهْ
فإلاَّ تجلِّلها يُعالوكَ فوقَها وكيفَ توقّى ظهرَ ما أنتَ راكبُهْ

ولحق المتلمس ببلاد الشام وهجا عمراً وبلغه أن عمراً يقول لان وجده بالعراق ليقتلنه .. فقال

آليتَ حَبَّ العراقِ الدّهرَ أَطعمُهُ والحَبُّ يأكلُهُ في القريةِ السُّوسُ[1]

---

(١) قال البغدادي والبيت من شواهد سيبويه على أن نصب حب على نزع الخافض أي على حب العراق والبيت بالخطاب لعمرو بن هند يقول له حلفت لا تتركني بالعراق ولا تطعمني من حبه والحال أن الحب لا يبقى ان أبقيته بل يسرع اليه الفساد ويأكله السوس فالبخل به قبيح وهذا على طريق الاستهزاء والسخرية وبعده

لم تدرِ بصرى بما آليت من قسم ولا دمشق اذا ديس الكراديس

وجرى المثل بصحيفة المتلمس فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين أورثوه أشعارهم

وَهَبَ القصائدَ لي النَّوَابغُ إذْ مَضَوْا ... وأبو يَزِيدَ وذُو القُرُوحِ وجَرْوَلُ
وأخُو بَني قَيسٍ وهُنَّ قتلْنَهُ ... ومُهَلْهِلُ الشُّعَرَاءِ ذَاكَ الأَوَّلُ

يعني بالنوابغ النابغة الذبياني والجعدي ونابغة بني شيبان ويعني بأبي يزيد المخبّل السعدي وجرول هو الحطيئة وذو القروح امرؤ القيس وأخو بني قيس طرفة ومعنى قوله — وهن قتلنه — يعني القصائد التي هجا بها عمرو بن هند •• ويقال ان صاحب هذه القصة هو النعمان بن المنذر وذلك أشبه بقول طرفة

أَبَا مُنْذِرٍ كانتْ غُرُورًا صَحيفتي ... ولمْ أُعطِكم بالطَّوعِ مالي ولا عِرْضي
أبا مُنْذِرٍ أفنيْتَ فاستَبْقِ بَعضَنا ... حَنَانَيْكَ بعضُ الشرِّ أهْوَنُ من بَعْضِ

وأبو المنذر هو النعمان بن المنذر وكان النعمان بعد عمرو بن هند وقد مدح طرفة المتلمس في النعمان فلا يجوز أن يكون عمرو قتله فيشبه أن تكون القصة مع النعمان

مجلس آخر ١٣

وكان أبو سهل بشر بن المعتمر من وجوه أهل الكلام ويقال ان جميع معتزلة بغداد كانوا من مستجيبيه •• وقال أبو القاسم البلخي انه من أهل بغداد وقيل من أهل الكوفة وذكر الجاحظ انه كان أبرص •• حكي انه كان يوماً في مجلسه وعنده أصحابه ومعه مجبر يسألهم ويقول أنتم تحمدون الله على إيمانكم وهم يقولون نعم فيقول لهم فكأنه يحب أن يحمد على ما لم يفعل وقد ذم ذلك في كتابه فيقولون لا إنما ذم من أحب أن يحمد على ما لم يفعل ممن لم يعن عليه ولم يدع اليه وهو يشغب عليهم إذ أقبل ثمامة بن أشرس فقال بشر للمجبر قد سألت القوم وأجابوك وهذا أبو معن فاسأله عن المسئلة

وبصرى مدينة بالشام يقول لاندرى كثرة الطعام الذى ببصرى وبدمشق والكراديس أكداس الطعام ومن هنا يعلم أن الخطاب لعمرو لا للنعمان كما يأتي

فقال له هل يجب عليك أن تحمد الله على الايمان قال بل هو يحمدني عليه لانه أمرني به ففعلته وأنا أحمده على الأمر به والتقوية عليه والدعاء اليه فانقطع المجبر فقال بشر شبهت فسهلت .. قال الجاحظ وكان بشر يقع فى أبى الهذيل وينسبه الى النفاق فقال وهو يصف أبا الهذيل لأن يكون لا يعلم وهو عند الناس يعلم أحب اليه من أن يعلم ويكون عند الناس لا يعلم ولأن يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية أحب اليه من أن يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة ولأن يكون نبيل المنظر سخيف المخبر أحب اليه من أن يكون نبيل المخبر سخيف المنظر وهو بالنفاق أشد عجباً منه بالاخلاص ولباطل مقبول أحب اليه من حق مدفوع .. ولبشر أشعار كثيرة يحتج فيها على أصحاب المقالات وذكر الجاحظ انه لم ير أحداً أقوى على المخمس والمزدوج مما قوي عليه بشر وانه كان في ذلك أكثر وأقدر من أبان اللاحقى وهو القائل

إنْ كُنتَ تَعلَمُ ما أقو ... لُ وما تقولُ فانتَ عالِمْ

أوكُنتَ تجهلُ ذا وذا ... كَ فكُنْ لأهلِ العلمِ لازِمْ

أهلُ الرِّياسةِ مَنْ ينـازعهمْ رِياستَهمْ فظالِمْ

سَهِرَتْ عيونهمُ وأنـتَ عن الَّذي قاسوهُ حالِمْ

لا تطلُبَنَّ رياسةً ... بالجهلِ أنتَ لها مُخاصِمْ

لولا مقامهمُ رَأيـتَ الدِّينَ مُضطربَ الدَّعائمْ

فأما أبو اسحق ابراهيم بن سيار النظّام فانه كان متقدماً فى العلم بالكلام حسن الخاطر شديد التدقيق والغوص على المعانى وإنما أدّاه الى المذاهب الباطلة التى تفرد بها واستشنعت منه تدقيقه وتغلغله .. وقيل انه مولى الزياديين من ولد العبيد وان الرق جرى على أحد آبائه .. وقيل لنظّام ما الاختصار فقال الذى اختصاره فساد .. وقال لرجل أتعرف فلاناً المجوسي فقال نعم ذاك الذى حلق وسط رأسه كما يفعل اليهودى فقال النظّام لا مجوسياً عرفت ولا يهوديا وصفت .. قال الجاحظ وذكر النظّام عبد

الوهاب الثقفي فقال هو أحلى من أمنٍ بعد خوف وبُرء بعد سقم وخصب بعد جدب وغناً بعد فقرٍ وطاعة المحبوب وفرج المكروب ومن الوصل الدائم مع الشباب الناعم وللنظّام شعر كثير صالح فيه

يا تاركي جسداً بغير فؤادِ ... أسرفتَ في الهجران والإبعادِ
إنْ كان يمنعك الزيارةَ أعينٌ ... فادخلْ عليَّ بعلةِ العوّادِ
كيما أراك وتلك أعظمُ نعمةٍ ... ملكتْ يداك بها منيعَ قيادي
إنَّ العيونَ على القلوبِ إذا جنتْ ... كانتْ بليتُها على الأجسادِ

.. وله

توهّمهُ طرفي فآلمَ خدّهُ ... فصار مكانَ الوهمِ من نظري أثرُ
وصافحهُ قلبي فآلمَ كفّهُ ... فمن صفحِ قلبي في أناملهِ عقرُ
ومرَّ بقلبي خاطراً فجرحتهُ ... ولم أرَ جسماً قطُّ يجرحهُ الفكرُ
يمرُّ فمن لينٍ وحسنِ تعطّفٍ ... يقالُ به سكرٌ وليس بهِ سكرُ

ويقال ان أبا العتاهية قال أنشدت النظام شعراً

إذا همَّ النديمُ لهُ بلحظٍ ... تمشّتْ في محاسنهِ الكلومُ

فقال ينبغي أن ينادمه هذا أعمى .. [قال المرتضى رضى الله عنه] وأبيات النظام تتضمن معنى بيت أبي العتاهية ولسنا ندرى أيهما أخذ من صاحبه والنظّام يكرر هذا المعنى كثيراً فى شعره فمن ذلك قوله

رقَّ فلو بزّتْ سرابيلُه ... علّقهُ الجوُّ من اللطفِ
يجرحهُ اللحظُ بتكرارهِ ... ويشتكي الإيماءَ بالطرفِ

وحكى ان أبا النظام جاء به وهو حدث الى الخليل بن أحمد ليعلمه فقال له الخليل يوماً ليمتحنه وفى يده قدح زجاج يا بني صف لي هذه الزجاجة فقال أبمدح أم بذم فقال

يمدح قال نعم تريك القذى وتقيك الأذى ولا تستر ماوري قال فذمها قال سريع كسرها بطيء جبرها قال فصف هذه النخلة وأومأ الى نخلة في داره فقال أيمدح أم يذم قال يمدح قال حلو مجتناها باسق منتهاها ناضر أعلاها قال فذمها قال هي صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالأذى فقال الخليل يا بني نحن الى التعلم منك أحوج ٠٠[قال المرتضى] رضي الله عنه وهذه بلاغة من الغلام حسنة لان البلاغة هي وصف الشيء ذماً أو مدحاً بأقصى مايقال فيه ٠٠ وشبيه بهذا المعنى خبر لبيد المشهور في هجائه البقلة التي امتحن بهجائها واختبر بذمها فقال فيها أبلغ مايقال في مثلها وذلك أن عمارة وأنساً وقيساً واربيع بني زياد العبسيين (١) وفدوا على النعمان بن المنذر ووفد عليه العامريون بنو أم البنين وتابهم أبو عامر بن مالك جعفر بن كلاب وهو ملاعب الأسنة وكان العامريون ثلاثين رجلا وفيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو يومئذ غلام له ذؤابة وكان الربيع بن زياد العبسي ينادم النعمان ويكثر الجلوس عنده ويتقدم على من سواه وكان يدعى الكامل لشطاطه وبياضه وكماله فضرب النعمان قبة على أبي براء وأجرى عليه وعلى من كان معه النزل فكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم فافتخروا يوماً بحضرته فكان العبسيون يغلبون العامريين وكان الربيع اذا خلى بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم ففعل ذلك مراراً لعداوته لبني جعفر لانهم كانوا أسروه فصد النعمان عنهم حتى

---

(١) قوله العبسيين هم اخوة وأبوهم زياد العبسي وكل واحد منهم قد رأس في الجاهلية وقاد جيشاً وأمهم فاطمة بنت الخرشب الانمارية إحدى المنجبات وهي التي سئلت أي بنيك أفضل فقالت الربيع بل عمارة بل قيس بل أنس ثم قالت ثكلتهم ان كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لايدري أين طرفاها ٠ وسئلت عنهم أيضاً فقالت في عمارة لاينام ليلة يخاف ولا يشبع ليلة يضاف وقالت في الربيع لا تعد مآثره ولا يخشى في الجهل بوادره وقالت في أنس اذا عزم أمضى واذا سئل أرضى واذا قدر أغضى وكان لكل واحد منهم لقب فكان عمارة يقال له الوهاب وكان الربيع يقال له الكامل وقيس يقال له الجواد وأنس يقال له أنس الحفاظ وكان عمارة آلى على نفسه أن لايسمع صوت أسير ينادي في الليل إلا افتكه

نزع القبة عن أبي براء وقطع النزل ودخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاء وقد كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غضاباً وهموا بالانصراف ولبيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم ويغدو بإبلهم فيرعاها فاذا أمسى انصرف بها فأتاهم تلك الليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع فقال لهم ما كنتم تتناجون فكتموه وقالوا له اليك عنا فقال خبروني فلعل لكم عندي فرجاً فزجروه فقال والله لا أحفظ لكم متاعاً ولا أسرح لكم بعيراً أو تخبروني وكانت أم لبيد عبدية في حجر الربيع فقالوا له خالك غلبنا على الملك وأصد عنا[١] وجهه فقال هل تقدرون أن تجمعوا بيني وبينه غداً حين يقعد الملك فأزجر به زجراً ممضاً مؤلماً لا يلتفت اليه النعمان بعده أبداً فقالوا له وهل عندك ذلك قال نعم قالوا فانا نبلوك بشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالأرض تدعى التربة فاقتلعها من الأرض وأخذها بيده وقال هذه البقلة التربة التفلة الرذلة التي لا تذكي ناراً ولا تؤهل داراً ولا تسر جاراً عودها ضئيل وفرعها ذليل وخيرها قليل بلدها شاسع ونبتها خاشع وآكلها جائع والمقيم عليها قانع أقصر البقول فرعاً وأخبثها مرعاً وأشدها قلعاً فحرباً لجارها وجدعاً فالقوا بي أخا بني عبس أرجعه عنكم بتعس ونكس وأتركه من أمره في لبس فقالوا له نصبح ونرى فيك رأينا فقال لهم عامر انظروا الى غلامكم هذا فان رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء انما تكلم بما جرى على لسانه وان رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم فرمقوه بأبصارهم فوجدوه قد ركب رحلا يكدم واسطته حتى أصبح فلما أصبحوا قالوا أنت والله صاحبه فحلقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين وألبسوه حلة وغدوا به معهم فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع الى جانبه فذكروا للنعمان حاجتهم فاعترض الربيع في كلامهم فقام لبيد وقد دهن أحد شقي رأسه وأرخا إزاره وانتعل نعلا واحدة وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهلية اذا أرادت الهجاء فمثل بين يديه ثم قال

---

(١) قوله وأصدعنا .. قال الزجاج في كتاب فعلت وأفعلت في باب الصاد صدني الرجل عن الأمر واصدني والمعنى واحد

يا رُبَّ هَيْجا هي خيرٌ من دَعَهْ　　إذْ لا تزالُ هامَتي مُقَزَّعهْ

نحنُ بنى أمّ البنينَ الأربعهْ　　ونحنُ خيرُ عامرِ بنِ صعصعه

المطعمونَ الجفنةَ المدعدعهْ　　والضاربونَ الهامَ تحتَ الخيضعه

مهلاً أبيتَ اللعنَ لا تأكلْ معهْ　　إنّ استهُ من برَصٍ ملمَّعه

وإنهُ يُدخلُ فيها إصبعه　　يُدخلها حتّى يُواري أشجعه

كأنهُ يطلبُ شيئاً ضيَّعه

فلما فرغ لبيد التفت النعمان الى الربيع يرمقه شزراً وقال كذلك أنت فقال كذب والله ابن الحمق اللئيم فقال النعمان أفٍّ لهذا الطعام لقد خبثت عليَّ طعامي فقال الربيع أبيت اللعن أما إنى قد فعلت بأمه لايكني وكانت فى حجره فقال لبيد أنت لهذا الكلام أهل أما إنها من نسوة غير فعل وأنت المرء قال هذا فى يتيمته .. [قال المرتضى] رضى الله عنه وجدت فى رواية أخرى أما انها من نسوة فُعُل وانما قال ذلك لانها كانت من قوم الربيع فنسبها الى القبيح وصدقه عليها تهجينا له ولقومه فأمر الملك بهم جميعاً فأخرجوا وأعاد على أبى براء القبسة وانصرف الربيع الى منزله فبعث اليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به وأمره بالانصراف الى أهله فكتب اليه إنى قد تخوفت أن يكون قد وقع فى صدرك ما قال لبيد ولست برائم حتى تبعث اليَّ من يجردنى ليعلم من حضرك من الناس إنى لست كما قال فأرسل اليه انك لست صانعاً بانتفائك مما قال لبيد شيئاً ولا قادراً على رد مازلّت به الألسن فالحق بأهلك ثم كتب اليه النعمان فى جملة أبيات جواباً عن أبيات كتبها اليه الربيع [١] مشهورة

---

(١) قوله ثم كتب اليه النعمان فى جملة أبيات جواباً عن أبيات كتبها اليه الربيع مشهورة أبيات الربيع هى

لئن رحلت جمالي إن لي سعة　　ما مثلها سعة عرضاً ولا طولا

بحيث لو وزنت لخم بأجمعها　　لم يعدلوا ريشة من ريش سمويلا

قَدْ قِيلَ ذٰلِكَ إِنْ حَقًّا وإِنْ كَذِبا فما اعتِذارُكَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلا

وأخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دايد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة وأخبرنا به أيضاً المرزباني قال حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال أخبرنا محمد بن زياد بن زبّان عن الكلبي عن عبد الله بن مسلم البكائي وكان قد أدرك الجاهلية وفي حديث كل واحد زيادة على الآخر ولم نأت بجميع الخبر على وجهه بل أسقطنا منه مالم نحتج اليه وأوردنا ماأوردنا منه بألفاظه •• [قال المرتضى رضى الله عنه] أما قوله ـ نحن بنى أم البنين الأربعه ـ فانه نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم جميعاً •• وأم البنين هى بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب ولدت منه عامر بن مالك ملاعب الأسنة وطفيل بن مالك فارس قرزل وهو أبو عامر بن الطفيل وقرزل فرس كانت له •• وربيعة بن مالك أبا لبيد وهو ربيع المقترين •• ومعاوية بن مالك معوّد الحكام وانما سمى معوّد الحكام بقوله

أُعوِّدُ مِثلَها الحُكَّامَ بَعدِي إِذَا ما الحَقُّ في الأَشياءِ نابا

وولدت عبيدة الوضّاح فهؤلاء خمسة وقال لبيد أربعة لأن الشعر لم يمكنه من ذلك[1]

ترعى الروائم أحرار البقول بها لا مثل رعيكم ملحاً وغاسولا

فابرق بأرضك يا نعمان متكئاً مع النطاسي يوماً وابن نوفيلا

وأبيات النعمان هي

شرد برحلك عنى حيث شئت ولا تكثر علىّ ودع عنك الأقاويلا

فقد ذكرت به والركب حامله ورداً يعلل أهل الشام والنيلا

فما انتفاؤك عنه بعد ما جزعت هوج المطىّ به أبراق شمليلا

قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارك من شئ اذا قيلا

فالحق بحيث رأيت الأرض واسعة وانشر بها الطَرْفَ إن عرضاً وإن طولا

(١) قوله إن لبيد انما قال أربعة وهم خمسة لضرورة الشعر هذا قول الفراء وهو

٠٠ وأما ـ الجفنة المدعدعة ـ فهي المملوأة ٠٠ وأما ـ الخيضعة ـ فان الأصمعي يذكر أن لبيداً قال تحت الخضعة يعني الجلبة فسوّته الرواة ٠٠ وقيل أن الخيضعة أصوات وقع السيوف والخيضعة أيضاً البيضة التي تلبس على الرأس والخيضعة الغبار والقول يحتمل كل ذلك ٠٠ وأما ـ أبيت اللعن ـ فان أبا حاتم قال سألت الأصمعي عنه فقال معناه أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه ٠٠ وأما ـ الأشاجع ـ فهي العروق والعصب الذي على ظهر الكف وقد روى أكل يوم هامتي مقزّعه ـ والقزع ـ تساقط بعض الشعر والصوف وبقاء بعضه يقال كبش أقزع ونعجة قزعاء

فأما الجاحظ فهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى لأبي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي وذكر المبرد انه ما رأى أحرص على العلم من ثلاثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحاق القاضي ٠٠ فأما الجاحظ فانه كان اذا وقع بيده كتاب قرأه من أوله الى آخره أي كتاب كان ٠٠ وأما الفتح بن خاقان فانه كان يحمل الكتاب في خفه فاذا قام بين يدي المتوكل للبول أو للصلاة أخرج الكتاب للنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريده ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه الى أن يأخذ مجلسه ٠٠ وأما اسمعيل بن اسحاق فإني ما دخلت عليه قط إلاّ وفي يده كتاب ينظر فيه أو يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه ٠٠ قال الباخي تفرد

قول فارغ والصواب كما قال ابن عصفور في الضرائر لم يقل إلاّ أربعة وهم خمسة على جهة الغلط وانما قال ذلك لان أباه كان مات وبقي أعمامه وهم أربعة وهو مسبوق بالسهيلي فانه قال وانما قال الأربعة لان أباه كان قد مات قبل ذلك لا كما قال بعض الناس وهو قول يعزى الى الفراء انه قال انما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافي فيقال له لا يجوز للشاعر أن يلحن لاقامة وزن الشعر فكيف بان يكذب لاقامة الوزن وأعجب من هذا انه استشهد به على تأويل فاسد تأوله في قوله سبحانه ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ وقال أراد جنة واحدة وجاء بلفظ التثنية لتتفق رؤس الآي أوكلاماً هذا معناه فصُمي صمام ما أشنع هذا الكلام وأبعده عن العلم وفهم القرآن وأقل هيبة قائله من أن يتبوّء مقعده من النار

الجاحظ بالقول بان المعرفة طباع وهي مع ذلك فعل العبد على الحقيقة وكان يقول في سائر الأفعال انها تنسب الى العباد على أنها وقعت منهم طباعاً وانما وجبت بارادتهم وليس بجائز أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف وقد استغرقه حبه لمذهبه وشغفه به وإلفه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه [1] •• وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك الزيات وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد للمداوة التي كانت بين أحمد ومحمد فلما قبض على محمد الزيات هرب الجاحظ فقيل له لم هربت فقال خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور يريد ما صُنع بمحمد بن عبد الملك من إدخاله تنوراً فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات •• وروى انه أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن أبي دؤاد قال والله ما علمتك إلا متناسياً للنعمة كفوراً للصنيعة معدناً للمساوي وماقصرت باستصلاحي لك ولكن الأيام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة دخلتك وسوء اختيارك وغالب طبعك فقال الجاحظ خفض عليك أيدك الله فوالله لأن يكون لك الأمر عليَّ خيرٌ من أن يكون لي عليك ولأن أسيء وتحسن أحسن في الأحدوثة عنك من أن أحسن وتسيء ولأن تعفو عني في حال قدرتك أجمل بك من الانتقام مني فقال ابن أبي دؤاد قبحك الله فوالله ما علمتك إلا كثير تزويق اللسان وقد جعلت بيانك امام قلبك ثم اضطغنت فيه النفاق والكفر ياغلام صر به الى الحمام وأمط عنه الأذى فاخذت عنه السلسلة والقيد وأُدخل الحمام وحُمل اليه تخت من ثياب وطويلة وخف فلبس ذلك ثم أتاه فصدره في مجلسه ثم أقبل عليه وقال هات الآن حديثك ياأبا عثمان •• وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول احذر من تأمن فانك حذرٌ ممن تخاف •• وقال الجاحظ قلت لأبي يعقوب

(١) وروى عن أبي عمرو انه جرى ذكر الجاحظ في مجلس أبي العباس أحمد بن يحيى فقال أمسكوا عن ذكر الجاحظ فانه غير ثقة •• قال الأزهري وكان الجاحظ روى عن الثقات ماليس من كلامهم وكان قد أوتي بسطة في لسانه وبياناً في خطابه ومجالا واسعاً في فنونه غير ان أهل العلم والمعرفة ذموه وعن الصدق دفعوه ••

الخزيمي الشاعر من خلق المعاصي قال الله قلت فمن عذب عليها قال الله قلت فلم قال لا أدري والله ٠٠ وكان الجاحظ يقول ينبغي للكاتب أن يكون رقيق حواشي الكلام عذب ينابيعه اذا حاور سدد سهم الصواب الى غرض المعنى ٠٠ وقال لا تكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة ٠٠ وقال سوار بن أبي شراعة كنت عند الجاحظ فرآني أكتب خطاً ردياً في ورق ردئ متقارب السطور فقال لي ما أحسبك تحب ورثتك فقلت وكيف ذاك قال لانى أراك تسيء بهم فيما تخلفه ٠٠ وذكر أبو العباس المبرد قال سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه أنت والله أحوج الى هوان من كريم الى إكرام ومن علم الى عمل ومن قدرة الى عفو ومن نعمة الى شكر ٠٠ وقال المبرد قال لي الجاحظ يوماً أتعرف مثل قول اسمعيل بن القاسم

ولاَ خيرَ فيمَنْ لا يُوَطِّنُ نفسَهُ على نائباتِ الدَّهرِ حينَ تنوبُ

فقلت نعم قول كثير ومنه أخذ

فقلتُ لها يا عزُّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذلَّتِ

وروى يموت بن المزرع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ فى الجماز يهجوه

نَسَبُ الجمَّازِ مقـــصورٌ اليهِ مُنْتهاهُ
تنتهي الأحسابُ بالنـــاس ولاَ يعدُو قفاهُ
يتحاجى منْ أبو الـــجمّازِ فيهِ كاتباهُ
ليس يَدْرِي من أبو الـــجمّازِ إلاَّ منْ يراهُ

أخبرنا المرزبانى قال أخبرنا علي بن هرون قال أنشدنى وكيع قال أنشدنى أبو العيناء قال أنشدني الجاحظ لنفسه في الخضاب

زُرْتُ فتاةً منْ بني هلالِ فاستعجلَتْ إليَّ بالسُّؤالِ
ما لى أراكَ قانيَ السِّبالِ كأنما كرعْتَ في جرْيالِ

ما يبتغي مثلك من أمثالي   تنحَّ قدّامي ومن حيالي

●● [قال المرتضى رضى الله عنه] قوله — كأنما كرعت فى جريال — مليح قوي ولا يشبه شعر الجاحظ للينه وضعف كلامه ●● وذكر أبو العيناء قال حدثني ابراهيم بن رياح قال أنشدني الجاحظ يمدحني

بَدَا بي حينَ أثرى بإخوانه   ففلَّلَ عنهمُ شَبَاةَ العدَمْ

وذكَّرهُ الحزمُ رَيبَ الزما   نِ فبادرَ بالعُرْفِ قبلَ النَّدَم

قال ابراهيم فذاكرت بها أحمد بن أبي دؤاد فقال قد أنشدنيهما يمدحني بهما ثم لقيت محمد بن الجهم فقال قد أنشدنيهما يمدحني بهما وقال يموت بن المزرع سمعت خالي الجاحظ يقول لا أعرف شعراً يفضل قول أبي نواس

ودَارِ ندَامى عطَّلوها وأدْلجُوا   بها أثرٌ منهمْ جَديدٌ ودَارِسُ

مَساحِبُ من جرّ الزّقاقِ على الثّرى   وأضغاثُ رَيحانٍ جَنيٌّ ويابِسُ

حبَستُ بها صحبي فجدّدتُ عهدَهمْ   وإني على أمثال تلكَ لحابِسُ

ولم أدرِ من همْ غيرَ ما شهِدَتْ به   بشرقيّ ساباطَ الدّيارُ البَسابِسُ

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً   ويوماً لهُ يومُ التَّرحُّلِ خامِسُ

تُدارُ علينا الرّاحُ في عَسجَديّةٍ   حبتْها بأنواعِ التّصاويرِ فارِسُ

قَرارَتُها كسرى وفي جنباتِها   مَهًى تدَّريها بالقسيِّ الفوارِسُ

فللخمرِ ما زُرَّتْ عليهِ جيوبُها   وللماءِ ما دارَتْ عليهِ القلانِسُ

قال الجاحظ فأنشدتها أبا شعيب القلال فقال يا أبا عثمان لو نقر هذا الشعر لطن قلت ويلك ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت ●● أخذ أبو نواس قوله

ولمْ أدرِ منْ همْ غيرَ ما شهدَتْ بهِ   بشرقيِّ ساباطَ الدّيارُ البَسابِسُ

من أبي خراش الهذلي

ولمْ أذرِ مَنْ أَلقى عليه رداءهُ سوى أنَّهُ قد سُلَّ عن ماجدٍ محضِ

ويقال ان أبا خراش أول من مدح من لا يعرفه وذاك ان خراش بن أبي خراش أُسر هو وعروة بن مرة فطرح رجل من القوم رداءه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة بن مرة ونجّاه فلما تفرغوا له قال أفلت منّي ويقال بل رآه في الأسر رجل من بني عمه فألقى عليه رداءه ليجيره به وقال له النجاء ويلك فقال أبو خراش في ذلك

حَمِدْتُ إلهي بَعْدَ عُرْوَةَ إذْ نَجا خِرَاشٌ وبعضُ الشَّرِّ أهونُ من بعضِ

فأقسمُ لا أَنسَى قتيلاً رُزِئْتُهُ بجانبِ قوسى ما مَشيتُ على الأرضِ

على أنَّها تعفو الكلومُ وإنَّما نُوَكَّلُ بالأدنى وإنْ جلَّ ما يمضي

ولمْ أذرِ مَنْ أَلقى عليه رداءهُ سوى أنَّهُ قد سُلَّ عن ماجدٍ محضِ

وأخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم بن شهاب قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن عمر البرذعي المتكلم قال صرت الى منزل الجاحظ في أول ماقدمت من بلدي وقد اعتل علته التي فلج فيها فاستأذنت عليه فخرج اليَّ خارج من منزله فقال لي يقول لك وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل فانصرفت عنه .. وذكر يموت بن المزرّع قال وجّه المتوكل في السنة التي قُتل فيها أن يحمل اليه الجاحظ من البصرة وقد سأله الفتح ذلك فوجده لا فضل فيه فقال ان أراد حمله ما يصنع بامرء ليس بطائل ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج بائل وعقل زائل ولون حائل .. وذكر المبرد قال سمعت الجاحظ يقول أنا من جانبي الأيسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ماعلمت ومن جانبي الأيمن مُنقرَسٌ فلو مر بي الذباب لألمتُ وبي حصاة لا ينسرح لي البول معها وأشد ماعليّ ست وتسعون .. وقال يوماً لمتطبب يشكو اليه علته قد اصطلحت الاضداد على جسدي ان أكلت بارداً أخذ برجلي وان أكلت حاراً أخذ برأسي وتوفي في سنة خمس وخمسين ومائتين

مجلس آخر ١٤

[تأويل آية] ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله هم المتقون﴾ سأل سائل فقال كيف ينفي كون تولية الوجوه الى الجهات من البر وانما يفعل ذلك في الصلاة وهي بر لا محالة وكيف خبّر عن البر بمن والبر كالمصدر ومن اسمٌ محضٌ وعن أي شيء كنّى بالهاء في قوله تعالى ﴿وآتى المال على حبه﴾ وما المخصوص بأنها كناية عنه وقد تقدمت أشياء كثيرة وعلى أي شيء ارتفع الموفون وكيف نصب الصابرون وهم معطوفون على الموفين وكيف وحد الكناية في موضع وجمعها في آخر فقال من آمن وآتى المال وأقام الصلاة ثم قال والموفون والصابرين يقال له فيما .. ذكرته أولاً جوابان . أحدهما انه أراد تعالى ليس الصلاة هي البر كله ولكنه عدد مافي الآية من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات فلا تظنوا انكم اذا توجهتم الى الجهات بصلاتكم فقد أحرزتم البر بأسره وحزتموه بكماله بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه وأكثره . والجواب الثاني أن النصارى لما توجهوا الى المشرق واليهود الى بيت المقدس واتخذوا هاتين الجهتين قبلتين واعتقدوا في الصلاة اليهما انهما بر وطاعة خلافاً على الرسول عليه الصلاة والسلام أكذبهم الله في ذلك وبيّن أن ذلك ليس من البر إذ كان منسوخاً بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم التي تلزم الأسود والأبيض والعربي والعجمي وأن البر هو ما تضمنته الآية .. فأما إخباره بمن ففيه وجوه ثلاثة . أولها أن يكون البر ههنا البار أوذا البر وجعل أحدهما في مكان الآخر والتقدير ولكن البار من آمن بالله ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ﴿أرأيتم ان أصبح ماؤكم غوراً﴾ يريد غائراً ومثل قول الشاعر

تَرْتَعُ مارَتَعَتْ حتّى إذا ادَّكَرَتْ ... فإنما هيَ إقبالٌ وإدبارُ

أراد انها مقبلة مدبرة .. ومثله

تَظَلُّ جيادُهُمْ نوحاً عليهمْ ... مُقلَّدَةً أعِنَّتَها صُفُونا

أراد نائحة عليهم .. ومثله قول الشاعر

هَرِيقي مِنْ دُموعِهِمُ سِجاماً ضُباعُ وجاوَبي نوْحاً قِياما

• والوجه الثاني أن العرب قد تخبر عن الاسم بالمصدر والفعل وعن المصدر بالاسم فأما إخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ وقول العرب انما البر الذى يصل الرحم ويفعل كذا وكذا وأما إخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل فمثل قول الشاعر

لَعَمْرُكَ ما الفِتْيانُ أنْ تَنْبُتَ اللِّحَى ولكنما الفِتْيانُ كُلُّ فتى نَدِ

فجعل أن تنبت وهو مصدر خبراً عن الفتيان • والوجه الثالث أن يكون المعنى ولكن البر بر من آمن فحذف البر الثاني وأقام الأول مقامه كقوله تعالى ﴿وأشربوا فى قلوبهم العجل﴾ أراد حب العجل •• قال الشاعر

وكيفَ تُواصِلُ مَنْ أصبحتْ خِلالَتُهُ كأبي مَرْحَبِ

أراد كخلالة أبي مرحب •• وقال النابغة

وقدْ خِفْتُ حتى ما تَزِيدُ مَخافتي على وَعِلٍ في ذي المَطارَةِ عاقِلِ

أراد على مخافة وعل وتقول العرب بنو فلان يطؤهم الطريق أي أهل الطريق •• وحكى عن بعضهم أطيب الناس الزبد أى أطيب ما يأكل الناس الزبد وكذلك قولهم حسبت صياحي زيداً أي صياح زيد •• وروى عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ أى ليس على من أكل مع الأعمى حرج وفى قوله تعالى ﴿رابعهم كلبهم﴾ وذكروا انه كان راعياً تبعهم •• فأما ما كنى بالهاء فى قوله تعالى ﴿وآتى المال على حبه ذوى القربي﴾ ففيه وجوه أربعة • أولها أن تكون الهاء راجعة على المال الذى تقدم ذكره ويكون المعنى وآتى المال على حب المال وأضيف الحب الى المفعول ولم يذكر الفاعل كما يقول القائل اشتريت طعامي كاشتراء طعامك والمعنى كاشترائك طعامك • والوجه الثاني أن تكون الهاء راجعة الى من آمن بالله فيكون المصدر مضافاً الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعني ووضوحه • والوجه الثالث أن ترجع الهاء الى الايتاء الذي دل عليه آتى والمعنى وأعطي المال على حب الاعطاء ويجرى ذلك مجرى قول القطامي

هُمُ المُلوكُ وأبناءُ المُلوكِ لَهُم ... والآخذونَ بهِ والسَّاسةُ الأُوَلُ

فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله وأبناء الملوك عليه .. ومثله قول الشاعر

إذا نُهِيَ السَّفيهُ جرَى إليهِ ... وخالفَ والسَّفيهُ إلى خلافِ

أراد جرى الى السفه الذى دل ذكر السفيه عليه . والوجه الرابع أن تكون الهاء راجعة الى الله لأن ذكره تعالى قد تقدم فيكون وآتى المال على حب الله ذوي القربى واليتامى .. فان قيل وأي فائدة في ذلك وقد علمنا الفائدة فى إيتاء المال مع محبته والضن به وان العطية تكون أشرف وأمدح فما الفائدة فيما ذكرتموه وما معنى محبة الله والمحبة عندكم هي الارادة والقديم لايصح أن يراد .. قلنا أما المحبة عندنا فهي الارادة إلاّ أنهم يستعملونها كثيراً مع حذف متعلقها مجازاً وتوسعاً فيقولون فلان يحب زيداً اذا أراد منافعه ولا يقولون زيد يريد عمراً بمعنى انه يريد منافعه لأن التعارف جرى فى استعمال الحذف والاختصار في المحبة دون الارادة وان كان المعنى واحداً .. وقد ذكر أن لقولهم زيد يحب عمراً مزية على قولهم يريد منافعه لأن اللفظ الأول ينبئ عن أنه لايريد إلاّ منافعه وانه لايريد شيئاً من مضاره والثانى لايدل على ذلك فجعلت له مزية وعلى هذا المعنى نصف الله بأنه يحب أولياءه المؤمنين من عباده والمعنى فيه انه يريد لهم ضروب الخير من التعظيم والاجلال والنعم فأما وصف أحدنا بانه يحب الله فالمعنى فيه انه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعته ولا يصح المعني الذي ذكرناه فى محبة بعضهم بعضاً لاستحالة المنافع عليه تعالى ومن جوّز عليه تعالى الانتفاع لايصح أيضاً أن يكون محباً له على هذا المعني لانه باعتقاده ذلك فيه قد خرج من أن يكون عارفاً به فمحبته فى الحقيقة لاتتعلق ولا تتوجه اليه كما نقول فى أصحاب التشبيه لانهم اذا عبدوا من اعتقدوه إلها فقد عبدوا غير الله تعالى .. فأما الفائدة فى اعطاء المال مع محبة الله فهي ظاهرة لأن اعطاء المال متي قارنته ارادة وجه الله وعبادته وطاعته استحق به الثواب ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحق الفاعل به ثواباً وكان ضائعاً وتأثير ماذكرناه أبلغ من تأثير حب المال والضن به لأن المحب للمال الضنين به متى بذله وأعطاه ولم يقصد بهالطاعة والعبادة

والقربة لم يستحق به شيئاً من الثواب وانما يؤثر حبه للمال في زيادة الثواب متى حصل ماذكرناه من قصد القربة والعبادة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب له لا يستحق الثواب وهذا الوجه لم نسبق اليه في هذه الآية وهو أحسن ماقيل فيها •• وقد ذكر وجه آخر وهو أن يكون الهاء راجعة الى من آمن أيضاً وينتصب ذوي القربى بالحب ولايجعل لآتى منصوباً لوضوح المعنى ويكون تقدير الكلام وأعطى المال في حال حبه ذوي القربي واليتامى على محبته إياهم وهذا الوجه ليس فيه مزية في باب رجوع الهاء التي وقع عليها السؤال وانما يتبين مما تقدم بتقدير انتصاب ذوي القربى بالحب وذلك غير ماوقع السؤال عنه والأجوبة الأول أقوي وأولى •• فأما قوله ﴿ والموفون بعهدهم ﴾ ففي رفعه وجهان • أحدهما أن يكون مرفوعاً على المدح لأن النعت اذا طال وكثر رفع بعضه ونصب بعضه على المدح ويكون المعنى وهم الموفون بعهدهم قال الزجاج وهذا أجود الوجهين • والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على من آمن ويكون المعنى ولكن ذا البر وذوي البر المؤمنون والموفون بعهدهم ••فأما نصب الصابرين ففيه وجهان • أحدهما المدح لأن مذهبهم في الصفات والنعوت اذا طالت أن يعترضوا بينهما بالمدح والذم ليميزوا الممدوح أو المذموم ويفردوه فيكون غير متبع لأول الكلام من ذلك قول الخرنق بنت بدر بن هفان

لاَ يَبْعُدَنْ قومي الذِّينَ هُمُ ... سُمُّ العُدَاةِ وآفةُ الجُزْرِ

النَّازِلينَ بكُلِّ مُعْتَرَكٍ ... والطَّيِّبينَ معَاقِدَ الأُزْرِ

فنصبت ذلك على المدح وربما رفعوهما جميعاً على أن يتبع آخر الكلام أوله ومنهم من ينصب النازلين ويرفع الطيبين وآخرون يرفعون النازلين وينصبون الطيبين والوجه في النصب والرفع ماذكرناه •• ومن ذلك قول الشاعر أنشده الفراء

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمَامِ ... وليثَ الـكتيبةِ في المُزْدَحمْ

وذَا الرَّأيِ حينَ تَغُمُّ الأُمو ... رُ بذَاتِ الصَّليلِ وذَاتِ اللُّجمْ

فنصب ليث الكتيبة وذا الرأي على المدح ••وأنشد الفراء أيضاً

فَلَيتَ التي فيهاَ النُّجومُ تَوَاضَعَتْ   عَلي كُلِّ غَثٍّ مِنهُمُ وسَمِينِ
غُيوثُ الحيَا في كُلِّ مَحْلٍ وازْبَةٍ   أُسُودُ الشَّرَا يَحْمِينَ كُلَّ عَرِينِ

ومما نصب على الذم قوله

سَقوني الخَمْرَ ثُمَّ تَكَنَّفوني   عُدَاةَ اللهِ مِنْ كَذِبٍ وزُورِ (١)

---

(١) قوله سقوني الخمر هو من جملة أبيات لعروة بن الورد أولها

أرقت وصحبتي بمضيق عمق   لبرق من تهامة مستطير
سقى سلمى وأين ديار سلمى   اذا كانت مجاورة السدير
اذا حلت بأرض بني علىّ   وأهلي بين زامرة وكير
ذكرت منازلا من أم وهب   محل الحي أسفل من نقير
وأحدث معهداً من أم وهب   معرسنا بواد بني النضير
وقالوا ماتشاء فقلت ألهو   الى الإصباح آثر ذي أثير
بآنسة الحديث رضاب فيها   بعيد النوم كالعنب العصير

ومنها

أطعت الآمرين بصرم سلمى   وطاروا في بلاد اليستعور

أي تفرقوا حيث لا يعلم ولا يهتدي لمواضعهم .. وقال ابن بري معنى البيت ان عروة كان سبى امرأة من بني عامر يقال لها سلمى ثم تزوجها فمكثت عنده زماناً وهو لها شديد المحبة ثم انها استزارته أهلها فحملها حتى انتهى بها اليهم فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع معه وأراد قومها قتله فمنعهم من ذلك ثم انه اجتمع به أخوها وابن عمها وجماعة فشربوا خمراً وسقوه وسألوه طلاقها فطلقها فلما صحا ندم على مافرط منه ولهذا يقول بعد البيت

سقوني الخمر ثم تكنفوني   عداة الله من كذب وزور
ألا يا ليتني عاصيت طلقاً   وجباراً ومن لي من أمير

طلقٌ أخوها وجبار ابن عمها وقيل هما اخوه هو وابن عمه والأمير هو المستشار وقيل ان أهلها طلبوا منه فداءها فقال له أخوه طلق وابن عمه جبار والله لئن قبلت ماأعطوك لانفتقر أبداً وأنت على النساء قادر متى شئت وكان قد سكر فأجاب الى فدائها فلما صحا ندم فشهدوا عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع واليستعور في البيت السابق على وزن

٠٠والوجه الآخر في نصب الصابرين أن يكون معطوفاً على ذوي القربى ويكون المعنى وآتى المال على حبه ذوي القربى والصابرين ٠٠ قال الزجاج وهـذا لا يصلح إلاّ أن يكون الموفون رفعاً على المدح للمضمرين لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بعد العطف على الموصول وكان يقوي الوجه الأول ٠٠وأما توحيد الذكر في موضع وجمعه في آخر فلأن من آمن لفظه لفظ الوحدة وان كان في المعنى للجمع فالذكر الذى أتى بعـده موحداً يجرى على اللفظ وما جاء من الوصف بعـد ذلك على سبيل الجمع مثـل قوله تعالى والموفون والصابرين فعلى المعنى٠٠وقد اختلفت قراءة القراء السبعة في رفع الراء ونصبها من قوله تعالى ﴿ ليس البر ﴾ فقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص ليس البر بنصب الراء ٠٠ وروى هبيرة عن حفص عن عاصم انه كان يقرأ بالنصب والرفع وقرأ الباقون البر بالرفع واوجهان حسنان لأن كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة فاذا اجتمعا في التعريف تكافآ في جواز كون أحـدهما اسماً والآخر خـبراً كما تتكافأ النكرات وحجة من رفع البر أنه لا يكون البر الاسم لشبهه الفاعل أولي لأنّ ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده ألا ترى انك اذا قلت قام زيد فان الاسم يلى الفعل وتقول ضرب غلامه زيد فيكون التقدير فى الغلام التأخـير فلولا ان الفاعل أخص بهذا الموضع لم يجز هذا كما لم يجز في الفاعل ضرب غلامه زيداً حيث لم يجز فى الفاعل تقدير التأخير كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص به وحجة من نصب البر أن يقول كون الاسم أن وصلتها أولى تشبيهاً بالمضمر فى أنهـا لا توصف كما لا يوصف المضـمر فكأنه اجتمع مضمر ومظهر والأولى اذا اجتمعا أن يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب فى الاختصاص من المظهر

يفتعول ولم يأت على هذا البناء غيره وهو موضع قبل حرة المدينة كثير العضاه موحش لا يكاد يدخله أحد والرواية المشهورة فى البيت الشاهد

سقوني النسأ ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور

والنسأ بالفتح الشراب المزيل للعـقل وبه فسر ابن الاعرابي البيت هنا ورواية سيبويه الخمر كما مر

[قال المرتضى] حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي الكاتب قراءة عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال أخبرنا ابن الاعرابى قال قال ابن الكلبي لما كان بعد يوم الهباءة جاور قيس بن زهير العبسي النمر بن قاسط فقال لهم إني قد جاورتكم واخترتكم فزوّجوني امرأة قد أدّبها الغنى وأذلها الفقر فى حسب وجمال فزوّجوه ظبية بنت الكيّس النمري وقال لهم إن في خلالاً ثلاثا إنى غيورٌ وإني فخورٌ وإنى آنف ولست أفخر حتى أبدأ ولا أغار حتى أرى ولا آنف حتى أظلم فأقام فيهم حتى ولد له فلما أراد الرحيل عنهم قال إنى موصيكم بخصال وناهيكم عن خصال عليكم بالأناة فان بها تنال الفرصة وتسويد من لا تعابون بتسويده وعليكم بالوفاء فان به يعيش الناس وباعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسألة ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح وإجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل عن بيوت الأيامى وخلط الضيف بالعيال وأنهاكم عن الرهان فان به ثكلت مالكاً أخي والبغي فانه قتل زهيراً أبي وعن الإعطاء فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق وعن الاسراف في الدماء فان يوم الهباءة ألزمنى العار ومنع الحرم إلا من الأكفاء فان لم تصيبوا لها الأكفاء فان خير مناكحها القبور أو خير منازلها واعلموا إنى كنت ظالماً مظلوماً ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكاً أخي وظلمتهم بان قتلت من لا ذنب له .. [قال المرتضى] رضى الله عنه أما قوله ــ أنهاكم عن الرهان ــ فأراد المراهنة فى سباق الخيل وذلك أن قيس بن زهير راهن حذيفة بن بدر الفزارى على فرسيه داحس والغبراء وفرسي حذيفة الخطّار والحنفاء .. وقال بعض بني فزارة بل قرزل والحنفاء وكان قيس كارهاً لذلك وانما هاجه بينهما بعض بني عبد الله بن غطفان وقيل رجل من بني عبس والخبر في شرح ذلك مشهور ثم وقع الاتفاق على السباق وجعلوا الغاية من [1] واردات الى ذات الإصاد وجعلوا القصبة في يد رجل من بنى ثعلبة بن سعد يقال له حصين وبيد رجل

---

(١) ــ الواردات .. هضبات صغار قريبة من جبلة .. وذات الاصاد بكسر أوله وبالدال المهملة على وزن فعال موضع ببلاد بني فزارة حكاه البكري فى معجمه

من بنى العشراء من بنى فزارة وملؤا البركة ماء وجعلوا السابق أول الخيل يكرع فيها ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذي أرسلت الخيل فيه ينظران اليها والى خروجها فلما أرسلت عارضاها فقال حذيفة خدعتك ياقيس فقال قيس ترك الخداع من أجري من مائة يعني من مائة غلوة فأرسلها مثلا ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة تتقدم خيل قيس فقال حذيفة سبقت ياقيس جري المذكيات غلاب فأرسلها مثلا ٠٠ ـ المذكيات ـ المسان من الخيل ٠٠ وروى غلاء كما يتغالى بالنبل ثم ركضا ساعة فقال حذيفة انك لاتركض مركضاً سبقت خيلك فقال قيس رويد يعلون الجدد فأرسلها مثلا ٠٠ وروي يعدون الجدد أي يتعدين الجدد الى الوعث وقد كان بنو فزارة كمنوا بالثنية كميناً لينظروا فان جاء داحس سابقاً مسكوه وصدوه عن الغاية فجاء داحس سابقاً فأمسكوه ولم يعرفوا الغبراء وهي خلفه مصلية حتى مضت الخيل وأسهلت من الثنية ثم أرسلوه فتمطر فى آثارها فجعل يبدرها فرساً فرساً حتى انتهوا الى الغاية مصلياً وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الغاية سبقها فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم صدوها عن البركة ثم لطموا داحساً وقد جاء متواليين ثم جاء حذيفة وقيس في آخر الناس وقد دفعتهم بنو فزارة عن سبقهم ولطموا فرسهم وجرى من الخلف فى أخذ السبق ما قد شرحته الرواة ٠٠ وقد قيل فى بعض الروايات ان الرهان والسبق كان بين حمل بن بدر وبين قيس وفى ذلك يقول قيس شعراً

كَما لاقيتُ مِنْ حَمَلِ بن بَدْرٍ ... وإخوَتِهِ على ذَاتِ الإِصادِ

وهُمْ فَخَرُوا عليَّ بِغيْرِ فَخْرٍ ... ورَدُّوا دُونَ غايَتِهِ جوَادِي

وقدْ دافَعوا إليَّ بفعلِ سَوْءٍ ... فألفَوْنى لهُمْ صَعْبَ القِيادِ

وكُنتُ إذا امُنِيتُ بخصْمِ سَوْءٍ ... دَلَفْتُ لهُ بداهِيَةٍ نآدِ

ثم ان قيساً أغار على عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله فبلغ بنو فزارة فهموا بالقتال فحمل الربيع بن زياد العبسى دية عوف بن بدر مائة عشراء مُتلية ٠٠ ويقال ان قيساً قتل ابناً لحذيفة يقال له مالك كان حذيفة أرسله يطلب منه السبق فطعنه فدق صلبه وان الربيع بن

زياد حمل ديتـه مائة عشراء فسكن الناس عن القتال ثم ان مالك بن زهير نزل موضعاً يقال له اللقاطة قريباً من الحاجر ونكح امرأة يقال لها مليكة بنت حارثة من بني غراب من فزارة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدس اليـه فرساناً فقتلوه وكان الربيع بن زياد العبسي مجاوراً لحذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع معاذة بنت بدر فلما وقف على الخبر قال

نامَ الخَليُّ ولمْ أُغمِّضْ حارِ   مِن سَيِّئِ النَّبأِ الجَليلِ السَّاري

مِنْ مِثْلِهِ تمْشي النِّساءُ حَواسِرًا   وتقومُ مُعْوِلَةً معَ الأَسْحارِ

مَنْ كانَ مَسْرُورًا بمقتلِ مالكٍ   فليأتِ نسوتَنا بوَجْهِ نَهارِ [1]

يَجِدِ النِّساءَ حَواسِرًا يَنْدُبْنَهُ   يَضرِبْنَ أَوْجُهَهُنَّ بالأَسحارِ

قدْ كُنَّ يَخبأْنَ الوُجوهَ تَستُّرًا   فاليومَ حينَ بَدَوْنَ للنُّظَّارِ

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مالِكِ بنِ زُهَيرٍ [2]   تَرْجُو النِّساءُ عَواقِبَ الأَطْهارِ

ما إنْ أرَى في قتلهِ لِذَوِي الحِجى   إلاَّ المَطِيَّ تُشَدُّ بالأَكْوارِ

---

(١) قوله * فليأت نسوتنا بوجه نهارى * قال المرزوقي إني لاتعجب من أبي تمام مع تكلفه رم جوانب ما اختاره من الأبيات كيف ترك قوله فليأت نسوتنا وهي لفظة شنيعة جداً وأصلحه المرزوقي بقوله وليأت ساحتنا قال التفتازاني وأنا أتعجب من جار الله كيف لم يورده على هذا الوجه وحافظ على لفظ الشاعر دراية مع زعمه ان القراء يقرؤن القرآن برأيهم وأنا أتعجب من انشاد صاحب المعنى هـذا البيت يعني قول الربيع بن ضبع

ودعنا قبل أن نودعه   لما قضى من جماعنا وطرا

أورده هنا مع انه أشنع من بيت الحماسة وأفحش ولقد كان في غنية بما أورده من الكتاب والسنة

(٢) ــ هكذا رواية البيت وفيـه إقواء كما حكاه ابن قتيبة في الشعر والشعراء وأورده شاهداً .. وقال ولو كان ابن زهيرة لاستوي البيت

ومجنبات ما يذقن عذونة يقذفن بالمهرات والأمهار
ومساعرا صدأ الحديد عليهم فكأنما طلى الوجوه بقار

فأما خبر مقتل زهير بن جذيمة العبسى أبي قيس فاختلف الرواة في سببه فيقال إن هوازن بن منصور كانت تؤتى الأتاوة زهير بن جذيمة ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد فهم أذل من يد في رحم فأتت عجوز من هوازن الي زهير بن جذيمة بسمن في نحي فاعتذرت اليه وشكت السنين اللواتى تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعها أي دفعها بقوس في يده عطل في صدرها فسقطت فبدت عورتها فغضبت من ذلك هوازن وحقدته الي ما كان في صدرها من الغيظ وكانت يومئذ قد أمرت بنو عامر ابن صعصعة أي كثرت فآلى جعفر بن كلاب فقال والله لأجعلن ذراعى وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل ٠٠ وفى ذلك يقول خالد بن جعفر

أريغوني إراغتكم فإني وحذفة كالشجى تحت الوريد

ــ حذفة ــ اسم فرس خالد

مقربة أواسيها بنفسي وألحفها ردائى في الجليد
لعل الله يمكنني عليها جهارا من زهير أو أسيد
فإما تثقفوني فاقتلوني فمن أثقف فليس إلي خلود

٠٠ ويقال بل كان السبب فى ذلك أن زهير بن جذيمة لما قتل فى غني من قتل بابنه شاس وافى عكاظ فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب وكان حدثا فقال يازهير أما آن لك أن تشتفى وتكف يعنى مما قتل بشاس فأغلظ له زهير وحقره فقال خالد اللهم أمكن يدى هذه الشعراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعنى عليه فقال زهير اللهم أمكن يدى هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا فقال قريش هلكت والله يا زهير قال أنتم والله الذي لا علم لهم ثم أجمع خالد بن جعفر على قصد زهير فقتله واتفق نزول زهير بالقرب من أرض بنى عامر وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد امرأة زهير بن

جذيمة وأم ولده فمر به أخوها الحارث بن عمرو بن الشريد فقال زهير لبليه ان هـذا الحمار لطليعة عليكم فأوثقوه فقالت أختـه لبنيها أيزوركم خالكم فتوثقوه وقالت له انه ليربني أكيبنانك وقروبك والاكيبنان الغم والقروب السكوت فلا يأخذن فيك ماقال زهير فانه رجل بيذارة غيذارة شنوءة ٠٠ قال الأثرم ـ البيذارة ـ الكثير الكلام ـ والغيذارة ـ السيء الخلق ثم حلبوا له وطباً وأخذوا عليه يميناً ألاّ يخبر عليهم ولا ينذر بهم أحداً فخرج الحارث حتى أتي بنى عامر فقعد الى شجرة يجتمع اليهـا بنو عامر فألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال أيتها الشجرة الذليلة اشربى من هذا اللبن فانظرى ما طعمه فقال قوم هذا رجـل مأخوذ عليه وهو يخبركم خـبراً فذاقوا اللبن فوجدوه حلواً لم يقرص بعد فقالوا انه يخبرنا ان مطلبنا قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة وكان راكباً فرسه حذفة فلقوا زهيراً فاعتنق خالد زهيراً وخرا عن فرسـيهما ووقع خالد فوق زهير ونادى يابنى عامر اقتلونى والرجل واستغاث زهير ببنيه فأقبل اليه ورقاء ابن زهير يشتد بسيفه فضرب خالداً ثلاث ضربات فلم تغن شيئاً وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ثم ضرب جندح رأس زهير فقتله ففى ذلك يقول ورقاء بن زهير

رأيتُ زُهيراً تحتَ كَلْكَلِ خالدٍ ... فأقبلتُ أسعَى كالعَجُولِ اُبادِرُ

فشلّتْ يميني يومَ أضربُ خالدًا ... ويمنعُني منهُ الحَديدُ المُظاهِرُ

فيَا ليتَ أنى يومَ ضَرْبةِ خالدٍ ... ويومَ زُهيرٍ لمْ تَلِدْني تُماضِرُ

فأما خبر الهباءة فان بنى عبس وبنى فزارة لما التقوا الى جنب جفر الهباءة فى يوم قائظ فاقتتلوا ولخبرهم شرح طويل معروف استجار حذيفة ومن معه بجفر الهباءة ليتبرد فيه فهجم عليه القوم فقال حذيفة يابني عبس فأين العود وأين الأحلام فضرب حمل بن بدر بين كتفيه وقال اتق مأثور القول بعد اليوم فأرسلها مثلا وقتل قرواش بن هنّي حذيفة ابن بدر وقتل الحارث بن زهير حملا وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير أخيه وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل فقال قيس فى ذلك

تَعلَّمْ إنَّ خيرَ النَّاسِ ميْتٌ ... على جَفْرِ الهَبَاءةِ لاَ يَرِيمُ

ولولاَ ظُلْمُهُ ما زلتُ أبكى ... عليهِ الدَّهرَ ما طَلَعَ النُّجومُ
ولكنَّ الفتى حَمَلَ بنَ بَدْرٍ ... بَغَى والبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخيمُ
أظُنُّ الحِلْمَ دَلَّ عليَّ قَومى ... وقدْ يُستَجهَلُ الرَّجلُ الحَليمُ
ومارَستُ الرِّجالَ ومارَسُونى ... فمُعْوَجٌّ عليَّ ومُستَقيمُ

وقال قيس أيضاً

شَفيتُ النفسَ منْ حَمَلِ بنِ بَدْرٍ ... وسيفى منْ حُذَيْفَةَ قدْ شَفانى
فإنْ أكُ قدْ بَرَدْتُ بهمْ غَليلى ... فلمْ أقطعْ بهمْ إلاَّ بَنانى

مجلس آخر ١٥

[تأويل آية] ان سأل سائل عن قوله تعالى (مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون) فقال أي وجه لتشبيه الذين كفروا بالصائح الناعق بالغنم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التأمل والتمييز والناعق بالغنم قد يكون مميزاً متأملا محصلا . يقال له في هذه الآية خمسة أجوبة . أولها أن يكون المعنى مثل واعظ الذين كفروا والداعى لهم الى الايمان والطاعة كمثل الراعي الذى ينعق بالغنم وهي لا تعقل معنى دعائه وانما تسمع صوته ولا تفهم غرضه والذين كفروا بهذه الصفة لانهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وسلم وإنذاره فينصرفون عن قبول ذلك ويعرضون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه لاشتراكهما في عدم الانتفاع به وجاز أن يقوم قوله تعالى (والذين كفروا) مقام الواعظ والداعى لهم كما تقول العرب فلان خافك خوف الأسد والمعنى كخوفه من الأسد فأضاف الخوف الى الأسد وهو في المعنى مضاف الى الرجل قال الشاعر

فلستُ مُسَلِّماً ما دُمتُ حَيّاً ... على زَيدٍ بتَسليمِ الأميرِ

أراد بتسليمي على الأمير ونظائر ذلك كثيرة • والجواب الثاني أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل الغنم التي لا تفهم نداء الناعق فأضاف الله تعالى المثل الثاني الى الناعق وهو في المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في قولها طلعت الشعرى وانتصب العود على الحرباء والمعنى فانتصب الحرباء على العود وجاز التقديم والتأخير لوضوح المعنى •• وأنشد الفراء

إنَّ سِرَاجاً لَكَرِيمٌ مَفْخَرُه ... تَجْلَى بِهِ العَيْنُ اذَا ما تَجْهَرُه

معناه تجلى بالعين فقدّم وأخّر •• وأنشد الفراء

كانتْ فَرِيضَةُ ما تَقُولُ كَما ... كانَ الزِّنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ

المعنى كما كان الرجم فريضة الزنا •• وأنشد أيضاً

وقدْ خفتُ حتَّى ما تَزِيدُ مَخافَتِي ... على وَعِلٍ في ذِي المَطارَةِ عاقِلِ

أراد ما تزيد مخافة وعل على مخافتي ومثله

كأنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

أراد كأن لون سمائه أرضه ومثله

تَرَى الثَّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ ... وسائِرُهُ بادٍ إلى الشَّمْسِ أَجْمَعُ[(١)]

أراد مدخل رأسه الظل •• وقال الراعي

---

(١) قال سيبويه فوجه الكلام في هذا انه على سعة الكلام قول كراهية الانفصال واذا لم يكن في الجر فحد الكلام الناصب مبدوء به •• قال الشنتمرى الشاهد فيه اضافة مدخل الى الظل ونصب الرأس به على الاتساع والقلب وكان الوجه أن يقول مدخل رأسه الظل لأن الرأس هو الداخل في الظل والظل المدخل فيه ولذلك سماه سيبويه الناصب في تفسير البيت فقال الوجه أن يكون الناصب مبدوءاً به • والمعنى وصف هاجرة قد ألجأت الثيران الى كنسها فترى الثور مدخل رأسه في ظل كناسه لما يجد من شدة الحر وسائره بارز للشمس

فصبَّحَتْهُ كلامَ الغوثِ يُوسِدُها ... يَستوضِحونَ يَرَوْنَ العينَ كالأثرِ

يريد أنهم يرون الأثر كالعين .. وقال أبو النجم

قبلَ دُنُوّ الأُفقِ من جوزائهِ

فقاب .. وقال العباس بن مرداس

فُدَيتُ بنفسهِ نفسي ومالي ... ولاَ آلوهُ إلاَّ ما يُطيقُ

أراد فديت بنفسي نفسه .. وقال ابن مقبل

ولاَ تهيَّبُني المَوْماةُ أرْكبُها ... إذَا تجاوبَتِ الأصداءُ بالسَّحَرِ

أراد لا أتهيّب الموماة وهذا كثير جدًّا . والجواب الثالث أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا ومثلنا أو مثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذى ينعق أي مثلهم في الإعراض ومثلك في الدعاء والتنبيه والارشاد كمثل الناعق بالغنم فحذف المثل الثانى اكتفاء بالأول .. ومثله قوله تعالى (جعل لكم سرابيل تقيكم الحر) أراد الحر والبرد فاكتفى بذكر الحر من البرد .. وقال أبو ذؤيب

عَصَيتُ اليها القلبَ إني لأمرِها ... مُطيعٌ فما أدري أرُشدٌ طِلابُها

أراد أرشدٌ أم غيٌّ فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الأمر . والجواب الرابع أن يكون المراد ومثل الذين كفروا في دعائهم للأصنام التي يعبدونها من دون الله وهي لا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع كمثل الذي ينعق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة والدعاء والنداء ينتصبان على هذا الجواب بينعق وإلاّ توكيد للكلام ومعناها الالقاء . قال الفرزدق

هُمُ القومُ إلاَّ حيثُ سَلُّوا سيُوفَهمْ ... وضَحَّوْا بلحمٍ مِنْ مُحِلٍّ ومُحرِمِ

والمعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم . والجواب الخامس أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا فى دعائهم للأصنام وعبادتهم لها واسترزاقهم إياها كمثل الداعى الذى ينعق بالغنم ويناديها فهي تسمع دعاء ونداء ولا تفهم معنى كلامه فشبَّه من يدعوه الكفار من المعبودات دون الله بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ولا نفع عندها فيه ولا

مضرة وهذا الجواب يقارب الذي قبله وان كانت بينهما مزية ظاهرة لأن الأول يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء ولا النداء جملة ويجب أن يكون مصروفاً الى غير الغنم وما أشبهها مما يسمع وان لم يفهم وهذا الجواب يقتضي ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء وان لم يفهمهما والأصنام من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة يجب أن يكون داعيها ومناديها أسوء حالاً من منادي الغنم ويصح أن يصرف الى الغنم وما أشبهها مما يشارك في السماع ويخالف في الفهم والتمييز •• وقد اختلف الناس في ينعق فقال أكثرهم لا يقال نعق ينعق إلاّ في الصياح بالغنم وحدها • وقال بعضهم نعق ينعق بالغنم والابل والبقر والأول أظهر في كلام العرب •• قال الأخطل يهجو جريراً

فأنعقْ بضأْنكَ يا جَرِيرُ فإنَّما ... مَنَّتْكَ نفسُكَ في الخَلاَء ضَلاَلاَ

ويقال أيضاً نعق الغراب ونغق بالغين المعجمة [1] اذا صاح من غير أن يمد عنقه ويحركها فاذا مدها وحركها ثم صاح قيل نعب ويقال أيضاً نعب الفرس ينعب وينعب نعباً ونعيباً ونعباناً وهو صوته ويقال فرسٌ منعبٌ أي جواد وناقة نعابة اذا كانت سريعة [تأويل خبر] رُوِيَ أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه الى طعام دعوا له فاذا بالحسين عليه السلام وهو صبي يلعب مع صبية في السكة فاستنتل رسول الله صلى الله عليه وسلم امام القوم فطفق الصبي يفر مرة ههنا ومرة ههنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت فاس رأسه وأقنعه فقبله وقال أنا من حسين وحسين مني أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط •• ومعنى ـ استنتل ـ تقدم يقال استنتل الرجل استنتالاً وابرنتأ ابرنتاء وابرنذع

---

(١) قوله نعق الغراب ونغق بالغين المعجمة يعني ان نعق ونغق بالمهملة والمعجمة سواء وعلى هذا بعض أهل اللغة •• قال الزمخشري والغين أعلى •• وقال الأزهري نعيق الغراب ونعاقه ونغيقه ونغاقه مثل نهيق الحمار ونهاقه ولكن الثقاة من الأئمة يقولون كلام العرب نغق الغراب بالغين المعجمة ونعق الراعي بالشاة بالعين المهملة ولا يقال في الغراب نعق ويجوز نعب وهذا هو الصحيح

ابرنذاعاً اذا تقدم هكذا ذكره ابن الانباري •• ووجدت بعض المتقدمين فى علم اللغة يحكى فى كتاب له قال يقول استنثلت الأمر استنثالا اذا استعددت له واستنثل الرجل تفرد من القوم ويقال استنثل أشرف والمعانى متقاربة والخبر يليق بكل واحد منها •• وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه أبرنثأ وأبرنذع أيضاً انه من الاستعداد فأما ــ السكك ــ فهى المنازل المصطفة والنخل المصطف ومعنى ــ طفق ــ ما زال •• قال الشاعر

طَفِقَتْ تبكي وا سعِدُها وكلانا ظاهرُ الكَمَدِ

وفاس الرأس طرف القمحدوة المشرف على القفا ومعنى ــ أقنعه ــ رفعه هكذا ذكر ابن الانباري •• وقال غيره يقال أقنع ظهره اقناعاً اذا طاطاه ثم رفعه برفق فأما ــ الاسباط ــ فأصلها في ولد اسحاق عليه السلام كالقبائل فى بني اسماعيل •• وقال ابن الانبارى هم الصبية والصبوة بالياء والواو معاً •• حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد الحكيمى قراءةً عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد ابن يحيى ثعلب قال أخبرنا ابن الاعرابى انه قيل لابنة الخُسّ ما مائة من المعز قالت مُوَيْلٌ يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل لها فما مائة من الضأن قالت قرية لا حمى بها قيل فما مائة من الابل قالت بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل لها فما مائة من الخيل قالت طغي عند من كانت ولا توجد قيل فما مائة من الحمر قالت عازبة الليل وخزى المجلس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط عيرها أدلى وان أرسل ولى •• وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابى قال قيل لابنة الخس والخص والخسف كل ذلك يقال ما أحسن شئ قالت غادية فى أثر سارية فى نفخاء قاوية قال ــ نخاء ــ أرض مرتفعة لأن النبات فى موضع مشرف أحسن وقالوا أيضاً نفخاء أى رابية ليس بها رمل ولا حجارة قال والجمع النفاخي ونبت الرابية أحسن من نبت الأودية لان السيل يصرع الشجر فيقذفه فى الأودية ثم يأتى عليه الدمن [قال المرتضى] رضى الله عنه ومما يدل ان نبت الرابية أحسن قول الأعشى

ما رَوضةٌ مِنْ رِياضِ الحَزْنِ مُعشِبةٌ   خضراء جادَ عليها مُسبلٌ هَطِلُ[1]

•• وقال كثير

فما رَوْضةٌ بالحَزْنِ طَيِّبةُ الثرَى   يَمُجُّ النَّدَا جَثْجاثُها وعَرَارُها[2]

---

(١) قوله ما روضة الخ بعده

يضاحك الشمس منها كوكب شرق   معذر بعميم النبت مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة   ولا بأحسن منها إذ دنا الأصُلُ

وهى قصيدة مشهورة وأوردنا هذين البيتين لارتباطهما بالبيت قوله ــ الحزن ــ بالفتح وزاي اسم موضع وهو فى الأصل ضد السهل ــ ومسبل ــ سائل ــ وهطل ــ متتابع ــ ويضاحك ــ يميل معها حيث مالت ــ وكوكب ــ معظم الزهر وكوكب كل شئ معظمه ــ وشرق ــ ريان ــ وعميم ــ طويل ــ ومكتهل ــ ظاهر النور ــ والأصل ــ جمع أصيل وهو العشي

(٢) قوله فما روضة الخ بعده وهو جواب ما

بأطيب من أردان عزة موهناً   اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

حكى أنه دخل كثير على سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما فقالت له اخبرني يابن أبى جمعة عن قولك فى عزة وأنشدته البيتين ثم قالت له وهل على الأرض زنجية منتنة الابطين توقد بالمندل الرطب نارها إلاّ طاب ريحها ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس

ألم ترياني كلما جئت طارقاً   وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

وروى من غير هذا الوجه انه خرج يوماً من عند عبد الملك فاعترضته عجوز معها نار فى رونة فقالت من أنت قال صاحب عزة فقالت أنت القائل فما روضة الى آخر البيتين قال نعم قالت ويحك اذا أوقد بالمندل الرطب على هذه الرونة وبخرت به أمك العجوز الشعثاء كانت كذلك فهلا قلت كما قال امرؤ القيس ألم ترياني الى آخر البيت فناولها مطرف خز كان معه وقال استري على ذلك وهذه الحكاية نقلها شمس الدين ابن خلكان في تاريخه ثم قال ان بعض مشايخ الأدب قال ليس على كثير شئ فان قوله

خصاً الحزن للمعنى الذي ذكرنا •• وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال العرب تقول جاءنا بطعام لا ينادي وليده •• اذا جاء بطعام كثير لا يراد فيه زيادة ووقع في أمر لا ينادي وليده يقول لا تدعى اليه الصبيان ولا يستعان إلاّ بكبار الرجال فيه •• [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وفي ذلك قولان آخران أحدهما عن الأصمعي قال أصله من الشدة تصيب القوم حتى تذهل المرأة عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ثم صار مثلا لكل شدة ولكل أمر عظيم والقول الآخر عن الكلابي قال أصله من الكثرة والسعة فاذا أهوى الوليد الى شئ لم يزجر عنه حذر الافساد لسعة ما هم فيه ثم صار مثلاً لكل كثرة قال الفراء وهذا القول يستعان به في كل موضع يراد به الغاية وأنشد

لقد شَرَعَتْ كَفَّا يَزِيدِ بنِ مَزْيَدٍ ... شَرائعَ جُودٍ لاَ يُنادي وَليدُها

•• وبالاسناد الذي تقدم عن ابن الاعرابي قال دخل ودقة الأسدي على معن بن زائدة الشيباني فقال إن رأيت أكرمك الله أن تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك فانك قد بلغت حالا لو أعتقني الله فيها بكرمك من تنصف الرجال بعدك لم يكن كثيراً وإني قد قدّمت الرجاء وأحسنت الثناء ولزمت الحفاظ ثم أنشأ يقول

يا معنُ إنكَ لمْ تنعمْ على أحدٍ ... فشابَ نعماكَ تنغيصٌ ولاَ كدَرُ

فانظرْ إليَّ بطرْفٍ غيرِ ذي مرَضٍ ... فربّما صحَّ لي من طرْفكَ النظرُ

أيامَ وَجهكَ لي طَلْقٌ يخبّرُني ... إذا سكتُّ بما تُخفي وتضمرُ

ومنْ هوَاكَ شفيعٌ لي يغفلُني ... وإنْ نأيتُ وإنْ قلتُ بيَ الذِّكَرُ

قدْ كنتَ أثّرتَ عندي مرّةً أثراً ... فقدْ تقاربَ يعفو ذلكَ الأثرُ

فاجبرْ بفضلكَ عظماً كنتَ تجبرهُ ... واجمعْ بفضلكَ ما قدْ كادَ ينتشرُ

• اذا أوقدت بالمندل الرطب نارُها • نعت للروضة المذكورة انتهى وهذا جيد لو لم يطلب كثير من العجوز الستر فانه عرفنا بذلك انه ما أراد إلاّ المعنى المعترض فيكون هذا تصحيحاً لا بيان قصده

ما نازع العسرُ في اليسرَ مُذْ عَلِقت ... كفي بحبلك إلا الظفر اليسرُ

وقد خشيتُ وهذا الدهرُ ذو غِيَرٍ ... بأن يُدالَ لطول الجفوة العسرُ

وإنما كان من عسرٍ وميسرةٍ ... فإن حظك فيه الحمدُ والشكرُ

فقال معن أو ما كنا اعطيناك شيئاً قال لا قال أما الذهب والفضة فليسا عندنا ولكن هات تختاً من ثيابي يا غلام فدفعه اليه وقد كان تحمّل اليه ابن عياش وحبيب بن بديل فاعطاهما معه تختين وقال غرمتني ياودقة تختي ثياب .. [قال المرتضى] رضي الله عنه وكان معن بن زائدة جواداً شجاعاً شاعراً ويكنى أبا الوليد وهو معن بن زائدة بن عبد الله ابن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن مطر وهو أخو الحوفزان بن شريك وكان معن من أصحاب ابن هبيرة فلما قتل رثاه معن فقال

ألا إن عينا لم تجُد يوم واسطٍ ... عليك بجاري دمعها لجمودُ

عشية قام النائحاتُ وشُققت ... جيوبٌ بأيدي مأتمٍ وخدودُ

فإن تمسِ مهجورَ الجنابِ فطالما ... أقام به بعدَ الوفودِ وفودُ

فإنك لم تبعُد على متعهدٍ ... بلى كلُّ من تحتَ الترابِ بعيدُ

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني يوسف بن يحيى المنجم عن أبيه قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو زيد بن الحكم بن موسى قال حدثني أبي قال كان معن بن زائدة من أصحاب يزيد بن عمرو بن هبيرة وكان مستتراً حتى كان يوم الهاشمية فانه حضر وهو معتمٌ متلثم فلما نظر الى القوم وقد وثبوا على المنصور تقدم وأخذ بلجام بغلته ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما أفرجوا له وتفرقوا عنه قال له من أنت ويحك قال أنا طلبتك معن بن زائدة فلما انصرف المنصور حباه وكساه ورتبه ثم قلده اليمن فلما قدم عليه من اليمن قال له هيه يامعن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على أن قال لك

معنُ بن زائدةَ الذي زيدت به ... شرفاً على شرفٍ بنو شيبانِ

إنْ عُدَّ أيامُ الفعالِ فإنما يوماهُ يومُ ندىً ويومُ طِعانِ

فقال كلا يا أمير المؤمنين ولكن اعطيته على قوله

ما زلتَ يومَ الهاشميةِ مُعلِناً بالسيفِ دونَ خليفةِ الرَّحمنِ

فمنعتَ حوزتَه وكنتَ وقاءَهُ من وقعِ كلِّ مُهنَّدٍ وسنانِ

فقال له أحسنت يا معن •• وفى خبر آخر انه دخل على المنصور فقال له ويلك ماأظن مايقال فيك من ظلمك لأهل اليمن واعتسافك إياهم إلاّ حقاً قال وكيف ذاك يا أمير المؤمنين قال بلغني انك أعطيت شاعراً كان يلزمك ألفي دينار وهذا من السرف الذى لا شئ مثله فقال يا أمير المؤمنين انما أعطيته من فضول مالي وغلات ضياعي وفضلات رزقي وكففته عن عرضي وقضيت الواجب من حقه عليّ وقصده اليّ وملازمته لي قال فجعل أبو جعفر ينكت بقضيب فى يده الأرض ولم يعاود القول •• وأخبرنا المرزباني قال أخبرني عليّ بن يحيى عن عبد الله بن أبي سعد الورّاق عن خالد بن يزيد بن وهب ابن جرير عن عبد الله بن محمد المعروف بمنقار من أهل خراسان وكان من ولاة الرشيد قال حدثني معن بن زائدة قال كنا فى الصحابة سبعمائة رجل فكنا ندخل على المنصور فى كل يوم فقلت للربيع اجعلني من آخر من يدخل عليه فقال لي لست بأشرفهم فتكون من أولهم ولا بأخسهم نسباً فتكون من آخرهم وان مرتبتك لتشبه نسبك قال فدخلت على المنصور ذات يوم وعلى درّاعة فضفاضة وسيف حنفي أقرع بنعله الأرض وعمامة قد أسدلتها من قدامي وخلفي فسلمت عليه وخرجت فلما صرت عند الستر صاح بي يامعن صيحة أنكرتها فلبيته فقال ادن اليّ فدنوت منه فاذا به قد نزل عن فراشه الى الأرض وجثى على ركبتيه واستل عموداً من بين فراشين واستحال لونه وبدت أوداجه وقال إنك لصاحبي يوم واسط لانجوت ان نجوت مني قال قلت يا أمير المؤمنين تلك نصرتي لباطلهم فكيف نصرتي لحقك قال فقال لي كيف قلت فأعدت عليه القول فما زال يستعيدني حتى رد العمود الى مستقره واستوى متربعاً واسفر لونه وقال يامعن ان باليمن هَنَاة فقلت يا أمير المؤمنين ليس لمكتوم رأي وهو أول من أرسلها مثلا فقال

أنت صاحبي فاجلس قال فجلست وأمر الربيع كل من كان في الدار فخرج وخرج الربيع فقال ان صاحب اليمن قدهم بالمعصية وإني أريد أن آخذه أسيراً ولا يفوتني شيء من ماله قلت ولني اليمن وأظهر إنك قد ضممتني اليه وأمر الربيع أن يزيح علتي في كل ماأحتاج اليه ويخرجني في يومي هذا لئلا ينتشر الخبر قال فاستل عهداً من بين فراشين فوقع فيه اسمي وناولنيه ثم دعا الربيع فقال يا ربيع إنا ضممنا معناً الى صاحب اليمن فأزح علته فيما يحتاج اليه من السلاح والكراع ولا يمس إلا وهو راحل قال ثم ودعني فودعته وخرجت الى الدهليز فلقيني أبو الوالي فقال يامعن أعزز علي أن تضم الى ابن أخيك قال فقلت له أن لا غضاضة على الرجل يضمه سلطانه الى ابن أخيه وخرجت الى اليمن فأتيت الرجل فأخذته أسيراً وقرأت عليه العهد وقعدت في مجلسه ٠٠ روى عمر بن شبة قال اجتمع معن بن زائدة مع ابن أبي عاصية وابن أبي حفصة والضمري فقال لينشدني كل واحد منكم أمدح بيت قاله في فأنشده ابن أبي حفصة

مسحت رَبيعةُ وَجهَ معنٍ سابقاً ... لماجرَى وجرَى ذَوُو الأَحساب

فقال له معن الجواد يعثر فيمسح وجهه من الغبار والعثار وغيرهما ٠٠ وأنشده الضمري

أنت امرؤٌ شأنكَ المعالي ... وذِكرُ معرُوفكَ الرَّبيعُ

ويروى ودون معروفك الربيع

بشأنكَ الحَمدَ تشتريهِ ... يُشيعهُ عنكَ ما يُشيعُ

فقال له ماأحسن ماقلت إلا إنك لم تسمني ولم تذكرني فمن شاء انتحله ٠٠ فأنشده ابن أبي عاصية شعراً

إنْ زَالَ معنُ بني شَريكٍ لمْ يَزَلْ ... لندى إلى بلدٍ بغيرِ مُسافرِ

ففضله عليهم ٠٠ وروى انه أتي معن بن زائدة بثلاثمائة أسير فأمر بضرب أعناقهم فقال له شاب منهم يا أخا شيبان نناشدك الله أن تقتلنا عطاشا قال اسقوهم ماء فلما شربوا قالوا يا أخا شيبان نناشدك الله أن تقتل أضيافك فقال اطلقوهم ٠٠ وذكر أحمد بن كامل أن الخوارج قتلت معن بن زائدة بسجستان في سنة إحدى وخمسين ومائة ٠٠ وروى

أن عبد الله بن طاهر كان يوماً عند المأمون فقال له ياأبا العباس من أشعر من قال فى خلافة بني هاشم قال أمير المؤمنين أعرف بهذا مني قال قل على كل حال قال عبد الله أشعرهم الذي يقول فى معن بن زائدة

أيا قبرَ معنٍ كُنتَ أوَّلَ حفرةٍ ... منَ الأرضِ خُطَّتْ للسَّماحةِ مضجعا

أيا قبرَ معنٍ كيفَ واريتَ جودَهُ ... وقدْ كانَ منهُ البَرُّ والبَحرُ مُتْرَعا

بلَى قدْ وَسِعتَ الجُودَ والجُودُ ميِّتٌ ... ولوْ كانَ حيّاً ضِقتَ حتَّى تَصدَّعا

والأبيات للحسين بن مطير الأسدى وهي تزيد على هذا المقدار وأولها

ألِمَّا علي معنٍ فقولاَ لِقبرِهِ ... سقتكَ الغَوادِي مَرْبَعاً ثمَّ مَرْبَعا

.. ومنها

فتىً عاشَ في معرُوفهِ بَعدَ موتهِ ... كما كانَ بَعدَ السَّيلِ مجراهُ مَرْتَعا

فلمَّا مَضى معنٌ مضى الجُودُ وانقضي ... واصبحَ عِرنينُ المكارمِ أجدَعا

مجلس آخر ١٦

[تأويل آية] ان سأل سائلٌ فقال ما الوجه فى قوله تعالى (إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق) وفى موضع آخر (وقتلهم الأنبياء بغير حق) وظاهر هذا القول يقتضي ان قتلهم قد يكون بحق .. وقوله تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) .. وقوله (ان الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) .. وقوله (ولا تكونوا أوَّل كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً) .. وقوله (لايسألون الناس إلحافاً) . والسؤال عن هذه الآيات كلها من وجه واحد وهو الذى تقدم . الجواب اعلم أن للعرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفةً ومذهباً مشهوراً عند من تصفح كلامهم وفهم عنهم مرادهم بذلك المبالغة فى النفي وتأكيده .. فمن ذلك

قولهم فلان لا يرجى خيره ليس يريدون أنّ فيه خيراً لا يرجى وانما غرضهم انه لا خير عنده على وجه من الوجوه .. ومثله قلمارأيت مثل هذا الرجل وانما يريدون ان مثله لم ير قليلا ولا كثيراً .. وقال امرؤ القيس

عَلى لاَحِبٍ لاَ يُهتَدَى بِمَنارِهِ إذَاسافَهُ العَوْدُ الدِّيافيُّ (١) جَرْجَرَا

يصف طريقاً .. وأراد بقوله لا يهتدى بمناره انه لامنار له فيهتدى به ـ والعود ـ المسن من الابل ـ والديافى ـ منسوبٌ الى دياف وهى قرية بالشام معروفة ـ وسافه ـ شمه وعرفه .. ـ والجرجرة ـ مثل الهدير .. وانما أرادان العود اذا شمه عرفه فاستبعده .. وذكر مايلحقه فيه من المشقة فجرجر لذلك .. وقال ابن أحمر

لاَ يُفزِعُ الأَرْنَبَ أهوالُها ولاَ تَرَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرُ

أراد ليست بها أهوال فيفزع الأرنب .. وقال النابغة

يَحُفُّهُ جانبا نيق وتُتْبِعُهُ مثلَ الزُّجاجةِ لم تُكحلْ منَ الرَّمَدِ

أراد ليس بها رمد فتكتحل له .. وقال امرؤ القيس أيضاً

وصمٌّ حَوَام ما يَقِينَ منَ الوَجى كأنَّ مكانَ الرِّدفِ منهُ على رَالِ

يصف حوافر فرسه .. وقوله ـ مايقين من الوجى ـ يريد الحفا ويقين أى يتوقين يقال وقى الفرس هاب المشي فأراد انه لاوجى بحوافره فيتهيبن الأرض من أجله ـ والرال ـ فرخ النعام وشبه إشراف عجزه بعجز الرال .. وقال الآخر

لاَيَغمِزُ السَّاقَ مِنْ أينٍ وَلاَ وَصَبٍ ولاَ يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصفَرُ (٢)

---

(١) ـ قوله الديافي .. الرواية المشهورة النباطي

(٢) ـ قوله لا يغمز الساق من أين الخ شطر هذا البيت الأول محذوف العجز وعجزه محذوف الصدر والرواية الصحيحة

لايتأرى لما في القدر يرقبه ولا يعض على شرسوفه الصفر

لا يغمز الساق من أين ولا وصب ولا يزال أمام القوم يقتفر

أراد ليس بساقيه أين ولا وصبٌ فيغمزهما من أجلهما •• وقال سويد بن أبي كاهل

مِنْ أُناسٍ لَيْسَ مِنْ أَخلاَقِهِمْ عاجِلُ الفُحْشِ ولاَسُوءُ الجَزَعْ

لم يرد إن في أخلاقهم فحشاً عاجلاً ولا آجلاً ولا جزعاً غير سيءٍ وانما أراد نفي الفحش والجزع عن أخلاقهم ••ومثل ذلك قولهم فلان غير سريع الى الخنا وهم يريدون انه لا يقرب الخنا لا نفي الاسراع حسب •• وقال الفرزدق وهو يهجو جعفر بن كلاب ويعيرهم بقتلى منهم أصيبوا في حروبهم فحملت النساء هؤلاء القتلى حتى أتين بهم الحي

ولمْ تأْتِ عيرٌ أهلَها كالتي أَتتْ بِهِ جعفراً يومَ الهُضَيْباتِ عيرُها

أَتتهمْ بِعِيرٍ لمْ تكُنْ هجريةً ولاَ حِنطةَ الشامِ المَزيتِ خميرُها

قوله ـ لا يتأرى ـ أي لا يحبس ويتلبث يقال تأرى بالمكان اذا قام فيه أي لا يلبث لادراك طعام القدر وجملة يرقبه حال من المستتر في يتأرى يمدحه بان همته ليست في المطعم والمشرب وانما همته في طلب المعالي ليس يرقب نضج ما في القدر اذا هم بأمر له شرف بل يتركها ويمضي ـ والشرسوف ـ طرف الضلع ـ والصفر ـ دويبة مثل الحية تكون في البطن تعتري من به شدة الجوع ••قال في النهاية في حديث لا عدوى ولا هامة ولا صفر إن العرب كانت تزعم ان في البطن حية يقال لها الصفر تصيب الانسان اذا جاع وتؤذيه فأبطل الاسلام ذلك وقيل أراد به النبي صلى الله عليه وسلم النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية وهو تأخير المحرم الى صفر ويجعلون صفر هو الشهر الحرام فأبطله انتهى •• ولم يرد الشاعر ان في جوفه صفراً لا يعض على شراسيفه وانما أراد انه لا صفر في جوفه فيعض يصفه بشدة الخلق وصحة البنية ••وقوله ـ لا يغمز الساق ـ لا يجنيها يصف جلده وتحمله للمشاق ـ والأين ـ الاعياء ـ والوصب ـ الوجع ـ والاقتفار ـ بتقديم القاف على الفاء اتباع الآثار •• وفي الصحاح وقفرت آثاره أقفره بالضم أي قفوته واقتفرت مثله وأنشد هذا البيت ورواه أبو العباس في شرح نوادر أبي زيد يقتفر بالبناء للمجهول ومعناه انه يفوت الناس فيتبع ولا يلحق

يعني أن العير انما تحمل التمر والطعام الى الحي فحملت عير هؤلاء القتلى وقوله ـ لم تكن مجربة ـ أي لم تحمل التمر وذلك لكثرة التمر بهجر ثم قال ولا حنطة الشام المزيت خبرها ولم يرد ان هناك حنطة ليس في خبزها زيت لكنه أراد انها لم تحمل تمراً ولا حنطة ثم وصف الحنطة بما يجعل في خبزها من الزيت وعلى هذا تأويل الآيات التي وقع السؤال عنها لانه تعالى لما قال (ويقتلون النبيين بغير حق) دل على أن قتلهم لا يكون إلاّ بغير حق ثم وصف القتل بما لابد أن يكون عليه من الصفة وهي وقوعه على خلاف الحق وكذلك (من يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) وقوله تعالى (الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) وجهه أيضاً انه لو كان هناك عمداً لرأيتموه فاذا نفى رؤية العمد نفى وجود العمد كما قال لايهتدى لمناره أى لا منار له من حيث علم انه لوكان له منار لاهتدى به فصار نفى الاهتداء بالمنار نفياً لوجود المنار .. وقوله تعالى (ولا تكونوا أوّل كافر به) تغليظ وتأكيد في تحذيرهم الكفر وهو أبلغ من أن يقول ولا تكفروا به ويجرى مجرى قولهم فلان لا يسرع الي الخنا وقلما رأيت مثله اذا أرادوا به تأكيد نفى الخنا ونفى رؤية مثل المذكور وكذلك قوله تعالى (لا يسألون الناس إلحافاً) أي لامسألة تقع منهم ومثل الأول (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا) والفائدة ان كل ثمن لها لا يكون إلاّ قليلا فصار نفى الثمن القليل نفياً لكل ثمن وهذا واضح بحمد الله ومنّه

...

﴿ باب ذكر شيء من أخبار المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم ﴾

أحد المعمرين الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن جلد بن مالك بن أدد المذحجي ومذحج هي أم مالك بن أدد نسب ولد مالك اليها وانما سميت مذحج لانها ولدت على أكمة تسمي مذحجاً واسمها مدلة بنت ذي هيجشان .. قال أبو حاتم السجستاني جمع الحارث بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال يابني قد أتى عليّ ستون ومائة سنة ماصافحت بيميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلة فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا طرحت عندي مومسة قناعها ولا بحت لصديق بسر وإني لعلي دين شعيب النبي عليه السلام وما

عليه أحد من العرب غيري وغير أحيد بن خزيمة وتميم بن مرة فاحفظوا وصيتي وموتوا على شريعتي .. إلهكم فاتقوه يكفيكم المهم من أموركم ويصلح لكم أعمالكم وإياكم ومعصيته لا يحل بكم الدمار ويوحش منكم الديار .. يا بني كونوا جميعاً ولا تفرقوا فتكونوا شيعاً وان موتا فى عز خير من حياة فى ذل وعجز وكلما هو كائن كائن وكل جميع الى تباين .. الدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان فيوم حبره ويوم عبره والناس رجلان فرجل معك ورجل عليك .. وزوجوا الأكفاء وليستعملن فى طيبهن الماء وتجنبوا الحمقاء فان ولدها الى أفن يكون .. ألا انه لا راحة لقاطع القرابة واذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم وآفة العدد اختلاف الكلمة التفضيل بالحسنة يقي السيئة والمكافأة بالسيئة الدخول فيها والعمل السوء يزيل النعماء وقطيعة الرحم تورث الهم وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد ويمحق العدد ويخرب البلد والنصيحة تجر الفضيحة والحقد يمنع الرفد ولزوم الخطيئة يعقب البلية وسوء الرعة يقطع أسباب المنفعة والضغائن تدعوا الى التباين ثم أنشأ يقول

أَكَلْتُ شَبابِى فأَفْنَيْتُهُ ... وأَفْنَيْتُ مِن بَعدِ دَهرٍ دُهورا

ثلاثَةُ أَهلِينَ صاحَبْتُهُمْ ... فبادُوا وأَصبَحتُ شَيخاً كبيرا

قليلَ الطَّعامِ عَسيرَ القيامِ ... قد تَرَكَ الدَّهرُ خَطْوِى قَصيرا

أَبِيتُ أُراعِي نُجُومَ السَّما ... أُقَلِّبُ أَمرِى بُطوناً ظُهورا

قوله — ولا صبوت بابنة عم ولا كنة — الصبوة هي رقة القلب والكنة امرأة أخ الرجل وامرأة ابن أخيه — وأما المومسة — فهي الفاجرة البغي وأراد بقوله انها لم تطرح عنده قناعها أي لم تبتذل عنده وتنبسط كما تفعل مع من يريد الفجور بها وقوله — فيوم حبره ويوم عبره — فالحبرة الفرح والسرور والعبرة تكون من ضد ذلك لان العبرة لا تكون إلا من أمر محزن مؤلم — وأما الأفن — فهو الحمق يقال رجل أفين اذا كان أحمق ومن أمثالهم وجد ان

الرقين [1] يغطي على أفن الأفين أي وجدان المال يغطي حمق الأحمق وواحد الرقين رقةوهي الفضة ٠٠وأما قوله ــالنصيحة تجر الفضيحة ــفيشبه أن يكون معناه ان النصيح اذا نصح لمن لا يقبل نصيحته ولا يصغي الي موعظته فقد افتضح عنده لانه أفضى اليه بسره وباح بمكنون صدره ــ فأما سوء الرعة ــ فانه يقال فلان حسن الرعة والتورع أي حسن الطريقة

ومن المعمرين المشهورين المستوغر وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر وانما سمي المستوغر ببيت قاله وهو

يَنِشُّ الماءُ في الرَّبلَاتِ منها ... نَشيشَ الرَّضْفِ في اُللبَنِ اُلوَغيرِ

ــالربلات ــ واحدها ربلة بفتح وربلة بتسكينها وهي كل لحمة غليظة هكذا ذكره ابن دريد ــوالرضف ــالحجارة المحماة ٠٠وفى الحديث كأنه على الرضف ــ واللبن الوغير ــلبن يلقى فيه حجارة محماة ثم يشرب أخذ من وغرة الظهيرة وهي أشد مايكون من الحر ومنه وغر

---

(١) قوله وجد ان الرقين الي قوله رقة هذا غير كاف فى إيضاحه وأصل رقة ورق لحذف الفاء وعوض عنها هاء التأنيث وجمعت جمع المذكر السالم على طريق الحمل لأن جمع السلامة خاص بالعقلاء وحمل عليه أربعة أنواع ٠ أحدها أسماء جموع لم تستوف الشروط وهي أولو وعالمون وعشرون وبابه الى التسعين ٠ والنوع الثاني جموع تكسير وهي بنون وآخرون وأرضون وسنون وبابه وهو كل اسم ثلاثى حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث ولم يكسر ومن هذا النوع رقة ورقين أصله ورق كما قدمنا آنفاً ثم حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث ولكل منطوق من هذه الشروط مفهوم يخرج فلا يجمع هذا الجمع والنوعان الآخران الملحقان وهما جموع شروط لم تستوف الشروط كأهلون ووابلون وما سمى به من الجمع السالم نحو الزيدون علماً وكذلك ما ألحق به كعليون ٠٠وقوله الأفين هو فعيل بمعنى مفعول أى مأفون والأفن بالتحريك ضعف الرأى وقد أفن الرجل وأفنه الله يأفنه أفناً وأصله النقص يقال أفن الفصيل مافي ضرع أمه اذا أنفده

صدر فلان بوغر وغراً اذا التهب من غيظ أو حقد •• وقال أصحاب الأنساب عاش المستوغر ثلاثمائة سنة وعشرين وأدرك الاسلام أوكاد يدرك أوله •• وقال ابن سلام كان المستوغر قديماً وبقي بقاء طويلا حتى قال

وَلَقدْ سَئِمْتُ مِنَ الحَيَاةِ وطولها ... وعَمِرْتُ مِنْ عَدَدِ السِّنِينَ مِئِينا
مائةٌ أتَتْ مِنْ بعدِها مائتانِ لي ... وازْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهورِ سِنِينا
هلْ قدْ بَقِي إلاَّ كَما قدْ فاتَنا ... يَوْمٌ يَكُرُّ وليلةٌ تَحْدُونا

وهو القائل

إذَا ما المَرْءُ صَمَّ فلَمْ يُكَلَّمْ ... وأَوْدَى سَمْعُهُ إلاَّ نَدَايا
ولاعَبَ بالعَشِيِّ بَنِي بَنِيهِ ... كَفِعْلِ الهِرِّ يَحْتَرِشُ العَظَايا
يُلاعِبُهُمْ ووَدُّوا لوْ سَقَوْهُ ... منَ الذِّيفانِ مُتْرَعةً مِلاَيا
فلاَ ذَاقَ النَّعيمَ ولاَ شَرَاباً ... ولاَ يُشْفَي مِنَ المَرَضِ الشِّفَايا

أراد بقوله — فلم يكلم — أي لم يسمع ما يكلم به فاختصر ويجوز أن يريد انه لم يكلم الناس من استماعه وأعرض عن خطابه لذلك •• وقوله — وأودى سمعه إلاّ ندايا — أراد ان سمعه هلك إلاّ أنه يسمع الصوت العالي الذي ينادى به •• وقوله — ولاعب بالعشي بني بنيه — لانه مبالغة في وصفه بالهرم والخرف وانه قد تناها الى ملاعبة الصبيان وأنسهم به ويشبه أن يكون خص العشي بذلك لانه وقت رواح الصبيان الى بيوتهم واستقرارهم فيها •• وقوله — يحترش العظايا — أي يصيدها والاحتراش أن يقصد الرجل الى جحر الضب فيضربه بكفه ليحسبه الضب أفعي فيخرج اليه فيأخذه يقال حرشت الضب واحترشته ومن أمثالهم هذا أجل من الحرش يضرب عند الأمر يستعظم ويتكلم بذلك على لسان الضب •• قال ابن دريد قال الضب لابنه اتق الحرش قال وما الحرش قال اذا سمعت حركة بباب الجحر فلا تخرج فسمع يوماً وقع المحفار فقال يا أبت هذا الحرش فقال هذا أجل من الحرش فجعل مثلا للرجل اذا سمع الشيء الذي هو أشد مما كان يتوقعه

ـ والذيفان ـ السم ـ والعظايا ـ جمع عظاية وهي دويبة (١) صغيرة

وأحد المعمرين دويد بن زيد بن نهد بن ليث بن أسود بن أسلم بن الحفاف بن قضاعة بن مالك بن مرة بن مالك بن حمير .. قال أبو حاتم عاش دويد بن زيد أربعمائة وستة وخمسين سنة .. قال ابن دريد لما حضرت دويد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين قال ولا يعد العرب معمراً إلاّ من عاش مائة وعشرين سنة فصاعدا قال لبنيه أوصيكم بالناس شراً لا ترحموا لهم عبرة ولا تقيلوهم عثرة قصروا الأعنة وطوّلوا الأسنّة واطعنوا شزرا واضربوا هبراً واذا أردتم المحاجزة فقبل المناجزة والمرء يعجز لا محالة بالجد لا بالكد التجلد ولا التبلد والمنيّة ولا الدنية ولا تأسوا على فائت وان عز فقده ولا تحنوا على ظاعن وان ألف قربه ولا تطمعوا فتطبعوا ولا تهنوا فتخرعوا ولا يكن لكم المثل السوء ان الموصين بنو سهوان اذا مت فارحبوا خط مضجعي ولا تضنوا عليّ برحب الأرض وما ذلك بمؤد اليّ روحاً ولكن حاجة نفس خامرها الاشفاق ثم مات .. قال أبو بكر بن دريد في حديث آخر انه قال

أليومُ يُبْنَى لدُوَيدٍ بيتُهُ ... يارُبَّ نَهْبٍ صالحٍ حَوَيتُهُ

ورُبَّ قِرْنٍ بَطَلٍ أرْدَيتُهُ ... ورُبَّ غيلٍ حَسَنٍ لَوَيتُهُ

ومِعصَمٍ مُخَضَّبٍ ثَنيتُهُ ... لو كانَ للدَّهرِ بلًى أبليتُهُ

---

(١) قوله والعظاية دويبة صغيرة الخ أهل العالية يقولون عظاءة وتميم يقولون عظاية والجمع عندهم جميعاً العظاء .. قال سيبويه الذين قالوا عظاءة بنوه على العظاء وإلاّ فقد كان حكمه أن يعتل لأن بعدها الهاء والهاء لازمة .. قال أبو عليّ فأما قوله * ولاعب بالعشي بني بنيه * الخ فعلى الضرورة ألا ترى ان بعد هذا البيت

يلاعبهم ولو ظفروا سقوه ... كؤوس السم مترعة ملايا

.. وقال أبو حاتم العظاية مثل الأصبع صحراء غبراء تكون فتراً وشبراً وثلثاً وهي سم عامّتها ومنها ذوات لا تضر شيئاً وهي التي في الحشوش تبرق ولا تقتل ولكن الأوزاع تقتل بطلب بقتلهن الأجر

أوكانَ قِرْني واحِدًا كَفيتهُ

ومن قوله

ألقَى عليَّ الدَّهرُ رِجلاً ويَدَا والدَّهرُ ما أصلحَ يوماً أفسَدَا
يُصلِحُ ما أفسَدَهُ اليومَ غَدَا

قوله ــ اطعنوا شزراً واضربوا هبراً ــ معنى الشزر أن يطعنه من احدى ناحيتيه يقال فتل الحبل شزراً اذا فتله على الشمال والنظر الشزر نظر بمؤخر العين •• وقال الأصمعي نظر اليّ شزراً اذا نظر اليه من عن يمينه وشماله وطعنه شزراً كذلك ••وقوله هبراً قال ابن دريد يقال هبرت اللحم أهبره هبراً اذا قطعته قطعاً كباراً والاسم الهَبرة والهُبرة وسيف هبارٌ وهابرٌ واللحم هبيرٌ ومهبور ــ والمحالة ــ الحيلة ••وقوله ــ بالجد لا بالكد ــ أي يدرك الرجل حاجته وطلبته بالجد وهو الحظ والبخت ومنه رجل مجدودٌ واذا كسرت الجيم فهو الانكماش في الأمر •• وقوله ــ التجلد ولا التبلد ــ أي تجلدوا ولا تبلدوا •• وقوله ــ فتطبعوا ــ أي تدنسوا والطَّبَعُ الدنس ويقال طبع السيف يطبع طبعاً اذا ركبه الصدى •• قال ثابت قطنة العتكي

لا خيرَ في طمعٍ يُدني إلى طَبَعٍ وعفةٌ من قِوَامِ العيشِ تكفيني

••وقوله ــ ولا تهنوا فتخرعوا ــ قالوا هي الضعف والخرع والخراعة اللين ومنه سميت الشجرة الخروع للينها •• وقوله ــ ان الموصين بنو سهوان ــ فالموصون جمع موصى وبنو سهوان ضربه مثلا أي لا تكونوا ممن تقدم اليهم فسهوا وأعرضوا عن الوصية وقالوا انه يضرب هذا المثل للرجل الموتر دمه ومعناه ان الذين يحتاجون أن يوصوا بحوائج اخوانهم هم الذين يسهون عنها لقلة عنايتهم بها وأنت غير غافل ولا ساه عن حاجتي •• وقوله ــ فارحبوا ــ أي أوسعوا والرحب السعة ــ والروح ــ الراحة ••وقوله في الشعر ــ ورب غيل ــ فالغيل الساعد الممتلئ ــ والمعصم ــ موضع السوار من اليد

ومن المعمرين زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب حلوان بن عمران بن

الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير .. قال أبوحاتم عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة وواقع مائتى وقعة وكان سيداً مطاعاً عاش شريفاً في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن فى غيره من أهل زمانه كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم والطب كان فى ذلك الزمان شرفاً وحازى قومه والحزاة الكهان وكان فارس قومه وله البيت فيهم والعدد منهم .. وأوصى بنيه فقال يا بني قد كبرت سني وبلغت حرساً من دهرى فأحكمتني التجارب والأمور تجربة واختبار فاحتفظوا عنى ما أقول وعوه إياكم والخوار عند المصائب والتواكل عند النوائب فان ذلك داعية للغم وشماتة للعدو وسوء ظن بالرب وإياكم أن تكونوا للاحداث مغترين ولها آمنين ومنها ساخرين فانه ما سخر قومٌ قط إلاّ ابتلوا ولكن توقعوها فانما الانسان فى الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لابد انه مصيبه .. قوله ـ حرساً من دهري ـ يريد طويلا منه والحرس من الدهر الطويل .. قال الراجز فى سُنَيَّةٍ عشنا بذاك حَرْساً * السنية المدة من الدهر ـ والتواكل ـ أن يكل القوم أمرهم الى غيرهم من قولهم رجل وكلٌ اذا كان لا يكفى نفسه ويكل أمره الى غيره ويقال رجل وكلة تكلة ـ والغرض ـ كلما نصبته للرمي ـ وتعاوره ـ أى تداوله .. [قال المرتضى] رضى الله عنه وقد ضمن ابن الرومي في معنى قول زهير بن جناب الانسان فى الدهر غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوزٌ له وواقع عن يمينه وعن شماله ولا بد أن يصيبه أبياتاً فأحسن كل الاحسان وهي

كَفَى بِسِرَاجِ الشَّيْبِ فِي الرَّأْسِ هادِيا ... لِمَنْ قَدْ أَضَلَّتْهُ المَنَايا لَيالِيا

أَمِنْ بَعْدِ إِبْدَاءِ المَشيبِ مَقاتِلي ... لِرَامِي المَنَايا تَحْسَبِينيَ ناجِيا

غَدَا الدَّهْرُ يَرْمِينِي فَتَدْنُو سِهامُهُ ... لِشَخْصِي وأَخْلِقْ أَنْ يُصِبْنَ سَوَادِيا

وكانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَرْمِي ولاَ يَرَى ... فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمانِيا

أما البيت الأخير فانه أبدع فيه وأغرب وما علمت انه سبق الى معناه لأنه جعل الشباب كالليل الساتر على الانسان الحاجز بينه وبين من أراد رميه لظلمته والشيب مبدياً لمقاتله

هادياً الى اصابته لضوئه وبياضه وهذا فى نهاية حسن المعنى ‥ وأراد بقوله رماني أصابني ومثله قول الشاعر

فلمَّا رَمَى شخصي رَمَيتُ سَوَادَهُ ولاَ بُدَّ أنْ يُرْمَى سَوَادُ الَّذِي يَرْمِي

وكان زهير بن جناب على عهد كليب وائل ولم يكن فى العرب أنطق من زهير ولا أوجه منه عند الملوك وكان لسداد رأيه يسمى كاهناً ولم تجتمع قضاعة إلاّ عليه وعلى رزاح بن ربيعة فسمع زهير بعض نسائه تتكلم بما لايجوز للمرأة أن تتكلم به عند زوجها فنهاها فقالت له اسكت وإلاّ ضربتك بهذا العمود فوالله ماكنت أراك تسمع شيئاً ولا تعقله فقال عند ذلك

أَلاَ يالَ قَوْمي لاَ أَرَى النَّجمَ طالِعاً ولاَ الشَّمسَ إلاَّ حاجَتي بيَميني

مُعَزِّبَتي عنْدَ القَفا بعَمودِها تكُونُ نكيرِي أنْ أقولَ ذَرِيني

أميناً على سِرِّ النِّساءِ ورُبَّما أكونُ على الأَسرارِ غيرَ أمينِ

فلَلموتُ خيرٌ منْ حِداجٍ مُوَطَّأٍ معَ الظَعْنِ لاَ يأْتي المَحلَّ لحِيني

وهو القائل

أَبَنِيَّ إنْ أَهلِكْ فقدْ أَوْرَثْتُكُمْ مَجْداً بَنيَّه

وتَرَكْتُكُمْ أرْبابَ سا داتٍ زِنادُكُمُ ورِيَّه

منْ كلِّ ما نالَ الفتى قدْ نلْتُهُ إلاَّ التَّحيَّه

فلَقدْ رَحلْتُ البازِلَ الـ ـكَوْماءَ ليسَ لها وَلِيَّه

وخَطبتُ خُطْبَةَ حازمٍ غيرِ الضَّعيفِ ولاَ العَيِيَّه

فالمَوْتُ خيرٌ للفتى فلْيَهلِكَنْ وبِهِ بَقيَّه

منْ أنْ يرَى الشَّيخَ البجا لَ إذا يُهادَى بالعَشيَّه

وهو القائل

ليتَ شعري والدَّهرُ ذُو حدَثان ... أيُّ حينٍ منيّتي تلقاني
أسُباتٌ على الفرَاشِ خُفاتٌ ... أمْ بكفّي مُفَجّعٍ حرّانِ

وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره

لقد عمّرتُ حتّي ما أُبالي ... أحتْفي في صَباحي أمْ مَساء
وحُقّ لِمَنْ أتتْ مائتانِ عاماً ... عليهِ أنْ يَملَّ منَ الثّوَاء

قوله — معزبتي — يعنى امرأته يقال معزبة الرجل وحليلته وزوجته كل ذلك امرأته .. وقوله — أميناً على سر النساء — السر خلاف العلانية والسر أيضاً النكاح قال الحطيئة

ويحرُمُ سرُّ جارَتِهم عليهِمْ ... ويأكُلُ جارُهُمْ أنفَ القِصاعِ [1]

وقال امرؤ القيس

ألاَ زَعمتْ بَسباسةُ اليومَ أنني ... كَبِرْتُ وألاَّ يُحسِنُ السِّرَّ أمثالي

وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعاً لانه اذا كبر وهرم تهيبه النساء أن تحدث بحضرته بأسرارهن تهاونا به أوتعويلا على ثقل سمعه وكذلك هرمه وكبره يوجبان كونه أميناً على نكاح النساء لعجزه عنه .. وقوله — حداج ، وطأ — الحداج مركب من مراكب النساء والجمع احداج وحدوج — والظعُنُ — والأظعان الهوادج والظعينة المرأة فى الهودج ولا تكون ظعينة حتى تكون فى هودج والجمع ظعائن وانما خبّر عن هرمه وأن موته خير من كونه مع الظعن فى جملة النساء .. وقوله — زنادكم وريّه — الزناد جمع زند وزندة وهما عودان يقدح بهما النار فنى أحدهما فروض وهي تخت فالتى فيها الفروض هي الأنثى والذى يقدح بطرفه هو الذكر ويسمي الزندة الأب والزندة الأم وكنّى بزنادكم وريّه عن بلوغهم مآربهم تقول العرب وريت بكم زنادى أى بلغت بكم ما أحب من النجح

(١) قوله أنف الأنف من كل شئ أوله يقول يؤثرون جارهم بالطعام على أنفسهم فيأكل صفوة طعامهم قبلهم

والنجاة ويقال للرجل الكريم واري الزناد ــ وأما التحية ــ فهي الملك فكأنه قال من كل ما نال الفتى قد نلته إلا الملك .. وقيل التحية ههنا الخلود والبقاء ــ والبازل ــ الناقة التي بلغت تسع سنين فهي أشد ما تكون ولفظ البازل في الناقة والجمل سواء ــ والكوماء ــ العظيمة السنام ــ والولية ــ برذعة تطرح على ظهر البعير تلي جلده ــ والبجال ــ الذي يجله قومه ويعظمونه .. وقوله ــ يهادي بالعشيه ــ أي يماشيه الرجال فيسندونه لضعفه والتهادي المشي الضعيف .. وقوله ــ أسبات ــ فالسبات سكون الحركة ورجل مسبوت ــ والخفات ــ الضعف أيضاً يقال خفت الرجل اذا أصابه ضعف من مرض أو جوع ــ والمفجع ــ الذي فجع بولد له أو قرابة ــ والحران ــ العطشان الملتهب وهو ههنا المحزون على قتلاه .. ومما يروي لزهير بن جناب

إذَا ما شِئْتَ أنْ تَسلو حبيباً ... فَكَثِّرْ دُونَهُ عَدَدَ اللَّيالي

فما سلى حَبيبكَ مِثْلَ ناءٍ ... ولاَ أبلى جَديدكَ كَابتذالِ

مجلس آخر ١٧

ومن المعمرين ذو الأصبع العدواني واسمه حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة ابن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عتّاب بن يشكر بن عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر .. وانما سمي الحارث عدوان لأنه عدى على أخيه فهم فقتله وقيل بل فقأ عينه وقيل ان اسم ذو الأصبع محرث بن حرثان وقيل حرثان بن حويرث وقيل حرثان بن حارثة ويكنّى أبا عدوان وسبب لقبه بذي الأصبع ان حية نهشت أصبعه فشلّت فسمي بذلك ويقال انه عاش مائة وسبعين سنة .. وقال أبو حاتم انه عاش ثلاثمائة سنة وهو أحد حكّام العرب في الجاهلية وذكر الجاحظ انه كان أثرم وروى عنه

لاَ يَبْعُدَنْ عَهدُ الشَّبابِ ولاَ ... لَذَّاتُهُ ونَبـاتُهُ النضرُ

لَوْلاَ أُولئكَ ماحفَلت مَتى عُوايتُ في حرَجٍ إلى قبْرِي
هَزِئتْ أُثيلةُ أنْ رَأتْ هرَمي وأنِ انحَنى لِتقادُمٍ ظَهرِي

وكان لذي الأصبع بنات أربع فعرض عليهن أن يزوجهن فأبين وقلن خدمتك وقربك أحب الينا ثم أشرف عليهن يوماً من حيث لا يرينه فقلن لتقل كل واحدة منّا ما فى نفسها فقالت الكبرى

ألاَ هلْ أرَاها مرَّةً وضَجيعُها أشمُّ كَنصْلِ السَّيفِ عَيْنُ مُهَنَّدِ
عَليمٌ بأدْوَاءِ النّساءِ وأصْلُهُ إذَا ماانتَمى منْ أهلِ سِرِّي ومَحتِدِي

ويروى من سر أهلى ومن أصل سرى ومحتدى فقلن لها أنت تريدين ذا قرابة قد عرفته ثم قالت الثانية

ألاَ ليتَ زَوْجي مِنْ أُناسٍ أُولي عدىً حَديثُ شَبابٍ طيِّبُ الثوْبِ والعِطْرِ

ويروى أولى غنى

لَصُوقٌ بأكبادِ النّساءِ كأنّهُ خَليقةُ جانٍ لاَ يَنامُ علي وتْرِ

ويروى لا ينام على هجرى فقلن لها أنت تريدين فتىً ليس من أهلك ثم قالت الثالثة

ألاَ ليتَهُ يَكْسي الجَمالَ نَديَّهُ لهُ جفنةٌ تَشقى بها المَعْزُ والجزْرُ
لهُ حكَماتُ الدَّهرِ مِنْ غيرِ كبْرَةٍ تَشِينُ فلاَ وانٍ ولاَ ضَرِعٌ غُمْرُ

فقلن لها أنت تريدين سيداً شريفاً وقلن للرابعة قولي فقالت لا أقول فقلن لها ياعدوة الله علمت ما فى أنفسنا ولا تعلمينا ما في نفسك فقالت زوج من عود خير من قعود فمضت مثلاً فزوجهن أربعهن وتركهن حولاً ثم أتى الكبرى فقال يا بنيّة كيف ترين زوجك قالت خير زوج يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة قال فما مالكم قالت خير مال الابل نشرب ألبانها جُرعاً ويروى جزعاً بالزاي المعجمة ونأكل لحمانها مزعاً وتحملنا وضعفتنا معاً فقال يا بنية زوج كريم ومال عميم ثم أتى الثانية فقال يا بنية كيف زوجك قالت خير

زوج يكرم أهله وينسى فضله قال وما مالكم قلت البقر تألف الفناء وتملأ الاناء وتودك السقاء ونساء مع نساء فقال حظيت ورضيت ثم أتى الثالثة فقال يابنية كيف زوجك قالت لاسمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعز قال وما هي قلت لو أنا نولدها فطماً ونسلخها أدماً ويروى أدماً بالفتح لم نبغ بها نعماء فقال لها جذوة مغنية ويروى جدوة ثم أتى الصغرى فقال كيف زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال فما مالكم قالت شر مال قال وماهو قالت الضأن جوف لايشبعن وهيم لاينقعن وصم لا تسمعن وأمر مغويتهن يتبعن فقال أبوها أشبه أمراً بعض بزه فمضت مثلا ٠٠ أما قول إحدى بناته في الشعر ــ أشم ــ فالشمم ارتفاع أرنبة الأنف وورودها ويقال رجل أشم وامرأة شماء وقوم شم ٠٠ قال حسان بن ثابت

بيضُ الوُجوهِ كريمةٌ أحسابُهمْ شمُّ الأُنوفِ منَ الطّرازِ الأوّلِ

الشمم الارتفاع فى كل شئ ويحتمل أن يكون حسان أراد بشم الأنوف ماذكرناه من ورود الأرنبة لأن ذلك عندهم دليل العتق والنجابة ويجوز أن يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنايا الأمور ورذائلها وخص الأنوف بذلك لأن الحمية والغضب والأنف يكون فيها ولم يرد طول أنفهم وهذا أشبه بأن يكون مراده لانه قال بيض الوجوه ولم يرد اللون فى الحقيقة وانما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم وجميل أخلاقهم وأفعالهم وما يقول القائل جاءنى فلان بوجه أبيض وقد بيض فلان وجهي بكذا وكذا وانما يعنى ماذكرناه ٠٠ وقول المرأة أشم كنصل السيف يحتمل الوجهين أيضاً وقول حسان من الطراز الأول أي أفعالهم أفعال آبائهم وسلفهم وانهم لم يحدثوا أخلاقاً مذمومة لا تشبه نجارهم وأصولهم ٠٠ وقولها ــ عين مهند ــ أي هو المهند بعينه كما يقال هذا بعينه وعين الشئ نفسه وعلى الرواية الأخرى غير مهند أي ليس هو السيف المنسوب الى الهند فى الحقيقة وانما هو يشبهه فى مضائه ٠٠ وقولها ــ من سر أهلي ــ أي من أكرمهم وأخلصهم يقال فلان فى سر قومه أى فى صميمهم وشرفهم وسر الوادى أطيبه تراباً ــ والمحتد ــ الأصل ٠٠ وقول الثانية ــ أولى عدى ــ فان معناه أن يكون لهم أعداء لأن من لا عدو له هو الفَسْلُ الرذل الذى لا خير عنده والكريم الفاضل من الناس وهو

الحسّد المعادي ٠٠ وقولها ـ لصوق بأكباد النساء ـ يعني في المضاجعة ويحتمل أن يكون ارادة في المحبة وكنّت بذلك عن شدة محبتهن له وميلهن اليه وهو أشبه ٠٠ وقولها ـ كأنه خليقة جان ـ أي كأنه حية للصوقه والجانّ جنس من الحيات نخففت لضرورة الشعر ٠٠ وقول الثالثة ـ يكسي الجمال نديه ـ فالنديّ هو المجلس ٠٠ وقولها ـ له حكات الدهر ـ تقول قد أحكمته التجارب وجملته حكماً ـ والضرع ـ الضعيف ـ والغمر ـ الذي لم يجرب الأمور ٠٠ وقول ـ الكبرى ـ يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة ـ فالحليلة هي امرأة الرجل والوسيلة الحاجة ٠٠ وقولها ـ تشرب ألبانها جرعاً ـ فالجرع جمع جرعة وهو الماء القليل يبقى في الاناء ٠٠ وقولها ـ مزعاً ـ المزعة البقية من دسم ويقال ماله جرعة ولا مزعة هكذا ذكره ابن دريد الضم في جرعة ووجدت غيره يكسرها فيقول جرعة واذا كسرت فينبغي أن يكون تشرب ألبانها جرعاً وتكسر المزعة أيضاً ليزدوج الكلام فتقول وتأكل لحانها مزعاً قال المزعة من الشحم بالكسر هي القطعة من الشحم والمزعة أيضاً من الريش والقطن وغير ذلك كالمزقة من الخرق والتمزيع التقطيع والتشقيق ويقال انه ليكاد يتمزع من الغيظ ومزع الصبي في عدوه يتزع مزعاً اذا أسرع ٠٠ وقوله ـ مال عميم ـ أي كثير ٠٠ وقول الثانية ـ تودك السقاء ـ من الودك الذي هو الدسم ـ وقول الثالثة ـ نولدها فطماً ـ الفطم جمع فطيم وهو المقطوع من الرضاع ٠٠ وقولها ـ نسلخها أدماً ـ الأدم جمع إدام وهو الذي يؤكل تقول لو آنا فطمناها عند الولادة لسلخناها للأدم من الحاجة لم نبغ بها نعماء وفي الرواية الأخرى أدَماً من الأديم ٠٠ وقوله ـ جذرة مغنية ـ فالجذرة القطعة ٠٠ وقول الصغرى ـ جُوْفٌ لا يشبعن ـ الجوف جمع جوفاء وهي العظيمة الجوف ـ والهيم ـ العطاش ولا ينقعن أي لا يروين ٠٠ ومعنى قولها ـ وأمرمغويتهن يتبعن ـ لأن القطيع من الضأن يمرّ على قنطرة فتزل واحدة فتقع في الماء فيقعن كلهن إتباعاً لها والضأن يوصف بالبلادة ٠٠

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس قال ابن دريد وأخبرنا العكلي عن أبي خالد عن الهيثم بن عدي عن مسعر بن كدام قال حدثني سعيد بن خالد الجدلي قال لما قدم عبد الملك بن مروان

الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير دعا الناس على أخذ فرائضهم فأتيناه فقال ممن القوم فقلنا من جديلة فقال جديلة عدوان قلنا نعم فتمثل عبد الملك

عَذِيرَ الحَيِّ مِنْ عَـدْوَا ... نَ كانوا حَيَّةَ الأَرْضِ (١)

بَغَى بَعْضُهُمُ بَعْضاً ... فَلَمْ يَرْعَوْا على بَعْضِ

ومِنْهُمْ كانَتِ السادَا ... تُ والمُوفُونَ بالقَرْضِ

ومِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْـضِي ... فَلا يُنْقَضُ ما يَقْضِي

ومِنْهُمْ مَنْ يُجِيرُ النَّا ... سَ في السُّنَّةِ والفَرْضِ

ثم أقبل على رجل كنا قدمناه امامنا جسيم وسيم فقال أيكم يقول هـذا الشعر فقال لاأدرى فقلت أنا من خلفه يقوله ذو الأصبع فتركنى وأقبل على ذاك الجسيم فقال وما كان اسم ذو الأصبع فقال لا أدرى فقلت أنا من خلفه حرثان فأقبل عليـه وتركنى فقال لم سمى ذو الأصبع فقال لا أدرى فقلت أنا من خلفه نهشته حية فى أصبعه فأقبل عليه وتركنى فقال من أيكم كان فقال لا أدرى فقلت أنا من خلفه من بنى ناج فأقبل على الجسيم فقال كم عطاؤك قال سبعمائة ثم أقبل علىّ فقال كم عطاؤك قلت أربعمائة فقال

(١) اختلف فى العذير فنهم من جعله مصدراً بمعنى العذر وهو مذهب سيبويه ومنهم من جعله بمعنى عاذر كعليم وعالم والمعنى عنده هات عذرك واحضر عاذرك وامتنع أن يجعله بمعنى العذر لأن فعيلا لا يبنى على المصدر إلاّ فى الأصوات نحو الصهيل والنهيق والنبيح والأولى مذهب سيبويه لأن المصدر يطرد وضعه موضع الفعل بدلاً منه لانه اسمه ولا يطرد ذلك فى اسم الفاعل وقد جاء فعيل فى غير الصوت كقولهم وجب القلب وجيباً اذا اضطرب •• والمعنى يصف ما كان من تفرق عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس عيلان وتشتتهم فى البلاد مع كثرتهم وعزتهم في البلاد لكثرة ساداتهم وبغى بعضهم على بعض فيقول من يعذرهم فى فعلهم أو من يعذرنى منهم •• وقوله كانوا حية الأرض أى كانوا يتقى منهم لكثرتهم وعزتهم كما يتقى من الحية المنكرة

يا بن الزعيزعة حط من عطاء هذا ثلاثمائة وزدها في عطاء هذا ففرحت وعطائي سبعمائة وعطاؤه أربعمائة وفي رواية أخرى انه لما قال من أيكم كان فقال لاأدري فقلت أنا من بني ناج الذى يقول فيهم الشاعر

فَأَمَّا بنو ناجٍ فلاَ تَذْكُرُونَهُمْ ... ولاَ تُتْبِعَنْ عينيكَ مَنْ كانَ هالِكا

إذَا قلتَ معرُوفاً لِتُصلِحَ بينهُمْ ... يقولُ رَهيبٌ لاَ أُسَلِّمُ ذلِكا

ويروى ما أحاول

فأَضحَى كظَهْرِ الموْدِجِبِّ سَنامُهُ ... تحومُ عليهِ الطيرُ أحدَبَ بارِكا

وقد رويت هذه الأبيات لذى الأصبع أيضاً ومن أبيات ذى الأصبع السائرة قوله

أُكاشرُ ذَا الضِّغْنِ المُبِيِّنِ منهمُ ... وأُضحِكُ حتَّى يبدُوَ النَّابُ أجمَعُ

وأُهدِنُهُ بالقوْلِ هَدْناً ولوْ يرَى ... سَرِيرَةَ ما أخفِي لَباتَ يُفزَّعُ

ومعنى أهدنه أسكنه ومن قوله أيضاً

إذَا ما الدَّهرُ جرَّ على أُناسٍ ... حوَادِثَهُ أناخَ بآخَرِينا

ويروى شراشره

فقُلْ لِلشَّامتِينَ بنا أفِيقُوا ... سَيَلقَى الشَّامتونَ كما لَقِينا

ومعنى — الشراشر — ههنا الثقل يقال ألقى عليه شراشره وجراميزه أى ثقله ومن قوله

ذَهبَ الذينَ إذَا رَأَوْنِي مُقبِلاً ... هشُّوا إليَّ ورحَّبوا بالمقْبِلِ

وهُمُ الذينَ إذَا حملْتُ حَمالَةً ... ولَقِيتُهمْ فكأنَّني لمْ أحمِلِ

ومن قوله وهي المشهورة

ليَ ابنُ عَمٍّ على ما كانَ منْ خُلُقٍ ... مُختلفانِ فأَقليهِ ويَقلِيني

أزْرَى بنا أنَّنا شالتْ نعامتُنا ... فخالَنِي دُونَهُ وخلتُهُ دُوني[1]

(١) يقال أزرى به اذا قصّر وزرى عليه اذا عابه .. وقوله شالت نعامتنا أي تفرق

لاهِ ابنُ عمِّكَ لا أُفضِلتَ في حَسَبٍ ... عني ولاَ أنتَ دَيّاني فتخزُوني [(١)]

إني لَعَمرُكَ ما بابي بذِي غَلَقٍ ... عن الضُّيوفِ ولا خيري بممنونِ

ولاَ لِساني على الأَدنى بمُنطَلِقٍ ... بالفاحشاتِ ولاَ أُغضي على الهُونِ

ماذَا عليَّ وإن كُنتمْ ذَوِي رَحِمٍ ... ألاَّ أُحِبَّكُمُ إنْ لمْ تُحِبُّوني

أمرنا واختلف يقال عند اختلاف القوم شالت نعامتهم وزف رالهم والرال فرخ النعام وقيل يقال شلت نعامتهم اذا جلوا عن الوضع والمعنى تنافرنا فصرت لا أطمئن اليه ولا يطمئن اليَّ ويقال ألقوا عصاهم اذا سكنوا واطمأنوا ٠٠ وقال الزمخشرى شالت نعامتهم أي تفرقوا وذهبوا لأن النعامة موصوفة بالخفة وسرعة الذهاب والهرب ويقال أيضاً خفت نعامتهم وزف رالهم وقيل النعامة جماعة القوم

(١) قوله أفضلت ضمن فضلت معنى تجاوزت في الفضل فلهذا تعدى بعن ولولا التضمين لقال أفضلت عليَّ لأنه من قولهم أفضلت على الرجل اذا أوليته فضلا وأفضل هذه تتعدى بعلى لانها بمعنى الانعام أو انه من قولهم أعطى وأفضل اذا زاد على الواجب وأفضل هذه أيضاً تتعدى بعلى يقال أفضل على كذا أى زاد عليه فضله ومراده من ذكر التضمين ان عن ليست بمعنى على خلافا لابن السكيت ولابن قتيبة ومن تبعهما فانهم قالوا عن نائبة عن على والأولى أن يكون أفضل من قولهم أفضل الرجل اذا صار ذا فضل فى نفسه فيكون معناه ليس لك فضل تنفرد به عنى وتحوزه دوني فيكون لتضمنه معنى الانفراد تعدى بعن فتأمل — والديان — القيم بالأمر المجازي به وتخزونى تسوسنى سياسة وتخزوني بالخاء والزاى المعجمتين مضارع خزاه خزوا بالفتح ساسه وقهره وملكه وأما الخزى بالكسر وهو الهوان والذل فالفعل منه كرضى ويحتمل تخزونى الرفع ويكون التقدير ولا أنت مالكي فتسوسنى ويحتمل النصب والفتحة حينئذ مقدرة كما فى قوله

* أبى الله أن أسمو بأم ولا أب * وليس بضرورة يقول لله ابن عمك الذى ساواك فى الحسب وماثلك فى الشرف فليس لك فضل تنفرد به عنه ولا أنت مالك أمره فتتصرف به على حكمك ومراده بابن العم نفسه فلذلك رد الاخبار بلفظ المتكلم

يا عَمرُو إلاَّ تدَعْ شتمي ومَنقصتي　　أضرِبْكَ حتى تقولَ الهامةُ اسقوني

فأنتمُ معشرٌ زيدٌ على مائةٍ　　فأجمعُوا أمرَكمْ طرًّا وكيدُوني

لاَ يخرِجُ القسْرُ مِني غيرَ مأبيةٍ　　ولاَ ألينُ لمَنْ لاَ يبتغي لِيني

قوله ـ شالت نعامتنا ـ معناه تنافرنا فصرت لا أطمئن اليه ولا يطمئن الىّ يقال شالة نعامة القوم اذا أجلوا عن الموضع .. وقوله ـ لاه ابن عمك ـ قال قوم أراد لله ابن عمك .. وقال ابن دريد أقسم بالله ابن عمك .. وقوله ـ عنى ـ أى علىّ ـ والديان ـ الذى يلى أمره ومعنى ـ فتخزونى ـ أي تسوسونى ـ والهون ـ الهوان .. وقوله ـ أضربك حتى تقول الهامة اسقونى ـ قال الأصمعي العطش فى الهامة فأراد أضربك فى ذلك الموضع أى على الهامة حتى تعطش وقال آخرون ان العرب تقول ان الرجل اذا قتل خرجت من رأسه هامة تدور حول قبره وتقول اسقونى اسقوني فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بثاره وهذا باطل ويجوز أن يعنيه ذو الأصبع على مذاهب العرب .. وقوله ـ لا يخرج القسر منى غير مأبية ـ والقسر القهر أي ان أخذت قسراً لم أزده إلاّ إباء

ومن المعمرين معديكرب الحميري من آل ذى رعين .. قال ابن سلام وقال معديكرب الحميرى وقد طال عمره

أراني كلّما أفنيتُ يوماً　　أتاني بعدَهُ يومٌ جديدُ

يعودُ بياضهُ في كلِّ فجرٍ　　ويأبى لى شبابي ما يعودُ

ومن المعمرين الربيع بن ضبع الفزارى ويقال انه بقى الى أيام بنى أمية وروى انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له يا ربيع أخبرنى ما أدركت من العمر والمدى ورأيت من الخطوب الماضية فقال أنا الذي أقول

ها أنا ذا آمُلُ الخلودَ وقدْ　　أدرَكَ عقلي ومولِدِى حجُرا

فقال عبد الملك قد رويت هذا من شعرك وأنا صبي قال وأنا القائل

إذا عاشَ الفتى مائتينِ عاماً　　فقدْ ذهبَ اللّذاذةُ والفتاء

قال قد رويت هذا من شعرك وأنا غلام وأبيك يا ربيع لقد طلبك جد غير عاثر ففصل لي عمرك قال عشت مائتي سنة في فترة عيسى وعشرين ومائة في الجاهلية وستين سنة في الاسلام .. قال اخبرني عن فتية من قريش متواطئي الأسماء قل بل عن أيهم شئت قال اخبرني عن عبد الله بن العباس قال فهمٌ وعلمٌ وإعطاء جذمٌ ومقرىً ضخمٌ قال اخبرني عن عبد الله بن عمر قال حلم وطول كظم وبعد من الظلم قال فاخبرني عن عبد الله بن جعفر قال ريحانة طيب ريحها لينٌ مسها قليل على المسلمين ضرها قال فاخبرني عن عبد الله بن الزبير قال جبل وعر ينحدر منه الصخر قال لله درك يا ربيع ما أعرفك بهم قال قرب جواري وكثر استخباري .. [قال المرتضى] رضى الله عنه ان كان هذا الخبر فيشبه أن يكون سؤال عبد الملك له انما كان في أيام غفلته لا في أيام ولايته لأن الربيع يقول في الخبر عشت في الاسلام ستين سنة وعبد الملك وليّ في سنة خمس وستين من الهجرة فان كان صحيحاً فلا بد مما ذكرناه فقد روى أن الربيع أدرك أيام معاوية ويقال ان الربيع لما بلغ مائتي سنة قال

أَلاَ أَبلغْ بَنِيَّ بني رَبيعٍ ... فأَشرارُ البنينَ لكُمْ فِدَاءُ
بأَني قدْ كَبِرْتُ ودَقَّ عظمي ... فلاَ تشغلكُمُ عني النِّساءُ
فإِنَّ كَنائني لِنساءِ صِدْقٍ ... وما آلا بَنِيَّ ولاَ أَساؤا
إِذَا كانَ الشِّتاءُ فأَدفئوني ... فإِنَّ الشيخَ يهدِمُهُ الشِّتاءُ
وأَما حينَ يَذْهَبُ كُلُّ قُرٍّ ... فسِرْبالٌ خَفيفٌ أَو رِدَاءُ
إِذَا عاشَ الفتى مائتينِ [1] عاماً ... فقَدْ ذَهَبَ اللَّذاذَةُ والفتاءُ

(١) قوله مائتين عاماً كان الوجه حذف النون وخفض عام إلاّ أنها شبهت للضرورة بالعشرين ونحوها مما يثبت نونه وينصب ما بعده .. وصف في البيت هرمه وذهاب مروءته ولذته وروى أودى بدل ذهب بمعنى انقطع وهلك والفتاء مصدر الفتى وروى تسعين عاماً ولا ضرورة فيه على هذا وهي رواية لا أصل لها يعلم من الأبيات ومن ترجمة صاحبها

وقال حين بلغ مائتين وأربعين سنة

أَصبحَ منّي الشبّابُ قد حسرَا ... إنْ نَدَّ عنّي فقدْ ثوَى عُصُرَا

ودّعنا قَبلَ أَنْ نُودّعهُ ... لمَّا قضَى مِنْ جمَاعِنا وَطرا

ها أَنا ذَا آملُ الخلودَ وقدْ ... أَدرَكَ عقلي ومولدِي حُجُرا

أَبا امرِئِ القيسِ هلْ سمعتَ بهِ ... هيهاتَ هيهاتَ طالَ ذَا عُمُرَا[1]

أصبحتُ لا أَحملُ السلاحَ ولا ... أَملِكُ رأسَ البعيرِ إنْ نفرَا

والذئبَ أَخشاهُ إنْ مررتُ به ... وَحدِي وأَخشى الرّياحَ والمَطرا

منْ بعدِ ما قوّةٍ أُسرُّ بها ... أَصبحتُ شيخاً أُعالجُ الكِبَرَا

قوله ـ عطاء جذم ـ أي سريع وكل شئ تسرعت فيه فقد جذمته وفى الحديث اذا أذّنت فترسل واذا أقمت فاجذم أى أسرع ـ والمقرى ـ الاناء الذى يقرى فيه ٠٠٠ وقوله ـ فما آلا بَنِيّ ولا أساؤا ـ أى لم يقصروا والآلي المقصر

مجلس آخر ١٨

ومن المعمرين أبو الطمحان القيني واسمه حنظلة بن الشرقي من بني كنانة بن القين قال أبو حاتم عاش مائتي سنة فقال فى ذلك

حنَتْني حانياتُ الدَّهرِ حتَّى ... كأَنى خاتلٌ يَدنُو لِصيدِ

قَصيرُ الخطوِ يَحسبُ مَنْ رآنى ... ولَستُ مُقيّدًا أَنّي بقيدِ

وروى التخيل بدل اللذاذة والتخيل التكبر وعجب المرء بنفسه وروى بدله المسرة والمروءة أيضاً والفتى الشاب وقد فتى بالكسر يفتي بالفتح فتىً فهو فتى السن بيّن الفتاء

(١) قوله طال ذا عُمُرا هو تعجب أى ما أطول هذا العمر

ويروى قريب الخطو .. قال أبو حاتم حدثني عدة من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن حبيب ينشد هذين البيتين وينشد أيضاً

تَقَارَبَ خَطْوُ رِجلكَ يا سُوَيدُ ... وقَيَّدَكَ الزَّمانُ بِشَرِّ قَيدِ

وهو القائل

وإنِّي مِنَ القَومِ الذِينَ هُمُ هُمُ ... إذَا ماتَ مِنهُمْ مَيِّتٌ قامَ صاحِبُه

نجومُ سَماءٍ كُلَّما غابَ كَوكَبٌ ... بَدَى كَوكَبٌ تأْوِي اليهِ كَوَاكِبُه

أضاءَتْ لَهُمْ أحسابُهُمْ وَوُجوهُهُمْ ... دُجَى اللَّيلِ حتَّى نَظَّمَ الجِزْعَ ثاقِبُه

وما زَالَ مِنهُمْ حَيثُ كانَ مُسَوَّدًا ... تَسيرُ المَنَايا حيثُ سارَتْ رَكائِبُه

ومعنى البيتين الأوَّلين يشبه قول أوس بن حَجَر[1]

إذَا مُقْرَمٌ مِنَّا ذَرَى حَدُّ نابِهِ ... تَخَمَّطَ فِينا نابُ آخَرَ مُقْرَمِ

ولطفيل الغنوي مثل هذا وهو

كَوَاكِبُ دَجْنٍ كُلَّما انقَضَّ كَوكَبٌ ... بَدَى وانجَلَتْ عنهُ الدُّجُنَّةُ كَوكَبُ

وقد أخذ الخزيمي هذا المعنى فقال

إذَا قَمَرٌ مِنَّا تَغَوَّرَ أو خَبَا ... بَدَا قَمَرٌ في جانِبِ الأُفْقِ يَلمَعُ

ومثل ذلك

خِلاَفَةُ أَهلِ الأَرْضِ فِينا وِراثَةٌ ... إذَا ماتَ مِنا سَيِّدٌ قامَ صاحِبُه

ومثله

إذَا سَيِّدٌ مِنا مَضَى لِسَبيلِهِ ... أَقامَ عَمُودَ الدِّينِ آخَرُ سَيِّدُ

وكأن مزاحماً العقيلي نظر الى قول أبي الطمحان

---

(١) — أوس بن حجر بفتحتين وليس في أسماء الأشخاص على هذا البناء غير هذا

أَضاءتْ لهُمْ أَحسابُهُمْ ووُجوهُهُمْ

في قوله

وُجوهٌ لوَ اَنَّ المُدلجينَ اعتَشوْا بها صدَعنَ الدُّجى حتّى ترَى الليلَ ينجلي

ويقارب ذلك قول حجيّة بن المضرب الكندى

أَضاءتْ لهُمْ أَحسابُهُمْ فتضاءلَتْ لِنورِهِمُ الشَّمسُ المُضيئةُ والبَدْرُ

وأنشد محمد بن يحيى الصولي فى معنى بيتى أبى الطمحان

مِنَ البيضِ الوُجوهِ بنى سنانٍ لوَ انَّكَ تَستَضيءُ بهِمْ أَضاؤُا

هُمُ حلُّوا منَ الشَّرَفِ المُعلَّى ومِنْ كرَمِ العَشيرَةِ حيثُ شاؤُا

فلوْ أَنَّ السَّماءَ دَنَتْ لمَجْدٍ ومَكرُمةٍ دَنَتْ لهُمُ السَّماءُ

وأبو الطمحان القائل

إذا كانَ في صدْرِ ابنِ عمكَ إحنةٌ فلاَ تَستثِرْها سوْفَ يبدُو دَفينُها

وهو القائل

إذَا شاءَ راعِيها اَستقَى مِنْ وَقيعةٍ كعيْنِ الغُرابِ صفوُها لمْ يُكدَّرِ

ــ والوقيعة ــ المستنقع فى الصخرة للماء ويقال للماء اذا زل من صخرة فوقع فى بطن أخرى ماء الوقائع وأنشد لذى الرمة

ونِلْنا سِقاطًا منْ حديثٍ كأَنَّهُ جَنا النَّحلِ ممزُوجًا بماءِ الوَقائعِ

ويقال للماء الذى يجرى على الصخر ماء الحشرج وللماء الذى يجرى بين الحصى والرمل ماء المفاصل وأنشدوا لأبى ذؤيب

مَطافيلُ أَبكارٌ حَديثٌ نِتاجُها تُشابُ بماءٍ مثلِ ماءِ المَفاصِلِ

وأنشد أبو محلم السعدى لأبى الطمحان

بُنَيَّ إذا ما سامَكَ الذُّلَّ قاهِرٌ عزِيزٌ فبَعضُ الذُّلِّ أَبقَى وأَحرَزُ

ولاتَحم مِن بَعضِ الأمورِ تعزُّزًا ـــ فقد يُورِدُ الذلَّ الطويلَ التعزُّزُ

وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معاوية الجعفرى ٠٠ وروى لأبي الطمحان أيضاً في مثل هذا المعنى

يا رُبَّ مَظلمةٍ يوماً لَطيتُ بها ـــ تَمضي عليَّ إذَا ما غابَ نُصَّارِي

حتَّى إذَا ماَ انجلَتْ عني غيابَتُها ـــ وثبتُ فيها وُثوبَ المُخدِرِ الضَّارِي

ومن المعمرين عبد المسيح بن بُقيلة الغساني وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس ابن حيان بن بُقيلة وبُقيلة اسمه ثعلبة وقيل الحارث وانما سمي بُقيلة لأنه خرج في بردين أخضرين على قومه فقالوا له ما أنت إلاَّ بُقيلة فسمي لذلك ٠٠ وذكر الكلبي وأبو مخنف وغيرهما انه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة وأدرك الاسلام فلم يسلم وكان نصرانياً وروى ان خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة وتحصن منه أهلها أرسل اليهم ابعثوا اليَّ رجلاً من عقلائكم وذوى أسنانكم فبعثوا اليه بعبد المسيح بن بُقيلة فأقبل يمشي حتى دنا من خالد فقال أنعم صباحاً أيها الملك قال قد أغنانا الله عن تحيتك فمن أين أقصى أثرك أيها الشيخ قال من ظهر أبى قال من أين خرجت قال من بطن أمي قال فعلام أنت قال على الأرض قال فيم أنت قال في ثيابى قال أتعقل لا عقلت قال أي والله وأقيد قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رأيت كاليوم قط إني أسأله عن الشيء وينحو في غيره قال ما أجبتك إلاَّ عما سألت فاسأل عما بدا لك قال أعربٌ أنتم أم نبطٌ قال عربٌ استنبطنا ونبطٌ استعربنا قال فحربٌ أنتم أم سلمٌ قال بل سلم قال فما هذي الحصون قال بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجيءَ الحليم فينهاه قال كم أتى لك قال خمسون وثلاثمائة سنة قال فما أدركت قال أدركت سفن البحر في السماوة في هذا الجرف ورأيت المرأة تخرج من الحيرة وتضع مكتلها على رأسها لا تزود إلاَّ رغيفاً حتى تأتى الشام ثم قد أصبحت خراباً يباباً وذلك دأب الله في العباد والبلاد قال ومعه سم ساعة يقلبه في كفّه فقال له خالد ما هذا في كفك قال هذا السم قال ما تصنع به قال ان كان عندك ما يوافق قومي وأهل بلدى حمدت الله وقبلته وان كانت الأخرى لم أكن أول من

ساق اليهم ذلاً وبلاءً أشربه فأستريح من الدنيا فانما بقي من عمري اليسير قال خالد هاته فأخذه ثم قال بسم الله وبالله رب الارض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شيء فشربه فتجللته غشية ثم ضرب بذقنه في صدره طويلا ثم عرق فأفاق كأنما نشط من عقال فرجع ابن بُقيلة الى قومه فقال جئتكم من عند شيطان أكل سم ساعة فلم يضره صانعوا القوم وأخرجوهم عنكم فان هذا أمر مصنوع لهم فصالحوهم على مائة ألف درهم وأنشأ يقول

أَبَعدَ المُنذِرِينَ أَرَى سَوَاماً ... يُرَوَّحُ بالخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ

أَبَعدَ فَوَارِسِ النُّعمانِ أَرْعى ... مَرَاعِيَ نَهرِ مُرَّةَ فالحَفِيرِ

تَحاماهُ فَوَارِسُ كُلِّ قَومٍ ... مَخافةَ ضَيغَمٍ عالي الزَّئِيرِ

فصِرْنا بَعدَ هُلكِ أَبي قُبيسٍ ... كَمِثلِ الشَّاءِ في اليَوْمِ المَطِيرِ

يريد أبا قابوس فصغر ويروى كمثل المعز

تَقَسَّمُنا القَبائِلُ مِنْ مَعَدٍّ ... عَلانِيَةً كأَيْسارِ الجَزُورِ

نُؤَدِّي الخَرجَ بَعدَ خَرَاجِ كِسْرَى ... وخَرجِ بَنِي قُرَيظَةَ والنَّضِيرِ

كَذاكَ الدَّهرُ دَوْلَتُهُ سِجالٌ ... فيَومٌ مِنْ مَساةٍ أَو سُرُورِ

ويروى ان عبد المسيح لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بني بُقيلة قال

لَقَدْ بَنَيْتُ للحَدَثانِ قَصْراً ... لَوَ انَّ المَرْءَ تَنفَعُهُ الحُصُونُ

طَوِيلَ الرَّأْسِ أَقعَسَ مُشْمَخِرًّا ... لأَنْواعِ الرِّياحِ بِهِ أَنِينُ

ومما يروى لعبد المسيح بن بُقيلة

والنَّاسُ أَبناءُ علاَّتٍ فمَنْ عَلِمُوا ... أَنْ قد أَقَلَّ فمَجفُوٌّ ومَحقُورُ

وهُمْ بَنُونَ لأُمٍّ إِنْ رَأَوْا نَشَباً ... فذَاكَ بالغَيبِ مَحفُوظٌ ومَخفُورُ

وهذا يشبه قول أوس بن حجر

بَنِي أُمِّ ذِي المالِ الكَثِيرِ يَرَوْنَهُ ... وإِنْ كانَ عَبداً سَيِّدَ الأَمْرِ جَحفَلاَ

وهُمْ لِمُقِلِّ المالِ أوْلادُ علَّةٍ وإنْ كانَ مَحْضاً في العُمومةِ مُخْوِلاَ

وذكر ان بعض المشايخ من أهل الحيرة خرج الى ظهرها يختط ديراً فلما احتفر موضع الأساس وأمعن فى الاحتفار أصاب كهيئة البيت فدخله فاذا رجل على سرير من رخام وعند رأسه كتابة أنا عبد المسيح بن بُقَيلة

حلَبتُ الدَّهرَ أشطُرَهُ حياتي ونِلتُ منَ المُنى فوقَ المَزيدِ

وكافَحتُ الأُمورَ وكافَحَتني ولمْ أحفلْ بمُعْضلةٍ كَؤُدِ

وكِدتُ أنالُ في الشَّرَفِ الثُّرَيَّا ولكِنْ لاَ سَبيلَ إلى الخُلودِ

ومن المعمرين النابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد (١) الله بن عدس بن ربيعة ابن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ويكني أبا ليلى •• وروى أبو حاتم السجستاني قال كان النابغة الجعدى أسن من النابغة الذبياني والدليل على ذلك قوله

تذَكَّرْتُ والذِّكرى تَهيجُ على الجوَى ومنْ حاجةِ المَحزُونِ أنْ يَتذَكَّرَا

نَدَامايَ عندَ المُنذِرِ بنِ مُحَرِّقٍ أرَى اليومَ منهمْ ظاهرَ الأرضِ أقفرا

كُهولٌ وفِتيانٌ كأنَّ وُجُوهَهمْ دَنانيرُ مِمّا شِيفَ في أرْضِ قَيصَرَا

فهذا يدل على أنه كان عند المنذر بن محرق والنابغة الذبيانى كان مع النعمان بن المنذر ابن محرق •• قوله ـ شيف ـ يعني جلى والمشوف المجلو •• ويقال ان النابغة غبر ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة بأصبهان وكان ديوانه بها وهو الذى يقول

فمَنْ يَكُ سائلاً عنّي فإنِّي منَ الفِتْيانِ أيامَ الخُنَانِ

---

(١) قوله اسمه قيس اختلف في اسمه فقيل قيس كما هنا وقيل عبد الله بن قيس وقيل حبان بن قيس بن عمرو بن عدس بن ربيعة وانما سمى النابغة لأنه قال الشعر فى الجاهلية ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فيه فسمي النابغة

ــأيام الخنانــ أيام كانت للعرب قديمة هاج بها فيهم [1] مرض في أنوفهم وحلوقهم

مَضَتْ مِائَةٌ لِعامِ وُلِدْتُ فيهِ   وعَشْرٌ بَعدَ ذَاكَ وحِجَّتانِ

فأَبقَى الدَّهرُ والأَيَّامُ مِنِّي   كَما أَبقَى مِنَ السَّيفِ اليَماني

تَفَلَّلُ وهُوَ مأثورٌ جُرَازٌ   إذَا اجتَمَعَتْ بقائِمِهِ اليَدَانِ

وقال أيضاً فى طول عمره

لبستُ اناساً فأَفنيتهُمْ   وأَفنيتُ بَعدَ أُناسٍ أُناسا

ثلاثةُ أَهلينَ أَفنيتهُمْ   وكانَ الإلهُ هوَ المُستآسا

ــالمستآســ المستعاض ٠٠ وروى عن هشام بن محمد الكلبي انه عاش مائة وثمانين سنة ٠٠وروى ابن دريدعن أبى حاتم فى موضع آخر ان النابغــة الجعدي عاش مائتي سنة وأدرك الاسلام وروى له

قالتْ أُمامةُ كَمْ عَمِرْتَ زَمانةً   وذَبحتَ مِنْ عترٍ على الأَوثانِ

ــ العتيرةــ شاة تذبح لأصنامهم في رجب فى الجاهلية

ولقدْ شَهِدتُ عُكاظَ قبلَ مَحَلِّها   فيها وكُنتُ أُعَدُّ مِلْفِتيانِ

والمُنذِرَ بنُ مُحَرِّقٍ في مُلْكِهِ   وشَهِدْتُ يَومَ هَجائِنِ النعمانِ

وعَمِرْتُ حتى جاءَ أَحمَدُ بالهُدَى   وقَوَارِعٍ تُتلَى مِنَ القُرآنِ

ولَبِستُ مِنْ إسلامٍ ثوباً واسِعاً   مِن سَيْبِ لاَ حَرِمٍ ولاَ مَنَّانِ

وله أيضاً فى طول عمره

المَرْءُ يَهوَى أَنْ يَعيــــشَ وطُولُ عَيشٍ قدْ يَضُرُّهْ

---

(١) قوله هاج بها فيهم٠٠الخ المعروف ان الخنان على وزن غراب زكام يأخــذ الابل فى مناخرها وتموت منــه ٠٠ وقال الأصمعي كان الخنان داء يأخــذ الابل فى مناخرها وتموت منه وكانت أيام الخنان على عهد المنذر بن ماء السماء وكانوا يؤرخون بها

تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره
وتتابع الأيام حتى لا يرى شيئاً يسره
كم شامت بي إن هلكت وقائل لله دره

ويروى ان النابغة الجعدى يفتخر ويقول أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأنشدته

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال عليه الصلاة والسلام أين المظهر يا أبا ليلى قلت الجنة يا رسول الله فقال أجل ان شاء الله ثم أنشدته

فلا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال عليه الصلاة والسلام لايفضض الله فاك ٠٠ وفي رواية أخرى لايفضض فوك فيقال أن النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم يسقط له سن ولا ضرس وفي رواية أخرى قال فرأيته وقد بلغ الثمانين ترف غروبه وكان كلما سقطت له ثنية تنبت له أخرى مكانها وهو أحسن الناس ثغراً ـ ترف ـ معنى تبرق وكأن الماء يقطر منها ٠٠ [قال المرتضى] رضي الله عنه ومما يشاكل قول الجنة في جواب قول النبي صلى الله عليه وسلم أين المظهر يا أبا ليلى وان كان يتضمن العكس من معناه ما روي من دخول الأخطل على عبد الملك بن مروان مستغيثاً من فعل الجحاف السلمي وانه أنشده

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة إلي الله منها المشتكى والمعول
فإن لم تغيرها قريش بمثلها يكن عن قريش مستماز ومزحل (١)

(١) قوله يكن عن قريش الخ سبب هذين البيتين ان بنى تغلب رهط الأخطل قتلوا عمير بن الحباب السلمي فاتفق ان قدم الأخطل على عبد الملك بن مروان والجحاف ابن حكيم السلمى جالس عنده فأنشده

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فخرج الجحاف مغضباً يجر مطرفه فقال عبد الملك للأخطل ويحك أغضبته وأخلق

فقال له عبد الملك الى أين يا ابن اللخناء فقال الى النار فقال لو قلت غيرها قطعت لسانك .. فقوله الى النار تخاص حسن على البديهة كما تخاص الجعدي بقوله الى الجنة وأول قصيدة الجعدي الذي ذكرنا منها الأبيات

خليليَّ غضًّا ساعةً وتهجَّرا ولوما على ما أحدثَ الدَّهرُ أو ذَرا
ولاَ تسألاَ إنَّ الحياةَ قصيرةٌ فطيرَا لروعاتِ الحوادثِ أو قِرا
وإنْ كانَ أمرٌ لاتُطيقانِ دَفعهُ فلاَ تجزَعا ممَّا قضى اللهُ واصبِرَا
ألمْ تَعلَما أنَّ المَلامةَ نفعُها قليلٌ إذا ما الشَّيْءُ وَلَّى وأدبَرَا
لوَى اللهُ عِلمَ الغيبِ عنْ ماسواهُ ويعلَمُ منهُ ما مضَى وتأخَّرا

وفيها يقول

وجاهدْتُ حتي ما أحسُّ ومن معي سُهيلاً إذا ما لاَحَ ثمَّ تَغوَّرا

أن يجلب عليك وعلى قومك شراً فكتب الجحاف عهداً لنفسه من عبد الملك ودعا قومه للخروج معه فلما حصل بالبشر قال لقومه قصتي كذا فقاتلوا عن أحسابكم أو موتوا فأغاروا على بني تغلب بالبشر وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم قال الجحاف يجيب الأخطل

أبا مالك هل لمتني إذ حضضتني على الثأر أم هل لامني فيك لائمي
متى تدعني أخرى أجبك بمثلها وأنت امرؤٌ بالحق لست بقائم

فقدم الأخطل على عبد الملك فأنشده لقد أوقع الجحاف البيتين .. وروي من غير هذا الوجه ان عبد الملك دخل عليه الجحاف بن حكيم السلمي فقال عبد الملك أتعرف هذا يا أخطل قال ومن هو قال الجحاف فقال الأخطل ألا سائل الجحاف البيتين حتى فرغ من القصيدة وكان الجحاف يأكل رطباً فجعل النوى يتساقط من يده غيظاً فأجابه فقال

بلى سوف نبكيهم بكل مهند ونبكي عميرا بالرماح الشواجر

ثم قال يا ابن النصرانية ماظننتك تجترئ عليَّ بمثل هذا ولو كنت مأسوراً لك فحم الأخطل خوفاً فقال عبد الملك أنا جار لك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرتني

يريد إني كنت بالشام وسهيل لا يكاد يرى هناك وهذا بيت معينٌ وفيها يقول

وَنَحْنُ أُناسٌ لاَ نُعَوِّدُ خَيْلَنا   إذا ما التقينا أَنْ تَحِيدَ وتَنفِرا

ونُنْكِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوانَ خَيْلِنا   مِنَ الطَّعنِ حتى نَحْسِبَ الجونَ أَحمَرا

وليسَ بِمَعْرُوفٍ لنا أَنْ نَرُدَّها   صِحاحاً ولاَ مُسْتَنْكَراً أَنْ تُعَقَّرَا

أخبرنا المرزباني قال أنشدنا عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيى قال أنشدنا محمد بن سلام وغيره للنابغة الجعدي

تلومُ علي هلكِ البعيرِ ظعينتي   وكُنتُ على لومِ العواذلِ زاريا

أَلَمْ تعلمي أني رُزِئتُ مُحارِباً   فما لكِ منهُ اليومَ شيئاً ولاَ ليا

ومِنْ قبلِهِ ما قدْ رُزِئتُ بِوَحْوَحٍ   وكانَ ابنَ أُمّي والخليلَ المُصافِيا

فتىً كمُلَتْ أخلاقُهُ غيرَ أَنَّهُ   جَوادٌ فما يُبقِي منَ المالِ باقِيا

منه في اليقظة فمن يجيرني منه في النوم ثم قام الجحاف ومشى يجر ثوبه وهو لا يعقل حتى دخل بيتاً من بيوت الديوان فقال للكاتب اعطني طوماراً من طوامير العهود فأتاه بطومار وليس فيه كتاب فخرج الى أصحابه من القيسية فقال ان أمير المؤمنين ولاني صدقات بكر وتغلب فلحقه زهاء ألف فارس فسار حتى أتى الرصافة ثم قال لمن معه ان الأخطل قد أسمعني ما علمتم ولست بوال فمن أحب أن يغسل عنه العار فليصحبني فاني قد آليت ان لا أغسل رأسي حتى أوقع ببني تغلب فرجعوا غير ثلاثمائة فسار ليلته فصبح الرحوب وهو ماء لبني جشم بن بكر رهط الأخطل فصادف عليه جماعة كثيرة من تغلب فقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ الأخطل وعليه عباءة وسخة فظنوه عبداً وسئل فقال أنا عبد فخلوا سبيله فخشي أن يراه من يعرفه فرمى بنفسه في جب فلم يزل فيه حتى انصرفت القيسية فنجا وقتل أبوه غوث وأسرف الجحاف في القتل وشق البطون عن الأجنة وفعل أمراً عظيما فقدم الأخطل على عبد الملك وأنشده لقد أوقع الجحاف الخ

فتيً كانَ فيهِ ما يَسُرُّ صَدِيقَهُ   علي أنَّ فيهِ ما يَسوءُ الأعادِيا

ويروى فتى تمّ فيه ما يسر

أَشَمُّ طَوِيلُ السَّاعدَينِ سَمَيدَعٌ   إذَا لمْ يَرُحْ لِلجُدْاً صبحَ غادِيا

ـ السميدع ـ السيد ٠٠ ومما يروى له أيضاً

عُمَيلِيَّةٌ أَوْ مِنْ هِلاَلِ بْنِ عامرٍ   بذِي الرِّمْثِ مِن وادِي المِياهِ خِيامُها

إِذَا ابْتَسَمَتْ فِي اللَّيلِ واللَّيلُ دُونَها   أَضاءَ دُجَى اللَّيلِ البَهِيمِ ابْتِسامُها

وذكر الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال سئل الفرزدق بن غالب عن الجعدي فقال صاحب خلقان يكون عنده خمار فواف بألف دينار ومطرف بدينار ٠٠ قال الأصمعي وصدق الفرزدق بينا النابغة فى كلام أسهل من الزلال وأشد من الصخر إذ لان فذهب ثم أنشد له

سَما لكَ هَمٌّ ولمْ تَطرَبِ   وبتَّ بِبَثٍّ ولمْ تَنصَبِ

وقالتْ سُلَيمي أَرَى رأسَهُ   كَناصيةِ الفرَسِ الأَشهَبِ

وذَلكَ مِنْ دَفَعاتِ المَنونِ   ففيئِي اليكِ ولاَ تَعجَبِي

أَتينَ علي إِخوَةٍ سبعةٍ   وعُدْنَ علي رُبُعِ الأَقرَبِ

ثم يقول بعدها

فأَدْخلكَ اللهُ بَرْدَ الجِنا   نِ جذْلاَنَ في مَدْخَلٍ طيِّبِ

فلان كلامه حتى لو ان أبا الشمقمق قال هذا كان رديًا ضعيفاً ٠٠ قال الأصمعى وطريق الشعر اذا أدخلته في باب الخير لَانَ ألا ترى الى حسان بن ثابت كان عليةً في الجاهلية والاسلام فلما أدخل شعره فى باب الخير من مراثي النبي عليه الصلاة والسلام وحمزة وجعفر وغيره لَانَ شعره

مجلس آخر ١٩

مسألة تتعلق بما ذكرناه ان سأل سائلٌ فقال كيف يصح ما أوردتموه من تطاول الأعمار وامتدادها وقد علمتم ان كثيراً من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول انه لاقدرة عليه ولا سبيل اليه وفيهم من ينزل من انكاره درجة فيقول انه وان كان جائزاً من طريق القدرة والامكان فانه مما يقطع على انتفائه لكونه خارقاً للعادات وان العادات اذا وثق الدليل بأنها لا تخرق إلاّ على سبيل الابانة والدلالة على صدق نبي من الأنبياء علم ان جميع ماروي من زيادة الأعمار على العادة باطل مصنوع لايلتفت الى مثله ٠ الجواب قيل له أما من أبطل تطاول الأعمار من حيث الإحالة وأخرجه من باب الامكان فقوله ظاهر الفساد لانه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقتضي لدوامه اذا دام وانقطاعه اذا انقطع علم من جواز امتداده ماعلمنا والعمر هو استمرار كون من يجوز أن يكون حيّاً وغير حيّ حيّاً وان شئت أن تقول هو استمرار الحي الذى لكونه على هذه الصفات ابتداء حيا وانما شرطنا الاستمرار لانه يتعذر أن يوصف من كان حاله واحدة حياً بان له عمراً بل لا بد من أن يراعوا فى ذلك ضرباً من الامتداد والاستمرار وان قل وشرطنا أن يكون ممن يجوز أن يكون غير حيّ أو يكون لكونه حياً ابتداء لئلا يلزم عليه القديم تعالى لانه تعالى جلت عظمته ممن لا يوصف بالعمر وان استمر كونه حياً وقد علمنا ان المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى وفيما تحتاج اليه الحياة من البنية والمعاني مايختص به عزوجل ولا يدخل إلاّ تحت مقدوره كالرطوبة وما يجري مجراها فتى فعل القديم تعالى الحياة وما يحتاج اليه من البنية وهي مما يجوز عليه البقاء وكذلك ماتحتاج اليه فليست تنتفي إلاّ بضد يطرأ عليها أو بضد ينفي مايحتاج اليه والأقوى انه لاضد لها فى الحقيقة وانما ادّعى قوم بانه لايحتاج اليه ولو كان للحياة على الحقيقة لم تخل بما قصدناه في هذا الباب فهما لم يفعل القديم تعالى ضدها أو ضد ماتحتاج اليه ولا نقض منّا ناقض بنية الحي استمر كون الحي حياً ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من رأى ذلك لكان ماقصدناه صحيحاً لانه تعالى قادرٌ على أن يفعلها حالاً فحالاً ويوالي

بين فعلها وفعل ما نحتاج اليه فيستمر كون الحي حياً فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقص بنية الانسان فليس مما لابد منه وانما أجرى الله تعالى العادة بان يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا إيجاب هناك ولا تأثير للزمان على وجه من الوجوه وهو تعالى قادرٌ على أن يفعل ما أجرى العادة بفعله اذا ثبتت هذه الجملة ثبت ان تطاول العمر ممكن غير مستحيل وانما أتي من أحال ذلك من حيث اعتقد ان استمرار كون الحي حياً موجب على طبيعة وقوّة لهما مبلغ من المادة متى انتهت اليه انقطعتا واستحال أن تدوما ولو أضافوا ذلك الى فاعلٍ مختارٍ متصرف لخرج عندهم من باب الإحالة .. فأما الكلام في دخول ذلك في العادة وخروجه عنها فلاشك فان العادة قد جرت في الأعمار بأقدار متفاوتة تعد الزيادة عليها خارقاً للعادة إلاّ انه قد ثبت ان العادة قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضاً ويجب أن يراعى في العادة اضافتها الى من هي عادة له في المكان والوقت وليس يمتنع أن يقل ما كانت العادة جارية به على تدريج حتى يصير حدوثه خارقاً للعادة بغير خلاف وأن يكثر الخارق للعادة حتى يصير حدوثه غير خارق لها على خلاف فيه واذا صح ذلك لم يمتنع أن تكون العادات في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الأعمار وامتدادها ثم تناقص ذلك على تدريج ثم صارت عادتنا الآن جارية بخلافه وصار ما بلغ مبلغ تلك الأعمار خارقاً للعادة وهذه جملة فيما أردناه كافية

باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي تسميها قوم المسكتة

اعلم ان أجوبة المحاورة والمناظرة انما تستحسن وتؤثر اذا جمعت مع الصواب سرعة الحضور فكم من جواب أتى بعد لأيٍ وبعد تقاعس لم يكن له في النفوس موقع ولاحلّ من القلوب محل الحاضر السريع وان كان المتثاقل أعرق في نسب الاصابة وآخذ بأطراف الحجة ولهذا قيل أحسن الناس جواباً وأحضرهم قريش ثم العرب وان الموالي تأتي أجوبتها بعد فكرة وروية .. وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان فقال صحار العبدي لمعاوية بن أبي سفيان وقد سأله عن البلاغة فقال أن يصيب فلا يخطئ ويسرع

فلا يبطئ ثم اختصر ذلك فقال لايخطئ ولايبطئ •• ولطول الفكرة والاعراق في الروية مذهب وأوان لايحمد فيها التسرع والتعجل كما لايحمد فى أوان السرعة التثاقل والتأيد وانما تحمد السرعة في أجوبة المحاورة والمناظرة وتراد الفكرة والروية للآراء المستخرجة والأمور المستنبطة التى على الانسان فيها مهلة وله فى تأملها فسحة ولا عيب عليه معها في اطالة التأمل واعادة التصفح ولهذا قال الأحنف بصفين أغبوا الرأي فان ذلك يكشف لكم عن محضه •• وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما أراده الخوارج على الكلام حين عقدوا له لاخير في الرأي الفطير والكلام القضيب •• وشُوور ابن التؤام الرقاشى فأمسك عن الجواب وقال ما أحب الخبز إلاّ بائتا •• فأما قولهم ثلاث يعرفن فى الأحمق سرعة الجواب وكثرة الالتفات والثقة بكل أحد فمحمول على اسراعه بالجواب عند الرأى والمشاورة والأحوال التي يستحب فيها التأيد والتثبت أو على الاسراع من غير تحصيل ولا ضبط وذلك مذموم لا إشكال فيه ثم نعود الى ما قصدناه •• روى ان بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سألته متى يعرف الانسان ربه فقال اذا عرف نفسه ••وقال له عليه الصلاة والسلام رجل إنى أكره الموت فقال ألك مال قال نعم قال قدّم مالك فان قلب كل امرء عند ماله •• وقال يهودى لأمير المؤمنين عليه السلام ماذفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال عليه السلام انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ماجفّت أقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون •• وروى انه عليه السلام لما فرغ من دفن النبى صلى الله عليه وسلم سأل عن خبر السقيفة فقيل له إن الأنصار قالت منّا أمير ومنكم أمير فقال عليه السلام فهل لاذكرت الأنصار قول النبي صلى الله عليه وسلم تقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الأمر فيهم والوصاة بهم •• وقال له عليه السلام ابن الكوّاء يا أمير المؤمنين كم بين السماء والأرض قال دعوة مستجابة ••وقيل له ما طعم الماء فقال طعم الحياة •• وقيل له كم بين المشرق والمغرب قال مسير يوم للشمس•• وأثنى عليه رجل وكان متهما فقال أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك• وكان عليه السلام اذا طراه رجل قال اللهم انك أعلم بى منه وأنا أعلم منه بنفسي فاغفر لي ما لا يعلم •• أخبرنا أبو عبد الله المرزبانى قال حدثنى

عبد الواحد بن محمد الحصيني قال حدثني أبو عليّ أحمد بن اسماعيل قال حدثني أيوب ابن الحسين الهاشمي قال قدم على الرشيد رجل من الأنصار يقال له نفيع وكان عِرِّيضاً قال فحضر باب الرشيد يوماً ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر عليه السلام على حمارٍ له فتلقاه الحاجب بالبشر والاكرام وأعظمه من كان هناك وعجل له الاذن فقال نفيع لعبد العزيز من هذا الشيخ فقال أو ما تعرفه قال لا قال هذا شيخ آل أبي طالب هذا موسى بن جعفر فقال ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير إمّا لئن خرج لأسوأنه فقال له عبد العزيز لا تفعل فان هؤلاء أهل بيت قلّ ما تعرض لهم أحد في خطاب إلاّ وسموه بالجواب سمةً يبقى عارها عليه مدى الدهر قال فخرج موسى بن جعفر عليه السلام فقام اليه نفيع الأنصاري فأخذ بلجام حماره ثم قال له من أنت قال يا هذا ان كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب الله بن اسمعيل ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج اليه وان كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضى مشركوا قومي مسلمي قومك أكفاءً لهم حتى قالوا يا محمد اخرج الينا أكفاءنا من قريش وان كنت تريد الصيت والاسم فنحن الذين أمر الله تعالى بالصلاة علينا في الصلواة الفرائض بقول اللهم صل على محمد وآل محمد ونحن آل محمد خل عن الحمار قال فخلى عنه ويده ترتعد وانصرف بخزي فقال له عبد العزيز ألم أقل لك ٠٠ ويقال ان معاوية استشار الأحنف بن قيس في عقد البيعة لابنه يزيد فقال له أنت أعلم بليله ونهاره ٠٠ وقال أحمد بن يوسف لأبي يعقوب الخزيمي مدحك لمحمد بن منصور أجود من مراثيك فيه فقال كنا نعمل للرجاء واليوم للوفاء وبينهما بونٌ ٠٠ ودخل مطيع بن إياس على الهادي في حياة المهدي فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقيل له مه فقال بعد أمير المؤمنين ٠٠ وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب وكان جيد الجواب حاضره فقال أنا خير لك من أخيك فقال عقيل ان أخي آثر دينه على دنياه وانك آثرت دنياك على دينك فأخي خير لنفسه منك وأنت خير لي منه ٠٠ وقال له يوماً ان فيكم لشبقاً يا بني هاشم فقال هو منّا في الرجال ومنكم في النساء ٠٠ وقال له

يوماً وقد دخل عليه هذا عقيل عمه أبو لهب فقال عقيل هذا معاوية عمته حمالة الحطب وعمة معاوية أم ... ن أمية وكانت امرأة أبي لهب .. وقال له يوماً ياأبا يزيد أين ترى عمك أبا لهب فقال له عقيل اذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترشاً عمتك فانظر أيهما أسوأ حالاً الناكح أم المنكوح .. وقال له ليلة الهرير بصفين ياأبا يزيد أنت معنا الليلة قال ويوم بدر كنت معكم .. وقيل لسعيد بن المسيب وقد كُفّ ألا تقدح عينك قال حتى أفتحها على من .. ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال له كبرت يامعن قال في طاعتك قال وانك لتتجلد قال على أعدائك قال وان فيك لبقية قال هي لك .. وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل والله لأقتلنك قتلة يتحدث بها بعدك فقال مسلم أشهد انك لاتدع سوء القتلة ولؤم المقدرة لأولى بهما منك .. وقال رجل لعمرو بن العاص لأتفرغن لك قال اذاً وقعت في الشغل .. وقال معاوية لعمرو ابن سعيد بن العاص الملقب بالأشدق الى من أوصى بك أبوك فقال ان أبي أوصى الىّ ولم يوص بي .. وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته الوفاة قد أوصيت بك فلاناً فالعه بعدي فقال ياأبت اذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت .. وقال الوليد بن يزيد لابن الرقاع العاملي أنشدني بعض قولك في الخمر فأنشده

كُميتٌ إذا شُجّتْ وفي الكاسِ وَرْدَةٌ لها في عظامِ الشاربينَ دَبيبُ

فقال له شربتها ورب الكعبة فقال ابن الرقاع لئن كان نعتي لها بذلك رابك لقد رابني معرفتك بها .. ولما أتى معاوية نعي الحسن بن علىّ عليهما السلام بعث الى ابن عباس وهو لايعلم الخبر فقال ماجاءك خبر من المدينة قال لا قال أتانا نعي الحسن وأظهر سروراً فقال ابن عباس اذا لاتنسأ ولا يسد حفرتك قال أحسبه قد ترك صبية صغاراً قال كلنا كان صغيراً وكبر قال وأحسبه قد بلغ سناً قال مثل مولده لايجهل قال معاوية وقال قائل انك أصبحت سيّد قومك قال أما وأبو عبد الله الحسين بن علىّ حيّ فلا فلما كان من غد أتى يزيد بن معاوية ابن عباس وهو في المسجد يعزي فجلس بين يديه جلسة المعزى وأظهر حزناً وغماً فلما انصرف أتبعه ابن عباس بصره وقال اذا ذهب آل حرب

ذهب حلم قريش •• وروى ان وفوداً دخلت على عمر بن عبد العزيز فأراد فتى منهم الكلام فقال عمر ليتكلم أكبركم فقال الفتى ان قريشاً لترى فيها من هو أسن منك فقال له تكلم يا فتى •• روى محمد بن سلام الجمحي قال أنشد كثير عبد الملك بن مروان شعراً

عَلَى ابنِ أَبِي العاصي دِلاَصٌ حَصِينَةٌ ... أَجادَ المُسَدِّي نَسجَها فأَذَالَها

فقال له هلاَّ قلت كما قال الأعشى

وإِذا تَكُونُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ ... شَهباءُ يَخشَى الذَّائِدُونَ نِهَالَهَا

كُنتَ المُقَدَّمَ غيرَ لابِسِ جُنَّةٍ ... بالسَّيفِ تَضرِبُ مُعْلِماً أَبطالَهَا

فقال له انه وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم •• ويشبه ذلك ماروي عن أبي عمرو بن العلاء انه لقي ذا الرمة فقال أنشدني قصيدتك

ما بالُ عَينِكَ مِنها الدَّمعُ يَنسَكِبُ ... كأَنَّهُ مِنْ كُلَى مَفرِيَّةٍ سَرَبُ

فأنشده إياها فلما بلغ الى قوله

تُصغِي إِذا شَدَّها بالكُورِ جانِحَةً ... حتَّى إِذا ما استَوَى في غَرْزِها تَثِبُ

فقال له عمرو بن العلاء قول الراعي أحسن مما قلت

تَراها إِذا قامَ في غَرْزِها ... كَمِثْلِ السَّفِينَةِ أَوْ أَوْقَرُ

ولاَ تُعجِلُ المَرْءَ عِندَ النُّزُو ... لِ وهْيَ بِرُكبَتِهِ أَبصَرُ

فقال ذو الرمة ان الراعي وصف ناقة ملك وأنا وصفت ناقة سوقة •• وحكي الصولي انه سمع ذا الرمة ينشد بيته الذي حكيناه فقال سقط والله الرجل فأما الغرز فهو للناقة مثل الركاب للدابة وهو لسع مضفور •• وقوله ــ تصغي ــ يريد تميل رأسها كأنها تسمع ليست بنفور بل مؤدبة مقومة ــ والكور ــ الرحل •• وقد أخذ هذا المعنى أبو نواس فأحسن نهاية الاحسان فقال يصف الناقة في مدحه للخصيب بن عبد الحميد

فكأنها مصغ لتسمعه   بعض الحديث بإذنه وقر

فلم يرض بان وصفها بالاصغاء حتى وصفها بالوقر وهو الثقل فى الأذن لان الثقيل السمع يكون اصغاؤه وميله الي جهة الحديث أشد وا كثر .. [قال المرتضي] رضى الله عنه وانى لأستحسن القصيدة التى من جملتها البيت الذى أوردناه لأبي نواس لانها دون العشرين بيتاً وقد نسب في أولها ثم وصف الناقة بأحسن وصف ثم مدح الرجل الذى قصد مدحه واقتضاه حاجته كل ذلك بطبع يتدفق وروتق يترقرق وسهولة معجزالة والقصيدة

يا منة امتنها السكر   ما ينقضي مني لها الشكر

أعطتك فوق منك من قبل   وذكن قبل مرامها وعر

يثني اليك بها سوالفه   رشأ صناعة عينه السحر

ظلت حميا الكأس تنشطنا   حتى تهتك بيننا الستر

في مجلس ضحك السرور به   عن ناجذيه وحلت الخمر

.. أما قوله ــ حلت الخمر ــ فيحتمل أن يريد به ان ماوصفه من طيب الموضع وتكامل السرور به وحضور المأمول فيه صار مقتضياً لشرب الخمر وملجئاً الى تناولها ورافعاً للحرج فيها على مذهب الشعراء فى المبالغة ويكون فائدة وصفها بانها حلت المبالغة في وصف الحال بالحسن والطيب .. ويحتمل أن يكون عقد على نفسه وآلى ألاّ يتناول الخمر إلاّ بعد الاجتماع مع محبوبه وكان الاجتماع معه مخرجاً عن يمينه على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم الى أن يأخذوا بثأرهم ويجري ذلك مجرى قول الشنفرى

حلت الخمر وكانت حراماً   وبلأي ما ألمت تحل [(١)]

---

(١) نسبة القصيدة التى منها هذا البيت الى الشنفرى وانه رثى بها خاله تأبط شراً غير صحيحة لأن الشنفرى مات قبل تأبط شراً ورثاه تأبط شراً بأبيات مشهورة وممن رواها أبو الفرج الأصبهانى وابن الانبارى وأولها

٠٠ ويحتمل ان يريد بحلت نزلت وأقامت من الحلول الذى هو المقام لا من الحلال فكأنه وصف بلوغ جميع آرابه وحضور فنون لذاته وانها تكاملت بحلول الخمر التى فيها جميع اللذات وهذا الوجه وان لم يشر اليه أحدٌ ممن تقدم فى تفسير هذا البيت فالقول يحتمله ولا مانع من أن يكون مراداً وقد قيل انه أراد استحللنا الخمر لسكرنا وفقدنا العقول التى كنا نمتنع لها من الحرام والوجوه المقدمة أشبه وأقرب الى الصواب والله أعلم

ولقدْ تجوبُ بيَ الفلاةَ إذَا　　صامَ النَّهارُ وقالتِ العُفْرُ

أراد ـ بصام ـ وقف وذلك وصف له بالامتداد والطول ـ والعفر ـ الظباء اللواتى فى ألوانها حمرة يخالطها كدرة ـ وقالت ـ من القائلة وهي وقت نصف النهار لا من القول

شدَنيَّةٌ رَعتِ الحِمافأَتتْ　　ماءَ الجبال كأَنَّها قَصْرُ

ـ الشدنية ـ من الابل منسوبة الى شدن موضع باليمن يقال لملكه ذو شدن

تَثْني على الحاذَينِ ذَا خُصَلٍ　　تَعمالُهُ الشَّذْرانُ والخَطرُ

ـ الحاذ ـ مؤخر الفخذ ـ والشذران ـ رفع الناقة ذنبها من المرح ـ والخطران ـ معروف من خطر يخطر ـ وتعماله ـ أى عمله

أَمَّا إذا رفعتْهُ شامذةً　　فتقولُ رَنَّقَ فوقها نسْرُ

يعنى ـ بشامذة ـ أى مبالغة في رفع ذنبها ويقال ـ رنق ـ الطائر اذا نشر جناحيه طائراً من غير تحريك

أَمَّا إذا وَضعتهُ خافضةً　　فتقولُ أُرْخيَ دُونَها سِتْرُ

وتسفُّ احَياناً فتحسبُها　　مُترسِّماً يقتادُهُ إثْرُ

معنى ـ تسف ـ أى تدني رأسها من الأرض ـ والمترسم ـ متتبع الرسم ومتأمله ومعنى ـ يقتاده ـ أى هو معنيّ بطلب الأثر موكل بتتبعه ٠٠ ويقال أثر وأُثر وإثر ثلاث لغات

على الشنفرى صوب الغمام ورائح　　غزير الكلى وصيّب الماء باكر

ولأن تأبط شراً ليس بخال للشنفرى

وقد وهم الصولي في تفسير هذا البيت لأنه قال ان أبا نواس جمع الأثر آثاراً ثم جمع الآثار أثراً ثم خفف فقال إثرٌ وليس يحتاج الى ما ذكره مع ما أوردناه وانما ذهب عليه أنه يقال في الأثر إثرٌ

فإذا قصرتَ لها الزمام سما — فوق المقادم مُلطَمٌ حُرُّ

فكأنها مُصغٍ لتسمعهُ — بعضَ الحديث بأذنه وَقرُ

تَبرِي لأنقاض أضرّ بها — جذبُ البُرى فخدودها صُفرُ

معنى — تبرى — تنبرى أى تعرض لهذه الانقاض — والانقاض — جمع نقض وهو البعير الذى قد أهزله السفر والكد — والبرى — جمع برة وهي الحلقة التى تكون فى أنف البعير يذلل فيها

يرمي اليكَ بها بنو أمَلٍ — عتبوا فأعتبَهم بكَ الدهرُ

أنتَ الخصيبُ وهذه مصرُ — فتدفقا فكلاكما بحرُ

لا تقعدا بي عن مدى أملي — شيئاً فما لكما به عذرُ

ويحقُّ لي إذ صرتُ بينكما — أن لا يحلَّ بساحتي فقرُ

مجلس آخر ٢٠

ثم نعود الى ما كنا آخذين فيه من ذكر مستحسن الجوابات •• روى أن رجلا نظر الى كثير الشاعر وهو راكب وأبو جعفر محمد بن علىّ عليهما السلام يمشي فقيل له أتركب وأبو جعفر يمشي فقال هو أمرنى بذلك وأنا بطاعته فى الركوب أفضل منى في عصيانى إياه بالمشى •• وروى ان دعاة خراسان صاروا الى أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقالوا له أردنا ولد محمد بن علىّ فقال أولئك بالسراة ولست بصاحبكم فقالوا لو

أراد الله بنا خيراً كنت صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك لأبي عبد الله أردت الخروج علينا فقال نحن ندل عليكم في دولة غيركم فكيف نخرج عليكم في دولتكم .. وقال عبد الملك بن مروان لنصيب هل لك في الشراب فقال له نصيب الشعر مفلفل واللون مرمد وانما قربني اليك عقلي فهبه لي .. وقال مروان بن محمد الملقب بالحمار لحاجبه وقد ولي منهزماً كر عليهم بالسيف فقال لاطاقة لي بذلك فقال والله لئن لم تفعل لأسوءنك فقال وددت انك تقدر على ذلك .. وقال يحيى بن خالد لشريك علمنا مما علمك الله يا أبا عبد الله فقال له شريك اذا علمتم بما تعلمون علمناكم ما تجهلون .. وقال المأمون لمحمد بن عمران بلغني انك بخيل فقال ما أجمد في حق ولا أذوب في باطل .. وقيل لأبي دؤاد الايادي ونظر الى بنته تسوس فرسه أهنتها يا أبا دؤاد فقال أهنتها بكرامتي كما أكرمتها بهواني .. ومثل ذلك قول اعرابي لحقه ذلٌّ على باب السلطان

أُهينُ لهُمْ نَفسي لأُكرِمَها بِهِمْ ولَنْ تُكرِمَ النَّفْسَ الَّتي لاَ تُهينُها

ودخل عُمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه الذى كان يجلس فيه فقام رجلٌ فقال مظلوم يا أمير المؤمنين فقال من ظلمك فقال عمارة غصبني ضيعتي فقال المنصور قم يا عمارة فاقعد مع خصمك فقال عمارة ما هو لي بخصم فقال له كيف قال ان كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وان كانت لي فهي له ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين لأقعد في أدنى منه بسبب ضيعة .. وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة سلني حاجتك فقال لا أسأل في بيت الله غير الله .. وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون فقيل له ان الله تعالى يقول (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلاّ قليلا) فقال ذلك القليل نطلب .. وقيل ان الجعد بن درهم جعل في قارورة تراباً وماء فاستحال دوداً وهواماً وقال لأصحابه إني خلقت ذلك لاني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليه السلام فقال ليقل له كم هو وكم الذكران منه والأناث ان كان خلقه وكم وزن كل واحدة منهن وليأمر التي تسعى الى هذا الوجه أن ترجع الى غيره فانقطع وهرب .. وقال المأمون للفضل بن سهل إني أخاف عليك أقواماً يعادونك فلا تركب اليّ إلاّ في جيش فقال الفضل ما أخاف غيرك فان أمنتني

من نفسك لم يضرني انسان •• وقيل لأبي ثور ما تقول في حماد بن زيد بن درهم وحماد ابن سلمة بن دينار فقال بينهما في العلم كقيمة ما بين أبويهما من الصرف •• وأراد المأمون تقبيل السواد وجلس يناظر العمال على ذلك فقام اليه رجلٌ من الدهاقين فقال يا أمير المؤمنين ان الله ولاك علينا بالأمانة فلا تقبلنا فأضرب عن ذلك •• وقال رجل لابن عباس زوّجني فلانة وكانت يتيمة في حجره فقال لا أرضاها لك لانها تتشرف فقال الرجل قد رضيت أنا فقال ابن عباس الآن لا أرضاك لها •• ويشبه هذا الخبر من وجه ما رواه المدائني قال أرسل عمر بن عبد العزيز رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع بين إياس بن معاوية المزنّي وبين القاسم بن ربيعة الجوشني من بني عبد الله ابن غطفان فيولي القضاء أنفذهما فقدم الرجل البصرة فجمع بينهما فقال إياس للشامي أيها الرجل سل عني وعن القاسم فقيهي المصر الحسن وابن سيرين فمن أشارا عليك بتوليته فولّه وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين ولم يكن إياس يأتيهما فعلم القاسم انه ان سألهما أشارا به فقال للشامي لا تسأل عني ولا عنه فوالذي لا إله إلاّ هو ان إياساً أفضل مني وأفقه وأعلم بالقضاء فان كنت عندك ممن يصدق انه لينبغي لك أن تقبل مني وان كنت كاذباً فما يحل لك أن توليني وأنا كاذب فقال إياس للشامي انك جئت برجل فأقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار أن تقذفه فيها بيمين حلفها كذب فيها يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال الشامي أما اذ فطنت لهذا فاني أوليك فاستقضاه [1] ••

ولما أمضى معاوية بيعة ولده يزيد جعل الناس يقرظونه فقال يزيد لأبيه ما ندري

---

(١) قوله فاستقضاه وفي غير الأصل بعد ان استقضاه فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن البصري فبكى إياس وقال يا أبا سعيد بلغني ان القضاة ثلاثة رجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة فقال الحسن ان فيما قص الله تعالى في النبي داود ما يرد قول مولاي ثم قرأ قوله تعالى (ففهمناها سليمان وكلاًّ آتينا حكماً وعلماً) فحمد سليمان ولم يذم داود

أتخدع الناس أم يخدعوننا فقال يا بني من خدعته فتخادع لك ليخدعك فقد خدعته ٠٠ وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه وقد سمع صوت قصّار يقول ياليتني كنت غسالاً أعيش بما أكسب يوماً بيوم فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ٠٠ وقال الواثق للجاحظ يامانويّ فقال لو كان الذي أضفتني اليه عبدك ما قدرت على بيعه لكثرة عيوبه فكيف أكون على دينه ٠٠ وقال ابن عباس للخوارج وقد أرسله أمير المؤمنين اليهم نشدتكم الله أيما أعلم بالتأويل والتنزيل عليّ أم أنتم فقالوا عليّ فقال أليس تدرون لعل الذي حكم به فيكم بفضل علمه على ما لا تعلمون فرجع أكثرهم ٠٠ وقال عتبة بن أبي سفيان لعبد الله بن عباس ما منع عليّ بن أبي طالب أن يجعلك أحد الحكمين فقال أما والله لو بعثني لاعترضت مدارج أنفاسه أطير اذا أسف (١) وأسف اذا طار ولعقدت له عقداً لا تنتقض مريرته ولا يدرك طرفاه ولكنه سبق قدرٌ ومضى أجل والآخرة خير لأمير المؤمنين من الدنيا ٠٠ وقال أبو جعفر محمد بن عليّ عليه السلام لكُثَيِّر امتدحت عبد الملك بن مروان فقال له لم أقل له يا امام الهدى انما قلت يا شجاع وشجاع حية ويا أسد والأسد كلب وياغيث والغيث موات فتبسم أبو جعفر عليه السلام ٠٠ وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة ما رأيت ألأم من أصحابك اذا أيسرت لزموك واذا أعسرت تركوك فقال هذا من كرمهم يأتوننا في حال القوة منا عليهم ويفارقوننا في حال الضعف منا عنهم ٠٠ وقيل لابراهيم النخعي متى جئت قال حيث احتيج اليَّ ٠٠ وروئي رجل يصلي صلاة خفيفة فقال له ما هذه الصلاة فقال صلاة ليس فيها رياء ٠٠ وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال تزعم الرواة ان قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند أفضى الى أثاث لم ير مثله والآت لم يسمع بمثلها فأراد أن يرى الناس عظم ما فتح ويعرفهم اقدار القوم الذين ظهر عليهم فأمر بدار ففرشت وفي صحنها قدور يرتقى اليها بسلالم واذا الحصين بن المنذر بن الحارث

(١) قوله أطير اذ أسفّ يقال أسف الطائر اذا دنا من الأرض في طيرانه وقيل طار على الأرض دانياً منها حتى كادت رجلاه يصلانها

ابن وعلة الرقاشي قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم والحصين شيخ كبير فلما رآه عبدالله بن مسلم أخو قتيبة قال لقتيبة أتأذن لي في معاتبته قال لاترده فانه خبيث الجواب فأبى عبد الله إلا أن يأذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسوَّر حائطاً الى امرأة قبل ذلك فأقبل على الحصين وقال أمن الباب دخلت يأبا ساسان فقال أجل أسن عمك عن تسوّر الحيطان قال رأيت هذه القدور قال هي أعظم من أن لا ترى قال ماأحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل ولا عيلان ولو رآها سمي شبعان ولم يسم عيلان فقال له يا أبا ساسان أتعرف الذي يقول

عَزَلْنا وأَمَّرْنا وبكرُ بنُ وائلٍ　　تجرُّ خصاها تبتغي مَنْ تُحالفُ

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

وخيبةُ مَنْ يَخيبُ على غَنيٍّ　　وباهلةَ بنَ يَعصُرَ والرِّبابِ

قال أفتعرف الذي يقول

كأَنَّ فِقاحَ الأَزْدِ حولَ ابنِ مسمعٍ　　وقد عَرِقتْ أَفواهُ بكرِ بنِ وائلِ

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

فقومٌ قتيبةُ أُمُّهمْ وأَبوهُمْ　　لولا قتيبةُ أَصبحوا في مَجهلِ

قال أما الشعر فأراك ترويه ولكن هل تقرأ من القرآن شيئاً قال نعم أقرأ منه الكثير الطيب ﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ فأغضبه فقال والله لقد بلغني ان امرأة الحصين حملت وهي حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ من هيئته الأولى ثم قال على رسله وما يكون تلد غلاماً على فراشي فيقال ابن الحصين كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يبعد الله غيرك .. ولقي شريك النمري رجلا من بني تميم فقال له التميمي يعجبني من الجوارح البازي فقال له شريك وخاصة اذا صاد القطا أراد التميمي بقول البازي قول جرير

أنا البازي المُطلُّ على نُمَيرٍ　　أُتيحَ منَ السَّماءِ له انصبابا

وأراد شريك بقوله اذا صاد القطا قول الطرماح

تميمٌ بطُرْقِ اللُّؤْمِ أَهدَى مِنَ القَطا ولوسلكتْ سُبُلَ المَكارِمِ ضَلَّت

٠٠وساير شريك النميري عمر بن هبيرة الفزاري على بغلة فجاوزت بغلته برذون عمر فقال له عمر اغضض من لجامها فقال شريك انها مكتوبة فقال عمر ما أردت ذاك قال شريك ولا أنا أردته ظن ٠٠ شريك ان عمر أراد بقوله اغضض من لجامها قول جرير

فغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيرٍ فلاَ كعباً بلَغتَ ولاَ كِلاَبا [1]

وعنى شريك بقوله مكتوبة قوله

لاَ تأْمَنَنَّ فزارِيًّا خلَوْتَ بهِ علي قَلوصِكَ واكْتُبْها بأَسْيارِ [2]

يعني ــ باكتبها ــ شدها٠٠ وأنشد أبو تمام الطائي أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التي يمدحه فيها فلما بلغ الي قوله

في حِلمِ أحنفَ في شَجاعةِ عامِرٍ في جودِ حاتِمٍ في ذَكاءِ إِياسِ [3]

فقال له الكندي وكان حاضراً ما صنعت شيئاً قال وكيف قال لأن شعراء دهرنا قد

---

(١) وهو من قصيدة مشهورة لجرير بن عطية الخطفي يهجو بها الراعي النميري وقومه ويقال لهذه القصيدة الفاضحة والدامغة٠٠ ومرت امرأة ببعض مجالس بني نمير فأداموا النظر اليها فقالت قبحكم الله يا بني نمير ماقبلتم قول الله عز وجل (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ولا قول الشاعر * فغض الطرف إنك من نمير * الخ

(٢) قوله اكتبها باسيار أي شد حياءها أي اختمه باسيار جمع سير وذلك لأن بني فزارة يرمون بغشيان الابل

(٣) الرواية المعروفة

اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

ــ عمرو ــ يعني به عمرو بن معديكرب ــ وإياس ــ يعني به إياس بن معاوية قاضياً كان بالبصرة يوصف بالذكاء وكان من قوم يظنون الشيء فيكون كما يظنون حتى شهر أمرهم في ذلك

تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى الي قول أبي العكوك في أبي دلف

رَجلٌ أبَرَّ علي شجاعةِ عامرٍ بأساً وغيرَّ في مُحيّا حاتمِ

فأطرق الطائي ثم رفع رأسه وأنشد

لاَ تُنكِرُوا ضرْبي لهُ منْ دُونَهُ مثلا شرُودا في النَّدَى والباسِ [1]

فاللهُ قدْ ضرَبَ الاقلَّ لنُورِه مثلا منَ المشكاةِ والنِّبرَاسِ

(١) قوله لاتنكروا الى آخر البيتين أى لاتنكروا قولي اقدامه كاقدام عمـرو وذكاؤه كذكاء إياس وهو أذكى منه لأن الله تعالى قد شبه نوره بما هو أقل منـه اذا كان المشبه به من أبلغ مايعرفه الناس ضوءً فقال مثل نوره كمشكاة وهي الكوة ليست بنافذة وأصحاب التفسـير يزعمون ان أصلها حبشي وأما لفظها فيدل على انها عربية من شكوت والنبراس المصباح ويقال انه ليس بعربي ٠٠ وكان أبوتمام أنشد أحمد بن المعتصم هذه القصيدة وليس فيها البيتان أعني قوله لاتنكروا والبيت الذى بعـده فقال يعقوب ابن اسحاق الكندى وكان يخدم أحمـد الأمير أكبر من كل شئ ممن شبهته به فعمل هذه البيتين وزادهما في القصيدة من وقته فعجب أحمـد وجميع من حضر من فطنته وذكائه وأضعف جائزته ٠٠ وروى انه لما مدح الخليفة بهذه القصيدة قال له الوزير أتشبه أمير المؤمنين باجلاف العرب فأطرق ساعة ثم رفع رأسـه وأنشد البيتين فقال الوزير للخليفة أى شئ طلبه فاعطه فانه لايعيش أكثر من أربعين يوماً لأنه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكرة وصاحب هذا لا يعيش الا هذا القدر فقال له الخليفة ما تشتهي قال أريد الموصل فاعطاه إياها فتوجه اليها وبقي هذه المدة ومات وهذه القصة لاصحة لها أصلاً وروى من غير هذا الوجه ان أبا تمام لما مدح محمد بن عبد الملك الزيات الوزير بقصيدته التى منها

ديمة سـمحة القياد سكوب مستغيث بها الثرى المكروب

لوسعت بقعة لاعظام أخرى لسعي نحوها المكان الجديب

٠٠وقال ابن هبيرة لأبي دلامة وكان مولى لبني أمية لما ظهرت المودة لاتخذن لك منهم عبداً صالحاً يخدمك فلما علت كلمتهم وفشت دعوتهم قال أبو دلامة ليت الله قيض لي منهم مولى صالحاً أخدمه ٠٠ وقال يحيي بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي ان خصالك كاملة سوى حقد فيك فقال أنا خزانة تحفظ الخير والشر ٠٠وقد نظر ابن الرومي الى هذا المعنى في قوله

وما الحقدُ إلاّ توأمُ الشُّكرِ في الفتى ... وبعضُ السَّجايا يَنتَسِبْنَ إلى بعضِ

فحيثُ تَرَى حِقدًا على ذي إساءةٍ ... فثَمَّ تَرَى شُكرًا على حَسَنِ القَرضِ

إذا الأرضُ أدَّتْ رَيعَ ما أنتَ زارِعٌ ... مِنَ البذرِ فيها فهيَ ناهيكَ مِن أرضِ

٠٠وقال الحجاج للحطيط الخارجي ما تقول في عبد الملك بن مروان قال ما أقول في رجل أنت خطيئة من خطاياه قال فهل هممت بي قط قال نعم ولكن حال بيننا بَينٌ وقدر وقد أعطيت الله عهداً ان سألتني لأصدقنك ولأن خليت عني لأطلبنك ولأن عذبتني لأصبرن لك ثم أمر بقتله ٠٠ أما ــ البين ــ فهي الأرض الواسعة ٠٠ قال ابن مقبل

بسَرْوِ حميَرَ أبوالُ البغالِ بها ... أنّى تَسَدَّيتَ وَهْنًا ذلكَ البَيْنا[1]

قال له ابن الزيات يا أبا تمام انك لتحلي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسناً على بهي الجواهر في أجياد الكواعب وما يدخر لك شيء من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك في الموازاة وكان بحضرته فيلسوف فقال له ان هذا الفتى يموت شاباً فقيل له ومن أين حكمت عليه بذلك فقال رأيت فيه من الحدة والذكاء والفطنة مع لطافة الحس وجودة الخاطر ما علمت به ان النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيف المهند غمده وكذا كان لأنه مات وقد نيف على ثلاثين سنة

(١) قوله ــ بسرو حمير ــ قال الصاغاني والرواية من سرو حمير لاغير ــ وتسديت ــ بفتح التاء على ارادة الخيال ويروى بكسرها وكسر كاف ذلك على ارادة ليلى صاحبة الخيال المذكورة في البيت قبله وهو

لم تسر ليلى ولم تطرق لحاجتها ... من اهل ريمان إلا حاجة فينا

•• وقيل لأبي العتاهية لما قال

عُتْبُ ما لِلخَيالِ حينَ يَثْنِي ومالِيَ

خرجت من العروض فقال أنا أكبر من العروض •• وقال عبد الملك بن مروان للهيثم ابن الأسود ما مالك قال قوامٌ من العيش وغنًى عن الناس فقيل له لِمَ لَمْ تُخبر به فقال ان كان كثيراً حسدني وان كان قليلاً ازدراني •• واغتاب الأعمش رجلاً من أصحابه فطلع الرجل على هيئة ذلك فقال له رجل من أصحابه قل له ما قلته حتى لا يكون غيبة فقال له الأعمش قل له أنت حتى تكون نميمة •• وقال معاوية لعمرو بن العاص هل غششتني منذ نصحتني قال لا قال بلى يوم أشرت عليّ بمبارزة عليّ وأنت تعلم من هو قال عمرو دعاك رجل عظيم الخطر الى المبارزة فكنت من مبارزته على إحدى الحسنيين إمّا أن قتلته فنلت قتل الأقران وازددت شرفاً الى شرفك وخلوت بملكك وإمّا أن قتلك فتعجل مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين قال معاوية هذه أشد عليّ من الأولى فقال عمرو فكنت في جهادك من شك فتتوب منه الساعة قال دعني منك الآن •• وقيل للأحنف بن قيس وقد رأى مسيلمة الكذاب كيف هو فقال ما هو بنبيٍّ صادق ولا بمتنبيٍّ حاذق •• وروى المبرّد قال قال زياد لأبي الأسود الدؤلي لولا انك قد كبرت لاستعنّا بك في بعض أمورنا قال ان كنت تريدني للصراع فليس عندي وان كنت تريد رأيي وعقلي فهما أوفر ما كانا •• وكان أبو الأسود حاضر الجواب جيد الكلام مليح البادرة •• وروي عن الشعبي انه قال قاتل الله أبا الأسود ما كان أعف أطرافه وأحضر جوابه دخل على معاوية بالنخيلة فقال له معاوية أكنت ذكرت للحكومة قال نعم قال فما كنت صانعاً قال كنت أجمع ألفاً من المهاجرين وأبنائهم وألفاً من الأنصار وأبنائهم ثم أقول يامعشر من حضر أرجلٌ من المهاجرين أحق أم رجل من الطلقاء فلعنه معاوية وقال الحمد لله الذي كفاناك •• وقد روى ان أبا الأسود طلب بأن يكون في الحكومة وقال لأمير المؤمنين في وقت الحكمين يا أمير المؤمنين لا ترض بأبي موسى فاني قد عجمت الرجل وبلوته فحلبتُ أشطُرَهُ فوجدته قريب القعر مع انه يمانٍ وما أدرى ما يبلغ نصحه فابعثني فانه لا يحل عقدة إلاّ عقدت له أشد منها وانهم قد رموك بحجر الأرض فان

قيل انه لا صحبة لي فاجعلني ثاني اثنين فليس صاحبهم إلاّ من تعرف وكان في الخلاف عليهم كالنجم فأبى عليه السلام •• وروى محمد بن يزيد النحوي ان أبا الأسود كان شيعياً وكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرةً فقالوا مانحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما أخطأني •• وقال لهم يوماً يابني قشير ما في العرب أحب اليّ طول بقاء منكم قالوا ولم ذاك قال لأنكم اذا ركبتم أمراً علمت انه غيّ فاجتنبه واذا اجتنبتم أمراً علمت انه رشد فاتبعته فنازعوه الكلام فأنشأ يقول

يقولُ الأَرْذَلونَ بَنو قُشَيرٍ ... طوالَ الدَّهرِ لاتَنْسَى عليّا

أُحبُّ مُحمَّدا حبًّا شديدا ... وعبَّاسًا وحمزةَ والوَصيّا

أُحبُّهُمُ لحُبِّ اللهِ حتّى ... أَجيَ إذا بُعِثْتُ على هَوِيّا

فإنْ يَكُ حبُّهمْ رُشْدا أُصبْهُ ... ولستُ بمُخطيءٍ إنْ كانَ غيّا

فقالوا أشككت يا أبا الأسود فقال ألم تسمعوا الله تعالي يقول (وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) أفترون الله شك •• أما قوله ــ هويّا ــ فانه لغة هذيل يقولون ذاك في كل مقصور (١) مثل التقى والهوى والعصى •• قال أبو ذؤيب الهذلي

سَبَقوا هوِيَ وأَعنقوا لِسَبيلِهِمْ ... فتُخُرِّموا ولكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ

•• وروى ان أبا الأسود دخل على معاوية فقال له أصبحت جميلا يا أبا الأسود فلو علقت تميمة تدفع العين عنك فقال أبو الأسود

---

(١) قوله يقولون ذاك في كل مقصور وأما غيرهم فيبقى الفتحة لتدل على ألف المقصور كمصطفى بفتح الفاء جمع مصطفى بالقصر وأما مصطفى بكسر الفاء فانه جمع مصطف بالنقص وتسلم ألف التثنية من القلب ياء اتفاقاً كمسلماي إذ لا موجب لقلبها وقول أبي الأسود هوي أصله هواي فقلبت الألف ياء وأدغمها في ياء المتكلم ولا يختص قلب ألف المقصور ياء بلغة هذيل بل حكاها عيسى بن عمر عن قريش وحكاها الواحدي في البسيط عن طيْ

أَفنى الشَّبابَ الَّذي فارَقتُ بَهجَتَهُ كَرُّ الجَديدَينِ من آتٍ ومُنطَلِقِ
لم يَترُكا لي في طُولِ اختِلافِهِما شيئاً أخافُ عليهِ لَذغةَ الحَدَقِ .

••وروى انه دخل يوماً السوق يشتري ثوباً فقال له رجل هلمّ أقاربك في هذا الثوب فقال ان لم تقاربني باعدتك ثم قال له بكم هو قال انما أُعطيت به كذا كذا قال انما تخبرني عمّا فاتك •• وروى انه كان ماشياً في طريق فقال له راكبٌ الطريق الطريق فقال له عن الطريق تعدلني ••ومرض أبو الأسود فقيل هو أمر الله فقال ذاك أشدله •• وقيل ان امرأة أبي الأسود خاصمته الى زياد في ولدها فقالت أيها الأمير ان هذا يريد أن يغلبني على ولدي وقد كان بطني له وعاء وثدي له سقاء وحجري له فناء فقال أبو الأسود بهذا تريدين أن تغلبيني على ابني فوالله لقد حملته قبل أن تحمليه ووضعته قبل أن تضعيه فقالت ولا سواء إنك حملته خفيفاً وحملتُه ثقيلا ووضعته شهوة ووضعتُه كرهاً فقال له زياد انها امرأة عاقلة يا أبا الأسود فادفع ابنها اليها فاخلق أن تحسن أدبه •• وقال رجل لأبي الأسود أنت والله ظرفُ لفظ وظرفُ علم ووعاء حلم غير انك بخيل فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه •• وسلّم عليه اعرابي يوماً فقال أبو الأسود كلمة مقولة فقال له أتأذن في الدخول قال وراءك أوسع لك قال فهل عندك شيء قال نعم قال اطعمني قال عيالي أحق منك قال مارأيت ألأم منك قال نسيت نفسك •• وسأله رجل شيئاً فمنعه قال ما أصبحت حاتمياً فقال بلى قد أصبحت حاتمكم من حيث لا تدري أليس حاتم الذي يقول

أماويَّ إمّا مانِعٌ فمُبَيِّنٌ وإمّا عَطاءٌ لا يُنَهنِهُهُ الزَّجرُ [1]

---

(٢) قلت ولهذا البيت حكاية عجيبة وقعت بين الأصمعي وأحد ولد حاتم ••قال الأصمعي دفعت الى رجل من ولد حاتم بن عبد الله فسألته القرى فقال القرى والله كثير ولكن لا سبيل اليه فقلت ما أحسب عندك شيئاً فأمر بالجفان فأخرجت مكرمة بالثريد عليها وذَرُ اللحم واذا هو جاد في المنع فقلت والله ما أشبهت أباك حيث يقول
وأبرز قدري بالفناء قليلها يرى غير مضنون به وكثيرها

مجلس آخر ٢١

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوى قال لما وُلي سليمان بن عبد الملك أُتى بيزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج في جامعة وكان رجلا دميا تقتحمه العين فلما رآه سليمان قال لعن الله امرأ أجرّك رسنك وولى مثلك فقال يا أمير المؤمنين رأيتني والأمر عني مدبر ولو رأيتني والأمر عليّ مقبل لاستعظمت ما استصغرت ولاستجللت ما استحقرت فقال له سليمان أين ترى الحجاج أيهوى في النار أم قد استقر فقال يا أمير المؤمنين لا تقل كذا ان الحجاج قمع لكم الأعداء ووطأ لكم المنابر وزرع لكم الهيبة في قلوب الناس وبعد فانه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك الوليد فضعه حيث شئت ‥ وروى ان خالد بن صفوان فاخر رجلا من بني عبد الدار الذين يسكنون اليمامة فقال له العبدري من أنت فقال أنا خالد ابن صفوان بن الأهتم فقال له العبدري أنت خالد كمن هو خالد في النار وأنت ابن صفوان وقال الله تعالى (كمثل صفوان عليه تراب) وأنت ابن الأهتم والصحيح خير من الأهتم فقال له خالد بن صفوان يا أخا بني عبد الدار أتتكلم وقد هشمتك هاشم وأمتك بنو أمية وخزمتك بنو مخزوم وجمحتك بنو جمح فأنت عبد دارهم تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا فقام العبدري محموماً ‥ وتقدم الأشعث بن قيس الى شريح فقال له الأشعث تعلّي بك يا ابن أم شريح لقد عهدتك وان شأنك لشوين فقال له شريح أنت امرؤ تعرف النعمة في غيرك وتنساها في نفسك ‥ وروى أبو العيناء عن العتبي قال دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وعنده الحطيئة فلما مثل بين يديه قال

اليكَ فَرَرْتُ مِنكَ ومِنْ زِيادٍ ... ولَمْ أَحسِبْ دَمي لَكُما حلالاَ

فقال إلا أشبه في ذلك فقد أشبهته في قوله

اماوي إمّا مانع فبين ... وإمّا عطاء لا ينهنهه الزجر

فأنا والله مانع مبين فرحلت عنه

فإنْ يكُنِ الهجاء أحلَّ قتلي　　فقدْ قلْنا لشانئكمْ وقالاَ
ترى الغرَّ الجحاجحَ من قُريش　　إذا ما الأمرُ في الحدثانِ غالاَ
قياماً ينظرُونَ إلى سعيدٍ　　كأنّهمْ يرَونَ بهِ هلالاَ

فقال له الحطيئة هذا والله أيها الأمير الشعر لاما علل به منذ اليوم يا غلام قدمت أمك الحجاز فقال لا ولكن قدمه أبي .. أراد الحطيئة بقوله قدمته أمك فتكون وقعت بها وكنت مني وأراد الفرزدق بقوله ولكن قدمه أبي أي وقع بأمك فكنت أنت منه .. ويشبه ذلك ماروى ان الفرزدق كان ينشد شعره يوماً والناس حوله إذ مر به الكميت بن زيد الأسدي فقال له الفرزدق كيف ترى شعري قال حسن بين فقال له الفرزدق أيسرك إني أبوك قال أما أبي فلا أريد به بدلا ولكن يسرني أن لو كنت أمي فقال الفــرزدق اكتم هذه على عمك يابن أخي فما مر بي مثلها .. وقيل ان عبد الملك بن مروان ظفر برجل من بني مخزوم زبيري الرأي فقال له لما حضر مجلسه أليس قد ردك الله على عقبيك فقال الرجل أو من رد اليك يا أمير المؤمنين فقد رد على عقبيه فوجم عبد الملك .. وقال موسى بن عيسى بن موسى لشريك يا أبا عبد الله عزلوك عن القضاء وما رأينا قاضــياً عزل فقال شريك هم الملوك يخلعون ويعزلون فعرض بان أباه خُلعَ من ولاية العهد .. وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى ان المفضل الضبي الراوية وهب لبعض جيرانه أيام الأضحى أضحية فلما لقيه قال كيف وجدت أضحيتك قال ماوجدت لها دماً يعرض بقول الشاعر

ولوْ ذبحَ الضبيّ بالسيفِ لمْ تجدْ　　منَ اللؤمِ للضبيّ لحماً ولا دَما

..وروى عن المأمون انه قال ما أعياني جواب أحد قط مثل جواب ثلاثة . أحدهم أم الفضل بن سهل فإني عزيتها عن ابنها وقلت لئن جزعت على الفضل لأنه ولدك فهاأنا ذا ابنك مكانه فقالت وكيف لا أجزع على من جعل مثلك لي ولداً .. والثاني رجــل حضرته يزعم انه نبي الله موسى فقلت له ان الله تعالى أخبرنا عن موسى انه يدخل يده في جيبه ويخرجها بيضاء من غير سوء فقال اه‍ق فعل ذلك أليس بعد ان لقي فرعون

فاعمل كما عمل فرعون حتى أعمل كما عمل موسى • والثالث ان جماعة من أهل الكوفة اجتمعوا اليّ يشكون عاملها فقلت ارضوا بواحد أسمع منه فرضوا برجل منهم فقال في العامل وأكثر فقلت له كذبت بل هو العفيف الورع العدل فذهب أصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال صدقت يا أمير المؤمنين هو كما ذكرت فواس بين رعيتك في العدل فصرفته عنهم •• ودخل عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي على معاوية فقال له معاوية ما فعل الطرفات يعني طريفاً وطرافاً وطرفة قال قتلوا مع عليّ بن أبي طالب فقال ما أنصفك ابن أبي طالب قدم بنيك وأخر بنيه فقال عدي بل ما أنصفته أنا أن قُتل وبقيت •• وكتب رجل الى صديق له يقترض منه شيئاً فأجابه يشكو ضيق حاله فكتب اليه إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وان كنت صادقاً فجعلك الله كاذباً وان كنت معذوراً فجعلك الله ملوماً وان كنت ملوماً فجعلك الله معذوراً •• وسمع الأحنف رجلا يقول ما أحلم معاوية فقال لو كان حليما ما سفّه الحق •• ووصفه رجل عند الشعبي بالحلم فقال الشعبي ويحك وهل أغمد سيفه وفي قلبه على أحد شيء •• وقال زياد لرجل حضره أين منزلك فقال وسط البصرة قال فما لك من الولد قال تسعة فقيل لزياد ان داره في أقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال الرجل داري بين أهل الدنيا والآخرة فهي وسط البصرة وكان لي عشر بنين فقدمت تسعة منهم فهم لي وبقي واحد لا أدري أهو لي أم أنا له •• وقال رجل لابن سيرين إني وقعت فيك فاجعلني في حلّ فقال ما أحب ان أحلك مما حرم الله عليك •• وخطب الحجاج يوم جمعة فأطال فقال له رجل ان الصلاة لا تنتظرك وان الله لا يعذرك فأمر به فحبس فجاءه أهله وشهدوا انه مجنون فقال ان أقر بالجنون أطلقته فقيل له اعترف بذلك وتخلص فقال والله لا أقول ان الله ابتلاني وقد عافاني •• وحدث الحسن البصري بحديث فقال رجل يا أبا سعيد عمن فقال وما تصنع بعمن أما أنت فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته •• وقيل لعبد الله بن جعفر ونظر اليه يماكس في درهم فقيل له تماكس في درهم وأنت تجود بما تجود به فقال ذاك مالي جُدت به وهذا عقلي بخلتُ به •• وروى ان أبا العيناء محمد بن القاسم اليمامي حدّث بعض الزبيريين بفضائل أهله فقال له

الزبيري أتجلب التمر الى هجر فقال له أبو العيناء نعم اذا أجدبت أرضها وعام نخلها٠٠ وكان أبو العيناء من أحضر الناس جواباً وأجودهم بديهة وأملحهم نادرة ٠٠وحكى عن أبي العيناء قال لما دخلت على المتوكل دعوت له وكلمته فاستحسن خطابي وقال لي يا محمد بلغني ان فيك شرًّا فقلت يا أمير المؤمنين إن يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسيء باساءته فقد زكّى الله تعالى وذم فقال في التزكية (نعم العبدُ إنه أوّاب) وقال في الذم (همّازٍ مشّاء بنميمٍ منّاعٍ للخير معتدٍ أثيمٍ عتلٍّ بعد ذلك زنيمٍ) فذمه الله تعالى حتى قذفه وقد قال الشاعر

إِذَا أنا بالمَعرُوفِ لمْ أُثْنِ دَائباً ... ولمْ أَذْمُمِ الجِبْسَ اللَّئيمَ المُذَمَّما

فَفِيمَ عرَفْتُ الخيْرَ والشَّرَّ باسمهِ ... وشَقَّ ليَ اللهُ المَسامِعَ والفَما

وان كان الشر كفعل العقرب تلسع النبي والذمي بطبع لا يميز فقد صان الله تعالى عبدك عن ذلك٠٠ وروى انه قال له يوماً إنّي لأفرَق من لسانك فقال له ان الشريف فروقة ذو إحجام وان اللئيم ذو إمنة وإقدام ٠٠ وقال له يوماً وقد دخل عليه اشتقتك والله يا أبا العيناء فقال له ياسيدي انما يشتد الشوق على العبد لأنه لا يصل الى مولاه فأما السيد فمتى أراد عبده دعاه ٠٠ وروى انه قال له يوماً مابقى أحد فى مجلسي إلا اغتابك وذمك عند ماجرى ذكرك غيري فقال أبو العيناء

إِذَا رَضِيتْ عني كِرَامُ عَشيرَتي ... فلاَ زَالَ غَضباناً عليَّ لِئامُها

٠٠وذكر أبو العيناء قال قال لي المتوكل كيف ترى داري هذه فقلت رأيت الناس بنو دورهم في الدنيا وأمير المؤمنين جعل الدنيا فى داره ٠٠ وقال أبو العيناء قال لي المتوكل من أسخى من رأيت ومن أبخل من رأيت فقلت ما رأيت أسخى من أحمد بن أبي دؤاد ولا أبخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقفت على بخله فقال رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة فقال أجئت الى من أطرحته فسخيته والى من أمسكته فبخلته فقلت يا أمير المؤمنين ان الصدق ماهو في موضع من المواضع أنفق منه بحضرتك والناس يغلطون فيمن ينسبونه الى السخاء فاذا لسب الناس

السخاء الى البرامكة فانما ذلك من سخاء أمير المؤمنين الرشيد واذا نسبوا الحسن بن سهل وأخاه الفضل الى السخاء فانما ذلك سخاء أمير المؤمنين المأمون واذا نسبوا أحمد بن أبي دؤاد الى السخاء فذاك سخاء أمير المؤمنين المعتصم واذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيي الى السخاء فانما هو سخاؤك فما بال هؤلاء القوم لاينسبون الى السخاء قبل صحبتهم الخلفاء قال لي صدقت وسرّي عنه ․․ وقال له المتوكل ما أشد عليك من ذهاب البصر فقال له فقد رؤيتك مع اجماع الناس على جمالك ․․ وقال له يوماً أريدك لمجلسي قال لا أطيق ذلك وما أقول هذا جهلا بمالي فى هذا المجلس من الشرف ولكن أنا رجل محجوبٌ والمحجوب تختلف اشاراته ويخفى عليه إيماؤه ويجوز على أن أتكلم بكلام غضبان ووجهك راضٍ وبكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم أميز بين هاتين هلكت فقال صدقت ․․ وروى انه قال له لولا إنك ضريرٌ لنادمتك فقال ان أعفيتنى من رؤية الأهلة وقراءة نقش الخاتم فإنى أصلح ․․ وقال له المتوكل ماتقول فى ابن مكرم والعباس ابن رستم فقال هما الخمر والميسر وإثمهما أكبر من نفعهما قال بلغنى إنك تودهما فقال لقد ابتعت الضلال بالهدى والعذاب بالمغفرة ․․ وقال له يوماً ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ․․ وقال أبو العيناء قال لي المنصور ما أحسن الجواب فقلت ما أسكت المبطل وحيَّر المحق ․․ وقيل لأبي العيناء ابراهيم بن نوح النصراني عليك عاتب فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ․․ ورآه رزقان وهو يضاحك نصرانياً فقال ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فقال أبو العيناء لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ․․ وأخبرنا أبو الحسن علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحي الصولى قال أخبرنا أبو العيناء قال كان سبب اتصالى بأحمد بن أبى دؤاد ان قوماً من أهل البصرة عادونى وادعوا علىّ دعاوى كثيرة منها إنى رافضي فاحتجت الى ان خرجت عن البصرة الى سر من رأى وألقيت نفسي على ابن أبى دؤاد وكنت نازلا فى داره أجالسه كل يوم وبلغ القوم خبرى فشخصوا نحوي الى سُر من رأى فقال له القوم قد قدموا من البصرة يداً علىّ فقال يد الله فوق أيديهم فقلت ان لهم مكراً فقال ويمكرون ويمكر الله

والله خير الماكرين فقلت هم كثيرون قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقلت لله در القاضي هو والله كما قال الصموت الكلابي

لِلّهِ دَرُّكَ أيُّ جُنّةِ خائفٍ ومَتاعُ دُنيا أنتَ لِلحَدَثانِ
مُتخمِّطٌ تطأُ الرِّجالَ غُلبَّةً وَطْءَ الفَنيقِ دَوارِجَ القِرْدانِ
ويَكُبُّهُمْ حتّى كأنَّ رُؤُسَهُمْ مأمُومةٌ تنحطُّ لِلغِرْبانِ
ويُفَرِّجُ البابَ الشَّديدَ رِتاجُهُ حتّى يَصيرَ كأنّهُ بابانِ

وقال لابنه الوليد اكتب هذه الأبيات فكتبها بين يديه .. قال الصولي حفظي عن أبي العيناء الصموت الكلابي على انه رجل وقال وكيع حفظي انها للصموت الكلابية على انها امرأة .. ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فأثنى عليه فأمر له بعشرة آلاف درهم وقال والله ما استكثر كثيرك أيها الأمير ولا استقل قليلك قال وكيف ذاك قال لا استكثر كثيرك لانك أكثر منه ولا استقل قليلك لانه أكثر من كثير غيرك .. وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوماً اعذرني فاني مشغول فقال اذا فرغت لم أحتج اليك .. وقال له يوماً قد تبينت فيك الغضب يا أبا عبد الله فقال له قد أجل الله قدرك من غضبي انما يغضب الرجل على من دونه فأما على من فوقه فلا ولكن أحزنني تقصيرك فسميت حزني غضباً .. ويقال ان صاعد بن مخلد كان من أحسن من أسلم ديناً وأكثرهم صلاة وصدقة فصار الى بابه أبو العيناء مرات كثيرة بعقب اسلامه فحجب فقيل له هو مشغول في صلاته فقال أبو العيناء لكل جديد لذة .. ودخل يوماً الى أبي الصقر بن بلبل في وزراته فقال له يا أبا عبد الله ما أخرك عنا فقال سرق حماري فقال وكيف سرق قال لم أكن مع الذى سرقه فأخبر بما كان قال هلا اكتريت أو استعرت أو اشتريت قال قعد بي عن الشراء قلة يسارى وكرهت منة العوارى وذلة المكارى فوهب له حماراً ووصله .. وأدناه أبو الصقر يوماً ورفعه فقال تدنيني حتى كأني بعضك وتبعدني حتى كأني ضدك .. وقال يوماً لعبد الله بن سليمان وقد رفعه أيضاً الى كم ترفعني ولا ترفع بي رأساً .. وقال له يوماً وقد سأله عن حاله أنا معك مغبوط الظاهر

محروم الباطن .. ويقال ان أبا علىّ البصير قال لأبي العيناء وكانت بينهما ملاحاة معروفة فى أي وقت ولدت قال قبل طلوع الشمس فقال أبو علىّ لذلك خرجت شحّاذاً سائلاً لأنه الوقت الذي يستثير فيه السؤّال .. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيي الصولي قال حدثني أبو العيناء قال ما رأيت قط أحسن شاهداً عند حاجة من ابن عائشة قلت له يوماً كان أبو عمرو المخزومي يصلك ثم جفاك فقال

فإنْ تَنأَ عنَّا لاَ تَضِرْنا وإنْ تَعُدْ ... تَجِدْنا علي العَهدِ الذِي كُنتَ تَعلمُ

وقال والله لا أدرى لمن هذا البيت فقلت ان ابن سلام روى عن يونس ان الفرزدق لما قال

تَصَرَّمَ منّي وُدُّ بَكْرِ بنِ وائلٍ ... وماخِلتُ دَهرِي وُدَّهُمْ يَتَصَرَّمُ

قَوَارِصُ تأْتِيني فيَحتَقِرُونها ... وقدْ يملأُ القطرُ الإناءَ فيُفْعَمُ

وقد كان نزل عليهم حين هرب من زياد فقال جرير بن خرقاء العجلي يجيبه

لقدْ بوَّأَتكَ الدَّارَ بَكْرُ بنُ وائلٍ ... ورَدَّتْ لكَ الأَحشاءَ إذْ أنتَ مُجرِمُ

لَيالِي تَمنَّى أنْ تكونَ حَمامةً ... بمكةَ يَغشاها الشتا والمُحرَّمُ

فإنْ تَنأَ عنَّا لاَ تَضِرْنا وإنْ تَعُدْ ... تَجِدْنا علي العَهدِ الذِي كُنتَ تَعلَمُ

فقال ابن عائشة أنت والله يا بني ممن ستصدق فى العلم مخائله وتكثر عليه دلائله .. وقال أبو العيناء يوماً لأبي الصقر بن بلبل وهو زائر أنت والله تقرب منّا اذا احتجنا اليك وتبعد منّا اذا احتجت الينا .. [قال المرتضى] رضى الله عنه وهذا يشبه قول ابراهيم بن العباس الصولى

ولكنَّ الجَوَادَ أبا هِشامٍ ... وَفِيُّ العَهدِ مأْمونَ المَغيبِ

بَطيٌّ عَنكَ ما استَغنَيتَ عَنهُ ... وطَلاَّعٌ عليكَ مِنَ الخُطوبِ

ولعله مأخوذ منه فليس ينكر ذلك لانهما وان اجتمعا فى زمان واحد فى بعض الأوقات فان أبا العيناء بقي بعد ابراهيم زماناً طويلا لأن ابراهيم توفى في سنة ثلاث وأربعين

ومائتين وأبا العيناء سنة اثنين أو ثلاث وثمانين ومائتين وما حكيناه عنه من الكلام قاله لأبي الصقر في وزارته وكانت بعد وفات ابراهيم بن العباس الصولي بزمان طويل ٠٠ ويشبه بيتا ابراهيم أن يكونا مأخوذين من قول أوس بن حجر

وليسَ أخوكَ الدائمُ العهدِ بالذي　　يذمُّكَ إنْ ولَّى ويُرضيكَ مقبلاَ

ولكنَّهُ النائي اذا كُنتَ آمناً　　وصاحبكَ الأدنى اذا الأمرُ أعضلاَ

ولابراهيم بن العباس مايقارب هذا المعنى أيضاً وهو

أسدٌ ضارٍ اذا هيَّجتهُ　　وأبٌ برٌّ اذا ما قدرا

يَعلَمُ الأبعدُ إنْ أثرى ولاَ　　يَعلمُ الأدنى إذا ما افتقرا

ويشبه أن يكون هذا مأخوذاً من قول الفقعسي

إذَا افتقرَ المرَّارُ لمْ يُرَ فقرُهُ　　وإنْ أيسرَ المرَّارُ أيسرَ صاحبُه

ومما يشبه قول أبي العيناء بعينه قول ابراهيم بن العباس أيضاً

فتى غيرُ محجوبِ الغنى عن صديقهِ　　ولاَ مُظهر البلوى إذا النعلُ زلَّتِ

رأى خلَّتي من حيثُ يخفي مكانها　　فكانتْ قذى عينيهِ حتى تجلَّتِ

٠٠ وقال المتنخل الهذلي

أبو مالكٍ قاصرٌ فقرَهُ　　علي نفسهِ ومُشيعٌ غناهُ

وهذا البيت الذي رويناه للهذلي من جملة أبيات يرثي بها المتنخل أباه وقيل يرثي أخاه

لَعمرُكَ ما إنْ أبو مالكٍ　　بوانٍ ولاَ بضعيفٍ قُواه[1]

---

(١) قوله ما إن أبو مالك يورده النحويون على ان الباء تزاد بعد ما النافية المكفوفة بان اتفاقاً وهذا يدل على انه لا اختصاص لزيادة الباء فى خبر ما الحجازية ٠٠ وقوله لعمرك ما إن أبو مالك الخ اللام لام الابتداء وفائدتها توكيد مضمون الجملة وعمرك بالفتح بمعنى حياتك مبتدأ خبره محذوف أى قسمي وجملة ما إن أبو مالك جواب القسم ٠٠ وأبو مالك

ولاَ بأَلَدَّ لهُ نازِعٌ يُغازي أخاهُ إِذَا مانَهاه

فمعنى ـ نازع ـ أى خلق سوء ـ ويغازي ـ أى يلاحي ويشارّ

ولـكِنهُ هينٌ لَيِّنٌ كعاليةِ الرُّمحِ عَرْدُ نَساه[1]

ـ العرد ـ الشديد يقال وتر عرد وعرند بالنون أي شديد ـ والنسا ـ عرق معروف

اذَا سُدْتَهُ سُدْتَ مِطْواعةً ومهما وكلتَ اليهِ كَفَاه

معنى ـ سدته ـ من المساودة التى هي المساررة والسواد هو السرار أيضاً كأنه قال اذا ساررته طاوعك وساعدك ٠٠ وقال قوم انه من السيادة فكأنه قال اذا كنت فوقه سيداً له أطاعك ولم يحسدك وان وكلت اليه شيئاً كفاك وقوم ينشدونه اذا سسته سست مطواعة

هو أبو الشاعر واسمه عويمر لأن المتنخل اسمه مالك بن عويمر ولم يصب ابن قتيبة فى كتاب الشعراء فى زعمه انه يرثى أخاه أبا مالك عويمرا ـ ووان ـ اسم فاعل من ونى ونياً ونيا من باب تعب ووعد بمعنى ضعف وفتر وروى بدله واه وهو أيضاً اسم فاعل من وهي من باب وعد بمعنى ضعف وسقط ـ والقوى ـ جمع قوة خلاف الضعف ٠٠ قال فى الصحاح ورجل شديد القوى أي شديد أسر الخلق يريد ان أباه كان جلداً شهماً لايكل أمره الى أحد ولا يؤخره لعجزه الى وقت آخر

(١) قوله كعالية الرمح الخ ـ عالية الرمح ـ ما دخل فى السنان الى ثلثه ٠٠ ومعنى كونه ليناً كعالية الرمح انه اذا دعي أجاب بسرعة كعالية الرمح فانه اذا هز الرمح اضطرب واهتز للينه بخلافه من الأخشاب فانه لا يتحرك طرفها اذا هزت لصلابتها ويبسها ٠٠ وقوله عرد نساه ـ العرد ـ بفتح العين وسكون الراء المهملتين الشديد والضمير لأبى مالك ـ والنسا ـ ٠٠ قال الاصمعي بالفتح مقصور عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر فاذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النسا بينهما واستبان واذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان وخفي النسا واذا قالوا انه لشديد النسا فانما يراد به النسا نفسه ٠٠ وقال السكري أراد غليظ موضع النسا

ولم أجد ذلك في رواية (١)

ألاَ مَنْ يُنادِي أباما لِكٍ أفي أمرِ ناهُوَ أمْ في سِوَاه

أبو ما لِكٍ قاصِرٌ فَقْرَهُ على نفسهِ ومُشيعٌ غِناه

مجلس آخر ٢٢

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (سأصرفُ عن آياتي الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وان يَروا كلَّ آيةٍ لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً) الى غافلين .. فقال ماالجواب عن هذه الآية على ما يطابق العدل فان ظاهرها كأنه مخالف .. الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها ما ابتدأناه فيها ومنها ما سبقنا به فحررناه واخترنا فيه من المطاعن وأجبنا عمّا لعله يعترض فيه من الشبهة . أولها أن يكون عنى بذلك صرفهم عن ثواب النظر فى الآيات وعن العز والكرامة الذين يستحقهما من أدى الواجب عليه فيآيات الله وأدلته وتمسك بها والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ويحتمل أن تكون معجزات

---

(١) قوله ولم أجد ذلك فى رواية قلت هذه الرواية التى لم يرها المؤلف أثبتها أبو تمام صاحب الحماسة فى مختار أشعار القبائل ـ وسسته ـ من سست الرعية سياسة ـ والمطواع ـ الكثير الطوع أى الانقياد والتاء لتأكيد المبالغة وعلى هذا التفسير اقتصر السكري وهذا البيت يروى للمتنخل كما تقدم ورواه فى مختار أشعار القبائل لذى الأصبع العدوانى مع بيتين آخرين وهما

وما إن أسيد أبو مالك بوان ولا بضعيف قواه

ولكنه هينٌ لينٌ كعالية الرمح عرد نساه

فان سسته سست مطواعة ومهما وكلت اليه كفاه

وأسيد ـ بفتح الهمزة وكسر السين المهملة

الأنبياء خاصة وهذا التأويل يطابق الظاهر لأنه تعالى قال ﴿ ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ فبين ان صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم ولا يليق ذلك إلاّ بما ذكرناه ‥ وثانيها انه أراد أن يصرفهم تعالى عن زيادة المعجزات التي يظهرها الأنبياء عليهم السلام بعد قيام الحجة لما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم لانه تعالى انما يظهر هذا الضرب من المعجزات اذا علم انه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدم من الآيات واذا علم خلاف ذلك لم يظهرها وصرف الذين علم من حالهم انهم لايؤمنون عنها ويكون الصرف على أحد وجهين إمّا بأن لايظهرها جملة أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم ‥ فاذا قيل وما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات وبين زيادتها ‥ قلنا الفرق بينهما ان المعجز الأول يجب اظهاره لإزالة العلة في التكليف ولإنابه نعلم صدق الرسول المؤدّي الينا ما فيه لطفنا ومصلحتنا فاذا كان التكليف يوجب تعريف المصالح والإلطاف لتزاح العلة وكان لا سبيل الى معرفتها على الوجه الذى يكون عليه لطفاً إلاّ من قبل الرسول وكان لا سبيل الى العلم بكونه رسولاً إلاّ من جهة المعجز وجبت بعثةُ الرسول وتحميله ما فيه مصلحتنا من الشرائع واظهار المعجز على يده لتعلق هذه الأمور بعضها ببعض ولا فرق فى هذا الموضع بين ان يعلم ان المبعوث اليهم الرسول أو بعضهم يطيعون ويؤمنون وبين أن لا يعلم ذلك فى وجوب البعثة وما يجب بوجوبها لان تعريف المصالح مما يقتضيه التكليف العقلي الذى لا فرق في حسنه بين ان يقع عنده الايمان أو لا يقع وليس هذه سبيل ما يظهره من المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها لانه متى لم ينتفع بها منتفع ويؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن فى اظهارها فائدة وكانت عبثاً فافترق الأمران ‥ فان قيل كيف يطابق هذا التأويل قوله تعالى ﴿ ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ ومعلومٌ أن صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقاً بذلك ‥ قلنا يمكن أن يكون قوله تعالى ﴿ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا﴾ لم يرد به تعليل قوله تعالى سأصرف بل يكون كالتعليل لما هو أقرب اليه فى ترتيب الكلام وهو قوله تعالى ﴿ وان يروا كل آية لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ﴾ لأن من كذب بآيات الله وعدل عن تأملها والاهتداء

بنورها ركب الغي واتخذه سبيلاً وحاد عن الرشـد وضل ضلالاً بعيداً ورجوع لفظة ذلك الى ما ذكرناه أشبه بالظاهر من رجوعها الى قوله سأصرف لان رجوع اللفظ فى اللغـة الى أقرب المذكورين اليـه أولى ٠٠ ويمكن أن يكون قوله تعالى كذبوا بلفظ الماضي المراد به الاستقبال ويكون وجهه ان التكذيب لما كان معلوماً منهـم لو أظهرت لهم الآيات جعل كأنه قال ذلك بانه متى أظهرنا لهم آياتنا كذبوا ويجري ما ذكرناه أولا مجرى قوله تعالى (ونادى أصحابُ النار أصحابَ الجنـة) فى انه بلفظ الماضى والمعـنى الاستقبال ٠٠ وثالثها أن يكون معنى سأصرف عن آياتي أي لا أوتيها من هـذه صفته واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظتين تفيد معنىً واحـداً ٠٠ وليس لأحد أن يقول هـل لا قال سأصرف آياتى عن الذين يتكبرون والآيات ههنا هي المعجزات التى تختص بها الأنبياء ٠٠ فان قيـل فأي فائدة فى قوله على سبيل التعليل ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وأي معني لتخصيصه الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وهل لا نؤتى الآيات والمعجزات إلاّ الأنبياء دون غيرهم وان كان ممن لا يتكبر ٠٠ قلنا لخروج الكلام مخرج التعليل على هذا التأويل وجه صحيح لأن من كذب بآيات الله لا يؤتي معجزاته لتكذيبه وكفره وان كان قد يكون غير مكذب ويمنع من اتيانه الآيات علة أخرى والتكبر والبغي بغير الحق مانع من إتيان الآيات وان منع غيره ويجري هذا مجرى قول القائل أنا لا أود فلاناً لغدره ولا يلزم اذا لم يكن غادراً أن يودّه لانه ربما خلا من الغدر وحصل على صـفة أخرى تمنع من مودته ويجوز أيضاً أن تكون الآية خرجت على ما يجري مجرى السبب وأن يكون بعض الجهال اعتقد في ذلك الوقت جواز ظهور المعجزات على يد الكفار فأكذبهم الله تعالى بذلك ٠٠ ورابعها أن يكون المراد بالآيات العلامات التى يجعلها الله تعالى فى قلوب المؤمنين ليدل بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر فيفعلوا بكل واحـد منهما ما يستحقه من التعظيم والاستخفاف كما تأول أهل الحق الطبع والختم الذين ورد بهـما القرآن على أن المراد بهـما العلامة المميزة بين الكافر والمؤمن ويكون سأصرف عنها أى أعدل بها عنهم وأخص بها المؤمنين المصدقين بآياتى وأنبيائى وهذا التأويل يشهد له أيضاً قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا

عنها غافلين) فيكون صرفهم عن هذه الآيات كالمستحسن لتكذيبهم واعراضهم عن آياته تعالى ٠٠ وخامسها أن يريد تعالى إني أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها لان من الواجب على الله تعالى أن يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لانه ينقض الغرض فى البعثة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) فتكون الآيات ههنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله التى يحملها الرسل والصرف وان كان متعلقاً فى الآية بنفس الآيات فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقاً بغيرها مما هو يتعلق بها فاذا ساغ أن يعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات ساغ أن يعلقه بما يمنع من تبليغها وأدائها وإقامة الحجة بها وعلى هذا التأويل لا يجعل قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) راجعاً الى ما صرف بل يرد الى ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى (وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا) على ما بيناه في الوجه الثاني من تأويل هذه الآية ٠٠وسادسها أن يكون الصرف ههنا الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم ان من شهد على غيره بالانصراف عن شيء فجائز أن يقول صرفه عنه كما يقال أكفره وكذبه وفسقه وكما قال عز من قائل (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) أى شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى وكقوله تعالي (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وهذا التأويل يطابقه قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) لان الحكم عليهم بما ذكرنا من التسمية يوجب تكذيبهم وغفلتهم عن آيات الله واعراضهم عنها ٠٠وسابعها انه تعالى علم ان الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق سيصرفون عن النظر فى آياته والايمان بها اذا أظهرها على أيدى رسله جاز أن يقول سأصرف عن آياتى فيريد سأظهر ما ينصرفون بغير اختيارهم عنه ويجرى ذلك مجرى قولهم سأبخل فلاناً وأخطئه أى أسأله ما يبخل ببذله وأمتحنه بما يخطئ فيه ولا يكون المعنى إنى أفعل فيه البخل والخطأ والآيات على هذا الوجه جائز أن تكون المعجزات دون سائر الأدلة الدالة على الله تعالى وجائز أن تكون جميع الأدلة ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالي (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) غير راجع الى قوله تعالى سأصرف بل الى ماقدمنا ذكره لتصح الفائدة ٠٠ وثامنها أن يكون الصرف ههنا معناه المنع من ابطال الآيات والحجج

والقدح فيها بما يخرجها عن أن تكون أدلة وحججاً فيكون تقدير الكلام إني بما أؤيد من حججي وأحكمه من آياتي وبيناتي صارف للمكذبين المبطلين عن القدح في الآيات والدلالات ومانع لهـم مما كانوا لولا هـذا الإحكام والتأييد يعترضونه ويفتشونه من تمويههم الحق ولبسه بالباطل ويجرى هذا مجرى قول أحدنا قد منع فلاناً أعداءه بأفعاله الكريمة وطرائقه الممدوحة وأخلاقه المهذبة وصرفهـم عن ذمة وأخرس ألسنتهم عن الطعن عليه وانما يريد المعنى الذي ذكرناه .. فان قيـل أليس في المبطلين من طعن على آيات الله وأورد الشبهة فيها مع ذلك .. قلنا لم يرد الله تعالى الصرف عن الطعن الذي لا يؤثر ولا يشتبه على من أحسن النظر وانما أراد ما قدمناه وقد يكون الشيء في نفسه مطعوناً عليه وان لم يطعن عليه طاعن كما قد يكون بريًّا من الطعن وان طعن فيه بما لم يؤثر فيه ألا ترى ان قولهم فلان قد أخرس أعداءه من ذمه وليس يراد بأنه منعهم عن التلفظ بالذم وانما المعنى انه لم يجعل للذم عليه طريقاً ومجالا ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا يرجع الي ما قبله فلا فصل ولا يرجع الى قوله سأصرف .. وتاسعها ان الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وأمته إهلاك عدوهم قال (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) وأراد عز وجل أن يهلكهم ويصطلمهم ويجتاحهم على طريق العقوبة لهم بما كان منهم من التكذيب بآيات الله تعالى والرد لحججه والمروق عن طاعته وبشر من وعده بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء بها وهو تعالى اذا أهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين واصطلمهم فقـد صرفهم عن آياته من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم وخروجهم عن صفات أهله وهـذا الوجه يمكن أن يقال فيـه ان العقوبة لا تكون إلاّ مضادة للاستخفاف والاهانة كما ان الثواب لا بد أن يكون مقترنا بالتبجيل والتعظيم وإماتة الله تعالى للأمم وما يفعله من بوار واهـلاك لا يقرن اليـه مالا بد أن يكون مقـترناً الى العقاب من الاستخفاف ولا يخالف ما يفعله تعالى بأوليائه على سبيل الامتحان والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه ويمكن أن يجاب عن ذلك بان يقال لا يمتنع أن يضم الله الى ما يفعـله بهؤلاء الكفار المتجبرين مـن الاهلاك اللعن والذم والاستخفاف ويأمرنا باهلاكهم

وقتلهم على وجه الاستخفاف والنكال ويضيف الله تعالى ذلك اليه من حيث وقع بأمره وعن أذنه •• فان قيل ما معنى قوله تعالى (يتكبرون فى الأرض بغير الحق) كأن فى التكبر مايكون بالحق •• قلنا فى هذا وجهان • أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان على أن التكبر لايكون إلاّ بغير الحق وان هذه صفة له لازمة غير مفارقة ويجرى ذلك مجري قوله تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لابرهان له به) وقوله تعالي (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق) ولم يرد تعالى الا المعنى الذى ذكرناه ومثله قوله تعالى (ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً) ولم يرد النهي عن الثمن القليل دون الكثير بل أراد به تأكيد القول بان كل ثمن يؤخذ عنها يكون قليلا بالاضافة اليها ويكون المتعوض عنها مغبوناً مبخوساً خاسر الصفقة •والوجه الآخر ان في التكبر مايكون ممدوحاً بان من تكبر وتنزه عن الفواحش والدنايا وتباعد عن فعلها وتجنب أهلها يكون مستحقاً للمدح سالكا لطريق الحق والتكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبغي والاستطالة على ذوى الضعف والفخر عليهم والمباهاة لهم ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذى ندب الله اليه وأرشد الى الثواب المستحق عليه ويستحق بذلك الذم والمقت ولهذا شرط تعالى أن يكون التكبر بغير الحق فى قوله تعالى في هذه السورة (قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق) يحتمل أيضاً هذين الوجهين الذين ذكرناهما فان أريد به البغي المكروه الذى هو الظلم وما أشبهه كان قوله بغير الحق تأكيداً وإخباراً عن انه بهذه صفته وان أريد بالبغي الطلب وذلك أصل فى اللغة كان الشرط فى موضعه لان الطلب قد يكون بالحق وبغير الحق •• فان قيل فما معني قوله تعالى (وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) وهل الرؤية ههنا العلم والادراك بالبصر وهب انها يمكن أن تكون فى قوله تعالى (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) محمولة على رؤية البصر لان الآيات والأدلة مما تشاهد كيف نحمل الرؤية الثانية على العلم وسبيل الرشد انما هي طريقه ولا يصح أن يرجع بها الى المذاهب والاعتقادات التى لايجوز عليها رؤية البصر فلا بد اذاً من أن يكون المراد به رؤية العلم ومن علم طريق الرشد

لا يجوز أن ينصرف عنـه الى طريق الغي لأن العقلاء لا يختارون مثل ذلك .. قلنا الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه . أحدها أن يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر ويكون السبيل المذكور في الآية هي الأدلة والآيات لانها مما يدركه البصر ويسمي سبيل الرشد من حيث كانت وصلة الى الرشد وذريعة الى حصوله ويكون سبيل الغي هو الشبهات والمخاريق التى ينصبها المبطلون والمدغلون فى الدين فيوقعوا بها الشبهة على أهل الايمان وتسمي بانها سبيل الغي وان كان النظر فيها لا يوجب حصول الغي من حيث كان المعلوم ممن تشاغل بها واغتر بأهلها انه يصير الى الغي . والوجه الثانى أن يكون المراد بالرؤية العلم إلاّ أن العلم لا يتناول كونها سبيلا للرشد وكونها سبيلا للغي بل يتناولها لا من هذا الوجه ألا ترى ان كثيراً من المبطلين يعلمون مذاهب أهل الحق واعتقاداتهم وحججهم إلاّ أنهم يجهلون كونها صحيحة مفضية الى الحق فيتجنبونها وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة إلاّ أنهم يجهلون كونها باطلة ويعتقدون صحتها بالشبه فيصيرون اليها وعلى هذا الوجه لا يجب أن يكون الله تعالى وصفهم بالغي وترك الحق مع العلم به . والوجه الثالث أن يكونوا عالمين بسبيل الرشد والغي ومميزين بينهما إلاّ أنهم للميل الى أعراض الدنيا والذهاب مع الهوى والشبهات يعدلون عن الرشد الى الغي ويجحدون ما يعلمون كما أخبر الله سبحانه عن كثير من أهل الكتاب لانهم يجحدون الحق وهم يعلمونه ويستيقنونه .. فان قيل فما معنى قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) والتكذيب لا يكون فى الحقيقة الاّ فى الأخبار دون غيرها .. قلنا التكذيب قد يطلق على الأخبار وغيرها ألا ترى انهم يقولون فلان يكذب بكذا وكذا اذا كان يعتقد بطلانه كما يقولون يصدق بكذا وكذا اذا كان يعتقد صحته ولو صرفنا التكذيب ههنا الي أخبار الله تعالى التى تضمنتها كتبه الواردة على أيدى رسله جاز فتكون الآيات ههنا هي الكتب المنزلة دون سائر المعجزات .. فان قيل فما معنى ذمه تعالى (ذلك بأنهم كانوا عن آياتنا غافلين) والغفلة على مذهبكم من فعله لانها السهو وما جرى مجراه مما ينافى العلوم الضرورية ولا تكليف على الساهي فكيف يذم بذلك .. قلنا المراد ههنا بالغفلة التشبيه لا الحقيقة

ووجه التشبيه انهم لما أعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى والانتفاع بها أشبهت حالهم حال من كان ساهياً غافلا عنها فأطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى (صمٌّ بكمٌ عميٌ) على هذا المعنى ولهذا يقول الانسان لمن يستبطئه ويصفه بالاعراض عن التأمل والتبين أنت ميت وراقد لا تبصر ولا تسمع وما أشبه ذلك وكل هذا واضح بحمد الله وكرمه واحسانه

تم الجزء الأول ولله الحمد من كتاب أمالي السيد المرتضي

(ويليه الجزء الثاني وأوله تأويل خبر ان سأل سائل الخ ..)

(والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)

﴿ فهرس الجزء الاول من كتاب أمالي السيد المرتضي ﴾

(تم الفهرس)

الجزء الثانى من كتاب

امالى السيد المرتضى

الشريف أبى القاسم على بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ رضي الله عنه

في التفسير والحديث والادب

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)

(على نفقة أحمد ناجي الجمالى ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه (السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي)

(مطبعة السعاده بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسمعيل)



[تأويل خبر] .. ان سأل سائل عن الخبر المروى عن عبـد الله بن عمر أنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف شاء ثم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك .. وعما يرويه أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن قلب آدمي إلاّ وهو بين أصبعين من أصابع الله تعالى فاذا شاء أن يثبته ثبته وان شاء أن يقلبه قلبه .. وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لأُم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ماكان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسـلم قالت كان أكثر دعائه يا مقلب القـلوب ثبت قلبي على دينك فقالت قلت يارسول الله ماأكثر دعائك يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال يا أُم سلمة مامن آدمي إلاّ وقلبه بين أصبعين من أصابع الله عزوجل ماشاء أقام وما شاء أزاغ .. فقال ماتأويل هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه أو ليس من مذهبكم ان الأخبار التي يخالف ظاهرها الاصول ولاتطابق العقول لايجب ردها والقطع على كذب راويها إلاّ بعد أن لا يكون لها في اللغة مخرجٌ ولا تأويل وان كان لها ذلك فباستكراهٍ أو تعسف ولستم ممن يقول ذلك في مثل هـذه الأخبار فما تأويلها .. الجواب ان الذى يعوّل عليه من تكلم في تأويل هـذه الأخبار هو أن يقول ان الأصبع في كلام العـرب وان كانت الجارحة المخصوصة فهي أيضاً الأثر الحسن يقال لفلان على ماله وإبله أصبع حسنة أي قيام وأثر حسن .. قال الراعي يصف راعياً حسن القيام على إبله

ضَعيفُ العَصا بادِي العُرُوقِ تَرَى لَهُ   عليها إذَا ما أَجْدَبَ النَّاسُ إِصْبَعا

.. وقال طفيل الغنوي يصف خلاً

كُمَيْتٍ كَرُكْنِ البابِ أَحْيَي بَنَاتِهِ مَقَالِيَتُها فَاسْتَحْشَمَتْهُنَّ إِصْبَعُ

•• وقال لبيد بن ربيعة

مَنْ يَبْسُطِ اللهُ عليهِ إِصْبَعَا بالخيرِ والشَّرِّ بِأَيٍّ أُولِعا[1]

يَمْلأْ لهُ منهُ ذَنُوباً مُتْرَعا

•• وقال حميد بن ثور

أَغَرُّ كلونِ البَدْرِ في كلِّ مَنْكِبٍ مِنَ النَّاس نُعمى تَحْتَذِيها وإِصْبَعُ

•• وقال آخر

وأَرْزَنَاتٍ لَيْسَ فيهِنَّ أَبَنْ ذُو إِصْبَعٍ في مَسِّها وذُو فِطَنْ

•• وقال آخر

أَكْرِمْ نِزَاراً واسْقِهِ المُشَعْشَعا فإِنَّ فيهِ خَصَلاتٍ أَرْبَعا

حَدًّا وجُودًا ونَدًى وأُصْبُعا

والأصبع في كل ما أوردناه المراد بها الأثر الحسن والنعمة فيكون المعنى مامن آدمي إلاّ وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حسنتين •• فان قيل هـذا قد ذكر كما حكيتم إلا انه لم يفصل ما النعمتان وما وجه التثنية ههنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى •• قلنا يحتمل أن يكون الوجه في ذلك نعم الدنيا ونعم الآخرة وثناهما لانهما كالجنسين أو كالنوعين وان كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير لأن الله تعالى قد أنعم على عباده بان عرفهم بأدلته وبراهينه ما أنعم به عليهم من نعم الدنيا والآخرة وعرفهم مالهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل والبقاء في النعيم الطويل •• ويمكن أن يكون الوجه في تسميتهم للأثر الحسن بالأصبع هو من حيث يشار اليه

---

(١) أنشده في اللسان في مادة ص ب ع

من يجعل الله عليه إصبعا في الخير أو في الشر يلقاه معا

بالأصبع اعجاباً به وتنبيهاً عليه وهذه عادتهم في تسمية الشئ بما يقع عنده وبما له به علقة
وقد قال قوم في بيتي طفيل والراعي أنهما أرادا أن يقولا يداً في مكان الأصبع لان اليد
النعمة فلم يمكنهما فعدلا عن اليد الى الأصبع لانها من اليد وفي الأصبع التي هي
الجارحة ثمان لغات • أصبَع بفتح الألف والباء • وأصبِع بفتح الألف وكسر الباء
وأُصبُع بضم الألف والباء • وأُصبَع بضم الألف وفتح الباء • وأُصبوع بضم الألف
مع الواو • وإصبِع بكسر الألف والباء • وإصبَع بكسر الألف وفتح الباء • وإصبُع
بكسر الألف وضم الباء •• وفي هذه الأخبار وجه آخر وهو أوضح مما ذكر وأشبه
بمذاهب العرب في ملاحن كلامها وتصرف كناياتها وهو أن يكون المعنى في ذكر الأصابع
الإخبار عن تيسر تصريف القلوب وتقليبها والفعل فيها عليه جلت عظمته ودخول
ذلك تحت قدرته ألا ترى انهم يقولون هذا الشئ في خنصري وأصبعي وفي يدي وقبضتي
كل ذلك اذا أرادوا تسهله وتيسره وارتفاع المشقة فيه والمؤنة وعلى هذا المعنى يتأول
المحققون قوله تعالى (والأرضُ جميعاً قبضَتُهُ يومَ القيامةِ والسمواتُ مطويّاتٌ بيمينِهِ)
فكأنه صلى الله عليه وسلم لما أراد المبالغة في وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها
بغير مشقة ولا كلفة وان كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا يتمكن منه فقال انها بين
أصبعين من أصابعه كناية عن هذا المعنى واختصاراً للفظ الطويل وجرياً على مذهب
العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ وهذا الوجه يجب أن يكون
مقدماً على الوجه الأول ومعتمداً عليه لانه واضح جلي •• ويمكن أن يكون[1] في الخبر
وجه آخر على تسليم مايقترحه المخالفون من ان الأصبعين هما المخلوقتان من اللحم

(١) لا يخفى ان هذه الأجوبة لا مدخلية لها في السؤال ولو كانت فليس ذلك محلا
له لان البحث والسؤال ومحلهما في معنى تصريفها كيف شاء واذا شاء أن يثبته ثبته وان
شاء أن يقلبه قلبه وما شاء أقام وما شاء أزاغ وأمثالها في أمثال معنى هذا الحديث
الشريف مما هو صريح في الجبر ورفع التكليف فان هذا هو الداء المعضال وموضع
انفصام المقول المقال لا في معنى الأصبع وجواز قراءة الأصبوع مما لا يسمن ولا
يغني من جوع اه من هامش الأصل

والدم استظهاراً في الحجة واقامة لها على كل وجه وهو أنه لا ينكر أن يكون القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الأصبعين يحركه الله تعالى بهما ويقلّبه بالفعل فيهما ويكون وجه تسميتهما بالأصابع من حيث كانا على شكلهما والوجه في اضافتهما الى الله تعالى وان كانت جميع أفعاله تضاف اليه بمعنى الملك والقدرة لانه لايقدر على الفعل فيهما وتحريكهما منفردين عما جاورهما غيره تعالى فقيل انهما أصبعان له من حيث اختص بالفعل فيهما على هذا الوجه لان غيره إنما يقدر على تحريك القلب وما هو مجاور للقلب من الأعضاء بتحريك جملة الجسم ولا يقدر على تحريكه وتصريفه منفرداً مما يجاوره غيره تعالى فمن أين للمبطلين المتأولين هذه الأخبار بأهوائهم وضعف آرائهم ان الأصابع ههنا اذا كانت لحماً ودماً فهي جوارح لله تعالى وماهذا الوجه الذي ذكرناه ببعيد ٠٠ وعلى المتأول أن يورد كل يحتمله الكلام مما لاتدفعه حجة وان ترتب بعضه على بعض في القوة والوضوح ونحن نعود الى تفسير مالعله أن يشتبه من الأبيات التي استشهدنا بها ٠٠ أما قوله — حداً وجوداً وندى وأصبعاً — فمعنى الحد المضاء والنفاذ وقول الآخر — وأرزنات ليس فيهن أبن — فالأرزنات العصي والأبن العقد ٠٠ فأما قول حميد بن ثور — في كل منكب من الناس — فالمنكب الجماعة والمنكب الناحية ٠٠ وأما معنى أبيات لبيد فانه أراد من يسق الله اليه خيراً أو يصرف عنه شراً فعل ذلك به وأسبغ له حتى ينتهي منتهاه ٠٠ وأما بيت طفيل الغنوي فمعناه ان هذا الفحل الذي وصفه بانه كميت وانه كركن الباب لتمامه وشدته لما ضرب في الابل الى وصفها عاشت أولادها التي هي بناته بعد ان كن مقاليت والمقلاة التي لايعيش لها ولد فكان هذا منه أثراً جميلا عليها ٠٠ فأما بيت الراعي فمعنى قوله — ضعيف العصا — يريد انه قليل الضرب لها أما لانه لايحوجنه سداداً وتأوداً أو لشفقته عليهن وهذه كناية في نهاية الحسن والاختصار شديد لانه قد يجوز أن يكون ضعيف العصا على الحقيقة من حيث لا يحتاج الى استعمالها في الضرب فيختارها قوية ويجوز أن يكون حذف وأراد ضعيف فعل العصا ٠٠ وقوله — بادي العروق — يعني عروق رجله لفسادها من السعي في أثر هذه الابل وأراد — بالأصبع — ان له عليها في جدب الناس أثراً جميلا لحسن قيامه وتعهده ٠٠ وقد قيل انه انما سمي الراعي لبيت قاله في

هذه القصيدة بعد بيتين من البيت الذى أنشدناه وهو

لها أمرُها حتَّى إذَا ماتبوَّأَتْ … بأَخفافِهاماْوىً تبوَّأَ مَضْجَما

هذا قول الأصمعي •• وقال السكري سمى بذلك لقوله في هذه القصيدة أيضاً

هدَانٌ أخو وَطْبٍ وصاحِبُ علبَةٍ … يَرَى المَجْدَأَنْ يَلْقَى جلاءً ومرْتَعا

وروى عن بعض بني نمير انه قال انما سمي بذلك لقوله

تَبيتُ مَرَافِقهُنَّ فوقَ مَزَلَّةٍ … لاَ يَستطيعُ بها القُرَادُ مَقيلا

فقال بعض بني نمير لما سمع هذا البيت والله ما هو إلاّ راعي إبل فبقيت عليه •• وقال محمد بن سلام انما سمى الراعي لكثرة وصفه الابل وحسن نعته لها واسمه عبيد بن حصين بن جندل وكنيته أبو جندل وقيل أبو نوح

مجلس آخر ٢٣

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) ما المراد بالنفس في هذه الآية وهل المعنى فيها كالمعنى في قوله (ويحذركم الله نفسه) أو يخالفه أو يطابق معنى الآيتين والمراد بالنفس فيها مارواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عزوجل اذا أحب العبد لقائى أحببت لقاءه واذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه واذا تقرب الىّ شبراً تقربت اليه ذراعاً واذا تقرب الىّ ذراعاً تقربت اليه باعاً أو لا يطابقه •• الجواب قلنا ان النفس في اللغة لها معان مختلفة ووجوه في التصرف متباينة •• فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوان وهي التي اذا فقدها خرج عن كونه حياً ومنه قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) •• والنفس ذات الشيء الذى يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه اذا تولى فعله •• والنفس الأنفة من قولهم ليس لفلان نفس أي لا أنفة له •• والنفس الارادة من قولهم نفس فلان في كذا أي ارادته •• قال الشاعر

فنفساي نفس قالت أنت ابن بجدل　　تجد فرجاً من كل غم تهابها
ونفس تقول اجهد نجاءك فلا تكن　　كخاضبة لم يغن شيئاً خضابها

ومنه ان رجلا قال للحسن البصري يا أبا سعيد لم أحجج قط فنفس تقول لي حج ونفس تقول لي تزوج فقال الحسن أما النفس فواحدة ولكن لك هم يقول حج وهم يقول تزوج وأمره بالحج •• وقال الممزق العبدي ويروى لمعقر بن حمار البارقي

ألا من لعين قد نآها حميمها　　وأرقني بعد المنام همومها
فباتت لها نفسان شتى همومها　　فنفس تعزيها ونفس تلومها

•• وقال النمر بن تولب العكلي

أما خليلي فإني لست معجله　　حتى يؤامر نفسيه كما زعما
نفس له من نفوس القوم صالحة　　تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما

أراد انه بين نفسين نفس تأمره بالجود وأخرى تأمره بالبخل وكنى برضاع الغنم عن البخل لان البخيل يرضع اللبن من الشاة ولا يحلبها لئلا يسمع الضيف صوت الشخب فيهتدي اليه ومنه قيل لئيم راضع •• وقال كثير

فأصبحت ذا نفسين نفس مريضة　　من الناس ما ينفك هم يعودها
ونفس ترجي وصلها بعد صرمها　　تجمل كي يزداد غيظاً حسودها

•• والنفس العين التي تصيب الانسان يقال أصابت فلاناً نفس أي عين •• وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقي فيقول بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك وداء هو فيك من كل عين عائن ونفس نافس وحسد حاسد •• وقال ابن الاعرابي النفوس التي تصيب الناس بالنفس وذكر رجلا فقال كان والله حسوداً نفوساً كذوباً •• وقال عبيد الله بن قيس الرقيات وهو قرشي

يتقي أهلها النفوس عليها　　فعلى نحرها الرقى والتميم

•• وقال مضرس الفقعسي

وإذا عوا صمدا فليس عليهم مِنّا الخَيالُ ولاَ نُفوسُ الحُسَّدِ

•• وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك

فأسلم سلمت من المكاره والردى وعثارها ووقيت نفس الحسد

•• والنفس أيضاً من الدباغ بمقدار الدبغة يقول اعطنى نفساً من دباغ أي قدر ما أدبغ به مرة •• والنفس الغيب يقول القائل إني لا أعلم نفس فلان أي غيبه وعلى هذا تأويل قوله تعالى ﴿ تعلم مافى نفسي ولا أعلم مافى نفسك ﴾ أي تعلم غيبي وما عندي ولا أعلم غيبك •• وقيل ان النفس أيضاً العقوبة من قولهم أحذرك نفسي أي عقوبتي وبعض المفسرين يحمل قوله تعالى ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ على هذا المعنى كأنه يحذركم عقوبته •• وروى ذلك عن ابن عباس والحسن وآخرين قالوا معنى الآية ويحذركم الله إياه •• وقد روى عن الحسن ومجاهد في قوله تعالى ﴿ تعلم ما فى نفسي ولا أعلم ما فى نفسك ﴾ ما ذكرناه من التأويل بعينه •• فان قيل ما وجه تسمية الغيب بانه نفس قلنا لا يمتنع أن يكون الوجه فى ذلك ان نفس الانسان لما كانت خفية الموضع نزل ما يكتمه ويجتهد فى ستره منزلتها وسمي باسمها فقيل فيه انه نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء وانما حسن أن يقول تعالى مخبراً عن نبيه عليه الصلاة والسلام ولا أعلم مافى نفسك من حيث تقدم قوله تعالى ﴿ تعلم ما فى نفسي ﴾ ليزدوج الكلام ولهذا لا يحسن ابتداء أن يقول أنا لا أعلم ما فى نفس الله تعالى وان حسن على الوجه الأول ولهذا نظائر فى الاستعمال مشهورة مذكورة •• فأما الخبر الذى يرويه السائل فتأويله ظاهر وهو خارج على مذهب العرب فى مثل هذا الباب معروف ومعناه ان من ذكرنى فى نفسه جازيته على ذكره لي واذا تقرب الىّ شبراً جازيته على تقربه الىّ وكذلك الخبر الى آخره فسمى المجازاة على الشيء باسمه اتساعاً كما قال تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها • ويمكرون ويمكر الله • الله يستهزئ بهم ﴾ •• وكما قال الشاعر

ألاَ لاَ يَجْهلَنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

ونظائر هذا كثير في كلام العرب ولما أراد تعالى المبالغة في وصف مايفعله به من الثواب والمجازاة على تقربه بالكثرة والزيادة كنى عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال باعاً وذراعاً اشارة الى المعنى من أبلغ الوجوه وأحسنها

مجلس آخر ٢٤

[تأويل آية] .. ان سأل سائل فقال ما تأويل قوله تعالى ﴿إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوبُ الحناجر وتظنون بالله الظنونا﴾ وكيف يجوز أن تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم أحياء ومعلوم ان القلب اذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه وعن أى شئ زاغت الأبصار وبأي شيء تعلقت ظنونهم بالله تعالى .. الجواب قيل له في هذه الآية وجوه .. منها أن يكون المراد بذلك انهم جبنوا وفزع أكثرهم لما أشرف المشركون عليهم وخافوا من بوائقهم وبوادرهم ومن شأن الجبان عند العرب اذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته ولهذا يقولون للجبان انتفخ سحره أى رئته وليس يمتنع أن تكون الرئة اذا انتفخت رفعت القلب ونهضت به الى نحو الحنجرة وهذا التأويل قد ذكره الفرّاء وغيره ورواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .. ومنها قيل ان القلوب توصف بالوجيب والاضطراب في أحوال الجزع والهلع .. قال الشاعر

كأَنَّ قلوبَ أدِلاَّئِها مُعلَّقةٌ بقُرُونِ الظِّباء

.. وقال امرؤ القيس

ولاَ مِثلَ يومٍ في قَدَارَانَ ظَلْتهُ كأَنى وأصحَابي علي قَرْنِ أعفَرَا

ويروى فى قدار ظللته أراد المبالغة فى وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة السكون والاستقرار وانما خص الظبي لأن قرنه أكثر تحركا ونشاطاً واضطراباً لنشاطه ومرحه وسرعته .. وقد قال بعض الناس ان امرأ القيس لم يصف شدةً اصابته فى

هـذا البيت فيليق قوله على قرنِ أعفرا بالتأويل المذكور بل وصف أماكن كان فيها مسروراً متنعماً ألا ترى الى قوله قبل هذا البيت بلا فصل

أَلاَ رُبَّ يومٍ صالحٍ قد شهدتهُ   بتاذقَ ذاتِ التلِّ من فوقِ طرطرا

فيكون معنى قوله على قرن أعفرا على هذا الوجه انه كان على مكان عال مشرف شبهه لارتفاعه وطوله بقرن الظبي وهـذا القول لابن الاعرابي والأول للاصمعي •• فأما قول الآخر

ألاَ قلَّ خيرُ الشأنِ كيفَ تغيَّرا   فأصبحَ يرمي النَّاسَ عن قرنِ أعفرا

فلا يشتمل الا الشدة والحال المذموم ويجوز أن يريد ان الناس فيه غير مطمئنين بل هم منزعجون قلقون كأنهم على قرن ظبي ويحتمل انه يطعنهم بقرن ظبي كقولك رماه بداهية ويكون معنى عن ههنا معنى الباء فقال عن قرن أعفرا وهو يريد بقرن أعفرا وقد ذكر في هذا البيت الوجهان معاً فيكون معنى الآية على هـذا التأويل ان القلوب لما اتصل وجيبها واضطربت بلغت الحناجر لشدة القلق •• ومنها أن يكون المعنى كادت القلوب من شدة الرعب والخوف تبلغ الحناجر وان لم تبلغ في الحقيقة فألقى ذكر كادت لوضوح الأمر فيها ولفظة كادت ههنا للمقاربة مثل قول قيس بن الحطيم

أتعرفُ رسماً كالطِّرازِ المُذهَّبِ   لعمرةَ وحشاً غيرَ موقفِ راكبِ

ديارَ التي كادتْ ونحنُ على منىً   تحلُّ بنا لولا نجاءُ الرَّكائبِ

معناه قاربت أن تحل بنا وان لم تحلل في الحقيقة •• وقوله ــ غير موقف راكب ــ فيه وجهان أحدهما انه ليس بموضع يقف فيـه راكب لخلوه من الناس ووحشته والآخر أن يكون انه أراد وحش إلاّ أن راكباً وقف به يعني نفسه •• وقال نصيب

وقد كنتُ يومَ الحزنِ لما ترنَّمتْ   هتوفُ الضحى محزونةً بالترنُّمِ

أموتُ لمبكاها أسىً إنَّ لوعتي   ووجدي بسعدى شجوهُ غيرُ منجمِ

معنى ــ المنجم ــ المقلع •• وقال ذو الرمة

وَقَفْتُ على رَبْعٍ لِمَيَّةَ ناقتى　　فمازلتُ أبكي عِنْدَهُ وا خاطبُهْ
وأسقيهِ حتى كادَ مما أَبُثُّهُ　　تُكَلِّمُنى أَحجارُهُ ومَلاعِبُهْ

وكل هذا معنى كاد فيه المقاربة ومن أدخلت العرب على كاد جحداً فقالوا ماكاد عبد الله يقوم ولم يكد عبد الله يقوم كان فيه وجهان أجودهما قام عبد الله بعد ابطاء ولأي ومثله قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) أي بعد ابطاء وتأخر لأن وجد ان البقرة عسر عليهم .. وروى انهم أصابوها ليتيم لا مال له غيرها فاشتروها من وليه بملء جلدها ذهباً فقال تعالى (وماكادوا يفعلون) إما لأنهم لم يقفوا عليها أو اغلائها وكثرة ثمنها .. والوجه الآخر فى قولهم مايكاد عبد الله يقوم أى مايقوم عبد الله وتكون لفظة يكاد على هذا المعنى مطرحة لاحكم لها وعلى هذا يحمل أكثر المفسرين قوله تعالى (إذا أخرج يده لم يكد يراها) أى لم يرها أصلاً لانه عز وجل لما قال (أو كظلمات فى بحر لجيّ يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحاب ظلماتٌ بعضها فوق بعض) كان بعض هذه الظلمات يحول بين العيون وبين النظر الى اليد وسائر المناظر فيكد على هذا التأويل زيدت للتوكيد والمعنى اذا أخرج يده لم يرها .. وقال قوم معنى الآية اذا أخرج يده رآها بعد إبطاء وعسر لتكاثف الظلمة وترادف الموانع من الرؤية فيكد على هذا الجواب ليست بزائدة .. وقال آخرون معنى الآية اذا أخرج يده لم يرد أن يراها لان ماشاهده من تكاثف الظلمات آيسه من تأمل يده وقرر فى نفسه انه لا يدركها ببصره .. وحكى عن العرب أولئك أصحابى الذين أكاد أنزل عليهم أي أريد أن أنزل عليهم .. وقال الشاعر

كادَتْ وكِدْتُ وتلكَ خيرُ إرادةٍ　　لوْ عادَ مِنْ لَهْوِ الصَّبابَةِ مامَضَى

أي أرادت وأردت .. وقال الأفوه الأودى

فإنْ تَجَمَّعَ أوْتادٌ وأعْمِدَةٌ　　وساكِنٌ بلَغوا الأمْرَ الّذِي كادُوا

أى أرادوا .. وقال بعضهم معنى قوله تعالى (كذلك كدنا ليوسف) أى أردنا ليوسف .. وقال الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس معناه كذلك صنعنا ليوسف .. ومما يشهد

لمن جعل لفظة يكد زائدة فى الآية •• قول الشاعر

سَرِيعٌ إلى الهيجاءِ شاكٍ سلاحهُ فما أنْ يكادُ قِرْنُهُ يتنفسُ

أى فما ان يتنفس قرنه ويكاد مزيدة للتوكيد •• وقال حسان

وتكادُ تكسلُ أنْ تجيءَ فِراشَها في جِسْمِ خَرْعبةٍ وحُسْنِ قَوامِ

ومعناه وتكسل أن تجيء فراشها •• وقال الآخر

وإلاَّ ألومُ النَّفسَ فيما أصابنى وإلاَّ أكادُ بالَّذي نِلتُ أنجحُ

أي لا أنجح بالذى نلت ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مدحاً •• وروى عبد الصمد بن المعذّل بن غيلان عن أبيه عن جده غيلان قال قدم علينا ذو الرمة الكوفة فأنشدنا بالكناسة وهو على راحلته قصيدته الحائية التي يقول فيها

إذا غيَّرَ النَّأيُ المُحبِّينَ لمْ يكَدْ رَسيسُ الهوى مِنْ حُبِّ ميَّةَ يَبْرَحُ

فقال له عبد الله بن شبرمة قد برح يا ذا الرمة ففكر ساعة ثم قال

إذَا غيَّرَ النَّأيُ المُحبِّينَ لمْ أجِدْ رَسيسَ الهوَى مِنْ حُبِّ ميَّةَ يبْرَحُ

قال فأخبرت أبي بما كان من قول ذى الرمة واعتراض ابن شبرمة عليه فقال أخطأ ذو الرمة في رجوعه عن قوله الأول وأخطأ ابن شبرمة في اعتراضه عليه هذا كقوله عزوجل (اذا أخرج يده لم يكد يراها) أى لم يرها •• فأما قوله عزوجل (إن الساعة آتية أكاد أُخفيها لتُجزى كل نفس) فيحتمل أن يكون المعنى أريد إخفاءها لكي تجزي كل نفس بما تسعى ويجوز أن تكون زائدة ويكون المعنى ان الساعة آتية أُخفيها لتجزى كل نفس •• وقد قيل فيه وجه آخر وهو أن يتم الكلام عند قوله تعالى (إن الساعة آتية أكاد) ويكون المعنى أكاد آتي بها ويقع الابتداء بقوله تعالى (أخفيها لتجزى كل نفس) •• ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابئ البرجمي

هممتُ ولمْ أفعلْ وكِدْتُ وليتَني تركْتُ علي عثمانَ تبكي حلائلهْ

أراد وكدت أقتله فحذف الفعل لبيان معناه •• وروى عن سعيد بن جبير انه كان يقرأ

أكاد أخفيها فمعني أخفيها على هذا الوجه أظهرها ٠٠ قال عَبْدَة بن الطبيب يصف ثوراً

يَخْفِي التُّرَابَ بِأَظْلَافٍ ثمانيةٍ ... فِي أَرْبَعٍ مَسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيلُ

أراد انه يظهر التراب ويستخرجه بأظلافه ٠٠ وقال امرؤ القيس

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا نَخْفِهِ ... وَإِنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لَا نَقْعُدُ

أى لا نظهره ٠٠ وقال النابغة

تَخْفِي بِأَظْلَافِهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ ... يُبْسَ الكَثِيبِ تَدَاعَى التُّرْبُ فَانْهَدَمَا

وقد روى أهل العربية أخفيت الشئ بمعنى سترته وأخفيته بمعنى أظهرته وكأن القراءة بالضم تحتمل الأمرين الاظهار والستر والقراءة بالفتح لا تحتمل غير الاظهار واذا كانت بمعنى الاظهار كان الكلام فى كاد واحتماله للوجوه الثلاثة التى ذكرناها كالكلام فيها اذا كانت بمعنى الستر والتغطية ٠٠ فان قيل فأى معنى لقوله إنى أسترها لتجزى كل نفس بما تسعى وأظهرها على الوجهين جميعاً وأى فائدة فى ذلك ٠٠ قلنا الوجه فى هذا ظاهر لانه تعالى اذا ستر عنا وقت الساعة كانت دواعينا الي فعل الحسن والقبيح مترددة واذا عرفنا وقتها بعينه كنا ملجئين الى التوبة بعد مقارفة الذنوب ونقض ذلك الغرض بالتكليف واستحقاق الثواب به فصار ما أريد به من المجازاة للمكلفين بسعيهم واتصال ثواب أعمالهم يمنع من اطلاعهم على وقت انقطاع التكليف عنهم فأما اذا كانت لفظة أخفيها بمعنى الاظهار فوجهه أيضاً واضح لانه تعالى انما يقيم القيامة ويقطع التكليف ليجازى كُلاً باستحقاقه ويوفي مستحق الثواب ثوابه ويعاقب المسيء باستحقاقه فوضح وجه قوله تعالى ﴿ أكاد أُخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ على المعنيين جميعاً [قال المرتضى رضى الله عنه] ٠٠ وجدت أبا بكر محمد بن القاسم الانباري يطعن على جواب من أجاب فى قوله تعالى ﴿ وبلغت القلوب الحناجر ﴾ بان معناه كادت تبلغ الحناجر ويقول كاد لا تضمر ولا بد أن يكون منطوقاً بها ولو جاز ضمرها لجاز أن يقال قام عبد الله بمعني كاد عبد الله يقوم فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله لان معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم وهذا الذى ذكره غير صحيح ونظن ان الذي حمله على الطعن في هذا الوجه

حكايته له عن ابن قتيبة لان من شأنه أن يردّ كل ما يأتي به ابن قتيبة وان اعسف فى الطعن عليه والذى استبعده غير بعيد لان كاد قد تضمر فى مواضع ويقتضيها بعض الكلام وان لم تكن في صريحه ألا ترى انهم يقولون أوردت على فلان من العتاب والتوبيخ والتقريع مامات عنده وخرجت نفسه ولما رأى فلان فلاناً لم يبق فيه روح وما أشبه ذلك ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة ولا بد من اضمار كاد فيه . . وقال جرير

إنَّ العيونَ التي في طرفها مَرَضٌ قَتَلننا ثمَّ لمْ يُحْيِينَ قتلاَنا

وانما المعنى انهن كدن يقتلننا فهذا أكثر فى الشعر والكلام من أن نذكره وليس يمتنع فأما قوله يحيين قتلانا فالأظهر فى معناه انهن لم يزلن يفعلن ماقاربنا عنده الموت والقتل من الصدود والهجر وما أشبه ذلك وسمى هذه الأمور حياة كما سمى اضدادها قتلا وقد قيل ان معني يحيين قتلانا انهن لم يدين قتلانا من الدية لان دية القتيل عند العرب كالحياة له وقد روى ثم لم يحيين قتلانا وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا محصل ومعناها ضعيف ركيك واذا كان الأمر على ما ذكرناه لم يمتنع أن يقال قام فلان بمعنى كاد يقوم اذا دلت الحال على ذلك كما يقال مات بمعنى كاد يموت . . فأما قوله فيكون تأويل قوله قام عبد الله لم يقم عبد الله خطأ لانه ليس معنى كاد يقوم انه لم يقم كما ظن بل معناه انه قارب القيام ودنا منه فمن قال قام عبد الله وأراد كاد يقوم فقد أفاد مالا يفيده لم يقم . . وأما قوله تعالى (زاغت الأبصار) فمعناه زاغت عن النظر الى كل شئ فلم تلتفت إلا الى عدوها ويجوز أن يكون المراد بزاغت أي جارت ومالت عن القصد فى النظر دهشاً وتحيراً . . فأما قوله تعالى (وتظنون بالله الظنونا) معناه انكم تظنون مرة انكم تنصرون وتظهرون على عدوكم ومرة انكم تبتلون وتمتحنون بالتخلية بينكم وبينهم ويجوز أيضاً أن يريد الله تعالى ان ظنونكم اختلفت فظن المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله تعالى به من النصرة وشكوا فى خبره عزوجل كما قال تعالى حكاية عنهم (ماوعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً) وظن المؤمنون ما طابق وعد الله تعالى لهم كما حكى عزوجل عنهم فى قوله (هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) وكلما ذكرناه واضح فى تأويل الآية وما تعلق بها

مجلس آخر ٢٥

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (وجعلنا نوْمَكُمْ سُباتاً) فقال اذا كان السبات هو النوم فكأنه قال وجعلنا نومكم نوماً وهذا مما لافائدة فيه .. الجواب قيل له فى هذه الآية وجوه .. منها أن يكون المراد بالسبات الراحة والدعة .. وقد قال قوم ان اجتماع الخلق كلهم كان في يوم الجمعة والفراغ منه في يوم السبت فسمى اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ولان الله تعالى أمر بني اسرائيل فيه بالاستراحة من الأعمال قيل وأصل السبات التمدد يقال سبتت المرأة شعرها اذا حلته من العقص وأرسلته .. قال الشاعر

وإنْ سَبَتَتْهُ مالَ جَثْلاً كأَنهُ ... سدَاوَاهلاَتٍ من نوَاسِجِ خَثْعَما

أراد إن أرسلته .. ومنها أن يكون المراد بذلك القطع لان السبت القطع والسبت أيضاً الحلق يقال سبت شعره سبتا اذا حلقه وهو يرجع الى معنى القطع والنعال السبتية التى لا شعر عليها .. قال عنترة

بَطَلٌ كأَنَّ ثِيابَهُ في سَرْحةٍ ... يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ ليْسَ بتوْأَمِ

ويقال لكل أرض مرتفعة منقطعة مما حولها سبتاء وجمعها سباتي فيكون المعنى على هذا الجواب جعلنا نوْمكم سباتاً أي قطعاً لأعمالكم وتصرفكم .. ومن أجاب بهذا الجواب يقول انما سمي يوم السبت بذلك لان بدء الخلق كان يوم الأحد وجمع يوم الجمعة وقطع يوم السبت فترجع التسمية الى معنى القطع .. وقد اختلف الناس في ابتداء الخلق فقال أهل التوراة ان الله ابتدأه فى يوم الأحد وكان الخلق فى يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ثم فرغ في يوم السبت وهذا قول أهل التوراة .. وقال آخرون ان الابتداء كان فى يوم الاثنين الى السبت وفرغ في يوم الأحد وهذا قول أهل الانجيل .. فأما قول أهل الاسلام فهو ان ابتداء الخلق كان يوم السبت واتصل الى يوم الخميس وجعلت الجمعة عيداً فعلى هذا القول الآخر يمكن

أن يسمي اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بعض خلق الأرض •• فقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الله تعالى خلق البرّيّة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحـد •• ومنها أن يكون المراد بذلك إنّا جعلنا نومكم سُباتاً ليس بموت لان النائم قد يفقد من علومه وقصوده وأحواله أشياء كثيرة يفقدها الميت فأراد تعالى أن يمتن علينا بان جعل نومنا الذي يضاهي فيه بعض أحوالنا أحوال الميت ليس بموتٍ على الحقيقة ولا بمخرج لنا عن الحياة والادراك فجعل التأكيد بذكر المصـدر قائماً مقام نفي الموت وسادّاً مسـد قوله تعالى وجعلنا نومكم ليس بموت •• ويمكن أن يكون في الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو أن السُّبات ليس هو كل نوم وانما هو من صفات النوم اذا وقع على بعض الوجوه والسُّبات هو النوم الممتد الطويل السكون ولهذا يقال فيمن وصف بكثرة النوم انه مسبوت وبه سُبات ولا يقال ذلك في كل نائم واذا كان الأمر على هذا لم يجر قوله . وجعلنا نومكم سُباتاً ﴾ مجرى أن يقول وجعلنا نومكم نوماً •• والوجه في الامتنان علينا بان جعل نومنا ممتداً طويلا ظاهرٌ وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة لان التهويم والنوم الغرار لايكسبان شيئاً من الراحة بل يصحبهما في الأكثر القلق والانزعاج والهموم وهي التي تقلل النوم وتنزره وفراغ القلب ورخاء البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده وهذا واضح •• [قال المرتضي] رضي الله عنه ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم الانباري يطعن على الجواب الذي ذكرناه أوّلاً ويقول إن ابن قتيبة أخطأ في اعتماده لان الراحة لا يقال لها سباتٌ ولا يقال سبت الرجل بمعنى استراح وأراح ويعتمد على الجواب الذي ثنينا بذكره ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قولهم سبتت المرأة شـعرها ان معناه أيضاً القطع لأن ذلك انما يكون بازالة الشداد الذي كان مجموعاً به وقطعه •• والمقدار الذي ذكره ابن الانباري لايقدح في جواب ابن قتيبة لانه لا ينكر أن يكون السُّـبات هو الراحة والدّعة اذا كانتا عن نوم وان لم توصف كل راحة بأنها سُبات ويكون هـذا الاسم يختص الراحة اذا كانت على هذا الوجه ولهذا نظائر كثيرة في الأسماء واذا أمكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم سبت الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على أن السُّبات لا يكون إسماً للراحة عند النوم

والذي يبقى على ابن قتيبة أن يبين أن السبات هو الراحة والدعة ويستشهد على ذلك بشعر أو لغة فان البيت الذي ذكره يمكن أن يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال •• فان قيل فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذى ذكرتموه أخيراً قلنا الفرق بينهما بيّن لان ابن قتيبة جعل السبات نفسه راحة وجعله عبارة عنها وأخذ يستشهد على ذلك بالتمدد وغيره ونحن جعلنا السبات نفسه من صفات النوم والراحة واقعة عنده للامتداد وطول السكون فيه فلا يلزمنا أن يقال سبت الرجل بمعنى استراح لان الشيء لا يسمى بما يقع عليه حقيقة والاستراحة تقع على جوابنا عند السبات وليس السبات إياها بعينها على ان فى الجواب الذي اختاره ابن الانبارى ضرباً من الكلام لان السبت وان كان القطع على ما ذكره فلم يسمع فيه البناء الذى ذكره وهو السبات ويحتاج فى اثبات مثل هذا البناء الى سمع عن أهل اللغة وقد كان يجب أن يورد من أى وجه اذا كان السبت هو القطع جاز أن يقال سبات على هذا المعنى ولم نره فعل ذلك

[تأويل خبر] •• ان قال قائل ما تأويل الخبر الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه •• وفى رواية أخرى ان الميت يعذب فى قبره بالنياحة عليه •• وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة أيضاً فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من نيح عليه فانه يعذب بما نيح عليه •• الجواب أنّا اذا كنّا قد علمنا بأدلة العقل التى لا يدخلها الاحتمال ولا الاتساع والمجاز قبح من أخذه أحد بذنب غيره وعلمنا أيضاً ذلك بأدلة السمع مثل قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فلا بد أن نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الأدلة الى ما يطابقها ••• والمعنى فى الأخبار التى سئلنا عنها ان صحت روايتها انه اذا أوصى موص بأن يناح عليه ففعل ذلك بأمره وعن إذنه فانه يعذب بالنياحة عليه وليس معنى يعذب بها انه يؤاخذ بفعل النواح وانما معناه أن يؤاخذ بأمره بها ووصيته بفعلها وانما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لان الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيأمرون به ويؤكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم •• قال طرفة بن العبد

فإنْ مُتُّ فانعيني بما أنا أهلهُ　　وشقّي عليَّ الجيبَ ياأمَّ معبدِ

.. وقال بشر بن أبي خازم لابنته عميرة

فمَن يَكُ سائلاً عن بيت بِشرٍ　　فإنَّ لهُ بجنبِ الرَّدْمِ بابا

ثوَى في مَلْحَدٍ لا بُدَّ منهُ　　كفَى بالموت نأياً واغترابا

رَهينُ بلىً وكلُّ فتىً سيبلى　　فأذري الدَّمعَ وانتحبي انتحابا

وقد روى عن ابن عباس فى هذا الخبر انه قال وهَل ابن عمر انما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودى فقال انكم لتبكون عليه وانه ليعذب فى قبره .. وقد روى ابن بكار هذا الخبر أيضاً عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما أخبرت بروايته وَهَل أبو عبد الرحمن كما وَهَل يوم قليب بدر إنما قال عليه الصلاة والسلام ان أهل الميت ليبكون عليه وانه ليعذب بجرمه .. [قال المرتضى] رضى الله عنه يعنى ـ وَهَل ـ أى ذهب وهمه الى غير الصواب يقال وَهَلت الى الشئ فأنا أهل وهلا اذا ذهب وهمك اليه ووهلت عنه أهل وهلاً أى نسيته وغلطت فيه ووهل الرجل يوهل وهلاً اذا فزع والوهل الفزع .. فأما ـ القليب ـ فهي البئر والجمع القلب .. قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين

يُنادِيهم رَسولُ اللهِ لما　　قذفناهمْ كباكبَ في القليبِ

ألمْ تجدُوا حديثي كانَ حقّاً　　وأمرُ اللهِ يأخُذُ بالقلوبِ

.. وقال آخر يبكي على قتلى بدر من المشركين

فماذَا بالقليبِ قليبِ بَدْرٍ　　منَ الفتيانِ والشرْبِ الكرامِ

وماذَا بالقليبِ قليبِ بَدْرٍ　　مِنَ الشِّيزَى يُكَلَّلُ بالسَّنامِ

وموضع وَهله فى ذكر القليب انه روى أن النبى صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ثم قال انهم ليسمعون ما أقول فأنكر ذلك عليه وقيل انما قال عليه الصلاة والسلام انهم الآن ليعلمون ان الذي كنت أقوله لهم هو

الحق واستشهد بقول الله عز وجل (إنك لا تُسمِع الموتى) وأهل القليب جماعة من قريش منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم •• وروى عن عبد الله ابن مسعود أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قائماً يصلي بمكة وأناس من قريش فى حلقة فيهم أبو جهل بن هشام فقال ما يمنع أحدكم أن يأتي الجزور التى نحرها آل فلان فيأخذ سلاها ثم يأتي به حتى اذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث أشقى القوم وأنا أنظر اليه فجاء به حتى وضعه على ظهره قال عبد الله لو كانت لي يومئذ منعة لمنعته وجاءت فاطمة رضوان الله عليها عليه وهي يومئذ صبية حتى أماطته عن ظهر أبيها ثم جاءت حتي قامت على رؤسهم فأوسعتهم شتماً قال فوالله لقد رأيت بعضهم يضحك حتي انه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك فلما سلّم النبى صلى الله عليه وسلم أقبل على القوم فقال اللهم عليك بفلان وفلان فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا عليهم أسقط في أيديهم قال فوالله الذي لا إله غيره ماسمى النبي صلى الله عليه وسلم أحداً إلاّ وقد رأيته يوم بدرٍ وقد أخذ برجله يجر الى القليب مقتولا وقوله ــ فيأخذ سلاها ــ أي جلدتها التى فيها ولدها ما دام فى بطنها والجمع الأسلاء •• وقال ابن حبيب الأسلاء التى فيها الأولاد •• قال الأخطل

وَيَطَّرِحْنَ بالثغرِ السِّخالَ كأنَّما يُشقِّقْنَ بالأسلاءِ أرْدِيَةَ العَصْبِ

•• وقال الشماخ

والعِيسُ دَامِيةُ المَناسِمِ ضُمَّرٌ يَقذِفنَ بالأسلاءِ تحتَ الأرْكُبِ

•• قال الفراء سقط في أيديهم من الندامة وأسقط لغتان وهو بغير ألف أكثر وأجود ••ويمكن أن يكون في قوله يعذب ببكاء أهله وجه آخر وهو أن يكون المعنى ان الله تعالى اذا أعلمه ببكاء أهله وأعزته عليه وما لحقهم بعده من الحزن والهم تألم بذلك فكان عذاباً له والعذاب ليس بجارٍ مجرى العقاب الذى لا يكون إلاّ على ذنب متقدم بل قد يستعمل كثيراً بحيث يستعمل الألم والضرر ألا ترى ان القائل قد يقول لمن ابتدأه بالضرر والألم قد عذبتنى بكذا وكذا كما يقول أضررت بي وآلمتني وانما لم يستعمل

العقاب حقيقة فى الايلام المبتدأ من حيث كان اشـتقاق لفظه من المعاقبة التي لابد من تقدم سبب لها وليس هذا فى العذاب

[تأويل خبر] •• ان سأل سائل عن الخبر الذى يرويه أبوهريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد يدخله عمله الجنة وينجيه من النار قيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلاّ أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل يقولها ثلاثاً •• فقال أليس فى هذا دلالة على ان الله تعالى يتفضل بالثواب وانه غير مستحق عليـه ومذهبكم بخلاف ذلك •• الجواب قلنا فائدة الخبر ومعناه بيان فقر المكلفين الى الله تعالى وحاجتهم الى ألطافه وتوفيقاته ومعوناته وان العبد لو أخرج الى نفسه وقطع الله تعالى مواد المعونة واللطف عنه لم يدخل بعمله الجنة ولا نجا من النار فكأنه عليه الصلاة والسلام أراد ان أحداً لايدخل الجنـة بعمله الذي لم يعنه الله تعالى عليه ولا لطف له فيه ولا أرشده اليـه وهذا هو الحق الذى لا شبهة فيه •• وأما الثواب فما تأبى القول بأنه تفضل بمعنى ان الله تعالى تفضل بسببه الذى هو التكليف ولهذا نقول انه لا يجب على الله تعالى شئ ابتداء وانما يجب عليه ما أوجبه على نفسـه فالثواب مما كان أوجبه على نفسـه بالتكليف وكذلك التمكين والالطاف وكلما يجلبه ويوجبه التكليف ولولا إيجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب •• فان قيل فقد سمي الرسول عليه الصلاة والسلام مايفعل به فضلا فقال إلاّ أن يتغمدنى الله برحمة منه •• وفضل قلنا هذا يطابق ماذكرناه لان الرحمة النعمة والثواب نعمة وهو فضل وتفضل من الوجه الذى ذكرناه وان حملنا قوله عليه الصلاة والسلام برحمة منه وفضل على مايفعل به من الالطاف والمعونات فهى أيضاً فضل وتفضل لان سببها غير واجب •• فأما قوله عليه الصلاة والسلام يتغمدني الله فمعناه يسـترني يقال غمدت السيف فى غمده اذا سترته •• قال الشاعر

نَصَبْنا رِماحاً فوقَها جَدُّ عامرٍ ... كظِلِّ السَّماءِ كلَّ أرضٍ تغمَّدَا

ـ فالجد ـ هنا البخت والحظ وشبه ما قسم لعامر من الغلبة والظفر بظل السماء الذى يستر كل شئ ويظهر عليه •• أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن حنيفاء قال أخبرنا أبو عبد الله محمـد بن أحمد الحكيمي قراءة عليه قال أملي علينا أبو العباس أحمد

ابن يحيى ثعلب النحوي قال أخبرنا ابن الاعرابي قال يقال للقوم اذا دعوت عليهم بهرهم الله والمبهور هو المكروب وأنشدنا

أَبْرَزُوها مِثلَ المَهاةِ تَهادَى بينَ خَمْسٍ كَوَاعِبٍ أَتْرَابِ
ثُمَّ قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهْرًا عدَدَ القَطْرِ والحَصَي والتُّرَابِ

[قال المرتضى] ٠٠ رضي الله عنه وقد قيل في معنى قوله بهراً غير هذا الوجه ٠٠ أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أخبرني أحمد بن يحيى الصولي قال حدثنا القاسم بن اسماعيل قال حدثنا الثوري عن أبي عمر الاسدي قال سمعت أباعمرو بن العلاء يقول عمر بن ربيعة حجة في العربية وما أخذ عليه شيء الا قوله ـ ثم قالوا تحبها قلت بهراً ـ وله فيه عذر ان أراد الخبر لا الاستفهام كأنهم قالوا أنت تحبها على جهة الاخبار منهم لا الاستفهام فوكد هو إخبارهم بجوابه فهذا حسن وبهراً يجوز أن يكون أراد نعم حباً بهرني بهراً ويكون أيضاً بمعنى عقراً وتعساً ودعا عليهم إذ جهلوا من حبه لها مالايجهل مثله ٠٠ وأنشد أبو عمرو بن العلاء

لَحَا اللهُ قومي إذْ يَبيعونَ مُهْجَتِي بجارِيَةٍ بَهْرًا لهمْ بَعْدَها بَهْرَا

٠٠ قال أبو عمرو يكون بهراً بمعنى ظاهراً يريد حباً ظاهراً من قولهم قمرٌ باهرٌ ٠٠ وقد روى بعض الرواة انه قال ـ قيل لي هل تحبها قلت بهراً ـ والرواية الأولى هي المشهورة ولعل من روى ذلك فر بهذه الرواية من اللحن وهذان البيتان لعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي من جملة أبيات منها

مَنْ رَسُولي الى الثُّرَيَّا بأَني ضِقْتُ ذَرْعاً بِهَجْرِها والكِتَابِ
وهيَ مَكْنونةٌ تَحَيَّرَ منها في أَدِيمِ الخدَّيْنِ ماءُ الشَّبابِ
سَلَبَتْني مُجَاجةُ المِسكِ عَقلي فَسَلُوها بما يَحِلُّ اغتصابي
أَزهقَتْ أُمُّ نوفلٍ اذ دَعَتْها مُهْجَتي ما لِقاتلي مِنْ مَتابِ

حينَ قالتْ لها أجيبي فقالتْ ... مَنْ دَعاني قالتْ أبو الخطَّابِ
أبرَزُوها مثلَ المَهاةِ تَهادَى ... بينَ خَمْسٍ كواعبٍ أتْرابِ
ثمَّ قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهْرًا ... عددَ القطرِ والحصَى والتُّرابِ

والثريا هي التي عناها عمر أموية وقد اختلف في نسبها فقيل انها الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر أبو عبد شمس وقيل انها الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر وذكر الزبير بن بكار ان الثريا هى بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن الحارث بن أُمية الأصغر وانها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبي جراب العبلي الذى قتله داود بن علي .. وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن الافلح قال خبرني بلال بن أبي عتيق في حديث طويل لعمر بن أبي ربيعة مع الثريا اختصرناه وأوردنا بعضه قال لما سمع ابن أبي عتيق قول عمر — من رسولي الى الثريا بأنى — قال إياى أرادوبي نوّه لا جرم والله لا أذوق أكلاً حتى أشخص اليه لاصلح بينهما فنهض ونهضت معه فجاء قوما من بني الدئل بن أبي بكر لم تكن النجائب تفارقهم يكرونها فاكترى منهم راحلتين وأغلى لهم بها فقلت له استوضعهم شيئاً أو دعني أما كسهم فقد استطولوا فقال لي ويحك أما علمت ان المكاس ليس من خلق الله الكرام وركب إحداهما وركبت الأخرى فسار سيراً شديداً فقلت له ارفق على نفسك فان من تريد لا يفوتك فقال ويحك — أبادر حبل الود أن يتقضبا — ومن ملح الدنيا أن يلتئم الصدع بين عمر والثريا فقدمنا مكة ليلا غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج اليه فسلم عليه فما نزل ابن أبي عتيق عن راحلته وقال لعمر اركب أصلح بينك وبين الثريا فاني رسولك الذي سألت عنه فركب معه فقدمنا الطائف فقال ابن أبي عتيق للثريا هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة اليك فجئتك به معترفاً بذنب لم يجنه معتذراً من اساءتك اليه فدعيني من التعداد والترداد فانه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته أحسن صلح وكررنا راجعين الى المدينة ولم يقم ابن أبي عتيق بمكة ساعة واحدة .. وفي الثريا يقول عمر

ابن أبي ربيعة أيضاً لما تزوّجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف المكنى بأبي الأبيض وقيل بل تزوّجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان

أيُّها ٱلمُنكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيلاً   عَمْرَكَ ٱللهُ كيفَ يلتقيانِ
هيَ شاميةٌ إِذَا ما ٱستقلَّتْ   وسُهَيلٌ اذا ٱستقلَّ يمانِي

مجلس آخر ٢٦

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (فغشيهم من اليم ما غشيهم) فقال ما الفائدة في قوله ما غشيهم وقوله غشيهم يدل عليه ويستغنى به عنه لان غشيهم لا يكون إلاّ الذي غشيهم وما الوجه في ذلك .. الجواب قد ذكر في هذا أجوبة .. أحدها أن يكون المعنى فغشيهم من اليم البعض الذي غشيهم لانه لم يغشهم جميع مائه بل غشيهم بعضه فقال ما غشيهم ليدل على ان الذي غرقهم بعض الماء وانهم لم يغرقوا بجميعه وهذا الوجه حكي عن الفراء وذكره أبو بكر الانباري واعتمده وغيره أوضح منه . واليم هو البحر .. قال الشاعر

وبَنَى تُبَّعٌ علي اليَمِّ قَصْرًا   عالِيًا مُشْرِفًا على البُنْيانِ

.. وثانيها أن يكون المعنى فغشيهم من اليم ما غشى موسى وأصحابه وذلك ان موسى عليه الصلاة والسلام وأصحابه وفرعون وأصحابه سلكوا جميعا البحر وغشيهم كلهم إلاّ أن فرعون وقومه لما غشيهم غرقهم وموسى عليه الصلاة والسلام وقومه جعل لهم في البحر طريق يبس فقال تعالى فغشى فرعون وقومه من ماء اليم ما غشى موسى وقومه فنجا هؤلاء وهلك هؤلاء وعلى هذا الوجه والتأويل تكون الهاء في قوله ما غشيهم كناية عن غير من كنى تعالى عنه بقوله فغشيهم لان الأولى كناية عن فرعون وقومه والثانية كناية عن موسى وقومه .. وثالثها انه غشيهم من عذاب اليم وإهلاكه لهم ما غشى الأمم السالفة من العذاب والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم وإقامتهم على رد أقوالهم

والعدول عن ارشادهم والأمم السالفة وان لم يغشهم الهلاك والعذاب من قبل البحر فقد غشيهم عذاب واهلاك استحقوهما بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم فشبه بينه وبين هؤلاء من حيث اشتمال العذاب على جميعهم عقوبة على التكذيب .. ورابعها أن يكون المعنى فغشيهم من قبل اليم ما غشيهم من العطب والهلاك فتكون لفظة غشيهم الاولى للبحر والثانية للهلاك والعطب اللذين لحقاهم من قبل البحر .. ويمكن في الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو واضح يليق بمذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى (ما غشيهم) تعظيم الأمر وتفخيمه كما يقول القائل فعل فلانٌ ما فعل وأقدم على ما أقدم اذا أراد التفخيم وكما قال تعالى (وفعلت فعلتك التي فعلت) وما يجري هذا المجرى ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل هذا هـذا وأنت أنت وفي القوم هم هم .. قال الهذلي

رَفَوْني وقالوا يا خُوَيلِدُ لاَ تُرَعْ فقلتُ وأَنكَرْتُ الوُجوهَ هُمُ هُمُ

.. وقال أبو النجم

أنا أبو النجمِ وشِعْرِي شِعْرِي

كل ذلك أرادوا تعظيم الأمر وتكبيره

مجلس آخر ٢٧

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم) فقال ما الفائدة في قوله من فوقهم وهو يفيده قوله فخر عليهم السقف لان مع الاقتصار على القول الأول لا يذهب وهم أحد الى أن السقف يخر من تحتهم .. الجواب قيل له في ذلك أجوبة .. أولها أن يكون من بمعنى عن فيكون المعنى فخر عنهم السقف من فوقهم أي خر عن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته كما يقول القائل اشتكى فلان عن دواء شربه فيكون من وعن بمعنى واحد أي من أجل الدواء وكذلك يكون معنى الآية

نخر من أجل كفرهم السقف من فوقهم •• قال الشاعر

أَرْمِي عليْها وهيَ فَرْعٌ أجمعُ   وهيَ ثلاثُ أذْرُعٍ وإصبعُ

أراد أرمي عنها لأن كلام العرب رميت عن القوس فأقام على مقام عن ولو انه قال تعالى على هذا المعنى نخر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم جاز أن يتوهمُ متوهمٌ ان السقف خر وليس هم تحته •• وثانيها أن يكون على بمعني اللام والمراد نخر السقف فان على قد تقام مقام اللام •• وحكي عن العرب ما أغيظك عليّ وما أغمك عليّ يريدون ما أغيظك لي وما أغمك لي •• قال الطِرِمّاح يصف ناقة

كأنَّ مَجَرَّاها على ثفناتِها   مُعَرَّسُ خَمْسٍ وُقِّعتْ لِلجَناجِنِ (١)

اراد وقعت على الجناجن وهي عظام الصدر فأقام اللام مقام على •• وقد يقول القائل أيضاً تداعت على فلان داره واستهدم عليه حائطه ولا يريد انه كان تحته فأخبر تعالى بقوله (من فوقهم) عن فائدةٍ لولاه ما فهمت والجاز أن يتوهم متوهم فى قوله نخر عليهم السقف ما يتوهمه من قوله خرب عليه ربعه ووقعت عليه دابته وأشباه ذلك •• وللعرب في هذا مذهبٌ طريف لطيف لانهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا الموضع إلا في الشر والأمر المكروه الضار ويستعملون اللام وغيرها فى خلاف ذلك ألا ترى أنهم لا يقولون عمرت على فلان ضيعته بدلا من قولهم خربت عليه ضيعته ولا ولدت عليه

---

(١) ــ الثفنات ــ جمع ثفنة بفتح فكسر وهو من البعير ركبته وما مس الارض من كركرته وسعداناته وأصول أفخاذه ــ والمعرس ــ محل التعريس وهو النزول آخر الليل يريد محل مبيتها وبعده

وقعن اثنتين واثنتين وفردة   يبادرن تغليساً سمال المداهن

ــ السمال ــ جمع سملة وهي بقية الماء في الحوض ــ والمداهن ــ جمع مدهن وهي نقر فى رؤس الجبال يستنقع فيها الماء وقد سبق الى هذا المعنى ذو الرمة فقال

كان مجراها على ثفناتها   معرس خمس من قطا متجاور

وقعن اثنتين واثنتين وفردة   جريدا هي الوسطى بصحراء جائر

جاريته بل يقولون عمرت له ضيعته وولدت له جاريته وهكذا من شأنهم اذا قالوا قال علىّ وروى على فانه يقال فى الشر والكذب وفي الخير والحق يقولون قال عنّي وروي عنّي ومثل ذلك قوله تعالى (واتبعوا ماتتلو الشياطين على مُلك سليمان) لانهم لما أضافوا الشر والكفر الى ملك سليمان حسن أن يقال تتلو عليه ولو كان خيراً لقيل عنه ومثله (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وقوله (أتقولون على الله مالا تعلمون) .. وقال الشاعر

عَرَضْتُ نَصيحةً مِنّي لِيَحْيَى ... فقالَ غَشَشْتَني والنُّصْحُ ضُرُّ

ومالي لاَ أَكونُ أَعيبُ يَحيَى ... ويَحيَى طاهِرُ الأَخلاَقِ بَرُّ

ولكنْ قدْ أتاني أَنَّ يَحيَى ... يُقالُ عليـهِ في نَفْعاءَ شَرُّ

فقلْتُ لهُ تَجنَّبْ كلَّ شيْءٍ ... يُعابُ عليكَ إِنَّ الحُرَّ حُرُّ

ومثله قول الفرزدق فى عنبسة بن سعدان المعروف بعنبسة الفيل وقد كان يتبع شعره ويخطئه ويلحنه [1]

---

(١) ــ قلت ــ كان عنبسة يعيب على الفرزدق مثل قوله

وعض زمان يا بن مروان لم يدع ... من المال الامسحتاً أو مجلف

ــ المسحت ــ المبدد ــ والمجلف ــ الذي ذهبت به السنون وكان الفرزدق لحانة على جودة شعره وكان لحاشا لايعترض عليه أحد الاهجاه وقد سأله بعضهم عن رفع مجلف فى البيت فغضب وقال علىّ أن أقول وعليكم أن تحتجوا وأنكر عليه عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمى قوله

مستقبلين شمال الشام تضربنا ... بحاصب من نديف القطن منثور

على عمائمنا تلقى وأرحلنا ... على زواحف نزجى مخها ريرُ

فقال الا قلت (على زواحف نزجيها محاسير) فغضب وقال

فلو كان عبدالله مولى هجوته ... ولكن عبد الله مولى مواليا

لقدْ كانَ في معْدانَ والفيلِ زاجرٌ ... لِعنْبسةَ الرّاوِي عليَّ القصائدَا

فقال عليّ ولم يقل عني للمعنى الذي ذكرناه •• وثالث الوجوه في الآية أن يكون من فوقهم تأكيداً للكلام وزيادة في البيان كما قال تعالى (ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) والقلب لايكون إلاّ فى الصدر ونظائر ذلك في الكتاب كثير وفى كلام الأدب أيضاً والله أعلم

[تأويل خبر آخر أيضاً] •• إن سأل سائل عن الخبر الذى يرويه نافع عن أبى اسحاق الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن مأدبة لله تعالى فتعمدوا مأدبته ما استطعتم وان أصفر البيوت لبيتاً أصفر من كتاب الله فقال ما تأويله وكيف بيان غريبه •• الجواب ــ المأدُبة ــ في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ويدعو اليه الناس فشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما يكتسبه الانسان من خير القرآن ونفعه وعائدته اذا قرأه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به يقال قد أدب الرجل يأدب فهو آدب اذا دعا الناس الى طعامه وشرابه ويقال للمأدبة المدعاة وذكر خلف الأحمر انه يقال فيه أيضاً مأدَبة بفتح الدال •• قال طرفة العبدى

نحنُ فى المَشْتاةِ ندْعو الجفَلَى ... لاَ ترَى الآدِبَ فِينا يَنتَقِرْ

ومعنى ــ الجفلى ــ أنه عم بدعوته ولم يخص بها قوماً دون قوم •• والنقرى إذا خص بها بعضاً دون بعض ومعنى ــ ينتقر ــ من النقرى •• قال بعض هذيل

وليلةٍ يَصطَلي بالفَرْثِ جازِرُها ... يَخْتَصُّ بالنَّقَرَى المُثرِينَ داعِيها

لاَ ينْبحُ الكلْبُ فِيها غيرَ واحِدَةٍ ... عِندَ الصَّباحِ ولاَ تَسْرِي أفاعِيها

معنى ــ يصطلى بالفرث جازرها ــ أن الجازر اذا شق فيها الكرش أدخل يده لشدة البرد في الفرث مستدفئاً به ومعنى ــ يختص بالنقرى المثرين داعيها ــ أنه يخص بدعائه الى طعامه الأغنياء الذين يطمع من جهتهم فى المكافأة •• وقال الآخر

قَالوا الثلاثاء أُهُ خِصْبٌ ومأْدُبَةٌ ... وكلُّ أيامهِ يومُ الثَّلاثاء

•• وقال الهذلي يصف عقاباً

كأنَّ قلوبَ الطَّيرِ في جوفِ وكرِها ... نوى القَسْبِ مُلْقًى عندَ بعضِ المآدبِ[1]

أراد جمع مأدبة •• وقد روى هذا الحديث بفتح المأدبة •• وقال الأحمر المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم •• وقال غيره المأدبة بفتح الدال مفعلة من الأدب معناه ان الله تعالى أنزل القرآن أدباً للخلق وتقويماً لهم وانما دخلت الهاء في مأدُبة ومأدَبَة والقرآن مذكر لمعني المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس •• وكما قال عنترة

والكُفرُ مَخبَثةٌ لنفسِ المُنعِمِ

وجرى ذلك مجرى قولهم رجل علامة ونسَّابة في باب المدح على جهة التشبيه بالهداية ورجل هلباجة في باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة •• ويقال لطعام الاملاك وليمة ولطعام الختان العذيرة ولطعام الزفاف العرس ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام حلق الشعر العقيقة ولطعام القادم من السفر النقيعة ولطعام النفاس الخرس والذى تطعمه النفساء نفسها الخرسة •• قال الشاعر

اذا النفساء لم تُخَرَّسْ ببِكرِها ... غلاماً ولم تُسكَتْ بحِترٍ فطيمُها

ـ الحتر ـ الشيء القليل •• وقال آخر

كلُّ الطَّعامِ تَشتَهي رَبيعهْ ... العرسُ والإعذارُ والنَّقيعهْ

ويروى الخرس ••وينشد أيضاً في النقيعة قول الشاعر

إنَّا لَنَضرِبُ بالسُّيوفِ رُؤُوسَهمْ ... ضَرْبَ القُدارِ نَقيعةَ القُدَّامِ

ـ القدار ـ الجزار ـ والقدام ـ جمع قادم •• وقال أبو زيد يقال لطعام الاملاك النقيعة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام الختان الاعذار والعذيرة •• وقال الفراء

---

(١) ـ القسب ـ بفتح فسكون اليابس من التمر

الشبدخي طعام الاملاك والوليمة طعام العرس ٠٠ وقال أبو زيد يقال من النقيعة نقعت ٠٠ وقال الفراء منها أنقعت ٠٠ وقال ابن السكيت يقال للطعام الذى يتعلل به قدام الغداء السلفة واللهنة لهّنوا ضيفكم أى أطعموه اللهنة ٠٠ قال الشاعر

عُجَيِّزٌ عارِضُها مُنفَلُّ   طَعامُها اللُّهْنَةُ أو أَقَلُّ

٠٠ وقال ابن السكيت يقال فلان يأكل الوجبة اذا كان يأكل في اليوم والليلة أكلة ٠٠ قال بشار

فاستغنِ بالوَجَباتِ عن ذَهَبٍ   لمْ يَبْقَ فيهِ لامرِئٍ ذَهَبه

٠٠ وقال ابن السكيت قال الأصمعى لرجل أسرع في سيره كيف كان سيرك قال كنت آكل الوجبة وأنجو الوقعة وأعرّس اذا فجرت وأرتحل اذا أسفرت وأسير الوضع وأجتنب اللمع فجئتكم لمسى سبع ٠٠ قوله ـ أنجو الوقعة ـ معناه أقضي حاجتى مرة فى اليوم وهو من النجو ٠٠ وقوله ـ أسير الوضع ـ فالوضع سير فيه بعض الاسراع واللمع سير أشد منه وأراد انه يجتنب الشديد من السير كراهة أن يقف ظهره قبل أن يبلغ الأرض التى يقصدها يقال شر السير الحقحقة أى السير الشديد الذى يقطع صاحبه عن بلوغ بغيته ٠٠ قال الشاعر

اذا ما أَرَدْتَ الأَرْضَ ثم تَباعَدَتْ   عليكَ فضعْ رَحْلَ المَطيّ وأَنْزِلِ

أى استرح حتى تقوى على السير وان جهدت نفسك لم تقطع أرضاً ولم تبق ظهراً وهذا من أبيات المعاني التي يسأل عنها والذى قيل فيه ما ذكرناه ٠٠ ويمكن أن يكون معنى البيت اذا بعدت عليك الأرض فدعها واسل عنها كما يقال دواء ما عزّ مطلبه الصبر وما جرى مجرى ذلك من ألفاظ التسلية والأمر بالعدول عن تتبع ما صعب من الأمور ٠٠ وقال الآخر فى معنى البيت الأول

يُقطّعُ بالنُّزُولِ الأَرْضَ عَنْها   وبُعْدُ الأَرْضِ يَقْطَعُهُ النُّزُولُ

وقوله ـ لمسى سبع ـ أي لمساء سبع ليال ٠٠ ويقال للذى يحضر طعام القوم من غير أن يدعا اليه الوارش والوروش وقول العامة طفيلى مولد لا يوجد فى العتيق من كلام

العرب وأصل ذلك أن رجلا يقال له طفيل كان بالكوفة لا يفقد ولمية من غير أن يُدعى اليهـا فقيل للوارش طفيلي تشبيها بطفيل هذا في وقته •• ويقال للذى يحضر الشراب من غير أن يدعي اليه واغل •• قال امرؤ القيس

فاليومَ فاشربْ غيرَ مُستحقِبٍ إثماً منَ ٱللهِ ولاَ واغـلِ

ويقال لما يشربه الوغل •• قال الشاعر

إنْ أكُ سكّيراً فلا أشربُ الوَغْـــلَ ولاَ يَسلَمُ مِنّي البعيرُ إنْ نَشَزَا

وقوله صلى الله عليه وسلم ان أصفر البيوت لبيتا صفر من كتاب الله معناه أخلا البيوت ــ والصفر ــ عند العرب الخالي من الآنية وغيرها •• ويمكن في قوله مأدبة وجه آخر وهو أن يكون وجــه التشبيه للقرآن بالمأدبة وتسميته بها من حيث دعاء الخلق اليــه وأمرهم بالاجتماع عليه فسماه عليه الصلاة والسلام مأدبة لهذا الوجه لأن المأدبة هي التي يدعى الناس اليها ويجتمعون عليها وهــذا الوجه يخالف الأول لأن الأول تضمن ان وجه التشبيه من حيث النفع العائد على الحافظ للقــرآن كما ينتفع المدعو الى المأدبة بما يصيبه من الطعام وهذا الوجه الآخر تضمن ان التشبيه وقع لاجتماع الناس في الدعاء اليه والارشاد الى اصابته وليس يبعد أن يريد عليه الصلاة والسلام بالخبر المعنيين معاً فلا تنافي بينهـما •• أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كُنّا في مجلس الأصمعي إذ أقبل اعرابي فقال أين عميدكم فأشرنا الي الأصمعي فقال له مامعنى قول الشاعر

لاَ مالَ إلاّ العِطافَ تُؤْزِرُهُ أُمُّ ثَلاثينَ وابنةُ الجبَلِ

لاَ يَرْتقي النَّزُّ في ذَلاذِلِهِ ولا يُعَدّي نَعليهِ مِنْ بَلَلِ

•• فقال الأصمعي

عُصْرَتُهُ نُطفةٌ تَضمَّنها لَصبٌ تلقَّى مواضعَ السُّبَلِ

أو وَجبةٌ مِنْ جَناةِ أشكَلَةٍ إنْ لمْ يَرُعْها بالقوسِ لمْ تُنَلِ

قال فأدبر الاعرابي وهو يقول لم أر كاليوم رجلا •• قال ابن دريد انما وصف رجلا خائفاً في رأس جبل يقول لا مال له إلا العطاف وهو السيف تؤزره أم ثلاثين يعنى كنانة فيها ثلاثون سهماً وابنة الجبل يعنى القوس لأنها تعمل من شجر الجبال مثل النبع وغيره •• وقوله ـ لا يرتقي النز فى ذلاذله ـ لأنه فى رأس جبل فلا نز هناك يتماق بما يفضل من ثيابه ولا بلل يعدّي نعليه عنهما ـ والعصرة ـ الملجأ ـ والنطفة ـ الماء المجتمع فى صخر أو غيره من بقية ماء المطر ـ واللصب ـ الشق فى الجبل أضيق من اللهب وأوسع من الثقب ـ والسبل ـ المطر ـ والوجبة ـ أن يأكل كل يوم مرة ـ والأشكل ـ السدر الجبلي واحده أشكلة •• يقول فهذه النطفة والوجبة من الأشكلة عصرتاه •• وقوله ـ ان لم يرعها بالقوس ـ يعنى انها لا تنال باليد حتى تحرك بالقوس •• [قال المرتضي] رضى الله عنه وانما جعل الأصمعي انشاد باقى الأبيات دلالة على معرفة معناها لأنه يبعد أن يعرفها ولا يعرف معناها؟ والأعرابى انما سأل عن المعنى فأقام انشادها لها مقام تفسيرها واستغنى الأعرابى بذلك وعلم بإتمامه للأبيات معرفته بمعناها وكان الأصمعي كثيراً اذا أنشد شيئاً من الشعر ينشد فى معناه في الحال •• فمن ذلك أن اسحاق بن ابراهيم الموصلى أنشده يوماً لنفسه

إِذا كانتِ الأحرارُ أصلي ومَنْصِبي ... وقامَ بنَصْري حازِمٌ وابنُ حازِمِ

عَطَسْتُ بأنفٍ شامخٍ وتناولَتْ ... يدَايَ الثُّرَيَّا قاعدًا غيرَ قائمِ

•• قال فلما فرغت من انشادهما أنشدنى بعقب ذلك

أَلا أَيُّها السائلي جاهِلاً ... لِتَعرِفَني أَنا أَنفُ الكَرَم

نمتْ في الكرامِ بنى عامرٍ ... فرُوعي وأَصلي قرَيْشُ العجَم

قال فجاء والله بالشعر الذى نحوته وعملت بيتىّ عليه •• وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم قال ما أنشدت الأصمعي شيئاً قط إلا أنشدنى مثله كأنه أعدّه لي فأنشدته يوماً للأعشى

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعلِّقَتْ رَجُلاً غيري وعُلِّقَ أُخرى غيرَها الرَّجلُ

فأنشدنى من وقته

قَتَلتكَ أُختُ بني لؤَيٍّ إذ رَمَتْ وأَصابَ نَبلُكَ إذ رَميتَ سِوَاها

وأَعارَها الحَدَثانُ منكَ مودَّةً وأَعارَ غيرَكَ وُدَّها وهوَاها

وذكر أبو العيناء قال كان الأصمعي اذا سمع انساناً ينشد شعراً فى معنى أنشد فى ذلك المعنى من غير أن يُريه انه أراده فأنشده رجل قول القطامى

والناسُ مَنْ يلقَ خيرًا قائلونَ لهُ ما يَشتهي ولأُمِّ المُخطيءِ الهَبَلُ

فأنشد هو قول قعنب الفزارى

فَمَنْ يلقَ خيرًا يحمَدِ النَّاسُ أَمرَهُ ومَنْ يَغوِ لا يَعدَمْ على الغيِّ لائما[1]

وروى ميمون بن هارون قال سمعت اسحاق بن ابراهيم يقول أنشدت الأصمعي قول الأعشى طلباً أن ينشدني مثله وكان مع بخله بالعلم لا يضن بمثل هذا

إِنْ تركبوا فركوبُ الخيلِ عادَتُنا أَو تنزِلونَ فإِنا معشرٌ نُزُلُ

فأنشدنى لربيعة بن مقروم الضبي

ولقد شهدتُ الخيلَ يومَ طِرادِها بسليمِ أَوْظِفةِ القوائمِ هيكلِ[2]

فدعوا نَزالِ فكنتُ أَوّلَ نازلٍ وعلامَ أَركبُهُ اذا لم أَنزلِ

وروى عن اسحاق بن ابراهيم أيضاً أنه قال دخل على يوماً الأصمعي وعندى أخ للعمانى الراجز حافظ راوية فلما دخل عبث به أخو العمانى فقال له من هذا قال هو

---

(١) نسبه هنا الى قعنب الفزاري ونسبه غيره من أهل الادب الى المرقش الاصغر وهو عمرو بن حرملة أو ربيعة بن سفيان على اختلاف فيه

(٢) ـ أوظفة ـ جمع وظيف ككريم وهو مستدق الذراع والساق من الخيل والابل ـ والهيكل ـ الضخم المشرف ـ ونزال ـ اسم فعل أمر بمعنى انزل

الباهلي الذي يقول

فما صَحَفَةٌ مأْدُومةٌ بإِهالةٍ　　بأطيبَ من فيها ولا أقطِ رَطبُ [1]

فقال له قبل أن يستتم الكلام هو على كل حال أصلح من قول أخيك العمانى

يا رُبَّ جارِيةٍ حوْرَاء ناعمةٍ　　كأنَّها عُومةٌ في جوفِ رَاقودِ [2]

قال اسحاق فقلت له أكنت أعددت هذا الجواب قال لا ولكن ما مر بى شيء إلا وأنا أعرف منه طرفاً

[تأويل آية أخرى] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) ومعلوم أن القول لا يكون إلا بالأفواه •• الجواب قلنا القول يحتمل معنيين فى لغة العرب •• أحدهما القول باللسان •• والآخر بالقلب فالقول الذي يضاف الى القلب هو الظن والاعتقاد ولهذا المعنى ذهبت العرب بالقول مذهب الظن فقالوا أتقول عبد الله خارجاً ومتى تقول محمد منطلقاً يريدون متى تظن •• قال الشاعر

أمَّا الرَّحيلُ فدُونَ بَعْدِ غدٍ　　فمَتى تقولُ الدَّارَ تجمعُنا

أراد فمتى تظن الدار •• وقال الآخر

أجُهالاً تقولُ بني لُؤَيٍّ　　لَعمْرُ أبيكَ أَمْ متَجاهلينا

---

(١) ــ الصحفة ــ قصعة دون الجفنة وفوق المثقلة ــ والاهالة ــ الشحم أو ما أذيب منه أو الزيت أو كل ما ائتدم به ــ والاقط ــ بفتح فكسر وقد يسكن شيء يتخذ من المخيض الغنمى •• يريد بهذا التعريض ببنى باهلة قوم الاصمعي وانهم اذا استحسنوا شيئا شبهوه بشيء من المأكولات

(٢) ــ العومة ــ دويبة ــ والراقود ــ دن كبير أو طويل الاسفل مطلي داخله بالقار •• يريد به ان رهط العمانى يستطيبون حتى الخبائث والحشرات ويشبهون بها ما يستحسن

أراد تظن بني لؤي •• وقال توبة بن الحمير

أَلاَ ياصفيَّ النَّفسِ كيفَ تقولُها ... لو أنَّ طَرِيدًا خائفًا يستجيرُها

تُخَبِّرُ إن شطَّتْ بها غُرْبةُ النَّوَى ... ستُنعِمُ ليلى أنْ يُفَكَّ أسيرُها (١)

أراد كيف تظنها فلما كان القول يستعمل في الأمرين معاً أفاد قوله تعالى (بأفواههم) قصر المعنى على مايكون باللسان دون القلب ولو أطلق القول ولم يأت بذكر الأفواه لجاز أن يتوهم المعنى الآخر •• ومما يشهد بذلك قوله تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) فلم يكذب تعالى قول ألسنتهم لانهم لم يخبروا بأفواههم إلاّ بالحق بل كذب مايرجع الى قلوبهم من الاعتقادات •• ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى بأفواههم ان القول لا برهان عليه وانه باطل كذب لا يرجع فيه إلاّ الى مجرد القول باللسان لان الانسان قد يقول بلسانه الحق والباطل وانما يكون قوله حقاً اذا كان راجعاً الى برهان فيكون اضافة القول الى اللسان يقتضي ماذكرناه من الفائدة وهذا كايقول القائل لمن يشك في قوله أو يكذبه هكذا تقول وليس الشأن فيما تقوله وتتفوه به وتقلب به لسانك فكأنهم أرادوا أن يقولوا هذا قول لا برهان عليه فأقاموا قولهم هكذا تقول بلسانك وانما يقولون كذا بأفواههم مقام ذلك والمعنى انه قول لا تعضده حجة ولا برهان ولا يرجع فيه إلاّ الى اللسان •• ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في

(١) هكذا أنشد البيت هنا وفي غيره من كتب الادب

اظن بها خيراً وأعلم أنها ... ستنعم يوماأويفك أسيرها

وهذه الرواية أنسب وأقرب الى المعنى ومنها يعلم ان قوله في البيت الذى قبله — الا ياصفي النفس — انما هو خطاب لنفسه على سبيل التجريد وتلك عادةلهم مشهورة في نظمهم ونثرهم — والبيتان من قصيدة له طويلة حسنة أولها

نأتك بليلى دارها لا تزورها ... وشطت نواها واستمر مريرها

يقول رجال لا يضرك نأيها ... بلى كل ماشف النفوس يضيرها

ذلك التأكيد فقد جرت به عادت العرب في كلامها وما تقدم من الوجهين أولي لأن حمل كلامه تعالي على الفائدة أولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة

[تأويل آية أخرى] ٠٠ان سأل سائل عن قوله تعالي (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلاّ الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم) فقال أى معني لرد الأيدي في الأفواه وأى مدخل لذلك فى التكذيب بالرسل عليهم السلام ٠٠ الجواب قلنا فى ذلك وجوه ٠٠ أولها أن يكون إخباراً عن القوم بانهم ردوا أيديهم فى أفواههم عاضين عليها غيظاً وحنقاً على الأنبياء عليهم السلام كما يفعل المتوعد لغيره المبالغ فى معاندته ومكايدته وهذه عادة معروفة فى المغيظ المحنق انه يعض على أصابعه ويفرك أنامله ويضرب باحدى يديه على الأخرى وما شاكل ذلك من الأفعال ٠٠ وثانيها أن تكون الهاء فى الأيدى للكفار المكذبين والهاء التى فى الأفواه للرسل عليهم السلام فكأنهم لما سمعوا وعظ الرسل ودعاءهم وإنذارهم أشاروا بأيديهم الى أفواه الرسل فيضعونها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم ٠٠ وثالثها أن تكون الهاآن جميعاً يرجعان الي الكفار لا الى الرسل فيكون المعنى انهم اذا سمعوا وعظهم وانذارهم وضعوا أيدى أنفسهم على أفواههم مشيرين اليهم بذلك الى الكف عن الكلام والامساك عنه كما يفعل من يريدمنّا أن يسكت غيره ويؤمه عن الكلام من وضع أصبعه على في نفسه ٠٠ ورابعها أن يكون المعنى فردوا القول بأيدي أنفسهم الى أفواه الرسل أى انهم كذبوهم ولم يصغوا الى أقوالهم فالهاء الأولى للقوم والثانية للرسل والأيدى انما ذكرت مثلا وتأكيداً كما يقول القائل أهلك فلان نفسه بيده أي وقع الهلاك به من جهته لا من جهة غيره ٠٠ وخامسها أن المراد بالأيدى النعم والهاء الثانية للقوم المكذبين والتى قبلها للرسل والتقدير فردوا بأفواههم نعم الرسل أي ردوا وعظهم وإنذارهم وتنبيههم على مصالحهم الذى لو قبلوه لكان نعماً عليهم ٠٠ ويجوز أيضاً أن تكون الهاء التى في الأيدي للقوم الكفار لانها نعم من الله تعالى عليهم فيجوز اضافتها اليهم وحمل لفظة فى على معنى الباء جائز لقيام بعض الصفات مقام بعض يقولون رضيت عنك ورضيت عليك ٠٠ وحكي فيلغة طيّ أدخلك الله بالجنة يريدون في

الجنة فيعبرون بالباء عن معنى في كذلك أيضاً يصح أن يعبروا بفي عن الباء . . قال الشاعر

وأَرغبُ فيهَا عنْ لَقيطٍ ورَهْطهِ ... ولكِنَّني عنْ سِنْبِسٍ لستُ أَرغَبُ

أراد وارغب بها فحمل في على الباء . . وسادسها وهو جواب اختاره أبو مسلم بن بحر وزعم انه أولى من غيره قال المضمرون في قوله أيديهم الرسل وكذلك المضمرون في أفواههم والمراد باليد هنا مانطق به الرسل من الحجج والبينات التي ذكر الله تعالى انهم جاؤا بها قومهم واليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان أيضاً وعلى الملك وعلى العهد والعقد ولكل ذلك شاهد من كلامهم والذي أتى به الأنبياء قومهم هو الحجة والسلطان وهو النعمة وهو العهد وكل ذلك يقع على اسم اليد ولما كان ماتعظ به الأنبياء قومهم وينذرونهم به انما يخرج من أفواههم فردوه وكذبوه قيل انهم ردوا أيديهم في أفواههم أي انهم ردوا القول من حيث جاء قال ولا يجوز أن يكون الضمير في ذلك للرسل اليهم كما تأوّله بعض المفسرين وذكر ان معناه انهم عضوا عليهم أناملهم غيظاً لأن رافع يده الى فيه والعاض عليها لا يسمى راداً ليده الي فيه إلاّ اذا كانت يده في فيه فيخرجها ثم يردها . . [قال المرتضي] رضى الله عنه وليس ماستنكره أبو مسلم من رد الأيدي الى الأفواه بمستنكر ولا بعيد لانه قد يقال رد يده الى فيه والى وجهه وعاد فلان يقول كذا ورجع يفعل كذا وان لم يتقدم ذلك الفعل منه ولو لم يسغ هذا القول تحقيقاً لساغ تجوزاً واتساعاً وليس يجب أن تؤخذ العرب بالتحقيق في كلامها فان تجوزها واستعاراتها أكثر على انه يمكن أن يكون المراد بذلك انهم فعلوا ذلك الفعل شيئاً بعد شيء وتكرر منهم فلهذا جاز أن يقول ردوا أيديهم في أفواههم لأنه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل فلما تكرر جازت العبارة عنه بالرد وهذا يبطل استضعافه للجواب اذا صرنا الى مراده

[تأويل خبر] . . روى ان مسلماً الخزاعي ثم المصطلقي قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر المصطلقي

لَاتَأْمنَنَّ وإنْ أَمسيْتَ في حَرَمٍ ... إنّ المَنايا تُوافي كلَّ إنسانِ

وأسلكْ طريقَكَ فيها غيرَ مُختَشِعٍ　　حتّى تبيّنَ ما يَمْني لكَ الماني [1]

فكلُّ ذِي صاحبٍ يوماً يُفارِقهُ　　وكلُّ زادٍ وإنْ أبقيتَهُ فاني

والخيرُ والشرُّ مَقرُونانِ في قَرَنٍ　　بكلّ ذلكَ يأتيكَ الجَدِيدَانِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أدركته لأسلم فبكى مسلم فقال ابنه ياأبت مايبكيك من مشرك مات في الجاهلية فقال يابنيّ لاتفعل فما رأيت مشركة تلقفت من مشرك خيراً من سويد •• قوله ـ ما يمنى لك الماني ـ معناه ما يقدّر لك القادر •• قال الفراء يقال منى الله عليه الموت أى قدّر الله عليه الموت •• وقال يعقوب مناك الله بما يسرك أى قدّر الله لك ما يسرك وأنشد

لَعمرُ أبي عَمرٍو لقدْ ساقهُ المَنَى　　إلي جَدَثٍ يُوزَى لهُ بالأَهاضِبِ [2]

•• قال ابن الاعرابى ساقه المنى أى ساقه القدر •• وأنشد ابن الاعرابى

مَنَتْ لكَ أنْ تُلاَقِيَني المَنايا　　أُحادَ أُحادَ في الشَّهرِ الحلاَلِ [3]

معناه قدرت لك •• وقال أبو عبيدة فى قوله تعالى (من نطفة اذا تُمنى) معناه اذا تخلّق وتقدّر •• وقال بعض أهل اللغة انما سمى منىً لما يمنى من ثواب الله أي يقدّر فيه وقيل أيضاً لما يمنى من الدم •• وقيل انما سمى بذلك لأن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما انتهى قال له الملك تمن قال أتمنى الجنة فسمي منى لذلك ومنى يذكر ويؤنث والتذكير أجود •• قال الشاعر في التذكير

سقَى مِنى ثمّ رَوّاهُ وساكِنهُ　　ومَنْ ثوَى فيهِ واهي الوَدْقِ مُنبعِقُ

(١) ـ مختشع ـ من الخشوع وهو الذل والمسكنة يقول إن من سلك طريقه الذى يليق به سلوكه ولم يجاوزه الى مالا يليق به قضى عمره فى عز ورفعة حتى يوافى أجله

(٢) ـ الجدث ـ القبر ـ ويوزى يحتفر ويعمل من أوزى داره اذا جعل حوله حيطانها الطين ـ والاهاضب ـ جمع هضبة وهي المشرف من الارض

(٣) ـ أحاد أحاد ـ يعنى واحداً واحداً وهما ممنوعان من الصرف للعدل

•• وقال آخر في التأنيث

لَيَوْمُنَا بِمِنىً إِذْ نَحْنُ نَنْزِلُهَا ... أَسَرُّ مِنْ يَوْمِنَا بِالعَرْجِ أَوْ مَلَلِ

فأما قوله — فالخير والشر مقرونان في قرن — فالقرن الحبل وأراد انهما مجموعان لا يفترقان من حيث لا يكاد يصيب الانسان في الدنيا خيراً صرفاً لا شر فيه فلهذا قال انهما مقرونان في قرن ويجوز أيضاً أن يريد أن لسرعة تقلب الدنيا وإبدالها الخير بالشر كأن الخير والشر مقرونان مجتمعان معاً لتقارب ما بينهما •• فأما — الجديدان — فهما الليل والنهار وهما أيضاً الأجدان والملوان والفتيان والردفان والعصران •• قال الشاعر

إِنَّ الجَدِيدَيْنِ فِي طُولِ اخْتِلَافِهِمَا ... لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ تَفْسُدُ النَّاسُ

•• وقال آخر

وَأَنْطُلُهُ العَصْرَيْنِ حَتَّى يَمَلَّنِي ... وَيَرْضَى بِنِصْفِ الدَّيْنِ وَالأَنْفُ رَاغِمُ[1]

وقال أبو عبيدة ويقال الليل والنهار إبنا سُبات •• وأنشد ابن الاعرابي

وَكُنَّا وَهُمْ كَابْنَيْ سُبَاتٍ تَفَرَّقَا ... سِوىً ثُمَّ كَانَا مُنْجِداً وَتِهَامِيَا

ويقال للغداة والعشي القرنان والبركان والصرعان •• أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي قال أنشدنا ابن الاعرابي لرُقَيْع الوالبي

كَذَبَتْكَ مَا وَعَدَتْكَ أَمْسِ صَلَاحُ ... وَعَسَى يَكُونُ لِمَا وَعَدْتِ نَجَاحُ

بُرْؤٌ مِنَ السَّقَمِ الطَّوِيلِ ضَمَانُهُ ... لَا يَسْتَوِي سَقَمٌ بِكُمْ وَصِحَاحُ

أَصَلَاحُ إِنَّكِ قَدْ رَمَيْتِ نَوَافِذاً ... وَجَوَائِفاً لَيْسَتْ لَهُنَّ جِرَاحُ

---

(١) — أنطله — بالنون أي أمطله وقد روى بالميم أيضاً والمعنى انه لا يزال يسوفه من يوم الى يوم ومن وقت الى آخر حتى يرضى بنصف ماله عليه من الدين وأنفه راغم

ولقدْ رَأَيتُكَ بالقَوَادِمِ لمحةً وعليَّ منْ سَدَفِ العَشيِّ رَيَاحُ

معنا رياح هٰهنا أى على وقت من العشى ومثله رواح وقوم يروونه بالكسر وليس بشئ

ما كانَ أبصَرَني بغرَّاتِ الصِبا واليومَ قدْ شفعتْ لِيَ الأَشباحُ

ومشَى بجنبِ الشَّخصِ شخصٌ مثلهُ والأرضُ نائيةُ الشخوصِ بَرَاحُ

حلقَ الحوادِثُ لِمَّتي فتركنَ لي رأساً يَصِلُّ كأنّهُ جُمَّاحُ

وذكا بأصداغي وقرنِ ذؤابتي قبسُ المَشيبِ كأنّهُ مِصباحُ

قال كأنه جماح من املاسه ـ وجماح ـ سهم أو قصبة يجعل عليها الطين ثم يرمى بها الطير

وبهذا الاسناد لبعضهم

أرَى النَّاسَ للصُّعلُوكِ حرباً ولا أرى لذي نَشَبٍ إلا خليلاً مُصافيا

أرَى المالَ يَغشَى ذا الوُصُومِ فلا يُرَى ويُدعى منَ الأشرافِ مَن كانَ غابيا

ـ الصعلوك ـ الفقير وهو أيضاً القرضوب والسبروت ـ والوصوم ـ العيوب ..

وبهذا الاسناد لعقيل بن عُلَّفَة

إني ليَحمَدُني الخليلُ إذا اجتدَى مالي ويكرَهُني ذوو الأضغانِ

وأبيتُ تَحلِجُني الهُمومُ كأنّني دَلوُ السُّقاةِ تُمَدُّ بالأشطانِ (١)

وأعيشُ بالبَلَلِ القليلِ وقدْ أرَى أنَّ الرُّموسَ مَصارِعُ الفِتيانِ

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثني عليّ بن منصور قال أخبرني محمد بن موسى عن دعبل بن عليّ قال قال لي عقيل بن علفة وذكر الأبيات الثلاثة وزاد فيها

---

(١) ـ تحلجني ـ من حلجت القطن اذا ميزت حبه عن شعره ورواه ابن الاعرابي بالخاء من خلجه الهم شغله ـ وتمد ـ ترفع ـ والاشطان ـ جمع شطن وهو حبل البئر ـ والرموس ـ جمع رمس وهو القبر يقول إنّ الموت كائن لا محالة فالقليل من العيش والكثير سيان

ولقد علمت لئن هلكت ليذكرن　　قومي إذا علن النجي مكاني

[قال المرتضى] رضي الله عنه وكان عقيل بن علفة مع قوة شعره جيد الكلام حكيم الألفاظ .. وروى المدائني قال قال عبد الملك بن مروان لعقيل بن علفة المرى ما أحسن أموالكم فقال ما ناله أحدنا عن أصحابه تفضلا قال ثم أيها قال مواريثنا قال فأيها أشرف قال ما استفدناه لوقعة خوات نعماً وأفادت عزًّا قال فما مبلغ عزكم قال مالم يطمع فينا ولم نؤمن قال فما مبلغ جودكم قال ما عقدنا به مننا وأبقينا به ذكراً قال فما مبلغ حفاظكم قال يدفع كل رجل منا عن المستجير به كدفاعه عن نفسه قال عبد الملك هكذا فليصف الرجل قومه .. وروى انه قيل لعقيل بن علفة قد عنست بناتك أفما تخشى عليهن الفساد قال كلا إني خلفت عندهن الحافظين قيل وما هما قال الجوع والعرى أجيعهن فلا يأشرن وأعريهن فلا يظهرن .. وقال له عبد الملك يوماً مالك تهجو قومك قال لأنهم أشباه الغنم اذا صيح بها رفعت واذا سكت عنها رتعت قال انما تقول البيت والبيتين قال حسبي من القلادة ما أحاط بالعنق .. فأما معنى ـ علفة ـ اسم أبيه .. قال ابن الاعرابي قال العلفة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الرهز من البقل وغيره .. وقال أبو سعيد السكري العلفة ضرب من أوعية بزر بعض النبات مثل قشرة الباقلاء واللوبيا وهو الغلاف الذى يجمع عدة حب .. وقيل ان عقيلا كان يكنى بأبي الوليد وكان عقيل غيوراً موصوفاً بشدة الغيرة .. وروى أبو عمرو بن العلاء انه حمل يوماً ابنة له وأنشأ يقول

إني وإن سيق إليَّ المهرُ　　ألفٌ وعبدانٍ وذودٌ عشرُ

أحبُّ أصهاري إليَّ القبرُ

وذكر الأصمعي ان عقيلا كان لغيرته اذا رأى الرجل يتحدث الى النساء أخذه ودهن ارفاغه ومغابنه بزبد وربطه وطرحه فى قرية النمل فلا يعود الى محادثتهم .. وروى الأصمعي قال كان عقيل بن علفة فى بعض سفره ومعه ابنه العلمس وابنته الجرباء فأنشأ يقول

قَضَتْ وَطَرًا مِنْ دَيرِ سَعْدٍ ورُبَّما ... علي عَجَلٍ ناطَحْنَهُ بالجَماجِمِ [1]

ثم أقبل على ابنه فقال أجز ياعلمس فقال

وأصبحْنَ بالمَوْماةِ يحمِلْنَ فِتيةً ... نشاوَى مِنَ الإدْلاَجِ مِيلَ العَمائِمِ

ثم أقبل على ابنته فقال أجيزي ياجرباء فقالت

---

(١) ــ دير سعد ــ بين بلادغطفان والشام وقد أخرج الضحاك هذه الحكاية بابسط مما ذكر هنا ونحن نذكرها تتميما للفائدة .. قال خرج عقيل بن علفة وجثامة وابنته الجرباء حتي أتوا بنتا له ناكحا في بني مروان بالشامات ثم انهم قفلوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل بن علفة

قضت وطراً من دير سعد وطالما ... على عرض ناطحنه بالجماجم

اذا هبطت أرضا يموت غرابها ... بها عطشا أعطينهم بالخزائم

ثم قال أنفذ ياجثامة فقال جثامة

فأصبحن بالموماة يحملن فتية ... نشاوى من الادلاج ميل العمائم

اذا علمٌ غادرنه بتنوفة ... تذارعن بالايدي لآخر طاسم

ثم قال أنفذي ياجرباء فقالت

كأن الكرى سقّاهم صرخدية ... عقارا تمطي في المطا والقوائم

فقال عقيل شربتيها ورب الكعبة لولا الامان لضربت بالسيف تحت قرطك أما وجدت من الكلام غيرهذا فقال جثامة وهل اساءت انما أجادت وليس غيري وغيرك فرماه عقيل بسهم فاصاب ساقه وأنفذ السهم ساقه والرجل ثم شدّ على الجرباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقة جثامة وتركه عقيراً مع ناقة الجرباء ثم قال لولا أن تسبني بنو مرة لما عشت ثم خرج متوجها الى أهله وقال لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة أوقلت لهم انه اصابه غيرالطاعون لا قتلنك فلما قدموا على أهل أبير وهم بنو القين ندم عقيل على فعله بجثامة فقال لهم هل لكم في جزور انكسرت قالوا نعم قال فالزموا أثرهذه الراحلة حتى تجدوا الجزور فخرج القوم حتى انتهوا الى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدم فاحتملوه وقسموا الجزور وأنزلوه

كأنَّ الكرى سقاهم صرخدية عقاراً تمشّت في المطا والقوائم

قال فأقبل على ابنته يضربها ويقول والله ما وصفتها بهذه الصفة حتى شربتها فوثب عليه إخوتها فقاتلوه دونها ثم رماه أحدهم بسهم فانتظم فخذه .. فقال عقيل

إنَّ بنيَّ زملوني بالدّم من يلق أبطال الرجال يكلم
ومن يكن ذا أودٍ يقوّم شنشنة أعرفها من أخزم

ـ الشنشنة ـ الطبيعة والسجية وقيل الشبه وهذا مثل اجتابه عقيل وقد قيل قبله ولعقيل

وللدهر أثوابٌ فكن في لباسه كلبسته يوماً أجدّ وأخلقا
وكن أكيس الكيسى اذا كنت فيهم
وإن كنت في الحمقى فكن أنت أحمقا

مجلس آخر ٢٧

[تأويل آية] ..ان سأل سائل عن قوله تعالى (والى الله ترجع الأمور) فقال كيف يصح القول بانها رجعت عليه وهي لم تخرج عن يده .. الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه .. أولها ان الناس في دار المحنة والتكليف قد يغتر بعضهم ببعض ويعتقدون فيهم انهم يملكون جر المنافع اليهم وصرف المضار عنهم وقد يدخل عليهم الشبه لتقصيرهم في النظر وعدولهم عن وجهه وطريقه فيعبد قوم الأصنام وغيرها من

عليهم وما لجوه حتى برى والحقوه بقومه فلما كان قريباً منهم تغنى

أيعذر لاحينا ويلحين في الصبا وما هنّ والفتيان الاشقائق

فقال له القوم انما أفلت من الجراحة التي جرحك أبوك آنفا وقد عاودت ما يكرهه فامسك عن هذا ونحوه اذا لقيته لا يلحقك منه شر وعرّ فقال انما هي خطرة خطرت والراكب اذا سار تغنى

المعبودات الجامدة الهامدة التي لا تسمع ولا تبصر ويعبد آخرون البشر ويجعلونهم شركاء لله تعالى فى استحقاق العبادة ويضيف كل هؤلاء أفعال الله عزوجل فيهم الى غيره فاذا جاءت الآخرة وانكشف الغطاء واضطروا الى المعارف زال ما كانوا عليه فى الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل وأيقن الكل انه لاخالق ولا رازق ولا ضار ولا نافع غير الله فردوا اليه أمورهم وانقطعت آمالهم من غيره وعلموا ان الذى كانوا عليه من عبادة غيره وتأميله للضر والنفع غرورٌ وزور فقال الله تعالى (والى الله ترجع الأمور) لهذا المعنى .. والوجه الثاني أن يكون معنى الآية في الأمور أن الأمور كلها لله تعالى وفي يده وقبضته من غير خروج ورجوع حقيقى وقد تقول العرب قد رجع عليَّ من فلان مكروه بمعنى صار اليَّ منه ولم يكن سبق اليَّ قبل هذا الوقت وكذلك يقولون قد عاد عليَّ من زيد كذا وكذا وان وقع منه على سبيل الابتداء .. قال الشاعر

وإن تكنِ الأيامُ أحسنَ مرّةً إليَّ فقدْ عادَتْ لهنَّ ذُنُوبُ

أى صارت لها ذنوبٌ لم تكن من قبل بل كان قبلها إحسان فحمل الآية على هذا المعنى شائع جائز تشهد له اللغة .. والوجه الثالث إنّا قد علمنا ان الله تعالى قد ملك العباد فى دار التكليف أموراً تنقطع بانقطاع التكليف وإفضاء الأمر الى الدار الآخرة مثل ما ملكه الموالي من العبيد وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك فيجوز أن يريد الله تعالى برجوع الأمر اليه انتهاء ما ذكرناه من الأمور التي يملكها غيره بتمليكه الى أن يكون هو وحده مالكها ومدبرها .. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بها ان الأمر ينتهي الى أن لا يكون موجود قادر غيره ويفضي الأمر في الانتهاء الى ما كان عليه فى الابتداء لأن قبل انشاء الخلق هكذا كانت الصورة وبعد إفنائهم هكذا يصير وتكون الكناية برجوع الأمر اليه عن هذا المعنى وهو رجوعٌ حقيقى لأنه عاد الى ما كان عليه متقدماً .. ويحتمل أيضاً أن المراد بذلك انّ الى قدرته تعود المقدورات لأن ما أفناه من مقدوراته الباقية كالجواهر والاعراض ترجع الى قدرته ويصح منه تعالى إيجاده لعوده الى ما كان عليه وان كان لا يصح فى مقدورات البشر وان كانت

باقية لما دل عليه الدليل من اختصاص مقدور القدر باستحالة العود اليها من حيث لم يجر فيها التقديم والتأخير وهذا أيضاً حكمه تعالى المتفرد به دون غيره من سائر القادرين والله أعلم بما أراده

مجلس آخر ٢٨

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (ليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) فقال أي معنى لذكر البيوت وظهورها وأبوابها وهل المراد بذلك البيوت المسكونة على الحقيقة أو كنى بهذه اللفظة عن غيرها فانكان الأول فما الفائدة فى إتيانها من أبوابها دون ظهورها وان كانت كناية فبينوا وجهها ومعناها .. الجواب قيل له فى الآية وجوه .. أولها ماذكر من أن الرجل من العرب كان اذا قصد حاجة فلم تقض له ولم ينجح فيها رجع فدخل من مؤخر البيت ولم يدخل من بابه تطيّراً فدلهم الله تعالى على أن هذا من فعلهم لا بر فيه وأمرهم من التقى بما ينفعهم ويقربهم اليه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التطيّر وقال لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر أى لا يعدى شئ شيئاً .. وقال عليه الصلاة والسلام لايورد ذو عاهة على مصحٍ ومعنى هذا الكلام ان من لحقت إبله آفة أومرض فلا ينبغي أن يوردها على إبل لغيره صحاح لأنه متى فعل ذلك يلحق الصحاح مثل هذه العاهة اتفاقاً لا لأجل العدوى ولم يؤمن من صاحب الصحاح أن يقول انما لحق إبلي هذه الآفة من تلك الابل وهى أعدت إبلي فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا ليزول المأثم بين الفريقين والظن القبيح .. وثانيها ان العرب [1] إلاّ قريشاً ومن ولدته

(١) قوله ان العرب الاقريشاً الخ قلت ليس كذلك وانما الذين كانوا يحامون دخول البيوت من أبوابها وهم محرمون الاحامس وهم قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم فى الجاهلية وانما سموا بذلك لتحمسهم في دينهم أي تشددهم وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم أقبل ليدخل بيت بعض نسائه وهو محرم ومعه بعض أصحابه فلما دخل النبي صلى

قريش كانوا اذا أحرموا في غير الأشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ودخلوها من ظهورها اذا كانوا من أهل الوبر واذا كانوا من أهل المدر نقبوا في بيوتهم مايدخلون ويخرجون منـه ولم يدخلوا ولم يخرجوا من أبواب البيوت فنهاهم الله تعالى عن ذلك وأعلمهم انه لامعنى لهوانه ليس من البر وان البر غيره ٠٠ وثالثها وهو جواب أبي عبيدة معمر بن المثنى ان المعنى ليس البر بان تطلبوا من غير أهله وتلتمسوه من غير بابه وأتوا البيوت من أبوابها معناه واطلبوا الخير من وجهه ومن عنـد أهله ٠٠ ورابعها وهو جواب أبي عليّ الجبائي أن يكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل وأراد ليس البر أن يأتي الرجل الشيء من خلاف جهته لأنّ إتيانه من خلاف جهته يخرج الفعل عن حـد الصـواب والبر الى الاثم والخطأ وبين البر والتقوى وامر باتيان الأمور من وجوهها وان تفعل على الوجوه التي لهـا وجبت وحسنت وجمل تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلاً لأن العادل عن الأمر عن وجهـه كالعادل في البيت عن بابه ٠٠ وخامسها أن تكون البيوت كناية عن النساء ويكون المعنى وأتوا النساء من حيث أمركم الله والعرب تسمي المرأة بيتاً ٠٠ قال الشاعر

مالي إِذَا أَنزِعُها صأَيتُ ... أَكِبَرٌ غيَّرَني أَم بيتُ

أراد بالبيت المرأة ٠٠ ومما يمكن أن يكون شاهـداً للجواب الذى حكيناه عن أبي على الجبائي والجواب عن أبي عبيدة أيضاً ما أخبرنا به أبو القاسم أحمـد بن يحيى النحوي قال أنشدنا ابن الاعرابي

إني عَجِبتُ لأُمّ العَمْرِ إِذ هَرَبتْ ... مِن شيبِ رَأْسي وما بالشَّيبِ مِن عارِ

ما شِقوَةُ المرءِ بالإِقتارِ يُقتِرُهُ ... ولا سَـعادَتُهُ يوماً بإِكثارِ

إنَّ الشقيَّ الّذي في النّارِ مَنزِلُهُ ... والفوزُ فوزُ الذي يَنجو مِنَ النّارِ

الله عليه وسلم تأخر الرجل فقال له عليه الصلاة والسلام مالك لا تدخل فقال أنا أحمسى فقال وأنا كذلك فنسخ بفعله وقوله ما كانت عليه قريش ومن أخذ مأخذها

أعوذُ باللهِ من أمرٍ يُزَيّنُ لي ... شتمَ العَشيرَة أو يُدْني منَ العارِ

وخيرِ دُنيا يُنَسّي المرءَ آخرَةً ... وسوفَ تَبْدُو الي الجبّارِ أسرَارِي

لاَ أدْخلُ البيتَ أحبُو منْ مؤخّرهِ ... ولا أكسّرُ في ابنِ العَمّ أظفارِي

فقوله ـ لا أدخل البيت أحبو من مؤخره ـ يحتمل أن يريد به إني لا آتي الأمور من غير وجهها على أحد الأجوبة في الآية .. ويحتمل أيضاً إني لا أطلب الخير إلاّ من أهله على جواب أبي عبيدة .. ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يريد إني لا أقصد البيت للريبة والفساد لأن من شأن من يسعى الى أفساد الحُرم ويقصد البيوت للريبة أن يعدل عن أبوابها طلباً لاخفاء أمره فكأنه نفى عن نفسه بهذا القول القبيح وتنزه عنه كما تنزه بقوله ـ ولا أكسر في ابن العم أظفاري ـ عن مثله وأراد انه لا يبدأ ابن العم مني السوء ولا يتألم بشيء من جهتي فأكون كأني قد جرحته بأظفاري وكسرتها في لحمه وهذه كنايات بليغة مشهورة للعرب .. ويجري مجري هذه الأبيات ويقاربها في المعنى وحسن الكناية قول هلال بن خثعم

وإني لَعَفٌّ عنْ زِيارَة جارَتي ... وإني لَمَشْنوء اليَّ اغتيابُها

اذا غابَ عنها بَعلُها لم أكنْ لها ... زَؤُرًا ولمْ تَنْبَحْ عليَّ كلابُها

وما أنا بالدّاري أحادِيثَ بيتِها ... ولاعالِمٍ من أيّ حَوْكٍ ثيابُها

وإنّ قِرابَ البطنِ يَكفيكَ مِلأهُ ... ويكفيكَ عوراتِ الامورِ اجتنابُها

[قال المرتضي] رضى الله عنه وقد جمعت هذه الأبيات فقراً عجيبة وكنايات بليغة لأنه نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلها وخص حال الغيبة لأنها أدنى الى الريبة وأخص بالتهمة فقال ـ ولم تنبح عليّ كلابها ـ أراد إنى لا أطرقها ليلا مستخفياً متنكراً فتنكرني كلابها وتنبحني وهذه الكناية تجري مجرى قول الشاعر المتقدم .. لا أدخل البيت أحبو من مؤخره وقد روى ولم تأنس اليّ كلابها وهذا معني آخر كأنه أراد ـ انه ليس يكثر الطروق لها والغشيان لمنزلها فتأنس به كلابها لأن الانس لايكون إلاّ

مع المواصلة والموازرة •• وقوله ـ وما أنا بالداري أحاديث بيتها ـ أراد به أيضاً التأكيد في نفي زيارتها وطروقها عن نفسه لأنه اذا أدمن الزيارة عرف أحاديث بيتها فاذا لم يزرها وصارمها لم يعرف •• ويحتمل أن يريد إنني لا أسأل عن أحوالها وأحاديثها كما يفعل أهل الفضول فنزه نفسه عن ذلك •• وقوله ـ ولا عالم من أي حوك ثيابها ـ كناية مليحة عن انه لا يجتمع معها ولا يقرب منها فيعرف صفة ثيابها •• وبالاسناد المتقدم لحارثة ابن بدر الغداني

اذَا الهَمُّ أَمْسَي وهوَ دَاءٌ فأَمضِهِ ... ولسْتَ بمُمْضِيهِ وأَنتَ تُعادِلُهْ

ولا تنزِلنَّ أمرَ الشَّدِيدَةِ بامْرِئٍ ... اذَا هَمَّ أَمرًا عَوَّقتْهُ عَوَاذِله

فما كلُّ ما حاوَلتَهُ الموْتُ دُونَهُ ... ولا دُونَهُ أَرْصادُهُ وحَبائله

ولاالفتكُ ما آمرْتَ فيه ولا الّذي ... تُحَدِّثُ مَنْ لاقيتَ أَنّكَ فاعِله

وماالفتكُ إلاّ لامرِئٍ ذِي حَفيظةٍ ... اذَا مالَ لمْ تَرْعُدْ عليهِ خصائله

ولا تجعلَنْ سِرًّا الي غيرِ أهلهِ ... فتَقعُدَ إنْ أفشي عليكَ تُجادِلُه

ولا تسأَلِ المالَ البَخيلَ ترَى لهُ ... غنىً بَعدَ ضُرٍّ أَوْرَثتْهُ أَوائله

أَرَى المالَ أفياءَ الظّلاَلِ فتارَةً ... يؤُوبُ وأُخرَى يختِلُ المالَ خاتِله

معنى ـ آمرت ـ شاورت ـ والخصائل ـ كل لحم مجتمع وقد روينا في هذه الأبيات زيادة على القدر الذى ذكرناه •• أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى الحسن بن علىّ قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنى الفضل بن محمد عن أبي المنهال المهلبي قال من الأبيات السائرة قول حارثة بن بدر الغدانى

لَعمْرُكَ ماأَبقَى لِيَ الدّهرُ مِنْ أَخٍ ... حَفِيٍّ ولا ذِي خلّةٍ لِي أُوَاصِلُه

ولاَ مِن خَلِيلٍ لَيسَ فيهِ غوَائلٌ ... فشَرُّ الأَخِلاَّءِ الكَثِيرُ غوَائله

وقلْ لِفؤادٍ إنْ نَزَى بكَ نَزْوَةً   مِنَ الرَّوعِ أَفرِخْ أَكثرُ الرَّوعِ باطِلُه

معنى ـ أفرخ ـ أي أسكن يقال أفرخ روعه اذا سكن

وما كلُّ ما حاولتَهُ الموتُ دُونَهُ

وذكر البيتين اللذين بعده وزاد

وكنْ أنتَ تَرعى سِرَّ نفسِكَ واعلمَنْ   بأنَّ أقلَّ النَّاسِ لِلسِّرِّ حامِلُه

إذا ما قتَلْتَ الشَّيْءَ عِلْماً فبُحْ بهِ   ولاَ تقُلِ الشَّيْءَ الَّذِي أنتَ جاهِلُه

ومما يستحسن لحارثة بن بدر الغداني قوله

لنا نَبعةٌ كانتْ تَقِينا فُرُوعُها   وقدْ بلَغتْ إلاَّ قليلاً عُرُوقُها

وإنَّا لتَستَحلي المَنايا نُفوسُنا   ونَترُكُ أُخرَى مُرَّةً لا نَذُوقُها

وشيَّبَ رَأْسي قبلَ حينِ مشيبِهِ   رعودُ المَنايا بينَنا وبُرُوقُها

قوله ـ لنا نبعة كانت تقينا فروعها ـ مَثلٌ ضربه وانما أراد عشيرته وأهل بيته ٠٠ وقد روى هذه الأبيات عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي العباس ثعلب وزاد فيها

رَأَيتُ المَنايا بادِياتٍ وعُوَّدًا   إلى دارِنا سَهْلاً الينا طَرِيقُها

وقدْ قسَمتْ نفسي فَرِيقينِ مِنْهُما   فَرِيقٌ مَعَ المَوتَى وعِندِي فَرِيقُها

وبِينا نُرَجِّي النَّفسَ ماهُو نازِحٌ   مِنَ الأَمرِ لاقتْ دُونَها ما يَعوقُها

٠٠ وروى أبو العيناء قال أنشد الشعبي عبد الله بن جعفر الأبيات الثلاثة الأول فقال عبد الله لمن هذا ياشعبي قال لحارثة بن بدر فقال نحن أحق بهذا ثم أمر للشعبي بأربعمائة دينار ٠٠ ومن مستحسن قول حارثة

ولقدْ وليتُ إمارةً فرَجعتُها   في المالِ سالِمةً ولمْ أَتموَّلِ

ولقدْ منَعتُ النُّصحَ مِنْ مُتقبِّلٍ   ولقدْ رَفَدتُ النُّصحَ مَنْ لمْ يَقبلِ

فبأيّ لمسةِ لامسٍ لم ألتمسْ ... وبأيّ حيلةِ حائلٍ لم أحتلِ

يا طالبَ الحاجاتِ يرجو نجحَها ... ليسَ النجاحُ معَ الأخفِّ الأعجلِ

فاصدُقْ إذا حدّثتَ تكتبْ صادقاً ... وإذا حلفتَ مُمارياً فتحلّلِ

معنى ـ تكتب صادقاً ـ أى تكون عند الله صادقاً ٠٠ وقوله ـ فتحلل ـ أى استثن

وإذا رأيتَ الباهشينَ الي العُلى ... غبْراً أكفُّهمُ بريْثٍ فاعجلِ

معنى ـ الباهشين ـ المادين أيديهم الي الشيء المهتشين له

واحذرْ مكانَ السوءِ لا تحلُلْ بهِ ... وإذا نبا بكَ منزلٌ فتحوّلِ

وإذا ابنُ عمّكَ لجّ بعضَ لجاجةٍ ... فانظرْ بهِ عدةً ولا تستعجلِ (١)

وإذا افتقرتَ فلا تكنْ متخشّعاً ... ترجو الفواضلَ عندَ غيرِ المُفْضلِ

واستغنِ ما أغناكَ ربّكَ بالغنى ... وإذا تكونُ خصاصةٌ فتجمّلِ

٠٠ وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوى قال كان حارثة بن بدر الغداني رجل تميم فى وقته وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقيل لزياد ان هـذا قد غلب عليك وهو مشتهر بالشراب فقال زياد كيف لي باطراح رجل هو يسايرنى مذ دخلت العراق لم تصطك ركابى ركابه ولا تقدمني فنظرت الي قفاه ولا تأخر عني فلويت عنقي اليه ولا أخذ عليّ الشمس في شتاء قط ولا الروح فى صيف قط ولا سألته عن علم إلاّ ظننته لايحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله ابنه فقال له حارثة أيها الأمير ما هـذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة فقال له عبيد الله ان أبا المغيرة قد كان برع بروعاً لا يلحقه معـه عيب

---

(١) ـ اللجاجة ـ الخصومة ـ وانظر ـ انتظر ـ يقول إذا خاصمك قريبك ولج فى خصومتك فانتظر رجوعه اليك وإقلاعه عن خصومتك ولا تستعجل عليه فى مقابلته بمثل مابدأك به أو فانتظر به نازلة تشغله عنك وتكف عنك غائلته

وأنا حدث وانما أنسب الى من يغلب عليّ وأنت رجل نديم الشراب فمتى قربتك وظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يظن بي فدع الشراب وكن أول داخل على وآخر خارج فقال له حارثة أنا لا أدعه لمن يملك ضرّي ونفعي أفأدعه للحال عندك قال فاختر من عملي ماشئت قال توليني رام هرمز فانها أرض عدات وشرف فان بها شراباً وصف لي فولاه إياها فلما شيعه الناس .. قال أنس بن أبي أنيس وقيل ابن أبي إياس الدئلي

أحارِ بنَ بَدْرٍ قد وُلِيتَ إمارَةً ... فكُنْ جُرُذاً فيها تَخونُ وتَسْرِقُ

ولاَ تَحْقِرَنْ يا حارِ شيئاً وَجَدْتَهُ ... فحظُّكَ من مُلْكِ العِرَاقَيْنِ سُرَّقُ[1]

وباهِ تَميماً بالْغِنَى إنَّ لِلغِنَي ... لِساناً بهِ المَرْءُ الهَيُوبَةُ يَنطِقُ

فإنَّ جميعَ النَّاس إمَّا مُكَذِّبٌ ... يقولُ بما تَهوَى وإمَّا مُصَدِّقُ

يقولونَ أقوَالاً ولاَ يَعْلَمونَها ... فإنْ قِيلَ هاتوا حقِّقوا لمْ يُحَقِّقوا

وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدئلي وانه كتب بها الى حارثة لما ردت اليه سرّق ويزاد فيها

وكنْ حازِماً في اليوم إنَّ الذي بهِ ... يجيءُ غدٌ يومٌ علي الناسِ مُطْبَقُ

ولاَ تَعجِزَنْ فالعجزُ أوطأُ مَرْكَبٍ ... وما كلُّ مَنْ يَدْعو الى الخيرِ يُرْزَقُ

اذا مادَعاكَ القومُ عدُّوكَ آكِلاً ... وكُلْ حارِ أوجُعْ لستَ مِمَّنْ يُحَمَّقُ

ويقال ان حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله

جَزاكَ إلهُ العَرْشِ خيرَ جزائهِ ... فقدْ قلتَ مَعْرُوفاً وأوصيتَ كافِيا

---

(١) سرّق بضم أوله وتشديد ثانيه كورة من كور الاهواز ومدينتها دورق

أشرتَ بأمرٍ لوْ أشرتَ بغيرهِ لألفيتني فيهِ لأمركَ عاصيا[1]

•• ويقال ان حارثة بن بدر والأحنف بن قيس قد دخلا على ابن زياد فقال لحارثة أى الشراب أطيب وكان يتهم فقال برة طاساريه واقطة عنويه وسمنه عنزيه وسكرة سوسيه ونطفة مسرقانيه فقال للأحنف يا أبا بحر ما أطيب الشراب قال الخمر قال وما يدريك ولست من أهلها قال رأيت فيها خصلتين عرفت انها أطيب الشراب •• ولحارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغير عليه بعد اختصاصه كان بأبيه

أُهانُ وأُقصى ثمَّ تنتصحونني وأيُّ امرىءٍ يُعطي نصيحتَهُ قسرا

رأيتُ الأكفَّ المُصلتينَ عليكمُ ملاءً وكفِّي من عطاياكمُ صفرا

وإني معَ الساعي اليكمْ بسيفهِ اذا أحدثَ الأيامُ في عظمكمْ كسرا

متى تسألوني ما عليَّ وتمنعوا الذي لي لم أستطعْ لكمُ صبرا

•• وقال يعاتبه

وكمْ منْ أميرٍ قد تجبَّرَ بعدَ ما مَرَيتُ لهُ الدُّنيا بسيفي فدرَّتِ

اذا زبنتهُ عن فواقٍ أتتْ بهِ دعاني ولمْ أُدعَ اذا ما أقرَّتِ

اذا هيَ ما احلولتْ عمّا حقَّ مقسمي ويقسمُ لي منها اذا ما أمرَّتِ

ـ زبنته ـ أى دفعته عن ان يحلبها ـ والفواق ـ اجتماع اللبن فى الضرع بين الحلبتين •• ومعنى ـ أقرت ـ تركته يحلبها •• ويشبه أبيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير يعاتب معاوية ومروان وأهل بيته من جملة قصيدة وهي أبيات قوية جداً

---

(١) ـ قلت ـ أورد هذه الحكاية ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان وذكر بق بدر المذكورين هنا وزاد بعدهما بيتا واحدا وهو

سنلقى أخا يصفيك بالود حاضرا ويوليك حفظ الغيب ما كان نائيا

عطاؤكم للضاربين رقابكم ونُدعى اذا ما كان جزّ الكراكر (١)
أنحن أخوكم في المضيق وسهمنا اذا ما قسمتم في الخطاء الأصاغر

ـ الخطاء ـ سهام صغار

وتدنيكم الأدنى اذا ما قسمتم ونلقى بتذي حين نسأل باسر (٢)
وإن كان فينا الذنب للناس مثله أخذنا به من قبل ناه وآمر

أي من قبل أن نهي عنه أو نؤمر باجتنابه

وإن جاءكم منا غريب بأرضكم لويتم له يوماً جنوب المناخر
فهل يفعل الأعداء إلا كفعلكم هوان السراة وابتغاء العواثر
وغيّر نفسي عنكم ما فعلتم وذكر هوان منكم متظاهر
جفاؤكم من عالج الحرب عنكم وأعداؤكم من بين جاب وعاشر
فلا تسألوني عن هواي وودكم وقل في فؤاد قد توجه نافر

والحارث يرثي زياداً

لهفي عليك للهفة من خائف يبغي جوارك حين ليس مجير
أما القبور فإنهن أوانس بجوار قبرك والديار قبور
عمّت فواضله فعمّ مصابه فالناس فيه كلهم مأجور
ردّت صنائعه اليه حياته فكأنه من نشرها منشور

(١) ـ جز ـ قطع ـ والكراكر ـ جمع كركرة بالكسر وهي رحى زور البعير أو صدر كل ذي خف أو الجماعة من الناس كنى بذلك عن الحرب
(٢) ـ باسر ـ أي جاف لا لين فيه ٠٠ ومنه بسر الحاجة أي طلبها قبل أوانها

•• [قال المرتضى] رضى الله عنـه وأظن أبا تمام الطائى نظر الي قول جارثة بن بدر

* ردت صنائعه اليه حياته * فى قوله

أَلَمْ تَمُتْ يا شَقِيقَ النفسِ مذ زَمَنٍ　　فقالَ لي لم يَمُتْ مَنْ لم يَمُتْ كَرَمُهُ

وأخبرنا عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن يعـني ابن أخي الأصمعى عن عمه قال مر حارثة بن بدر الغداني ومعه كعب مولاه فجعل لا يمر بمجلس من مجالس تميم إلاّ قالوا مرحباً بسـيدنا فقال كعب ماسمعت كلاماً قط هو أقر لعيني وألذ فى سمعي مما سمعته اليوم فقال حارثة ولكني ماسـمعت كلاماً قط هو أكره اليّ منه ثم قال

ذَهَبَ الرِّجالُ فسُدْتُ غيرَ مُسوَّدٍ　　ومنَ الشَّقاءِ تفرُّدِي بالسُّؤْدَدِ

وهذا البيت يقال انه لحارثة لا انه تمثل به •• وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد قال قال الكناني مر حارثة بن بدر بالأحنف ابن قيس فقال لولا انك مستعجل لشاورتك قال له أجـل كانوا يكرهون أن يشاور الجائع حتى يشبع والظمآن حتى ينقع والمضل حتى يجد والغضبان حتى يرضى والمحزون حتى يفيق

مجلس آخر ٢٩

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالي (أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) فقال أي تمدح فى سرعة الحساب وليس بظاهر وجه المدحة فيـه •• الجواب قلنا فى ذلك وجوه •• أولها أن يكون المعنى انه سريع الحساب للعباد على أعمالهم وان وقت الجزاء قريب وان تأخر ويجري مجرى قوله تعالي (وما أمرُ الساعة إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب) وانما جاز أن يعبر عن المجازاة أو الجزاء بالحساب لأن

ما يجازى به العبد هو كفوٌ لفعله وبمقداره فهو حسابٌ له اذا كان مماثلا مكافئاً ٠٠ ومما يشهد بان فى الحساب معنى المكافأة قوله تعالى (جزاء من ربك عطاء حساباً) أى عطاء كافياً ويقال أحسبنى الطعام يحسبنى إحساباً اذا كفانى ٠٠ قال الشاعر

وإذ لا تَرَى في النَّاسِ حُسناً يفوتُها وفي النَّاسِ حُسناً لو تأَمَّلْتَ مُحْسِبُ

معناه كاف ٠٠ وثانيها أن يكون المراد أنه عزوجل يحاسب الخلق جيعاً فى أوقات يسيرة ويقال ان مقدار ذلك حلب شاةٍ لأنه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره بل يكلمهم جيعاً ويحاسب كلهم على أعمالهم في وقت واحدٍ وهذا أحد ما يدل على انه تعالى ليس بجسم وانه لايحتاج في فعل الكلام الى آلة لأنه لو كان بهذه الصفات تعالى عنها لما جاز أن يخاطب اثنين فى وقت واحدٍ بمخاطبتين مختلفتين ولكان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبته للخلق على أعمالهم طويلة غير قصيرة كما ان جيع ذلك واجب فى المحدثين الذين يفتقرون فى الكلام الى الآلات ٠٠ وثالثها ما ذكره بعضهم من ان المراد بالآية انه سريع العلم بكل محسوبٍ وانه لما كانت عادة بني الدنيا أن يستعملوا الحساب والاحصاء فى أكثر أمورهم أعلمهم الله تعالى انه يعلم ما يحسبون بغير حسابٍ وانما سمى العلم حساباً لأن الحساب انما يراد به العلم وهذا جوابٌ ضعيف لأن العلم بالحساب أو المحسوب لا يسمى حساباً ولو سمى بذلك لما جاز أيضاً أن يقال انه سريع العلم بكذا لأن علمه بالاشياء مما لايتجدد فيوصف بالسرعة ٠٠ ورابعها ان الله تعالى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه يسأل فى وقت واحدٍ سؤالات مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيجزى كل عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته فيوصل اليه عند دعائه ومسئلته مايستوجبه بجدٍّ ومقدار فلو كان الأمر على ما يتعارفه الناس لطال العدد واتصل الحساب فأعلمنا تعالى انه سريع الحساب أى سريع القبول للدعاء بغير احساس وبحث عن المقدار الذى يستحقه الداعى كما يبحث المخلوقون للحساب والاحصاء وهذا جواب مبنى أيضاً على دعوى أن قبول الدعاء لا يسمى حساباً في لغة ولا عرف ولا شرع وقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب أن يستشهد على

ذلك بما يكون حجة فيه وإلاّ فلا طائل فيما ذكره •• ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على أعمالهم يوم القيامة وموافقتهم عليها وتكون الفائدة في الاخبار بسرعته الاخبار عن قرب الساعة كما قال تعالى (سريع العقاب) وليس لأحد أن يقول فهذا هو الجواب الأول الذي حكيتموه وذلك ان بينهما فرقاً لأن الأول مبنى على أن الحساب في الآية هو الجزاء والمكافأة على الأعمال وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة المعروفة والمقابلة بالأعمال وترجيحها وذلك غير الجزاء الذي يفضي الحساب اليه •• وقد طعن بعضهم في الجواب الثانى معترضاً على أبى علىّ الجبائى فى اعتماده إيّاه بان قال مخرج الكلام فى الآية على وجه الوعيد وليس فى خفّة الحساب وسرعة زمانه مايقتضى زجراً ولا هو مما يتوعد بمثله فيجب أن يكون المراد الاخبار عن قرب أمر الآخرة والمجازاة على الأعمال •• وهذا الجواب ليس أبو علىّ المبتدي به بل قد حكي عن الحسن البصري واعتمده أيضاً قطرب ابن المستنير النحوي وذكره المفضّل بن سلمة وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن بمبطل له لأنه اعتمد على ان مخرج الآية مخرج الوعيد وليس كذلك لانه قال تعالى (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وما له فى الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) فالأشبه بالظاهر أن يكون الكلام وعداً بالثواب وراجعاً الى الذين يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أو يكون راجعاً الى الجميع فيكون المعنى ان للجميع نصيباً مما كسبوا فلا يكون وعيداً خالصاً بل إمّا أن يكون وعداً خالصاً أو وعداً ووَعيداً على أنه لو كان وعيداً خالصاً على ماذكر الطاعن لكان لقوله تعالى (والله سريع الحساب) على تأويل من أراد قصر الزمان وسرعة الموافقة وجه وتعلق بالوعد والوعيد لأن الكلام على كل حال متضمن لوقوع المحاسبة على أعمال العباد والاحاطة بخيرها وشرها وان وصف الحساب مع ذلك بالسرعة وفى هذا ترغيب وترهيب لامحالة لأن من علم بانه يحاسب بأعماله ويوقف على جيلها وقبيحها انزجر عن القبيح وعمل ورغب في فعل الواجب

فهـذا ينصر الجواب وان كنا لا ندفع ان في حمل الحساب على قرب المجازاة وقرب المحاسبة على الأعمال ترغيباً فى الطاعات وزجراً عن المقبحات فالتأويل الأول أشبه بالظاهر ونسق الآية إلاّ أن التأويل الآخر غير مدفوع أيضاً ولا مردود

مجلس آخر ٣٠

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فقال أى تمدح فى الاعطاء بغير حساب وقد يكون المعطي بحساب أجزل عطية من المعطى بغير حساب •• الجواب قلنا فى هذه الآية وجوهٌ •• أولها أن تكون الفائدة انه تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب ههنا راجع الى المرزوق لا إليه تعالى كما يقول القائل ما كان كذا وكذا فى حسابى أى لم أؤمله ولم أقدّر انه يكون وهـذا وصف للرزق بأحسن الأوصاف لان الرزق اذا لم يكن محتسباً كان أهنأ له وأحلا •• وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه في تفسير هذه الآية انه قال يَعنى بها أموال بني قريظة والنضير فانها تصير اليكم بغير حساب ولا قتال على أسهل الأمور وأقربها وأيسرها •• وثانيها انه تعالى يرزق من يشاء رزقاً غير مضيق ولا مقتر بل يزيد في السعة والكثرة على كل عطاء للمخلوقين فيكون نفي الحساب فيه نفياً للتضيق ومبالغة فى وصفه بالسعة والعرب تسمى العطاء القليل محسوباً •• قال قيس بن الخطيم

أَنَّى سَرَيتِ وكنتِ غيرَ سَرُوبِ ... وتقرّبُ الأحلامُ غيرَ قريبِ

ما تَمنعي يقظى فقدْ تُؤْتِينَهُ ... في النَّوْمِ غيرَ مُصَرَّدٍ مَحسوبِ

•• وثالثها أن يكون المعنى انه يرزق من يشاء من غير حساب أى من غير طلب للمكافأة أو اراغة فائدة تعود اليه أو منفعة ترجع عليه لان من شأن أهل الدنيا أن يعطوا ليكافئوا ولينتفعوا ولهذا يقال فيمن يقصد بالعطية الى هذه الأمور فلان يحاسب الناس

فيما يعطيهم ويناقشهم فيما يوصله اليهم وما أشبه ذلك فلما انتفت هذه الأمور من عطاياه سبحانه جاز أن يقول انه يرزق من يشاء بغير حساب ٠٠ ورابعها ما أجاب به قطرب قال معنى الآية يعطي العدد الكثير لا ما يضبطه الحساب أو يأتي عليه العدد لأن مقدوره تعالى لا يتناهي وخزائنه لا تحصر ولا يصح عليه النفاد وليس كالمعطي منّا الألف من الألفين والعشرة من المائة لان مقدار ما يتسع له ويتمكن منه محدودٌ متناهٍ ولا تناهي ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه ٠٠ وخامسها أن يعطي عباده في الجنة من النعيم واللذات أكثر مما استحقوا وأزيد مما وجب لهم لمحاسبته إياهم على طاعاتهم كما قال تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) وكما قال عز وجل (إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم) وكما قال تعالى (ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) ٠٠ وسادسها أن يكون المعطي منّا غيره شيئاً والرازق سواه رزقاً قد يكون له ذلك فيكون فعله حسناً لا يسأل عنه ولا يؤاخذ به ولا يحاسب عليه وربما لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحاً يؤاخذ به ويحاسب عليه فنفى الله تعالى عن نفسه أن يفعل من الرزق القبيحَ وما ليس له أن يفعله بنفي الحساب عنه وأنبأ أنه لا يرزق ولا يعطي إلاّ على أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذم وتجرى الآية مجرى قوله تعالى (لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون) وانما أراد انه تعالى من حيث وقعت أفعاله كلها حسنة غير قبيحة لم يجز أن يسأل عنها وان سئل العباد عن أفعالهم لانهم يفعلون الحسن والقبيح معاً ٠٠ وسابعها ان الله تعالى اذا رزق العبد واعطاه من فضله كان الحساب عن العبد ساقطاً من جهة الناس فليس لأحدٍ أن يقول له لم رزقت ولا يقول لربه لم رزقته ولا يسأله ربه عن الرزق وانما يسأله عن انفاقه في الوجوه التي ينفقه فيها فسقط الحساب من هذه الوجوه عما يرزقه الله تعالى ولذلك قال تعالى (بغير حساب) ٠٠ وثامنها أن يكون المراد بمن يشاء أن يرزقه من أهل الجنة لانه يرزقهم رزقاً لا يصح أن يتناول جميعه الحساب ولا العدد والاحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ويطابق هذه الآية قوله تعالى في موضع آخر (فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب)

[تأويل خبر] •• ان سأل سائل عن الخبر الذى يروى عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال توضؤا مما غيرت النار •• فقال ماالمراد بالوضوء ههنا ومذهبكم ان مس ما غيّرته النار لا يوجب الوضوء •• الجواب ان معنى توضؤا أى نظفوا أيديكم من الزهومة لانه روى ان جماعة من الأعراب كانوا لا يغسلون أيديهم من الزهومة ويقولون فقدها أشد علينا من ريحها فأمر عليه الصلاة والسلام بتنظيف الأيدى •• فان قيل كيف يصح أن تحملوا الخبر على اللفظ اللغوى مع انتقاله بالعرف الشرعي الى الافعال المخصوصة بدلالة ان من غسل يده أو وجهه لا يقول بالاطلاق توضأت ومتى سلم لكم أن الوضوء أصله من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذى ذكرناه وكلامه عليه الصلاة والسلام خص بالعرف الشرعى وحمله عليه أولى من حمله على اللغة •• قلنا ليس ننكر أن يكون اطلاق الوضوء هو المنتقل من اللغة الى عرف الشرع والمختص بالأفعال المعينة وكذلك المضاف منه الى الحدث أو الصلاة وما أشبههما •• فأما المضاف الي الطعام وما جرى مجراه فباق على أصله ألا ترى انهم لو قالوا توضأت من الطعام ومن الغمْرة أو توضأت للطعام لا يفهم منه إلاّ الغسل والتنظيف واذا قالوا توضأت اطلاقاً أو توضأت من الحدث أو للصلاة فهم منه الأفعال الشرعية فليس ينكر ماذكرناه من اختصاص النقل لانه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة فى اللغة الي فائدة فى الشرع على كل وجه كذلك يجوز أن ينتقل على وجه دون وجه ويبقى من الوجه الذي لم ينتقل منه على ما كان عليه فى اللغة وقد ذهب كثير من الناس الي أن اطلاق لفظة مؤمن منتقل من اللغة الى عرف الدين ومختص باستحقاق الثواب وان كان مقيدها باقياً على ما كان عليه في اللغة •• ويبين ذلك أيضاً ما روى عن الحسن انه قال الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وبعده ينفى اللمم وانما أراد غسل اليدين بغير شك •• وروى عن قتادة أنه قال غسل اليد وضوء •• وروى عكرش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل وغسل يده ومسح ببلل يده وجهه وذراعيه ورأسه وقال هكذا الوضوء مما مست النار على أنه لو كانت هذه اللفظة منتقلة على كل حال الى الأفعال الشرعية المخصوصة لصح أن نحملها فى الخبر على خلاف ذلك ونردها الى أصلها بالأدلة وان كان الأولى لولا الأدلة أن نحمل على

مقتضى الشرع فمن الأدلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل كتف شاة وقام فصلى ولم يتوضأ .. وروى عطاء عن أم سلمة قالت قربت جنباً مشوياً الى النبي صلى الله عليه وسلم فأكل منه وصلى ولم يتوضأ .. وروى محمد بن المنكدر عن جابر أنه قال كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار وكل هذه الأخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الأول[1] لو كان له ظاهر فكيف وقد بينا انه لا ظاهر له .. فأما اشتقاق الوضوء فهو من الوضاءة التى هي الحسن فلما كان من غسل يده ونظفها قد حسنها قيل وضأها ويقال فلان وضيء الوجه وقومٌ وِضاء .. قال الشاعر

مَسامِيحُ الفَعالِ ذَوُو أَناةٍ مَرَاجِيحٌ وأَوْجُهُهُمْ وِضاءُ[2]

والوضوء بضم الواو المصدر وكذلك أيضاً التوضأ ..والوضوء بفتح الواو اسم ما يتوضأ به وكذلك الوقود اسم لما توقد به النار والوقود بالضم المصدر ومثله التوقد وقد يجوز أن يكون الوقود بفتح الواو المصدر وكذلك الوضوء بفتح الواو كما قالوا حسن القبول فجعلوا القبول مصدراً وهو مفتوح الأول ولا يجوز فى الوقود والوضوء بالضم إلا معنى

(١) ــ قلت ــ الخبر الاخير وهو ما رواه جابر انه كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار يدل دلالة صريحة على ان المراد بالوضوء فى الحديث السابق وهو توضؤا مما غيرت النار الوضوء الشرعى الذى هو عبارة عن غسل الاعضاء المعلومة وان الوضوء مما مست النار كان مشروعا ثم نسخ وكل ما ذكر من كونه صلى الله عليه وسلم أكل مما نالته النار ولم يتوضأ محمول على ما بعد النسخ وهذا هو الصحيح ولا حاجة لتمحل السيد رحمه الله ولا يناقض هذا مذهب أحد ممن يقول بعدم مشروعية الوضوء مما مست النار

(٢) ــ الفعال ــ بكسر الفاء جمع فعل خيراً كان او شراً فان فتحوا الفاء أرادوا ما هو من أفعال الخير فقط ــ والأناة ــ السكينة والتؤدة ــ ومراجيح ــ ثقال يريد أنهم لا يطيشون فى كل ما ينزل بهم

المصدر وحده .. قال جرير

أهَوِيَّ أرَاكَ بِرَامتَيْنِ وُقُودَا ... أمْ بالجُنَيْنةِ من مَدَافِعِ أُودَا [1]

.. وقال آخر

اذَا سُهَيْلٌ لاَحَ كالوُقودِ ... فَرْدًا كَشاةِ البَقَرِ المَطْرُودِ

.. وقال آخر

وأجَّجْنا بكُلِّ يَفاعِ أرْضٍ ... وُقُودَ النَّارِ لِلمتَنَوِّرِينا

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابراهيم بن المنذر قال حدثني ابراهيم بن محمد عن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن شهاب قال أتيت عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود يوماً في منزله فاذا هو مغيظ ينفخ فقلت له مالي أراك هكذا قال دخلت على عاملكم هذا يعني عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الله بن عمرو ابن عثمان فسلمت فلم يردّا عليّ السلام فقلت

ألاَ فأَبلغا عني عِرَاكَ بنَ مالِكٍ ... فإنْ أنتَ لم تَفعلْ فأَبلغْ أبا بَكْرِ

فقد جَعلتْ تَبْدُو شَوَا كلُّ منكما ... فإنَّكما بي مُوقَرَانِ منَ الصَّخْرِ

وطاوَعتُمابي غادِرًا ذَا مُمَاكَةٍ ... لَعَمْرِي لقدْ أوْرَى ومامِثلُهُ يُورِي

يقال ــ معك ــ به وسدل به اذا تعرض به لشر

فلوْلاَ اتِّقَا اللهِ اتِّقَائِيَ فيكُما ... لَلمتُكُما لوْمًا أحَرَّ منَ الجَمْرِ

فمسَّا تُرَابَ الأَرْضِ منْها خُلِقْتُما ... وفيها المَعادُ والمَقامُ الي الحَشْرِ

ولاَ تَأنَفَا أنْ تُغشَيا فتُكلِّما ... فما حُشِيَ الأَقوامُ شَرًّا منَ الكِبْرِ

---

[1] ــ الجنينة ــ تصغير جنة وهي البستان روضة نجدية ــ وأود ــ بضم فسكون أحد منازل تميم بنجد ــ ومدافع ــ جمع مدفع وهو مسيل الماء الى الوادي

ولوْ شئتُ أَدْلى فيكُما غيرُ واحدٍ | عَلاَنيةً أو قالَ عندِيَ في السِّرِّ (١)

معناه لو شئت اغتابكما عندى غير واحد

فإنْ أنا لمْ آمُرْ ولمْ أنهَ عنكُما | ضَحكتُ لهُ حتى يَلجَ ويَستَشْرِى (٢)

وكيفَ تُرِيدانِ ابنَ سبعينَ حجّةً | على ما أتى وهوَ ابنُ عشرينَ أو عشْرِ

لقدْ علقتْ دَلْوَا كما دَلوَ حُوّلٍ | منَ القومِ لا رِخوِ المرَاسِ ولاَ نَزْرِ (٣)

قال ابن شهاب فقلت له مثلك يرحمك الله مع نسكك وفضلك وفهمك يقول الشعر فقال ان المصدور اذا نفث برىء وانما ذكر عراك بن مالك وأبا بكر بن عمرو بن جرم وكانا صديقيه كناية بذكرهما عن ذكر غيرهما •• وقد جاءت رواية أُخرى ان أبا بكر بن عمرو بن جرم وعراك بن مالك كانا يجتازان على عبيد الله فلا يسلّمان عليه فقال الأبيات يخاطبهما بها •• وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة

إذا كانَ لي سرٌّ فحدّثتهُ العِدَى | وضاقَ به صدْرى فللنّاسُ أعذرُ

هوَ السرُّ ما استودَعتهُ وكتمتهُ | وليسَ بسرٍّ حينَ يفشو ويَظهرُ

•• وأنشد مصعب الزبيري لعبيد الله بن عتبة بن مسعود

أواخي رِجالاً لستُ مُطّلِعَ بعضهم | على سرِّ بعضٍ إنّ صدْرِى واسعُهُ

اذا هيَ حلّتْ وَسْطَ عودِ بنِ غالبٍ | فذلكَ وُدٌّ نازحٌ لاَ اطالعُه

---

(١) ــ أدلى ــ يقال أدلى فلان في فلان اذا قال فيه قولا قبيحاً •• يقول لو شئت لسلطت عليكما الناس فسبوكما سراً وعلانية ولكنى امسك عنكما اتقاء لله فيكما

(٢) ــ يستشرى ــ بمعنى يلج أي يتوغل في الأمر ويغرق فيه •• ومنه قيل للخوارج الشراة لتوغلهم فى المروق من الطاعة ومخالفة الجماعة

(٣) ــ حول ــ شديد الاحتيال ومثله حول كصرد وحوله كهمزة وحوالىّ بفتح الحاء وضمها •• يقول انكما وقعتما مع من لا تطيقان دفعه عن أنفسكما

تلاقت حيازيمي على قلب حازم ... كتوم لما ضمت عليه أضالعه
بني لي عبد الله في سورة العلى ... وعتبة مجدا لا تنال مصانعه

والبيت الأول يشبه قول مسكين الدارمي

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم ... على سر بعض غير أني جماعها

ومما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله

تغلغل حب عثمة في فؤادي ... فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور
شققت القلب ثم ذررت فيه ... هواك فليم فالتأم الفطور
أكاد اذا ذكرت العهد منها ... أطير لو أن إنسانا يطير
غني النفس أن أزداد حبا ... ولكني إلى وصل فقير

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

أحللت في قلبي هواك محلة ... ما حلها المأكول والمشروب

وأخذه المتنبي في قوله

وللسر مني موضع لا يناله ... نديم ولا يفضي اليه شراب

وكأن العباس بن الأحنف ألم به في قوله

لو شق قلبي لرأى وسطه ... اسمك والتوحيد في سطر

•• وقال الصاحب اسماعيل بن عباد

لو شق قلبي لرأوا وسطه ... سطرين قد خطا بلا كاتب
العدل والتوحيد في جانب ... وحب أهل البيت في جانب

وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحسن من الجميع وبعده بيت المتنبي •• ولعبيد

الله بن عبد الله بن عتبة

لَعَمْرُ أبي المحصينَ أيّامَ نلتقى ... لمالاَ نُلاَقيها منَ الدّهرِ أكثَرُ

يَعُدُّونَ يوماً واحدًا إنْ أتيتُها ... ويَنسونَ ما كانت علي الدّهرِ تَهجرُ

فإنْ يكُنِ الوَاشونَ أغرَوا بهجرِها ... فإنّا بتَجْديدِ المَوَدّةِ أجدَرُ

ومن مستحسن قوله من غزله

لَعَمْرِي لئنْ شَطّتْ بِعَتْمةَ دَارُها ... لقد كُنتُ منْ وَشْكِ الفِراقِ أُليحُ[1]

أرُوحُ بهمٍّ ثمّ أغدُو بمِثلهِ ... ويَحسبُ أنى في الثّيابِ صَحيحُ

أخذ هذا المعنى بشار فقصر عنه فى قوله

ويُصبحُ محزُوناً وَغمي به ... وإنس يَدْري ما لهُ عِندَكِ

مجلس آخر ٣١

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن شعيب عليه الصلاة والسلام (قد افترينا على الله كذباً إن عُدْنا فى ملّتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلاّ أن يشاء الله ربنا) .. فقال[2] أليس هذا صريحاً منه بان الله تعالى يجوز أن

---

(١) ـ شطت ـ بعدت ـ ووشك ـ قرب ـ وأليح ـ أخاف وأحذر .. يقول ان ارتحلت عنا وفارقتنا فقد كنت أنتظر ذلك وأتوقعه وأتخوف منه قبل أن يقع

(٢) ـ قلت ـ أصل الاشكال في الآية ينبنى على مذهب المعتزلة ان الله جل شأنه لايريد الا الحسن وان غير الحسن لايشاؤه ولا يريده ومذهب أهل السنة ان كل مايقع فى الكون من خير او شر فهو مراد لله تعالى وعلى هذا المذهب فلا اشكال فى الآية بل هي شاهدة له

يفعل الكفر والقبيح لأن ملة قومه كانت كفراً وضلالا وقد أخبر انه لايعود فيها إلاّ أن يشاء الله ٠٠ الجواب قيل له في هذه الآية وجوه ٠٠ أولها أن يكون الملة التي عناها الله انما هي العبادات الشرعيات التي كان قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع الى الاعتقادات في الله وصفاته مما لا يجوز أن تختلف العبادات فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة من حيث تبعت المصالح والألطاف والمعلوم من أحوال المكلفين فكأنه قال ان ملتكم لا نعود فيها مع علمنا بان الله قد نسخها وأزال حكمها إلاّ أن يشاء الله أن يتعبدنا بمثلها فنعود اليها وتلك الأفعال التي كانوا متمسكين بها مع نسخها عنهم ونهيهم عنها وان كانت ضلالا وكفراً فقد كان يجوز فيما هو مثلها أن يكون إيماناً وهُدى بل فيها أنفسها قد كان يجوز ذلك وليس تجري هذه الأفعال مجرى الجهل بالله تعالى الذي لايجوز أن يكون إلاّ قبيحاً ٠٠ وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز أن يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله (قد افترينا على الله كذباً إن عُدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) ٠٠ فيقال له لم ينف عودهم اليها على كل حال وانما نفى العود اليها مع كونها منسوخة منهياً عنها والذي علقه بمشيئة الله تعالى من العود اليها هو بشرط أن يأمر بها ويتعبد بمثلها والجواب مستقيم لاخلل فيه ٠٠ وثانيها انه أراد ان ذلك لا يكون أبداً من حيث علقه بمشيئة الله تعالى لما كان معلوم انه لا يشاؤه وكل أمر علق بما لا يكون فقد نفى كونه على أبعد الوجوه وتجري الآية مجرى قوله تعالى (لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) وكما يقول القائل أنا لا أفعل كذا حتى يبيضّ القار أو يشيب الغراب ٠٠ وكما قال الشاعر

وحتى يؤُوبَ القارظانِ كِلاهُما ... ويُنْشَرَ في القتلى كُليبٌ لوائلِ (١)

(١) ــ القارظان ــ يذكر بن عنزة وعامر بن رهم وكلاهما من عنزة خرجا في طلب القرظ وهو ثمر السنط فلم يرجعا فضربت العرب بغيبتهما المثل ويقال انهما مرا بواد عميق فيه عسل فقال أحدهما لصاحبه لو نزلت فأتيتنا منه بشيء فربط نفسه بحبل وتدلى حتى بلغ اسفل الوادي فلما اخذ من العسل حاجته قال لصاحبه ارفعني فقال له لاارفعك

والقارظان لا يؤوبان أبداً وكليب لا ينشر أبداً فكأنه قال ان هذا لا يكون أبداً .. وثالثها ما ذكره قطرب بن المستنير من أن في الكلام تقديماً وتأخيراً وان الاستثناء من الكفار وقع لا من شعيب فكأنه تعالى قال حاكياً عن الكفار ﴿ لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن يشاء الله أن تعودوا في ملتنا ﴾ ثم قال حاكياً عن شعيب عليه الصلاة والسلام وما يكون لنا أن نعود فيها على كل حال .. ورابعها أن تكون الهاء التي في قوله فيها الى القرية لا الى الملة لأن ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر الملة ويكون تلخيص الكلام إنا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها إلاّ أن يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود اليها .. وخامسها أن يكون المعنى إلاّ أن يشاء الله أن يردكم الى الحق فنكون جميعاً على ملة واحدة غير مختلفة لانه لما قال تعالى حاكياً عنهم أو لتعودن في ملتنا كان معناه أو لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن أن يكون من بعد إلاّ أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة ..فان قيل الاستثناء بالمشيئة انما كان بعد قوله ﴿ وما يكون لنا أن نعود فيها ﴾ فكأنه قال ليس نعود فيها إلاّ أن يشاء الله فكيف يصح هذا الجواب ..قلنا هو كذلك إلاّ أنه لما كان معنى أن نعود فيها هو أن تصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول إلاّ أن يشاء الله أن نتفق في الملة بان ترجعوا أنتم الى الحق ..فان قيل فكان الله تعالى ما شاء أن ترجع الكفار الى الحق ..قلنا بلى قد شاء ذلك إلاّ أنه ما شاءه على كل حال بل من وجه دون وجه وهو أن يؤمنوا ويصيروا الى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذي أجرى بالتكليف اليه ولو شاءه على كل حال لما جاز أن لا يقع منهم فكان شعيباً عليه الصلاة والسلام قال ان ملتنا لا تكون واحدة أبداً الا أن يشاء الله أن يلجئكم الى الاجتماع معنا على ديننا وموافقتنا في ملتنا والفائدة في ذلك واضحة لانه لو أطاق

أو تزوجني أختك وكان له أخت يهواها فقال له ليس هذا وقته فتركه ومضى ثم هلك في منصرفه الى أهله ولم يوقف لهما على خبر — وكليب — هو الذي قتله جساس فهاجت بمقتله الحرب التي تسمى حرب البسوس

أنّا لا نتفق أبداً ولا تصير ملتنا واحدة لتوهم متوهم ان ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال فأفاد بتعليقه له بالمشيئة هـذا الوجه ويجري قوله تعالى (إلاّ أن يشاء الله) مجرى قوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً) .. وسادسـها أن يكون المعنى إلاّ أن يشاء الله أن يمكنـكم من إكراهنا ويخلى بينكم وبينه فنعود الى إظهارها مكرهين ويقوى هذا الوجه قوله تعالى (أولو كنا كارهين) .. وسابعها أن يكون المعنى إلاّ أن يشاء اللهأن يتعبدنا باظهار ملتكممع الاكراه لان اظهار كلمة الكفر قد تحسن فيبعض الأحوال اذا تعبد الله تعالى باظهارها وقوله (أو لو كنا كارهين) يقوي هذا الوجه أيضاً ..فان قيل فكيف يجوز من نبيمن أنبياء الله أن يتعبد باظهار الكفر وخلافماجاء به من الشرع ..قلنا يجوز أن يكونلم يرد بالاستثناءنفسه بلقومه فكأنه قال وما يكون لي ولا لأُمتي أن نعود فيها إلاّأن يشاء الله أن يتعبد أمتي باظهار ملتكم على سبيل الاكراه وهو جائز غير ممتنع.

[تأويل خبر]..روى أبو هريرةعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قالخيرالصدقة ماأبقت غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول .. الجواب قد قيل في قوله خير الصدقة ما أبقت غنى قولان .. أحدهما ان خـير ما تصدقت به مافضل عن قوت عيالك وكفايتهم فاذا خرجت صدقتك عنك اليمن أعطيت خرجت عن استغناء منك ومن عيالك عنها ومثله فى الحديث الآخر انما الصدقة عن ظهر غنى .. وقال ابن عباس في قوله تعالى (ويسـئلونك ماذا ينفقون قل العفو) قال ما فضل عن أهلك .. والجواب الآخر أن يكون أراد خير الصدقة ماأغنيت به من أعطيت عن المسـئلة أي تجزل له في المطية فيستغنى بها ويكف عن المسئلة وذلك مثل أن يريد الرجل أن يتصدق بمائة درهم فيدفعها اليرجل واحد محتاج فيستغني بها ويكف عنالمسئلة فذاك أفضل من أنيدفعها الى مائة رجل لا تبين عليهم..والتأويل الأول يشهد لهآخرالخبر وهو قوله وابدأ بمن تعول ويشهد له الحديث الآخر أيضاً انما الصـدقة عن ظهر غني ..وقولهاليد العليا خيرمناليد السفلى..قالقوم يريدان اليد المعطية خيرمن الآخذة وقال آخرون ان العليا هي الآخذة والسـفلى هي المعطية .. قال ابن قتيبة ولا أرى

هؤلاء إلاّ قوماً استطابوا السؤال فهم يحتجون للدناءة ولو كان هذا يجوز لقيل ان المولى من فوق هو الذى أعتق والمولى من أسفل هو الذى أعتق والناس انما يعلمون بالعطايا لابالسؤال ٠٠[قال المرتضى] رضى الله عنه وعندي[1] ان معنى قوله عليه الصلاة والسلام اليد العليا خير من اليد السفلى غير ما ذكر من الوجهين جميعاً وهو أن تكون اليد ههنا هي العطية والنعمة لان النعمة قد تسمي يداً فى مذهب أهل اللسان بغير شك فكأنه صلى الله عليه وسلم أراد ان العطية الجزيلة خير من العطية القليلة وهذا حث منه صلى الله عليه وسلم على المكارم وتحضيض على اصطناع المعروف بأوجز الكلام وأحسنه مخرجاً ٠٠ ويشهد لهذا التأويل أحد التأويلين المتقدمين في قوله ما أبقت غنى وهذا أشبه وأولى من أن تحمل على الجارحة لان من ذهب الى ذلك وجعل المعطية خيراً من الآخذة لا يستمر قوله لان فيمن يأخذ من هو خير عند الله تعالى ممن يعطي ولفظة خير لا تحمل إلاّ على الفضل فى الدين واستحقاق الثواب ٠٠ وأما من جعل الآخذة خيراً من المعطية فيدخل عليه هذا الطعن أيضاً مع انه قد قال قولاً شنيعاً وعكس الأمر على ماقال ابن قتيبة ٠٠ فان قيل كيف يصح تأويلكم مع قوله عليه الصلاة والسلام خير الصدقة ما أبقت غنى وهي لا تبقى غنى إلاّ بعد أن تنقص من غيرها واذا كانت العطية التي هي أجزل أفضل فتلك لا تبقى غنى والتى تبقى غنى ليست

---

(١) ــ قوله وعندي أن معني قوله عليه الصلاة والسلام الخ هذا التأويل بعيد جدا فان قوله في الحديث العليا خير من السفلي لايدل على أن المراد باليد النعمة ولو كان المراد هذا لوصفها بكونها حقيرة وجليلة أو كبيرة وصغيرة والظاهر أن المراد باليد الجارحة وأما قوله بعد فى دفع هذا ان هذا لايستمر لان فيمن يأخذ من هو خير عند الله ممن يعطي فبعد تسليم صحته لايسلم على عمومه وليس المراد في الحديث بكون اليد العليا خيرا من السفلى انها كذلك من جميع الوجوه حتى يلزم ماقال وانما المراد أفضليتها من حيث كونها معطية ومفضولية الآخذة من حيث كونها آخذة فلاينافي هذا أن تكون الآخذة خيرامن المعطية من وجه آخر

الجزيلة وهذا تناقض .. قلنا أما تأويلنا فطابق للوجهين المذكورين في قوله ما أبقت غنى لان من تأول ذلك على أن المراد بها المعطي وان خير العطية ما أغنته عن المسئلة فالمطابقة ظاهرة ومن تأوّله على الوجه الآخر وحمل ما أبقى الغنى على المعطي وأهله وأقاربه فتأويلنا أيضاً مطابق له لانه قد يكون فى العطايا التي تبقى بعدها الغنى على الأهل والأقارب جزيل وغير جزيل فقال عليه الصلاة والسلام خير الصدقة ما أبقت غنى بعد إخراجها والعطية الجزيلة التى يبقى بعدها غنى خير من القليلة فمدح عليه الصلاة والسلام بعد ابقاء الغنى جزيل العطية وحث على الكرم والفضل .. أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال أخبرنا أبو عبيد الله الحكيمي قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى قال أنشدنا ابن الاعرابى لثابت قطنة العتكي

يا هِنْدُ كيفَ بنَصْبٍ باتَ يُبكيني ... وعائرٍ في سَوادِ العينِ يُؤْذِيني (١)

كأَنَّ ليليَ والأَضْدَادُ هاجِدَةٌ ... ليلُ السَّليمِ وأَعْيى مَنْ يُدَاوِيني

لمَّا حَنَى الدَّهرُ مِنْ قَوسِي وعَذَّرَني ... شَيْبي وقاسيتُ أَمرَ الغِلظِ واللِّينِ

اذا ذَكَرْتُ أَبا غسَّانَ أَرَّقني ... هَمٌّ اذا عَرَّسَ السَّارُونَ يُشْجيني

كانَ المفضَّلُ عِزًّا في ذَوِي يَمَنٍ ... وعِصْمَةً وثِمالاً لِلمساكينِ

غيثاً لِذِي أَزْمةٍ غَبْرَاءَ شاتيةٍ ... مِنَ السِّنينَ ومأْوَى كلِّ مِسكينِ

إني تذكَّرتُ قَتْلَى لو شَهِدْتُهمُ ... في حَومةِ الحَربِ لم يَصْلَوا بها دُوني

لا خيرَ في العيشِ اذْ لمْ يجْنِ بَعدَهُمُ ... حَرباً تَنِئُّ بهم قَتْلِي فتَشفِيني

---

(١) ـ النصب ـ الهم والتعب وانما سكنه لضرورة الشعر ـ والعائر كل ما أعلّ العين من رمد أو قذي

لاَ خيرَ في طَمَعٍ يُدْنى إلي طَبَعٍ ... وعفةٌ منْ قُوامِ العَيشِ تكفيني[1]

وأَنظرُ الأَمرَ يَعنيني الجَوابُ بهِ ... ولَستُ أَنظرُ فيما ليسَ يَعنيني

لاَ أرْكبُ الامرَ تُزْري بي عَواقبُهُ ... ولاَ يُعابُ بهِ عِرْضي ولاَ دِيني

لاَ يَغلِبُ الجَهلُ حِلمي بَعدَ مَقدِرةٍ ... ولاَ العَضيهةُ من ذي الضِّغْنِ تُكبيني

كَمْ منْ عَدُوٍّ رَماني لو قَصدْتُ لهُ ... لمْ يأخُذِ النِّصفَ منِّي حينَ يَرْميني

.. [قال المرتضى] أدام الله علوه وهذه الأبيات يروى بعضها لعروة بن أُذينة ويداخل أبياتاً له على هذا الوزن وهي التي يقول فيها

لقدْ علمتُ وما الإشرافُ منْ خُلُقي ... إنَّ الذي هوَ رِزقي سوفَ يأتيني

أَسعى اليهِ فيُعنيني تَطلُّبُهُ ... ولوْ قعَدتُ أتاني لاَ يُعنّيني[2]

كمْ قدْ أفدتُ وكمْ أتلفتُ منْ نَشَبٍ ... ومنْ معاريضِ رزقٍ غيرِ ممنونِ

---

(١) ـ الطبع ـ الذل وفي الحديث أعوذ بالله من طمع يفضي الى طبع ـ والعفة ـ بالضم بقية اللبن فى الضرع بعدما امتص أكثره .. يقول ان القليل يغني عن الكثير فلا خير في طمع يفضي الى ذل

(٢) يقول ان الرزق مقسوم لن يفوت الانسان منه ماقسم له ـ ويحكى أن عروة هذا وفد على عبد الملك بن مروان مسترفدا فلما دخل عليه قال له من أنت فتسمي له فقال عبد الملك ألست القائل (لقد علمت وما الاشراف من خلقي) الابيات فأطرق مليا ثم خرج من فوره ذلك فركب ناقته وخرج الى الحجاز ثم ان عبد الملك سال عنه فقيل انه سافر فندم على ما كان منه وقال انه شاعر ولسنا نأمن أن ينالنا من لسانه شيء فأرسل اليه بصلة جزيلة فوافاه الرسول بها حين وافى منزله بالمدينة فقال للرسول قل لامير المؤمنين كيف رأيت صدقه في قوله

فما أَشِرْتُ علي يُسْرٍ وما ضَرَعَتْ ‏ ‏ نفسي لِخُلَّةِ عُسْرٍ جاء يَبْلونِي [1]

خِيمي كَرِيمٌ ونفسي لاَ تُحَدِّثُني ‏ ‏ أَنَّ ٱلإلٰهَ بِلاَ رِزْقٍ يُخَلِّينِي

وما ٱشتَرَيتُ بمالي قطُّ مَكرُمةً ‏ ‏ إلاَّ تَيَقَّنْتُ أنِّي غَيرُ مَغْبونِ

ولاَ دُعيتُ إلى مَجْدٍ ومَحْمَدَةٍ ‏ ‏ إلاَّ أَجَبْتُ اليهِ مَنْ يُنادِينِي

لاَ أبتَغِي وَصْلَ مَنْ يَبغي مُفارَقتي ‏ ‏ ولاَ ألِينُ لِمَنْ لاَ يَبتَغي لِينِي

إنِّي سيَعرِفُني مَنْ لَسْتُ أَعرِفُهُ ‏ ‏ ولوْ كَرِهتُ وأبدُو حينَ يُخْفِينِي

فَمَطِّني جاهِدًا واجهَدْ عليَّ اذَا ‏ ‏ لاقَيتَ قومَكَ فانظُرْ هَلْ تُغَطِّينِي [2]

وقوم يخبطون فيروون قوله ـ لقدعلمت وما الاشراف من خلقي ـ بالسين غير المعجمة وذلك خطأ وانما أراد بالاشراف أني لا أستشرف وأتطلع على ما فاتني من أمور الدنيا ومكاسبها ولا تتبعها نفسي .. [قال المرتضي] رضي الله عنه ولي أبيات في معنى بعض أبيات قطنة وعروة بن أذينة التي تقدمت وهي من جملة قصيدة طويلة خرجت عني منذ أنتي عشرة سنة والأبيات

تَعاقَبَني بُؤْسُ الزَّمانِ وخَفْضُهُ ‏ ‏ وأَدَّبَني حَرْبُ الزَّمانِ وسِلْمُهُ

وقدْ عَلِمَ المَغرُورُ بالدَّهرِ أنَّهُ ‏ ‏ وَراءَ سُرُورِ المرْءِ في الدَّهرِ غَمُّهُ

---

(١) ـ أشرت ـ من الاشر وهو البطر ـ وضرعت ـ من الضراعة وهي الذل

(٢) وذكر الأصفهاني في الأغاني لعروة زيادة عما ذكره السيد رحمه الله في هذه الأبيات وهي

كم من فقير غني النفس تعرفه ‏ ‏ وكم غني فقير النفس مسكين

وكم أخ لي طوى كشحاً فقلت له ‏ ‏ ان انطواءك عني سوف يطويني

اني لأبصر فيما كان من أربي ‏ ‏ وأكثر الصمت فيما ليس يعنيني

وما المرءُ إلاّ نَهبُ يومٍ وليلةٍ … تخُبُّ بهِ شُهبُ الفناء ودُهمُهُ
يُعلّلهُ بَرْدُ الحياةِ يمسّهُ … ويَفترُّهُ رَوحُ النسيمِ يَشمُّهُ
وكانَ بعيداً عن منازعةِ الرَّدى … فألقتهُ في كفِّ المنيةِ أُمُّهُ
ألاَ إنّ خيرَ الزادِ ماسدَّ فاقةً … وخيرُ تلادَيَّ الذي لاَ أُجمُّهُ (١)
وإنّ الطوَي بالعزِّ أحسنُ بالفتى … اذا كانَ من كسبِ المذلّةِ طُعمُهُ
وإني لأَنهى النفسَ عن كلِّ لذّةٍ … اذا ماارتقى منها الى العرضِ وصمُهُ
وأُعرِضُ عن نيلِ الثُّريا اذا بدَا … وفي نيلهِ سوءُ المقالِ وذَمُّهُ
أَعفُّ وما الفحشاءُ عني بعيدةٌ … وحسبيَ في صدٍّ عن الأمرِ إثمُهُ
وما العفُّ مَنْ وَلّى عن الضربِ سيفهُ … ولكنَّ مَنْ وَلّى عَنِ السوءِ حزمُهُ

ولي في معنى قوله وما الاشراف من خلق

ما خامرَ الرِّزقُ قلبي قبلَ فجأتهِ … ولاَ بَسطتُ لهُ في النأْباتِ يَدِي
كمْ قدْ تَرادفَ لمْ أَحفلْ زِيادتَهُ … ولوْ تجاوزَني مافتَّ منْ عَضُدِي
إنْ أُسخطَ الأَمرُ أُدركْ عنهُ مُضطرباً … وإنْ أُرِدْ بَدَلاً منْ مَذْهبٍ أَجِدِ

ومعنى ـ ما خامر الرزق قلبي ـ أي لم أعنه ولا تطلعت الى حضوره ولا خطر لي ببال

(١) ـ الفاقة ـ الحاجة ـ والتليدان ـ التالد من المال وهو ماورثه الانسان من آبائه والطارف وهو ما اكتسبه واستحدثه بسعيه غلب أحدهما على الاخر فثناهما به يقول خير المال ماسد الفاقة وما زاد على ذلك فهو فضل وزيادة وهذا كقولهم خير الزاد مابلغك المحل وحسبك من القلادة ماأحاط بالعنق وقوله وخير تلادي يريد به ان خير مال الانسان ماأنفق منه وأعطي لا ماادخر وجمع

تنزهاً وتقنعاً والوجه في تخصيص نفي بسط اليد بالنوائب لانها يضرع عندها في الأكثر المتنزه ويطلب المتعفف فمن لزم النزاهة مع الحاجة وشدة الضرورة فهو الكامل المروّة ومعنى البيت الثاني ظاهر .. فأما الثالث فالمراد به إني ممن اذا كره شيئاً تمكن من مفارقته والنزوع عنه ولست ممن تضيق حيلته وتقصر قدرته عن استدراك مايحب بما يكره .. وفيه فائدة أخرى وهي أني ممن لاتملكه العادات وتقتاده الأهواء بل متى أردت مفارقة خلق الى غيره وعادة الى سواها لم يكن ذلك عليّ متعذراً من حيث كان لرأيي على هواي السلطان والرجحان .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال أخبرنا الزبير بن بكار قال حدثني عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير قال كان عروة بن أذينة نازلا مع أبي في قصر عروة بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه

إنَّ الَّتي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ ملَّها ... خُلِقَتْ هَوَاكَ كما خُلِقْتَ هَوًى لها

فيكَ الَّذي زَعَمَتْ بها فكلاكما ... أبدَى لِصاحبِهِ الصَّبابَةَ كُلَّها

ولَعَمرُها لوْ كانَ حُبُّكَ فوْقَها ... يوماً وقدْ ضَحِيَتْ إذًا لأَظلَّها[1]

واذا وَجدتُ لهاوَساوِسَ سَلْوَةٍ ... شفَعَ الضميرُ الى الفُؤَادِ فسَلَّها

بيضاءُ باكَرَها النَّعيمُ فصاغَها ... بلبَاقةٍ فأَدَقَّها وأجَلَّها[2]

---

(١) هكذا هو هنا وقد نسب هذه الابيات بعض أهل الادب الى المجنون وأنشد البيت هكذا

اني لاكتم في الحشا من حبها ... وجدا لو أصبح فوقها لاظلها

وأنشد بعده

ويبيت تحت جوانحي حب لها ... لو كان تحت فراشها لاقلها

(٢) ــ اللبقة ــ الحسنة الدل ــ وادقها ــ أي أدق خصرها ــ وأجلها ــ أي أجل عجيزتها أي جعلها عظيمة فالكلام على التوزيع وارجاع كل شيء الى مايناسبه

لمَّا عرَضتُ مُسَلِّماً ليَ حاجةً ... أخشى صُعوبتَها وأرجو ذُلَّها

منَعتْ تحيَّتَها فقلتُ لِصاحبي ... ما كانَ أكثرَها لنا وأقلَّها

فدَنا فقالَ لَعَلَّها معذورةٌ ... في بعضِ رِقبَتِنا فقلتُ لعلَّها

.. قال عروة بن عبيد الله فجاءنى أبو السائب المخزومى يوماً فسلم علىّ وجلس الىّ فقلت له بعد الرحب به ألك حاجة يا أبا السائب فقال أو كانتكون الحاجة أبيات لعروة ابن أُذينة بلغنى أنك سمعتها منه قلت أي أبيات قال وهل يخفى القمر * ان التى زعمت فؤادك ملّها * فأنشدته فقال ما يروي هذه إلاّ أهل المعرفة والفضل هذا والله الصادق الود الدائم العهد لا الهذلي الذي يقول

إنْ كانَ أهلُكِ يَمنعونَكِ رَغبةً ... عني فأهلي بي أضَنُّ وأرغبُ

لقد عدا الأعرابى طوره وإنى لا رجو أن يغفر الله لابن أُذينة في حسن الظن بها وطلب العذر لها فدعوت له بطعام فقال لا والله حتى أروى هذه الأبيات فلما رواها وثب فقلت له كما أنت يغفر الله لك حتى تأكل فقال والله ما كنت لأخلط بمحبتى لها وأخذي إياها غيرها وانصرف .. [قال المرتضى] رضى الله عنه والهذلى الذى عابه وأنشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم بن جندل الهذلى .. وقول عروة ـ باكرها النعيم ـ أراد انها لم تعش إلاّ فى النعيم ولم تعرف الا الخفض وانها لم تلاق بؤساً فتخشع وتضرع ويؤثر ذلك فى جمالها وتمامها والبكور هو التقديم فى كل وقت .. وكان عروة بن أُذينة مع تغزله يوصف بالعفاف والنزاهة .. وروى ان سكينة بنت الحسين عليهما السلام مرت به فقالت يا أبا عامر أنت الذي تقول

اذا وجدتُ أُوارَ الحُبِّ في كَبدي ... أقبلتُ نحوَ سقاءِ القومِ أبترِدُ

هَبني بَرَدتُ ببَردِ الماءِ ظاهرَهُ ... فمَنْ لِنارٍ علي الأحشاءِ تتَّقِدُ

.. وأنت القائل

قالتْ وأبثثتُها وَجدي فبُحتُ بهِ ... قد كنتَ عندِي تُحبُّ السَّترَ فاستترِ

أَلستَ تُبْصِرُ مَنْ حولى فقلتُ لها غطَّى هواكِ وما أُلقي على بَصَرِى

قال نعم قالت هن حرائر وأشارت الى جواريها ان كان خرج هذا من قلب سليم ..

وأنشد أبو الحسن أحمد بن يحيى لعروة

كأَنَّ خُزامى طلَّةٍ صابها الندى وفارةَ مسكٍ ضمَّنتْها ثيابها

اذا اقتربتْ سُعْدَى لَهِجتَ بحبِّها وإنْ تفتربْ يوماً يرعْكَ اغترابُها

وكدتُ لذِكْرَاها أَطيرُ صبابةً وغالبتُ نفساً زادَ شوقاً غلابُها

ففي أي هذا راحةٌ لكَ عندها سواءٌ لعمرى نأيُها واقترابُها

وعادَ الهوى منها كظلِّ سحابةٍ ألاحتْ ببرقٍ ثمَّ مرَّ سحابها

[قال المرتضي] رضى الله عنه وهيهات هذا البيت الأخير من قول كثير

وإني وتهيامي بعزَّةَ بعدَ ما تخلَّيتُ ممَّا بيننا وتخلَّتِ

لكالمرتجي ظلَّ الغمامةِ كلَّما تبوَّأَ منها للمقيلِ اضمحلَّتِ

كأَني وإيَّاها سحابُ مُمْحلٍ رَجاها فلمَّا جاوزَتْهُ استهلَّتِ

..وروى يحيى بن علىّ قال حدثنا أبو هفّان قال أشعر أبيات قيلت في الحسدة والدعاء لهم بالكثرة أربعة.. فأولها قول الكميت بن زيد

إنْ يحسدُوني فإني لاَ ألومهمُ قبلي منَ النَّاسِ أهلُ الفضلِ قدْ حُسِدُوا

فدامَ لى ولهم مابي وما بهمُ ومات أكثرُنا غيظاً بما يجدُ

أَنا الذِي يجدُوني في حلوقهمُ لاَ أرتقي صدَرا عنها ولاَ أَردُ

لاَ ينقصِ اللهُ حُسَّادِى فإنهمُ أَسَرُّ عندِي منَ اللاَّئي لهُ الودَدُ

.. وقال عروة بن أُذينة

لاَ يُبعِدِ اللهُ حُسادِي وزادَهمُ حتَّى يموتوا بداءٍ فيَّ مكْنونِ

إنّي رَأَيتهمُ في كلّ منزلةٍ ... أجلُّ قدرًا منَ اللاَّتي يحبُّوني

•• وقال نصر بن سيّار

إنْ يحسدُوني على مابي وما بهمُ ... فمثلُ مابي لعمري جرَّ لي الحسدَا

•• وقال معن بن زائدة

إني حُسِدتُ فزادَ اللهُ في حسَدِي ... لاَ عاشَ منْ عاشَ يومًا غيرَ محسودِ

ما يُحسَدُ المرْءُ إلاَّ منْ فضائلهِ ... بالعلمِ والظَّرفِ أو بالبأسِ والجودِ

[قال المرتضي] رضي الله عنه وقد لحظ البحتري هذا المعنى في قوله

مُحسَّدٌ بخِلاَلٍ فيهِ فاضلةٍ ... وليسَ يفترِقُ النَّعماءُ والحسَدُ

وأظن أبا العتاهية أخذ قوله

كمْ عائبٍ لكِ لمْ أسمعْ مقالتَهُ ... ولمْ يزِدْكِ لدَينا غيرَ تزْيينِ

كأنَّ عائبَكمْ يُبدِي محاسنَكم ... وصفًا فيمدَحكُم عندِي ويُغرِيني

مافوقَ حبِّكِ حبًّا لستُ أعلمهُ ... فلاَ يَضُرُّكِ أنْ لاَ تستزيدِيني

من قول عروة بن أُذينة

لاَ يُبعدُ سُعدَي مريحي من جوًى سقمٍ ... يومًا ولاَ قربُها إنْ حُمَّ يشفيني

اذَا الوُشاةُ لحَوْا فيها عصيتُهمُ ... وخِلتُ أنَّ بسُعْدَى اليومَ يُغرِيني

وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى في قوله

ما حطَّكَ الوَاشونَ منْ رُتبةٍ ... عندِي ولاَ ضرَّكَ مُغتابُ

كأنَّهمْ أثنَوا ولم يعلَموا ... عليكَ عندِي بالَّذِي عابوا

ولعروة بن أُذينة

ترُوِّعنا الجنائزُ مقبلاتٍ ... ونلهو حينَ تخفى ذاهباتِ

كَرَوْعـةِ الأَلمغَارِ ذِئبِ فلما غابَ عادَتْ رَاتِماتِ

ـ الثلة ـ القطعة من الضأن ٠٠ وهذا المعنى قد سبق اليه بعض الاعراب فقال

ونُحدِثُ رَوعاتٍ لدى كلِّ فزْعةٍ ونُسرِعُ نسياناً وما جاءنا أمنُ

وإنا ولاَ كُفرانَ للهِ رَبِّنا لكالبُدْنِ لاَ تدرى متى يومُها البُدْنُ

أخذه أبو العتاهية فى قوله

إذَا ما رأيتمْ ميِّتينِ فزعتمُ وإنْ غُيِّبوا ملتمْ إلي صبوَاتها

وأخذ عروة بن أذينة قوله

إنّ الفتى مثلُ الهلاَلِ لهُ نورٌ ليالٍ ثمَّ يمتحقْ

يبلي وتفنيهِ الدُّهورُ كما يُبلي ويُفنى الجدّةَ الخلَق

من قول بعض شعراء طيْ

مهما يكنْ رَيبُ الزّمانِ فإنني أرى قمرَ الليلِ المُعذّب كالفتى

يهلُّ صغيرًا ثمَّ يعظُمُ ضوْءهُ وصورَتهُ حتّى اذا ما هو استوَى

تقارَبَ يخبو ضوءُهُ وشعاعهُ ويمصحُ حتّى يَستسِرّ فلاَ يُرَى

كذلكَ زَيدُ المرءِ عندًا نتقاصهِ يَعودُ إلى مثلِ الّذي كانَ قد بَدَى

أخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال

المرءُ مثلُ هلالٍ عندَ مطلعهِ يبدُو ضئيلا ضعيفاً ثمَّ يَتّسقُ

يزْدادُ حتى اذا ما تمَّ أعقبَهُ كرُّ الجديدَينِ نقصاً ناً فيمتحقُ

مجلس آخر ٣٢

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك

سليمان وما كفر سليمانُ ولكنّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحدٍ إلاّ باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئسما ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) ٠٠ فقال كيف ينزل الله تعالى السحر على الملائكة أم كيف تعلّم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف نسب الضرر الواقع عند ذلك الى انه باذنه وهو تعالى قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف أثبت العلم لهم ونفاه عنهم بقوله (ولقد علموا لمن اشتراه) ثم قوله (لو كانوا يعلمون) ٠٠ الجواب قلنا في الآية وجوه كل منها يزيل الشبهة الداخلة على من لا ينعم النظر فيها ٠٠ أوّلها أن يكون ما فى قوله (وما أنزل على الملكين) بمعنى الذى فكأنه تعالى أخبر عن طائفة من أهل الكتاب بانهم اتبعوا ما تكذب به الشياطين على ملك سليمان وتضيفه اليه من السحر فبرأه الله تعالى من قذفهم وأكذبهم فى قولهم فقال وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر والتمويه على الناس ثم قال يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين وأراد انهم يعلمونهم السحر والذى أنزل على الملكين وما أنزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه للناس فيجتنبوه ويحذروا منه كما انه تعالى قد أعلمنا ضروب المعاصى ووصف لنا أحوال القبائح لنجتنبها لا لنواقعها لأن الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه واقدموا على فعله وان كان غيرهم من المؤمنين لمّا عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على كيفيته ثم قال وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة يعنى الملكين ومعنى يُعَلّمان يَعْلِمَانِ والعرب تستعمل لفظة علمه بمعني أعلمه ٠٠ قال القطامي

تعلّمْ أنّ بَعدَ الغَيّ رُشدًا ... وأنّ لِشابِكِ الغِيَرِ انقشاعا

٠٠ وقال كعب بن زهير

تَعلّم رَسولَ اللهِ أنّكَ مُدرِكي ... وأنّ وَعيدًا منكَ كالأَخذِ باليَدِ

ومعنى تعلم في البيتين معنى اعلم والذى يدل ان المراد ههنا الاعلام لا التعليم قوله وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر أى انهما لا يعرفانه صفات السحر وكيفيته إلاّ بعد أن يقولا انما نحن محنة لان الفتنة بمعنى المحنة وانما كان محنة بحيث ألقيا الى المكلفين أمراً لينزجروا عنه وليمتنعوا من مواقعته وهم اذا عرفوه أمكن أن يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض فى إلقاء هذا اليك فانه انما ألقى اليك واطلعت عليه لتجتنبه لا لتفعله ثم قال فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه أى فيعرفون من جهتهما مايستعملونه في هذا الباب وان كان الملكان ما ألقياه اليهم لذلك ولهذا قال ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم لما قصدوا بتعلمه أن يفعلوه ويرتكبوه لا أن يجتنبوه صار ذلك لسوء اختيارهم ضرراً عليهم ٠٠ وثانيها أن يكون ما أنزل موضعه موضع جرّ فيكون معطوفاً بالواو على ملك سليمان والمعنى واتبعوا ما كذب به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين ومعنى ما أنزل على الملكين أى معهما وعلى ألسنتهما كما قال تعالى (ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك) أي على ألسنتهم ومعهم وليس بمنكر أن يكون ما أنزل معطوفاً علي ملك سليمان وان اعترض بينهما من الكلام ما اعترض لأن رد الشئ الى نظيره وعطفه على ماهو أولى هو الواجب وان اعترض بينهما ماليس منهما ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب كثيرة قال الله تعالى (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيما) وقيم من صفات الكتاب حال منه لا من صفة عوج وان تباعد ما بينهما ومثله (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام) فالحرام ههنا معطوف علي الشهر أي يسئلونك عن الشهر الحرام وعن المسجد الحرام ٠٠ وحكي عن بعض علماء أهل اللغة انه قال العرب تلف الحرفين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كل خبره كقوله تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) وهذا واضح في مذهب العرب كثير التطابق ثم قال (وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة) والمعنى انهما لا يعلمان أحداً بل ينهيان عنه ويبلغ من نهيهما وصدهما عن فعله واستعماله

أن يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال السحر والاقدام على فعله وهـذا كما يقول الرجل ما أمرت فلاناً بكذا ولقد بالغت فى نهيه حتى قلت له انك ان فعلته أصابك كذا وكذا وهذا هو نهاية البلاغة فى الكلام والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة لانه اسـتغنى بقوله (وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا انما نحن فتنة) عن بسط الكلام الذى ذكرناه ولذلك نظائر فى القرآن قال الله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إلهٍ إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) فلولا الاختصار لكان شرح الكلام بقوله ما اتخـذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله ولو كان معـه إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ومثله قوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب) أى فيقال للذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم وأمثاله أكثر من أن تورد .. ثم قال تعالى (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) وليس يجوز أن يرجع الضمير فى هذا الجواب الى الملكين وكيف يرجع اليهـما وقد نفى عنهما التعليم بل يرجع الي الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر وتقـدم أيضاً ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه فى قوله ولكن الشـياطين كفروا فدل كفروا على الكفر والعطف عليـه مع السحر جائز وان كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه ومثل ذلك قوله تعالى (سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى) أى يتجنب الذكري الأشقى ولم يتقدم تصريح بالذكرى لكن دل عليها قوله سـيذكر .. ويجوز أيضاً أن يكون المعنى فيتعلمون منهـما أي بدلا مما علمهم الملكان ويكون المعنى انهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النهي عن السحر الى تعلمه واستعماله كما يقول القائل ليت لنا من كذا كذا وكذا أي بدلا منه .. وكما قال الشاعر

جَمعتَ منَ الخيرَاتِ وَطباً وعُلبةً ... وصَرّاً لأَخلافِ المُزَهَّمةِ البُزْلِ[1]

(١) ــ الصر ــ شَدُّ خلف الناقة بالخيط لئلا تحلب والناقة صرورة ــ والاخلاف ــ جمع خلف وهو للناقة كالثدى للمرأة ــ والمزهمة ــ السمان الكثيرة الشحم ومثله الزهم .. قال زهير

القائد الخيل منكوبا دوابرها ... منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

ــ والبزل ــ جمع بازل وهو البعير اذا انشق نابه وذلك إنما يكون في السنة التاسعة

ومنْ كلِّ أخلاقِ الكِرَامِ نميمةً … وسَعْياً على الجارِ المُجاوِرِ بالمحلِ

يريد جمعت مكان الخيرات ومكان أخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة .. وقوله مايفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجهان .. أحدهما أن يكونوا يغوون أحد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجة الآخر المؤمن المقيم على دينه فيفارق بينهما اختلاف النحلة والملة .. والوجه الآخر أن يسعون بين الزوجين بالنميمة والوشاية والاغراء والتمويه بالباطل حتى يؤول أمرهما الى الفرقة والمباينة .. وثالث الوجوه أن تحمل مافي قوله وما أنزل على الجحد والنفي فكأنه تعالى قال واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذى معناه التقديم ويكون ا التأويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس هذان أسماؤهما وانما ذكرا بعد الناس تميزاً وتبييناً ويكون الملكان المذكوران اللذان نفى عنهما السحر جبرائيل وميكائيل عليهما السلام الى سليمان بن داود عليه السلام فأكذبهما الله تعالى بذلك ويجوز أن يكون هاروت وماروت يرجعان الى الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ فى قوله تعالى (وكنّا لحكمهم شاهدين) يعنى حكم داود وسليمان ويكون قوله على هذا التأويل وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا انما نحن فتنة راجعاً الى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين أو من الانس المتعلمين للسحر من الشياطين والعاملين به ومعنى قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالع كما يقول الماجن من الناس اذا فعل قبيحاً أو قال باطلا هذا فعل من لا يفلح وقول من لاينجب والله لا حصلت إلاّ على الخسران وليس ذلك منه على سبيل النصح للناس وتحذيرهم من مثل فعله بل على جهة المجون والتهالك ويجوز أيضاً على هذا التأويل الذى يتضمن النفي والجحد أن يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ونفى عنهما انزال السحر بقوله وما أنزل على الملكين ويكون قوله وما يعلمان من أحدٍ يرجع

الى قبيلتين من الجن أو الى شياطين الجن والانس فتحسن التثنية لهذا •• وقد روى هذا التأويل الأخير في حمل ماعلى النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين •• وروى عنه أيضاً انه كان يقرأ وما أنزل على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين بل كانا ملكين •• وعلى هذه القراءة في الآية وجه آخر وان لم يحمل قوله وما أنزل على الملكين على الجحد والنفي وهو أن يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتبعوا ماتتلو الشياطين وتدعيه على ملك سليمان واتبعوا ماأنزل على هذين الملكين من السحر ولا يكون الانزال مضافاً الى الله تعالى وان أطلق لأنه جل وعز لا ينزل السحر بل يكون منزله اليهما بعض الضلال العصاة ويكون معنى أنزل وان كان من الأرض حمل اليهما لا من السماء انه أتي به من نجود البلاد وأعاليها فان من هبط من نجد البلاد الى غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى •• فأما قوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد إلاّ باذن الله) فيحتمل وجوهاً •• منها أن يريد بالاذن العلم من قولهم أذنت فلاناً بكذا اذا أعلمته وأذنت لكذا اذا سمعته وعلمته •• قال الشاعر

في سَماعٍ يأذَنُ الشَّيخُ لهُ وحَدِيثٍ مِثلِ ماذِيٍّ مُشارِ [1]

•• ومنها أن تكون إلاّ زائدة فيكون المعنى وما هم بضارين به من أحدٍ باذن الله ويجرى مجرى قول أحدنا لقيت زيداً إلاّ أني أكرمته أي لقيت زيداً فأكرمته •• ومنها أن يكون أراد بالاذن التخلية وترك المنع فكأنه أفاد بذلك ان العباد لن يعجزوه وما هم بضارين أحداً إلاّ بأن يخلي الله تعالى بينهم وبينه ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر زائداً على منعهم بالزجر والنهي •• ومنها أن يكون الضرر الذي عنى انه لايكون إلاّ باذنه وأضافه اليه هو ما يلحق المسحور من الأدوية والأغذية التي تطعمه إياها السحرة ويدعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور ومعلوم ان الضرر الحاصل عن ذلك من فعل

---

(١) ــ الماذي ــ العسل الأبيض ــ ومشار ــ مجني •• يقول ان غناءها لطيبه وحسنه يستمع الشيخ الهرم له ويصغى اليه وحديثها لطلاوته ورقته كأنه العسل الجيد والاصمعي يروى هذا البيت مثل ماذى مشار بالاضافة وفتح الميم قال والمشار الخلية

الله تعالى بالعادة لأن الأغـذية لا توجب ضرراً ولا نفعاً وان كان المعرض للضرر من حيث كان الفاعل له هو المستحق للذم وعليه يجب العوض ‥ ومنها أن يكون الضرر المذكور انما هو يحصل عن التفريق بين الأزواج لانه أقرب اليـه فى ترتيب الكلام والمعنى انهم اذا أغووا أحـد الزوجين فكفر فبانت منه زوجته فاسـتضر بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر لان الفرقة لم تكن إلاّ باذن الله وحكمه لانه تعالى هو الذي حكم وأمر بالتفريق بين المختلفى الأديان فلهـذا قال وما هم بضارين به من أحدٍ إلاّ باذن الله والمعنى انه لولا حكم الله وإذنه فى الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارّين له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقة ويقوى هذا الوجه ماروي انه كان من دين سليمان عليه السـلام انه من سحر بانت امرأته ‥ فأما قوله تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق) ثم قوله (لو كانوا يعلمون) ففيه وجوه ‥ أوّلها أن يكون الذين علموا غـير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبر عنهـم بانهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهـم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلك سـليمان والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر وشروا به أنفسـهم ‥ وثانيها أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا إلاّ انهم علموا شيئاً ولم يعلموا غـيره فكأنه تعالى وصفهم بانهم عالمون بانه لا نصيب لمن اشـترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصيروا اليه من عقاب الله الذى لا نفاد له ولا انقطاع ‥ وثالثها أن تكون الفائدة في نفى العلم بعد اثباته انهم لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا وهذا كما يقول أحدنا لغيره ما أدعوك اليه خـير لك وأعود عليك ولو كنت تعقل وتنظر في العواقب وهو يعقل وينظر فى العواقب إلاّ انه لا يعمل بموجب علمه فحسن أن يقال له مثل هـذا القول ‥ قال كعب بن زهير يصف ذئباً وغراباً تبعاه ليصيبا من زاده

اذَا حَضَرَانى قُلتُ لوْ تَعلَمانهِ ... ألمْ تَعلَما أني مِنَ الزَّادِ مُرْمِلُ

فنفى عنهما العلم ثم أثبته بقوله ألم تعلما وانما المعنى فى نفيه العلم عنهما انهما لم يعملا بما علماه

فكأنهما لم يعلماه .. ورابعها أن يكون المعنى ان هؤلاء القوم الذين قد علموا ان الآخرة لاحظ لهم فيها مع علمهم القبيح إلا أنهم ارتكبوه طمعاً في حطام الدنيا وزخرفها فقال تعالى (ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) ان الذي آثروه وجعلوه عوضاً من الآخرة لا يتم لهم ولا يبقى عليهم وانه منقطع زائل ومضمحل باطل وانما الملك الى المستحق فى الآخرة وكل ذلك واضح بحمد الله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[تأويل خبر] .. روى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان القرآن فى إهاب مامسته النار .. وقد ذكر متأولو حديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر وجوهاً كثيرة كلها غير صحيح ولا شاف وأنا أذكر مااعتمدوه وأبين مافيه ثم أذكر الوجه الصحيح .. قال ابن قتيبة ذهب الأصمعي الى أن من تعلم القرآن من المسلمين لو ألقي في النار لم تحرقه وكنى بالاهاب وهو الجلد عن الشخص والجسم واحتج على تأويله هذا الحديث عن سليمان بن محمد قال سمعت أبا امامة يقول اقرؤا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلباً وعى القرآن .. قال ابن قتيبة وفي الحديث تأويل آخر وهو ان القرآن لو كتب فى جلد ثم ألقي فى النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحرقه النار على جهة الدلالة على صحة أمر النبي صلى الله عليه وسلم ثم انقطع ذلك بعده قال وجرى هذا مجرى كلام الذئب وشكاية البعير وغير ذلك من آياته صلى الله عليه وسلم .. قال وفيه تأويل ثالث وهو أن يكون الاحراق انما نفى عن القرآن لا عن الاهاب ويكون معنى الحديث لو جعل القرآن في إهاب ثم ألقي فى النار مااحترق القرآن فكأن النار تحرق الجلد والمداد ولا تحرق القرآن لأن الله ينسخه ويرفعه من الجلد صيانة له عن الاحراق .. وقال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري راداً على ابن قتيبة معترضاً عليه اعتبرت مقاله ابن قتيبة من ذلك كله فما وجدت فيه شيئاً صحيحاً .. أما قوله الأول فيرده ما روي عنه عليه الصلاة والسلام من قوله يخرج من النار قوم بعد مايحرقون فيها فيقال هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل .. قال وقد روى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا دخل أهل الجنة

الجنة وأهل النار النار قال الله عزوجل انظروا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه منها .. قال أبو بكر وكيف يصح قول ابن قتيبة في زعمه ان النار لا تحرق من قرأ القرآن ولا خلاف بين المسلمين ان الخوارج وغيرهم ممن يلحد في دين الله ويقرأ القرآن أن تحرقهم النار بغير شك واحتجاجه بخبر أبي امامة ان الله لا يعذب قلباً وعى القرآن معناه قرأ القرآن وعمل به فأما من حفظ ألفاظه وضيع حدوده فانه غير واعله .. قال وأما قوله انه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده فما روى هذا الحديث أحد انه كان في دلائله عليه الصلاة والسلام ولو أراد ذلك دليلا لكان صلى الله عليه وسلم يجعل القرآن في إهاب ثم يلقيه في النار فلا يحترق .. قال وقول ابن قتيبة الثالث لاحترق الجلد والمداد ولم يحترق القرآن غير صحيح لان الذي يصحح هذا القول يوجب أن القرآن غير المكتوب وهذا محال لان المكتوب في المصحف هو القرآن والدليل على هذا قوله تعالى ﴿ إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلاّ المطهرون ﴾ ومنه الحديث لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو وانما يريد المصحف .. قال أبو بكر والقول عندنا في تأويل هذا الحديث انه أراد لو كان القرآن في جلد ثم ألقي في النار ما أبطلته لانها وان أحرقته فانها لا تدرسه اذ كان الله عز وجل قد ضمنه قلوب الأخيار من عباده والدليل على هذا قول الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم فيما روى إني منزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان فلم يرد تعالى ان القرآن لو كتب في شيء ثم غسل بالماء لم ينغسل وانما أراد ان الماء لا يبطله ولا يدرسه اذ كانت القلوب تعيه وتحفظه .. قال ومثل هذا كثير في كتاب الله وفي لغة العرب قال الله تعالى ﴿ يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً ﴾ فهم قد كتموا الله تعالى لما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما أراد تعالى ولا يكتمون الله حديثاً في حقيقة الأمر لانهم وان كتموه في الظاهر فالذي كتموه غير مستتر عنه .. [قال المرتضي] رضي الله عنه والوجه الصحيح في تأويل الخبر غير ما توهمه ابن قتيبة وابن الانباري جميعاً وهو ان هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شأن القرآن والاخبار عن جلالة قدره وعظم

خطره والمعنى انه لو كتب في إهاب وألقى فى النار وكانت النار مما لا تحرق شيئاً لعلو شأنه وجلالة قدره لم تحرقه النار .. ولهذا نظائر فى القرآن وكلام العرب وأمثالهم كثيرة ظاهرة على من له أدنى أنس بمذاهبهم وتصرف كلامهم فمن ذلك قوله تعالى ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ ومعنى الكلام إنا لو أنزلنا القرآن على جبل وكان الجبل مما يتصدع إشفاقاً من شئ أو خشية لأمر لتصدع مع صلابته وقوته فكيف بكم معاشر المكلفين مع ضعفكم وقلتكم فأنتم أولى بالخشية والاشفاق وقد صرح الله تعالى بان الكلام خرج مخرج المثل بقوله تعالى ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ ومثله قوله تعالى ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا ﴾

.. ومثله قول الشاعر

أَمَا وجلاَلِ اللهِ لوْ تذْكُرِينَني ... كذِكرَاكِ ماانْهَنْهَتِ للعينِ مَدْمَعا

فقالتْ بَلى واُللهِ ذِكْرًا لوَ انَّهُ ... تَضَمَّنَهُ صُمُّ الصفَا لتصَدَّعا

.. ومثله

فلوأنَّ ما بي بالحصي فلَّقَ الحَصى ... وبالرّيحِ لمْ يُسمَعْ لهُنَّ هُبوبُ

.. ومثله

وَقفتُ علي رَبْعٍ لِميَّةَ ناقَتي ... فما زِلتُ أبكي عِندَهُ وأُخاطِبُهُ

وأسقيهِ حتى كادَ مِمَّا أَبُثُّهُ ... تُكَلِّمُني أحجارُهُ وملاَعِبُه

وهذه طريقة للعرب مشهورة فى المبالغة يقولون هذا كلام يفلق الصخر ويهد الجبال ويصرع الطير ويستنزل الوعول وليس ذلك بكذب منهم بل المعنى انه لحسنه وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الأمور لو تأتت ولو كانت مما يسهل ويتيسر لشئ من الأشياء لتسهلت به من أجله .. فأما الجواب الأول المحكى عن ابن قتيبة فالذي يفسده زائداً على ما رده ابن الانبارى انه لو كان الأمر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الأصمعي

لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أغرانا بالذنوب لانه اذا أمن حافظ القرآن ومتعلمه من النار والعذاب فيها ركن المكلفون الى تعلم القرآن والاقدام على القبائح آمنين غير خائفين وهذا لايجوز عليه صلى الله عليه وسلم والمعني فيقول أبي امامة ان الله عزوجل لا يعذب قلباً وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الانباري •• فأما جواب ابن قتيبة الثاني فمن أين له ان ذلك مختص بزمانه صلى الله عليه وسلم وليس فى اللفظ ولا غيره دلالة عليه وأقوى ما يبطله انه لوكان كما ذكر لما جاز أن يخفى على جماعة المسلمين الذين رووا جميع معجزاته وضبطوها وفى وجداننا من روى ذلك وجهه وعنى بهغير عارف بهذه الدلالة آية إبطال ماتوهمه •• فأما جوابه الثالث فباطل لأن القرآن فى الحقيقة ليس بحل الجلد ولا يكون فيه حتى ينسب الاحراق الى الجلد دونه واذا كان الأمر على هذا لم يكن فى قوله ان الاهاب هو المحترق دون القرآن فائدة لأن هذه سبيل كل كلام كتب فى اهاب أو غيره اذا احترق الاهاب لم يضف الاحتراق الى الكلام لاستحالة هذه الصفة عليه •• ومن أعجب الأمور قول ابن الانبارى وهذا يوجب أن القرآن غير المكتوب لان كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنه بل يوجب ضده من ان لفظ المكتوب هو القرآن وهذا علق الاحتراق بالكتابة والجلد دون المكتوب الذى هو القرآن فاذا كان المكتوب فى المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الانبارى فما المانع من قول ابن قتيبة ان الجلد يحترق دونه لان أحداً لا يقول ان الجلد هو القرآن وانما يقول قوم انه مكتوب فيه واذا كان غيره لم يمتنع اضافة الاحتراق الى أحدهما دون الآخر وهذا كله تخليط من الرجلين لأن القرآن غير حال فى الجلد على الحقيقة وليست الكتابة عين المكتوب وانما الكتابة أمارة للحروف فاما أن تكون هي الكلام على الحقيقة أو يوجد معها الكلام مكتوباً فيحال •• فأما استشهاده على ذلك بالآية وبقوله لا تسافروا بالقرآن فذلك تجوز وتوسع وليس يجب أن يجعل اطلاق الألفاظ المحتملة دليلا على اثبات الأحكام والمعانى ومعترضة على أدلة العقول وقد تجوز القوم بأكثر من هذا فقالوا فى هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعي وفقه فلان فلم يقتض ذلك أن يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين في الدفتر وقد بيّن الكلام في هذا

الباب في مواضع هي أولى به .. فأما جواب ابن الانباري الذي ارتضاه لنفسه فلا طائل أيضاً فيه لانه لا مزيّة للقرآن فيما ذكره على كلام وشعر في العالم لانا نعلم ان الشعر والكلام المحفوظ فى صدور الرجال اذا كتب فى جلد ثم أحرق أو غسل لم يذهب ما فى الصدور ومنه بل يكون ثابتاً بحاله فأى مزيّة للقرآن فى هذا على غيره وأي فضيلة .. فان قال وجه المزيّة ان غير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن يندرس ويبطل باحراق النار والقرآن اذا كان تعالى هو المتولى لايداعه الصدور لايتم ذلك فيه .. قلنا الكل سواء لأن غير القرآن انما يبطل باحتراق الاهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظاً مودعاً للصدور ومتى كان بهذا الصفة لم يبطل باحتراق الجلد وهكذا القرآن لو لم يحفظ فى الصدور لبطل بالاحتراق ولكنه لا يبطل بهذا الشرط فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته كالشرط فى بطلان القرآن وثباته فلا مزيّة على هذا الجواب للقرآن فيما خص به من ان النار لا تمسه وهذا يبين انه لا وجه غير ما ذكرناه فى الخبر وهو أشبه بمذاهب العرب وأولى بتفضيل القرآن وتعظيمه .. أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم قال ابن دريد وأنشدناه عبد الرحمن يعني ابن أخي الأصمعي عن عمه للحسين بن مطير الأسدى وقال عبد الرحمن قال عمي لو كان شعر العرب هكذا ما اُتّهِمَ منشده

أَلاَ حبذَا البيتُ الَّذِي أَنتَ هاجرُه ... وأنتَ بتَلْماحٍ مِنَ الطَّرْفِ ناظرُه

لأَنَّكَ مِنْ بيتٍ لعينيَ مُعجِبٍ ... وأَملَحُ في عيني مِنَ البيتِ عامرُه

أَصُدُّ حَيَاءً أَنْ يلِمَّ بِيَ الهَوَى ... وفيكَ المُنَى لولاَ عَدُوٌّ أُحاذِرُه

وفيكَ حَبيبُ النَّفْسِ لو تَستَطيعهُ ... لَمَاتَ الهَوَى والشَّوْقُ حِينَ تُجاوِرُه

فإِنْ آتهِ لمْ أَنجُ إلاَّ بظِنَّةٍ ... وإِنْ يأْتهِ غيرِي تَنَطْ بِي جَرَائِرُه [1]

(١) ـ تنط ـ تربط وتعلق أي تسند ـ والجرائر ـ جمع جريرة وهي الذنب .. يقول ان آت هذا البيت رماني الناس بظنونهم وان أتاه غيرى أضيف الي أى قال

وكانَ حبيبُ النَّفسِ للقلبِ واترًا　　　وكيفَ يحبُّ القلبُ مَنْ هو واترُه

فإنْ تكنِ الأعداءُ أحموا كلامَهُ　　　علينا فلَنْ تَخْفى علينا مناظرُه

أُحبُّكِ يا سلْمى على غيرِ ريبةٍ　　　ولا بأسَ في حُبٍّ تَعِفُّ سرائرُه [1]

ويا عاذلي لولا نفاسةُ حُبِّها　　　عليكَ لمَا بالَيْتُ أنَّكَ خائرُه

بنفسيَ مَنْ لا بُدَّ أنّيَ هاجرُه　　　ومَنْ أنا في الميسورِ والعسرِ ذاكرُه

ومَنْ قدْ لحاهُ النّاسُ حتّى اتّقاهُمُ　　　ببغضيَ إلاّ ما تُجِنُّ ضمائرُه [2]

أُحبكِ حُبًّا لنْ أُعنِّفَ بعدَهُ　　　مُحبًّا ولكنّي اذا ليمَ عاذرُه

لقدْ ماتَ قبلي أوَّلُ الحبِّ فانقضى　　　ولو متُّ أضحى الحبُّ قدْ ماتَ آخرُه [3]

كلامُكِ يا سلْمى وإنْ قلَّ نافعي　　　فلا تحسَبي أنّي وإنْ قلَّ حاقرُه

ألَا لا أبالي أيَّ حيٍّ تحمَّلوا　　　اذا إثمِدُ البرقاءِ لمْ يخْلُ حاضرُه [4]

الناس إنه مرسل من قبلي لمراسلة من فيه

(١) ـ الريبة ـ الظنة والتهمة .. يقول أحبك حباً لا يخالطه سوء ولا يظن فيه شر .. وقوله ـ ولا بأس فى حب تعف سرائره ـ أى تعف سرائر صاحبه فاضاف السرائر للحب توسعا وانما هي للمحب ومثله فى القرآن الكريم عيشة راضية أى راض صاحبها

(٢) ـ لحاه ـ لامه واللاحي اللائم في الشيء المعنف عليه .. وقوله ـ الا ما تجن ضمائره ـ يريد به أنه يظهر للناس كراهتي وبغضي لكف ألسنتهم عنه وليس في قلبه الا محبتي

(٣) ـ يريد أن محبته لها ذهبت بسيرة من تقدمه من المحبين وانه لن يأتى بعده من يذكر بالمحبة وان حبه لن يضارعه حب من تقدمه ومن يأتى بعده

(٤) ـ تحملوا ـ يروى بدله تفرقوا ـ والبرقاء ـ اسم موضع في بادية الجزيرة .. يقول انه لايبالى رحيل من رحل من الناس اذا كان هذا الموضع عامرا بأهله لم يرحلوا

وأنشد ابن الاعرابي لابن مطير

لعمرُكَ بالبيتِ الذي لا نطورُهُ ... أحبُّ إلينا من بلادٍ نَطُورُها[1]

تَقَلَّبتُ في الإخوانِ حتّى عرفتُهمْ ... ولا يعرفُ الإخوانَ إلاّ خبيرُها

فلا أصرِمُ الخلاّنَ حتّى يُصارِموا ... وحتّى يَسيرُوا سيرةً لا أسيرُها

فإنكَ بعدَ الشرِّ ما أنتَ واجدٌ ... خليلاً مُدِيمًا سيرةً لا يُدِيرُها

معني ـ يديرها ـ يقلبها مرة ههنا ومرة ههنا

وإنّكَ في عينِ الأخِلاّءِ عالِمٌ ... بأنّ الّذي يَخفى عليكَ ضميرُها

فلا تكُ مغرورًا بِسَحّةِ صاحبٍ ... منَ الوُدِّ لا تدري علامَ مصيرُها

وما الجودُ عن فقرِ الرِّجالِ ولا الغنى ... ولكنّهُ خيمُ الرِّجالِ وخيرُها

وقد تَغدُرُ الدُّنيا فيُضحي غنيُّها ... فقيرًا ويَغنى بعدَ بُؤسٍ فقيرُها

وكائنْ تَرى مِنْ حالِ دُنيا تغيَّرَتْ ... وحالِ صفًا بعدَ اكدِرارٍ غديرُها

ومِنْ طامعٍ في حاجةٍ لَنْ ينالَها ... ومِنْ يائسٍ منها أتاهُ يَسيرُها

لأنهم هم الذين يحبهم ويشفق من رحيلهم ٠٠ وفي بعض كتب الأدب بعد هذه الابيات

وبالبرق أطلال كأن رسومها ... قراطيس خطّ الحبر فيهن ساطره

أبت سرحة الأنماد الاملاحة ... وطيبا اذا ما نبتها اهتز ناضره

(١) ـ لطوره ـ نحوم حوله ٠٠ يقول ان البيت الذى نجتنبه ونتحاماه خوف الوشاة أحب الينا من البلاد التى نأتيها اذ لم يكن من نهوى فيها ٠٠ومثل هذا قول الاحوص

يابيت عاتكة الذى اتعزل ... حذر العدا وبه الفؤاد موكل

انى لامنحك الصدود وإننى ... قسما اليك مع الصدود لأميل

وَمَنْ يَتَّبِعْ مايُعْجِبُ النَّفْسَ لم يَزَلْ مُطيعاً لها في فعلِ شيْءٍ يَضيرُها
فَنَفْسَكَ أَكْرِمْ عنْ امورٍ كثيرةٍ فمالكَ نفسٌ بعدَها تستعيرُها(١)

[قال المرتضي] رضي الله عنه ولى في معنى قول ابن مطير ـ وقد تغدر الدنيا ـ والبيت الذي بعده من جملة قصيدة

وكيفَ آنَسُ بالدُّنيا ولستُ أرَى إلاَّ امرأً قدْ تَمَرَّى من عَوارِيها
نَصبو اليها بآمالٍ مُخيِّبةٍ كأنَّنا ما نَرَي عُقبى أَمانيها
في وَحشةِ الدَّارِ مِمَّنْ كانَ يَسكُنُها كلٌّ اعتبارٍ لمنْ قدْ ظلَّ يأْويها
لاَ تكذِبَنَّ فما قَلبي لها وَطَنٌ وقدْ رَأَيتُ طُلولاً من مَغانيها

•• وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال أنشدنا عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد ابن يحيى ثعلب للحسين بن مطير

لقدْ كُنتُ جَلْداً قبلَ أنْ تُوقِدَ النَّوى علي كَبِدي ناراً بَطيئاً خُمودُها
ولوْ تُرِكتْ نارُ الهوَى لتصرَّمَتْ ولكنَّ شوْقاً كلَّ يوْمٍ يَزيدُها
وقدْ كُنتُ أرْجو أنْ تموتَ صَبابتي اذَا قَدُمتْ أحزانُها وعُهودُها
فقدْ جعلتْ في حبَّةِ القلبِ والحشا عِهادُ الهَوَى تُولي بشَوْقٍ يُعيدُها
بمُرْتَجَّةِ الأرْدافِ هِيفٍ خُصورُها عِذابٍ ثَناياها عِجافٍ قيودُها(٢)

(١) ـ يقول ان النفس لاتميل بطبعها الا الى الشرور فمن اطاع نفسه وانالها مشتهاها وقع فى شرور كثيرة وقادته الى مايضره

(٢) ـ مرتجة الارداف ـ يريدان أردافها ضخمة فهي اذا تحركت اضطربت اردافها ـ وهيف ـ جمع هيفاء وهي الدقيقة الخصر الضامرة البطن ـ وعجاف ـ جمع عجناء وهي النحيفة وهـذا الجمع شاذفان افعل وفعلاء لايجمع على فعال الا انهم بنوه على سمان

يعنى انها عجاف اللثات وأصول الاسنان وهي قيودها •• قال أبو العباس ثعلب عجاف بالخفض لحن لانه ليس من صفة النساء وسبيله أن يكون نصباً لانه حال من الثنايا

مُخَصَّرَةِ الأَوساطِ زَانت عُهودَها ... بأحسنَ مما زَيَّنَتْهُ عقودُها

وصُفْرٍ تَرَاقِيها وحُمْرٍ أكُفُّها ... وسودٍ نَوَاصيها وبيضٍ خُدُودُها

وصف التراقي بالصفرة من الطيب وحمرة أكفها من الخضاب

يُمَنِّينَنا حتَّى تَرُفَّ قلوبُنا ... رَفيفَ الخُزَامى باتَ طَلٌّ يجودُها

أخذ •• قوله مخصرة الأوساط البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة

وتَزِيدِينَ طَيِّبَ الطِّيبِ طِيباً ... إنْ تَمَسِّيهِ أينَ مثلُكِ أينا

وإذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجوهٍ ... كانَ للدُّرِّ حُسْنُ وَجهِكِ زَينا

وروى أبو تمام الطائى في الحماسة بعض الأبيات الذى ذكرناها للحسين بن مطير وروى له أيضاً ويشبه أن يكون الجميع من قصيدة واحدة

وكُنتُ أذُودُ العينَ أنْ تَرِدَ البُكا ... فقدْ وَرَدَتْ ما كنتُ عنهُ أذُودُها

هلِ اللهُ عافٍ عنْ ذُنوبٍ تَسلَّفتْ ... أمِ اللهُ إنْ لمْ يَعفُ عنها مُعِيدُها

وأنشد أبو محكم لابن مطير

قضى اللهُ يا أسماءُ أنْ لستُ بارحاً ... أحبُّكِ حتى يُغمِضَ العينَ مُغمِضُ

وحُبُّكِ بَلوَى غيرَ أنْ لا يَسُرُّني ... وإنْ كانَ بَلوَي أنَّني لكِ مُبْغِضُ

اذا أنا رُضْتُ النفسَ في حُبِّ غيرِها ... أتي حبُّها منْ دُونِها يتعرَّضُ

فيا لَيتَني أقرَضتُ جَلْداً صَبابَتي ... وأقرَضَني صبراً على الشَّوْقِ مُقرِضُ

لانهم قد يبنون الشيء على ضده كقولهم عدوّة بالهاء لمكان صديقة وعجاف لا مانع من جعله صفة للمرأة وان انكره ثعلب

ويشبه أن يكون أخذ قوله اذا أنا رُضت النفس في حب غيرها من قول رجل من فزارة

وأعرِضُ حتّي يَحسِبَ النَّاسُ أنما ... بيَ الهَجرُ لاَ واللهِ مابي لكِ الهَجْرُ

ولكِن أرُوضُ النَّفسَ أنظرُ هل لها ... اذا فارَقتْ يوماً أحبتَها صبرُ

أو من قول نصيب

وإنّي لأَستحيي كثيرًا وأتقي ... عَدُوًّا وأستَبقي المَوَدَّةَ بالهَجْرِ

وأُنذِرُ بالهُجْرانِ نفسي أَرُوضُها ... لأَعلمَ عِندَ الهَجْرِ هَلْ لِيَ مِنْ صَبْرِ

ويشبه أن يكون أخذه قوله فياليتنى أقرضت جلداً صبابتي البيت من قول بعض العرب

رَمى قلبَهُ البَرْقُ المُلالِيُّ رَمْيَةً ... بجَنْبِ الحِما وَهناً فَكادَ يَهِيمُ

فهَلْ مِنْ مُعِينٍ طَرْفَ عينٍ خَلِيّةٍ ... فإنسانُ عَيْنِ العامِرِيّ كَلِيمُ[1]

وللحسين في هذا المعنى مارواه المبرد

ولي كَبِدٌ مَقرُوحةٌ مَنْ يَبيعُني ... بها كَبِدًا ليستْ بذَاتِ قُرُوحِ

أَباها النّاسُ وَيبَ النّاسِ لايَشترُونَها ... ومَنْ يَشتَري ذَا عِلّةٍ بِصَحيحِ

وأخذ العباس بن الأحنف هذا المعنى فقال

مَنْ ذَا يُعيرُكَ عَينَهُ تَبكي بها ... أرَأيتَ عيناً لِلبُكاءِ تُعارُ

وأخبرنا المرزبانى قال حدثنا أبو عبد الله الحكيمى قال حدثني يموت بن المزرّع قال حدثنا محمد بن حميد قال كنا عند الأصمعي فأنشده رجل أبيات دِعبل

أينَ الشَّبابُ وأيّةً سَلَكا ... لاَ أينَ يُطلَبُ ضَلَّ بَلْ هَلَكا

لاَ تَعجَبي يا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ... ضَحِكَ المَشيبُ برَأسِهِ فبَكى

---

(١) — يقول انه يريد عينا غير عاشقة لينظر بها الى ديار أحبته فان طرفه مجروح سقيم من العشق لايستطيع أن ينظر به

أسلمُ ما بالشَّيبِ منقصةٌ لاَ سُوقةً تُبقِي ولاَ ملِكا
قَصرَ الغوَايةَ عن هوَى قمرٍ وَجدَ السَّبيلَ اليكَ مُشترَكا
يا ليتَ شعرِي كيفَ يومُكما يا صاحبيَّ اذَا دَمي سفِكا
لاَ تأخُذَا بظلاَمتي أحَداً قلبي وطرْفي في دَمي اشترَكا

قال فاستحسنها كل من في المجلس وأكثر التعجب من قوله ـ ضحك المشيب برأسه فبكى ـ فقال الأصمعي انما أخذ قوله هذا من ابن مطير فى قوله

أينَ أهلُ القباب بالدَّهناء أينَ جيرَانُنا على الأَحساء
جاوَرُونا والأَرضُ مُلبَسةٌ نوْرَ الأَقاحي تُجادُ بالأَنوَاء (١)
كلَّ يوْم بأُقحُوان جَديدٍ تَضحكُ الأَرضُ من بُكاءِ السَّماء

وقد أخذه أيضاً مسلم بن الوليد صريع الغوانى فى قوله

مُستعبرًا يبكي على دِمنةٍ ورَأسهُ يَضحكُ في الشيبِ

٠٠[قال المرتضي] رضى الله عنه ولأبي الحجناء نصيب الأصغر مثل هذا المعنى وهو قوله

فبكَى الغمامُ بهِ فأَصبحَ رَوْضهُ جذْلاَنَ يَضحكُ بالحَميمِ ويُزْهرُ

ولابن المعتز مثله

ألحَّتْ عليهِ كلُّ طَخياءَ دِيمةٌ اذا ما بكَتْ أجفانُها ضَحِكَ الزَّهرُ

ولابن دريد مثله

تبسَّمَ المُزْنُ وأنهلَّتْ مدَامعهُ فأضحكَ الرَّوضَ جفنُ الضاحكِ الباكي

---

(١) ـ الدهناء ـ أرض من منازل تميم بنجد متسعة اذا أخصبت ربعت العرب جميعا لسعتها ـ والاحساء ـ ماء لغني ويروى البيت الاول

أين جيرانُنا على الاحساء أين جيرانُنا على الاطواء

وغازَلَ الشَّمسَ نَوْرٌ ظَلَّ يَلْحَظُها　　بعينِ مُستعبرٍ بالدَّمعِ ضَحَّاكِ

وروى عن أبي العباس المبرد انه قال أخذ ابن مطير ٠٠ تضحك الأرض من بكاء السماء من قول دكين الزاجر

جَنَّ النَباتُ في ذُرَاها وزَكى　　وضَحِكَ المُزْنُ بهِ حتّى بَكى

مجلس آخر ٣٣

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منــه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلهُ وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العــلم يقولون آمنّا به كلٌّ من عند ربنا وما يذكر إلاّ أولو الألباب) ٠٠ الجواب قلنا قد ذكر وجهان مطابقان للحق ٠٠ أحدهما أن يكون الراسخون في العلم معطوف على اسم الله تعالى فكأنه قال وما يعــلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم وانهــم مع علمهم به يقولون آمنّا به فوقع قوله يقولون آمنّا به في موقع الحال والمعنى أنهم يعلمونه قائلين آمنّا به كل من عند ربنا وهذا في غاية المدح لهم لانهم اذا علموا ذلك بقلوبهم وأظهروا التصديق به على ألسنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم بأداء الواجب عليهم ٠٠ والحجة لمن ذهب الى مابيناه والرد على من استبعد عطفه على الأول وتقديره أن يكون قوله يقولون آمنّا بالله على هــذا التأويل لا ابتداء له مثل قوله (ما أفاء الله على رسوله من أهــل القرى فلله وللرسول ولذى القربى) الى قوله (شديد العقاب) فذكر جملة ثم تلاها بالتفصيل وتســمية من يستحق هذا الفيء فقال (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً) الي قوله الصادقون وقال في الذين تبوّءُا الدار والايمان فهم الأنصار يحبون من هاجر اليهــم ويؤثرون على أنفســهم وقال فيمن جاء بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فهذه الآيات تدل على أنه لا ينكر في آية الراسخون في العلم أن يكون قوله يقولون آمنّا به حالا مع العلم بتأويله

المتشابه فلو أشكل شيء من ذلك لما أشكل قوله والذين هاجروا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا في انه موافق لقوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به فان الصورتين واحدة •• ومما يستشهد به على ذلك من الشعر قول يزيد بن مفرغ في عبد له كان يسمي برداً باعه [1] ثم ندم عليه

(١) قلت كان من حديث يزيد في بيعه غلامه بردا انه كان صحب زياد بن أبي سفيان فلم يحمده وأتى ابنه عبادا فرأى منه مايكره وكان عباد طويل اللحية عريضها فركب ذات يوم وابن مفرغ معه في موكبه فهبت ريح فنفشت لحيته فقال ابن مفرغ

ألا ليت اللحي كانت حشيشا … فترعاها خيول المسلمينا

فبلغ ذلك عبادا فحقد عليه وجفاه فقال ابن مفرغ

ان تركي ندى سعيد بن عثما … ن فتى الجود ناصري وعديدي

واتباعي اخا الرضاعة واللؤ … م لنقص وفوت شأو بعيد

قلت والليل مطبق بعراه … ليتني مت قبل ترك سعيد

يريد سعيد بن عثمان بن عفان فانه استصحب يزيدا هذا حين ولي خراسان فلم يصحبه وعدل عنه الى زياد فلما قال ذلك أخذه عبيد الله بن زياد فحبسه وعذبه وسقاه الزبد في النبيذ وحمله على بعير وقرن به خنزيرة وأمشاه بطنه مشياً شديدا فكان يسيل مايخرج منه على الخنزيرة فتصي فكلما صاءت قال ابن مفرغ

ضجت سمية لمامسها القرن … لاتجزعي إن شر الشيمة الجزع

وسمية أم زياد • • ثم ان عبيد الله بن زياد دس اليه قوماً يقتضونه ويستعدون عليه فأمر ببيع ماوجد له في اعطاء غرمائه فكان فيما بيع له غلام يقال له برد يعدل عنده ولده وجارية يقال لها الاراكة فقال في برد الابيات التي ذكرها صاحب الكتاب وقال في الاراكة وفيه

يابرد مامسنا دهر أضربنا … من قبل هذا ولا بعناله ولدا

أما الاراك فكانت من محارمنا … عيشا لذيذا وكانت جنة رغدا

لولا الدعي ولولا مالعرض لي … من الحوادث مافارقتها أبدا

وشَرَيتُ بُرْدًا ليتَني ... من بَعْدِ بُرْدٍ كنتُ هامَه
أو بُومةً تَدعو صَدًا ... بينَ المُشَقَّرِ فاليَمامَه
الرِّيحُ تبكي شَجْوَها ... والبَرْقُ يَلمَعُ في الغَمامَه

فعطف البرق على الريح ثم اتبعه بقوله يلمع فكأنه قال والبرق أيضاً يبكيه لامعاً فى غمامه أي فى حال لمعانه ولو لم يكن البرق معطوفاً على الريح فى البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة .. ويمكن أيضاً على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ماتقدم واثبات العلم بالمتشابه لهم ان قوله يكون يقولون آمنّا به استئناف جملة استغنى فيها عن حرف العطف كما استغنى في قوله يقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ونحو ذلك مما للجملة الثانية فيه التباس في الجملة الأولى فيستغنى به عن حرف العطف ولو عطف بحرف العطف كان حسناً ينزل الملتبس منزلة غير الملتبس .. والوجه الثاني في الآية أن يكون قوله والراسخون فى العلم مستأنفاً غير معطوف على ماتقدم ثم أخبر عنهم بانهم يقولون آمنّا ويكون المراد بالتأويل على هذا الجواب المتأوّل لانه قد يسمى تأوّلا قال تعالى (هل ينظرون إلاّ تأويله يوم يأتى تأويله) المراد بذلك لا محالة المتأوّل والمتأوّل الذي لا تعلمه العلماء وان كان تعالى عالماً به كنحو وقت قيام الساعة ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب وتعيين الصغائر الى غير ذلك فكأنه قال وما يعلم تأويل جميعه على المعنى الذي ذكرناه إلاّ الله والعلماء يقولون آمنّا به وقد اختار أبو عليّ الجبّائى هذا الوجه وقوّاه وضعف الأول بان قال قول الراسخين فى العلم آمنّا به كل من عند ربنا دلالة على استسلامهم لانهم لايعرفون تأويل المتشابه كما يعرفون تأويل المحكم ولأن ماذكره من وقت القيامة ومن التمييز بين الصغائر والكبائر هو من تأويل القرآن اذ كان داخلا في خبر الله والراسخون فى العلم لايعلمون ذلك .. وليس الذي ذكره بشئ لانه لايمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالمتشابه آمنّا به على الوجه الذي قدمنا ذكره فكيف يظن انهم لايقولون ذلك إلاّ مع فقد العلم به وما المنكر من أن يظهر الانسان بلسانه الايمان بما يعلمه ويتحققه فأما قوله ولأن ماذكرناه من تأويل القرآن فذلك انما يكون تأويلا للقرآن اذا حملت هذه اللفظة على المتأول

لا على الفائدة والمعنى وأما اذا حملت على انه وما يعلم معنى المتشابه وفائدته إلاّ الله فلا بد
من دخول العلماء فيه وليس يمكنه أن يقول ان حمل التأويل على المتأول أظهر من حمله
على المعنى والفائدة لأن الأمر بالعكس من ذلك بل حمله على المعنى أظهر وأكثر فى
الاستعمال وأشبه بالحقيقة على أنه لو قيل ان الجواب الأول أقوى من الثاني لكان أولى
من قوله من قبل انه لو كان المراد بالتأويل المتأوّل لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص
المتشابه بذلك دون المحكم معنى لان فى متأوّل المحكم كاخباره عن الثواب والعقاب
والحساب مما لا شبهة في كونه محكما ما لا يعرف تفصيله وكنهه الا الله تعالى فأى معنى
لتخصيص المتشابه والكلام يقتضى توجهه نحو المتشابه ألا ترى الى قوله ﴿ وأما الذين
فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ فخص المتشابه بالذكر
والأولى أيضاً أن يكون المراد بلفظة تأويله الثانية هو المراد بلفظة تأويله الأولى وقد
علمنا ان الذين فى قلوبهم زيغ انما اتبعوا تأويله على خلاف معناه ولم يطلبوا لتأويله
الذى هي متأوله والوجه الأول أقوى وأرجح ** ويمكن فى الآية وجه ثالث لم نجدهم
ذكروه على أن يكون قوله والراسخون فى العلم مستأنفاً غير معطوف ويكون المعنى وما
يعلم تأويل المتشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل الا الله وهذا صحيح لان أكثر المتشابه
قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لأدلة العقول فيذكر المتأول جميعاً
ولا يقطع على مراد الله منها بعينه لان الذى يلزم مثل ذلك أن يعلم في الجملة أن لا يرد
من المعني ما يخالف الأدلة وان قد أراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية في الجواز
والموافقة للحق وليس فى تكليفنا أن نعلم المراد بعينه وهذا مثل الضلال والهدى الذين
تبين احتمالهما لوجوه كثيرة منها ما يخالف الحق فنقطع على أنه تعالى لم يرده ومنها
وجوه تطابق الحق فنعلم فى الجملة انه قد أراد أحدها ولا نعلم المراد منها بعينه وغير
هذا من الآى المتشابه فان أكثرها يحتمل وجوهاً والقليل منها يختص بوجه واحد
صحيح ولا يحتمل سواه ويكون قوله تعالى من بعد والراسخون فى العلم يقولون آمنّا
به أى صدقنا بما نعلمه مجملا ومفصلا من المحكم والمتشابه وان الكل من عند ربنا وهذا
وجه واضح ** أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن أبي الأزهر قال

أنشدنا محمد بن يزيد لأبي حية النميري وهى أبيات مختارة

وخبَّرَكِ الواشونَ أنْ لاَ أُحبكُمُ ... بَلَى وستُورِ اللهِ ذاتِ المَحارِمِ

أَصُدُّ وما الصدُّ الَّذِي تَعرِفينَهُ ... عَزَاءً بنا إلاَّ اجتِرَاعُ العلاقِمِ

حَياءً وبَغْياً أنْ تَشيعَ نميمةٌ ... بنا وبكمْ أُفٍّ لأَهلِ النمائمِ

وإنَّ دماً لوْ تَعلمينَ جَنيْتِهِ ... على الحيِّ جاني مثلِهِ غيرُ سالمِ

أَمَا إنَّهُ لوْ كانَ غيرُكِ أرقَلَتْ ... صِعادُ القنا بالرَّاعفاتِ اللَّهاذِمِ

ولكنَّهُ واللهِ ما طَلَّ مُسلِماً ... كَبِيضِ الثنايا واضحاتِ المَلاَغِمِ

قال ثعلب ـ الملاغم ـ ما حول الفم .. وقال المبرد واضحات الملاغم يريد العوارض ..وقوله ـ ماطل مسلماً ـ أي أبطل دمه

اذَا هُنَّ ساقطنَ الحدَيثَ حَسبْتَهُ ... سقُوطَ حَصَى المَرجانِ منْ سلكِ ناظمِ

ويروى ساقطن الأحاديث للفتى .. ويروى أيضاً ـ اقطن الحديث كأنه

رَمينَ فأقصدْنَ القلوبَ فلا تَرَى ... دَماً مائراً إلاَّ جوًى في الحيازِمِ

[قال سيدنا رضى الله عنه] .. ومن مستحسن مامضى في هذه القصيدة قوله

كأنْ لمْ ا برِّحْ بالعيونِ وأَقتلْ ... بتَفْتِيرِ أبصارِ الصِّحاحِ السَّقائمِ (١)

ولمْ ألهَ بالحدَثِ الأَلفِ الَّذِي لهُ ... غدَائرُ لمْ يحْرَمْنَ فارَ اللَّطائمِ (٢)

---

(١) ـ أبرّح ـ من برج به الأمر اذا لقى منه شدة والبرح الشدة ـ وتفتير ـ من الفتور وهو انكسار العين ـ والسقائم ـ جمع سقيمة وهي المريضة ولم يرد انها سقيمة من مرض وانما أراد ان بها من الضعف والفتور ما بالمريض وان لم تكن مريضة

(٢) ـ الحدث ـ الصغير السن ـ والألف ـ العظيم الفخذين ـ والغدائر ـ جمع غديرة وهي الخصلة من الشعر ـ والفار ـ جمع فأرة يريد فأرة المسك ـ واللطائم ـ جمع لطيمة وهي المسك

اذَا اللَّهوُ يُطبيني وإذْ أستَميلهُ ... بحلولكِ الفوْدَينِ وَحفِ المَقادِمِ [1]

وإذْ أنا مُنقادٌ لِكلِّ مقوَّدٍ ... إلى اللَّهوِ حلاَّفِ البَطالاَتِ آثمِ

وروى ابن حبيب مفود ومعنى ـ حلاف البطالات ـ أي حلاف في البطالات

مُهينُ المَطايا مُتلفٌ غيرَ أنَّني ... على هُلْكِ ما أتلفتُهُ غيرَ نادِمِ

أرَى خيرَ يوْمَيَّ الخسيسَ وإنْ علاَ ... بيَ اللَّوْمُ لمْ أحفلْ ملاَمةَ لاَئمِ

ـ خير يومى الخسيس ـ أى أحب يومي اليَّ الذي هو أخس عند أهل الرأى والعقل ..
وأنشد أبو اسحاق ابراهيم بن سيف بن الزيادي لأبي حية واسمه هيثم [2] بن الربيع

ترَحَّلَ بالشَّبابِ الشَّيبُ عنَّا ... فليتَ الشَّيبَ كانَ بهِ الرَّحيلُ

وقدْ كانَ الشَّبابُ لنا خليلاً ... فقدْ قَضَّى مآرِبَهُ الخليلُ

لَعَمرُ أبي الشَّبابُ لقدْ توَلَّى ... حَميـدًا ما يُرادُ بهِ بَديلُ

---

(١) ـ يطبيني ـ يستميلني ـ والحلولك ـ الحالك اللون أى الذى لونه أسود ـ والفودان ـ تثنية فود وهو معظم شعر الرأس مما يلي الأذن وناحية الرأس ـ والوحف ـ الشعر الكثير الأسود ـ والمقادم ـ جمع قادمة وهو الناصية

(٢) قلت ذكره بعض الأدباء فقال كان أبو حيَّة يروي عن الفرزدق وكان كذاباً قال يوماً رميت ظبية فلما خرج السهم ذكرت بالظبية حبيبة لي فشددت خلف السهم حتى أخذت بقذذه .. وكان جباناً قال جارله اطلعت عليه يوماً وبيده سيف له قد انتضاه يسمى لعاب المنية ليس بينه وبين الخشب فرق وهو واقف على باب داره يقول إيهاً أيها المغتر بنا والمجترئ علينا بئس والله مااخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب المنية الذي سمعت به ضربته لا تخاف نبوتها أخرج بالعفو عنك لاأدخل بالعقوبة عليك اني والله ان أدع قيساً تملأ الأرض خيلا ورجلا يا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها ثم فتح الباب فاذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذى مسخك كلباً وكفانا حرباً

إذِ الأيَّامُ مُقْبِلَةٌ علينا   وظِلُّ أراكةِ الدُّنيا ظَلِيلُ

وأنشد المبرد قال أنشدنا أبو عثمان المازنى لأبى حية

زَمانَ الصِّبا لَيتَ أيامَنا   رَجَعْنَ لنا الصَّالحاتِ القِصارَا

زَمانَ عليَّ غُرابٌ غُدافٌ   فطيَّرَهُ الدَّهرُ عنّى فطارَا

فلا يُبْعِدِ اللهُ ذاكَ الغُرابَ   وإنْ هو لم يُبْقِ إلاَّ ادِّكارَا

كأنَّ الشَّبابَ ولَذَّاتِهِ   ورَيْقَ الصِّبا كانَ ثوْباً مُعارَا

وهازئةٍ أنْ رأَتْ لِمَّتي   تَلفَّعَ شيبٌ بها فاستدارَا

وقلَّدَنى منهُ بَعدَ الخطامِ   عِذارًا فما أستطيعُ اعتذارَا

أجارَتَنا إنَّ رَيبَ الزَّمانِ   قَبْلِيَ نالَ الرِّجالَ الخِيارَا

فإمَّا تَرَيْ لِمَّتي هكذا   فأسرعتِ فيها لشَيْبي النِّفارَا

فقد ارْتَدِي وَحفَةً طلَّةً   وقد أبرُزُ والفَتياتِ الخِفارَا

أما قوله — على غراب غداف — فأراد به الشباب والشعر الأسود . . ويشبه أن يكون مأخوذاً من قول الأعشى

وَما طِلابُكَ شيئاً لستَ تُدرِكُهُ   إنْ كان عَنكَ غُرابُ الجهْلِ قد وَقعا

ولأبى حية من قصيدة أولها

ألاَ يا اسلَمى أطلالَ خَنْسا وأنعمي

وخَنْساءُ مِخْماصُ الوِشاحينِ مَشْيُها   إلى الدَّوحِ أقتارُ خُطى المُتَجَشِّمِ (١)

---

(١) قوله — مخماص الوشاحين — أي هيفاء والوشاح تثنية وشاح وهو أديم عريض ترصعه المرأة بالجواهر فتشده بين عاتقيها وكشحيها فاذا قالوا مخماص الوشاح أوغرثى الوشاح أرادوا أنها

أَلِمَّا بِسَلْمَى قَبْلَ أَنْ تَرْمِيَ النَّوَى ... بِنَافِذَةٍ نَبْضَ الْفُؤَادِ الْمُتَيَّمِ
يَقِفْ عَاشِقاً لَمْ يَبْقَ مِنْ رُوحِ نَفْسِهِ ... وَلاَ عَقْلِهِ الْمَسْلُوبِ غَيْرُ التَّوَهُّمِ
فَقُلْنَ لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكِ لاَ يَرُحْ ... صَحِيحاً فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَأَلْمِمِي
فَأَلْقَتْ قِنَاعاً دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ ... بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفٍّ وَمِعْصَمِ

وهذا البيت الأخير مأخوذ من قول النابغة

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ ... فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ(١)

وقوله — وقلن لها سراً فديناك لا يرح — خبرٌ وهو ما أخبرنا به أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحي الصولي قال حدثني الباقطاني قال اتصل بعبيد الله بن سليمان بن وهب أمر عليّ بن العباس الرومي وكثرة مجالسته لأبي الحسين القاسم ابنه وسمع شيئاً من أهاجيه فقال لأبي الحسين قد أحببت ان أرى ابن روميك هذا فدخل يوماً عبيد الله الى أبي الحسين وابن الرومي عنده فاستنشده من شعره فأنشده وخاطبه فرآه مضطرب العقل جاهلا فقال لأبي الحسين بينه وبينه ان لسان هذا أطول من عقله ومن هذه صورته لا تأمن عقاربه عند أول عتب ولا يفكر في عاقبته فأخرجه عنك فقال أخاف حينئذ أن يعلن ما يكتمه في دولتنا ويذيعه في تمكننا فقال يا بنيّ إني لم أرد باخراجك له طرده فاستعمل فيه بيت أبي حية النميري

هيفاء محل الوشاح — وأقتار — من أقتر في النفقة اذا ضيق فيها — والمتجشم — المتكلف للشيء .. يقول انها تمشي مشي إدلال كما يمشي من لا يستطيع المشي

(١) — النصيف — المئزر — واتقتنا باليد — أي حالت بيننا وبين النظر اليها بوضعها معصمها على وجهها يصف بذلك المتجردة امرأة النعمان بن المنذر وكان النابغة يجلس الى النعمان وينادمه فدخلت المتجردة يوماً على النعمان وعنده النابغة وهي لا تعلم بمكانه فلما وقع بصرها عليه اضطربت واستحيت وسقط مئزرها فتناولته بيدها وسترت وجهها باليد الأخرى ويقال انها وضعت معصمها على وجهها فستره فلم يستبن منه شيء

فقلْنا لها سِرًّا فدَيناكِ لاَ يَرُحْ ... سَليماً وإنْ لمْ تَقتليهِ فأَلمِمي

فحدث القاسم ابن فراس بما جرى وكان أعدى الناس لابن الرومي وقد هجاه بأهاج قبيحة فقال له الوزير أعزه الله أشار بان يغتال حتى يستراح منه وأنا أكفيك ذلك فسمه في الخشكنانج فمات .. قال الباقطاني والناس يقولون ما قتله ابن فراس وانما قتله عبيد الله .. قال ابن الرومي لما رجع الى داره وقد دب السم في أعضائه شعراً

أشرَبُ الماءَ إذَا ما تلتهِبْ ... نارأحشائي لإطفاءِ اللهَبْ

فأَرَاهُ زَائدًا في حرْقتي ... فكأنَّ الماءَ لِلنَّارِ حَطَبْ

وذكر محمد بن يزيد المبرد قال مما يفضل لتخلصة من التكليف وسلامته من التزيد وبعده من الاستعانة قول أبي حيّة

رَمَتْني وسَترُ اللهِ بَيني وبينَها ... عَشيَّةَ آرَامُ الكِناسِ رَمِيمُ

ألاَ رُبَّ يومٍ لوْرَمتْني رَميتُها ... ولكنَّ عَهدِي بالنِّضالِ قدِيمُ

[قال المرتضي] رضي الله عنه وقد روي هذان البيتان لنصيب في غير رواية المبرد قال المبرد يقول رمتني وأصابتني بمحاسنها ولو كنت شابا لرميت كما رمت وفتنت كما فتنت ولكن عهدي قد تطاول بالشباب وهذا كلام واضح .. وأما الاستعانة فهي أن يدخل في الكلام مالا حاجة بالمستمع اليه ليصحح وزناً أو نظماً .. قال ومما يختار من قول أبي حيّة أيضاً

ألا حَيِّ مِنْ أجلِ الحَبيبِ المَغانِيا ... لَبِسنَ البلَى مِمَّا لَبِسنَ الليالِيا[1]

إذَا ما تَقاضَى المرْءَ يومٌ وليلةٌ ... تَقاضاهُ شيْءٌ لاَ يَملُّ التَّقاضيا

---

(١) قوله ـ من أجل الحبيب ـ روى بدله من بعد الحبيب ـ والمغاني ـ جمع مغنى وهو المنزل الذي غنى به أهله ثم ظعنوا عنه وقوله ـ لبسن البلى ـ يريد ان طول العهد واختلاف العصرين عليها أخلق جدتها وطمس رسومها

ويقال ان أحسن ما وصف به المسواك قول أبي حية

لقد طالَ ما أعييتُ رَاحلةَ الصبا ... وعَلَّلتُ شيطانَ الغويِّ المُشوِّقِ

وداويتُ قُرحَ القلبِ منهنّ بالمُنا ... وباللّحظِ لو يبذُلنهُ المُتسرِّقِ

وساقينني كأسَ الهوى وسقيتُها ... رِقاقَ الثنايا عَذبةَ المُتريَّقِ

وخمصانةٍ تفترُّ عن مُتنضّدٍ ... كنَورِ الأقاحي طيّبِ المتذوَّقِ

ويروي عن متنسق يعني ثغراً على نسقٍ واحدٍ لا اختلاف فيه

اذا مضغت بعد امتتاع من الضحى ... أنابيبَ من عودٍ لأراكِ المُخلَّقِ

سقتْ شعثَ المسواكِ ماءَ غمامةٍ ... فضيضاً بخرطومِ المُدامِ المُروَّقِ

ـالامتتاعـ الارتفاع يقال متع النهار وأمتع اذا طال ـوالمخلقـ الذي علق به الخلوق والطيب من يدها ٠٠ وقال بعضهم عنى بالخلق المملس ـ والفضيضـ الذى سال من الغمامة أى كأنه فضـ والخرطومـ سلاف الخروهو أول مايخرج من غير عصر ولادوس

وإن ذُقتَ فاها بعدما سقطَ الندى ... بمعطفي بخنداةٍ رَداحِ المُنطّقِ

ـالبخنداةـ الضخمة ـوالرداحـ العظيمة الأرداف

شممتُ العرارَ الطَّلَّ غِبَّ هميمه ... ونَورَ الخزامى في النّدى المترقرقِ

ـالعرارـ بهار البر ـوالطلـ الغض الطري ـوالهميمةـ مطر لين ٠٠وأخبرنا المرزباني قال حدثني عليّ بن هارون بن عليّ قال سمعت أبي وقد ذكر قول أبي حية

نظرتُ كأني من وراءِ زُجاجةٍ ... الى الدّارِ من فرطِ الصبابةِ أنظرُ

بعينين طوراً يغرقانِ من البُكا ... فأعشى وطوراً يحسرانِ فأبصرُ

فقال لو اعترضني ملك تجب طاعته ويلزم الانقياد لأمره فقال أى شعر أجود وأولى بان يستحسن ولم يفسح لي في أن أميز المدح من الفخر والهجاء من التشبيب وسائر أصناف الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما عدلت عن هذين البيتين ٠٠ ويقال ان أبا أحمد عبيد

الله بن عبد الله بن طاهر أجاز بيتي أبي حية هذين بقوله

فلاَ مُقْلَتي ما غامَرَ الماءُ تنجلي ... ولا دَمعَتي مِن مُكْمِدِ الوَجْدِ تقطرُ

ولأبي حية

مِنَ ٱلمُنكياتِ الجِلْدَ حتّي كأنّما ... يَسحُّ بعَينيهِ الدُّموعَ شَعيبُ

ـ الشعيب ـ مزادة من أدمين شعب أحدهما بالآخر

لَيالِيَ أهلانا جَميعاً وحَوْلَنا ... سَوَائمُ منها رَائحٌ وغَريبُ

وإذْ يَتجَنّينَ الذُّنوبَ وما لَنا ... إليْهنَّ لولاَ وُدُّهُنَّ ذُنوبُ

ولأبي حيّة

أصُدُّ عن البَيتِ الحبيبِ وإنّني ... لأصغي إلى البيتِ الذي أتجنّبُ

أزُورُ بُيوتاً غَيرَهُ ولأهلهُ ... علي ما عَدَا عنهمْ أعَزُّ وأقرَبُ

وقطّعَ أسبابَ المَوَدّةِ مَعشرٌ ... غِضابٌ وهلْ في أحسَنِ القولِ مُغضِبُ

وإن لآتي يا أمَّ عَمرٍو نَميمةٌ ... يدِبُّ بها بيني وبينَكِ عقرَبُ

وما بيننا لوْ أنّهُ كانَ عالماً ... بذاكَ الألى يُولونَ ما يترَتّبُ

حَديثاً اذا لمْ يَخشَ عيباً كأنّهُ ... اذا ساقطتْهُ الشّهدُ بلْ هوَ أطيبُ

لوَ انّكَ تَستشفي بهِ بعدَ سكرَةٍ ... مِنَ المَوْتِ كادتْ سكرَةُ المَوْتِ تَذهَبُ

وقلتُ لها ما تأمُرينَ فإنّني ... ارَى البينَ أدنى رَوْعهُ يترَقّبُ

قال محمد بن يحيي الصولي ولا أحسبه في قوله لو انك تستشفي به بعد سكرةٍ إلاّ تبع قول توبة بن الحمير

ولوْ أنَّ لَيلى الأخيَليّةَ سَلّمتْ ... عليّ ودُوني جَندَلٌ وصفائحُ

لَسلّمتُ تَسليمَ البَشاشةِ أوْ زَقى ... إليها صدىً مِنْ جانبِ القَبرِ صائحُ

[قال المرتضي] رضى الله عنه وأوّل من سبق الى هذا المعنى فأحسن الأعشى فى قوله

عَهْدِي بها في الحيِّ قد دُرِّعتْ　　صفراءَ مثلَ المُهرةِ الضَّامرِ

لوْ أسندَتْ مَيْتاً الى نحرِها　　عاشَ ولمْ يُنقلْ الى قابرِ

حتّى يقولَ النّاسُ ممّا رَأوْا　　واعجبًا للميّتِ النَّاشرِ

ومعنى الناشر المنشور يقال أنشر الله الميت فنشر وهو ناشر بمعنى منشور مثل ماء دافق فهو مدفوق .. وقال بعض أصحاب المعاني ان الجارية التي وصفها أيضاً هي ميتة بمعنى أنها ستموت فيكون المعنى ان الناس عجبوا من أن يكون من يموت كيف ينشر الموتى ومن قال هذا أجاز نشر الله الموتي بمعنى أنشر والقول الأول أظهر وما نظن الأعشي عنى غيره

مجلس آخر ٣٤

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) .. فقال لم خص اليوم بالقول وانما أراد العفو عنهم فى جميع مستقبل أوقاتهم .. الجواب قلنا فى هذه الآية وجوه أربعة .. أوّلها انه لما كان هذا الوقت الذى أشار اليه هو أوّل أوقاته التي كشف فيها نفسه لهم وأطلعهم على ما كان يستره عنهم من أمره أشار الى الوقت الذى لو أراد الانتقام لابتدأ به فيه والذى عفى فيه عنهم لم يراجع الانتقام .. وثانيها أن يوسف عليه السلام لما قدّم توبيخهم وعدد عليهم قبيح مافعلوه وعظيم ما ارتكبوه وهو مع ذلك يستر عنهم نفسه ولايفصح لهم بحاله قال لهم عند تبين أمرهم (لاتثريب عليكم اليوم) أى قد انقطع عنكم توبيخي ومضى عذلي ولاتمّى عند اعترافكم بالذنب وكان ذكر اليوم دلالة على انقطاع المعاقبة والتوبيخ وعلى ان الأوقات المتصلة باليوم تجرى مجراه فى زوال الغضب وتمام

العفو وسقوط المواقفة لهم على ما سلف منهم .. وثالثها [1] ان ذكر اليوم المراد به الزمان والحين فوضع اليوم موضع الزمان كله المشتمل على الليالي والأيام والشهور والسنين كما يقول العربي لغيره قد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم وفقت لتركها ومقتها يريد في هذا الزمان ولا يريد يوماً واحداً بعينه ومثله قد كنت تقصر في الجواب عن فنون العلم فاليوم ما يعجزك مسئلة ولا تتوقف عن جواب يريد باليوم باقي الزمان كله ..

وقال امرؤ القيس

حَلَّتْ لِيَ الخمرُ وكُنتُ امْرَأً   عنْ شُرْبِها في شُغُلٍ شاغِلِ
فاليَوْمَ فاشْرَبْ غيرَ مُستَحقِبٍ   إثْماً مِنَ اللهِ ولاَ واغِلِ [2]

لم يقصد يوماً بعينه .. ومثله

اليومَ يَرْحَمُنا مَنْ كانَ يَغبطُنا   واليومَ نَتبَعُ مَنْ كانوا لنا تَبَعا

---

(١) — قلت هذا هو الجواب الصحيح وإيضاح ذلك ان العرب اذا أطلقت الليل فانما يريدون به سواد الليل من حين تغرب الشمس الى طلوع الفجر الثاني واذا أطلقت اليوم فقد تريد به بياض النهار كما اذا قالوا جالست فلانا يوما وقد تريد به مطلق الوقت أيّ ساعة من ليل أو نهار كما في قوله صلى الله عليه وسلم تلك أيام الهرج أي وقته وفرقان ما بين ذلك انهم اذا قرنوا به من الافعال ماله استمرار أرادوا منه بياض النهار كالجلسة والمحادثة ونحوهما مما يستوعب وقتاً طويلا واذا قرنوا به من الافعال ما ليس له استمرار بل هو من الافعال الآنيـة أرادوا به مطلق الوقت وعلى هذا الآية وما استشهد به المصنف من الشواهد الشعرية

(٢) — الواغل — الذي يدخل على القوم وهم يشربون فيشرب معهم من غير دعوة فأما الذي يأتي الولائم من غير دعوة ليأكل فيسمى وارشا وراشنا والناس يسمونه طفيليا نسبة الى طفيل وهو رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يأتي الولائم من غير ان يدعى اليها وكان يقول وددت ان الكوفة كلها بركة مصهرجة فلا يخفى علي منها شيء

•• وقال لبيد

وما النَّاسُ إلاَّ كالدِّيارِ وأَهلها ... بها يومَ حَلُّوها وغُدْوًا بَلاَقِعُ

كل ذلك لا يراد بذكر اليوم والغد فيه الا جميع الأوقات المستقبلة •• ورابعها أن يكون المراد لا تثريب عليكم البتة ثم قال اليوم يغفر الله لكم فتعلق اليوم بالغفران وكان المعني غفر الله لكم اليوم •• وقد ضعف قوم هذا الجواب من جهة ان الدعاء لا ينصب ما قبله •• فأما معنى التثريب فان أبا عبيدة قال معناه لا شغب ولا معاقبة ولا إفساد •• وقال الشاعر

فعفوتُ عنهم عفوَ غيرِ مثرِّبٍ ... وتركتُهم لعقابِ يومٍ سرمدِ

•• وقال أبو العباس ثعلب يقال ثرب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه •• وقال بعضهم وهو ابن مسلم التثريب مأخوذ من لفظ الثرب وهو شحم الجوف فكأنه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والتقصي الى أبعد غاياتها

[تأويل خبر] •• روى أبو عبيد القاسم بن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة عن هشام بن حسان وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كسب الرمازة •• وقال أبو عبيد قال حجاج الرّمارة الزانية وقال مثل هذا مثل حديثه الآخر انه نهى عن كسب البغي •• قال أبو عبيد وقال غير حجاج هي الرّمازة بتقديم الراء قال وقول حجاج أثبت عندنا لانهم كانوا يكرهون إماءهم على البغاء فأنزل الله (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصُّناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) قال فالعرض هو كسب البغي الذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه •• قال أبو عبيد ولا أعلم م أخذت الرمازة غير أني وجدتها مفسرة في الحديث •• وقال ابن قتيبة الأمر على ما ذكر أبو عبيد إلاّ ما أنكره على من زعم انها الرمازة لأن الرمازة هي الفاجرة سميت بذلك لانها ترمز أي تومئ بعينها وحاجبها وشفتيها •• •• قال الفرّاء وأكثر الرمز بالشفتين ومنه قوله تعالى (أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزا) فالرّمازة صفة من صفات الفاجرة ثم صار إسماً لها أو كالاسم ولذلك قيل لها

هلوك لانها تهالك على الفراش أو على الرجل ثم صار إسماً لها دون غيرها من النساء وإن تهالكت على زوجها وقيل لها خرنع لليتها وتثنيها ثم صار ذلك إسماً لها دون غيرها من النساء وان لانت وتثنت ونحوه قولهم للبعير أعلم لشق في مشفره الأعلى ثم صار كالاسم له وكذلك قولهم للذئب أزل للرسخ ثم صار كالاسم له والمرمزة لاتكاد تملن بالكلام انما تومض أو ترمز أو تصفر •• قال الشاعر

رَمَزَتْ إِلَيَّ مَخافةً مِنْ بَعلِها ... مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبدُو هُناكَ كَلامُها

•• وقال الأخطل

أَحادِيثُ سَدَّاها ابنُ حَدْراءَ فرْقَدٌ ... ورَمَّازَةٌ مالَتْ لِمَنْ يَستَمِيلُها

•• وقال الراجز

يومئن بالأَعينِ والحَواجِبِ ... إيماضَ بَرْقٍ في عَماءٍ ناضِبِ (١)

ـ والعماء ـ السحاب ـ والناضب ـ البعيد •• وقال بعضهم انما قيل للفاجرة قحبة من القحاب وهو السعال قال وأحسبه أراد أنها تتنحنح أو تسعل ترمز بذلك •• قال وبلغني عن المفضّل انه كان يقول في قول الناس أجبن من صافر انه الرجل يصفر للفاجرة فهو يخاف كل شئ •• وأما الأصمعي فانه كان يقول الصافر ما يصفر من الطير وانما وصف بالجبن لانه ليس من الجوارح ••وقال ابن قتيبة ولا أرى القول الا قول المفضل والدليل على ذلك قول الكميت بن زيد الأسدي

أَرجولكم أَنْ تكُونوا في إخائكمُ ... كلباً كَوَرْهاءَ تقلي كلَّ صفَّار (٢)

لمَّا أَجابَتْ صفيرًا كانَ آيتَها ... مِنْ قابسٍ شَيَّطَ الوَجْعاءَ بالنَّارِ

---

(١) أنشده في اللسان في مادة زم ريومضن بالاعين والحواجب ـ والمعنى واحد ـ

(٢) ـ الورهاء ـ المرأة الحمقاء ـ وتقلي ـ تكره وتبغض ـ وآيتها ـ أي علامتها يريد أن ذلك كان علامة بينها وبين خليلها اذا جاء يريدها ـ والوجعاء ـ الاست ـ ـ وشيط ـ يقولون شيط فلان اللحم اذا دخنه بالنار ولم ينضجه وشيط الطاهي الرأس والكراع

وهذه امرأة كان يصفر لها رجل فتجيبه فتمثل زوجها بهوصفر لها فأتته فشيطها بميسم فلما أعاد الصفير قالت قد قلينا كل صفار تريد انا قد عففنا وأطرحنا كل فاجر ٠٠ وقال ابو بكر محمد بن القاسم الانبارى والاختيار عندى الزّمارة معجمة الزاي على ماقال أبو عبيد لحجج ثلاث ٠٠ احداهن اجماع أصحاب الحديث على الزّمارة ٠٠ والحجة الثانية ان الفاجرة سميت زمارة لانها تحسن نفسها وكلامها والزمر عند العرب الحسن ٠٠ قال عمرو ابن أحمر الباهلي يصف شراباً وغناء

دَنَّانِ حَنَّانانَ بينهُما　　رَجلٌ أَجَشُّ غناؤُهُ زَمِرُ

٠٠ قال الأصمعي معناه غناؤه حسنٌ كأنه مزامير داود ٠٠ والحجة الثالثة انهم سموا الفاجرة زمارة لمهانتها وقلة ما فيها من الخير من قولهم نعجة زمرة اذا كانت قليلة الصوف ويقال رجل زمر المروّة اذا كان قليلها ٠٠ قال ابن أحمر

مُطْلَنفِئاً لونُ الحَصى لونُهُ　　يَحجُرُ عنهُ الذَّرَّ رِيشٌ زَمِرْ

ـ المطلنفى ـ اللّصوق بالأرض ـ والذر ـ النمل ـ والزمر ـ القليل ٠٠ فسمي البغي زمارة على وجه الذم لها والتصغير لشأنها كما قيـل لها فاجرة لميلها عن القصد يقال فجر الرجل اذا مال ٠٠ قال لبيد

فإِنْ تتقـدَّمْ تَغشَ منها مقدَّماً　　غليظاً وإِنْ أَخَّرْتَ فالكِفلُ فاجِرُ[1]

أي مائل ـ والكفل ـ كساء يوضع على ظهر البعير يوقى من العرق ٠٠ [قال المرتضى]

اذا أشعل فيهما النار حتى يتشيط ما عليهما من الشعر والصوف ومنهم من يقول شوّط

(١) قلت قال لبيد ذلك يخاطب عمه أبا مالك وكان وقع بينهما ما يوجب العتب وقبل هذا البيت

فقلت ازدجر أحناء طيرك واعلمن　　بانك إنْ قدمت رجلك عاثر

فاصبحت أنى تأتها تلتبس بها　　كلا مركبيها تحت رجليك شاجر

ـ ازدجر ـ أزجر ـ وأحناء طيرك ـ أي جوانب طيشك ـ والشاجر ـ المختلف

رضى الله عنه ولا أرى لاحدي الروايتين على الأُخرى رجحاناً لأن كل واحدة منهما قد أتت من جهة من يسكن الى مثله ولكل منهما مخرجٌ فى اللغة وتأويل يرجع الى معنى واحد لان الرّمازة بالراء غير معجمة يرجع معناها على ما ذكر ابن قتيبة الى معنى الفجور ومن رواها بالزاي المعجمة فالمرجع في معناها الى ذلك أيضاً على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الانباري فالأولى أن يثبتا متساويين ويكون الراوى مخيّراً بينهما ..
أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى قال أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الاعرابي للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى

وما زِلتُ أزجو نفعَ سَلمى وودّها ... وتبعدُ حتَّى ابيَضَّ منّيَ المَسائحُ

وحتّى رَأيتُ الشَّخصَ يَزدادُ مِثلُهُ ... اليهِ وحتّى نِصفُ رأسِي وَاضحُ

عَلاَ حاجِبيَّ الشَّيبُ حتي كأنَّهُ ... ظِباءٌ جَرَتْ مِنها سَنيحٌ وبارِحُ (١)

(١) يقول ان الشيب انتشر فى حواجبه فكأنه الظباء البيض انتشرت فى الصحراء فى كل صوب — والسانح — ما ولاك ميامنه — والبارح — ما ولاك مياسره .. قال ابن برى والعرب تختلف في العيافة يعني فى التيمن بالسانح والتشاؤم بالبارح فأهل نجد يتيمنون بالسانح قال ذو الرمة

خليلى لا لاقيتما ما حييتما ... من الطير الا السانحات وأسعدا

وقال النابغة

زعم البوارح ان رحلتنا غداً ... وبذاك تنعاب الغراب الاسود

وقال كثير وهو حجازى يتشاءم بالسانح

أقول اذا ما الطير مرت مخيفة ... سوانحها تجرى ولا أستثيرها

هذا هو الاصل ثم قد يستعمل النجدى لغة الحجازي فمن ذلك قول عمرو بن قيئة وهو نجدى

فبين على طير سنيح نحوسه ... واشأم طير الزاجرين سنيحها

وهزّةُ أظعانٍ عليهنّ بهجةٌ طلبتُ وريعانُ الصّبا بي جامحُ
فلمّا قضينا من منيً كلَّ حاجةٍ ومسّحَ بالأركانِ من هو ماسحُ
أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا وسالتْ بأعناقِ المطيّ الأباطحُ
وشُدّتْ على حُدْبِ المهارَى رحالُنا ولا ينظرُ الغادي الّذي هو رائحُ
فقلْنا على الخُوصِ المراسيلِ وارتمتْ بهنّ الصَّحارِي والصِّفاحُ الصّحاصحُ

وأنشد ابن الاعرابي

قصَدتْ بعيني شادنٍ وتبسّمتْ بجمّاء عن غُرٍّ لهنّ غُروبُ
جرَى الإسحلُ الأحوَى عليهنّ أوجرَى عليهنّ من فرْعِ الأراكِ قضيبُ

٠٠أخبرنا أبو الحسن علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنى محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن البلغي قال حدثنا أبو حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه فقلت له هذا والله ياأمير المؤمنين قول عروة بن حزام العذرى لعفراء

وإنى ليَعرُوني لذِكراكِ رَوعةٌ لها بينَ جِلْدي والعظامِ دَبيبُ
وما هوَ إلاّ أنْ اراها فُجاءَةً فأبهتَ حتى لا أكادُ أجيبُ
وأُصرَفُ عن دَارِي الذي كُنتُ عارفاً ويعزُبُ عني علمهُ ويَغيبُ
ويُضمِرُ قلبي غدرَها ويُعينُها عليَّ فما لي في الفؤادِ نَصيبُ

فقال الرشيد من قال هذا وهماً فانى أقوله علماً ولله درك ياأصمعي فانى أجد عندك ما تضل عنه العلماء ٠٠ قال الصولي فأخذه العباس بن الأحنف فقال

يهيمُ بحُرّاتِ الجزيرةِ قلبُهُ وفيها غزالٌ فاترُ الطّرفِ ساحرُه
يوازِرُهُ قلبي عليَّ وليسَ لي يدانِ بمنْ قلبي عليَّ يُوازِرُه

وأشار اليه أيضاً في قوله

قلبي الي ما ضرّني داعي　　يُكثرُ أحزاني وأوجاعي
كيفَ احتراسي مِن عَدُوّي　　اذا كانَ عدُوّي بينَ أضلاعي

وأخذه سهل بن هرون الكاتب فقال

أعانَ طرْفي على جسمي وأعضائي　　بنظرةٍ وقفتْ جسمي على داءِ
وكنتُ غرّاً بما تجنى عليّ يدي　　لا علمَ لي أنَّ بعضي بعضُ أعدائي

•• وقال البحتري

ولستُ أعجبُ من عصيانِ قلبكَ لي　　يوماً اذا كانَ قلبي فيكَ يعصيني

وروى أبو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر المازني قال قال لنا الأصمعي يوماً ما أحسن ما قيل في صفة امرأةٍ عجزاء خمصانة فأنشده قول الأعشى

صفْرُ الوشاحينِ ملْءُ الدّرْعِ بهكنةٌ　　اذا تأتّتْ يكادُ الخصْرُ ينخزِلُ

وأنشد قول علقمة بن عبدة

صفْرُ الوشاحينِ ملْءُ الدّرْعِ خرْعبةٌ　　كأنّها رَشأٌ في البيتِ ملزُومُ

وأنشد قول ذي الرمة

تَرى خلْقَها نصفاً قناةً قويمةً　　ونصفاً نقاً يرتجُّ أو يترمرَمُ

فقال أحسن ما قيل فيه قول أبي وجزة السعدي

أدماءُ عيطلةٌ يكادُ رداؤُها　　يقوى ويُشبعُ ما أخبّ إزارُها

قال عكرمة ومثله قول الحارث بن خالد المخزومي

غرْثانُ سمطُ وشاحها قلقٌ　　ريّانُ من أردافِها المُرْطُ

•• وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن ابراهيم قال حدثنا أبو العيناء قال حدثني الأصمعي قال لما مات محمد بن سليمان بن عليّ الهاشمي دخلت على أخيه جعفر بن سليمان وقد حزن

عليه حزناً شديداً ولم يطعم ثلاثاً فأنشدته لابن اراكة الثقفي

لَعَمْري لئن أتبعتَ طرفكَ ما مضى ... من الدّهرِ أو ساقَ الحِمامُ الى القبرِ

لَتستَنفِدَنْ ماءَ الشؤونِ بأسرِهِ ... وإن كنتَ تمريهنَّ من ثَبَجِ البحرِ

فقاتُ لعبدِ اللهِ إذ حنَّ باكياً ... تعزَّ وماءُ العينِ مُنهمرٌ يجري

تبيَّنْ فإن كانَ البُكا رَدَّها لكاً ... على أحدٍ فاُجهدْ بُكاكَ على عَمرِو

ولا تبكِ ميتاً بعدَ ميتٍ أحبَّهُ ... عليٌّ وعبّاسٌ وآلُ أبي بكرِ

قال فأمر فجيء بالطعام فأكل من ساعته ٠٠ قوله ـ حن باكياً ـ معناه رفع صوته بالبكاء وقال قوم الخنين بالخاء معجمة من الأنف والحنين من الصدر وهو صوت يخرج من كل واحد منهما ٠٠ وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال سمعت الثوري يقول دخلنا مع الأصمعي الى اسماعيل بن جعفر ليلة في حاجة فأنشده الأصمعي أبيات ابن هرمة

أتيناكَ نَرجو حاجةً ووَسيلةً ... لدَيكَ وقد تَحظى لديكَ الوَسائلُ

ونَذْكُرُ وُدّاً شدَّهُ اللهُ بيننا ... على الدَّهرِ لم تَذْبِ اليهِ الغَوائلُ

فأقسمُ ما أكبا زنادَكَ قادحٌ ... ولا أكذَبتْ فيكَ الرَّجاءَ القوابلُ

ولا أرجَعتْ ذا حاجةٍ عنكَ علّةٌ ... ولا عاقَ حُرّاً عاجلاً منكَ آجلُ

ولا لامَ فيكَ الباذِلُ الوجهَ نفسَهُ ... ولا احتكمتْ في الجُودِ منكَ المَباخلُ

لم يزد على هذه الأبيات فقضي حاجته وأجاب مسئلته ٠٠ [قال المرتضى] رضي الله عنه ويشبه أن يكون ابن هرمة أخذ قوله * ولا كذبت فيك الرّجاء القوابل * من قول الحزين الكناني في زيد بن علي بن الحسين عليه السلام

فلما تردَّى بالحمائلِ وانتَنى ... يَصولُ بأطرافِ القنا والذَّوابلِ

تَبَيَّنَتِ الأَعداءُ أَنَّ سِنانَهُ ... يُطيلُ حَنينَ الأُمَّهاتِ الثَّواكِلِ
تَبيَّنَ فيهِ مَبْسَمُ العِزِّ والتُّقى ... وَليداً يُفَدَّى بينَ أَيدي القَوابِلِ

٠٠ وأخبرنا عليّ بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيي الصولي قال حدثني محمد بن الحسن البلخي قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال قال الرشيد يوماً يا أصمعي أتعرف للعرب اعتذاراً وندماً وَدِع النابغة فانه يحتج ويعتذر فقلت ما أعرف ذلك إلاّ لبشر بن أبى خازم الأسدى فانه هجا أوس بن حارثة بن لام فأسره بعد ذلك فأراد قتله فقالت له أمه وكانت ذات رأى والله لا محا هجاءه لك إلاّ مدحه إياك فعفى عنه ٠٠ فقال بشر

وإني على ما كانَ مني لنادِمٌ ... وإني إلى أوسِ بنِ لاَمٍ لتائبُ
فهَبْ لي حَياتي والحياةُ لقائمٍ ... يسرُّكَ فيها حينَ ما أنتَ واهبُ
وَإني إلى أوسٍ ليقبلَ توبتي ... وَيعرفَ وُدّي ما حَيِيتُ لراغبُ
سأَمحو بمَدحٍ فيكَ إذْ أنا صادِقٌ ... كِتابَ هِجاءٍ سارَ إذْ أنا كاذبُ

فقال الرشيد للأصمعي ان دولتي لتحسن ببقائك فيها ٠٠ وأخبرنا على بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال سمعت بيتين لم أحفل بهما ثم قال قلت هما على كل حال خير من موضعهما من الكتاب قال فاني عند الرشيد يوماً وعنده عيسى بن جعفر فأقبل على مسرور الكبير فقال يا مسرور كم في بيت مال السرور فقال ما فيه شيء قال عيسى هذا بيت مال الحزن فاغتم لذلك الرشيد وأقبل على عيسى وقال والله لتعطين الأصمعي سلفاً على بيت مال السرور ألف دينار فوجم عيسى وأنكر فقلت في نفسي جاء موضع البيتين وأنشدت الرشيد

اذا شئتَ أنْ تلقى أخاكَ مُعبِّساً ... وجدّاهُ في الماضينَ كَعبٌ وحاتمُ
فكَشِّفهُ عمَّا في يَدَيهِ فإنما ... يُكَشِّفُ أخبارَ الرِّجالِ الدَّراهمُ

قال فتجلى عن الرشيد وقال لمسرور اعطه على بيت مال السرور ألفي دينار فأخذت

بالبيتين ألفي دينار وما كانا يساويان عندي درهمين

مجلس آخر ٣٥

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون) .. الجواب قيل له قد ذكر في هذه الآية وجوه من التأويل نحن نذكرها ونرجح الأرجح منها .. أولها أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الانسان بكثرة العجلة وانه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور لهج باستدناءما يجلب اليه نفعاً أو يدفع عنه ضرراً ولهم عادة في استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم ماخلقت إلا من نوم وما خلق فلان إلا من شر أرادوا كثرة وقوع الشر منه وربما قالوا ما أنت إلا أكل وشرب وما أشبه ذلك .. قالت الخنساء تصف بقرة

تَرْتَعُ ما غَفَلَتْ حتىَ اذا ادَّكَرَتْ ... فإنما هيَ إقبالٌ وَإدْبارُ

وانما أرادت ماذكرناه من كثرة وقوع الاقبال والادبار منها ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى في موضع آخر (وكان الانسان عجولا) ويطابقه أيضاً قوله تعالى (فلاتستعجلون) لانه وصفهم بكثرة العجلة وان من شأنهم فعلها توبيخاً لهم وتقريعاً ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال وقادرين على التثبت والتأيد .. وثانيها ما أجاب به أبو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما من أن في الكلام قلباً والمعنى خلق العجل من الانسان واستشهد على ذلك بقوله تعالى (وقد بلغني الكبر) أي قد بلغت الكبر وبقوله تعالى (ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة) والمعنى ان العصبة تنوء بها وتقول العرب عرضت الناقة على الحوض وانما هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم اذا طلعت الشعرى استوى العود على الحرباء يريدون استوى الحرباء على العود ويقول الأعشى :

لمحقوقةٌ أنْ تَستجيبي لصوته ... وأنْ تعلمي أنَّ المعانَ مُوَفَّقُ

يريد أن الموفق لمعان •• ويقول الآخر

عليالعباآتِ هَدَّاجُونَ قدبلغَتْ نجرانَأو بلغتسوآتِهِمْ هجرُ

والمعنى ان السّوآت هي التي بلغت هجر •• ويقول خداش بن زهير

وتُركَبُ خيلٌ لاَ هوَادَةَ بينها وتشقى الرّماحُ بالضياطرَةِ الحمرِ [١]

يريد تشقى الضياطرة بالرماح •• ويقول الآخر

يَمشي بهِ عُوذُ النِّعاجِ كأنها عذارَى ملوكٍ في بَياضِ ثيابِ [٢]

يريد في ثياب بيض •• ويقول الآخر

حسَرتُ كَفّي عنِ السّربالِ آخذُهُ فرْدًا نجُرُّ على أيدِي المُفيدِينا

يريد حسرت السربال عن كفي •• ويقول الآخر وهو ابن أحمر

وجُرْدٌ طارَ باطلُها نسيلاً وأحدَثَ قومُها شمَرًا قصارًا

أراد نسيلها باطلا •• ويقول الآخر

وقَسْوَرَةٌ أكتافُهمْ في قسيّهمْ اذا مامَشوا لاَيعمرُونَ منَ النسا

أراد قسيهم في أكتافهم •• ويقول الآخر

وهُنَّ منَ الإخلافِ والوَلَعانِ [٣]

أي الاخلاف والولعان منهن •• ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التقاضى عن حمل كلامه تعالى على القلب أن يقال له وما المعنى والفائدة في قوله تعالى (خلق العجل من

---

(١) — الهوادة — اللين وما يرجي به صلاح الأمر — والضياطرة — جمع ضيطر وضوطر وهو الضخم العظيم

(٢) — عوذ — جمع عائذ وهي الحديثة النتاج من الظباء وكل أنثى — والنعاج — جمع نعجة وهي البقرة الوحشية

(٣) صدره * لخلابة العينين كذابة المنى * — والإخلاف — خلف الوعد — والولعان — الكذب يقال ولع يلع ولعاً وولعاناً اذا كذب

الانسان) أتريدون بذلك ان الله تعالى خالق فى الانسان العجلة وهـذا لايجوز لان العجلة فعل من أفعال الانسان فكيف يكون مخلوقة فيه لغيره ولو كان كذلك ما جاز أن ينهاهم عن الاستعجال فى الآية فيقول (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) لانه لاينهاهم عما خلقه فيهم .. فان قالوا لم يرد انه تعالى خالقها لكنه أراد كثرة فعل الانسان لها وانه لا يزال يستعملها .. قيل لهم هذا هو الجواب الذي قدمناه من غير حاجة الى القلب والتقديم والتأخير واذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ماذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا اليه .. وقد ذكر أبو القاسم البلخي هذا الجواب فى تفسيره واختاره وقواه وسأل نفسه عليه فقال كيف يجوز أن يقول فلا تستعجلون وهو خالق العجلة فيهم وأجاب بانه قد اعطاهم قدرة على مغالبة طبائعهم وكفها وقد يكون الانسان مطبوعاً عليها وهو مع ذلك مأمور بالتثبت قادرٌ على أن يجانب العجلة وذلك كخلقه فى البشر لشهوة النكاح وأمرهم فى كثير من الأوقات بالامتناع منه وهذا الذى ذكره البلخي تصريح بان المراد بالعجل غيره وهو الطبع الداعي اليــه والشهوة المتناولة له ويجب أيضاً أن يكون المراد بمن ههنا فى لان شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الانسان وانما تكون مخلوقة فيه وهـذا تجوز على تجوز وتوسع على توسع لان القلب أولا مجاز ثم هو من بعيـد المجاز وذكر العجل والمراد به غيره مجاز آخر واقامة من قام فى كذلك على انه تعالى اذا نهاهم عن العجلة بقوله عز وجل (فلا تستعجلون) أى معـنى لتقديم قوله خلقت شهوة العجلة فيهم أو الطبع الداعي اليها فيهم على ماعبر به البلخي وهذا الى أن يكون عذراً لهم أقرب منه الى أن يكون حجة عليهم وأيسر الأحوال أن لايكون عذراً ولا احتجاجاً فلا يكون لتقديمه معنى وفي الجواب الأول حسن تقديم ذلك على طريق الذم والتوبيخ والتقريع من غير اضافة اليه عز وجل والجواب الأول أوضح وأصح .. وثالثها جواب روى عن الحسن قال يعني بقوله من عجل أى من ضعف وهي النطفة المهينة الضعيفة وهذا قريب ان كان في اللغة شاهد على ان العجل عبارة عن الضعف أو معناه .. ورابعها ماحكى ان أبا الحســن الأخفش أجاب به وهو أن يكون المراد ان الانسان خلق من تعجيل الأمر لانه تعالى قال (إنمــا أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون)

٠٠فان قيل كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد فلا تستعجلون٠٠قلنا يمكن أن يكون وجه المطابقة انهم لما استعجلوا بالآيات واستبطؤها أعلمهم تعالى انه ممن لا يعجزه شئ اذا أراده ولا يمتنع عليه وان من خلق الانسان بلا كلفة ولا مؤنة بان قال له كن فكان مع ما فيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة التى يعجز عنها كل قادر ويحار فيها كل ناظر لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات ٠٠ وخامسها ما أجاب به بعضهم من أن العجل الطين فكأنه تعالى قال خلق الانسان من طين كما قال تعالى في موضع آخر(وبدأ خلق الانسان من طين) واستشهد بقول الشاعر

والنبعُ ينبُتُ بينَ الصخرِ ضاحيةً والنخلُ ينبُتُ بينَ الماءِ والعَجَلِ

ووجدنا قوماً يطعنون في هذا الجواب ويقولون ليس بمعروف ان العجل هو الطين وقد حكي صاحب كتاب العين عن بعضهم ان العجل الحمأة ولم يستشهد عليه إلاّ أن البيت الذي أوردناه يمكن أن يكون شاهداً له وقد رواه ثعلب عن ابن الاعرابى وخالف في شئ من ألفاظه فرواه

والنَّبعُ في الصَّخرَةِ الصمَّاءِ منبتهُ والنَّخلُ ينبتُ بينَ الماءِ والعَجَلِ

واذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى (فلا تستعجلون) على نحو ما ذكرناه وهو ان من خلق الانسان مع الحكمة الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات أو يكون المعنى انه لا يجب لمن خلق من الطين المهين وكان أصله هذا الأصل الحقير الضعيف أن يهزأ برسل الله وآياته وشرائعه لانه تعالى قال قبل هذه الآية (واذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلاّ هزواً أهذا الذى يذكر آلهتكم) ٠٠ وسادسها أن يكون المراد بالانسان آدم عليه السلام ومعنى من عجل أى من سرعة من خلقه لانه لم يخلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وانما ابتدأه الله تعالى ابتداء وأنشأه انشاء فكأنه تعالى نبه بذلك على الآية العجيبة فى خلقه له وانه عز وجل يرى عباده من آياته وبيناته أولاً أولاً ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه أحوالهم ٠٠ وسابعها ما روى عن مجاهد وغيره ان الله تعالى خلق آدم

بعد خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلا به غروب الشمس •• وروى ان آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح وبلغت الى أعالي جسده ولم يبلغ أسافله قال يارب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس •• وثامنها ماروى عن ابن عباس والسدي ان آدم عليه السلام لما خلق وجعلت الروح في أكثر جسده وثب عجلان مبادراً الى أثمار الجنة •• وقال قوم قد همّ بالوثوب فهذا معنى قوله (خلق الانسان عجولاً) وهذه الأجوبة الثلاثة مبنية على ان المراد بالانسان فيها آدم عليه السلام دون غيره •• [قال المرتضى] رضي الله عنه وإني لأستحسن لمسكين الدارمي قوله

وَرُبَّ أُمورٍ قد بَرَيتُ لحاءها ... وقوّمتُ من أصلابها ثمَّ رُعتها

اقيمُ بدار الحزم ما لم أهِن بها ... فإن خفتُ من دار هوانا تركتُها

واصلحُ جلَّ المالِ حتى تخالني ... شَحيحاً وإنْ حقٌّ عراني أهنتُها

واست بولاّج البيوتِ لفاقةٍ ... ولكن إذا استغنيتُ عنها ولجتُها

أبيتُ عن الإدلاج في الحيّ نائماً ... وأرضُ بإدلاجٍ وهمٍّ قطعتُها

ألا أيّها الجاري سنيحاً وبارحاً ... تعرّضُ نفساً لو أشاء قتلتُها

تُعارضُ فخرَ الفاخرين بعصبةٍ ... ولو وُضعتْ لي في إناءٍ أكلتُها

وإنَّ لنا ربعيّةَ المجدِ كلّها ... مواريثُ آباءٍ كرامٍ ورثتُها

اذا قصرتْ أيدي الرّجالِ عن العلا ... مددتُ لها باعاً عليها فنلتُها

وداعٍ دعاني للعلا فأجبتُهُ ... ودعوةُ داعٍ للصدّيقِ خذلتُها

ومكرُمةٍ كانتْ رعايةَ والدي ... فعلّمنيها والدي ففعلتُها

وعوراءَ من قيلِ امرىءٍ ذي قرابةٍ ... تصاممتُ عنها بعدَ ماقد سمعتُها

رجاءَ غدٍ أنْ يعطفَ الرّحمُ بيننا ... ومظلمةٍ منهُ بجنبي عركتُها

اذَاماأُمورُالنَّاسِ رَثَّتْ وَضُيِّعتْ وجَدْتُ أُموري كُلَّها قدْ زَممْتها
وإني سأَلقى ٱللهَ لمْ أَرْمِ حرَّةً ولمْ تأْتمِني يومَ سِرٍّ فخنتُها
ولاَ قاذِفٌ نفسي ونفسي بَرِيئةٌ وكيفَ اعتِذاري بعدَماقدْقذَفتُها

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذر القراطيسي قال حدثنا عبيد الله بن محمد ابن أبي الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي ان رجلا من الأنصار حدثه قال قال مسكين الدارمي

ولستُ اذَاماسَرَّني الدَّهرُضاحِكاً ولاخاشعاًماعشتُ منْحادِثِالدَّهْرِ
ولاَ جاعِلاً عِرْضي لمالي وقايةً ولكنْأَقي عرْضي فيحْرُزُهُوَفْرِي
أَعفُّ لدَى عُسْرِي وأُبدِي تجمُّلاً ولاَخيرَفيمَنْلاَيعفُّلدَى العُسْرِ
وإني لأَستَحيِي اذَاكنتُمُعْسِرًا صَدِيقي واخواني بأَنْيَعلموافقري
وأقطَعُ إخوَاني وما حالَ عَهْدُهمْ حيَاءً وَإِعرَاضاً وما بيَ منْ كِبْرِ
فإِنْ يَكُ عارًا ما أَتيتُ فرُبما أتى المَرءَيومُ السُّوءِمنحيثُلايَدْري
ومَنْ يفتقرْ يَعلمْ مكانَ صَدِيقهِ ومَنْ يحيَ لاَيعدَمْ بلاءً منَ الدَّهرِ

ومن مستحسن قوله

إنْ ادْعَ مسكيناً فما قصَّرَتْ قِدْري بيُوتُ الحيِّ والجُدُرُ

قيل ان مسكيناً ليس باسمه وانما اسمه ربيعة وانما سمي بذلك لقوله

وسُمِّيتُ مِسكيناً وَكانتْ لَجَاجةً وإني لمسكينٌ إلى ٱللهِ رَاغِبُ(١)

(١) سماه في كتاب الشعراء ربيعة بن عامر بن أنيف من بني دارم وقال كان في زمن معاوية رضي الله عنه وهو القائل فيه

اليك أمير المؤمنين رحلتها تثير القطا ليلا وهنَّ هجود

ومعنى — قصرت قدرى — أى سترت يريد انها بارزة لا تحجبها السواتر والحيطان

ما مَسَّ رَحلي العَنكَبوتُ ولاَ   جَذَيَاتهُ من وَضَمِهِ غُبُرُ

وهذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن لأن العنكبوت انما تنسج على مالا تناله الأيدى ولا يكثر استعماله — والجذيات — جمع جذية وهي باطن دفة الرحل

لاَ آخذُ الصبْيانَ ألثمهُمْ   والأمرُ قد يُغري بهِ الأمرُ

يقول لا أقبل الصبي وأنا أريد التعرض بأمه ومثله لغيره

ولاَ أُلقي لذِي الوَدَعاتِ صوتي   لأُلهيهِ وَرِيبتَهُ اريدُ[1]

وأنشد ابن الاعرابى مثله

اذا رَأيتَ صَبيَّ القوْمِ يَلثمهُ   ضخمُ المَناكبِ لاَ عَمٌّ ولاَ خالُ

على الطائر الميمون والجد صاعد   لكل اناس طائر وجدود
إذا المنبر الغربى خلى مكانه   فان أمير المؤمنين يزيد

•• وأنشد له

واذا الفاحش لاقي فاحشاً   فهنا كم وافق الشنّ الطبق
انما الفحش ومن يعتاده   كغراب السوء ما شاء نعق
أو حمار السوء ان أشبعته   رمح الناس وان جاع نهق
أو غلام السوء ان جوّعته   سرق الجار وان يشبع فسق
أو كغيرى رفعت من ذيلها   ثم أرخته ضراراً فانمزق
أيها السائل عما قد مضى   هل جديد مثل ملبوس خلق

(١) قوله لذي الودعات الخ : ذو الودعات الطفل لأنهم يعلقون عليه الودع : ومعنى وريبته أريد أي لا أريد ريبة أمه فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ومثل هذا يحفظ ولا يقاس عليه لتخلف الشرط : والبيت من جملة أبيات لعقيل بن علفة المرى الجافي المشهور

فاحفظ صبيك منه أن يدنسه ... ولا يغرنك يوما كثرة المال

رجع الى تمام القصيدة

ولرب يوم قد تركت وما ... بيني وبين لقائه ستر
ومخاصم قاومت في كبد ... مثل الدهان فكان لي العذر
وأعانني قومي بنو عدس ... وهم الملوك وخالي البشر[1]
عمي زرارة غير منتحل ... وأبي الذي حدثته عمرو
في المجد غرتنا مبينة ... للناظرين كأنها البدر
لا يرهب الجيران غدرتنا ... حتي يواري ذكرنا القبر
لسنا كأقوام إذا كحلت ... إحدى السنين فجارهم تمر

أى يستحلي الغدر به كما يستحلى التمر

مولاهم لحم على وضم ... تنتابه العقبان والنسر
ناري ونار الجار واحدة ... واليه قبلي ينزل القدر

يقال كان له امرأة تماظه فلما قال ذلك قالت له أجل انما نارك وناره واحدة لانه أوقد ولم توقد والقدر ينزل اليه قبلك لانه طبخ ولم تطبخ وأنت تستطعمه[2]

---

(١) قوله قومى بنو عدس : كل عدس فى العرب بضم العين وفتح الدال إلا عدس ابن زيد هذا فانه مضموم العين والدال

(٢) ويروى من غير هذا الوجه انه كانت لمسكين امرأة وكانت فاركا كثيرة الخصومة والمماظة له فوقفت عليه وهو ينشد حتى اذا بلغ نارى ونار الجار البيت : قالت له صدقت والله يجلس جارك فيطبخ قدره فتصطلى بناره ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بحذائه كالكلب فاذا شبع أطعمك أجل والله ان القدر لتنزل اليه قبلك فاعرض عنها فلما بلغ

ماضَرَّ جارِيَ إذْ أُجاوِرُهُ ... أَنْ لاَ يكونَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ

قال ويقال انها قالت له فى هذا البيت أيضاً أجل ان كان له ستر هتكته

أَعمَى إذَا ما جارَتي خَرَجتْ ... حتَّى يُوَارِي جارَتى الخِدْرُ

ويَصَمُّ عمّا كانَ بينهُما ... سَمْعي وما بي غيْرَهُ وَقْرُ

وأنشد عمر بن شبّة لمسكين أيضاً

لاَ تَجعلَنّي كأَقوامٍ عَلِمتَهُمُ ... لاَ يَظلِموا لَبّةً يوماً ولاَ وَدَجا

اني لأَغلاَهُمُ باللَّحْمِ قدْ عَلِموا ... نَيّاً وأَرْخَصُهمْ باللَّحم إذْ نَضِجا

أَنا ابنُ قاتلِ جوعِ القومِ قدْ عَلِموا ... اذَا السَّماءُ كَسَتْ آفاقَها رَهَجا

يا رُبَّ أَمرَينِ قدْ فرَّجتُ بينَهما ... إذَا هُما انْشَبا في الصَّدْرِ واعتَلَجا

أُدِيمُ خُلْقي لمَنْ دَامتْ خَلِيقَتُهُ ... فأَمزُجُ الحلْوَ أَحياناً لمَنْ مَزَجا

وأَقطَعُ الخَرْقَ بالخَرْقاءِ لاهِيةً ... اذَا الكوَاكِبُ كانتْ في الدُّجا سُرُجا

ما أَنزَلَ اللهُ من أَمرٍ فأَكرَهُهُ ... إلاَّ سيَجعَلُ لي من بَعدِهِ فرَجا

ما مَدَّ قومٌ بأَيديهِمْ إلي شَرَفٍ ... إلاَّ رَأَوْنا قِياماً فوقَهمْ دَرَجا

وأنشد أبو العباس ثعلب له

أُضاحِكُ ضيفي قبلَ إنزَالِ رَحلِهِ ... ويُخصِبُ عِندي والمكانُ جَدِيبُ

وما الخِصْبُ لِلأَضيافِ أَنْ يُكْثَرُوا القِرَى ... ولكِنّما وَجْهُ الكَرِيمِ خَصيبُ

الى قوله : ما ضر جارى الخ البيت فلما قالت له هتكته وثب اليها يضربها وجعل قومه يضحكون منهما : الملاظة شدة الخلق وفظاظته

وروي ثعلب أيضاً

لِحافي لِحافُ الضَّيفِ والبيتُ بيتهُ ... ولمْ يُلْهِني عنهُ غزالٌ مُقَنَّعُ
أُحَدِّثُهُ أَنَّ الحَدِيثَ منَ القِرَي ... وتَعلَمُ نفسي أَنَّهُ سوفَ يَهْجَعُ

ومعنى ــ أحدثه ان الحديث من القرى ــ أي اصبر على حديثه واعلم انه سوف ينام ولا أعرض بمحادثته فأكون قد محقت قراي والحديث الحسن من تمام القرى .. وقال الأصمعي أحسن ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي

أَلاَ أَيُّها الغائرُ المُستَشيطُ ... علاَمَ تَغارُ اذَا لمْ تُغَرْ
فما خيرُ عِرسٍ اذَا خفتَها ... وما خيرُ بيتٍ اذا لمْ يُزَرْ
تَغارُ علي النَّاسِ أَنْ يَنظُرُوا ... وهَلْ يفتِنُ الصَّالحاتِ النَّظَرْ
فإني سأُخلي لهـا بيتَها ... فتحفَظُ لي نفسَها أَو تذَرْ
اذَا اللهُ لمْ يُعطِهِ وُدَّها ... فلَنْ يُعطِيَ الوُدَّ سوطٌ مُمَرْ
ومَنْ ذَا يُرَاعي لهُ عِرسَهُ ... اذَا ضمَّهُ وَالمطيَّ السَّفَرْ

[قال رضي الله عنه] وكان مسكين كثير اللهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك قوله

وإني امرُؤٌ لاَ آلَفُ البيتَ قاعِدًا ... الى جَنْبِ عِرْسي لاَ أُفَرِّطُها شِبْرَا
ولاَ مقسِمٌ لاَ أَبرَحُ الدّهرَ بيتَها ... لأَجعلَهُ قبلَ المَماتِ لها قَبْرَا
اذَا هيَ لم تُحصِنْ أَمامَ قِبابِها ... فليسَ بمُنجِيها بنائي لها قَصْرَا
ولاَ حاملي ظَنّي ولاَ قِيلُ قائلٍ ... علي حائطٍ حتّى أُحيطَ بها خُبْرَا
فهبْني امرأً راعيتُ ما دُمتُ شاهِدًا ... فكيفَ اذَا ما سِرتُ مِنْ بيتِها شَهْرَا

وأنشد أبو العيناء عن أبي العالية لمسكين

ما أحسنَ الغيرَةَ في حينِها　　وأقبحَ الغيرَةَ في غيرِ حينِ
مَنْ لمْ يَزَلْ متُهِماً عِرْسَهُ　　مُناصِباً فيها لوَهْمِ الظُّنونِ
يُوشِكُ أنْ يغرِيَها بالذي　　يَخافُ أو ينْصبها لِلعيُونِ
حَسْبُكَ من تَحصينها ضمُّها　　منكَ إلى خُلُقٍ كريمٍ ودِينِ
لاَ تَظهَرَنْ منكَ على عورَةٍ　　فيَتبعُ المَقرُونُ حَبلَ القرِينِ

مجلس آخر ٣٦

[تأويل آية]: إن سأل سائل عن قوله تعالى فى قصة يوسف عليه السلام (ولقد همت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) فقال هل يسوغ ما تأول بعضهم هذه الآية عليه من أن يوسف عليه السلام عزم على المعصية وأرادها وانه جلس مجلس الرجل من المرأة ثم انصرف عن ذلك بان رأى صورة أبيه يعقوب عاضاً على إصبعه متوعداً له على مواقعة المعصية أو بأن نودى له بالنهي والزجر فى الحال على ماورد به الحديث .. الجواب قلنا اذا ثبت بأدلة العقول التى لا يدخلها الاحتمال والمجاز ووجوه التأويلات ان المعاصى لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك من كتاب أو سنة الى مايطابق الأدلة ويوافقها كما يفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفاً لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى وما يجوز عليه أو لا يجوز ولهذه الآية وجوه من التأويل كل واحدٍ منها يقتضى براءة نبي الله من العزم على الفاحشة وارادة المعصية .. أولها ان الهم في ظاهر الآية متعلق بما لا يصح أن يعلق به العزم أو الارادة على الحقيقة لانه تعالى قال (ولقد همت به وهمَّ بها) فعلق الهم بهما وذاتاهما لا يجوز أن يراد أو يعزم عليهما لان الموجود الباقي لا يصح ذلك فيه فلابد من تقدير محذوف يتعلق العزم به وقد يمكن أن يكون ماتعلق به همه عليه السلام

انما هو ضربها أو دفعها عن نفسه كما يقول القائل كنت هممت بفلان وقد هم فلان بفلان أى بان يوقع به ضرباً أو مكروها .. فان قيل فأى معنى لقوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها .. قلنا يمكن أن يكون الوجه فى ذلك انه لما هم بدفعها وضربها أراه الله برهاناً على انه ان أقدم على ماهم به أهلكه أهلها أي قتلوه أو انها تدعي عليه المراودة عن القبيح وتقذفه بأنه دعاها اليه وان ضربه لها كان لامتناعها فيظن به ذلك بعض من لا تأمل له ولا علم بان مثله لايجوز عليه فأخبر الله تعالى بانه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء يعني بذلك القتل والمكروه الذين كانا يوقعان به لانهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح أو يعني بالسوء والفحشاء ظنهم بذلك .. فان قيل هذا الجواب يقتضي ان جواب لولا يتقدمها ويكون التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بضربها ودفعها وتقديم جواب لولا قبيح غير مستعمل أو يقتضى أن تكون لولا بغير جواب .. قلنا أما تقدم جواب لولا فجائز وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك غير أنا لا نحتاج اليه في هذا الجواب لأن العزم على الضرب والهم بالضرب قد وقع إلاّ انه انصرف عنه بالبرهان والتقدير ولقد همت به وهم بدفعها لولا أن رأى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب في الحقيقة محذوف والكلام يقتضيه كما حذف الجواب فى قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم) معناه لولا فضل الله عليكم ورحمته لهلكتم ومثله (كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم) معناه لو تعلمون علم اليقين لم تتنافسوا فى الدنيا وتتفاخروا بها .. وقال امرؤ القيس

فلوْ أنَّها نفسٌ تموتُ سَوِيةٌ ولكنَّها نفسٌ تَسَاقطُ أنفُسا

أراد فلو أنها نفس تموت سوية لانقضت وفنيت فحذف الجواب على ان من تأول هذه الآية على الوجه الذى لا يليق بنبي الله وأضاف العزم على المعصية اليه لا بد له من تقدير جواب محذوف ويكون التقدير عنده ولقد همت بالزنا وهم به لولا أن رأى برهان ربه لفعله .. فان قيل قوله هم بها كقوله همت به فلم جعلتم همها متعلقاً بالقبيح وهمه بها متعلقاً بما ذكرتم من الضرب وغيره .. قلنا أما الظاهر فلا يدل على ما تعلق الهم به

والعزم فيهما جميعاً وانما أثبتنا همها به بأن يكون متعلقاً بالقبيح لشهادة الكتاب والآثار به وهي ممن يجوز عليها فعل القبيح ولم يؤثر دليل في امتناعه عليها كما أثر ذلك فيه عليه السلام والموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى (وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه الى قوله في ضلال مبين) وقوله تعالى (وراودته التي هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب) وقوله (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وفى موضع آخر (فذلكن الذى لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وفى موضع آخر (فذلكن الذى لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) والآثار واردة باطباق مفسري القرآن ومتأوليه على انها همت بالفاحشة والمعصية .. والوجه الثاني فى تأويل الآية أن يحمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون تلخيصه ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها ويجرى ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا أنى تداركتك وقتلت لولا أنى خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصى لقتلت وان لم يكن وقع هلاك ولا قتل .. قال الشاعر

فلاَ تَدْعُنى قوْمِي صَرِيحاً لِحُرَّةٍ　　لَأَنْ كُنتُ مَقتُولاً ويَسلَمُ عامِرُ

.. وقال آخر

فلاَ تدْعُنى قوْمي لِيوْمِ كَرِيهةٍ　　لئنْ لمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أو أُعجَّل

فقدم جواب الشرط فى البيتين جميعاً[1] وقد استشهد عليه أيضاً بقوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لَهَمَّت طائفة منهم أن يضلوك) والهم لم يقع لمكان فضل الله ورحمته ومما يشهد لهذا التأويل ان فى الكلام شرطاً وهو قوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) فكيف يحمل على الاطلاق مع حصول الشرط وليس لهم أن يجعلوا جواب لولا محذوفاً

---

(١) هذا الذي اعتمده يخالف مذهب جمهور البصريين فان جواب الشرط عندهم لا يتقدم فاذا تقدم ما هو جواب فى المعنى فهو دال عليه وليس إياه وهو محذوف: وذهب الكوفيون والمبرد وأبو زيد الى جواز تقديمه ولا حذف عندهم في مثل ذلك

مقدراً لأن جعل جوابها موجوداً أولاً : وقد استبعد قوم تقديم جواب لولا عليها قالوا ولو جاز ذلك لجاز قام زيدٌ لولا عمرو وقصدتك لولا بكرٌ وقد بينا بما أوردناه من الأمثلة والشواهد جواز تقديم جواب لولا والذى ذكروه لايشبه بما أجزناه وقد يجوز أن يقول القائل قد كان زيد قام لولا كذا وكذا وقد كنت قصدتك لولا أن صدنى فلان وان لم يقع قيامٌ ولا قصد وهذا الذي يشبه الآية وليس تقديمُ جواب لولا بأبعد من حذف جواب لولا جملة من الكلام واذا جاز عندهم الحذف لئلا يلزمهم تقديم الجواب جاز لغيرهم تقديم الجواب حتي لا يلزم الحذف .. والجواب الثالث ما اختاره أبو عليّ الجبائي وان كان غيره قد تقدمه الى معناه وهو أن يكون معنى هَم بها اشتهاها ومال طبعه الى مادعته اليه وقد يجوز أن يسمي بالشهوة فى مجاز اللغة هماً كما يقول القائل فيما لا يشتهيه ليس هذا من همّى وهذا أهمّ الأشياء اليّ ولا قبح في الشهوة لانها من فعل الله تعالى فيه وانما يتعلق القبيح بتناول المشتهى .. وقد روى هذا الجواب عن الحسن البصرى قال أما همّها فكان أخبث الهم وأما همّه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) متعلق بمحذوف كأنه قال لولا أن رأى برهان ربه لعزم أو فعل .. والجواب الرابع ان من عادة العرب أن يسموا الشئ باسم ما يقع في الأكثر عنده وعلى هذا لاينكر أن يكون المراد بهم بها أى خطر بباله أمرها ووسوس اليه الشيطان بالدعاء اليها من غير أن يكون هناك همٌّ أو عزمٌ فسمى الخطور بالبال هماً من حيث كان الهم يقع فى الأكثر عنده والعزم في الأغلب يتبعه وانما أنكرنا ما ادعاه جهلة المفسرون وحرفوا القصاص وقذفوا به نبي الله عليه السلام لما ثبت في العقول من الأدلة على أن مثل ذلك لايجوز على الأنبياء عليهم السلام من حيث كان منفراً عنهم وقادحاً في الغرض الجري اليه بارسالهم والقصة تشهد بذلك لانه تعالى قال (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) ومن أكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا ثم الأخذ فيه والشروع فى مقدماته وقوله تعالى أيضاً (انه من عبادنا المخلصين) يقتضي تنزيهه عن الهم بالزنا والعزم عليه وحكايته عن النسوة قولهن (حاش لله ما علمنا عليه من سوء) يدل أيضاً على أنه برىء من القبيح

.. فأما البرهان الذي رآه فيحتمل أن يكون لطفاً لطف الله تعالى له به في تلك الحال أو قبلها اختار عنده الانصراف عن المعاصي والتنزه عنها ويحتمل أيضاً ماذكره أبو عليّ وهو أن يكون البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك وعلى أن من فعله يستحق العقاب وليس يجوز أن يكون البرهان ما ظنه الجهّال من رؤية صورة أبيه يعقوب عليه السلام متوعداً له والنداء له بالزجر والتخويف لأن ذلك ينافي المحنة وينقض الغرض بالتكليف ويقتضى أن لا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحاً ولا ثواباً وهذا سوء ثناء على الأنبياء واقدام على قرفهم بما لم يكن منهم والحمد لله على حسن التوفيق .. روى أحمد بن عبد الله بن العباس الصولى الملقب بطماس قال كنت يوماً عند عمي ابراهيم بن العباس فدخل اليه رجل فقربه حتى جلس الى جانبه أو قريباً منه ثم حادثه الى ان قال له عمي يا أبا تمام ومن بقي ممن يعتصم به ويلجأ اليه فقال أنت لاعدمت وكان ابراهيم طويلا أنت والله كما قيل

يَمُدُّ نِجادَ السَّيفِ حتَّى كأَنهُ بأَعلى سَنَامَيْ فالجٍ يَتَطوَّحُ
ويَدْلِجُ في حاجاتِ من هوَ نائمٌ ويُورِى كَرِيماتِ النَّدَى حين يَقدَحُ
اذا اعتمَّ بالبُرْدِ اليمانيِّ خِلتَهُ هلالاً بدَا في جانبِ الافق يَلمحُ
يَزيدُ على فضلِ الرِّجالِ فَضيلةً ويَقصُرُ عنهُ مَدْحُ مَنْ يتَمدَّحُ

فقال له ابراهيم أنت تحسن قائلا وراوياً ومتمثلا فلما خرج تبعته وقلت له أكتبني الأبيات فقال هي لأبي الجويرية العبدى نحذها من شعره .. وروى عن يحيى بن البحتري قال رأيت أبي يذاكر جماعة من أمراء أهل الشام بعمان من الشعر فر فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه فأنشدوا انشادات كثيرة فقال لهم أبي قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال

أَحسِبُ النَّوْمَ حَكَاكا إذ رَأَى منكَ جفَاكا
منّيَ الصبَّرُ ومنكَ الـ ـهَجرُ فابلغ بي مَدَاكا

بَعُدَتْ همّةُ عينٍ طَمِعتْ في أَنْ تَرَاكا

أوَ مَا حُسْبُ لعيني أنْ ترَي مَنْ قدْ رَآكا

ليتَ حَظّي منكَ أنْ تَعلمَ ما بي منْ هوَاكا

قال أبي انه تصرف فى معانٍ من الشعر فى هذه الأبيات قال فكتبها عنه جماعة من حضروا والأبيات لابراهيم بن العباس الصولى .. وأخبرنا علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولى قال لما بايع المأمون لعلىّ بن موسى الرّضا عليهما السلام بالعهد وأمر الناس بلبس الخضرة صار اليه دعبل بن عليّ الخزاعى وابراهيم بن العباس الصولى وكانا صديقين لا يفترقان فأنشده دعبل

مَدَارِسُ آياتٍ خَلَتْ مِنْ تِلاوَةٍ ومَنزِلُ وَحْيٍ مُقْفِرِ العَرَصاتِ

وأنشده ابراهيم بن العباس الصولى على مذهبهما قصيدة أولها

أزَالَتْ عزاءَ القلبِ بعدَ التَّجلُّدِ مَصارِعُ أولادَ النَّبيِّ محمَّدِ

قال فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التى عليها اسمه وكان المأمون أمر بضربها فى ذلك الوقت فأما دعبل بن علىّ فصار بالشطر منها الى قم فاشترى أهلها منه كل درهم بعشرة دراهم فباع حصته بمائة ألف درهم .. وأما ابراهيم بن العباس فلم يزل عنده بعضها الى ان مات قال الصولى ولم أقف من قصيدة ابراهيم على أكثر من هذا البيت .. قال وكان السبب فى ذهاب هذا الفن من شعره ماحدثني أبو العباس أحمد ابن محمد بن الفرات والحسين بن علىّ الباقطانى قالا كان ابراهيم بن العباس صديقاً لاسحاق بن ابراهيم أخى زيدان الكاتب المعروف بالزمن فأنسخه شعره في علىّ بن موسى الرضا عليهما السلام وقد انصرف من خراسان ودفع اليه شيئاً بخطه منه وكانت النسخة عنده الى ان وُلّى المتوكل ووُلّى ابراهيم بن العباس ديوان الضياع وقد كان تباعد مابينه وبين أخى زيدان فعزله عن ضياع كانت في يده بحلوان وغيرها وطالبه بمالٍ وألحّ عليه وأساء مطالبته فدعا اسحاق بعض من يثق به من اخوانه وقال له امض

الى ابراهيم بن العباس فاعلمه ان شعره فى علىّ بن موسى بخطه عندى وبغير خطه والله لئن استمر على ظلمى ولم يُزل عنى المطالبة لأوصلن الشعر الى المتوكل قال فصار الرجل الى ابراهيم بن العباس فأخبره بذلك فاضطرب اضطراباً شديداً وجعل الأمر الى الواسطة في ذلك حتى أسقط جميع ما كان طالبه به وأخذ الشعر منه وأحلفه انه لم يبق عنده منه شئ فلما حصل عنده أحرقه بحضرته •• وذكر أبو أحمد بن يحيى بن علىّ المنجم ان أباه علىّ بن يحيى كان الواسطة بينهما •• قال الصولى وما عرفت من شعر ابراهيم فى هذا المعنى شيئاً إلاّ أبياتاً وجدتها بخط أبي قال أنشدني أخي لعمه فى علىّ ابن موسى الرضا عليهما السلام من قصيدة

كفى بفَعالِ امرئٍ عالِمٍ ... على أهلهِ عادِلاً شاهدَا

أرَى لهمُ طارِفاً مُؤْنِقاً ... ولاَ يُشبهُ الطَّارِفُ التَّالِدَا

يُمَنُّ عليكم بأموالِكم ... ويُعطونَ من مئةٍ واحدَا

فلا حَمِدَ اللهُ مستبصِرًا ... يكونُ لاعداءكم حَامِدَا

فَضلَت قسيمَكَ في قعدَدٍ ... كما فضَلَ الولدُ الوالدَا

قال الصولي فنظرت فوجدت علىّ بن موسى الرضا عليهما السلام والمأمون متساويين فى قعدد النسب وهاشم التاسع من آبائهما جميعاً •• وروى الصولى ان منشداً أنشد ابراهيم بن العباس وهو في مجلسه فى ديوان الضياع

ربما تكرهُ النفوسُ من الأمـ ... ـرِ له فَرْجةٌ كحلِّ العِقَالِ

قال فنكت بقلمه ساعة ثم قال

ولربَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتَى ... ذَرعاً وعندَ اللهِ منها مخرجُ

كملتْ فلمّا استحكمت حلقاتُها ... فُرِجت وكانَ يظنها لا تُفرَجُ

فعجب من جودة بديهته •• وأخبرنا أبو الحسن علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنى محمد بن يحيي الصولى قال حدثني القاسم بن اسمعيل أبو ذكوان الراوية قال كنت

بالاهواز أيام الواثق وابراهيم بن العباس يلي معونتها وخراجها فوصفت له بالأدب فأمر باحضاري فلما دخلت عليه قرّب مجلسي وقال تسلف أنس المطاولة فان الاستمتاع لا يتم إلاّ به فأنبسطت وتساءلنا عن الأشعار فما رأيت أحداً قط أعلم بالشعر منه فقال لي ما عندك في قول النابغة

أَلم تَرَ أَنَّ اللهَ اعطاكَ سَوْرَةً ... تَرَى كلَّ مَلْكٍ دونَهَا يتذبذبُ

فانكَ شمسٌ والملوكُ كوَاكبٌ ... اذا طَلَعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

فقلت أراد تفضيله على الملوك فقال صدقت ولكن في الشعر خب وهو انه اعتذر الى النعمان من ذهابه الى آل جفنة الى الشام ومدحه لهم فقال انما فعلت هذا لجفائك بي فاذا صلحت بي لم أرد غيرك كما ان من أضاءت له الشمس لم يحتج الى ضوء الكواكب فأتى بمعنيين بهذا وبتفضيله قال فاستحسنت ذلك منه ٠٠ وكان ابراهيم بن العباس من أصدق الناس لأحمد بن أبي داود فعتب على ابنه أبي الوليد من شيء قدمه ومدح أباه وأحسن في التخلص كل الاحسان فقال

عفَتْ مساوٍ تبدَّتْ منكَ واضحةً ... على محاسنَ بقّاها أبوكَ لكا

لئن تقدّم أبناءُ الكرامِ بهِ ... لقد تقدّمُ أبناءُ اللئامِ بكا

٠٠ ولابراهيم

تمرُّ الصَّبا صفحاً بساكنِ ذي الغضا ... ويصدَعُ قلبي أن يَهُبّ هبوبُها

قريبةُ عهدٍ بالحبيبِ وإنما ... هوَى كلّ نفسٍ حيثُ كانَ حبيبُها

تَطلَّعُ من نفسي اليكَ نوازعٌ ... عوَارفُ أن اليأسَ منكَ نصيبُها

وأخذ هذا من قول ذي الرمة

اذا هبّتِ الأرواحُ من كُلِّ جانبٍ ... به آل ميّ هاجَ شوقي هبُوبُها

هويً تذرف العينانِ منه وإنما ... هوي كلِّ نفسٍ حيثُ كانَ حبيبُها

.. ولابراهيم

دَنت باناسٍ عن تَنَاء زيارَةٌ　　وشطَّ بليلَى عن دنوٍ مزارها

وإنَّ مقيماتٍ بمنقطَعِ اللّوى　　لأقربُ من ليلَى وهاتيك دَارُها

وأخذ ذلك من قول النظار الفقعسى

يقولونَ هذي أم عمرٍو قريبةٌ　　دَنَت بكَ أرضٌ نحوها وَسَماء

أَلاَ إنَّما بُعدُ الحَبيبِ وقُربُهُ　　إذَا هُو لم يُوصَلْ اليهِ سوَاء

ووجدت بعض أهل الأدب يظن ان ابراهيم بن العباس سبق الى هذا المعنى فى قوله

كن كيف شئتَ وأنّي تَشا　　وأَبرِقْ يميناً وأرعدْ شمالاَ

نجابكَ لؤمُكَ منجَي الذُّبابِ　　حمتْهُ مقاذِيره أن يُنالاَ

حتى رأيت مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى فأحسن غاية الاحسان فقال

أمّا الهجاء فدَقَّ عرضُكَ دُونَه　　والمدحُ عنكَ كما علمتَ جليلُ

فاذهب فأنت طليقُ عرضك إنّه　　عِرضٌ عزَزتَ به وأنت ذَليلُ

مجلس آخر ٣٧

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام (قال رب السجن أحب اليّ مما يدعونني اليه وإلاّ تصرف عنى كيدهنّ أصب اليهنّ وأكن من الجاهلين) .. فقال اذا كانت المحبة عندكم هي الارادة فهذا تصريح من يوسف عليه السلام بارادة المعصية لأن حبسه في السجن وقطعه عن التصرف معصية من فاعله وقبيح من المقدم عليه وهو فى القبح يجري مجرى ما دعي اليه من الزنا وقوله من بعد (وإلاّ تصرف عنى كيدهن) يدل على ان امتناعه من القبيح مشروط بمنعهن وصرفهن عن كيده وهذا بخلاف مذهبكم لانكم تذهبون الى ان ذلك لا يقع منه صرف النسوة

عن كيدهن أو لم يصرفن .. الجواب قلنا أما قوله عليه السلام (رب السجن أحب الي) ففيه وجهان من التأويل .. أولهما ان المحبة متعلقة فى ظاهر الكلام بما لا يصح على الحقيقة أن يكون محبوباً مراداً لأن السجن انما هو الجسم والأجسام لايجوز أن يريدها وانما يريد الفعل فيها والمتعلق بها والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما الأفعال فيه قد تكون طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي يقع عليها فادخال القوم يوسف عليه السلام الحبس أو اكراههم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصبره على ملازمته والمشاق التي تناله باستيطانه كان طاعة منه وقربة وقد علمنا ان ظالماً لو أكره مؤمناً على ملازمته لبعض المواضع وترك التصرف في غيره لكان فعل المكرَه حسناً وان كان فعل المكرِه قبيحاً وهذه الجملة تبيّن أن لاظاهر في الآية يقتضى ماظنوه وانه لا بد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس لهم أن يقدروا مايرجع الى الحابس من الأفعال إلاّ ولنا أن نقدر مايرجع الى المحبوس واذا احتمل الكلام الأمرين ودل الدليل على أن النبي لا يجوز أن يريد المعاصى والقبائح اختص المحذوف المقدر بما يرجع اليه مما ذكرناه وذلك طاعة لا لوم على مريده ومحبه .. فان قيل كيف يجوز أن يقول السجن أحب الي وهو لا يحب مادعوه اليه ومن شأن مثل هذه اللفظة أن تدخل بين ماوقع فيه اشتراك فى معناها وان فضل البعض على البعض .. قلنا قد تستعمل هذه اللفظة فى مثل هذا الموضع وان لم يكن فى معناها اشتراك على الحقيقة ألا ترى ان من خير بين مايحبه وما يكرهه جائز أن يقول هذا أحب الي من هذا وان لم يجز مبتدئاً أن يقول من غير أن يخير هذا أحب الي من هذا اذا كان لا يحب أحدهما جملة وانما سوّغ ذلك على أحد الوجهين دون الآخر من حيث كان المخير بين الشيئين لايخير بينهما إلاّ وهما مرادان له ومما يصح أن يريدهما فموضوع التخيير يقتضي ذلك وان حصل فيما ليس هذه صورته والمجيب عن هذا متى قال كذا أحب الي من كذا مجيباً على مايقتضيه موضوع التخيير وان لم يكن الأمران على الحقيقة يشتركان فى تناول محبته ومما يقارب ذلك قوله تعالى (قل أذلك خير أم جنّة الخلد) ونحن نعلم أن لا خير فى العقاب وانما حسن ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار

المعاصي على الطاعات وانهم ماركبوا المعاصي وآثروها على الطاعات إلاّ لاعتقادهم أن فيها خيراً ونفعاً فقيل أذلك خير على ما تظنونه وتعتقدونه أم كذا وكذا وقد قال قوم في قوله تعالى (أذلك خيرٌ أم جنة الخلد) انما حسن ذلك لاشتراك الحالين في باب المنزلة وان لم يشتركا في الخير والنفع كما قال تعالى (خير مستقراً وأحسن مقيلا) ومثله هذا قد يأتي في قوله تعالى (رب السجن أحب اليّ) لأن الأمرين يعني المعصية ودخول السجن مشتركان في ان لكلٍ منهما داعياً وعليه باعثاً وان لم يشتركا في تناول المحبة فجعل اشتراكهما في داعي المحبة اشتراكا في المحبة نفسها وأجرى اللفظ على ذلك ومن قرأ هذه الآية بفتح السين فالتأويل أيضاً ما ذكرناه لأن السجن المصدر فيحتمل أن يريد ان سجني لهم نفسي وصبري على حبسهم أحب اليّ من مواقعة المعصية ولا يرجع بالسجن الى فعلهم بل الى فعله .. والوجه الثاني أن يكون معنى أحب اليّ أي أهون عندي وأسهل عليّ وهذا كما يقال لأحدنا في الأمرين يكرههما معاً ان فعلت كذا وإلاّ فعل بك كذا وكذا فيقول بل كذا أحب اليّ أي أهون عندي بمعنى أسهل وأخف وان كان لا يريد واحداً منهما وعلى هذا الجواب لا يمتنع أن يكون انما عنى فعلهم به دون فعله لانه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التي هي الارادة وانما وضع أحب موضع أخف والمعصية قد تكون أهون وأخف من أخرى .. وأما قوله تعالى (وإلاّ تصرف عنى كيدهن أصبُ اليهن) فليس المعنى فيه على ماظنه السائل بل المراد متي لم تلطف لي بما يدعوني الي مجانبة المعصية وتثبتني الى تركها ومفارقتها صبوت وهذا منه عليه السلام على سبيل الانقطاع الي الله تعالى والتسليم لاموره وأنه لولا معونته ولطفه مانجا من كيدهن ولا شبهة في ان النبي انما يكون معصوماً عن القبائح بعصمة الله تعالى ولطفه وتوفيقه .. فان قيل الظاهر خلاف ذلك لأنه قال (وإلاّ تصرف عنى كيدهن) فيجب أن يكون المراد ما يمنعهن من الكيد ويدفعه والذى ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لايقتضى ارتفاع الكيد والانصراف عنه .. قلنا معني الكلام وإلاّ تصرف عني ضرر كيدهن والغرض به لانهن إنما أجرين بكيدهن الى مساعدته لهن على المعصية فاذا عصم منها ولطف له في الانصراف عنها فكأن الكيد قد انصرف

عنه ولم يقع به من حيث لم يقع ضرره وما أجرى به اليه ولهذا يقال لمن أجرى بكلامه الى غرض لم يقع ما قلت شيئاً ولمن فعل مالا تأثير له ما فعلت شيئاً وهـذا بين بحمد الله ومنّه

[تأويل خبر] •• إن سأل سائل عن تأويل الخبر الذى يرويه عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبة طويلة خطبها من يتبع المشمعة يشمع به •• الجواب ان المشمعة هي الضحك والمزاح واللعب يقال شمع الرجل يشمع شموعاً وامرأة شموع اذا كانت كثيرة المزاح والضحك •• قال أبو ذؤيب يصف الحمير

بقَرَارِ قيعانٍ سَقاها وابلٌ ... واهٍ فأَثجم بُرْهةً لا يُقْلِـعُ (١)

فَلبِثْنَ حيناً يعتلجنَ برَوْضةٍ ... فيَجِدُّ حيناً فِي العِلاجِ وَيشْمَعُ

أراد أن هذا الحمار الذى وصف حاله مع الأتن وانه معهن في بعض القيعان يعارك هذه الاتن ومعنى ـ يعتلجن ـ يعاض بعضهن بعضاً ويتراعحن من النشاط فيجد الفحل معهن مرّة وأُخرى يأخـذ معهن فى اللعب فيشمع وفي جد لغتان يَجِد ويَجُدُ والمفتوح لغة هذيل ويقال فلان جاد مجد على اللغتين معاً •• وقيل ان معنى يشمع في الحمار انه يشم ثم يرفع رأسه فيكشر عن أضراسه فجعل ذلك بمنزلة الضحك •• قال الشماخ

وَلوْ أنِّي أَشاءُ كَننْتُ نفسِي ... إلىَ لبّاتِ بَهْكَنَةٍ شَمُوعِ (٢)

---

(١) ـ القرار ـ جمع قرارة وهو حيث يستقر الماء ـ والقيعان ـ جمع قاع وهو القطعة من الارض الصلبة الطيبة ـ والوابل ـ المطر العظيم القطر •• ويروى سقاها صيف وهو مطر الصيف ـ والواهي ـ كأنه منشق من شدة انصبابه وكثرة مائه ـ واثجم ـ أقام ونبت ـ والبرهة ـ الحين والزمان ـ والروضة ـ البقعة يجتمع فيها الماء ينبت فيها البقل والعشب ولا تسمى روضة الا اذا كان بها شجر وماء

(٢) يروى هيكلة مكان بهكنة وهيكلة من النساء العظيمة وتهيكلها اختيالها ـ والشموع ـ المزاحة ـ والبهكنة ـ التارة الغضة وقيل هي الجارية الخفيفة الطيبة الرائحة المليحة الحلوة

•• وقال المتنخل الهذلي

وَلاَ وَاللهِ نادَي الحَيِّ ضَيفي هُدُوًّا بِالْمَساءَةِ وَالعِلاَطِ
سأَبْدَأُهُمْ بِمَشْمَعَةٍ وأَثْنِي بِجَهْدِي مِنْ طَعامٍ أَو بِساطِ

أراد بقوله ــ نادي الحي ضيفي ــ أي لاينادونه من النداء بالسوء والمكروه ولا يتلقونه بما يؤثر ــ والعلاط ــ من علطه واعتلط به اذا خاصمه وشاغبه ووسمه بالشر وأصله من علاط البعير وهو وسم في عنقه •• وقيل ان معنى نادى الحي ضيفي من النادى أي لا يجالسونه بالمكروه والسوء•• ومعنى ــ سأبدأهم بمشمعة ــ أي بلعب وضحك لأن ذلك من علامات الكرم والسرور بالضيف والقصد الى إيناسه وبسطه••ومنه قول الآخر

وَرُبَّ ضَيفٍ طَرَقَ الحَيَّ سُرى صادَفَ زَاداً وَحَدِيثاً ماالشْتَهي [1]
إنَّ الحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ القِرَي

وروى الأصمعي عن خلف الأحمر قال سنة الاعراب أنهم اذا حدثوا الرجل الغريب وهشوا اليه ومازحوه أيقن بالقري واذا أعرضوا عنه عرف الحرمان••ومعنى ــ أثنى بجهد من طعام أو بساط ــ أى أتبع ذلك بهذا••ومعنى الخبر على هذا أن من كان من شأنه العبث بالناس والاستهزاء بهم والضحك منهم أصاره الله تعالى الى حالة يعبث به فيها ويستهزأ منه••ويقارب هذا الحديث من وجه حديث آخر وهو ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من يشمع الناس بعمله يشمع الله به والمعنى من يرائى بأعماله ويظهرها تقرباً الى الناس واتخاذاً للمنازل عندهم يشهره الله بالرياء ويفضحه ويهتكه••ويمكن أيضاً في الخبر الأول وجه آخر لم يذكر فيه وهو ان من عادة العرب أن يسموا الجزاء على الشيء

(١) قوله ورب ضيف الخ•• البيتان للشماخ يمدح بهما عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما وقبلهما

انك يابن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طارق إذا أتي
ورب ضيف الخ

باسمه ولذلك نظائر فى القرآن وأشعار العرب كثيرة مشهورة فلا ينكر أن يكون المعنى من يتبع اللهو بالناس والاستهزاء بهم يعاقبه الله تعالى على ذلك ويجازيه فسمى الجزاء على الفعل باسمه وهذا الوجه أيضاً ممكن فى الخبر الثاني .. أخبرنا عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال إني لفى سوق ضريّة وقد نزلت على رجل من بني كلاب كان متزوجاً بالبصرة وكان له ابن فضربه إذ أقبلت عجوز على ناقة لها حسنة البزة فيها باقي جمال فأناخت وعقلت ناقتها وأقبلت تتوكأ على محجن لها فجلست قريباً منّا وقالت هل من ملشد فقلت للكلابي أيحضرك شئ قال لا فأنشدتها شعراً لبشر بن عبد الرحمن الأنصاري

وقصيرةِ الأَيَّامِ وَدَّ جليسها ... لَوْ باعَ مَجْلِسَها بفقدِ حميمِ

مِنْ مُحْذياتِ أخي الهوى غُصَصَ الجوى ... بدلالِ غانيةٍ ومُقلةِ ريمِ

صفراءُ مِنْ بَقَرِ الجِواءِ كأنّما ... خَفَرُ الحياءِ بها ورَدْعُ سقيمِ

قال فجثت على ركبتها وأقبلت تخرش الأرض بمحجنها وأنشأت تقول

قِفِي ياأُمَيْمَ القلبَ نقرأْ تحيةً ... ونَشكوا الهوى ثمّ افعلي ما بدا لكِ

فلوْ قُلْتِ طأْ في النّارِ اعلمُ أنّهُ ... هوى لكِ أوْ مُدْنٍ لنا من وِصالكِ

لقدّمتُ رِجْلي نحوها فوطئْتُها ... هُدىً منكِ لي أوضلّةً من ضلالكِ

سلي البانةَ العلياءَ بالاجرعِ الذى ... بهِ البانُ هلْ حيّيتُ أطلالَ دارِكِ

وهلْ قُمتُ في أطلالهنّ عشيّةً ... مقامَ أخي البأساءِ واخترتُ ذلكِ

ليهنئكِ إمساكي بكفّي على الحشا ... ورَقراقُ عيني خشيةً منْ زيالكِ

قال الأصمعي فأظلمت والله على الدنيا بحلاوة منطقها وفصاحة لهجتها فدنوت منها فقلت أنشدتك الله لما زدتني من هذا فرأيت الضحك فى عينها وأنشدت

وَمُسْتَخفيَاتٍ لَيسَ يُخْفِينَ زُرْنَنَا   يُسَحِّبْنَ أَذيالَ الصَّبَابَةِ وَالشَّكْلِ

جَمَعْنَ الهَوَى حَتَّى اذَا مامَلَكْنَهُ   نَزَعْنَ وَقَدْ أَكْثَرْنَ فينا مِنَ القَتْلِ

مَرِيضَاتِ رَجْعِ الطَّرْفِ خُرْسٍ عَنِ الخَنَا

تَأَلَّفْنَ أَهْوَاءَ القُلُوبِ بِلاَ بَذْلِ

مَوَارِقُ مِنْ خَتْلِ المُحِبِّ عَوَاطِفٌ   بِخَتْلِ ذَوِي الأَلْبَابِ بِالجِدِّ وَالهَزْلِ

يُعَنِّفُنِي العُذَّالُ فِيهِنَّ وَالهَوَى   يُحَذِّرُنِي مِنْ أَنْ أُطِيعَ ذَوِي العَذْلِ

[قال المرتضي] رضى الله عنه أما قول الأنصاري ـ وقصيرة الأيام ـ فأراد بذلك ان السرور يتكامل بحضورها لحسنها وطيب حديثها فتقصر أيام جليسها لأن أيام السرور موصوفة بالقصر ٠٠ ويمكن أن يريد بقصيرة الأيام أيضاً حداثة سنها وقرب عهد مولدها وان كان الأول أشبه بما أتى في آخر البيت ٠٠ ومعنى ـ لو باع مجالسها بفقد حميم ـ أي ابتاعه وهذا اللفظ من الاضداد لأنه يستعمل في البائع والمشتري معاً ٠٠ قال الفراء سمعت اعرابياً يقول بع لي تمراً بدرهم أي اشتر لي تمراً ٠٠ وقال كثير

فَيَاليتَ عَزَّ النأْىَ إِذْ حال بيننا   وَبينكِ باعَ الودَّ لِي منكِ تاجر[1]

أي ابتاع ٠٠ وقوله ـ من محذيات أخي الهوى ـ أي معطيات يقال أحذيت الرجل من

---

(١) وقبله

بليلى وجارات لليلى كأنها   نعاج الملا تحدى بهن الاباعر

أمنقطع ياعز ماكان بيننا   وشاجرني ياعز فيك الشواجر

إذا قيل هذا بيت عزة قادني   اليه الهوى واستعجلتني البوادر

أصد وبي مثل الجنون لكي يرى   رواة الخنا أني لبيتك هاجر

ألا ليت حظي منك ياعز انني   إذا بنت باع الصبر لى عنك تاجر

وهذه الرواية في البيت الأخير أشهر من تلك

الغنيمة أحذيه إحــذاء اذا اعطيته والاسم الحذوة والحذيا والحَــذية كل ذلك العطية .. وقوله ـ كأنما خفر الحياء بها رداع سقيم ـ فالرداع هو الوجع فى الجسد فكأنه أراد انها منقبضة منكسرة من الحياء كما يتغير لون السقيم أو يريد تغير لونها وصفرته من الحياء كما يتغير لون السقيم ويجري مجرى قول ليلى الأخيلية

وَمُخَرَّقٍ عَنْهُ القَميصُ تَخَالُهُ بَيْنَ البُيُوتِ مِنَ الحَيَاءِ سقيمَا

حَتَّى اذَا خَفَقَ اللِّوَاءُ رَأيته تَحْتَ اللِّوَاءِ علي الخَمِيس زَعِيمَا

أخبرنا المرزبانى قال حدثني أبو عبد الله الحكيمي قال حدثني ميمون بن هارون الكاتب قال حدثنا ابن أخي الأصمعي عن عمه قال لقيت اعرابياً بالبادية فاسترشدته الى مكان فأرشدنى وأنشدنى

لَيسَ العَمَي طُولَ السُؤَال وَإنمَا

تَمَامُ العَمَى طُولُ السُّكُوتِ علي الجَهْلِ (١)

فرجعت الى البصرة فسكنت بها حيناً ثم قدمت البادية فاذا بالاعرابى جالساً بين ظهراني قوم وهو يقضى بينهم فما رأيت قضية أخطأت قضية الصالحين من أقضيته فجلست اليــه فقلت يرحمك الله أمَا من رشوة أمَا من هدية أمَا من صلة فقال لا اذا جاء هذا ذهب التوفيق فشكوت اليــه ما ألقى من عذل حليلة لي إياي فى طلب المعيشة فقال لست فيها بأوحد وإني لشريكك ولقد قلت فى ذلك شعراً قلت أنشدنيه فأنشدني

باتَتْ تُعَيِّرُنِي الإِقتَارَ وَالعَدَما لَمَّا رَأَتْ لِأَخِيهَا المَالَ والخَدَمَا

عُنُفٌ لِرَأيِكِ ما الأَرْزَاقُ مِنْ جَلَدٍ وَلاَمِنَ العَجْزِ بَلْ مَقْسُومَةٌ قِسَمَا

---

(١) وروي

شفاه العمي حسن السؤال وإنما يطيل العمى طول السكوت على الجهل

فكن سائلا عما عناك فانما خلقت أخا عقل لتسأل بالعقل

وهما للرياشى النحوى

يا أمةَ اللهِ إنّي لَمْ أَدَعْ طلَبًا ... للرّزقِ قَدْ تَعلَمينَ الشّرقَ وَالشأْما

فَكُلُّ ذَلكَ بالإجمَالِ في طلَبٍ ... لَمْ أُرزَعرضًا وَلمْ أسفِكْ لذَاكَ دَما

لوْ كانَ من جلَدٍ ذَا المَالُ أوْ أدبٍ ... لَكُنْتُ أكثرَ من غلِّ القرَى نعَمَا

إرضَيْ مِنَ العَيْشِ مالمْ تحُوجِي معَهُ ... أنْ تفتَحِي لِسؤَالِ الأَغنياء فَما

وَاستَشعري الصبْرَ علّ اللهَ خالقنَا ... يوْماً سيَكشفُ عنَّا الضرَّ والعَدَما

لا تحْوجيني الى مالَوْ بَذلتُ لهُ ... نفْسي لا عقَّبَكِ التّهمامَ وَالنّدما

باللهِ سَرّكِ أنّ الله خوّلني ... ما كانَ خوّلهُ الاعرَابَ وَالعجَما

ماسرّني أنني خوّلتُ ذَاكَ وَلاَ ... أنْ لاَ أقولَ لبَاغي حاجَةٍ نعَمَا

وَأنني لَمْ أُفِدْ عقلًا ولاَ أدبًا ... وَلاَ أرِثْ وَالدِي مجْداوَلاَ كرَمَا

فَمَسرّةُ المرْءِ أحرَى في معَاشكِ منْ ... أمرٍ يجُرُّ عليكِ الهَمَّ وَالأَلَمَا

قال فوالله ما أنشدتها حتى حلفت أن لا تعذلني أبداً .. أخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال رأيت بقباء شاباً من بني عامر ما رأيت بدوياً أفصح منه ولا أظرف فوالله كأنه شواظ يتلظى فاستنشدته فأنشدني

فَلَمْ أنسَكُمْ يومَ اللوى إذْ تعرّضتْ ... لنا أمُّ طفلٍ خاذِلٍ قَدْ تجلّتِ

فقالَتْ سأُنسيكَ العَشيّةَ مامَضى ... وَأصرِفُ منكَ النّفسَ عمّا أحبّتِ

فما فعَلَتْ لاَ وَالّذي أنا عَبْدُهُ ... على ما بدَا مِنْ حُسنها إذَ أدلّتِ

أبَتْ سابقاتُ الحُبِّ إلاّ مقرّها ... إليكِ وَما يثْني إذَا ما استقرّتِ

هوَاكِ الّذي في النّفسِ أمسَى دَخيلَها ... عليهِ انطوَتْ احشاؤها وَاستمرّتِ

وأنشدني أيضاً

دِيارٌ للّتي طَرَقَتْكَ وَهْنًا ... بَرِيًّا رَوْضَةٍ وَذَكاء رَنْدِ

تُسَائِلُني وَأَصْحَابِي هُجُودٌ ... وَتَثْنِي عِطْفَهَا مِنْ غَيْرِ صَدِّ

فَلَمَّا أَنْ شَكَوْتُ الحُبَّ قالتْ ... فإِنِّي فَوْقَ وَجْدِكَ كانَ وَجْدِي

وَلَكِنْ حالَ دُونَكَ ذُو شَذَاة ... أُسَرُّ بِفَقْدِهِ وَيَهُرُّ فقدي

معنى — يهر — يكره . . وبهذا الاسناد قال الأصمعي قعدت الي اعرابي يقال له اسمعيل ابن عمار واذا هو يفتل أصابعه ويتلهف فقلت له علام تتلهف فأنشأ يقول

عَيْنَايَ مشؤَمَتانِ وَيْحَهُمَا ... وَالقَلْبُ حرّانُ مُبْتَلى بِهِمَا

عرَّفَتاني الْهَوَى بِظُلْمِهِمَا ... يالَيْتَنِي قَبْلَهُ عَدِمْتُهُمَا

هُمَا إلى الحَيْنِ قادَتَا وَهُمَا ... دَلَّ على ماأجنُّ دَمْعُهُمَا

سأَعْذُرُ القَلْبَ في هَوَاهُ فَمَا ... سَبَّبَ هذَا البَلاءَ غيرُهُمَا

وبهذا الاسنادعن الأصمعي قال نزلت ليلة في وادي بني العنبروهو إذ ذاك غان بأهله أي آهل فاذا فتية يريدون البصرة فأحببت صحبتهم فأقمت لياتى تلك عامهم وإني لو صب محموم أخاف أن لا أستمسك على راحلتي فلما أقاموا ليرحلوا أيقظوني فلما رأوا حالى رحلوا لى وحملوني وركب أحدهم ورائى يمسكنى فلما أمعنوا السير تنادوا الافتى يحدو بنا أو ينشدنا فاذا منشد فى سواد الليل بصوت ند حزين ينشد

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ بانُوا فَلَمْ أَمُتْ ... خُفَاتًا على آثارِهِمْ لَصَبُورُ

غَدَاةَ المُنَقَّى اذْ رُمِيتُ بِنَظْرَةٍ ... وَنَحْنُ علي مَتْنِ الطَّرِيقِ نَسِيرُ

فَقُلْتُ لِقَلْبِي حِينَ خَفَّ بِهِ الهَوَى ... وَكادَ مِنَ الوَجْدِ المُبَرِّ يَطِيرُ

فَهَذَا وَلَمَّا تَمْضِ لِلْبَيْنِ لَيْلَةٌ ... فَكَيْفَ إِذَامَرَّتْ عَلَيْكَ شُهُورُ

وَأَصْبَحَ أَعْلَامُ الأَحِبَّةِ دُونَهَا مِنَ الأَرْضِ غَوْلٌ نَازِحٌ وَمَسِيرُ

وَأَصْبَحْتُ نَجْدِيَّ الْهَوَى مُتْهِمِ الثوَى

أَزِيدُ اشْتِيَاقًا أَنْ يَحِنَّ بَعِيرُ

عَسَى اللهُ بَعْدَ النأْيِ أَنْ يُسْعِفَ النَّوَى

وَيُجْمَعُ شَمْلٌ بَعْدَها وَسُرُورُ

قال فسكنت والله عني الحمى حتى ما أحس بها فقلت لرفيقي انزل يرحمك الله الى راحلتك فاني مناسك وجزاك الله عن الصحبة خيراً .. أخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوى قال حدثنا بعض أصحابنا عن الأصمعي قال كان بالبصرة اعرابي من بني تميم يتطفل على الناس فعاتبته على ذلك فقال والله مابنيت المنازل إلا لتدخل ولا وضع الطعام إلا ليؤكل وما قدمت هدية فأتوقع رسولا وما أكره أن أكون ثقلا ثقيلا على من أراه شحيحاً بخيلا أتقحم عليه مستأنساً وأضحك اذا رأيته عابساً فآكل برغمه وأدعه بهمه وما اخترق اللهوات طعام أطيب من طعام لم ينفق فيه درهم ولا يعنى اليه خادم [1] وأنشأ يقول

كُلَّ يَوْمٍ أَدُورُ فِي عَرْصَةِ الْحَـ ـيِّ أَشُمُّ الْقُتَارَ شَمَّ الذبابِ

(١) وروى من غير هذا الوجه عن المبرد قال كان بالبصرة طفيلي مشهور وكان ذا أدب وظرف فمر بسكة النخع بالبصرة على قوم عندهم وليمة فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دعى فانكره صاحب المنزل فقالوا له لو تأنيت أو صبرت ياهذا قبل الدخول حتى يؤذن لك كان أحسن لادبك وأعظم لقدرك وأجمل لمروءتك فقال إنما اتخذت البيوت ليدخل فيها ووضعت الموائد ليؤكل عليها والحشمة قطيعة واطراحها صلة وجاء فى الآثار صل من قطعك واعط من منعك وأحسن الي من أساء اليك

فاذا مارَأَيتُ آثارَ عُرْسٍ ... أَوْ خِتَانٍ أَوْ مَجْمَعَ الأَصْحَابِ

لاَ أُوَرِّع دُونَ التَّقَحُّمِ لاَأَرْ ... هَبُ دَفْعاً وَلَكْزَةَ البَوَّابِ

مُسْتَهِيناً مِمَّا هَجَمْتُ عَلَيْهِ ... غَيْرَ مُسْتَأْذِنٍ وَلاَ هَيَّابِ

فَتَرَانِي أَلُفُّ مَاقَدَّمَ القَوْ ... مُ علي رَغْمِهِمْ كَلَفْتِ العُقَابِ

ذَاكَ أَدْنِي مِنَ التَّكَلُّفِ وَالغُرْ ... مِ وَغَيْظِ البَقَّالِ وَالقَصَّابِ

مجلس آخر ٣٨

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي) الى قوله (أن تكون من الجاهلين) .. فقال ظاهر قوله تعالى (إنه ليس من أهلك) يقتضى تكذيب قوله عليه السلام انه من أهلى فالنبي لايجوز عليه الكذب فما الوجه فى ذلك وكيف يصح أن يخبر عن ابنه انه عمل غير صالح وما المراد به .. الجواب قلنا في هذه الآية وجوه .. أحدها أن نفيه لان يكون من أهله لم يتناول نفى النسب وانما نفى أن يكون من أهله الذين وعد بنجاتهم لانه عزوجل كان وعد نوحاً عليه السلام بان ينجي أهله ألا ترى الى قوله تعالى (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلاّ من سبق عليه القول) فاستثنى تعالى من أهله من أراد اهلاكه بالغرق ويدل عليه أيضاً قول نوح عليه السلام (ان ابني من أهلى وان وعدك الحق) وعلى هذا الوجه يتطابق الخبران ولا يتنافيان وقد روى هذا التأويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين .. والجواب الثاني أن يكون المراد بقوله تعالى (ليس من أهلك) اى انه ليس على دينك وأراد انه كان كافراً مخالفاً لأبيه وكأنّ كفره أخرجه من أن يكون له أحكام أهله ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى على طريق التعليل انه عمل

غير صالح فبيّن تعالى انه انما خرج من أحكام أهله لكفره وسوء عمله وقد روي هذا التأويل أيضاً عن جماعة من المفسرين وحكى عن ابن جريج انه سئل عن ابن نوح فسبح طويلا ثم قال لا اله الا الله يقول الله ونادى نوح ابنه ويقول ليس منه ولكنه خالفه فى العمل فليس منه من لم يؤمن ٠٠ وروى عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكنه كان مخالفاً له فى النية والعمل فمن ثم قيل انه ليس من أهلك ٠٠ والوجه الثالث انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه فقال عليه السلام ان ابني على ظاهر الأمر فأعلمه الله تعالى ان الأمر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امرأته وليس فى ذلك تكذيب خبره لانه انما خبر عن ظنه وعما يقتضيه الحكم الشرعى فأخبره الله تعالى بالغيب الذى لا يعلمه غيره وقد روى هذا الوجه عن الحسن وغيره ٠٠ وروى قتادة عن الحسن قال كنت عنده فقال ونادى نوح ابنه فقال لعمر الله ماهو ابنه فقلت يا أبا سعيد يقول الله تعالى ونادى نوحٌ ابنه وتقول ليس بابنه قال أفرأيت قوله ليس من أهلك قال قلت معناه انه ليس من أهلك الذين وعدتك ان أنجيهم معك ولا يختلف أهل الكتاب انه ابنه فقال أهل الكتاب يكذبون ٠٠ وروى عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك ٠٠ وهذا الوجه يبعد إذ فيه منافاة للقرآن لانه قال تعالى (ونادى نوح ابنه) فأطلق عليه اسم البنوة ولأنه أيضاً استثناه من جملة أهله بقوله تعالى (وأهلك إلاّ من سبق عليه القول) ولان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجب أن ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعر وتشين وتغض من القدر وقد جنب الله تعالى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ما هو دون ذلك تعظيما لهم وتوقيراً ونفياً لكل ماينفر عن القبول منهم وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على ان تأويل قوله تعالى فى امرأة نوح وامرأة لوط فخانتاهما على ان الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت احداهما تخبر الناس بانه مجنون والأُخرى تدل على الأضياف والمعتمد في تأويل الآية هو الوجهان المتقدمان ٠٠ فأما قوله تعالى (انه عملٌ غير صالح) فالقراءة المشهورة بالرفع ٠٠ وقد روى عن جماعة من المتقدمين انهم قرؤا انه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير ولكل وجه ٠٠ فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح وما يستعمل غير صالح فحذفه

المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء

مَا أُمُّ سَقْبٍ علي بَوٍّ تُطِيفُ بِهِ   قد ساعدتها على التَّحْنَانِ أَظْآرُ
تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حتَّى إِذَا ذَكَرَتْ   فإنما هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

أرادت انما هي ذات اقبال وادبار •• وقال قوم ان المعنى أهلك ابنك هذا الذي ولد على فراشك وليس بابنك على الحقيقة والذى اخترناه خلاف ذلك •• وقال آخرون الهاء في قوله تعالى (انه عمل غير صالح) راجعة الى السؤال والمعنى ان سؤالك إياي ماليس لك به علم انه عملٌ غير صالح لأنه قد وقع من نوح ذلك السؤال والرغبة في قوله عليه الصلاة والسلام (رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق) ومعنى ذلك نجه كما نجيتهم ومن يجيب بهذا الجواب يقول ان ذلك صغيرة من النبي لأن الصغيرة جائزة عليهم ومن يمنع أن يقع من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء راجعة الى السؤال بل الى الابن ويكون تقدير الكلام ما تقدم •• فاذا قيل له لم قال تعالى (لا تسألني ماليس لك به علم) فكيف قال نوح عليه الصلاة والسلام من بعد (رب إني أعوذ بك أن أسألك ماليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) •• قال لا يمتنع أن يكون نهيه عن سؤال ماليس له به علم وان لم يقع منه لم يكن يعوذ عليه الصلاة والسلام من ذلك وان لم يواقعه ألا ترى ان الله تعالى قد نهى نبيه عليه الصلاة والسلام عن الشرك والكفر وان لم يكن ذلك وقع منه فقال تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) وكذلك لايمتنع أن يكون نهاه في هذا الموضع عما لم يقع ويكون عليه الصلاة والسلام انما سأل نجاة ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء •• فأما القراءة بالنصب فقد ضعفها قوم وقالوا كان يجب أن يقال انه عمل عملا غير صالح لأن العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن حتى تقول عملا غير حسن وليس وجهها بضعيف في العربية لأن من مذهبهم الظاهر اقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول القائل قد فعلت صواباً وقلت حسناً بمعنى فعلت فعلا صواباً وقلت قولا حسناً •• وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

أيُّها القائل غيرَ الصوابِ أخِّرِ النصحَ وَاقلِلَنَّ عِتابي

وقال أيضاً

وكَمْ مِنْ قتيلٍ مايُباءُ بهِ دَمٌ وَمِنْ غَلَقٍ رَهْنًا إذَا ضَمَّهُ مِنَى

وَمِنْ مالىءٍ عينَيهِ مِنْ شيءِ غيرِهِ

إذَا رَاحَ نحوَ الجمرَةِ البيضُ كالدُّمى (١)

وأنشدنا أبو عبد الله لرجل من بجيلة

كَمْ مِنْ ضَعيفِ العَقلِ مُنتَكِثِ القُوَى

مابِنْ لهُ نَقضٌ وَلاَ إبرامُ

مالت لهُ الدُّنيا عليهِ بأَسْرِها فعليهِ منْ رزقِ الإلهِ رُكامُ

وَمُشَيَّعٍ جَلْدٍ أمينٍ حازمٍ مَرِسٍ لهُ فيما يرُومُ مَرَامُ

أعْمَى عليهِ سبيلهُ فكأنَّهُ فيما يحاولهُ عليهِ حرَامُ

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ميمون بن

---

(١) وقبل البيتين

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كليالِ الحج أفتنَّ ذا هوى

وبعدهما

يسحبن اذيال المروط بأسؤق خدال وأعجاز مآ كمها روي

وسبب هذه الابيات ان أم عمرو بنت مروان حجت فلما قضت نسكها أتت عمر ابن أبي ربيعة وقد أخفت نفسها في نساء لحادثته ثم انصرفت وعادت اليه منصرفها من عرفات وقد أتبها فقالت له لا تذكرني في شعرك وبعثت اليه بألف دينار فقبلها واشترى بها ثيابا من ثياب اليمن وطيباً فأهداه اليها فردته فقال إذاً والله انهبه الناس فيكون مشهوراً فقبلته

هرون قال حدثنا اسحق بن ابراهيم الموصلي قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكر يميل الى الأصمعي ويفضله ويقوم بأمره قال فجئته يوماً بعد موت محمد وعنده عبد كان لمحمد أسود وقد ترك الناس وأقبل عليه وسائله وتحفى به وحادثه فلما خرج لمته على ذلك وقلت من هذا حتى أفنيت عمر يومك به فقال هذا غلام ابن منصور ثم أنشدني

وَقالُوا ياجَميلُ أَتَى أَخُوها ... فَقُلْتُ أَتَى الحَبِيبَ أَخُو الحَبِيبِ

أُحِبُّكَ والقَرِيبُ بِنا بَعِيدٌ ... لإِنْ ناسَبْتَ بِثْنَةَ منْ قرِيبِ

فقلت له وكنت أفعل هذا كثيراً به لاستجر كلامه وعلمه ياأبا سعيد ذلك أخوها وهذا غلامه فضحك وقال أنشد أبو عمرو أوقال غيره

أرَي كُلَّ أَرْضٍ أَوْطَنَتْها وَإِنْ خلتْ ... لَها حجَجٌ تَنْدى بِمسك تُرَابُها

حَلَفْتُ بِأَنى لوْ أَرَى تبِعا لَها ... ذِئَابَ الغَضى حنَّتْ إِلَيَّ ذِئَابُها

قال فجعلت أعجب من قرب لسانه من قلبه واجادة حفظه لمتى أراده •• وبهذا الاسناد عن اسحق الموصلي قال قرأت على الأصمعي شعر امرئ القيس فلما بلغت الى هذا البيت

أمِنْ أَجْلِ أَعْرَابِيَّةٍ حلَّ أَهْلُها ... بِرَوْضِ الشَّرَى عيْناكَ تبْتَدِرَانِ

فقال لي أتعرف فى هذا البيت خبثاً باطناً غير ظاهر قلت لا فسكت عنى فقلت ان كان فيه شئ فافدنيه قال نعم أما يدلك البيت على انه لفظ ملك مستهين ذى قدرة على مايريد قال اسحق وما رأيت قط مثل الأصمعي فى العلم بالشعر •• وروى عن اسحق أيضاً انه قال قال لي الأصمعي ما يعنى امرؤ القيس بقوله

فَمِثْلِكِ حُبْلى قدْ طرَقْتُ ومُرْضِع

فأَلْهيْتُها عَنْ ذِي تَمائِمَ مُحْوِلِ

فقلت تخبرنى فقال كان مفركا فيقول ألهيت هؤلاء عن كراهتهن للرجال فكيف انا عند المحبات لهم •• وروى ان السبب الذى هاج التنافر بين الأصمعي وابن الاعرابي ان

الأصمعي دخل يوماً على سعيد بن سلم وابن الاعرابي حينئذ يؤدب ولده فقال لبعضهم أنشد أبا سعيد فأنشد الغلام أبياتاً لرجل من بني كلاب رواه إياها ابن الاعرابي

رَأَتْ نِضْوَ أَسفَارٍ أُمَيْمَةُ شاحِباً ... على نِضْوِ أَسفَارٍ فَجُنَّ جُنُونُها

فَقَالَتْ مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ وَمَنْ تَكُنْ ... فإِنَّكَ رَاعِي صُرْمَةٍ لاَ يَزِينُهَا

فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَ الشُّحُوبُ على الفَتَى ... بِعَارٍ وَلاَ خَيْرُ الرِّجالِ سَمِينُهَا

عَلَيْكِ بِرَاعِي ثَلَّةٍ مُسْلَحِبَّةٍ ... يَرُوحُ عَلَيْهِ مَخْضُهَا وَحَقِينُهَا

سَمِينُ الضَّوَاحِي لَمْ تُؤَرِّقْهُ لَيْلَةً ... وَأَنْعَمَ أَبْكَارُ الهُمُومِ وَعُونُهَا

ورفع ليلة فقال له الأصمعي من رواك هذا فقال مؤدبي فأحضره فاستنشده فأنشده ورفع ليلة فأخذ ذلك عليه وفسر البيت فقال انما أراد انه لم تؤرقه ليلة أبكار الهموم وعونها وأنعم أي زاد على هذه الصفة .. وقوله سمين الضواحي أي ماظهر منه وبدا سمين ثم قال الأصمعي لابن سلم من لم يحسن هذا المقدار فليس بموضع لتأديب ولد الملوك .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا الأصمعي قال ولد بشار بن برد أكمه لم ينظر الى الدنيا قط وكان ذا فطنة وذكاء فقلت له يوماً من أين لك هذا الذكاء قال من قدم العمى وعدم المناظر يمنع من كثير من الخواطر المذهلة فيكسب فراغ الذهن وصحة الذكاء وأنشد لنفسه يفخر بالعمى

عَمِيتُ جَنِيناً وَالذَّكاءُ منَ العَمَى ... فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلعِلْمِ مَوْئِلا

وَغاضَ ضِياءُ العَيْنِ لِلعَقْلِ رَافِدًا ... بِقَلْبٍ إِذَا ماضَيَّعَ النَّاسُ حَصَّلاَ

وَشِعْرٍ كَنَوْرِ الرَّوْضِ لاَ أَمْتُ بَيْنَهُ ... بِقَوْلٍ إِذَا ماأَحْزَنَ الشِّعْرُ أَسْهَلاَ

وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا

الأصمعي قال أنشد رجل وأنا حاضرٌ بشاراً قول الشاعر

وَقَدْ جَعلَ الاعداء يَنتقصُونَنَا ... وَتطمعُ فينَا أَلسنٌ وَعيُون

أَلاَ إِنمَا ليلي عَصَي خيزُرَانةٍ ... إِذَا غمَزُوها بالأَكُفّ تلينُ

فقال بشار والله لو جعلها عصى مخ أو زبد لما كان إلاّ مخطئاً مع ذكر العصى ألا قال كما قلت

وَحَوْرَاءِ المَدَامـِـع مِنْ معَدّ ... كأَنَّ حديثَهَا قِطَعُ الجُمَانِ

إِذَا قامتْ لِسبْحتِهَا تَثنتْ ... كأَنَّ قوَامهَا من خيزُرَانِ

يُنسيّكَ المُنَي نَظرٌ إِليهَا ... وَيَصْرِفُ وَجْههَا وَجهَ الزَّمانِ

٠ ٠ وأخبرنا المرزباني قال حدثنا عليّ بن أبي عبد الله الفارسي قال حدثني أبي عن عمر بن شبة قال قال لي أبو عبيدة رحل بشار الى الشام فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيما بحران فقال فيه قصيدة طويلة أوّلها

نأَتْكَ على طولِ التجَاوُرِ زَينَبُ ... وَماعلمتَ أَنَّ النوَى سوْفَ يَشعَبُ

وكان سليمان بخيلا فاعطاه خمسة آلاف درهم ولم يصب غيرها بعد ان طال مقامه فقال

إِنْ امسِ مُنْشنَـجَ اليَدَيْن عنِ النّدَى

وَعنِ العدُوّ مُخَيّسُ الشَّيْطانِ

فلقدْ أَرُوحُ علي اللّئام مُسَلّطاً ... ثَلِـجَ المقَام منَعّمَ النّدمانِ

في ظلّ عَيْشِ عشيرَةٍ محْمُودَة ... تندَى يدِي وَيُخَافُ فرطُ لساني

أَزمانَ سِربالُ الشّبَاب مُذَيّلٌ ... وَإِذِ الأَميرُ عليّ من حرّانِ

رِئمٌ بأَحوِيةِ العِرَاق إِذَا بدَا ... بَرَقَتْ عليهِ أَكِلّةُ المَرْجانِ

فاكْحَلْ بِعبْدَةَ مقلَتيكَ منَ القذَى ... وَبِوَشْكِ رُؤْيتِهَا منَ الهَمَلاَنِ

فَلَقُرْبُ من تَهْوَى وَأَنتَ مُتَيَّمٌ اشفى لِدَائِكَ من بني مَرْوَانِ

فلما رجع الى العراق برّهُ ابن هبيرة ووصله وكان ابن هبيرة يقدمه ويؤثره لمدحه قيساً وافتخاره بها فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن يحيي النحوى قال قال الأصمعي ماوصف أحدٌ الثغر إلاّ احتاج الى قول بشر بن أبي خازم

يُفَلِّجْنَ الشِّفَاهَ عنْ أُقحوانٍ جلاهُ غبٌّ ساريةٍ قِطَارُ

ولا وصف أحدٌ اللون بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة

وَهيَ مكنُونَةٌ تَحَيَّرَ منها في أَدِيمِ الخَدَّيْنِ ماءُ الشَّبَابِ

شفَّ عنها مُحَقَّقٌ جُنْدُبِيٌّ فَهْيَ كالشَّمْسِ منْ خِلَالِ السَّحَابِ

ولا وصف أحدٌ عيني امرأة إلاّ احتاج الى قول ابن الرقاع

لوْلاَ الحياءُ وَأَنَّ رَأسي قد بدَا فيهِ المَشيبُ لزُرْتُ أُمَّ القاسِمِ

فكأَنَّها وَسطَ النِّساءِ اعارَها عَيْنَيهِ أحوَرُ منْ جآذِرِ جاسِمِ

وَسْنَانُ اقصدَهُ النُّعاسُ فرَنَّقَتْ في عَيْنِهِ سِنَةٌ وَليسَ بِنائِمِ

ولا وصف أحدٌ نجيباً إلاّ احتاج الى قول حميد بن ثور

مُحَلًّى باطْوَاقٍ عِتَاقٍ يُبِينُهَا على الضَّرِّ رَاعِي الضَّأْنِ لوْ يَتَقَوَّفُ

ولا وصف أحدٌ ظليما إلاّ احتاج الى قول علقمة بن عبدة

هَيْقٌ كأَنَّ جناحَيْهِ وَجُؤْجُؤَهُ بَيْتٌ أطافتْ بهِ خَرْقاءُ مَهْجُومُ

ولا اعتذر أحد إلاّ احتاج الى قول النابغة

فانَّكَ كالَّيْلِ الَّذِي هوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عنكَ وَاسِعُ

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه .. أما قول حميد محلىً بأطواق عتاق فانه يريد أن عليه نجار الكرم والعتق فصارت دلالتهما وسماتهما حلية من حيث كان موسوماً

بهما •• ومعنى — بيينها على الضرّاء — يتبينها ويعرفها هــذا الراعى فيعلم انه كريم — والتقوف — من القيافة •• فأما قول علقمة هيق — فالهبق — ذكر النعام •• ومعنى — أطافت به خرقاء — أي عملته وابتنته وقيل ان خرقاء ههنا هي الحاذقة وان هذه اللفظة تستعمل على سبيل الاضداد في الحاذقة وغير الحاذقة •• ومعنى — مهجوم — أي مهدوم •• وقال الأصمعي معنى أطافت به عملته نخرقت في عمله يقول قد أرسل جناحيه كأنه خباء امرأة خرقاء كلما رفعت ناحية استرخت ناحية أُخرى والوجه الثاني أشبه وأملح •• فأما قول بشر بن أبي خازم في وصف الثغر فأحسن منه وأكشف وأشد استيفاء للمعنى قول النابغة

كالأُقحوَانِ غداةَ غبِّ سمَائهِ جفَّتْ أعاليهِ وَأسْـفَلُهُ نَدِ

فانما وصف أعاليه بالجفوف ليكون متفرقاً متنضداً غــير متلبد ولا مجتمع فيشبه حينئذ الثغور •• ثم قال وأسفله ندٍ حتى لا يكون خلا يابساً بل يكون فيه الغضاضة والصقالة فيشبه غروب الاسنان التى تلمع وتبرق •• وروى الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول أحسن ما قيل في وصف الثغر قول ذي الرمة

وتجْلُو بفَرْعٍ من أرَاكٍ كأنَّهُ من العَنْبَرِ الهِنْدِيّ وَالمسكِ ينْضَحُ

ذُرَى أُقحوَانٍ وَاجهَ اللَّيلَ وَارتقى اليهِ النَّدَى من رَامةَ المترَوِّحُ

هِجَانُ الثَّنايا مُغرِبًا لوْ تَبسَّمتْ لأَخرَسَ عنهُ كادَ بالقوْلِ يُفْصِحُ

مجلس آخر ٣٩

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) •• فقال كيف يعذبهم بالأموال والأولاد ومعلوم أن لهم فيها سروراً ولذة وأما تأويل قوله تعالى (وهم كافرون) فظاهره يقتضى انه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزهق أنفسهم فى

حال كفرهم لأن القائل اذا قال أريد أن يلقاني فلان وهو لابس أو على صـفة كذا وكذا فالظاهر انه اراد كونه على تلك الصـفة .. الجواب قلنا أما التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه .. أولها ماروى عن ابن عباس وقتادة وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ويكون التقدير فلا تعجبك يامحمد ولا يعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفار والمنافقين ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهـم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد على ذلك بقوله تعالى (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تولَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون) .. وأنشد فى ذلك قول الشاعر

عشيَّةَ أبدتْ جيدَ أدماءَ مُغْزِلٍ وطرْفاً يُريكَ الإثْمَدَ الجوْنَ أحورا

يريد وطرفاً أحور يريك الإثمد الجون وقد اعتمد على هذا الوجه أيضاً أبوعليّ قطرب وذكره أبو القاسم البلخى والزجاج ..وثانيها أن يكون معنى التعذيب بالأموال والأولاد في الدنيا هو ماجعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسبى أولادهم واسترقاقهم وفى ذلك لا محالة إيلامٌ لهم واستخفاف بهم وانما أراد الله تعالى بذلك اعلام نبيه صـلى الله عليه وآله والمؤمنين انه لم يرزق الكفار الأموال والأولاد ولم يبقها فى أيديهم كرامة لهم ورضى عنهم بل للمصلحة الداعية الي ذلك وانهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه فلا يجب أن يغبطوا بها ويحسدوا عليها اذ كانت هذه عاجلتهم والعقاب الأليم في النار آجلتهم وهذا جواب أبى عليّ الجبائي وقد طعن عليه بعض من لا تأمل له فقال كيف يصح هذا التأويل مع انا نجد كثيراً من الكفار لا تنالهم أيدى المسلمين ولا يقدرون على غنيمة أموالهم ونجد أهل الكتاب أيضاً خارجين عن هـذه الجملة لمكان الذمـة والعهد وليس هـذا الاعتراض بشئ لأنه لا يمتنع أن تختص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ممن أوجب الله تعالى محاربتـه فأما الذين هم بحيث لاتنالهم الأيدى أو هم من القوة على حد لايتم معه غنيمة أموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم فى هذا الجواب لأنهم ممن أراد الله تعالى أن يسبى ويغنم ويجاهد ويغلب وان لم يقع ذلك وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على انه غيرمراد .. وثالثها أن يكون المراد بتعذيبهم

بذلك كلما يدخله في الدنيا عليهم من الغموم والمصائب بأموالهم وأولادهم التي لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب وجزاء وللمؤمنين محنة وجالبة للعوض والنفع ويجوز أيضاً أن يراد به ما ينذر به الكافر قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع انه حيّ من العذاب الدائم الذي قد أعد له واعلامه انه صائر اليه اومنتقل الى قراره وهذا الجواب قد روي معنى أكثره عن قوم من متقدمي المفسرين وذكره أبو عليّ الجبائي أيضاً ٠٠ ورابعها جواب يحكى عن الحسن واختاره الطبري وقدمه على غيره وهو أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في أموالهم لأن ذلك يؤخذ منهم على كره وهم اذا أنفقوا فيه أنفقوا بغير نية ولا عزيمة فتصير نفقتهم غرامة وعذاباً من حيث لايستحقون عليها أجراً ٠٠[قال الشريف المرتضي]رحمه الله وهذا وجه غير صحيح لأن الوجه في تكليف الكافر اخراج الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ومحال أن يكون انما كلف اخراج هذه الحقوق على سبيل العذاب والجزاء لأن ذلك لا يقتضي وجوبه عليه والوجه في تكليف الجميع هذه الأمور هو المصلحة واللطف في التكليف ولا يجري ذلك مجرى ماقلناه في الجواب الذي قبل هذا من ان المصائب والغموم تكون للمؤمنين محنة وللكافرين عقوبة لأن تلك الأمور مما يجوز أن يكون وجه حسنها للعقوبة والمحنة جميعاً ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلاّ وجهٌ واحد وهو المصلحة في الدّين فافترق الأمران وليس لهم أن يقولوا ليس التعذيب في ايجاب الفرائض عليهم وانما هو في اخراجهم لأموالهم على سبيل التكره والاستثقال وذلك انه اذا كان الأمر على ما ذكروه وخرج الأمر من أن يكون مراداً لله تعالى لانه جل وعز ما أراد منهم اخراج المال على هذا الوجه بل على الوجه الذي هو طاعة وقربة فاذا أخرجوها متكرهين مستثقلين لم يرد ذلك فكيف يقول انما يريد الله ليعذبهم بها ويجب أن يكون ما يعذبون به شيئاً يصح أن يريده الله تعالى ٠٠[قال الشريف] رحمه الله وجميع هذه الوجوه التي حكيناها في الآية إلا جواب التقديم والتأخير مبنية على ان الحياة الدنيا طوق للعذاب ليحمل كل متأول من القوم ضرباً من التأويل ويطابق ذلك وما يحتاج عندنا الى جميع ما تكلفوه ولا الى التقديم والتأخير اذا لم يجعل الحياة ظرفاً للعذاب بل جعلناها ظرفاً للفعل

الواقع بالأموال والأولاد المتعلق بهما لإنا قد علمنا أولا ان قوله ليعذبهم بها لا بد من الانصراف عن ظاهره لأن الأموال والأولاد نفسها لا تكون عذاباً والمراد على سائر وجوه التأويل المتعلق بها والمضاف اليها سواء كان انفاقها والمصيبة بها والغم عليها أو اباحة غنيمتها واخراجها عن أيدى مالكيها فكان تقدير الآية انما يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا مما يتعلق بأموالهم وأولادهم ويتصل بها فاذا صح هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا لأفعالهم القبيحة فى أموالهم وأولادهم التى تغضب الله تعالى وتسخطه كانفاقهم الأموال في وجوه المعاصى وحملهم الأولاد على الكفر وإلزامهم الموافقة لهم في النحلة ويكون تقدير الكلام انما يريد الله ليعذبهم بفعلهم في أموالهم وأولادهم الواقع ذلك منهم في الحياة الدنيا وهذا وجه ظاهر يغني عن التقديم والتأخير وسائر ما ذكروه من الوجوه ‥ فأما قوله تعالى (وتزهق أنفسهم) فمعناه تبطل وتخرج أى انهم يموتون على الكفر وليس يجب اذا كان مريداً لأن تزهق أنفسهم وهم على هذه الحال أن يكون مريداً للحال نفسها على ما ظنوه لأن الواحد منا قد يأمر غيره ويريد منه أن يقاتل أهل البغى وهم محاربون ولا يقاتلهم وهم منهزمون ولا يكون مريداً لحرب أهل البغي للمؤمنين وان أراد قتلهم على هذه الحالة وكذلك قد يقول لغلامه أريد أن تواظب على المصير اليّ فى السجن وأنا محبوس وللطبيب صر اليّ ولازمنى وأنا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس وان كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين ‥ وقد ذكر في ذلك وجه آخر على أن لا يكون قوله (وهم كافرون) حالا لزهوق أنفسهم بل يكون ذلك كأنه كلام مستأنف والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم مع ذلك كافرون صائرون الى النار وتكون الفائدة انهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة ويكون معنى تزهق أنفسهم على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة بل المشقة الشديدة والكلفة الصعبة كما يقال ضربت فلاناً حتى مات وتلفت نفسه وأخرجت روحه وما أشبه ذلك

[قال الشريف] رضى الله عنه ذاكرنى قوم من أهل الأدب بأشعار المحدثين وطبقاتهم وانتهوا الى مروان بن يحيى بن أبي حفصة فأفرط بعضهم فى وصفه وتقريظه

وتفضيله وآخرون في ذمّه وتهجينه والازراء على شعره وطريقته واستخبروا عما اعتقده فيه فقلت لهم كان مروان متساوي الكلام متشابه الألفاظ غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقّق فيها فلذلك قلت النظائر في شعره ومدائحه مكررة الألفاظ والمعاني وهو غزير الشعر قليل المعني الا انه مع ذلك شاعر له تجويد وحذق وهو أشعر من كثير من أهل زمانه وأشعر شعراء أهله ويجب أن يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الألفاظ وتدقيق المعاني وحسن الألفاظ ووقوع التشبيهات ودون بشار بن بردٍ في الأبيات النادرة السائرة فكأنه طبقة بينهما وليس بمقصر دونهما شديداً ولا منحط عنهما بعيداً وكان اسحق بن ابراهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم وكذلك أبو عمرو الشيباني وكان الأصمعي يقول مروان مولّد وليس له علم باللغة واختلاف الناس في اختيار الشعر بحسب اختلافهم في التنبيه على معانيه وبحسب مايستنبطونه من مذاهبه وطرائقه فسئلت عند ذلك أن أذكر مختار ما وقع اليّ من شعره وأنبه على سرقاته ونظائر شعره وان أُملي ذلك في خلال المجالس وأثنائها . فما يختار من شعره قوله من قصيدة يمدح بها المهدي أوّلها

أَعادكَ منْ ذِكرِ الأَحبةِ عائدُ ... أَجلْ واستخفتْكَ الرُّسومُ البوائدُ

يقول فيها

تَذَكرْتَ منْ تَهْوى فأَبْكاكَ ذِكرُهُ ... فلاَ الذِّكرُ مَنْسيٌّ وَلاَ الدَّمعُ جامدُ

تحِنُّ وَيأبي أنْ يُساعِدكَ الهوَى ... وَللْموْتُ خيرٌ منْ هوىً لا يُساعِدُ

ألاَ طَالمَا أَنْهبْتَ دَمعكَ طائعاً ... وَجارتْ عليكَ الآنِساتُ النواهِدُ

تُذَكِّرُنا أبصارَها مُقَلُ المَها ... وأعناقَها أُدمُ الظِّباءِ العوَاقِدُ

تَساقطُ منهنَّ الأَحاديثُ غضَّةً ... تَساقُطَ دُرٍّ أسلمتْهُ المعاقدُ

إليكَ أميرَ المؤمنينَ تجاذبَتْ — بنا الليلَ خُوصٌ كالقسيِّ شوَاردُ
يمانيةٌ ينأى القريبُ محلَّهُ — بهنّ ويدنو الشاخطُ المتباعدُ
تجلّى السُّرَى عنها وللعيسِ أعينٌ — سوَامٍ وأعناقٌ إليكَ قواصدُ
إلى ملكٍ يندَى إذا يبسَ الثرَى — بنائلِ كفّيهِ الأكفُّ الجوامدُ
لهُ فوقَ مجدِ الناسِ مجدانِ منهما — طريفٌ وعاديٌّ الجراثيمِ تالدُ
واحواضُ عزٍّ حومةُ الموتِ دونها — واحواضُ عُرفٍ ليسَ عنهنَّ ذائدُ
أيادِي بني العبَّاسِ بيضٌ سوابغٌ — على كلِّ قومٍ ناديات عوائدُ
وهمْ يعدِلونَ السَّمكَ من قُبَّةِ الهُدَى — كما تعدِلُ البيتَ الحرامَ القواعدُ
سَواعدُ عزِّ المسلمينَ وإنما — تنوءُ بصولاتِ الأكفِّ السَّواعدُ
يكُونُ غرارًا نومهُ من حذارهِ — على قبَّةِ الإسلامِ والخلقُ راقدُ
كأنَّ أميرَ المؤمنينَ محمَّدًا — لرأفتهِ بالنَّاسِ للنَّاسِ والدُ

[قال الشريف] رضي الله عنه .. أما قوله

تساقط منهنَّ الأحاديث غضة — تساقط دُرٍّ أسلمته المعاقد

فيكثر في الشعر وأظن ان الأصل فيه أبو حية النميري في قوله

إذا هنَّ ساقطنَ الأحاديثَ للفتى — سقوطَ حصَى المرجانِ من سلكِ ناظمِ [1]

---

(١) وهو من أبيات أولها

وخبركِ الواشون أن لن أحبكم — بلى وستورِ الله ذات المحارم
أصد وما الصد الذي تعلمينه — عزاء بكم إلا ابتلاع العلاقم
حياء وبقيا أن تشيع نميمة — بنا وبكم اف لأهل النمائم
فان دما لو تعلمين جنينه — على الحي جاني مثله غير سالم
أما إنه لو كان غيرك أرقلت — اليه القني بالراعفات اللهاذم

وانما عنى بالمرجان صغار اللؤلؤ وعلى هذا يتأول قوله تعالى ﴿يُخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾

•• ومثله قول الآخر

هِيَ الدُّرُّ مَنْثُورًا إِذَا ما تَكلَّمَتْ ... وَكالدُّرِّ مَجْمُوعا إِذَا لمْ تَكَلَّمِ

•• ومثله

مِنْ ثَغْرِها الدُّرُّ النَّظِيـ ... ـمُ وَلَفْظُها الدُّرُّ النثِيرْ

ونظيره قول البحترى وأحسن غاية الاحسان

وَلمَّا التقينا وَالنَّقا موعِد لنا ... تَعَجَّبَ رَائِي الدُّرِّ حُسْنًا وَلاَ قِطهْ

فَمِنْ لؤْلُؤٍ تجلوهُ عِندَ ابْتِسامِها ... وَمِن لؤلؤٍ عِندَ الحَدِيثِ تُساقِطهْ

ومثله قول الأخطل

خَلَوْتُ بِها وَسجْفُ الليلِ مُلْقي ... وَقدْ اصغَتْ إِلى الغَرْبِ النُّجُومُ

كأَنَّ كلامَها دُرٌّ نثِيرٌ ... وَرَوْنَقُ ثغرِها دُرٌّ نَظِيمُ

ولغيره

تَبَسَّمَتْ فرَأَيْتُ الدُّرَّ مُنْتَظِمًا ... وَحدَّثتْ فرَأَيْتُ الدُّرَّ مُنْتَثِرا

ولآخر

وَتَحْفَظُ لاَ مِنْ رِيبَةٍ يَحْذَرُونها ... ولكنَّها مِنْ أَعْيُنِ النَّاس تَحْفظُ

وَتَلفُظُ دُرًّا فِي الحَدِيثِ إِذَا جرَى ... وَلمْ نَرَ دُرًّا قبلَ ذَلِكَ يُلفَظُ

ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا

أَظهَرْنَ وَصلا إِذْ رَحِمْنَ مُتيَّمًا ... وَارَيْنَ هَجْرًا اذ خَشِينَ مُرَاقِبا

ولكنه والله ماطل مسلماً ... كغر الثنايا واضحات الملاغم

اذا هن ساقطن الأحاديث للفتى ... سقوط حصى المرجان من سلك ناظم

رمين فأقصدن القلوب ولا ترى ... دما مائرا الأجوىً في الحيازم

فَنَظَمْن منْ دُرّ المبَاسم جامِدًا وَنثَرْنَ منْ دُرّ المدَامع ذَائبا

[قال الشريف] رضى الله عنه وليس قول أبي هذيل في صفة الحديث

كَتساقُطِ الرُّطَبِ الجَنِـ ـيّ منَ الأقْناءِ لاَ نَثْرًا وَلاَ نَزْرَا

من هذا الباب فى شئ لأن جميع ماتقدم هو في وصف الثغر وهـذا فى وصف حسن الحديث وانه متوسط في القلة والكثرة لازم للقصد كانتثار الرطب من الاقناء ويشبه أن يكون أراد أيضاً مع ذلك وصفه بالحلاوة والغضاضة لتشبيهه له بالرطب ثم انه غض طري غير مكرر ولا معاد لقوله الرطب الجنى فيجتمع له أغراض الوصف له بالفصاحة والاقتصاد فى القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة ثم الغضاضة •• ونظير قول أبى الهذيل قول ذى الرمة

لها بَشَرٌ مِثْلُ الحَرِير وَمَنْطِقٌ رَخِيمُ الحَوَاشِى لاَهُرَاءٌ ولاَ نَزْرُ (١)

فأما قول مروان

إلى مَلِك تَنْدَى اذَا يبسَ الثَّرَى بنائِلِ كَفَّيْهِ الأكُفُّ الجَوَامِدُ

فمثل قول أبى حنش النميري في يحيي بن خالد البرمكي

لاَ تَرَاني مُصافِحا كَفَّ يَحْيَى إنَّنى إنْ فَعَلْتُ اتلفْتُ مالِي

---

(١) وبعده

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ماتفعل الخمر

ـ رخيم الحواشي ـ لينها ـ والهراء ـ كغراب المنطق الكثير أو الفاسـد الذي لا نظام له •• وروى ان الفرزدق حضر مجلس عبد الله بن أبى اسحاق فقال له كيف تنشد هذا البيت وعينان قال الله كونا الخ فأنشده فعولان فقال له عبد الله ما كان عليك لو قلت فعولين فقال له الفرزدق لو شئت ان أسبح لسبحت ونهض فلم يعرفوا مراده فقال عبد الله لو قال فعولين لأخبر ان الله خلقهما وأمرهما ولكنه أراد انهما تفعلان ماتفعل الخمر اهـ وكان هنا تامة لاخبر لها

لوْ يمسُّ البَخيلُ رَاحةَ يحْيَي لسخَتْ نفْسهُ ببذلِ النَّوالِ

ومثله قول ابن الخياط المدني في المهدي

لَمسْتُ بكَفِّي كَفَّهُ أبتَغي الغنى وَلمْ أدرِ أنَّ الجُودَ منْ كَفِّهِ يُعْدِي

فَلاَ أَنا منهُ ماأَفادَ ذَوُو الغنَى أفدْتُ وَأعدَاني فاتلفتُ ما عندِي

وقد قيل ان هذا الشاعر كأنه مصرح بالهجاء لأنه زعم ان الذي لمس كفه لم يفده شيئاً بل أعداه جوده فأتلف ماله ولم يرد الشاعر إلاّ المدح ولقوله وجه وهو ان ذوى الغني هم الذين تستقر الأموال في أيديهم وتلبث تحت أيمانهم ومن أخرج ما يملكه حالا بحال لا يوصف بانه ذو غنى فأراد الشاعر اني لم أفد منه ما بقى في يدى واستقر تحت ملكي فلهذا قال لم يفد ماأفاد ذوو الغنى ٠٠ومن هذا المعنى قول مسلم

إلى ملِكٍ لوْ صافحَ النَّاسَ كلهُمْ لمَا كانَ حيٌّ في البَريَّةِ يبْخَلُ

ومثله قول أبي العكوك

لوْ لمَسَ الناسُ رَاحتَيْهِ مابخِلَ الناسُ بالعَطَاءِ

وأحسن من هذا كله وأشبه بالمدح وأدخل في طريقته قول البحتري

مَنْ شاكرٌ عنِّي الخَليفةَ بالَّذي أَوْلاهُ منْ طوْلٍ وَمنْ إحسَانِ

ملأَتْ يداهُ يدى وَشرَّدَ جُودُهُ بُخْلِي فافقَرَني كما أغنَاني

حتَّي لقَدْ أفضَلْتُ منْ إفضالِهِ وَرَأيتُ نهجَ الجُودِ حيثُ أرَاني

وَوثقتُ بالخلَفِ الجميلِ مُعجلا منهُ فاعطيتُ الَّذي أعطَاني

ومن هذا المعني قول الآخر

رَأيتُ الندَى في آلِ عوفٍ خليقةً إذَا كانَ في قومٍ سِوَاهمْ تخلُّقا

ولَوْ جزْتَ في أبياتِهمْ لتعلَّمَتْ يدَاكَ النَّدَى منهُمْ فأَصبَحتَ مُمْلقا

ولابن الرومي

يجودُ البخيلُ إذا مارَآ لك ويَسطو الجبانُ إذا عاينك

وأما قوله

وأخواض عزٍّ حومةُ الموتِ دُونَها وأخواض عُرْفٍ ليس عَنْهنّ زائدُ

فيشبه أن يكون ابراهيم بن العباس الصولي أخذه في قوله

لنا إبلٌ كُومٌ يَضيقُ بها الفضا وتفترُّ عنها أرضُها وسماؤها

فمنْ دُونِها أنْ تُستَباحَ دِماؤنا ومنْ دُوننا أنْ نُستَذمّ دِماؤها

حِمىً وقِرىً فالموتُ دُونَ مَرامِها وأيسرُ خَطْبٍ عندَ حقٍّ فَناؤها (١)

وقد أحسن ابراهيم في أبياته كل الاحسان فأما قوله

يكونُ غِرارًا نومُهُ من حِذارِهِ على قُبَّةِ الإسلامِ والخلقُ راقِدُ

فكثير متداول.. ومن أحسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات

نِعمَ الخليفةُ للرّعيةِ مَن إذا رَقدتْ وطابَ لها الكَرى لم يَرقُدِ

.. ومثله

ويَظلُّ يحفظُنا ونحنُ بغفلةٍ ويبيتُ يَكلؤنا ونحنُ نِيامُ

ومثله للبحتري

أربيعةَ الفَرَسِ اشكُرِي يدَ منْعِمٍ وهَبَ الإساءةَ للمُسيءِ الجاني

رَوَّعتُمُوا جاراتِهِ فبعثتُمُوا منهُ حَمِيّةَ آنفٍ غَيْرانِ

لمْ تَكرَعَنْ قاصِي الرّعيةِ عينُهُ فتنامَ عنْ وِترِ القريبِ الدّاني

فأما قوله

---

(١) كان ثعلب يقول كان ابراهيم بن العباس أشعر المحدثين وينشد هذه الأبيات ويقول لو كان هذا لبعض الأوائل لاستجيد له ولم يرو ثعلب قط شعر كاتب غيره

كأن أمير المؤمنين محمداً　　لرأفته بالناس للناس والدُ

فنظير قول بعض الشعراء في يحيي بن خالد

أحيَى لنا يحيَي فعالَ خالدِ　　فاصبَح اليومَ كثيرَ الحامدِ

يَسخو بكلِّ طارفٍ وتالدِ　　على بعيدٍ غائبٍ وشاهدِ

الناسُ في إحسانهِ كواحدِ　　وهوَ لهمْ أجمَعِهم كالوالدِ

ومن جيد قول مروان من قصيدة أوّلها

خلتْ بعدَنا من آلِ ليلَي المصانعُ　　وهاجتْ لنا الشوقَ الدّيارُ البلاقعُ

يقول فيها

ومالى إلى المهديّ لو كنتُ مذنباً　　سوى حلمهِ الضافي على الناسِ شافعُ

ولا هوَ عندَ السخطِ منهُ ولا الرّضى　　بغيرِ الّذي يرضَى بهِ اللهُ واقعُ

تَغضُّ لهُ الطّرفَ العيونُ وطرفهُ　　على غيرهِ من خشيَةِ اللهِ خاشعُ

أما قوله ــ ولا هو عند السخط منه ولا الرّضى ــ البيت ٠٠ فمثل قول أشجع

وَلستُ بخائفٍ لأبي عليٍّ　　ومَنْ خافَ الإلهَ فلَنْ يُخافا

٠٠ ومثله

أمّنَني منهُ ومنْ خوفهِ　　خيفتُهُ من خشيَةِ البارِي

ولأبي نواس

قدْ كُنتُ خفتُكَ ثمّ أمّنَني　　منْ أنْ أخافَكَ خوفُكَ اللهَ

ويشبه هذا المعنى ما روى عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله انه دعا غلاماً مراراً فلم يجبه فخرج فوجده على باب البيت فقال له ما حملك على ترك اجابتي قال كسلت عن اجابتك وأمنت عقوبتك فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه ٠٠

فأماقوله ــ تغض له الطرف العيون ــ فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول الفرزدق أو ممن تنسب [١] اليه هذه الأبيات

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى من مهابَتِهِ   فَمَا يُكَلَّمَ إلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ

(١) قوله أو ممن تنسب اليه يشير بهذا الى ان القصيدة المشهورة التى تنسب للفرزدق فى سيدنا زين العابدين بن الحسين بن علىّ رضى الله عنهم التى قالها لما قال هشام حين سأله رجل من أهل الشام من هذا الذى هابه الناس هذه الهيبة وذلك ان هشاما حج في خلافة أبيه فطاف ولم يستطع استلام الحجر لشدة الزحام فلما جاء زين العابدين رضى الله عنه تنحى الناس له فقال هشام للشامي لا أعرفه فقال الفرزدق أنا أعرفه وأنشأ يقول

هذا سليل حسين نجل فاطمة   بنت الرسول الذى انجابت به الظلم

فحبسه هشام بين مكة والمدينة فقال الفرزدق أبياته التي منها

يقلّب رأساً لم يكن رأس سيد   وعيناً له حولاء بادٍ عيوبها

ففكه ثم بعث اليه زين العابدين رضى الله عنه اثني عشر ألف درهم فردها وقال مدحتك لله تعالى لا للعطاء فقال زين العابدين إنّا أهل بيت اذا وهبنا شيئاً لا نستعيده فقبلها ولم يثبت للفرزدق منها غير سبعة أبيات ونسب بعضها الى أبي دهبل الجمحي .. وأما قوله يغضى حياء الخ وقوله

فى كفه خيزران ريحها عبق   فى كف أروع في عرنينه شمم

فقيل انهما لداود بن سلم يمدح بهما قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وبعدهما

كم هاتف بك من اوج ورابية   يدعوك يا قثمَ الخيرات يا قثم

وروى من غير هذا الوجه ان عبد الله بن عبد الملك حج فقال له أبوه سيأتيك الحزين الشاعر بالمدينة وهو ذرب اللسان فإياك أن تحتجب عنه وأرضه وصفته انه أشعر ذو بطن عظيم الأنف فلما قدم عبد الله المدينة وصفه لحاجبه وقال له إياك أن ترده فلم يأت الحزين حتي قام لينام فقال له الحاجب قد ارتفع فلما ولى ذكر فلحقه فقال ارجع

مجلس آخر ٤٠

[تأويل آية]٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه)٠٠وقال ما معنى الحول بين المرء وقلبه وهل يصح ما تأوّله قوم من انه يحول بين الكافر والايمان وما معنى قوله لما يحييكم وكيف تكون الحياة فى اجابته ٠٠ الجواب قلنا أما قوله تعالى (يحول بين المرء وقلبه) ففيه وجوه ٠٠ أوّلها أن يريد بذلك تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا حث من الله عزوجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف وتعذر ما يستوفى به المكلف نفسه من التوبة والاقلاع فكأنه تعالى قال بادروا الى الاستجابة لله وللرسول من قبل أن يأتيكم الموت فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ويتعذر عليكم ما تسوفون به نفوسكم من التوبة

فاستأذن له فأدخله فلما صار بين يديه ورأى جماله وبهاءه وفي يده قضيب خيزران وقف ساكتاً فأمهله عبد الله حتي ظن انه قد أراح ثم قال له السلام عليك رحمك الله أولا فقال عليك السلام وحيّا الله وجهك أيها الأمير انى قد كنت مدحتك بشعر فلما دخلت عليك ورأيت جمالك وبهاءك أذهلنى عنه فأنسيت ما كنت قلته وقد قلت فى مقامي هذا بيتين فقال ما هما فقال

في كفه خيزران ريحها عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم

بتقديم الأول على الثانى فى هذه الرواية فأجازه فقال اخدمنى أصلحك الله فانه لاخادم لي فقال اختر أحد هذين الغلامين فأخذ أحدهما فقال له عبد الله أعاينا ترذل خذ الأكبر والناس يروون هذين البيتين للفرزدق فى أبياته التى يمدح بها علىّ بن الحسين رضى الله عنهما وهو غلط ممن رواه فيها وليس هذان البيتان مما يمدح به مثله وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد

بقلوبكم ويقوّي ذلك قوله تعالى (وأنه اليــه تحشرون) •• وثانيها أن يحول بين المرء وقلبه بازالة عقله وإبطال تمييزه وان كان حياً وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه انه بغير عقل قال الله تعالى (إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) •• قال الشاعر

وَلِيَ أَلْفُ وجهٍ قد عرَفْتُ مكانَهُ ولـكِنْ بلاَ قلبٍ الى أيْنَ اذهَبُ

وهذا الوجه يقرب من الأول لانه تعالى أخرج هذا الكلام مخرج الانذار لهم والحث على الطاعات قبــل فوتها لانه لافرق بين تعذر التوبة بانقطاع التكليف بالموت وبين تعذرها بازالة العقل •• وثالثها أن يكون المعنى المبالغة فى الإخبار عن قربه من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون وان الضمائر المكتومة له ظاهرة والخفايا المستورة لعلمه بادية ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ونحن أقرب اليــه من حبل الوريد) ونحن نعلم انه تعالى لم يرد قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه واذا كان عزوجل هو أعلم بما في قلوبنا منّا وكان ما نعلمه أيضاً يجوز أن ننساه ونسهو عنه ونضل عن علمه وكل ذلك لا يجوز عليه جاز أن يقول انه يحول بيننا وبين قلوبنا لانه معلوم في الشاهد ان كل شئ يحول بين شيئين فهو أقرب اليهما •• ولما أراد الله تعالى المبالغة فى وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألف وان كان القرب الذي عناه جلّت عظمته لم يرد به المسافة والعرب تضع كثيراً لفظ القــرب على غير معــنى المسافة فيقولون فلان أقرب الى قلبي من فلان وزيد مني قريب وعمرو مني بعيد ولا يريدون بذلك قرب المسافة •• ورابعها ما أجاب به بعضهم من ان المؤمنين كانوا يفكرون فى كثرة عدوهم وقلة عددهم فيدخل قلوبهــم الخوف فأعلمهم تعالى انه يحول بين المرء وقلبــه بانه يبدله بالخوف امناً ويبدل عدوهم بظنهم انهم قادرون عليهــم وغالبون لهم الجبن والخور •• ويمكن في الآية وجه خامس وهو أن يكون المراد انه تعالى يحول بين المرء وبين مايدعوه اليــه قلبه من القبائح بالأمر والنهي والوعد والوعيد لانا نعلم انه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيــه من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع ولا عن مواقعتــه رادع فكان التكليف حائلا بينه وبينه من حيث زجر عن فعله وصرف عن مواقعته وليس يجب في الحائل أن يكون في كل موضع مما يمتنع معه الفعل لانا نعلم ان المشير منّا على غيره فى أمر كان قد هم به

وعزم على فعله أن يجتنبه والمنبه على ان الحظ في الانصراف عنه يصح أن يقال منعه منه وحال بينه وبين فعله .. قال عبيد الله بن قيس الرقيات

حالَ دُونَ الهَوَى وَذُو نَ سُرَى اللَّيْلِ مُصْعَبُ

وسياطٌ على أكـ فـ ـتِّ رِجالٍ تُقَلَّبُ

ونحن نعلم انه لم يحل إلاّ بالتخويف والترهيب دون غيرهما .. فان قيل كيف يطابق هذا الوجه صدر الآية .. قلنا وجه المطابقة ظاهر لانه تعالى أمرهم بالاستجابة لله تعالى ولرسوله فيما يدعون اليه من فعل الطاعات والامتناع من المقبحات فاعلمهم انه بهذا الدعاء والانذار وما يجري مجراهما يحول بين المرء وبين ماتدعوه اليه نفسه من المعاصى ثم ان المآب بعد هذا كله والمنقلب الى ماعنده فيجازي كلاً باستحقاقه .. فأما قوله تعالى (اذا دعاكم لما يحييكم) ففيه وجوه .. أولها أن يريد بذلك الحياة في النعيم والثواب لان تلك هي الحياة الدائمة الطيبة التى يؤمن من تغيرها ولا يخاف انتقالها فكأنه تعالى حث على اجابته التى تكسب هذه الحال .. وثانيها انه يختص ذلك بالدعاء الى الجهاد وقتال العدو فكأنه تعالى أمرهم بالاستجابة للرسول عليه الصلاة والسلام فيما يأمرهم به من قتال عدوّهم ودفعهم عن حوزة الاسلام وأعلمهم ان ذلك يحييهم من حيث كان فيه قهر للمشركين وتقليل لعددهم وفل لجدهم وحسم لاطماعهم لانهم متى كثروا وقووا استلانوا جانب المؤمنين وأقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره فمن ههنا كانت الاستجابة له عليه الصلاة والسلام تقتضى الحياة والبقاء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) .. وثالثها ما قاله قومٌ من ان كل طاعة حياة ويوصف فاعلها بانه حي كما ان المعاصي يوصف فاعلها بانه ميت والوجه في ذلك ان المؤمن الطائع لما كان منتفعاً بحياته وكانت تؤديه الى الثواب الدائم قيل ان الطاعة حياة ولما كان الكافر العاصى لاينتفع بحياته من حيث كان مصيره الى العقاب الدائم كان فى حكم الميت ولهذا يقال لمن كان منغص الحياة غير منتفع بها فلان بلا عيش ولا حياة وما جرى مجرى ذلك من حيث لا ينتفع بحياته .. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالكلام الحياة في الحكم لافي

الفعل لانا قد علمنا أنه عليه الصلاة والسلام كان مكلفاً مأموراً بجهاد جميع المشركين المخالفين لملته وقتلهم وان كان فيما بعد كاف ذلك فيمن عدا أهل الذمة على شروطها فكأنه تعالى قال فاستجيبوا للرسول ولا تخالفوه فانكم اذا خالفتم كنتم في الحكم غير أحياء من حيث تعبّد عليه الصلاة والسلام بقتالكم وقتلكم فاذا أطعتم كنتم في الحكم أحياء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ومن دخله كان آمناً) وانما أراد تعالى إنما يجب أن يكون آمناً وهذا حكمه ولم يخبر بان ذلك لا محالة واقع .. فأما المجبرة فلا شبهة لهم في الآية ولا متعلق بها لانه تعالي لم يقل انه يحول بين المرء وبين الايمان بل ظاهر الآية لا يقتضي أن يحول بينه وبين أفعاله وانما يقتضي ظاهرها انه يحول بينه وبين قلبه وليس للايمان ولا للكفر ذكرٌ ولو كان للآية ظاهرٌ يقتضي ماظنوه وليس لها ذلك ولا يضر قناعته بأدلة العقل الموجبة انه تعالي لا يحول بين المرء وبين ماأمر به وأراده منه وكلفه فعله لان ذلك قبيح والقبائح عنه منفية .. أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني أحمد بن محمد الجوهري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أحمد بن عمرو بن اسمعيل بن عبد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن بن عوف قال حدثني عمرو بن خالد بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال لما اشتد بحصن بن حذيفة بن بدر وجعه من طعنة كرز بن عامر إياه يوم بني عقيل دعا ولده فقال ان الموت أهون مما أجد فأيكم يطيعني قالوا كلنا نطيعك فبدأ بأ كبرهم فقال قم فخذ سيفي واطعن به حيث آمرك ولا تعجل قال يا أبتاه أيقتل المرء أباه فأتي على القوم كلهم فأجابوه بجواب الأول حتى انتهى الي عيينة فقال يا أبتاه ليس لك فيما تأمرني به راحة ولي بذلك طاعة وهو هواك قال بلى قال فأمرني كيف أصنع قال الق السيف انما أردت ان أعلم أيكم أمضى لما آمُرُ به فأنت خليفتي ورئيس قومك من بعدي فقال القوم انه سيقول في ذلك أبياتاً فأحضروه فلما أمسى قال

وَلُّوا عُيَيْنَةَ منْ بَعْدِي أُمورَكُمْ ... واستَيْقِنُوا أنهُ بَعْدِي لكُمْ حامِ

إماهلكتُ فإني قد بنيتُ لكُمْ ... عِزَّ الحَياةِ بمَا قَدَّمتُ قُدَّامي

واستوسقوا للتي فيها مروءتكم · قود الجياد وضرب القوم في الهام

والقرب من قومكم والقرب ينفعكم · والبعد إن باعدوا والرمي للرامي

ولي حذيفة إذ ولى وخلفني · يوم الهباة يتيماً وسط أيتام

لا أرفع الطرف ذلاً عند مهلكه · ألقى العدو بوجه خده دامي

حتى اعتقدت لوى قومي فقمت به · ثم ارتحلت إلى الجفني بالشام

لما قضي ماقضى من حق زائره · عجت المطي إلى النعمان من عامي

انمو لما كانت الآباء تطلبه · عند الملوك فطرفي عندهم سامي

والدهر آخره شبه لأوله · قوم كقوم وأيام كأيام

فابنوا ولا تهدموا فالناس كلهم · من بين بان إلي العليا وهدام

قال ثم أصبح ودعا بني بدر فقال لوائي ورياستي لعيينة واسمعوا مني ماأوصيكم به لايتكل آخركم على أولكم فانما يدرك الآخر ماأدركه الأول وانكحوا الكفء الغريب فانه عز حادث واذا حضركم أمران فخذوا بخيرهما صدراً فان كل مورد معروف واصحبوا قومكم بأجمل أخلاقكم ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه فان الخلاف يزرى بالرئيس المطاع واذا حادثتم فاربعوا ثم قولوا الصدق فانه لاخير فى الكذب وصونوا الخيل فانها حصون الرجال وأطيلوا الرماح فانها قرون الخيل وأعزوا الكبير بالكبر فاني بذلك كنت أغلب الناس ولا تغزوا إلاّ بالعيون ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح واعطوا على حسب المال واعجلوا الضيف بالقرى فان خيره أعجله واتقوا فضيحات البغي وفلتات المزاح ولا تجيروا على الملوك فان أيديهم أطول من أيديكم واقتلوا كرز بن عامر ومات حصن فأخذ عيينة الرياسة .. وقال

أطعت أبا عيينة في هواه · ولم تخرج صريمتي الظنون

وَقَدْ عَرَضَ الرَّئِيسَ على بنيهِ فقَالَ القَوْمُ هذَا لاَ يكُونُ
سَتَحيا أو تَموتُ فطَاوَلوهُ وقَتْلُ المَرْء والِدَهُ جنُونُ
فلمْ أُقتلْ بحَمْدِ اللهِ حصناً وَكُلُّ فتىً سيُدْرِكُهُ المَنُونُ
ولمْ أُنكلْ عليهِ وَكُلُّ أمرٍ اذَا هوَّنتَهُ يوماً يهُونُ
فإنْ يكُ بدْءُ هذَا الأَمْرِ غثّاً فآخِرُهُ بني بَدْرٍ سَمينُ

وحكي عمر بن بحر الجاحظ أن اسم عيينة بن حصن حذيفة وانما أصابته اللقوة فجحظت عينه وزال فكه فسمي لذلك عيينة واذا عظمت عين الانسان لقبوه ابا عيينة وأبا العيناء ٠٠وروى قيس بن أبي حازم أن عيينة بن حصن بن حذيفة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا أحمق مطاع ٠٠ وروى أيضاً أنه كان يدلع لسانه للحسين بن علي عليهما السلام وهو صبي فيرى لسانه فيهش له فقال له عيينة أراك تضع هذا بهذا فوالله انه ليكون لي الابن رجلا قد خرج وجهه ما قبلته قط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا يرحم من لا يرحم ٠٠ ونعود الي ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فما يختار من شعره قوله من قصيدة أولها

صحَا بعْدَ جهْلٍ فاستَرَاحتْ عوَاذلُهْ وَأقصَرَ عَنْهُ حينَ أقصَرَ باطلُهْ
وَمَنْ مُدَّ في أيامهِ فتأخَّرَتْ منيَّتُهُ فالشَّيْبُ لاَ شكَّ شاملُهْ
هوَ المَرْءُ إما دينُهُ فَهوَ مانعٌ صَوُنٌ وَإما مالُهُ فَهوَ باذلُهْ
أُمَرُّ وأحلى مابَلاَ النَّاسُ طَعمَهُ عِقَابُ أمِيرِ المُؤْمنينَ ونائلُهْ
أبِيٌّ لمَا يأبي ذَوُو الحزْمِ وَالتُّقي فَعُولٌ إِذَا ماجَدَّ بالأَمْرِ فاعلُهْ
تَرُوكُ الهَوَى لاَ السُّخطُ منهُ وَلاَ الرِّضَى
لدَى مَوْطِنٍ إلاَّ علي الحَقِّ حاملُهْ

يَرَي أَنَّ مُرَّ الحَقِّ أحلي مَغَبَّةً ... وَأَنجا وَلو كانتْ زُعاقاً مناهلهْ
فإنَّ طَلِيقَ اللهِ منْ هوَ مُطلَقٌ ... وَإنَّ قَتِيلَ اللهِ منْ هُوَ قاتلهْ
وَإنكَ بَعْدَ اللهِ للحَكَمُ الذى ... تُصَابُ بِهِ منْ كُلِّ حَقٍّ مفاصلهْ

••أما قوله—ومن مد فى أيامه فتأخرت * منيته فالشيب لاشك شامله—•• فمأخوذ من قول طريح بن اسمعيل الثقفى

وَالشَّيْبُ غايةُ منْ تأَخَّرَ حَيْنُهُ ... لاَ يَسْتَطِيعُ دِفاعَهُ منْ يجْزَعُ

والأصل فى هذا قول أمية بن أبى الصلت

من لمْ يَمُتْ عَبْطةً يَمُتْ هرَماً ... وَالمَوْتُ كأْسٌ والمَرْءُ ذائقُها

ويشبه ذلك قول الآخر

قُلْ لِعِرْسِي لَيسَ شَيْبِي بِعَجَبْ ... منْ يَعِشْ يا أُمَّ عَمارٍ يَشِبْ

ومثله قول أبى العتاهية

مَنْ يَعِشْ يكبَرْ وَمن يكبَرْ يمُتْ ... وَالمَنَايا لاَ تُبَالى مَنْ أَتَتْ

ويشبه قول البحتري

وَلاَ بُدَّمنْ تَرْكِ إحدَي اثْنَتَينِ ... فإِمَّا الشَّبابُ وإمَّا العُمُرْ

وقوله

وَالشَّيْبُ مَهْرَبُ منْ جارَى مَشِيتَهُ ... وَلاَ نَجَاءَ لهُ منْ ذَلكَ الهَرَبِ

وقريب منه قول ابن المعتز

قالتْ كَبِرْتَ وَانتَفَيْتَ مَنَ الصِبَا ... فَقُلْتُ لها ماعِشْتُ إلاَّ لأَكْبَرَا

ولبعضهم

وَلاَ بُدَّمنْ مَوتٍ فإِما شَبِيبَةٌ ... وَإِمَّا مَشيبٌ وَالشَّبِيبَةُ أَصلَحُ

معني قوله — والشبيبة أصلح — إن الانسان اذا مات شاباً كان أكثر للحزن عليه

والأسف على مفارقته فاذا أسن برم به أهله وهان عندهم فقده .. فأما قوله

هوَ المرءُ إمادِينُهُ فهُوَمانِــعٌ صَوْنٌ وَإما مالهُ فهُوَ باذِله

فمعناه متكرر في الشعر كثير جدًّا .. وأحسن شعر جمع بين وصف الممدوح بمنع مايجب منعه وبذل مايجب بذله قول مسلم بن الوليد الأنصاري

يُذَكِّرُنيكَ الجودُ وَالبُخلُ وَالنُّهَى وَقَوْلُ الخَنا وَالحِلمُ وَالعِلمُ وَالجَهلُ

فالقَاكَ عنْ مَذمُومِها مُتَنَزِّهًا وَالقَاكَ فِي مَحْمُودِها ولَكَ الفَضلُ

وَأحْمَدُ مِن أخلاقِكَ البخلَ إنهُ بِعِرضِكَ لاَ بالمَالِ حَاشَالَكَ البُخلُ

وقد أحسن البحترى فى قوله

بَلَوْنَا ضَرَائبَ منْ قدْ نَرَى فَمَا إنْ وَجَدْنا لِفَتْحٍ ضَرِيبا

تَنَقَّلَ فِي خُلُقَيْ سُؤْدَدٍ سماحًا مرَجًّى وباسًا مَهِيبا

فَكالسَّيفِ إنْ جئتَهُ صارِخًا وَ كالبَحْرِ إنْ جِئتَهُ مُستَثيبَا

فأما قوله ــ تروك الهوى لا السخط منه ولا الرضى ــ البيت .. فمعنى متداول مطروق في الشعر وقد ذكره هو فى قوله

إذَا هُنَّ القَيْنَ الرِّحَالَ بِبَابِهِ حطَطْنَ بهِ ثقلاً وَأدرَكْنَ مغنَمَا

إلى طاهِرِ الأثوابِ مانالَ فِي رِضىً وَلاَ غَضَبٍ مالاً حرَامًا وَلاَ دَما

وأحسن من هذا قول أبي تمام فى محمد بن عبد الملك الزيات

ثبْتُ الجنَانِ إذَا اصطكَّتْ بِمَظلَمَةٍ فِي رَحْلِه ألسُنُ الأقوامِ وَالرُّكَبُ

لاَ المَنطِقُ اللَّهْوُ يزْكُو في تَبَسُّمِهِ يومًا وَلاَ حُجَّةُ المَلْهُوفِ تُستَلَبُ

كأنَّمَا هُوَ فِي نادِي قَبِيلتِه لاَ القَلْبُ يَهْفُو ولاَ الاحشاءُ تَضطَرِبُ

وَتَحْتَ ذَاكَ قَضَاءٌ حَزُّ شَفْرَتِهِ كَمَا يَعَضُّ بِظَهْرِ الغارِبِ القَتَبُ

لَا سَوْرَةٌ تُتَّقَى منهُ وَلَا بَلَهٌ ... وَلَا يُخَافُ رِضىً منهُ وَلَا غَضَبُ

ومثله قول البحترى فى ابن الزيات أيضاً

وَجهَ الحقّ بينَ أخذٍ وإعطا ... ءوقصدٍ في الجمعِ والتّبديدِ

وَاستَوى النّاسُ فالقريبُ قريبٌ ... عندَهُ وَالبعيدُ غيرُ بعيدِ

لَا يميلُ الهوى بهِ حينَ يَمضِي الا ... أمرَ بينَ المقلي وَبينَ الوَدُودِ

وَسوَاءٌ لديهِ أبناءُ إبرَا ... هيمَ في حكمِهِ وَأبناءُ هُودِ

مُستَريحُ الأحشاءِ من كلّ ضِغنٍ ... باردُ الصّدرِ من غليلِ الحقُودِ

فأما قوله — وان قتيل الله من هو قاتله — فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول يزيد بن مفرغ في عبيد الله بن زياد لعنهما الله

إنَّ الذِي عاشَ ختّارًا بذمّتهِ ... وماتَ عبدًا قتيلُ اللهِ بالزّابِ

— أما قوله وانك بعد الله للحكم الذى تصاب به من كل حق مفاصله — فيشبه قول أبي تمام فى وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات .. وأجمع العلماء ان هذه الأبيات أحسن وأفخم من جميع ما قيل فى القلم

لَكَ القلمُ الأعلَى الّذِي بِشبَاتِهِ ... تُصابُ منَ الأمرِ الكُلَى وَالمفاصِلُ[1]

لهُ الخلوَاتُ اللّاءِ لولَا نَجِيُّهَا ... لما احتَفلَت للملكِ تلكَ المحافِلُ[2]

---

(١) — الشباة — حد القلم وغيره ومثلها الشبا بالفتح والقصر .. وقوله — تُصابُ من الأمر — روى أيضاً ينال من الأمر — والكلي — جمع كلية وكلوة جاء بالياء والواو — والمفاصل — جمع مفصل وهو ماتقى كل عظمين .. أراد ان القلم يطابق المفصل ويصادف الحز وبه ينال مقاصد الأمور فانه ينال بالأقلام مايعجز عنه مجالدة الحسام

(٢) قوله — له الخلوات — يعنى ان أصحاب القلم هم أهل المشورة وموضع السر يخلى

لُعَابُ الأَفَاعِي القَاتِلَاتِ لُعَابُهُ ‌ ‌ ‌ ‌ وَأَرْيُ الجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ (١)

لهم الملوك المجالس للمشورة وبهم يحصل لظام الملك ــ والنجى ــ المسارر والتناجي المسارة .. وأراد به المشير فان المشورة تكون سراً غالباً ــ والاحتفال ــ حسن القيام بالأمور ــ والمحافل ــ جمع محفل كمجلس ومقعد وهو المجتمع

(١) قوله ــ لعاب الأفاعى ــ الخ اللعاب مايسيل من الفم ــ والقاتلات ــ صفة كاشفة للأفاعى ذكرها تهويلا ــ والأرى ــ بفتح الهمزة وسكون الراء مالزق من العسل فى جوف الخلية ــ والجنى ــ بفتح الجيم والقصر العسل والاضافة للتخصيص فان الأرى يأتى أيضاً بمعنى مالزق بأسفل القدر من الطبيخ وان جعلت الأرى بمعنى العسل والجنى بمعنى كل مايجتنى من ثمرة ونحوها يلزم اضافة الموصوف الى الصفة ــ واشتارته ــ استخرجته يقال شار فلان العسل شوراً وشياراً وشيارة اذا استخرجه وكذلك أشاره واشتاره ــ وأيد ــ جمع يد ــ والعواسل ــ جمع عاسلة أى مستخرجة العسل والعاسل مستخرج العسل من موضعه والمصراع الأول بالنسبة الى الأعداء والثانى بالنسبة الى الأولياء .. يعنى ان لعاب قلمه بالنسبة الى الأعداء سم قاتل وبالنسبة الى الأولياء شفاء عاجل .. فقوله لعاب مبتدأ مؤخر ولعاب الأفاعى خبر مقدم وأرى معطوف على الخبر وجاز هذا مع تعريف الطرفين لأن المعنى دال عليه لان اللعاب القاتل انما هو لعاب الأفاعى فلعاب القلم مشبه به في التأثير وعلم من هذا انه ليس من التشبيه المقلوب فان لعاب القلم قد شبه بشيئين وهو السم والعسل باعتبارين وان جعلته من التشبيه المقلوب كان من عطف الجمل والخبر فى المعطوف محذوف وفيه تكلف اه من شرح الشواهد الكبرى .. فقوله السابق وان جعلت الأرى بمعنى العسل والجنى بمعنى كل مايجتنى من ثمرة ونحوها يلزم اضافة الموصوف الى الصفة .. قلت ان لزم ذلك فلا محذور فيه فان ابن مالك نص في التسهيل على جواز اضافة الصفة الى الموصوف والموصوف الى القائم مقام الوصف وعلى كل حال فهي مسئلة خلافية فذهب البصريون الي منع ذلك مطلقاً وتأولوا ماورد منه وذهب الكوفيون الي الجواز اذا اختلف اللفظان من غير تأويل

لهُ رِيقةٌ طَلٌّ وَلَكنّ وَقعهَا ... بآثارِهِ في الشّرقِ والغربِ وابلُ [1]

فَصيحٌ إذا استنطقتهُ وهوَ راكبٌ ... وأعجمُ إنْ خاطبتهُ وهوَ راجلُ

اذا ماامتطى الخمسَ اللطافَ وأفرغتْ

عليهِ شعابُ الفكرِ وهيَ حوافلُ [2]

أطاعتهُ اطرافُ القنى وتقوّضتْ ... لنجواهُ تقويضَ الخيامِ الجحافلُ [3]

اذا استغزرَ الذّهنَ الذّكي وأقبلتْ ... أعاليهِ في القرطاسِ وهيَ أسافلُ [4]

وقدْ رفدَتهُ الخنصرانِ وسدّدتْ ... ثلاثَ نواحيهِ الثلاثُ الأناملُ [5]

محتجين بنحو قوله تعالى (حق اليقين ٠ ولدار الآخرة ٠ بجانب الغربي) وغير ذلك

(١) قوله ـ له ريقة طل ـ ريقة مبتدا وطل وصفه والظرف قبله خبره والطل المطر الضعيف ـ وابل ـ وكذا الوبل المطر الشديد الضخم القطر ٠٠ يقول إن ما يجرى من القلم حقير تافه في ظاهر الأمر لكن له أثر خير عم المشارق والمغارب

(٢) قوله ـ اذا ماامتطي الخمس اللطاف ـ الخ ٠٠ أراد بالخمس اللطاف الأصابع الخمس ـ والشعاب ـ جمع شعب بكسرهما الطريق في الجبل ـ والحوافل ـ جمع حافلة يقال حفل اللبن وغيره حفلا وحفولا اجتمع واحتفل الوادي امتلأ وسال

(٣) قوله ـ أطاعته أطراف القنى ـ الخ ٠٠ هو جواب اذا وروى أطاعته أطراف الرماح ـ وتقوضت ـ يقال تقوضت الصفوف اذا انتقضت وأصله من تقويض البناء وهو نقضه من غير هدم ـ والنجوى ـ السر وتقويض أى كتقويض الخيام ـ والجحافل ـ فاعل قوضت وهو جمع جحفل بتقديم الجيم على المهملة كجعفر الجيش

(٤) قوله ـ اذا استغزر الذهن ـ استغزره وجده غزيرا وفاعله ضمير القلم ـ والذكي ـ المتوقد وروى الخلي بدله والخلي الخالي وانما تكون أعالي القلم أسافل حين الكتابة

(٥) قوله ـ وقد رفدته الخنصران ـ الخ رفدته أعانته ـ وسددت ـ قومت

رَأَيْتَ جَلِيلاً شأْنهُ وهُوَ مُرْهَفٌ ضَنيً وسَمِيناً خَطْبُهُ وهُوَ ناحِلُ (١)

(١) قوله ـ رأيت جليلا شأنه ـ الخ ٠٠ رأيت جواب اذا وشأنه فاعل جليلا وجملة ـ وهو مرهف ـ حال وهو اسم مفعول من أرهفت السيف ونحوه اذا رققت شفرته ويقال أيضاً رهفته رهفاً فهو رهيف ومرهوف ـ وضنى ـ تمييز وهو مصدر ضنى من باب تعب اذا مرض مرضاً ملازماً ـ وسميناً ـ معطوف على جليلا ـ وناحل ـ من نحل الجسم ينحل بفتحهما نحولا سقم ومن باب تعب

تم ولله الحمد الجزء الثاني من كتاب أمالي السيد المرتضي ٠٠ وقد صُحح هذا الجزء من أوله الي نهاية الملزمة الخامسة عشر منه بتصحيح السيد محمد بدر الدين النعساني ومن ثم الى آخره بتصحيح حضرة الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا وقد بذلا غاية جهدهما فيه تصحيحاً وضبطاً وتفسير ما يحتاج الى إيضاح غامضه أحسن الله اليهما وشكر مسعاهما ٠٠ وقد تم ولله الحمد طبعه في آوائل جمادي الثانية سنة ١٣٢٥ هجريه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فهرس الجزء الثاني من أمالي السيد المرتضى

صحيفه

﴿ تم الفهرس ﴾

الجزء الثالث من كتاب

أمالي السيد المرتضى

للشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ رضي الله عنه

في التفسير والحديث والأدب

الطبعة الأولى

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)

(على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

(صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه)
حضرة الشيخ أحمد بن الامين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسمعيل)



مجلس آخر ٤١

[تأويل آية]٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (فأين تذهبون إن هو إلاّ ذكر للعالمين) الى آخر الآية ٠٠ فقال ما تأويل هذه الآية أوليس ظاهرها يقتضى أنّا لا نشاء شيئاً إلاّ والله تعالى شاءه ولم يخص إيماناً من كفر ولا طاعة من معصية ٠٠ الجواب قلنا الوجه المذكور فى هذه الآية ان الكلام متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة لانه تعالى قال (لمن شاء منكم أن يستقيم) ثم قال (وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله رب العالمين) أي ماتشاؤن الاستقامة إلاّ والله تعالى مريد لها ونحن لا ننكر أن يريد الله تعالى الطاعات وانما أنكرنا ارادته المعاصى وليس لهم أن يقولوا تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومه كما ان السبب يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعدّاه وذلك ان الذى ذكروه انما يجب فيما يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل ٠٠ وقوله تعالى (وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله) لاذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه واذا علق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على انه لو كان للآية ظاهر يقتضى ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالأدلة الثابتة على انه تعالى لا يريد المعاصى ولا القبائح على ان مخالفينا فى هذه المسئلة لا يمكنهم حمل الآية على العموم لأن العباد قد يشاؤن عندهم ما لا يشاءه الله تعالى بان يريدوا الشيء ويعزموا عليه فلا يقع مانع ممتنعاً كان أو غيره وكذلك قد يريد النبي عليه الصلاة والسلام من الكفار الايمان وقد تعبدنا بان يريد من المقدم على القبيح تركه وان كان تعالى عندهم لا يريد ذلك اذا كان المعلوم انه لا يقع فلا بد لهم من تخصيص الآية فاذا جاز لهم ذلك بالشبهة

جاز لنا مثله بالحجة ويجرى هذه الآية مجري قوله تعالى (ان هـذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله) وقوله تعالى (وما يذكرون إلاّ أن يشاء الله) في تعلق الكلام بما قبله ٠٠ فان قالوا فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم من وجه آخر وهو انه عز وجل قال (وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله) وذلك يقتضي انه يشاء الاستقامة فى حال مشيئتنا لها لأن أن الخفيفة اذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال وهـذا يوجب انه يشاء أفعال العباد فى كل حالٍ ويبطل ما تذهبون اليه من انه انما يريد الطاعات فى حال الأمر ٠٠ قلنا ليس في ظاهر الآية إنّا لا نشاء إلاّ ما شاءه الله تعالي فى حال مشيئتنا كما ظننتم وانما يقتضي حصول مشيئته لما نشاءه من الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر ويجرى ذلك مجرى قول القائل مايدخل زيد هذه الدار إلاّ أن يدخلها عمرو ونحن نعلم انه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولهما في حالة واحدة بل لا يمتنع أن يتقدم دخول عمرو يتلوه دخول زيد وان الخفيفة وان كانت للاستقبال على ماذكر فلم يبطل على تأويلنا معنى الاستقبال فيها لأن تقدير الكلام وما تشاؤن الطاعات إلاّ بعد أن يشاء الله تعالي ومشيئته تعالى قد كانت لها حال الاستقبال وقد ذهب أبو عليّ الجبائي الى انه لا يمتنع أن يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال وان كان قد أرادها في حال الأمر كما يصح أن يأمر بها أمراً بعد أمرٍ قال لانه قد يصح أن يتعلق بارادته ذلك منّا بعد الأمر وفي حال الفعل مصلحة ويعلم تعالى أنّا نكون متى علمنا ذلك كنا الى فعل الطاعات أقرب وعلى هـذا المذهب لا يعترض بما ذكروه ٠٠ والجواب الأول واضح اذا لم نذهب الى مذهب أبي عليّ فى هـذا الباب على ان اقتضاء الآية للاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم لأن الكلام اذا اقتضى حدوث المشيئة وأبطل استقبالها بطل قول من قال منهـم انه مريد لنفسه أو مريد بارادة قديمة وصح ما نقوله من ان ارادته محـدثة مجددة ٠٠ ويمكن في تأويل الآية وجه آخر مع حملنا إياها على العموم من غير أن نخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة ويكون المعنى وما تشاؤن شيئاً من فعالكم إلاّ أن يشاء الله تمكينكم من مشيئتكم واقداركم عليها والتخلية بينكم وبينها وتكون الفائدة فى ذلك الإخبار عن الافتقار الى الله تعالى وانه لا قدرة

للعبد على مالم يقدره الله تعالى عز وجل وليس يجب عليه أن يستبعد هذا الوجه لأن ما تتعلق به المشيئة في الآية محذوف غير مذكور وليس لهم أن يعلقوا قوله تعالى (إلاَّ أن يشاء الله) بالأفعال دون تعلقه بالقدرة لأن كل واحد من الأمرين غير مذكور وكل هذا واضح بحمد الله .. ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فما يختار قوله من قصيدة أولها

طَرَقَتْكَ زائِرَةً فحيِّ خيالَها ... بَيْضاء تخلطُ بالحياء دلاً لها

يقول فيها

مالتْ بقلبك فاستَقادَ ومثلُها ... قاد القُلُوب إلى الصِّبا فأمالها

فكأنَّما طرَقتْ بنفحةِ روضة ... سحَّتْ بها دِيَمُ الرَّبيعِ طلالها

باتتْ تسائلُ في المَنَامِ معَرِّساً ... بالبيدِ أشعَثَ لا يَملُّ سؤالَها

في فتيةٍ هجعوا غراراً بعدَما ... سئموا مُراعشةَ السُّرى ومطالَها

[قال المرتضى] رضى الله عنه ــ المراعشة ــ هي تحريك الرأس في السير من النوم

فكأنَّ حشوَ ثيابِهمْ هنديةٌ ... نحلتْ وأغفلتِ العُيُونُ صقالَها

أما ذكره في أول القصيدة طروق الطيف فانه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب [1] وقد قال الناس في طيف الخيال وأكثروا .. وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم الى معنى كل الناس فيه عيال عليه وهو قوله

---

(١) قوله فانه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب الخ .. قلت أما العلماء المتقدمون فانهم استحسنوها روى ان مروان بن أبي حفصة جاء الى حلقة يونس فسلم ثم قال أيكم يونس فأومؤا له اليه فقال له أصلحك الله إني أري قوماً يقولون الشعر لأن يكشف أحدهم سوأته ثم يمشي كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر وقد قلت شعراً أعرضه عليك فان كان جيداً أظهرته وان كان رديئاً سترته

أَنّى سَرَبْتِ وكُنتِ غيرَ سَرُوبِ ... وتقرّبُ الأَحلامُ غيرَ قَريبِ [1]

ماتَمنَعي يَقظي فَقَد تُؤْتِينَهُ ... في النَّوم غيرَ مُصرَّدٍ مَحسُوبِ

كانَ المُنى بلقائِها فَلقيتَها ... فلهَوتَ من لهوِ امرىءٍ مكذُوبِ

وقد أحسن جرير في قوله

اتَنسَي اذ تودّعُنا سُلَيمى ... بفرْعِ بَشامةٍ سُقِيَ البَشامُ

بنفسي من تَجَنُّبُهُ عزيزٌ ... عليّ ومَنْ زِيارَتُهُ لمامُ

ومنْ أُمسي وأُصبِحُ لا أَراهُ ... ويَطرُقُني اذا هَجعَ النّيامُ

وهذه الابيات وان خلت من معنى فى ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظٍ مستعذب ٠٠ ولأبي عبادة البحتري فى وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر فانه تغلغل

فأنشده * طرقتك زائرة فحي خيالها * الخ فقال له يونس ياهـذا اذهب فاظهر هـذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى فى قوله * رحلت سمية غدوة أجمالها * فقال له مروان سررتني وسؤتني فأما الذي سررتني به فارتضاؤك الشعر وأما الذي ساءني فتقديمك إياي على الأعشى وأنت تعرف محله فقال انما قدمتك عليه فى تلك القصيدة لا في شعره كله لانه قال فيها * فأصاب حبة قلبه وطحالها * والطحال لايدخل في شئ إلاّ أفسده وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه ٠٠ وقصيدة مروان هذه مدح بها المهدي ولما أنشده إياها زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع ثم قال كم هي قال مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم فكانت أول مائة ألف درهم أعطيها شاعر في أيام بني العباس وهذا دليل على حسنها

(١) قوله سربت ـ السارب ـ الذاهب على وجهه فى الأرض ورواه ابن دريد سربت بباء موحدة لقوله وكنت غير سروب ومن رواه سريت بالياء باثنتين فمعناه كيف سريت ليلا وأنت لا تسربين نهاراً

فى أوصافه واهتدي من معانيه الي ما لا يوجد لغيره وكان مشغوفاً بتكرار القول فيه لهجاً بابدائه وإعادته وان لأبى تمام فى ذلك مواضع لا يجهل فضلها ومحاسن لا يبلغ شأوها فمما لأبى تمام قوله

زَارَ الخَيالُ لها لاَ بلْ أزارَكَهُ ... فكرٌ إذا نامَ فكرُ الخلقِ لم ينمِ

ظبيٌ تقنَّصتُهُ لمَّا نصبتُ لهُ ... في آخرِ الليلِ أشراكاً منَ الحلُمِ

ثمَّ اغتدى وبنا من ذكرهِ سقمٌ ... باقٍ وإنْ كانَ معسولاً منَ السقمِ

وقوله

عادكَ الزَّورُ ليلةَ الرَّملِ منْ ... رملةَ بينَ الحمى وبينَ المطالِ

ثمَّ مازارَكَ الخيالُ ولكنْ ... كَ بالفكرِ زرتَ طيفَ الخيالِ

وقوله

الليَ لي أحفى بقلبي إذا ما ... جرحتْهُ النوى منَ الأيامِ

يالها ليلةً تنزَّهتِ الأرْ ... واحُ فيها سرًّا منَ الأجسامِ

مجلسٌ لمْ يكنْ لنا فيهِ عيبٌ ... غيرَ أنّا في دعوةِ الأحلامِ

فأما البحترى فقوله في هذا المعنى أكثر من أن يذكر جميعه ههنا غير أنا نشير الى نادره فى ذلك قوله

فلا وصلَ إلاَّ أنْ يُطيفَ خيالُها ... بنا تحتَ جوشوشٍ من الليلِ أسفعِ

ألمَّتْ بنا بعدَ الهدوِّ فسامحتْ ... بوصلٍ متى نطلبْهُ في الجدِّ تمنعِ

ومابرحتْ حتَّى مضى الليلُ وانقضى ... وأعجلَها داعي الصباحِ الملمَّعِ

فولَّتْ كأنَّ البينَ يخلجُ شخصَها ... أوانَ تولَّتْ من حشايَ وأضلعي

وربَّ لقاءٍ لمْ يؤمَّلْ وفرقةٍ ... لأسماءَ لمْ تحذرْ ولمْ تتوقَّعِ

أَرَانِي لاَ أَنفَكُّ فِي كُلِّ لَيلَةٍ | تُعاوِدُ فِيها ٱلمَالِكِيَّةُ مَضجَعِي
أُسَرُّ بِقُربٍ مِن مُلِمٍّ مُسَلِّمٍ | وأَشجَى بِبَيْنٍ مِن حَبِيبٍ مُوَدِّعِ
فَكَانَ لَنَا بَعدَ النَّوَى مِن تَفَرُّقٍ | تَرَجِّيهِ أَحلاَمُ الكَرَى بالتَّجَمُّعِ

وكقوله

وإنِّي وإن ضَنَّتْ عَلَيَّ بِوُدِّهَا | لأَرتَاحُ مِنها لِلخَيَالِ المُؤَرِّقِ
يَعِزُّ عَلَى الوَاشِينَ لَو يَعلَمُونَهَا | لَيَالٍ لَنَا نَزدَارُ فِيهَا وَنَلتَقِي
فَكَم غُلَّةٍ لِلشَّوقِ أَطفَأتُ حَرَّهَا | بِطَيفٍ مَتَى مَا يَطرُقِ اللَّيلُ يَطرُقِ
أَضُمُّ عَلَيهِ جَفنَ عَينِي تَعَلُّقًا | بِهِ عِندَ إِجلاَءِ النُّعَاسِ المُرَنِّقِ

وقوله

بَلَى وَخَيَالٍ مِن أُثَيلَةَ كُلَّمَا | تَأَوَّهتُ مِن وَجدٍ تَعَرَّضَ يَطمَعُ
إِذَا زَورَةٌ مِنهُ تَقَضَّتْ مَعَ الكَرَى | تَنَبَّهتُ مِن وَجدٍ لَهُ أَتَفَزَّعُ
تَرَى مُقلَتِي مَا لاَ تَرَى فِي لِقَائِهِ | وَتَسمَعُ أُذنِي رَجعَ مَا لَيسَ تَسمَعُ
وَيَكفِيكَ مِن حَقٍّ تَخَيُّلُ بَاطِلٍ | تُرَدُّ بِهِ نَفسُ اللَّهِيفِ فَتَرجِعُ

وقوله

إِذَا مَا الكَرَى أَهدَى إِلَيَّ خَيَالَهُ | شَفَى قُربُهُ التَّبرِيحَ أَو نَقَعَ الصَّدَا
إِذَا انتَزَعَتهُ مِن يَدَيَّ انتِبَاهَةٌ | عَدَدتُ حَبِيبًا رَاحَ مِنِّي وَاغتَدَى
وَلَم أَرَ مِثلَينَا وَلاَ مِثلَ شَأنِنَا | نُعَذَّبُ أَيقَاظًا وَنَنعَمُ هُجَّدَا

وقوله

فَمَا نَلتَقِي إِلاَّ عَلَى حُلمِ جَاهِدٍ | تَحِلُّ لَنَا جَدوَاكِ وَهيَ حَرَامُ

إذَا ماتَباذَلْنا النَّفائسَ خلْتَنا ... منَ الجدِّ أيقاظاً ونحنُ نيامْ

وقوله

وليلَةَ هوَّمنا على العيسِ أرسَلتْ ... بطيفِ خيال يُشبِهُ الحقَّ باطلُهْ

فلولا بياضُ الصبْحِ طالَ تَشبثِّي ... بعطفي غزال بتُّ وهنا أُغازلُهْ

وقوله

أمنك تأوَّبَ الطيفُ الطَّروبُ ... حبيبٌ جاءَ يُهدَى منْ حبيب

تخطَّى رقبةَ الوَاشِينَ كُرْها ... وبُعْدَ مسافةِ الخَرقِ المَجوبِ

يكَاذبنى وأَصْدُقهُ رداءً ... ومنْ كَلَف مُصادَقةُ الكذُوب

وقوله

ما انقضَى لُبانَةَ عند لُبنى ... والمُعنَّى بالغانياتِ مُعنَّي

هجرَتْنا يقْظى وكادتْ على مذْ ... هبها في الصدُود تهجُرُ وسْني

بعدَ لأْي وقدْ تعرَّضَ منها ... طائفٌ عرَّجتْ على الرَّكْبِ وهْنَا

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ٠٠ ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدي مع ميله الي البحتري وانحطاطه في شعبه واجتهاده فى تأويل ما أخذ عليه من خطأ وزلل يزعم ان البحترى أخطأ في قوله

هجَرَتْنا يقظى وكادتْ على مذْ ... هبها في الصدود تهجُرُ وَسنَى

قال لأن خيالها يتمثل له فى كل أحوالها يقظي كانت أو وسنى قال ولكن الجيد في هذا المعنى قوله

ارَدُّ دونك يقظانا ويأذَنُ لي ... عليكِ سُكْرُ الهوَى إنْ جئتُ وَسنانا

قال والذى أوقع البحتري فى هذا الغلط قول قيس بن الخطيم

ماتمنعي يقظي فقد تؤتينه ... في النوم غير مصرد محسوب

وكان الأجود أن يقول ماتمنعي في اليقظة فقد تؤتينه فى النوم أي ماتمنعيه في يقظتي فقد تؤتينه فى حال نومى حتى يكون النوم واليقظة منسوبين اليه لأن خيال المحبوب يتمثل في حال نومه ويقظته جميعاً قال إلاّ أنه يتسع فى التأويل في هذا لقيس مالا يتسع للبحتري لأن قيساً قال فقد تؤتينه في النوم ولم يقل نائمة وقد يجوز أن يحمل على انه أراد ماتمنعي يقظي وأنا يقظان فقد تؤتينه فى النوم أى فى نومي ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحتري لأنه قال وسنى ولم يقل في الوسن .. [قال الشريف] رضى الله عنه وقد يمكن فيالتأويل للبحتري ما أمكن مثله لقيس لكن الآمدي قد ذهب عن ذلك لأن البحتري لما قال وسنى دل على حال الوسن والحال المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها فى النوم بالعادة كما ان الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة فقوله وسنى ينبي عن كونه هو أيضاً نائماً وانما أراد المقابلة في زنة اللفظ بين يقظي ووسنى .. وقوله يقظي متى لم تحمل أيضاً على هذا المعنى لم يصح لأنه لا بد أن يريد بذلك هجرتنا فى أحوال اليقظة ويكون معنى يقظي يتعدى اليه ألا ترى ان الآمدى حمل قول قيس يقظي على معنى وأنا يقظان وان لم يبين الوجه فيه فكيف ذهب عليه مثل ذلك فى قول البحتري .. وقوله وسنى ويقظي مثل قول قيس يقظي ولو أمكن قيساً وزن الشعر من أن يقول وسنى في مقابلة يقظي لقاله وما عدل عنه الى النوم لانه لم يكن عليه فى وسنى إلاّ ماعليه فى يقظي وما يتأوّل له فى أحد الأمرين يتأوّل له فى الآخر .. [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه ولي فى الخيال وطروقه معنى ماعلمت انه سبق اليه من جملة قصيدة

وزور تخطّي جنوب الملا ... فناديت أهلاً بذا الزائر

أتاني هدوّا وعين الرقيب ... مطروفة بالكرى العامري

فأعجب به يسعف الهاجرين ... وتحرمه مقلة الساهر

وعهدي بتمويه عين المحب ... ينم على قلبه الطائر

فلمّا التقينا برغم الرقاد   مُوّهَ قلبي على ناظري

ومعنى البيت الآخر ان الأحلام انما هي اعتقادات تخيل فى القلب لاحقيقة لأكثرها لأن الانسان يعتقد انه رأى لما لا يراه على الحقيقة ويدرك لما ليس مدركه على الحقيقة فالقلب يخيل في النوم للعين ما لا حقيقة له كما ان العين تخيل فى كثير من الأحوال للقلب ما لا حقيقة له .. فأما قول مروان * فكأنما طرقت بنفحة روضة * البيت فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول نهشل بن جري قال

طرقتْ أسيماء الرّحال ودونها   بيتان من ليلِ التمام الأسودِ

ومفاوزٌ وصلَ الفلاةَ جنوبُها   بجنوب أخرى غيرَ أنْ لمْ تُفقدِ

رملٌ إذا أيدي الرّكاب قطعنهُ   قُرِعَتْ مناسمُها بقفٍّ قردَدِ

فكأنَّ ريحَ لطيمةٍ هنديَّةٍ   وذكيّ جاديٍّ بنصعٍ مُجسدِ

وندى خُزامى الجوّ جوّ سويقةٍ   طرقَ الخيالُ به بُعيدَ المرقدِ

أو من قول الآخر

طرقتك زينبُ والمزارُ بعيدُ   بمنىً ونحنُ مُعرّسونَ هجُودُ

وكأنّما طرقتْ بريّا روضةٍ   أُنُفٍ يُسَجْسِجُ مُزْنُها وتجودُ

وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جدًّا .. فأما قوله ـ باتت تسائل فى المنام معرساً ـ البيت والبيتان اللذان بعده فقد قال الناس فى وصف قلة النوم ومواصلة السري والادلاج وشعث السارين فأكثروا .. فمن أحسن ما قيل فى ذلك قول لبيد

ومجودٍ من صُبابات الكرى   عاطفِ النمرقِ صدقِ المبتذلْ [1]

(١) قوله ـ ومجود من صبابات الكرى ـ الخ الواو واو رب والمجود الذى جاده النعاس وألح عليه حتى أخذ فنام من الجود بالفتح وهو المطر الغزير يقال أرض مجودة أي مغيثة وجيدت الأرض اذا أمطرت جوداً .. وقال اعرابي المجود الذى قد جاده العطش أى

قالَ هَجِّدْنا فَقَدْ طالَ السُّرَيٰ ... وَقَدَرْنا إنْ خَنَى الدَّهْرِ غَفَلْ (١)

قَلَّمـا عَرَّسَ حَتَّى هِجْتُـه ... بالتَّبَاشِيرِ منَ الصُّبحِ الأُوَّلْ (٢)

غلبه كذا فى شرح أبي الحسن الطوسي وهذا لايناسب لقوله صبابات الكرى فان الكرى النوم وصبابته بقيته كذا فى شرح الشواهد للبغدادى ٠٠ وقال في اللسان ويقال للذي غلبه النوم مجود كأن النوم جاده أى مطره قال والمجود الذي يجهد من النعاس وغيره عن اللحياني وبه فسر قول لبيد وأنشــد البيت قال أي هو صابر على الفراش الممهد وعن الوطء يعني انه عطف نمرقة ووضعها تحت رأسه وقيل معنى قوله ومجود من صــبابات الكرى قيل معناه شيق وقال الأصمعي معناه صب عليــه من جود المطر وهو الكثير منه والجود النعاس وجاده النعاس غلبه ٠٠ وقولهـ عاطف النمرقـ صفة مجود والاضافة لفظية والنمرقة مثلثة النون الوسادة والطنفســة فوق الرحل وهي المراد هنا ٠٠ وقولهـ صدق المتبذلـ بفتح الصاد أى جلد قوي لا يغير عند ابتذاله نفسه ولا يسقط ولايجوز أن يقال صدق المبتذل الا اذا امتهن ووجد صادق المهنة يوجد عنده مايحب ويراد

(١) قولهـ هجدناـ الخ هو متعلق رب والتهجيد من الاضداد يقال هجده اذا نومه أي دعنا ننام وهو المراد هنا وهجده اذا أيقظه والفاء للتعليل ــ والسرىـ بالضم سير عامة الليل ٠٠ وقولهـ وقدرناـ أي قدرنا على ورود الماء وذلك اذا قربوا منه وفى القاموس وبيننا ليلة قادرة هينة السير لاتعب فيها ــ والخنى ــ بفتح المعجمة والقصر الآفة والفساد أي ان غفل عنا فساد الدهر فلم يعقنا وقيل قدرنا أي على التهجيد وقيل على السير

(٢) قولهـ قلما عرَّسَـ الخ ما المتصلة بقل كافة لها عن طلب الفاعل وجاعلة إياها بمنزلة ما النافية في الأغلب وهنا لاثبات القلة وما تتصل بأفعال ثلاثة فتكفها عن طلب الفاعل وهي قلما وطالما وكثر ما وينبغي ان تتصل بالأولين كتابة والتعريس النزول فى آخر الليل للاستراحة والنوم ومثله الاعراسـ وهجته ــ أيقظته من النوم وهاج يهيج يجيء لازماً ومتعدياً يقال هاج اذا ثار وهجته اذا أثرته ــ وحتى ــ هنا حرف جر بمعنى الا الاستثنائية أي ماعرس إلاّ أيقظته أي نام قليــلا ثم أيقظته وأكثر دخولهــا على

يَلْمَسُ الأَحلاَسَ فِي مَنْزِلِهِ بِيَدَيْهِ كَالْيَهُودِيّ المُصَلْ [١]
يَتَمَارَى فِي الَّذِي قُلْتُ لَهُ وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَيَّهَلْ [٢]

أو من قول ذي الرمة

المضارع كقوله

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل

وقوله ـ بالتباشير ـ أي بظهورها والتباشير أوائل الصبح وهو جمع تبشير ولا يستعمل الا جمعا كذا عبر البغدادي ولفظ شارح القاموس لا واحد له ـ والأول ـ صفة التباشير وهو بضم الهمزة وفتح الواو جمع أولى مؤنث الأول كالكبر جمع كبري وقد جاء هذا المصراع الثاني فى شعر النابغة الجعدي وهو

وشمول قهوة باكرتها في التباشير من الصبح الأول

(١) قوله ـ يلمس الأحلاس ـ فاعل يلمس ضمير المجود واللمس الطلب وفعله من بابى قتل وضرب والأحلاس جمع حلس بالكسر وهو كساء رقيق يكون على ظاهر البعير تحت رحله أي يطلبها بيديه وهو لا يعقل من غلبة النعاس .. وقوله ـ كاليهودي المصل ـ أي كأنه يهودى يصلي في جانب يسجد على جبينه واليهودى يسجد على شق وجهه وأصل ذلك انهم لما نتق الجبل فوقهم قيل لهم إمّا أن تسجدوا وإمّا أن يلقى عليكم فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل فصار عندهم سنة الى اليوم

(٢) قوله ـ يتمارى في الذى قلت له ـ الخ التمارى فى الشيء والامتراء فيه المجادلة والشك فيه يقال ماريت الرجل أماريه مراء ومماراة اذا جادلته والمرية الشك .. قال الطوسى يقول قال له الصبح النجاء النجاء قد أصبحت ونحو هذا من الكلام ـ وحيهل ـ أى أسرع وأعجل وحيهل اسم فعل قال زكريا الأحمر في حيهل ثلاث لغات يقال حيهل بفلان بجزم اللام وحيهل بفلان بحركة اللام وحيهلا بفلان بالتنوين وقد يقولون من غير هل من ذلك حى على الصلاة وقال ابن عصفور ان حيهلا مركبة من حى وهلا الا ان ألف هلا تحذف في بعض اللغات تخفيفاً

وَليلٍ كأَثناء الزويزيّ جُبْتهُ ... بأَزبَمةٍ والشَّخصُ في العَيْنِ واحدُ

ـ والزويزي ـ هو الطيلسان .. وقد روى أيضاً كجاباب العروس أدرعته وكل ذلك وصف له بالسواد لان الطيلسان أسود .. وجلباب العروس أخضر والعرب تجمع بين الخضرة والسواد

أحَمَّ علافيٌّ وَأبيضُ صارمٌ ... واعيَسُ مَهْرِيٌّ وَاشعَثُ ماجِدُ

أخُو شُقَّه جابَ الفَلاةَ بنَفْسهِ ... على الهَوْلِ حتّى طوَّحتْهُ المَطارِدُ

واشعَثَ مثْلَ السَّيْفِ قدْلاحَ جسْمهُ ... وَجيفُ المَهاري والهُمُومُ الأَباعِدُ

سقَاهُ الكَرَى كأْسَ النُّعاسِ فرَأْسهُ ... لدِينِ الكَرَى منْ آخرِ الليلِ ساجدُ

أقمْتُ لهُ صدْرَ المَطِيِّ فمادَرَى ... أجائرةٌ أعناقُها أمْ قَوَاصِدُ

تَرَي النَّاشِئَ الغرّيرَ يُضْحِي كأَنهُ ... على الرَّحلِ ممَّا منّهُ السيْرُ عاصِدُ

ومن ذلك قول أبي حيّة النميري

وأغيَدَ منْ طُولِ السُّرى برَحتْ به ... أفانينُ نهّاض على الأَيْن مرْجمِ

سَريْتُ بهِ حتّى إذَا ماتمزّقتْ ... توَالِى الدُّجى عنْ واضح اللَّوْن مُعْلَمِ

أنخْنا فلمَّا أَنْ جرَتْ في دِماغهِ ... وَعَيْنَيْهِ كأْسُ النَّوْم قلْتُ لهُ قُمِ

فَما قامَ الاّ بيْنَ أيْدٍ تقيمُهُ ... كما عَطفَتْ رِيحُ الصَّبا خُوطَ سأسَمِ

خطَا الكُرْهَ مغْلوباً كأَنَّ لسانهُ ... لما رَدَّ منْ رَجْع لِسانُ المُبَلْسِمِ

وَوَدَّ بوُسْطَى الخَمْسِ منْهُ لوأنّنا ... رَحلْنا وقُلْنا في المَنَاخِ لهُ نَمِ

مجلس آخر ٤٢

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض) الى آخر الآية .. فقال ما معنى اختصاص الأرض بالذكر وهم لا يفوتون الله ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حالٍ وفى كل مكان ولم نفى الأولياء عنهم وقد نجد أهل الكفر يتولى بعضهم بعضاً وينصرونهم ويحمونهم من المكاره وكيف نفى استطاعتهم للسمع والإبصار وأكثرهم قد كان يسمع بأُذنه ويرى بعينه .. الجواب قلنا أما الوجه في اختصاص الأرض بالذكر فلأن عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك منى ولا وزر ولا نفق والوزر الجبل والنفق السرب وكل ذلك مما يلجأ اليه الخائف المطلوب فكأنه تعالى نفى أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه وان جبال الأرض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم كما انها تحجز عن كثير من أحوال البشر من المكاره لأن معاقل الأرض هي التى يهرب اليها البشر من المكاره ويلجؤن بها الى الاعتصام بها عند المخاوف فاذا نفى تعالى أن يكون لهم في الأرض معقل فقد نفى المعقل من كل وجه .. وأما قوله تعالى (وما كان لهم من دون الله من أولياء) فمعناه انه لا وليّ لهم ولا ناصر من عذاب الله وعقابه لهم فى الآخرة ولا مما يريد أيضاً إيقاعه بهم فى الدنيا وان كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن أرادهم بسوء وقد يجوز أن يكون ذلك أيضاً بمعنى الأمر وان كان مخرجه مخرج الخبر ويكون التقدير وليس لهم أن يتخذوا أولياء من دون الله بل الواجب أن يرجعوا اليه في معونتهم ونصرهم ولا يعولوا على غيره .. فأما قوله عز وجل (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ففيه وجوه .. أحدها أن يكون المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً للحق وذهاباً عن سبيله فأسقط الباء من كلامه وذلك جائز كما جاز فى قولهم لأجزينك بما عملت ولأجزينك ما عملت ولأحدثنك بما عملت ولأحدثنك ما عملت وكما قال الشاعر

نغالي اللَّحمَ للاضيافِ نِيا　　وَنَبْذُلُهُ إِذَا نَضِجَ القُدُورُ

أراد نغالي باللحم ٠٠ والوجه الثاني انهم لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى وكراهيتهم تذكرها وتفهمها جرى مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة عداوته الى فلان وما يقدر على أن يكلمه وكما نقول لمن عهدنا منه العناد والاستثقال لاستماع الحجج والبينات ما يستطيع أن يسمع الحق وما يطيق أن يذكر له ذلك وكما قال الأعشى

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكبَ مُرْتَحِلُ　　وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّها الرَّجُلُ

ونحن نعلم انه قادرٌ على الوداع وانما نفى قدرته عليه من حيث الكراهية والاستثقال ٠٠ ومعنى وما كانوا يبصرون أي ان إبصارهم لم يكن نافعاً لهم ولا مجدياً عليهم مع الاعراض عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي عنهم الإبصار نفسه كما يقال للمعرض عن الحق العادل عن تأمله مالك لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل وما أشبه ذلك ٠٠ والوجه الثالث أن يكون معنى نفى السمع والبصر راجعاً الي آلهتهم لا اليهم وتقدير الكلام أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين فى الارض يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبراً عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وهذا الوجه مروي عن ابن عباس رضى الله عنه وفيه أدنى بعد ٠٠ ويمكن في الآية وجه رابع وهو أن يكون مافي قوله (ما كانوا يستطيعون السمع) ليست للنفى بل تجري مجرى قولهم لأواصلنك مالاح نجم ولأقيمن على مودتك ماطلعت شمس ويكون المعنى ان العذاب يضاعف لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أى انهم معذبون ما كانوا أحياء ٠٠ فان قيل كيف يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والإبصار وقد يكون حياً من لا يكون كذلك ٠٠ قلنا للعرب في مثل هذا عادة لأنهم يقولون والله لا كلمت فلاناً ما نظرت عيني ومشت قدمي وهم يريدون ما بقيت وحييت لان الأغلب في أحوال الحي أن تنظر عينه وتمشي قدمه فجعلوا الأغلب كالواجب ومن ذلك قول الشاعر

وَما أَنسَ من شَيءٍ تقادَمَ عهدُهُ ... فلستُ بناسٍ ما هدَتْ قدَمي نعلي

عَشيةَ قالتْ وَالدُّمُوعُ بعينِها ... هنيئاً لقلبٍ عنكَ لمْ يُسلِهِ مُسلي

وانما أراد إني لا أنسي ذلك ما حييت وكذلك لا يمتنع أن يعلّق على هذا المذهب دوام العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والابصار ويعود المعني الى تعلقه ببقائهم وكونهم أحياء والمرجع فى ذلك الى التأبيد لانه اذا علّق العذاب ببقائهم واحيائهم علمنا ان الآخرة لا موت فيها ولا خروج عن الحياة وعلمنا تأبيد العذاب .. ونعود الى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر مروان فمما يختار له قوله من القصيدة التى قد مضى أوّلها وتكلمنا عليها

وَضعوا الخدُودَ لدَي سوَا هِمَ جُنّحٍ ... تشكُوا كلُومَ صِفاحِها وكلالَها

طلَبَت أميرَ المؤمنينَ فَوَاصلَتْ ... بعدَ السُّرَى بغدُوّها آصالَها

نزَعتْ إليكَ صوَادِياً فتقاذَفتْ ... تطوِى الفَلاةَ حزُونَها وَرِمالَها

يتبعنَ ناجيةً تهزُّ مراحُها ... بعدَ النحُولِ تليلَها وَقذالَها

هوْ جاءَ تدّرِعُ الرُّبا وَتشقُّها ... شقّ الشمُوسِ إذا يُراعُ جلالَها

تنجُو إذا دَفعَ القَطيعُ كما نجتْ ... خرْ جاءُ بادرَتِ الظلامَ رِئالَها

كالقوْسِ ساهِمةً أتتكَ وقدْ ترَى ... كالبُرْجِ تملأُ رَحلَها وَحبالَها

وهذه الأبيات فى وصف الرواحل بالسرعة والنحول جيدة الألفاظ مطرّدة النسج وقد سبق الناس فى هذا المعنى الى ضروب من الاحسان فمن ذلك قول الأخطل

بخُوصٍ كأعطالِ القسِيّ تقلقَلَتْ ... أجِنّتها من شُقّةٍ ودؤوبِ [1]

(١) ـ اعطال القسى ـ التي لا أوتار عليها ـ وتقلقلت ـ تحركت في بطونها من الدأب والسير ـ وأجنتها ـ جمع جنين

إذا مُعْجَلٌ غادَرْنَهُ عِندَ منزلٍ ... أُتيحَ لجوّابِ الفلاةِ كَسُوبِ[1]

وَهُنَّ بنا عُوجٌ كأنَّ عيونَها ... بَقايا قِلاتٍ قَلَّصَتْ لِنُضُوبِ[2]

مَسانيفُ يَطوِيها معَ القَيظِ والسُّرَى ... تَكاليفُ طلّاعِ النِّجادِ رَكوبِ

قديمٍ تَرَى الأصواءَ فيهِ كأنَّها ... رجالٌ قيامٌ عَصَّبُوا بِسُبُوبِ[3]

يَعُمْنَ بنا عَوْمَ السَّفينِ إذا انْجلَتْ ... سَحَابَةُ وَضَّاحِ السَّرابِ خَبُوبِ

وقال مسلم بن الوليد الأنصارى

إلى الإمامِ تَهادَينا بأرْحُلِنا ... خَلْقٌ منَ الرّيحِ في أشباحِ ظُلْمانِ

كأنَّ إفلاتَها والفجرُ يأخُذُها ... إفلاةُ صادرَةٍ عن قوسِ حسّانِ

.. وقال بشار

وإذا المطيُّ سَبَحْنَ في أعطافهِ ... فاتَ المطيَّ بكاهلٍ وتليلِ

فكأنَّهُ والناعجاتُ يَرِدْنَهُ ... قِدْحٌ يُطَلَّعُ من قِداحِ مُجيلِ

ولبعض الحارثيين

نَهَشَ الهَجائرُ والظَّهائرُ لحمَها ... حتى تَخَدَّدَ لحمُها المتظاهرُ

---

(١) ـ المعجل ـ الجنين الذي يولد لغير تمام ـ وأتيح ـ قدر ـ وجوّاب الفلاة ـ الذئب .. يقول ذا رمت بالمعجل صادفه الذئب

(٢) ـ القلاة ـ جمع قلت وهى النقرة في الجبل تمسك الماء ـ وقلصت ـ أي غارت ـ والنضوب ـ ذهاب الماء .. شبه عظم العين بالصخرة فى الصلابة وبقية العين بما بقى من الماء فى القلات

(٣) ـ الأصواء ـ جمع صُوى وصوى جمع صوة وهي حجارة تنصب ليهتدي بها .. شبه الصوى وقد جللها السراب برجال قيام عصبوا بالسبوب جمع سب وهي شقة كتان رقيقة

حَرْفٌ تَناهبها النَّجاءُ فَلاَ تَصِلُ ... مِمَّا تَنَجَّلَ شَدْقُمٌ أَوْ ذَاعِرُ

صُبْرٌ اذا عَطفَتْ سوالفها البُرَى ... سَمِعَتْ لهنَّ كَشا كِشٌ وجَرَاجِرُ

ويُخَلْنَ من عِزّ النفوس وَجدّها ... جِنًا وَهُنَّ إذَا اخْتُبِرْنَ أَباعِرُ

إمَّا إذَا ما أقبلَتْ فكأنّها ... ذُعرٌ تهادَتها الفلاةُ نَوافِرُ

إمَّا إذَا ما أعرضَتْ فكأنّها ... كُدْرٌ تورّدن النّطاف صوادرُ

إمَّا إذا ما أبركتْ فكأنّها ... صَرْحٌ مُشيّدةٌ وَهُنَّ ضوامرُ

[قال الشريف] رضى الله عنه ٠٠ وإني لأستحسن قول بشامة بن الغدير في وصف الناقة بالسرعة

كأنَّ يديها إذَا أرقلتْ ... وَقدْ جُرْنَ ثمَّ اهتدَينَ السَّبيلا

يدا سابحٍ خرَّ في غمرَةٍ ... وقدْ شارفَ الموتَ إلاَّ قليلا (١)

إذا أقبلتْ قلتَ مشحُونة ... أطاعتْ لها الرّيحُ قلعاً جفُولاً (٢)

وإنْ أدبرتْ قلتَ مذعورةً ... مِن الرُّبْدِ تتبعُ هيقاً ذَمُولا (٣)

---

(١) قوله ـ يدا سابح ـ الخ يروى

يدا عائم خر في غمـرة ... قد ادركه الموت إلاّ قليلا

يقول كأن يدي هذه الناقة وقت كلال غيرها من الابل ولزومهن المحجة يدا سابح فهو أشد لتحريكه يديه مخافة على نفسه

(٢) المشحونة ـ المملوأة ـ ٠٠ شبهها بسفينة مملوأة لانه أقوم لسيرها وأعدل ـ والقلع ـ الشراع ـ والجفول ـ التى تجفل أي تسرع

(٣) قوله وان أدبرت الخ يروي

اذا أقبلت قلت مذعورة ... من الرمد تلحق هيقا ذمولا

ومعنى قوله ــ وقد جرن ثم اهتدين السبيلا ــ يعني المطايا يقول كن نشيطات يمرحن فلا يلزمن لقم الطريق بل يأخذن يميناً وشمالا فلما عضهن الكلال استقمن على المحجة فكأنه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال المطي وكنى عن الكلال بلزوم جادة الطريق حتى تنكبها .. وهذه كناية فصيحة مليحة ومثله قول الآخر

كأَنَّ يدَيْها حِينَ جدَّ نجاؤُها   يدَا سابِحٍ في غَمْرَةٍ يتذَرَّعُ

ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ

كأَنَّ ذِرَاعيْها ذِرَاعا مُدِلَّةٍ   بُعيدَ السّبابِ حاولَتْ أنْ تَعذَّرا

مُمجِّدةُ الأَعْراقِ قالَ ابنُ ضَرّةٍ   علَيْها كلاماً جارَ فِيهِ وَأَهْجَرَا

ويروي من الربد كما في الأصل وهو جمع ربداء وجعلها مذعورة لانه أشد لسيرها ــ والرمد ــ النعام وهي الربد أيضاً ــ والهيق ــ ذكر النعام وهي المنكسفة اللون تعلو سوادها كدرة والربدة سواد يكسف الوجه ويغيره يقال لأربدن وجهه والهيق الطويل والأنثى هيقة وهذه الرواية التى فى الأصل منكسة فقدم آخرها على أولها وحذف من بينها أربعة أبيات وهي من قصيدة مشهورة أولها

هجرت امامة هجراً طويلا   وحملك النأى عبأ ثقيلا

الى ان قال

اذا أقبلت قلت مذعورة   من الرمد تلحق هيقا ذمولا

وان أدبرت قلت مشحونة   أطاع لها الريح قلعاً جفولا

وان أعرضت خار فيها البصير   ما لا يكلفه أن يفيلا

يداً سُرُحاً مائراً ضبعها   تسوم وتقدم رجلا زجولا

وعوجاً تناطحن تحت المطا   وتهدى بهن مشاشاً كهولا

تعز المطي جماع الطريق   اذا أدلج القوم ليلا طويلا

كأن يديها اذا أرقلت   وقد جرن ثم اهتدين السبيلا

يدا عائم خر في غمرة   الي آخر القصيدة

شبه ذراعيها وهي تتذرع في سيرها بذراعي امرأة مدلة على أهلها ببراءة ساحتها وقد حكى عنها ابن ضرتها كلاماً أهجر فيه أي أفحش فهي ترفع يديها وتضمهما تعتذر وتحالف وتنصح عن نفسها ٠٠ وقد قيل ان معنى مدلة انها تدل بحسن ذراعيها فهي تدمن اظهارهما ليرى حسنهما ٠٠ وقوله ـ بعيد الشباب ـ أي في عقب المسابة قامت تعتذر الى الناس وقوم يروونه بعيد الشباب ومعنى هذه الرواية انها نصف من النساء فهي أقوم بحجتها من الحدثة الغرة ويشهد لهذه الرواية قول الآخر

كأنَّ يَدَيها حين يَقلَقُ ضَفرُها   يدَا نصف غيرَى تعذَّرُ من جُرْمِ

وفي قوله ـ حين يقلق ضفرها ـ سرٌّ وفائدة لأن الضفر هو الاتساع وانما تقلق اذا جهدها السير فضمرت فكأنه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد والكلال ٠٠ ومثله

كأنَّ ذِراعيها ذِراعا بديَّةٍ   مُفجَّعةٍ لاقَتْ ضَرائرَ عن عفرِ

سَمِعْنَ لها وَاستعْجلتْ بكلامِها   فلا شيء يفري باليَدَيْن كما تفري

ويقاربه قول الآخر

ألا هل تبلغنيهم   على اللأواء والظِنَّهْ

وآةُ الحصى المعزا   في أخفافِها رنَّهْ

إذا ماعسفَتْ قُلْتَ   حَمَاةٌ فاضِحَةٌ كَنَّهْ

وممن شبه سرعة أيدي الابل بأيدي النوائح كعب بن زهير فقال

كأنَّ أوْبَ ذِراعيْها إذا عَرِقتْ   وقَدْ تلفَّع بالقُورِ العَساقِيلُ

وَقالَ للقَوْمِ حادِيهمْ وقدْجعلتْ   وُرْقُ الجنادِبِ يرْكضْنَ الحصى قيلوا

شَدَّ النَّهارِ ذِرَاعاعيْطَلٍ نصَفٍ   قامَتْ فجاوَبَها نُكْدٌ مثاكِيلُ

نَوَّاحةٌ رَخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ ليسَ لها   لمَّانعى بِكْرَها النَّاعُونَ مَعْقُولُ

العساقيل ـ أول السراب ولا واحدلها من لفظها ٠ أخبر ان ناقته في شدة الحر واتقاد

الظهيرة تمرح فى سيرها وتذرع بيديها وشبه ذراعيها بذراعي امرأة نصف تنوح على ابنها وقد نعي اليها فهي تشير بيديها وتوالي تحريكهما -والعيطل- الطويلة العنق وجعلها نصفاً لانها قد كادت تيأس من الولد فهي أشد لحزنها على ابنها وتفجعها عليه -والقور- جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل وأراد أن يقول كما تلفعت القور بالعساقيل فلم يمكنه فقلب •• ومثله

وكأَنَّما رَفعتْ يداً نوّاحةٌ شمْطاء قامتْ غيرَ ذاتِ خِمار

وانما خص الشمطاء لما ذكرناه من اليأس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم

ولاَ شمْطاء لمْ يَترُكْ شقاها لها منْ تِسعْةٍ إلاَّ جنينا

وقد قيل في بيت عمرو بانه شبه الناقة بشمطاء لما على رأسها من اللغام •• ومثل ما تقدم من المعاني قول الشاعر

يالَيتَ شعْري والمُنَى لاَ تنفعُ هلْ أغدُون يوماً وأمري مُجْمعُ

وتحت رَحلى زفيانٌ ميلعُ كأنَّها نائحةٌ تفَجّعُ

تبْكي لِميْتٍ وسِواها المُوجَعُ

-الزفيان- الناقة الخفيفة -والميلع- السريعة •• وشبه رجع يديها فى السير ونشاطها بيدي نائحة تنوح لقوم على ميتهم بأجرة فهي تزيد فى الاشارة بيديها ليرى مكانها •• ومثله بعينه قول ذي الرمة

مجَانيقُ تُضْحي وهىَ عُوجٌ كأنَّها بجَوْبِ الفَلاَ مُستاجرَاتٌ نَوَائحُ

-المجانيق- اللواتى ضمرن بعد سمن وخص المستأجرات من النوائح للمعنى الذي ذكرناه •• وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى

كأنَّ أَوْبَ يدَيْها حين اعجَلَها أوْبُ المرَاحِ وقدْ نادَوْا بِترْحالِ

مَقطُ الكُرين على منكُوسةٍ زَلِقٍ في ظَهرِ حنَّانةِ النّيرَيْن مِغْوَالِ

معنى ـ أوب ذراعيها ـ أي رجعهما ـ وأوب المراح ـ اذا راح القوم عازب أموالهم ليرحلوا ٠٠ وقد روى أوب المراح بالكسر ومعناه رجع المراح ـ والنشاط ٠ والمقط ـ اللعب بالكرة ـ والكرين ـ جمع كرة ـ والمنكوسة ـ الأرض البراح التي لاشئ فيها ـ والزلق ـ المستوية من الأرض ـ والخنانة ـ الريح ـ والنيران ـ جانبا هذه الأرض ـ والغول ـ قيل انه من صفات الريح وقيل انه من صفات الأرض وان كان من صفات الريح فمعناها ان الريح تغول الأرض بأسرها أي يملأها واذا كان للأرض فالمعنى انها تغول من سلكها أي تهلكه ٠٠ وتلخيص معنى البيت انه شبه يدى ناقته بيدي ضارب بكرة في الأرض الواسعة فى يوم ريح عاصف وهذا من دقيق المعاني وحسن التشبيه والمبالغة ٠٠ ومثل بيتي الشماخ قول المسيب بن علس

مَرِحَتْ يداها للنَّجاء كأنَّما   تكرُو بِكفَّي مأقِطٍ في قاعِ [1]

---

(١) قوله ـ تكرو بكفي مأقط ـ الخ ٠٠ رواية المفضل

مرحت يداها للنجاء كأنما   تكروا بكفي لاعب في صاع

قال ابن الانباري ـ النجاء ـ السرعة يمد ويقصر ـ وتكرو ـ كأنما تلعب بالكرة يقال قد كري يكرو اذا ضرب بالكرة ـ والصاع ـ منهبط من الأرض له ما يحفه كهيئة الجفنة ٠٠ ويروى ـ بكفي مأقط في صاع ـ الصاع موضع تكنسه وتلعب فيه بالكرة ـ والمأقط ـ الذي يكرو بالكرة يضرب بها الأرض ترتفع اليه ٠٠ قال أحمد قوله فى صاع أراد بصاع وهو الصولجان الذى يلعب به الغلمان أراد بصاع صائع لانه يعطف للضرب به لتصاع الكرة به فكان الصولجان هو يصوعها ٠٠ وهذان البيتان من قصيدة مفضلية روى ان أبا جعفر المنصور مر بالمهدى ابنه وهو ينشد المفضل هذه القصيدة فلم يزل واقفاً من حيث لا يشعر به حتى استوفى سماعها ثم صار وأمر باحضارهما فحدث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب واستحسانه إياها وقال له لو عمدت الى أشعار الشعراء المقلين واخترت لفتاك لكل شاعر أجود ما قال لكان ذلك صواباً ففعل المفضل وعدد القصيدة ٢٦ بيتاً وأولها

أرحلت من سلمى بغير متاع   قبل العطاس ورعتها بوداع

عن غير مقلية وإن حبالها   ليست بأرمام ولا أقطاع

فعلَ السَّريعةِ بادَرَتْ جُدَّادَها قَبْلَ المَسَاء تَهُمُّ بالإسْرَاعِ

معنى ـ تكرو ـ أى كأنها لاعب بكرة ـ والسريعة ـ يعنى نساجة ـ والجداد ـ الغزل الضعيف [١] فأراد انها تسرع الضرب بالخف والنسج قبل المساء وما دامت تبصر فشبه يدى ناقته في تذرعها بيدى هذه النساجة •• وقال الأصمعي الجداد هدب الثوب فيعنى ان هذه النساجة قد قاربت الفراغ من الثوب وبلغت الي هدبه فهي تبادر لتفرغ منه قبل المساء •• وقريب منه قول الآخر

كأَنَّ أيْدِيهُنَّ بالقَاعِ الفَرِقْ أيْدِى جوَارٍ يَتعاطَيْنَ الوَرِقْ

فالفرق الخشن الذى فيه الحصى وشبه حذف مناسمها له بحذف جوار يلعبن بدراهم وخص الجواري لانهن أخف يدىً من النساء •• وقال آخرون الفرق ههنا المستوى من الأرض الواسع وانما خص بالوصف لان أيدى الابل اذا أسرعت فى المستوى فهو أحمد لها واذا أبطأت فى غيره فهو أجهد لها •• ومن أحسن ما قيل في الاسراع قول المرار بن سعيد

فتناوَلُوا شُعَبَ الرِّحالِ فقلَصَتْ سُودُ البُطُونُ كفضلة المتَنمِّسِ

اذ تستبيك باصلتيّ ناعم قامت لتفتله بغير قناع

ومهيً يرف كأنه إذ ذقته عانيّةٌ شجت بماء يراع

أو صوب سارية أدرّته الصبا ببزيل أزهر مدمج بسياع

فرأيت ان الحلم مجتنب الصبا فصحوت بعد تشوق ورواع

فتسلْ حاجتها اذا هي أعرضت بخميصة سُرح اليدين وَساع

صكاء ذعلبة اذا استدبرتها حرج اذا استقبلتها هلواع

وكأن قنطرة بموضع كورها ملساء بين غوامض الانساع

واذا تعاورت الحصى أخفافها دوّت نواديه بظهر القاع

(١) وقيل الجداد ما بقى من خيوط الثوب وقيل هي خيوط الثوب اذا قطعه

ذكر قوماً سفراً هبوا من رقدتهم الى رحالهم ليسروا ٠ ويعني بسود البطون الابل والمتمس الصائد الذى أخذ ناموساً وهو ما يستتر به ليختل الصيد فشبه المطايا في سرعتها بقطا قد صاد الصائد بعضها وأفلت بعضها فهن يطرن طيراناً شديداً ٠٠ ومثل هذا وان كان في وصف الخيل قول النابغة

كالطَّيرِ تنجُو من الشُّؤْبُوبِ ذي الرَدِ [1]

فاما قول مروان

يَهُزُّ مِراحُها بعدَ النُّحُولِ تليلها وقَذالها

فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السآمة والجهد ما مضى ٠٠ وأحسن من قول مروان وأشد فصاحة بالمعنى وإعراباً عنه قول الهذلي

وَمِنْ سَيْرِها العَنَقُ المُسْبَطِرُّ ... والعَجْرَ فِيَّةُ بعدَ الكَلالِ

وانما كان أحسن لانه صرح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يجرى هذا المجرى لأن النحول قد يكون عن جهد السفر والتعب ويكون عن غيره ٠٠ وأما قوله ــ كالقوس ساهمة أتتك ــ البيت فقد أكثرت العرب في وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسى ٠٠ وغيرها وقد أحسن كثير في قوله

نفى السَّيْرُ عنها كلَّ داءِ إقامة ... فهُنَّ رَذَايا بالطَّرِيقِ تَرَائكُ

وحُمِّلَتِ الحاجاتُ خوصاً كأنَّها ... وقد ضَمَرَتِ صُفْرُ القسيِّ العَوَاتكُ

وقال سلم بن عمرو الخاسر

وَكأنَّهنَّ من الكَلالِ أهِلَّةٌ ... أوْ مِثْلُهُنَّ عطائفُ الأقوَاسِ

قُودٌ طَوَاها ماطوَتْ من مَهْمَه ... نائى الصُّوَى وَمَنَاهِج أدْرَاسِ

---

(١) وصدر البيت * والخيل تمزع غرباً في أعنتها * وهو من قصيدته التى أولها

يا دار ميــة بالعلياء فالســند ... أقوت وطال عليها سالف الأبد

وقال أبو تمام يصف ناقة

أَتَيْنا القادِسيَّةَ وهيَ تَرْنُو إليَّ بعَيْنِ شَيطانٍ رَجيمِ
فما بلَغتْ بنا عُسفانَ حتَّى رَنَتْ بلحاظِ لُقمانَ الحكيمِ
وَبدَّلها السُّرَى بالجهلِ حِلماً وَقدَّ أديمَها قَدَّ الاديمِ
أذابَ سنامَها قَطعُ الفيافِي فَفلَّقَ جِلدَها نَضحُ الَمصيمِ
بدَتْ كالبَدرِ وَافا لَيلَ سَعْدٍ وآبَتْ مثلَ عُرجُونٍ قَديمِ

وقال البحترى

وَخدانُ القِلاصِ حَوْلاً إذا قا بَلْنَ حَوْلاً من أنجُمِ الأسحارِ
يَتَرقرقنَ كالسَّرابِ وقد خُضـ ـنَ غِماراً من السَّرابِ الجاري
كالقِسِيِّ المُعطَّفاتِ بلِ الأسـ ـهُمِ مَبرِيَّةً بلِ الأوتارِ

وله أيضاً

وَهيَ العِيسُ دَهرَها في ارتِحالٍ من حُلولٍ أو فُرقَةٍ من جَميعِ
رُبَّ مَرتٍ مرَّتْ تُجاذِبُ قُطرَيْـ ـهِ سَراباً كالمَنهَلِ المَشرُوعِ
وَسُرىً تَنتَحيهِ بالوَخدِ حتَّى يَصدَعَ اللَّيلُ عن بَياضِ الصَّديعِ
كالبُرَى في البُرَى ويُحسَبنَ أحيَـ ـاناً نُسوعاً مَجدُولةً في نُسُوعِ

مجلس آخر ٤٣

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) الآية.. فقال كيف أضاف الى نفسه اليد وهو ممن يتعالى عن الجوارح .. الجواب قلنا

في هذه الآية وجوهٌ ٠٠ أوّلها أن يكون قوله تعالى (لما خلقت بيدي) جارياً مجرى لما خلقت أنا وذلك مشهور في لغة العرب يقول أحدهم هذا ما كسبت يداك وما جرّت عليك يداك فاذا أرادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هـذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمشي قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك في الاثبات ولا يكون للفعل رجوع الى الجوارح في الحقيقة بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل ٠٠ وثانيها أن يكون معنى اليد ههنا النعمة ولا إشكال في ان أحد محتملات لفظة اليد النعمة ٠٠ فأما الوجه في تثنيتهما فقد قيل فيه ان المراد نعمة الدنيا ونعـمة الآخرة فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما خلقت لنعمتي وأراد بالباء اللام ٠٠ وثالثها أن يكون معـنى اليد ههنا القدرة وذلك أيضاً معروف من محتملات هذه اللفظة يقول القائل مالي بهذا الأمر من يد ولا يدان وما يجري مجرى ذلك والمعنى إنّي لا أقدر عليه ولا أطيقه وليس المراد بذلك اثبات قدرة على الحقيقة بل اثبات كون القادر قادراً ونفي كونه قادراً فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما خلقت وأنا قادرٌ على خلقه فعبر عن كونه قادراً بلفظ اليد الذي هو عبارة عن القـدرة وكل ذلك واضح في تأويل الآية ونعود الى ما كنا ابتدأنا به من الكلام على شعر مروان ٠٠ فمن قصيدته التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليه مما يختار قوله

أَحيا أَميرُ المؤْمنينَ مُحَمَّدٌ ... سُنَنَ النَّبي حرَامَها وَحلاَلَها

مَلِكٌ تفرَّعَ نَبعةً منْ هاشمٍ ... مدَّ الإِلهُ على الأَنامِ ظِلاَلَها

جبَلٌ لأُمَّتهِ تلُوذُ برُكنهِ ... رَادَى جِبالَ عدُوّها فازَالَها

لمْ يَغشَها ممَّا يخَافُ عظيمةٌ ... الاَّ أجالَ لها الامُورَ مجالَها

حتَّى يُفرِّجها أغرُّ مُهذَّبٌ ... ألفى أباهُ مُفرِّجاً أمثالَها

ثبتٌ على زَلَلِ الحوادِثِ راكبٌ ... من صَرفهِنَّ لكُلِّ حالٍ حالَها

كلتا يديكَ جعلتَ فضلَ نوالها ... للمُسلمينَ وللعدُوِّ وبالَها

وقمَتْ موَاقِعها بعفوكَ أنفُسٌ ... أذهبتَ بعدَ مخافةٍ أوجالَها

أمِنَتْ غيرَ معاقِبٍ طُرّادَها ... وفككتَ عن أسرائها أغلالَها

ونصبتَ نفسكَ خيرَ نفسٍ دونَها ... وجعلتَ مالكَ واقياً أموالَها

أما قوله

أحيا أمير المؤمنين محمد ... سنن النبي حرامها وحلالها

فقد طعن عليه وعابه من لا معرفة له بنقد الشعر فقال كيف يكون في سنن النبي عليه الصلاة والسلام حرام وما ذلك بعيب وانما أراد بقوله حرامها وحلالها التحريم والتحليل ومن سنن النبي عليه الصلاة والسلام تحريم الحرام وتحليل الحلال ٠٠ وانما المعيب من هذا المعنى قول ابن الرقاع العاملي

ولقد أرادَ اللهُ إذ ولاّكها ... من أمّةٍ إصلاحَها وفسادَها[1]

ومثل قول مروان قول سلم الخاسر * ولما وليت ذكرت النبي بتحليله وتحريمه * فأما قوله حتى يفرجها أغر مهذب البيت فكثير جداً للمتقدمين والمحدثين والأصل فيه قول زهير

وما كانَ من خيرٍ أتوه فإنّما ... توارثَهُ آباءُ آبائِهم قبلُ

وهل يُنبِتُ الخطّيَّ إلاّ وشيجُهُ ... وتُغرَسُ إلاّ في منابتِها النّخلُ

ومثله قول الآخر

وَحمزَةُ وَالعبّاسُ مِنهمْ وَمِنهمُ ... عقيلٌ وَماءُ العُودِ من حيثُ يُعصَرُ

ومثله للربيع بن أبي الحقيق اليهودي

إذا ماتَ منّا سيّدٌ قامَ بعدَهُ ... لهُ خلفٌ يكفي السّيادةَ بارِعُ

(١) البيت من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك ٠٠ ومطلعها

عرف الديار توهماً فاعتادها ... من بعد ماشمل البلى أبلادها

إلاّ رواسيَ كلهنّ قد اصطلى ... حمراء أشعل أهلها إيقادها

كانت رواحل للقدور فعريت ... منهنّ واستلب الزمان رمادها

مِنْ أَبْنائِهِ والعِرقُ يَنظُرُ فَرْعهُ ... على أصلِهِ والعِرقُ للعِرقِ نازِعُ

ومثله له

تَرجُو الغُلامَ وقدْ أعياكَ وَالدُهُ ... وَفي أرُومتِهِ ماينبُتُ العُودُ

وأخذ هذا المعنى وبعض هذا اللفظ الكميت فقال

تجرِي أصاغِرُهمْ مَجرَى أكابرِهِمْ ... وَفي أرُومَتِهِ ماينبُتُ الشَّجَرُ

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات

يَخلُفُكَ البيضُ منْ بَنيكَ كَما ... يُخْلَفُ عُودُ النُّضارِ في شُعَبِهْ

ومثله قول نهشل بن جرى

أرَى كُلَّ عُودٍ نابتاً في أُرومةٍ ... أبَى مَنبتُ العِيدَانِ أنْ يتغيَّرَا

بَنُوا الصَّالِحينَ الصَّالِحُونَ ومنْ يكُنْ ... لِوَالدِ سُوءٍ يلْقَهُ حيثُ سيَّرَا [1]

ومثله لمسلم بن الوليد الأنصارى

ألحَّ على الأيَّامِ يَفرِي خُطُوبَها ... على مَنهَجٍ ألفَى أباهُ بهِ قَبلُ

ولبشار

على أعْرَاقِها تجرِي الجيادُ

وللبحترى

---

(١) هذا البيت الثانى من جملة ثلاثة أبيات في الحماسة منسوبة الي جيل بن عبد الله بن معمر وقبله

أبوكَ حُبابٌ سارقُ الضيفِ بردهُ ... وجدّي ياحجاجُ فارسُ شمّرا

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن ... لوالد صدقٍ يلقهُ حيث سيرا

فان تغضبوا من قسمة الله حظكم ... فلله إذ لم يرضكم كان أبصرا

وَمابِيَ من خيرٍ وَشرٍّ فإنّها سجيّةُ آبائي وَفعلُ جدُودي
همُ القومُ فرعِي منهمُ متفرّعٌ وعودُهمُ عِندَ الحوادِثِ عُودِي

وللبحتري أيضا

واذا أبو الفضلِ استعارَ سجيّةً للمكرُماتِ فمنْ أبي يعقُوبِ
شَرفٌ تتابعَ كابرًا عنْ كابرٍ كالرُّمحِ أنبُوبٌ على أنبُوبِ
وَأرى النّجابةَ لا يكُونُ تمامُها لِنَجيبِ قومٍ ليسَ بابنِ نجيبِ

وله أيضاً

ماسمَوْا يخلفُونَ غيرَ أبيهمْ كلُّ ساعٍ منا يُريدُ نصابَهْ

•• وله

وَماتابِعٌ في المجدِنهجَ عدُوّهِ كَمُتّبِعٍ في المجدِ نَهجَ أبيهِ

وفى هذه القصيدة يقول مروان

هلْ تعلمونَ خليفةً منْ قبلهِ أجرَى لِغايتهِ التيأجرَى لها
طلَعَ الدُّرُوبَ مشمّرًاعنْ ساقهِ بالخيلِ منْصلتاً يجدُّ نِعالَها
قودٌ تريعُ إلى أغرَّ لِوَجههِ نورٌ يضيءُ أمامَها وَخِلالَها
قصُرَتْ حمائلُهُ عليهِ فقلّصتْ ولقدْ تحفّظَ قينُها فأطالَها
حتّى اذا وَرَدَتْ أوائلُ خيلِهِ جيْحانَ بثَّ على العدُوِّ رعالَها
أحمَى بلادَ المُسلمينَ عليهمُ وأباحَ سهْلَ بلادِهمْ وَجبالَها
أدمَتْدوابرَ خيلِهِوشكيمَها غاراتُهُنَّ وَالحقتْ آطالَها
لمْ يبقَ بعدَ مقادِها وطِرادِها الاَّ نحائزَها وإلاَّ آلَها

رَفعَ الخليفةُ ناظرِي وأراشَني بيَدٍ مُبارَكةٍ شَكَرْتُ نوالَها

وَحسِدتُ حتى قيلَ أصبحَ باغياً في المَشيِ مُتْرَفَ شيمةٍ مُختالَها

ولقدْ حذَوتُ لمنْ أطاعَ ومنْ عصَى نَعْلاً ورِثْتَ عنَ النبيِّ مِثالَها

أما قوله — قصرت حمائله — البيت .. فالأصل فيه قول عنترة

بَطَلٌ كأنَّ ثيابَهُ في سَرْحةٍ يُحْذي نِعالَ السِّبْتِ ليسَ بتوأمِ

أو قول الأعشى

إلى ماجدٍ كهلالِ السَّما ءِ أزكى وفاءً ومَجداً وخيرا

طويلِ النِّجادِ رَفيعِ العِما دِ يَحمي المُضافَ ويُغْني الفقيرا

ومثله

طويلُ نِجادِ السيْفِ عارٍ جَبينُهُ كَنَصْلِ اليماني أخلصَتْهُ صياقِلُهْ

إذا همَّ بالمعروفِ لمْ تجرِ طيرُهُ نُحوساً ولمْ تَسْبِقْ نَداهُ عواذِلُهْ

ومثله قول طريح بن اسمعيل الثقفي

وأشعثَ طلاَّعِ الثنايا مبارَكٍ يَطولُ نِجادَ السيفِ وهو طويلُ

ولأبي جويرية العبدي

يمُدُّ نِجادَ السيفِ حتَّى كأنَّهُ بأعلى سَناميْ فالِجٍ يتطوَّحُ

إذا اعتَمَّ في البُرْدِ اليمانيِّ خِلْتَهُ هلالاً بدا في جانبِ الأفقِ يلمَحُ

ولأبي عطاء السندي

وأزهرَ منْ بني عمرِو بنِ عمرٍو حمائلُهُ وإنْ طالتْ قِصارُ

ولبعضهم في آل المهلب

رأيتُكُمُ أعزَّ الناسِ جاراً وامنَعَهُمْ إذا عُدُّوا ذِمارا

حَمائِلُكُمْ وإنْ كانَتْ طِوالاً ‏ ‏ ‏ تَرَاها عنْ شَمائِلكُمْ قِصارَا

ولبعض بني العنبر في معنى الطول

فَجاءَتْ بهِ عَبْلَ العظامِ كأَنَّما ‏ ‏ ‏ عِمامتُهُ بينَ الرّحالِ لِوَاءُ (١)

ولآخر

أشمُّ طَوِيلُ السَّاعِدَينِ كأنَّما ‏ ‏ ‏ تُناطُ الى جِذْعِ طَوِيلٍ حَمائلُهْ

ولابن هرمة

تُناطُ حَمائلُ الهِنْدِيّ منهُ ‏ ‏ ‏ بِعاتِقٍ لاَ أَلَفَّ وَلاَ ضَئِيلِ

وَلَكِنْ يستَقِلُّ بهِ قُوَاهُ ‏ ‏ ‏ على ماضٍ بِقَائِمهِ ثَقِيلِ

ولسلم الخاسر

يقُومُ معَ الرُّمْحِ الرُّدِينيّ قائما ‏ ‏ ‏ وَيقصُرُ عنهُ طُولُ كُلِّ نِجادِ

وللخثعمي

يُوَازِي الرُّدَينِيَّ في طُولِهِ ‏ ‏ ‏ وَيَقصُرُ عنهُ نِجادُ الحُسامِ

وللوالبي

طَوْلٌ وَطُولٌ فتَرَى كَفَّهُ ‏ ‏ ‏ ينَهَلُّ بالطَّوْلِ انْهِلاَلَ الغَمامِ

وطُولهُ يَغتالُ يومَ الوَغى ‏ ‏ ‏ وغيرِهِ فَضْلَ نِجادِ الحُسامِ

فأما قوله ــ ولقد حذوت لمن أطاع ــ البيت .. فقد ردد معناه مروان في مواضع من شعره فقال

---

(١) وقبله

فلا تعذلي في حندج ان حندجاً ‏ ‏ ‏ وليث عفرّين لدي سواء

حييت عن العُهّار أطهار أمه ‏ ‏ ‏ وبعض الرجال المدعين جفاء

شبيهُ أبيهِ منظرًا وخليقةً ... كما حُذِيَتْ يومًا على أختها النَّعلُ

وقال فى موضع آخر

احيا لنا سنن النبى محمدٍ ... قدّ الشراكِ به قرنتَ شراكا

وقال أيضاً

صحيحُ الضميرِ سِرُّهُ مثلُ جهرِهِ ... قياسُ الشراكِ بالشراكِ تقابلُهْ

وقال أيضاً

تشابهتما حلماً وعدلاً ونائلاً ... وحزماً إذا أمرٌ أقامَ وأقعدا

تنازعتما نفسينِ هذى كهذهِ ... على أصلِ عرقٍ كانَ أفخرَ متلدا

كما قاسَ نعلاً حضرميٌّ فقدَّها ... على أختِها لمْ يألُ أنْ يتجرَّدا

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

تنازعَ الأحمدانِ الشبهَ فاتفقا ... خلْقاً وخلقاً كما قُدَّ الشراكانِ

والأصل فى هذا قول ابن أبى ربيعة

فلما تواقفنا اعترفتُ الذى بها ... كمثلِ الذى بى حذوكَ النعلَ بالنعلِ (١)

---

(١) البيت من قصيدة مطلعها

جرى ناصح بالود بينى وبينها ... فقربنى يوم الحصاب الى قتلى

فماأنس ملأشياء لا أنس موقفى ... وموقفها يوماً بقارعة النخل

فلما تواقفنا اعترفت الذى بها ... كمثل الذى بى حذوك النعل بالنعل

روى ان ابن أبى ربيعة اجتمع هو وجميل بالأبطح فأنشده جميل لاميته التى أولها

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلى ... بثينـة أو أبدت لنا جانب البخل

فأنشـده عمر لاميته فقال جميل هيهات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هـذا سجيس الليالى وما خاطب النساء مخاطبتك أحد وقام مشمراً

ومثله للسيد الحميري رحمه الله تعالى

يَتْلُونَ أَخلاَقَ النَّبِيِّ وَفِعلَهُ ... فالنَّعلُ تُشْبِهُ في المِثَالِ طِرَاقَها

وقد تقدم الى هذا المعنى يزيد بن الكسر بن ثعلبة بن سيّار العجلى بقوله في يوم ذي قار يحرض قومه على القتال

مَن فرَّ منكُمْ فرَّ عن حريمِهِ ... وَجارِهِ وفرَّ عنْ نَديمِهِ

أنا ابنُ سيَّارٍ على شكيمِهِ ... مِثلَ الشِّراكِ قُدَّ من أديمِهِ

* وكُلُّهُمْ يجري على قَديمِهِ *

فأما قوله * وحسدت حتى قيل أصبح باغياً * البيت فى معناه قول البحترى

أَلنتَ لِى الأَيامَ منْ بعدِ قَسوَةٍ ... وعاتبْتَ لى دَهرِيَ المُسيءَ فاعتَبا

والبَستَنى النُّعمى الَّتِى غيَّرَتْ أخي ... عليَّ فأمسَى نازِحَ الوُدِّ أجنَبا

ومما يختار لمروان قوله

موفَّقٌ لسبيلِ الرُّشدِ متَّبِعٌ ... يَزِينُهُ كلُّ ما يأتى ويَجتَنِبُ

تَسمُو العيونُ إليهِ كلماانفرجتْ ... للناسِ عن وجهِهِ الأَبوابُ والحُجُبُ

لهُ خلاَئقُ بيضٌ لاَ يُغيِّرُها ... صَرفُ الزَّمانِ كما لاَ يَصدَأُ الذَّهَبُ

ووجدت بعض من ينقد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يتمثل به غير هذا البيت الأخير من الثلاثة .. وكأن ابن مناذر إياه أراد بقوله وقد سأل وهو مجاور بمكة عمن ببغداد من الشعراء فقيل له العباس بن الأحنف فقال أنشدوني له فأنشدوه

لو كُنتِ عاتبةً لسكَّنَ عَبرَتى ... أَملِى رِضاكِ وَزُرتُ غيرَ مُرَاقِبِ

لكنْ صدَدْتِ فلم تكنْ لى حيلةٌ ... صدُّ الملولِ خلافُ صدِّ العاتِبِ

فقال ابن مناذر أخلق بمن أدام بحث التراب أن يصيب خرزة .. [قال الشريف

المرتضي] رضى الله عنه ولا شك فى قلة الأمثال فى شعر مروان ولكن ليس الى هذا الحد وهذا المعنى الذى قد تضمنه البيت قد سبق اليه أيضاً .. قال طريح بن اسماعيل

جَوَادٌ اذا جِئْتَهُ رَاجِياً كَفَاكَ السُّؤالَ وانْ عُذْتَ عادَا
خلاَ ئقهُ كَسَبِيكِ النُّضا رِ لاَ يَعْمَلُ الدَّهرُ فيهِ فَسادَا

ومثله قول الخزرجي

رأيتُكَ يازَيْدُ زَيْدَ النَّدى وَزَيْدَ الفَخَارِ وَزَيْدَ الكَرَمْ
تَزِيدُ على نائباتِ الخُطُو بِ بذلاً وفي سابغاتِ النِّعَمْ
كَذَا الخمرُ والذَّهبُ المَعْدِنِيُّ يجُوَّدُ هذا وذاكَ القِدَمْ

وفى قوله ــ الذهب المعدني ــ فائدة لانه اذا خلص الذهب وصفا لم يفسد واذا امتزج بغيره لم يكن هذا حكمه .. وللأموي

تأوى إلى خُلُق لمْ يَصْدِهِ طَبَعٌ كأنْ جوهرَهُ منْ جوهرِ الذَّهبِ

ولبعضهم

ملكٌ لهُ خُلُقٌ خليقٌ بالعلى كَسَبِيكَةِ الذَّهَبِ التي لاَ تَكلفُ

وقد أخذ الجزارزى هذا المعنى فى قوله

فلاَ تعنَّ لتحريفٍ تُكَلِّمُهُ لِصُورَةِ حُسْنُها الأَصليُّ يكفيها
إنَّ الدَّنانيرَ لاَ تُجْلَى وإنْ عَتُقَتْ وَلا تُزادُ على الحُسْنِ الّذِي فيها

وللجحظة

صديقٌ لي لهُ أدبُ صَداقَةُ مثلِهِ حَسَبُ
رعى لي فوقَ مايُرْعى وأوجبَ فوقَ مايَجِبُ
وَلوْ نُقِدَتْ خلاَ ئقُهُ لَبَهْرَجَ عندَها الذَّهبُ

مجلس آخر ٤٤

[تأويل آية] . . إن سأل سائل عن قوله تعالى (نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك وإذ هم نجوي) الآية . . فقال لم وحّد نجوى وهو خبر عن جمع وما معنى مسحوراً وما جرت عادة مشركى العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك بل عادتهم جارية بقرفه بانه ساحر . . الجواب أما قوله تعالى (وإذ هم نجوى) فان نجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو مقر على لفظه ويجري ذلك مجرى قولهم الرجال صوم والمناهل حمد يعني بصوم صائمون وبحمد محمودون . . وقد قال قوم ان معناه وإذ هم أصحاب نجوى فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ويقال القوم نجي والقوم أنجية فمن وحّد نجي على مذهب المصدر ومن جمع جعله منقولا عن المصادر ملحقاً برغيف وأرغفة وما أشبه ذلك . . قال الشاعر في التوحيد

أتاني نَجِيِّي بعدَ هَدْءٍ ورَقْدَةٍ وَلمْ أكُ فِيما قدْ بلَوْتُ بِكَاذِبِ[1]

---

(١) قوله — أتاني نجيي — الخ . . هو لسواد بن قارب الدوسي رضى الله عنه وقيل انه سدوسي وهو صحابي وبعده

ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب

فرفّعت أذيال الازار وشمرت بي العرمس الوجناء هول السباسب

فأشهد أن الله لا رب غيره وانك مأمون على كل غائب

وانك أدنى المرسلين وسيلة الى الله يابن الأكرمين الأطايب

فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا وان كان فيما جئت شيب الذوائب

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو قرابة بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

روى ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له وهو خليفة كيف كهانتك اليوم فغضب سواد وقال يا أمير المؤمنين ما قالها لي أحد قبلك فاستحيي عمر ثم قال له يا سواد ما كنا عليه من الشرك أعظم من كهانتك ثم سأله عن حديثه في بدء الاسلام وما أتاه

وأنشد الفرّاء فى الجمع

ظلّتْ نِساؤهُمْ والقَوْمُ انجِيَةٌ — يُعْدَى عليْها كما يُعْدَى على الغَنَمِ

فأما قوله تعالى (إن تتبعون إلاّ رجلا مسحوراً) ففيه وجوه .. أوّلها أن يكون المراد ان تتبعون إلاّ رجلا متغير العقل لأن المشركين كان من مذهبهم عيب النبى صلى الله عليه وسلم وتضعيف أمره وتوهين رأيه وكانوا فى وقت ينسبونه الى أنه ساحر وفي آخر يرمونه بالجنون وانه مسحور متغير العقل وربما قذفوه بانه شاعر حوشى من ذلك كله وقد جرت عادة الناس بان يصفوا من يضيفونه الى البله والغفلة وقلة التحصيل بانه مسحور .. وثانيها أن يريدوا بالمسحور المخدوع والمعلل لان ذلك أحد ما يستعمل فيه هذه اللفظة .. قال امرؤ القيس

أرانا مُوضِعِينَ لِحَتْمِ غَيْبٍ — ونُسْحَرُ بالطعامِ وبالشَّرابِ (١)

به رئيه من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره انه أتاه رئيه ثلاث ليال متواليات وهو فيها كلها بين النائم واليقظان فقال له قم ياسواد فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله والى عبادته وأنشد فى كل ليلة من الثلاث ليال ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة أولها

عجبت للجن وتطلابها — وشدها العيس بأقتابها

تهوي الى مكة تبغى الهدى — ما صادقُ الجن ككذابها

فارحل الى الصفوة من هاشم — ليس قُدَاماها كأذنابها

وذكر تمام الخبر وانه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشده الأبيات السابقة

(١) وبعده

عصافيرٌ وذبان ودود — وأجرأ من مجلحة الذئاب

ويروى وأجر .. وبعده

وكل مكارم الأخلاق صارت — اليه همتى وبه اكتسابى

فبعض اللوم عاذلتى فانى — ستكفيني التجارب وانتسابي

وقال أمية بن أبي الصلت

فإنْ تَسأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فإنَّنا عَصافِيرُ من هذا الأَنامِ المُسَحَّرِ

.. وثالثها ان السحر في اللغة العربية الرئة وما تعلق بها وفيه ثلاث لغات سَحَرٌ وسِحْر وسُحرٌ .. وقيل ان السحر ما لصق بالحلقوم والمرئ من أعلا الجوف وقيل انه الكبد فكان المعنى على هذا إن يتبعون إلاّ رجلا مسحوراً ذا سحر خلقه الله بشراً كخلقتكم .. ورابعها أن يكون معنى مسحوراً أى ساحراً وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل قال الله تعالى (واذا قرأت القـرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) أى ساتراً والعرب تقول للمسر ملقح(١) ومعناه مُلقح لان ماضيه ألقح فجاؤا بلفظ المفعول وهو للفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشؤمٌ على فلان وميمون ويريدون شائم ويامن لانه من شامهم ويمنهم .. [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه ورأيت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الأخير ويقول العرب لاتعرف فلان مشؤم على فلان وانما هذا من كلام أهل الأمصار وانما تسمي العرب من لحقه الشؤم مشؤماً .. قال علقمة بن عبدة

ومنْ تعرَّضَ للغربانِ يزجرُها على سلامَتهِ لاَ بُدَّ مَشؤمُ(٢)

الى عرق الثرى وشجت عروقى وهذا الموت يسلبنى شبابي

الى آخر الأبيات

(١) قوله ملقحٌ هكذا في الاصل ووردت كذلك فى بعض الكتب .. والصحيح ملفج بالفاء والجيم وهو من الأوصاف التى وردت على أفعل فهو مفعل أي استغنى بصيغة اسم المفعول فيها عن اسم الفاعل وهي الفج الرجل فهو ملفج أى ذهب ماله وأسهب فهو مسهب أى كثر كلامه وأحصن فهو محصن وأهتر فهو مهتر وزاد بعضهم اجرأشت الابل فهى مجرأشة

(٢) قال الضبي هذا لايمانه بالطيرة يقول من يزجر الطير وان سلم فلا بد أن يصيبه شؤم وأشد

والوجوه الثلاثة الأول أوضح وأشـبه .. ومما يختار لمروان بن أبي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني أولها

أَرَى القَلْبَ أَمسَى بالأَوانِسِ مُولَعا ... وَإِنْ كانَ مِنْ عهدِ الصِّبى قَدْ تَمَتَّعا

يقول فيها

ولمَّا سَرَى الهَمُّ الغريبُ قَرَيتُهُ ... قِرى مَنْ أَزالَ الشكَّ عنهُ وأَزمعا

عزَمتُ فعجَّلتُ الرَّحيلَ ولمْ أكُنْ ... كَذِي لَوْثَةٍ لا يُطلِعُ الهمَّ مَطلعا

فأَمَّتْ رِكابِي أرضَ معْنٍ ولمْ تزلْ ... إِلى أرضِ معْنٍ حيثُ ما كانَ نُزَّعا

نجائبُ لولا أنَّها سخرتْ لنا ... أَبتْ عزةً منْ جهلِها أنْ تورَّعا

كسَوْنا رحالَ الميسِ منها غواربا ... تدارَكَ فيها النيُّ صيفًا ومَربَعا

فما بلغتْ صنعاءَ حتي تواضعتْ ... ذُراها وزالَ الجهلُ عنها وأقلعا

يقول فيها

وما الغيثُ إذ عمَّ البلادَ بصوبِهِ ... على الناسِ من معروفِ معنٍ بأوسعا

تداركَ معنٌ قبَّةَ الدِّينِ بعدما ... خشينا على أوتادِها أنْ تُنزَّعا

أقامَ على الثغرِ المخوفِ وهاشمٌ ... تساقى سِماما بالأسنَّةِ مُنقَعا

إمام كان لقمان بن عاد ... أشار له بحكمته مشير

تعلم انه لا طير إلا ... على متطير وهو الثبور

بلى شئ يوافق بعض شئ ... أحايينا وباطله كثير

قال الرستمي يقول الغربان يتشاءم بها فمن تعرض لها يزجرها ويطردها خوفاً أن يصيبه الشؤم فلا بد أن يقع بما خاف ويحذر وبيت علقمة من قصيدته المشهورة التى مطلعها

هل ماعلمت وما استودعت مكتوم ... أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

مُقامَ امرِىءٍ يأبَى سِوَى الخُطَّةِ التى تـكُونُ لدَى غِبِّ الأَحادِيثِ أنفَعا

وَما أحجَمَ الأَعداءُ عنكَ بَقِيَّةً عليكَ ولـكن لم يرَوْا فيكَ مَطمَعا

رأوا مُخدِرًا قد جرَّبُوهُ وعايَنُوا لدَى غِيلهِ مِنهُمْ مُجَرًّا وَمَصرَعا

وليسَ بِثانِيهِ إذَا شَدَّ أن يرَى لدَى نحرِهِ زُرقَ الأَسنَّةِ شُرَّعا

لهُ رَاحتَانِ الحَتفُ والغَيثُ فِيهِما أبَى اللهُ إلاَّ إن تَضُرَّ وتَنفَعا

لقدْ دَوَّخَ الأَعداءَ مِمَّنْ فاصبَحُوا وامنَعهُمْ لاَ يَدفَعُ الذلَّ مَدفَعا

نجيبُ مناجيبٍ وَسيِّدُ سادَةٍ ذُرَى المَجدِ مِنْ فرعَي نِزارٍ تفرَّعا

لبانَتْ خِصالُ الخيرِ فيهِ وأُكمِلتْ وما كَمَلَتْ خَمسٌ سِنُوهُ وأرْبَعا

لقدْ أصبحتْ في كلِّ شرقٍ ومغربٍ بسيفكَ أعناقُ المُريبينَ خُضَّعا

وطئتَ خُدُودَ الحضرَميِّينَ وطأةً لها هُدَّ رُكنٌ مِنهُمُ فتضعضَعا

فأقعَوا على الأذنابِ إقعاءَ معشَرٍ يرَوْنَ لُزُومَ السِّلْمِ أبقَى وأودَعا

فلَوْ مُدَّتِ الأَيدِي إلى الحربِ كُلُّها لـكَفُّوا وما مَدُّوا إلى الحربِ إصبَعا

أما قوله ـ فما بلغت صنعاء حتى تواضعت ـ البيت .. فقد ردده في موضع آخر فقال

فَما بلغتْ حتَّى حَمَاها كَلاَلُها إذَا عرِيتْ أصلاَبُها أنْ تُقَيَّدَا

وهذا كثير في الشعر القديم والمحدث .. فمنه قول جرير

إذَا بلغُوا المَنازِلَ لمْ تُقَيَّدْ وفِي طُولِ الـكَلاَلِ لها قُيُودُ

وروى انه قيل لنصيب لك بيت نازعك فيه جرير أيكما فيه أشعر فقال ماهو فقيل قولك

أضَرَّ بِها التَّهجِيرُ حتَّى كأنَّها بقايَا سِلاَلٍ لم يدَعْهَا سِلاَلُها

وأنشد بيت جرير الذي تقدم فقال قاتل الله ابن الخطفي فقيل له قد فضلته عليك فقال

هو ذاك .. وأخذ هذا المعنى بعينه المؤمل بن أميل المحاربي فقال

كانَتْ تُقَيَّدُ حِينَ تَنزِلُ منزِلاً ... فاليَوْمَ صارلَها الكَلالُ قُيُودَا

ولأبي نخيلة

قَيَّدَها الجَهْدُ ولم يُقَيَّدِ ... فَهِي سوَام كالقَنا المُسَنَّدِ

ومالَها مُعَلِّلٌ من مزوَدِ ... مِنها ولاَ منْ شاحطٍ مُسْتَبْعَدِ

ومعنى قوله ـ سوام ـ أي هي رافعة رؤسها وشبهها بالقنا لأن القنا اذا ركز مال قليلا مع الريح فيقول في أعناقها ميل من الضعف كما قال الشماخ

فأَضْحَتْ تَفالى بالسِّتَارِ كأَنَّها ... رِماحٌ نَحاهاوِجهَةَ الرِّيحِ راكِزُ

وكما قال حميد بن ثور الهلالي

بِمَثْوَى حَرامٍ والمطيُّ كأَنَّها ... قَنا مُسنَدٌ هبَّتْ لهُنَّ خَرِيقُ

ـ الخريق ـ ريح شديدة تخرق من كل جهة .. ومعنى قول أبي نخيلة ـ من مزود ـ أي من نميلة تجترها من الاجترار وانه لا شيء في أجوافها تعلل به ـ والمستبعد ـ ما بعد من المرعى .. وأنشد أبو العباس ثعلب

إِذا بلَغُوا المَنازِلَ لم تُقَيَّدْ ... وَلم تُشْدَدْ رَكائِبُهُمْ بِعقْلِ

فَهُنَّ مُقَيَّداتٌ مُطْلَقاتٌ ... تُقَضِّمُ ماتَشَذَّبُ في المَحَلِّ

والأصل في هذا قول امرئ القيس

مَطَوْتُ بِهِمْ حتَّي تَكِلَّ مَطِيُّهُمْ ... وَحتَّي الجِيادُ مايُقَدْنَ بأرْسانِ

ولعباد بن أنف الكلبي الصيداوى

فتُمْسِي لاَ أُقَيِّدُها بحبلٍ ... بِها طُولُ الضَّرارَةِ وَالكَلالِ

ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الابل

بَدَأْنا بِها منْ سِيفِ رمْلِ كُهَيْلَةٍ ... وَفيها نَشاطٌ من مِراحٍ وَعَجْرَفُ

فما بَلَغَتْ حتَّي تقارَبَ خَطْوُها ... وَبادَتْ ذُرَاها وَالمَنَاسِمُ رُعَّفُ

وحتَّي قَتَلنا الجَهْلَ عنها وَغُودِرَتْ ... إذَا ماأُنيختْ والمَدَامِعُ ذُرَّفُ

وحتَّي مشى الحادِي البَطِيُّ يسُوقها ... لَهَا بَخَصٌ دَامٍ ودِئيٌّ مُجَلَّفُ

ـالبخص ـ لحم الخف الذي [1] يطأ عليه ـ والدئى ـ فقار الظهر ـ والمجلف ـ المقشور

وَحتَّي تَغَشاها وَما فِي يَدٍ لَهَا ... اذَا حلَّ عَنْهَا رِمَّةٌ وَهيَ رُسَّفُ

ـالرمة ـ الحبل .. وأراد انها ترسف كما ترسف المقيد وان لم يكن فى يدها قيد

إذَاما نَزَلْنا قاتَلَتْ عنْ ظُهُورِها ... حرَاجِيجُ أَمْثَالُ الأَهِلَّةِ شُسَّفُ

ـالحراجيج ـ الطوال من الابل ـ والشسف ـ اليابسة من الجهد والكلال .. ومعنى قتالها للغربان انها اذا عريت ظهورها فتقع الغربان عليها لتأكل دبرها فالابل تدفع الغربان بأفواهها عن ظهورها فذلك قتالها

اذَا ماأَرَيْنَاها الأَزِمَّةَ أَقبلَتْ ... الينا بحرَّاتِ الخُدُودِ تَصدَّفُ

فأَفني مِرَاحُ الدَّاهِرِيَّةِ خَوْضُها ... بنَا اللَّيْلَ إِذْ نامَ الدَّثُورُ المُلَفَّفُ

ويروي أرقلت .. ومن أحسن ما قيل فى وصف الابل بالنحول من الكلال والجهد بعد السمن قول الشاعر

وَذَاتِ مائِيْنِ قدْ غَيَّضتُ جِمَّتَها ... بحيثُ يُستَمْسَكُ الأَرْوَاحُ بالحجَرِ

رَدَّتْ عَوَارِيَ غيطانِ الفَلاَ وَنَحتْ ... بمثلِ إِبِالةٍ منْ حائلِ العُشَرِ

قوله ـ ذات مائين ـ يعنى سمناً على سمن وقيل بل عنى أنها رعت كلأ عامين .. وقوله

---

[1] وقيل البخص ما ولى الأرض من تحت أصابع الرجلين وتحت مناسم البعير والنعام وقيل هو لحم يخالطه بياض من فساد يحل فيه والدئى بكسر الدال والهمزة جمع دأية وهى فقر الكاهل والظهر أو غراضيف الصدر أو ضلوعه فى ملتقاه وملتقى الجنب

ـ قد غيضت جمّها ـ يعني انه أتعبها بالسير حتى ردها هزلى بعد سمن فكأنه غيض بذلك ماءها ٠٠ ومعنى ـ بحيث يستمسك الأرواح بالحجر ـ يعني الفلاة حيث لا يكون فيها الماء فيقتسم الركب الماء الذى يكون معهم بالحجر الذي يقال له المقلة فتمسك أرماقهم ٠٠ وقوله ـ ردت عواري غيطان الفلا ـ أى مارعت من كلأ هذه الأماكن وسمنت عنه كان كعارية عندها فردته حيث جهدها السير وأهزلها ـ والإبالة ـ الحزمة من الحطب اليابس ٠٠ وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال

رَعَتْهُ الفيَافِي بعْدَ أنْ كانَ حِقْبَةً ... رَعاهَا وماءُ المُزْنِ يَنْهَلُّ ساكِبُهْ[1]

فكَمْ جزْعِ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةَ غارِبٍ ... وَمِنْ قبلُ كانتْ أنهكَتْهُ مَذاهِبُهْ

فأما قوله ـ فما أحجم الأعداء عنك بقية ـ البيت فمأخوذ من قول الأول

فما بُقْيا عليَّ تَرَكْتُمَانِي ... ولكنْ خِفْتُما صَرَدَ النِّبالِ[2]

---

(١) هذان البيتان من قصيدته المشهورة التي مدح بها عبد الله بن طاهر لما قدم خراسان حتى انه لما أنشده إياها وبلغ الى قوله

وقلقل نأي من خراسان جأشها ... فقلت اطمأني انضر الروض عازبه

وركب كأطراف الأسنة عرجوا ... على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره ... وليس عليهم أن تتم عواقبه

صاح الشعراء بالأمير ما يستحق هذا الشعر غير الأمير أعزه الله ٠٠ وقال شاعر منهم يعرف بالرياحي لي عند الأمير أعزه الله جائزة وعدني بها وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير فقال له بل نضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار فلقطها الغلمان ولم يمس منها شيئاً فوجد عليه عبد الله وقال يترفع عن برى ويتهاون بما أكرمته به فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك

(٢) قوله ـ فما بقيا على ـ الخ ٠٠ البُقيا بالضم الرحمة والشفقة ـ وصرد ـ السهم من باب فرح من الاضداد اذا نفذ واذا نكل فيكون المعنى على النفوذ انكما خفتما نفوذ سهامي فيكما أي هجائي وعلى معنى النكول أى خفتما أن لا تنفذ سهامكما فيّ فعجزتما عني وهو

وقريب منه قول الآخر

لَعَمْرُكَ ماالنَّاسُ اثنَوْا عليكَ ... وَلاَ قَرَّظُوكَ وَلاَ عَظَّمُوا

ولوْ أَنَّهمْ وَجدُوا مَطْمَناً ... إلى أنْ يَعيبُوكَ ماأَحْجَمُوا

فانتَ بِفَضلِكَ الجأْتَهُمْ ... إلى أن يُجِلُّوا وَأَنْ يُعْظِمُوا

ومثله

أَما لوْرَأَى فِيكَ العَدُوُّ نَقيصةً ... لخَبَّ بتَصْرِيفِ العُيُوبِ وَأوضَعا

وَلـكنهُ لما رَءاكَ مبرءاً ... مِنَ العيْبِ غطَّى رَأْسَهُ وَتَقَنَّعا

ومثله

قدْ طلَبَ العَاذِلُ عَيباً فما ... أصابَ عَيباً فانثَنى عاذِرَا

وللبحترى فى معنى قول مروان * فما أحجم الأعداء عنك بقية *

من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الأسد

غداةَ لقيتَ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ خادِرٌ ... يُحَـدِّدُ نابا باللِّقَـاءِ وَمِخلَبَا

شَهِدْتُ لقدْ أنصفتَهُ يومَ تَنبَرِى ... لهُ مُصْلِتاً عَضْباً منَ البيضِ مِقْضَبا

أول أبيات للعين المنقري يهجو بهما جريراً والفرزدق وبعده

فدونكما الظرا أهجوت أم لا ... فذوقا فى المواطن من نبالي

وما كان الفرزدق غـير قين ... لئيم خاله للؤم تالي

ويترك جده الخطفى جرير ... ويندب حاجباً وبني عقال

وكان اللعين تعرض لجرير والفرزدق فقال

سأقضى بين كلب بني كليب ... وبين القين قين بني عقال

بأن الكلب مرتعه وخيم ... وأن القين يعمل فى سفال

فلم يجبه أحد منهما فقال الأبيات المتقدمة

فلم أرَ ضرغامين أصدق منكما عراكاً إذا الهيابة النكس كذبا

هزبرٌ مشى يبغي هزبراً واغلبٌ من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا

أدلَّ بشغبٍ ثم هالته صولة رآك لها امضى جناناً وأشغبا

فاحجم لما لم يجد فيك مطمعاً واقدم لما لم يجد عنك مهربا

فلم يغنه أن كرَّ نحوك مقبلا ولم ينجه أن حاد عنك منكبا

حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

وكنت متى تجمع يمينك تهتك الـ ضريبة أولا تبق للسيف مضربا

ومن صافي كلام مروان ورائقه وما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسج قوله

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم أسودٌ لها في غيل خفان أشبلُ

همُ يمنعون الجار حتى كأنما لجارهمُ بين السماكين منزلُ

لها ميمُ في الإسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أولُ

همُ القومُ إن قالوا اصابوا وإن دُعوا اجابوا وإن اعطوا أطابوا وأجزلوا

وما يستطيعُ الفاعلون فعالهم وإن احسنوا في النائبات واجملوا

ثلاثٌ بأمثال الجبال حباهمُ وأحلامهم منها لدى الوزن اثقلُ

ومن جيد قوله في قصيدة يمدح بها معناً

ما من عدوٍّ يرى معناً بساحته إلاّ يظنُّ المنايا تسبقُ القدرا

يلقى اذا الخيلُ لم تقدم فوارسها كالليث يزداد إقداماً إذا زُجرا

أغرُّ يحسبُ يوم الروعِ ذا لبدٍ وزداً ويحسبُ فوق المنبر القمرا

وله من قصيدة يصف يوماً حاراً

وَيوم عَسُولِ الآلِ حامٍ كأَنما | لَظَى شَمْسِهِ مَشْبُوبُ نارٍ تَلَهَّبُ
نَصَبْنا لهُ منَّا الوُجُوهَ وَكَنَّها | عَصَائِبُ أَسْمَالٍ بِها يُتَعَصَّبُ

ويشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشنفري

وَيوم من الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعابُهُ | أَفاعِيهِ فِي رَمْضائِهِ تَتمَلْمَلُ (١)
نَصَبْتُ لهُ وجهي ولكنَّ دُونَهُ | وَلاستْرَ الاَّ الأَتْحَمِيُّ المُرَعْبَلُ (٢)

ولمروان من أبيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدي ويذكر فيها نخلها وشجرها أجاد فيها

نوَاضِرُ عليا قد تَدَانَتْ رُؤُسُها | منَ النَّبْتِ حتَّى ما يَطِيرُ غُرَابُها
تَرَى الباسِقاتِ العُمَّ فِيها كأَنَّها | ظَعائِنُ مَضْرُوبٌ عليْها قِبابُها
تَرَى بابَها سَهْلا لِكُلِّ مدفَّعٍ | اذَا أَيْنَعَتْ نَخْلٌ فأُغلِقَ بابُها
يكُونُ لَنا مانجْتَنِي من ثِمارِها | رَبيعا إِذَا الآفاقُ قَلَّ سَحَابُها

(١) البيتان من قصيدته المشهورة المسماة الشنفرية ولامية العرب ـ الشعرى ـ هي الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر ـ وذاب ـ الشيء نقيض جمد ـ ولعابه ـ ولوابه واحد .. ولعابه هنا ما تراه من شدة الحر مثل نسج العنكبوت ـ والأفاعي ـ جمع أفعى وهي الحية ـ والرمض ـ شدة وقع الشمس على الرمل وغيره والأرض رمضاء أي أصابها الرمض ـ والتململ ـ التحرك على الفراش اذا لم تستقر عليه من الوجع كأنه على ملة والملة الرماد الحار .. والواو في ويوم واو رب ومن لبيان الجنس والتقدير ويوم من الأيام التي تطلع فيها الشعرى ومن الشعرى صفة يوم ويذوب نعت ليوم أيضاً أي ذائب لعابه وأفاعيه مبتدا وتململ خبره وفي رمضائه متعلق بتتململ

(٢) ـ النصب ـ الاقامة تقول نصبت وجهي للحر أقمته ـ والكن ـ الستر والجمع أكنان ـ والأتحمي ـ برد معروف ـ والمرعبل ـ الممزق فقوله نصبت هو جواب رب

حَظَائِرُ لمْ يُخْلَطْ بأثمانها الرِّبي ... ولمْ يَكُ منْ أخذِ الدِّياتِ اكْتِسابُها

وَلكنْ عَطاءُ اللهِ منْ كُلِّ مِدْحةٍ ... جَزِيلٍ منَ المُسْتَخلفِينَ ثَوابُها

وَمنْ رَكْضِنا الْخَيْلِ فى كُلِّ غارَةٍ ... حَلاَلٌ بأرْضِ المُشْرِكِينَ نِهابُها

حَوَتْ غُنْمَها آباؤنَا وَجُدُودُنا ... بِصُمِّ العَوالِى وَالدِّماءُ خِضابُها

فأما قوله

حَظَائِرُ لم يُخْلَطْ بأَثمانِها الرِّبي ... وَلم يَكُ منْ أخذِ الدِّياتِ اكْتِسابُها

فكأن ابن المعتز نظر اليه فى قوله

لَنا إبِلٌ ما وَفَّرَتْها دِياتُنا ... وَلاَ ذَعَرَتْها فِي الصَّباحِ الصَّوائِحُ

وفى ضد هذا قول أبي تمام

كَثُرَتْ فِيهِمُ المَسارِحُ إلاَّ ... أنَّها منْ مَناكِحٍ وَدِياتِ

ومثل الأول قول حسان يهجو قوماً من قريش

وَمالُكُمُ لامنْ طِرَادِ فَوَارِسٍ ... ولكِنْ منَ التَّزْقيحِ ياشَرَّ مالِكِ

مجلس آخر ٤٥

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن معنى قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) .. وقوله تعالى (إنما نطعمكم لوجه الله) .. وقوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وما شاكل ذلك من آى القرآن المتضمنة لذكر الوجه .. الجواب قلنا الوجه ينقسم في اللغة العربية الى أقسام . فالوجه المعروف المركب فيه العينان من كل حيوان . والوجه أيضاً أول الشيء وصدره ومن ذلك قوله تعالى (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) أي

أوّل النهار •• ومنه قول الربيع بن زياد

مَنْ كانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مالِكٍ ... فَلْيأْتِ نِسْوَتَنا بِوَجْهِ نَهارِ

أي غداة كل يوم •• وقال قوم وجه نهار اسم موضع • والوجه القصد بالفعل من ذلك قوله تعالي (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله) •• وقال الفرزدق

وَاسْلَمْتُ وَجْهِي حِينَ شُدَّتْ رَكائِبِي ... إلِي آلِ مَرْوَانٍ بُنَاتِ الْمَكَارِمِ

أى جعلت قصدي وإرادتي لهم •• وأنشد الفراء

استَغْفِرُ اللهَ ذَنْبا لَسْتُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ العِبادِ اليهِ الْوَجهُ وَالعَمَلُ

أي القصد •• ومنه قولهم في الصلاة وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض أي قصدت قصدى بصلاتى وعملي وكذلك قوله تعالي (فأقم وجهك للدين القيم) • والوجه الاحتيال في الأمرين من قولهم كيف الوجه لهذا الأمر وما الوجه فيه أى ما الحيلة • والوجه الذهاب والجهة والناحية •• قال حمزة بن بيض الحنفى

أَيُّ الوُجُوهِ انتَجَعْتَ قُلْتُ لهُمْ ... لِأَيِّ وَجْهٍ إِلاَّ إلى الْحكَمِ

مَتَى يَقُلْ صاحِبا سُرَادِقِهِ ... هذَا ابْنُ بَيْضٍ بِالبَابِ يَبْتَسِمِ

• والوجه القدر والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عريض وفلان أوجه من فلان أى أعظم قدراً وجاهاً ويقال أوجهه السلطان اذا جعل له جاهاً •• قال امرؤ القيس

وَنادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ ... فأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ البَرِيدَا [1]

---

(١) وقبله

أأذكرتَ نفسك مالن يعودا ... فهاج التذكر قلباً عميدا

تذكرت هنداً وأترابها ... فأصبحت أزمعت منها صدودا

ونادمت قيصر في ملكه ... فأوجهنى وركبت البريدا

اذا ما ازدحمنا على سكة ... سبقت الفرانق سبقاً شديدا

يقال حمل فلان فلاناً على البريد اذا هيأ له في كل مرحلة مركوباً ليركبه فاذا وصل الى المرحلة الأُخري نزل عن المعي وركب المرفه وهكذا الى ان يصل الى مقصده • والوجه الرئيس المنظور اليه يقال فلان وجه القوم وهو وجه عشيرته ووجه الشئ نفسه وذاته •• قال أحمد بن جندل

وَنَحْنُ حَفَزْنا الحَوْفَزانَ بِطَعْنَةٍ   فافْلَتَ مِنْها وجْهُهُ عَتَدٌ نَهْدُ (١)

(١) هكذا بالاصل وفسرها بهامش النسخة أي ضخم •• وقوله قال أحمد بن جندل الخ المعروف ان البيت لسوار بن حبان المنقري قاله يوم جدود والرواية المشهورة

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة   سقته نجيعاً من دم الجوف أشكلا

وروى   ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة   تمج نجيعاً من دم الجوف أشكلا

وبعده   وحمران أدته الينا رماحنا   ينازع غلا في ذراعيه مقفلا

ونسب ابن قتيبة البيتين لجرير وسمي الحوفزان حوفزاناً لأن قيس بن عاصم التميمي حفزه •• قال الجوهري وأما قول من قال انما حفزه بسطام بن قيس فغلط لانه شيباني فكيف يفتخر به جرير وأما قول الآخر

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة   سقته نجيعاً من دم الجوف آنيا

فهو الأهتم بن سمي المنقري وأول الشعر

لما دعتني للسيادة منقر   لدى موطن أضحي له النجم باديا

شددت لها أزري وقدكنت قبلها   أشد لاحناء الأمور إزاريا

ولنعد الى حديث يوم جدود روى عن أبي عبيدة قال قيس بن عاصم هو الذى حفز الحوفزان بن شريك الشيباني طعنه في استه يوم جدود وكان من حديث ذلك اليوم ان الحارث بن شريك بن عمرو الصلب بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام كانت بينه وبين بني يربوع موادعة ثم هم بالغدر بهم فجمع بني شيبان وبني ذهل واللهازم وقيس بن ثعلبة وتيم الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بني يربوع فنذر به عتيبة بن الحارث ابن شهاب بن شريك فنادى في قومه بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريك على بني مقاعس واخوتهم بني ربيع فلم يجيبوهم فاستصرخوا بني منقر فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يوم شديد

أراد أهلته ونجاه ومنه قولهم انما أفعل ذلك لوجهك ٠ ويدل أيضاً على ان الوجه يعبر به عن الذات قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة) ٠٠ وقوله تعالى (وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية) لان جميع ما أضيف الى الوجوه في ظاهر الآى من النظر والظن والرضا لا يصح اضافته على الحقيقة اليها وانما يضاف الى الجملة فمعنى قوله تعالى (كل شئ هالك إلا وجهه) أي كل شئ هالك إلاّ إياه فكذلك قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) لما كان المراد بالوجه نفسه لم يقل ذى كما قال (تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام) لما كان اسمه غيره ٠٠ ويمكن في قوله تعالى (كل شئ هالك إلاّ وجهه)

الحر فما شعر الحوفزان إلاّ بالأهتم بن سمى بن سنان بن خالد بن منقر واسم الأهتم سنان وهو واقف على رأسه فوثب الحوفزان الى فرسه فركبه وقال للأهتم من أنت فانتسب له وقال هذه منقر قد أتتك فقال الحوفزان فأنا الحارث بن شريك فنادى الأهتم يا آل سعد ونادى الحوفزان يا آل وائل وحمل كل واحد منهما على صاحبه ولحقت بنو منقر فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه ونادت نساء بنى ربيع يا آل سعد فاشتد قتال بنى منقر لصياحهن فهزمت بكر بن وائل وخلوا ما كان فى أيديهم من بنى مقاعس وما كان فى أيديهم من أموالهم وتبعتهم بنو منقر بين قتل وأسر فأسر الأهتم حمران بن عمرو وقصد قيس بن عاصم الحوفزان ولم يكن له همة غيره والحارث على فرس له قارح يدعى الزبد وقيس على مهر فخاف قيس أن يسبقه الحارث فحفزه بالرمح في استه فتحفز به الفرس فنجا فسمى الحوفزان وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبنى ربيع وسباياهم وأخذ أموال بكر بن وائل وأساراهم وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات وفى هذا اليوم يقول قيس بن عاصم

جزى الله يربوعاً بأسوء فعلها ... اذا ذكرت فى النائبات أمورها
ويوم جدود قد فضحتم ذماركم ... وسالمتموا والخيل تدمى نحورها
سنخطم سعد والرباب أنوفكم ... كما حز فى أنف القضيب جريرها

وجه آخر وقد روى عن بعض المتقدمين وهو أن يكون المراد بالوجه ما يقصد به الى الله تعالى ويوجه به اليه نحو القربة اليه جلّت عظمته فيقول لا تشرك بالله ولا تدع إلهاً غيره فان كل فعل يتقرب به الى غيره ويقصد به سواه فهو هالك باطل وكيف يسوغ للمشبهة أن يحملوا هذه الآية والتى قبلها على الظاهر أو ليس ذلك يوجب انه تعالى يفني ويبقى وجهه وهذا كفر وجهل من قائله ٠٠ فأما قوله تعالى (انما نطعمكم لوجه الله) وقوله (إلاّ ابتغاء وجه ربّه الأعلى) وقوله (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله) فمحمول على ان هذه الأفعال مفعولة له ومقصود بها ثوابه والقربة اليه والزلفة عنده فأما قوله تعالى (فأينما تولوا فثم وجه الله) فيحتمل أن يراد به فثم الله لا على معنى الحلول ولكن على معنى التدبير ٠٠والعلم ويحتمل أيضاً أن يراد به فثم رضى الله وثوابه والقربة اليه ويحتمل أن يكون المراد بالوجه الجهة ويكون الاضافة بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه عز وجل قال (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) أي ان الجهات كلها لله وتحت ملكه وكل هذا واضح بيّن بحمد الله ٠٠ أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيي الصولى قال انحدرنا مع المكتفى بالله فى آخر سفرة سافرها للصيد من الموضع المعروف بجبة الى تكريت في خراقة [1] فكانت تجنح كثيراً فيشتد فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت أشدهم فزعاً وكان فى الخراقة سواي من الجلساء يحيي بن عليّ المنجم ومتوّج بن محمد بن مروان والقاسم المعروف بابن حبابة وكان يضحك لفزعنا ويقول لقد قسم الله لكم حظاً من الشجاعة جزيلا فقلت له ان البحترى يقول شعراً يصف فيه مثل حالنا ويمدح فيه أحمد بن دينار بن عبد الله وقد غزا الروم في مراكب أوله

أَلَمْ تَرَ تَغلِيسَ الرَّبيعِ المبَكِّرِ ... وَماحاكَ منْ وَشْي الرِّياضِ المنَشَّرِ

فقال له أنشدني الموضع الذى قال هذا فيه منها وكان جيّد العلم بالأشعار حافظاً للأخبار

---

(١) ــ الخراقة ــ سفينة صغيرة فيها الشموع والنار ٠٠ وقيل انها من الخرق لانها تخرق الماء ٠٠كذا بهامش الأصل

فأنشده

غَدَوْتَ على الميمونِ صُبْحاً وإنَّما غدا المَرْكَبُ الميمونُ تحتَ المُظفَّرِ
إذا زَجرَ النُوبيُّ فوقَ علاتِه رأيتَ خطيباً في ذُؤابةِ مِنْبَرِ
يَغُضُّونَ دُونَ الإشتيامِ عيونَهم وفوقَ السِّماطِ للعظيمِ المُؤمَّرِ
إذا ما علَتْ فيه الجَنُوبُ اعتلى لهُ جَنَاحُ عُقابٍ في السَّماءِ مُهجِّرِ
إذا ما انكفى في هَبوةِ الماءِ خلتَهُ تَلَفَّعَ في اثناءِ بُرْدٍ مُحبَّرِ
وحَوْلَكَ رَكَّابُونَ للهَوْلِ عاقروا كؤوسَ الرَّدى من دارِعينَ وحُسَّرِ
تَميلُ المنايا حيثُ مالتْ أكُفُّهُمْ إذا اصْلَتُوا حَدَّ الحديدِ المُذَكَّرِ
اذا أرْشَقُوا بالنَّارِ لم يَكُ رشقُهُمْ ليُقْلِعَ إلاَّ عن شِواءٍ مُقتَّرِ
صَدَمْتَ بهم صُهْبَ العثا بينَ دُونَهُمْ ضِرابٌ كإيقادِ اللَّظى المُتَسَعِّرِ
يَسُوقونَ إسطولاً كأنَّ سفينَهُ سَحَائبُ صيفٍ من جَهامٍ ومُمْطِرِ
كأنَّ ضَجيجَ البَحْرِ بينَ رِماحِهِمْ إذا اختلفتْ ترجيعُ عُودٍ مُجَرْجِرِ
تقارَبُ من زَحفَيْهِمُ فكأنَّما تألَّفَ من أعنانِ وَحْشٍ مُنفَّرِ
على حينَ لا نقعٌ تُطوِّحُهُ الصَّبا ولا أرضَ تُلْقي للصَّريعِ المُقطَّرِ (١)
فما رمتَ حتَّى أجلَتِ الحربُ عن طُلىً مُقَصَّصةٍ فيهم وهامٍ مُطيَّرِ
وكُنتَ ابنَ كِسرَى قبلَ ذاكَ وبعدَهُ مليّاً بأنْ تُوهي صَفاةَ ابْنِ قيْصَرِ
جدحتَ لهُ الموتَ الذعافَ فعافَهُ وطارَ على ألواحِ شَطْبٍ مُسَمَّرِ

(١) _ المقطَّر _ الملقى على أحد جانبيه .. كذا في هامش الأصل

سَمّيٍ وهو مَولي الربيع يَشكرُ فَضلَها عليهِ ومن يُولي الصنيعةَ يُشكرِ

قال فاستجاد المكتفي بالله قوله ـ على حين لا نفع تطوحه الصبا ـ فقال له يحيي بن علي أنشدني ابن الرومي شعراً له في هذا المعنى

وَلم أتَعلَّمْ قَطُّ من ذِي سِباحةٍ سِوَى الغَوصِ وَالمَضعُوفُ غيرُ مُغالِبِ

وَلِمْ لا وَلوْ أُلقيتُ فيها وَصخرةً لوافيتُ منها القعرَ أوَّلَ راسبِ

وَأيسَرُ إشفاقي من الماءِ أنّني أمرُّ بهِ في الكوزِ مرَّ الأجانبِ

واخشى الرَّدى منهُ على كلِّ شاربٍ فكيفَ بأمنيهِ على نفسِ راكبِ

فقلت له انما أخذ ابن الرومي بيته الثالث من قول أبي نواس فقال المكتفي بالله فما قال قلت حدثني عليّ بن سراج المصري قال حدثني أبو وائل اللخمي قال حدثني ابراهيم بن الخصيب قال وقف أبو نواس بمصر على النيل فرأي رجلا قد أخذه التمساح فقال

اضمَرتُ لِلنيلِ هجرَاناً وَمقليةً مُذْ قِيلَ لي إنما التِّمساحُ في النّيلِ

فَمَنْ رَأى النّيلَ رَأى العَينِ من كَثَبٍ

فما أرى النّيلَ إلاّ في البَوَاقيلِ

قال الصولي ـ والبواقيل ـ سفن صغار . . ثم أجري المكتفي بعد ذلك ذكر الشيب فقال العرب تقول أظلم من شيب وقد شبت وظلمني المشيب وشبت ياصولي فقلت جواب عبدك في هذا جواب معن بن زائدة الشيباني لجدك المنصور وقد قال له كبرت يامعن فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين قال وانك لتتجلد قال على أعدائك قال وفيك بحمد الله بقيّة قال لخدمتك فنزع المكتفي عمامته فاذا شيبتان في مقدم رأسه قال لقد غمني طلوع هاتين الشيبتين فقلت له انما يعيش الناس في الشيب فأما السواد فلا يصحب الناس خالصاً أكثر من أربعين سنة الى الخمسين وقد يعاش في البياض الذي لا سواد فيه ثمانون سنة فأنشده يحيي بن عليّ في معنى طول العمر مع المشيب قول امرئ القيس

أَلا إِنَّ بَعْدَ العُدْمِ لِلْمَرْءِ قِنْوَةً ... وَبَعْدَ المَشِيبِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلْبَسا[1]

وأنشدته أنا أيضاً أبياتاً أنشدها اسحق بن ابراهيم الموصلي لبعض القيسيين

لَمْ يَنْتَقِصْ مِنِّي المَشِيبُ قُلامَةً ... الآنَ حِينَ ابدأُ لَبُّ وَاكْيَسُ

وَالشَّيْبُ إِنْ يَظْهَرْ فَإِنَّ وَرَاءَهُ ... عُمْرًا يَكُونُ خِلالَهُ مُتَنَفَّسُ

•• [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه أما قول البحتري — مضى وهو مولى الريح — فقد كرر معناه في قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري

أَشْلى على منويل أَطْرَافَ القَنَا ... فَنَجى عَتِيقَ عَتِيقَةٍ جَرْدَاء

فلوَ انَّهُ ابطالهنَّ هنيئةً ... لَصدَرْنَ عنهُ وَهُنَّ غيرُ ظِماءِ

وَلَئِنْ تَبَقَّاهُ القَضَاءُ لِوَقْتِهِ ... فلقدْ عَمَمْتَ جُنُودَهُ بِفَنَاءِ

---

(١) هو من قطعته التي أولها

تأوبني دائي القديم فغلسا ... أحاذر أن يرتد دائي فأنكسا

•• ومنها

فإما تريني لا أغمض ساعة ... من الليل إلا أن أكب فأنعسا

فيارب مكروب كررت وراءه ... وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا

وما خفت تبريح الحياة كما أرى ... تضيق ذراعي أن أقوم فألبسا

فلو أنها نفس تموت جميعة ... ولكنها نفس تساقط أنفسا

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة ... لعل منايانا تحولن أبؤسا

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ... ليلبسني من دائه ما تلبسا

وسبب هذه القطعة ان امرأ القيس استنجد قيصر ملك الروم في حربه ابني أسد المشهورة فأمده بجيش عظيم فلما انفصل عنه وشى به رجل من بني أسد يقال له الطماح الى قيصر فبعث اليه بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب فلما وصلت اليه لبسها واشتد سروره بها فأسرع فيه السم وسقط جلده فلذلك سمي ذا القروح فقال هذه القطعة

وأظنه أخذ هذا المعنى من قول أبي تمام فى قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر فتح الحرمية

لَوْلاَ الظَّلاَمُ وَقُلَّةٌ عَلِقُوا بِهَا　　بَاتَتْ رِقَابُهُمُ بِغَيْرِ قِلاَلِ

فَلْيَشْكُرُوا جُنْحَ الظَّلاَمِ وَدَرْوَزًا　　فَهُمُ لِدَرْوَزَ وَالظَّلاَمِ مَوَالِي

وقد أخطأ الصولى فى تفسير بيت أبي نواس بان البواقيل سفن صغار لأن البواقيل جمع بوقال وهو آلةٌ على هيئة الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيره .. وهذا مثل قول ابن الرومي

أَمُرُّ بِهِ فِي الكُوزِ مَرَّ المُجَانِبِ

وانما أراد انني لا أمر بماء النيل إلاّ اذا أردت شربه فى كوز أو بوقال وما أشبه ذلك وأظن انه استمر عليه الوهم من جهة قوله فما أري النيل وصرف ذلك الى انه أراد النيل على الحقيقة وانما أراد ماء النيل وما علمت ان السفن الصغار يقال لها بواقيل إلاّ من قول الصولى هذا ولو كان ما ذكره صحيحاً من ان ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت أبي نواس بما ذكرناه أشبه وأليق وأدخل فى معنى الشعر وكيف يدخل شبهة فى ذلك مع قوله ـ فمن رأي النيل رأى العين من كثب ـ ومن رأى النيل في السفن فقد رآه من كثب ومن رأى ماءه في الآنية على بعد فلا يكون رائياً له من كثب .. فأما مدح الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس وأكثروا فما تقدم من ذلك قول رؤبة بن العجاج ويقال ان رؤبة لم يقل من القصيدة إلاّ هذين البيتين

أَيُّهَا الشَّامِتُ المُعَيِّرُ بِالشَّيْـ　　ـبِ أَقِلَّنَّ بِالشَّبَابِ افْتِخَارَا

قَدْ لَبِسْتُ الشَّبَابَ غَضًّا جَدِيدًا　　فَوَجَدْتُ الشَّبَابَ ثَوْبًا مُعَارَا

ولعلي بن جبلة

جَفَى طَرَبَ الفِتْيَانِ وَهْوَ طَرُوبُ　　وَاعْقَبَهُ قُرْبَ الشَّبَابِ مَشِيبُ

تَجَافَتْ عُيُونُ البِيضِ عنه ورُبَّمَا　　مَدَدْنَ اليهِ الوَصْلَ وَهْوَ حَبِيبُ

لَعَمْرِي لَنِعْمَ الصَّاحِبُ الشَّيْبُ واعِظًا ... وإنْ كانَ منهُ للعُيونِ نُكُوبُ

خَلِيطُ نُهىً مَنْبَاةُ حِلْمٍ وَإِنَّهُ ... على ذَاكَ مكْرُوهُ الخِلاَطِ مُرِيبُ

ولآخر

وَتَنَكَّرَتْ شَيْبِي فقُلْتُ لَهَا ... لَيْسَ الشَّبَابُ بناقِصٍ عُمْرِى

سِيَّانِ شَيْبِى وَالشَّبابُ إذَا ... ما كُنْتُ منْ عُمُرِى على قَدْرِ

ولآخر

إنْ أكُنْ قَدْ رُزِئْتُ أسْوَدَ كالفَحْـ ... ـمِ واعقَبْتُ مِثْلَ لونِ النَّعَامَهْ

فلقَدْ أُسْعِفُ الكَرِيمَ وَاحبُو ... أَهلَهُ بالنَّدَى وَآبَى الظُّلاَمَهْ

غيرَ أنَّ الشَّبابَ كانَ رِدَاءً ... خاننا فيؤُهُ كَفَيْءِ الغَمامَهْ

ولآخر

إنَّ المَشيبَ رِدَاءُ الحِلْمِ وَالأَدَبِ ... كما الشَّبابُ رِدَاءُ الجهْلِ واللَّعِبِ

تَعَجَّبَتْ أنْ رَأَتْ شَيْبِي فقُلْتُ لَها ... لاَ تَعْجَبِى منْ يَطُلْ عُمْرٌ بهِ يَشِبِ

ولابن الجهم

حَسَرَتْ عنّيَ القِنَاعَ ظَلُومُ ... وَتَوَلَّتْ وَدَمْعُها مَسْجُومُ

أَنْكَرَتْ ما رَأَتْ بِرَأْسِي فقالَتْ ... أَمَشِيبٌ أَمْ لُؤْلُؤٌ مَنْظُومُ

قلْتُ شَيْبٌ وليسَ عَيْبًا فأَنَّتْ ... أَنَّةً يَسْتَثِيرُها المَهْمُومُ

شدَّ ما انكَرَتْ تَصَرُّمَ عَهْدٍ ... لَمْ تَدُمْ لِي وَأَيُّ حالٍ يَدُومُ

ولابي هفان

تَعَجَّبَتْ دُرُّ منْ شَيْبِي فقلتُ لها ... لاَ تَعْجَبِي فَطُلُوعُ الشَّيْبِ فِي السَّدَفِ

وَزادَها عَجَباً لما رَأتْ سَمَلي ... ومادَرَتْ دُرُّأنَّ الدُّرَفي الصَّدَف [1]

وقد أحسن أبو تمام غاية الاحسان فى قوله

أبدَتْ أسىً إذرَأتني مُخْلَسَ القَصَبِ ... فآلَ ما كانَ منْ عُجْبٍ الى عَجَبِ

سِتٌّ وعِشْرُونَ تَدعُوني فاتبَعُها ... إلى المَشيبِ ولمْ تَظلِمْ ولمْ تَحبِ

فلاَ يُؤَرّقكِ إيماضُ القَتيرِ بهِ ... فإنَّ ذَاكَ أبتِسامُ الرَّأيِ والأَدَبِ

وللبحتري

عيَّرَتني المَشيبَ وَهْيَ بدَتهُ ... في عِذَارِي بالصَّدِّ والإجتِنابِ

لاَ تَرَيْهِ عارًا فَماهُوَ بالشَّيـ ... ـبِ ولَكِنَّهُ جلاءُ الشَّبابِ

وَبَياضُ البَازِيِّ اصدَقُ حُسناً ... إنْ تأَمَّلْتَ من سَوَادِ الغُرَابِ [2]

---

(١) السمل — محركة الثوب الخلق ويقال أيضا ثوب أسمال فمن النحويين من جعل أسمالا مفردا لانه صفة ثوب والصحيح انه على التأويل بالجمع أى أنواع الثوب اسمال ومثل ذلك برمة أعشار لان أفعالا لم يثبت فى المفرد وانما هو جمع

(٢) الابيات من قصيدة يمدح بها اسماعيل بن شهاب مطلعها

ماعلى الركب من وقوف الركاب ... فى مغاني الصبا ورسم التصابى

أين أهل القباب بالاجرع الفر ... د تولوا لا أين أهل القباب

سقم دون أعين ذات سقم ... وعذاب دون الثنايا العذاب

وكمثل الاحباب لو يعلم العا ... ذل عنـدي منازل الاحباب

فاذا ما السحاب كان ركاماً ... فسقى بالرباب دار الرباب

واذا هبت الجنوب بسقيا ... فعلى رسم دارها والجناب

عيرتنى المشيب .. الابيات الثلاثة .. وبعده

عـذلتنى في قومها واسترابت ... جيئتى في سـواهم وذهابي

ورأت عند غيرهم من مديحى ... مثل ماكان عندهم من عتابي

وله

هاهُوَ الشَّيبُ لاَ ثُمافاً فِيقي ... وَاتْرُكِيهِ إنْ كانَ غَيْرَ مُفيقِ
فلقَدْ كَفَّ عنْ عَنَاءِ المُعَنَّى ... وتَلاَفي من إشْتِياقِ المَشُوقِ
عَذَلَتْنا في عِشْقِها أمُّ عَمْرٍو ... هلْ سَمِعْتُمْ بالعَاذِلِ المَعْشُوقِ
وَرَأَتْ لِمَّةً ألمَّ بِها الشَّيْـــبُ فَرِيعَتْ من ظُلْمَةٍ في شُرُوقِ
وَلعَمْرِي لوْلاَ الأَقاحي لأَبْصَرْ ... تِ أَنِيقَ الرِّياضِ غيْرَ أَنِيقِ
وَسَوَادُ العُيُونِ لوْ لمْ يُكَمَّلْ ... بِبَياضٍ ما كانَ بالمَوْمُوقِ
وَمِزَاجُ الصَّهْبَاءِ بالماءِ أَوْلي ... بِصَبُوحٍ مُسْتَحْسَنٍ وَغَبُوقِ
أيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نُجُومٍ ... أوسماءٍ تَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ

ويشبه ان يكون أخذ قوله ــ أي ليل يبهي بغير نجوم من قول الشاعر

أَشَيْبٌ وَلمْ أَقْضِ الشَّبابَ حُقُوقَهُ ... ولمْ يَمْضِ منْ عَهْدِ الشَّبابِ قَدِيمُ
رَأَتْ وَضَحاً في مَفْرِقِ الرَّأْسِ رَاعَهَا ... وَشَتَّانَ مُبْيَضٌّ بِهِ وَبَهِيمُ

ليس من غضبة عليهم ولكن ... هو نجم يعلو مع الكتاب
شيعة السؤدد القريب واخوا ... ن التصافي واخـوة الآداب
هم أولو المجد إن سالت فان كا ... ثرت كانوا هم أولى الالباب
ومتى كنت صاحبا لذوي السؤد ... د يوما فانهـم أصحـابي
وكفاني إذ الحوادث أظلمـــن شهابا بغـرة بن شـهاب
سبب أول على جـود اسما ... عيل أغنى عن سائر الاسباب
لاستهلت سماؤه فطـرنا ... ذهبا في انهلال ذاك الذهاب
لا يزور الوفاء غبا ولا يعـــشق غدر الفعال عشق الكعاب
مستعبد على اختلاف الليالي ... لسقا من خـلائق أتراب

تفاريق شيب في الشباب لوامع ... وما حسن ليل ليس فيه نجوم

ولمحمود الوراق في مثل هذا المعنى قوله

ما الدر منظوما بأحسن من ... شيب يخلل هامة الكهل

فكأنه فيها النجوم إذا ... جد المسير بها على مهل

لا تبكين على الشباب إذا ... بكى الجهول عليه للجهل

واشكر لشيبك حسن صحبته ... فلقد كساك جلالة الفضل

ولآخر في مدح الشيب

لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله فالشيب حلية ووقار

إنما تحسن الرياض إذا ما ... ضحكت في خلالها الأنوار

•• [قال الشريف رحمه الله] ولي في هذا المعنى من قصيدة

جزعت لوخطات المشيب وإنما ... بلغ الشباب مدى الكمال فنورا

والشيب إن فكرت فيه مورد ... لا بد يورده الفتى إن عمرا

يبيض بعد سواده الشعر الذي ... إن لم يزره الشيب واراه الثرى

وممن عدل بين الشباب والشيب ومدح كل واحد منهما طريح بن اسمعيل الثقفي فقال

والشيب للحكماء من سفه الصبا ... بدل يكون لذي الفضيلة مقنع

والشيب غاية من تأخر حينه ... لا يستطيع دفاعه من يجزع

إن الشباب له لذاذة جدة ... والشيب منه في المغبة أنفع

لا يبعد الله الشباب فمرحبا ... بالشيب حين أوى إليه المضجع

ومثله لآخر

وكان الشباب الغض لي فيه لذة ... فزحزحني عنه المشيب وأدبا

فَسَقياً وَرعياً للشَّبابِ الَّذِي مَضَى ... وَأهلاً وَسَهلاً بالمَشيبِ وَمَرحَبا

مجلس آخر ٤٦

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني) الآية •• فقال كيف ضمن الاجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب •• الجواب قلنا في ذلك وجوه •• أولها أن يكون المراد بقوله تعالى (أجيب دعوة الداعي) أي أسمع دعوته ولهذا يقال للرجل دعوت من لا يجيب أي من لا يسمع وقد يكون أيضاً يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعني يسمع يقال سمع الله لمن حمده يراد به أجاب الله من حمده •• وأنشد ابن الاعرابي

دَعَوتُ اللهَ حتَّى خِفتُ أن لا ... يكُونَ اللهُ يَسمَعُ ما أقُولُ

أراد يجيب ما أقول •• وثانيها انه تعالى لم يرد بقوله تعالى قريب من قرب المسافة بل أراد انني قريب باجابتي ومعونتي ونعمتي أو لعلمي بما يأتي العبد ويذر وما يسر ويجهر تشبيهاً بقرب المسافة لأن من قرب من غيره عرف أحواله ولم يخف عليه ويكون قوله تعالى أجيب على هذا تأكيداً للقرب فكأنه أراد إنني قريب قرباً شديداً وإنى بحيث لا يخفى على أحوال العباد كما يقول القائل اذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله أنا بحيث أسمع كلامك وأجيب نداءك أو ما جرى هذا المجرى •• وقد روى ان قوماً سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا له ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى هذه الآية •• وثالثها أن يكون معنى هذه الآية إنى أجيب دعوة الداعى اذا دعانى على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء وهو أن يدعو باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال لانه ان كان صلاحاً فعل ما دعا به وان لم يكن صلاحاً لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو أيضاً مجاب الي دعائه •• ورابعها أن يكون معنى دعاني أي عبدني وتكون

الاجابة هي الثواب والجـزاء على ذلك فكأنه تعالى قال إني أثيب العباد على دعاهم لي وهذا مما لا اختصاص فيه .. وخامسها ما قاله قوم من ان معنى الآية ان العبد اذا سأل الله تعالى شيئاً في إعطائه صلاح فعل به وأجابه اليه وان لم يكن في إعطائه إياه في الدنيا صلاحٌ وخـير لم يعطه ذلك في الدنيا وأعطاه إياه في الآخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال .. وسادسها انه تعالى اذا دعاه العبد لم يخل من أحد أمرين إمّا أن يجاب دعاؤه وإمّا أن يجاب له بصرفه عما سأل ودعا لحسن اختيار الله له يقوم مقام الاجابة فكأنه يجاب على كل حالٍ وهذا الجواب يضعف لأن العبد ربما سأل مافيه صلاحٌ ومنفعة له في الدنيا وان كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطي ذلك لأمر يرجع اليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجاباً مع المنع الذى لايرجع اليه منه شيءٌ من الصلاح اللهم إلاّ أن يقال انه دعاه مشروط بأن يكون صلاحاً ولا يكون فساداً وهـذا مما تقدم ومعنى قوله تعالى (فليستجيبوا لي) أى فليجيبوني وليصدقوا رسلي .. قال الشاعر

وَدَاعٍ دَعَا يامنْ يجيبُ إلى النَّدَى ... فلمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

فقلتُ ادْعُ أُخرَى وارْفَعِ الصَّوْتَ ثانياً ... لعلَّ أَبِي المغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ[1]

---

(١) قوله ـ لعل أبي المغوار ـ بجر أبي على لغة عقيل فان لعل عندهم تجر في أربع لغات من لغاتها أي ثابتـة الأول ومحذوفته مفتوحة الآخر ومكسورته وأما بقية لغات لعل فلا يجر بها عندهم وأبو المغوار بكسر الميم وسكون الغين المعجمة اسـمه شبيب وروى * فقلت ادع أخرى وارفع الصوت دعوة * بالنصب على التعليـل وروى أبو المغوار بالنصب على أصله وهذان البيتان من قصيدة لكعب بن سعد الغنوي يرثى أخاه شبيباً أولها

تقول سليمي مالجسمك شاحباً ... كأنك يحـميك الطعام طبيب

فقلت ولم أعي الجواب لقولها ... وللدهر في صم السلام نصيب

تتابع احداث تخرّمنَ اخوتى ... وشيبن رأسي والخطوب تشيب

لعمري لئن كانت أصابت مصيبة ... أخى والمنايا للرجال شعوب

لقد كان أما حلمه فروح ... علينا وأما جهـله فعـزيب

أي لم يجبه .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وإذ كنا قد ذكرنا في المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرفاً من الشعر في تفضيل الشيب وتقديمه والتعزّي عنه والتسلي عن نزوله فنحن متبعوه بطرف مما قيل في ذمّه والتألم به والجزع منه .. فمن ذلك قول أبي حيّة النميري

تَرَحَّلَ بالشَّبابِ الشَّيبُ عنَّا ... فليتَ الشَّيبَ كانَ بهِ الرَّحيلُ
وَقَدْ كانَ الشَّبابُ لَنا خَليلاً ... فقَدْ قَضَّى مآرِبَهُ الخَليلُ
لعَمْرُ أبي الشَّبابِ لقَدْ تَوَلَّى ... حَميدًا مايُرَادُ بهِ بَدِيلُ
إذِ الأَيّامُ مُقْبِلَةٌ علينا ... وَظِلُّ أَرَاكَةِ الدُّنيا ظَليلُ

وقال الفرزدق

أرَى الدَّهرَ أيامُ المَشيبِ أَمَرُّهُ ... علينا وَأَيامُ الشَّبابِ أَطَايِبُهْ
وَفي الشَّيبِ لَذَّاتٌ وَقُرَّةُ أَعْيُنٍ ... وَمِنْ قَبْلِهِ عَيْشٌ تَمَلَّلَ جاذِبُهْ
إذا نازَلَ الشَّيبُ الشَّبابَ فاصْلَتا ... بِسَيفَيهِما فالشَّيبُ لا شَكَّ غالبُهْ

.. ومنها

فان تكن الأيام أحسنّ مرة ... اليّ فقد عادت لهن ذنوب

الى ان قال

وداع دعا يامن يجيب الى الندى ... فلم يستجبه عنـد ذاك مجيب
فقلت ادع اُخرى وارفع الصوت جهرة ... لعلّ أبي المغوار منك قريب
يجبك كما قـد كان يفعل إنه ... نجيب لأبواب العلاء طلوب

قال أبو عليّ القالي في الأمالي بعض الناس يروى هذه القصيدة لكعب بن سعد الغنوي وهو من قومه وليس بأخيه والمرثى بهذه القصيدة يكنى أبا المغوار واسمه هرم وبعضهم يقول اسمه شبيب ويحتج ببيت روى في هذه القصيدة * أقام وخلى الظاعنين شبيب *

فَيَاخَيْرَ مَهْزُومٍ وَيَاشَرَّ هَازِمٍ ... إِذَا الشَّيْبُ وَافَتْ لِلشَّبَابِ كَتَائِبُهْ

وَلَيْسَ شَبَابٌ بَعْدَ شَيْبٍ بِرَاجِعٍ ... مَدَى الدَّهْرِ حَتَّى يُرْجِعَ الدَّرَّ حَالِبُهْ

وَمَا الْمَرْءُ مَنْفُوعًا بِتَجْرِيبِ وَاعِظٍ ... إِذَا لَمْ تَعِظْهُ نَفْسُهُ وَتَجَارِبُهْ

وأنشد اسحاق الموصلي

لَعَمْرِي لَئِنْ حُلِّئْتُ عَنْ مَنْهَلِ الصِّبَا ... لَقَدْ كُنْتُ وَرَّادًا لِمَشْرَبِهِ الْعَذْبِ

لَيَالِيَ أَمْشِي بَيْنَ بُرْدَيَّ لَاهِيًا ... أَمِيسُ كَغُصْنِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ

سَلَامٌ عَلَى سَيْرِ الْقِلَاصِ مَعَ الرَّكْبِ ... وَوَصْلِ الْغَوَانِي وَالْمُدَامَةِ وَالشُّرْبِ

سَلَامُ امْرِئٍ لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ ... سِوَى نَظَرِ الْعَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ الْقَلْبِ

ولمنصور النمري

مَا تَنْقَضِي حَسْرَةٌ مِنِّي وَلَا جَزَعُ ... إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يُرْتَجَعُ

بَانَ الشَّبَابُ فَفَاتَتْنِي بِشِرَّتِهِ ... صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامٌ لَهَا خُدَعُ

مَا كُنْتُ أُوفِي شَبَابِي كُنْهَ غِرَّتِهِ ... حَتَّى انْقَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ [1]

(١) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الرشيد روى انه دخل عليه وكان عنده الكسائي فقال له الرشيد أنشدني فأنشده قوله * ماتنقضي حسرة * البيت فتحرك الرشيد ثم أنشده حتى انتهى الى قوله

ما كنت أوفي شبابي كنه غرته ... حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

فطرب الرشيد وقال أحسنت والله وصدقت لا والله لا يتهنى أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب وأمر له بجائزة سنية ومن أبياتها الحسان قوله

أي امرئ بات من هارون في سخط ... فليس بالصلوات الخمس ينتفع

ان المكارم والمعروف أودية ... أحلك الله منها حيث يتسع

ولمحمد بن أبي حازم

عَهْدَ الشَّبابِ لقدْ أَبقَيْتَ لي حزَنا ماجَدَّ ذِكْرُكَ الاَّ جَدَّلي ثُكلُ
سَقْيا ورَعْيا لايَّامِ الشَّبابِ وإنْ لمْ يَبْقَ منكِ لهُ رَسْمٌ ولاَ طَلَلُ
جرَّ الزَّمانُ ذُيُولا في مفَارِقهِ وللزَّمانِ على إحْسانه عِلَلُ
ورُبَّما جرّ اذيالَ الصِّبا مرَحا وبينَ بُرْدَيهِ غُصنٌ ناعِمٌ خَضِلُ
لاَ تكْذِبَنَّ فما الدُّنْيا بأَجْمَعِها منَ الشَّبابِ بيَوْمٍ واحدٍ بَدَلُ
كَفاكَ بالشَّيْبِ عيْبا عِندَ غانيةٍ وَبالشَّبابِ شَفيعا أَيُّها الرَّجُلُ

اذا رفعت امرأ فالله يرفعه ومن وضعت من الأقوام متضع
نفسي فداؤك والأبطال معلمة يوم الوغى والمنايا صابها فزع

روى ان البيدق دخل على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع ويزيد بن مزيد وبين يديه خوان لطيف عليه جرمان ورغيفان سميد ودجاجتان فقال لي أنشدني قال البيدق فأنشدته قصيدة النمري العينية فلما بلغت الى قوله

* أي امرئ بات من هارون في سخط * الأبيات الأربعة قال فرمي بالخوان بين يديه وصاح وقال هذا والله أطيب من كل طعام وكل شئ وبعث اليه بسبعة آلاف دينار قال البيدق فلم يعطني منها مايرضيني وشخص الى رأس العين فأغضبني وأحفظني فأنشدت هرون قوله

ساد من الناس راتع هامل يعللون النفوس بالباطل

فلما بلغت الى قوله

ألا مساعير يغضبون لها بسلة البيض والقنا الزابل

قال أراه يحرض علي ابعثوا اليه من يجئ برأسه فكلمه فيه الفضل بن الربيع فلم يغن كلامه شيئاً وتوجه اليه الرسول فوافاه في اليوم الذى مات فيه ودفن وروى من غير هذا الوجه ان العتابي سئل عن سبب غضب الرشيد عليه فقال استقبلت منصور

ولأبي نواس

كانَ الشَّبابُ مَطيَّةَ الجَهلِ　　وَمُحَسِّنَ الضَّحَكاتِ وَالهَزلِ
كانَ الجَميلَ إذَا ارتَدَيتُ بهِ　　وَمشَيتُ اخطِرُ صيِّتَ النَعلِ
كانَ البَلِيغَ إذَا نَطَقتُ بهِ　　وَأَصاخَتِ الآذانُ للمُملي
كانَ المشفَّعَ في مآرِبهِ　　عِندَ الحِسانِ وَمُدرِكَ التَّبلِ
والباعِثي وَالنَّاسُ قدْ هَجَعُوا　　حتَّي أَتَيتُ حَليلَةَ البَعلِ

النمرى يوماً من الأيام فرأيته مغموماً واجماً كئيباً فقلت له ما خبرك فقال تركت امرأتي تطلق وقد عسر عليها ولادها وهي يدى ورجلى والقيمة بأمرى وأمر منزلى فقلت له لم لا تكتب على فرجها هرون الرشيد قال ليكون ماذا قال لتلد على المكان قال وكيف ذاك قلت لقولك

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله　　أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

فقال لى يا كشخان والله لئن تخلصت امرأتي لأذكر قولك هذا للرشيد فلما ولدت امرأته خبر الرشيد بما كان بيني وبينه فغضب لذلك وأمر بطلبى فاستترت عند الفضل بن الربيع فلم يزل يسئل فيَّ حتى أذن لى فى الظهور فلما دخلت عليه قال لي قد بلغني ما قلته للنمري فاعتذرت اليه حتى قبل ثم قلت والله يا أمير المؤمنين ماحمله على التكذب عليَّ إلاَّ وقوفى على ميله للعلوية فان أراد أمير المؤمنين ان أنشده شعره فى مديحهم فعلت فقال أنشدني فأنشدته قوله

ساد من الناس راتع هامل　　يعللون النفوس بالباطل

حتى بلغت الى قوله

الا مساعير يغضبون لهم　　بسلة البيض والقنا الزابل

فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال للفضل بن الربيع احضره الساعة فبعث الفضل في ذلك فوجده قد توفى فأمر بنبشه ليحرقه فلم يزل الفضل يلطف له حتى كف عنه

وَالآمِري حتَّي اذَا عَزَمَتْ نَفسي أَعانَ عليَّ بالفِعلِ

فالآن صُرتُ الى مقَارَبَةٍ وَحَطَطتُ عنْ ظَهرِ الصبَا رحلي

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وعلى هذا الكلام حسن طلاوة ومسحة من اعرابي ليستا لغيره •• ولبشار

الشَيْبُ كُرْهٌ وكُرْهٌ أنْ يفَارقَني أعجِبْ بِشَيء على البَغضاء مَوْدُودِ

يَمضِي الشبابُ وَيأتي بَعدَهُ خَلَفٌ وَالشَيبُ يذْهبُ مَفقُودًا بمَفقُودِ

وهذا البيت الأخير يروى لمسلم بن الوليد الأنصارى •• ومما أحسن فيه مسلم فى هذا المعنى قوله

طَرَفتْ عيُونَ الغَانيَاتِ وَربما أملَنَ إليَّ الطَّرْفَ كُلَّ مَمِيلِ

وما الشَّيبُ إلاَّ شعْرَةٌ غَيْرَ أنَّهُ قَليلُ قَذَاةِ العَينِ غيرُ قليلِ

ولآخر

أهلاً بوَافدَةٍ للشَّيبِ واحدَةٍ وإنْ تَرَاءتْ بِشَخصٍ غيرِ مَوْدُودِ

لاَأجْمَعُ الحلمَ والصهبَاءَ قَدْ سكَنَتْ نَفسِى الى المَاءِ عنْ ماءِ العنَاقِيدِ

لم يَنهَنِي كِبَرٌ عنها وَلاَ فَنَدٌ لكنْ صَحَوتُ بِغُصنٍ غيرِ مَمْدُودِ

أوفِي بِي الحِلمَ وانْقَادَ النُهَى طلَقًا شأْوِي وَعِفتُ الصِّبَا منْ غيرِ تَفنِيدِ

ولقد أحسن دعبل فى قوله يصف الشباب والشيب

كانَ كحلاً لمآقيها فقدْ صارَ بالشَّيبِ لِعَينَيهَا قَذَا

ولغيره

رَأَتْ طَالِعًا للشَّيبِ أَغفلْتُ أمْرَهُ فَلَمْ تَتَعَهَّدْهُ أكُفُّ الخَوَاضِبِ

فقالَتْ أشَيبٌ مَاأرَى قُلْتُ شَامَةٌ فَقالَتْ لقدْ شَامَتْكَ عندَ الحَبائبِ

ولمحمود الورّاق ويروي لمحمد بن أبي حازم

أليسَ عجيباً بأنَّ الفتى ... يصابُ ببعضِ الذي في يديه
فمنْ بينِ باكٍ لهُ موجعٍ ... وبينَ معزٍّ معزٍّ اليه
ويُسلبُهُ الشيبُ شرخَ الشبابِ ... فليسَ يعزّيهِ خلقٌ عليه

ولأبي دُلَف

في كلِّ يومٍ أرى بيضاءَ طالعةً ... كأنّما طلعتْ في أسودِ البصرِ
لئنْ قصصتُكِ بالمقراضِ عنْ بصري
لما قصصتُكِ عنْ همّي وعنْ فكري

وليحيى بن خالد بن برمك ويروى لغيره

الليلُ شيّبَ والنهارُ كلاهما ... رأسي بكثرةِ ماتدورُ رحاهما
يتناهبانِ نفوسَنا ودماءَنا ... ولحومَنا عمدًا ونحنُ نراهما
والشيبُ إحدى الميتتينِ تقدّمتْ ... أولاهما وتأخرتْ اخراهما

وقد أتى الفحلان المبرزان أبو تمام وأبوعبادة في هذا المعنى بكل غريب عجيب . . فمن ذلك قول أبي تمام

لئنْ جزعَ الوحشيُّ منها لرؤيتي لإنسيُّها منْ شيبِ رأسي أجزعُ
غدا العمرُ مختطًّا بفوديَّ خطّةً ... طريقُ الردى منها إلى الموتِ مهيعُ
هوَ الزورُ يُجفى والمعاشرُ يجتوى ... وذو الإلفِ يُقلى والجديدُ يرقَّعُ
لهُ منظرٌ في العينِ أبيضُ ناصعٌ ... ولكنّهُ في القلبِ أسودُ اسفعُ
ونحنُ نرجّيهِ على السخطِ والرضى ... وأنفُ الفتى منْ نفسهِ وهوَ أجدعُ

أصبحتْ روضةُ الوصالِ هشيماً وغدتْ ريحهُ البليلُ سَموما
شعلةٌ في المفارقِ استودعتني في صميمِ الفؤادِ ثكلاً صميما
تستثيرُ الهمومُ ما اكتنَّ منها صعُدًا وهيَ تستثيرُ الهُموما
غرَّةٌ غرَّةٌ ألا إنّما كُنْـ تُ أغرًّا أيَّامَ كُنتُ بهيما
دِقّةٌ في الحياةِ تُدعى جلالاً مثلَ ماسُمّيَ اللّديغُ سليما
حلَّمتني زَعمتُمُ وأَراني قبلَ هذا التحلُّمِ كُنتُ حليما

٠٠ وله

لعبَ الشَّيبُ بالمفارقُ بلْ جدَّ فأبكي تُماضرًا ولَعوبا
خضبتْ خدَّها إلى لؤلؤِ العقْـ دِ دَما أنْ رأتْ شواتي خضيبا
كلُّ داءٍ يُرجى الدَّواءُ لهُ إلاَّ الـ افظعينِ منيَّـةً ومشيبا
يا نسيبَ الثّغامِ ذنبُكَ أبقى حسناتي عندَ الحسانِ ذُنوبا
ولئنْ عبنَ ما رأينَ لقدْ أنكرنَ مستنكرًا وعبنَ معيبا
أو تصدَّعنَ عنْ قليٍ لكفى بالـ شيبِ بيني وبينهنَّ حسيبا
لوْ رأى اللهُ أنَّ للشيبِ فضلاً جاورتهُ الأبرارُ في الخلدِ شيبا

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ٠٠ وجدت الآمدي يذكر ان قوماً ادعوا المناقضة على أبي تمام في هذه الابيات بقوله * فابكا تماضرا ولعوبا * وقوله

خضبت خدها الى لؤلؤ العقـ ـدِ دماً أن رأت شواتي خضيبا
يا نسيب الثغام ذنبـك أبقى حسناتي عند الحسان ذنوبا

وقوله * ولئن عبن ما رأين لقـد * قالوا كيف يبكين دماً على شيبه ثم يعبنه ٠٠ قال الآمدي وليس ههنا تناقض لأن الشيب انما أبكي تماضرا ولعوب أسفاً على شبابه والحسان

اللواتي عبنه غير هاتين المرأتين فيكون من أشفق عليه من الشيب منهن وأسف على شبابه بكى كما قال الأخطل

لمَّا رَأتْ بَدلَ الشَّبابِ بكَتْ لهُ ... إنَّ المَشيبَ لأرْذَلُ الأبْدَالِ

ولم يكن هذه حال من عابه قال وهذا مستقيم صحيح ٠٠[قال الشريف المرتضى]رضى الله عنه وليس يحتاج فى العذر لأبي تمام الى ما تكلفه الآمدي بل المناقضة زائلة عنه على كل حال ٠٠ وان كان من قد بكي شبابه وتلهف عليه من النساء هن اللواتي أنكرن مشيبه وعبنه به وما المنكر من ذلك وكيف يتناقض أن يبكي على شبابه ونزول شيبه منهن من رأى الشيب ذنباً وعيباً منكراً وفى هذا غاية المطابقة لانه لا يبكي الشيب ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلاّ من رآه منكراً ومعيباً ٠٠ وقال أبو تمام

رَاحتْ غوَاني الحيِّ عنكَ غوَانيا ... يَلْبَسْنَ نأياً تارَةً وَصُدُودَا

من كلِّ سابغةِ الشبابِ إذَا بدَتْ ... تَرَكتْ عَميدَ القَريَتيْنِ عَميدَا

أرْبَيْنَ بالمُرْدِ الغَطارِفِ بُدَّنا ... غيدًا ألفنهمُ لِدانا غيدَا

أحلَى الرِّجالِ منَ النِّساءِ مَوَاقعا ... منْ كانَ أشْبَهَهُمْ بهنَّ خُدُودَا

اوقوله ــأربين بالمردــ من أرب بالشئ اذا لزمه وأقام عليه يقال أربّ وألبّ بالمكان اذا أقام فيه ولزمه يريد انهن لزمن هوى المرد وأقمن عليه ٠٠ورواه قوم أربين بالمرد من لربا الذي معناه الزيادة يقال قد أربا الرجل اذا ازداد فيقول أربين بالمرد أى ازددن علينا بهم وجعلن المرد زيادة اخترنها علينا ٠٠ويقال انه أخذ قوله ــأحلى الرجال من النساءــ البيت من قول الأعشى

وَأرَى الغَوَانِي لا يُوَاصِلْنَ امرَأً ... فَقدَ الشَّبابَ وَقدْ يَصِلْنَ الأمْرَدَا[1]

---

(١) وقبله

أنوى وقصّر ليله ليزوّدا ... فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

ولمنصور النمري قوله

كرهن من الشيب الذي لو رأينه ... بهن رأيت الطرف عنهن أزورا

وقول الآخر

أرى شيب الرجال من الغواني ... كموقع شيبهن من الرجال

.. وقال أبو تمام

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس إلا من فضل شيب الفؤاد

وكذاك القلوب في كل بؤس ... ونعيم طلائع الأجساد

طال إنكاري البياض وإن عمرت شيئاً أنكرت لون السواد

زادني شخصه بطلعة ضيم ... عمرت مجلسي من العواد

نال رأسي من ثغرة الهم داء ... لم ينله من ثغرة الميلاد

ومعنى البيت الأخير ان الثغرة وهي الفرجة والثلمة تكون في الشيء ولذلك سمي كل بلد جاور عدواً ثغراً كأن معناه مكشوف للعدو ويجوز أن يكون أصله من ثغر الانسان لأنه أول ما يقابلك من اسنانه وأول ما يظهر عند الكلام وأول ما يسقط فيرى مثلوماً فيشبه الثغر الذي هو البلدة به ويقال أثغر الصبي وأتغر وتسمى تلك الفرجة في موضع

يجحدن ديني بالنهار واقتضي ... ديني اذا وقذ النعاس الرقدا

وأرى الغواني الخ.. روي عن اسحاق الموصلي قال حدثني أبي قال غنيت بين يدي الرشيد وستارته منصوبة

وأرى الغواني لا يواصلن امرأ ... فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فطرب واستعاده وأمر لي بمال فلما أردت ان أنصرف قال لي ياعياض كذا وكذا أتغنى بهذا الصوت وجواري من وراء ستارة يسمعنه لولا حرمتك لضربت عنقك فتركته والله حتى نسيته

السن ثغرة وفى كل موضع منفرج ومنه ثغرة النحر وأراد بقوله
* نال رأسى من ثغرة الهم * أى وجد الشيب من الهم فرجة دخل على رأسي منها لأن الهم يشيب لا محالة ٠٠ وقوله * مالم ينله من ثغرة الميلاد * أراد بثغرة الميلاد الوقت الذى يهجم عليه فيه الشيب من عمره لانه يجد السبيل فى ذلك الوقت الى الحلول برأسه فجعله ثغرة من هذا الوجه فأراد ان الشيب حل برأسه من جهة همومه وأحزانه مالم يبلغ السن التى يوجب حلوله به من حيث كبره ٠٠ [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه ورأيت الآمدى يطعن على قوله * عمرت مجلسي من العواد * ويقول لا حقيقة لهذا ولا معنى لإنا ما رأينا ولا سمعنا أحداً جاءه عواده يعودونه من الشيب ولا أن أحداً أمرضه الشيب ولا عزّاه المعزون عن الشباب وهذا من الآمدي قلة بصر فى نقد الشعر وضعف بصره بدقيق معانيه التى يغوص عليها حذاق الشعراء ولم يرد أبو تمام بقوله * عمرت مجلسي من العواد * العيادة الحقيقية التي يغشى فيها العوّاد مجالس المرضى وذوى الأوجاع وانما هذه استعارة وتشبيه واشارة الى الغرض خفية فكأنه أراد ان شخص الشيب لما زارني كثر المتوجعون لى والمتأسفون على شبابي والمتفجعون من مفارقته فكأنهم في مجلسى عواد لى لان من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع وكنى بقوله * عمرت مجلسى من العواد * عن كثرة من تفجع وتوجع من مشيبه وهذا من أبي تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن وما المعيب إلاّ من عابه وطعن عليه ونحن نذكر في المجلس الآتى ما للبحترى في هذا المعنى بمشيئة الله وعونه ان شاء الله

مجلس آخر ٤٧

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجرٌ فيه تسيمون) ٠٠ فقال اذا كان الشجر ليس ببعض للماء كما كان الشراب بعضاً له فكيف جاز أن يقول تعالى ومنه شجر بعد قوله منه شراب وما معنى تسيمون وهل الفائدة فى هذه اللفظة هي الفائدة فى قوله تعالى (والخيل المسوّمة)

وقوله تعالى (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسوّمة عند ربك) •• الجواب قلنا في قوله تعالى (منه شجر) وجهان •• أحدهما أن يكون المراد ومنه سقي شجر وشرب شجر لحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وذلك كثير فى لغة العرب ومثله قوله تعالى (وأُشربوا فى قلوبهم العجل) أي حب العجل •• والوجه الآخر أن يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وإنباته شجر لحذف الأول وخلفه الثانى كما قال عوف بن الخرع

أَمِنْ آلِ لَيلَى عَرَفْتَ الدِّيارَا ... بِجَنْبِ الشَّقِيقِ خَلاءً قِفَارَا

أى من ناحية آل ليلى •• وقال زهير

أَمِنْ أُمِّ أوفي دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ ... بِحَوْمانَةِ الدَّرَّاجِ فالمُتَثَلَّمِ

أراد من ناحية أم أوفى •• وقال أبو ذؤيب

أَمِنْكِ البَرْقُ أَرْقُبُهُ فَهاجَا ... فَبِتُّ إخالُهُ دُهْماً خِلاجَا

•• وقال أيضاً

أَمِنْكِ بَرْقٌ أَبِيتُ اللَّيلَ أَرْقُبُهُ ... كأَنَّهُ فِي عِرَاضِ الشَّامِ مِصْبَاحُ

•• وقال الجعدى

لِمَنِ الدِّيارُ عَفَوْنَ بالتَّهْطَالِ ... بَقِيَتْ على حِجَجٍ خَلَوْنَ طِوَالِ

أراد بقيت على مر حجج وتكرار حجج •• فأما قوله تعالى (فيه تسيمون) فمعناه ترعون وترسلون أنعامكم يقال أسام الابل يسيمها اسامة اذا أرعاها وأطلقها فرعت متصرفة حيث شاءت وسومها أيضاً يسومها من ذلك وسامت هي اذا رعت فهي تسوم وهي ابل سائمة ويقال سمتها اذا قصرتها على مرعى بعينه وسمتها الخسف اذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل لمن أذل وأضيم واهتضم سيم فلان الخسف وسيم خطة الضيم •• قال الكميت بن زيد في الاسامة التى هي الاطلاق فى الرعي

رَاعِياً كانَ مُسْيِماً فَفَقَدْنا ... هُ وَفَقْدُ المُسِيمِ هُلْكُ السَّوَامِ

.. وقال آخر

وَأَسْكُنُ ماسَكَنْتَ بِبَطْنِ وادٍ وَأَظْعَنُ ماظَعَنْتَ فلاَ أُسِيمُ

وذهب قوم الى ان السوم في البيع من هـذا لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه الى مايهواه كما تذهب سوام الابل من المواشي حيث شاءت .. وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم على ان الابل وغيرها لا تسام قبل طلوع الشمس ائلا تنتشر وتفوت الراعي ويخفى عليه مقاصدها وحمله آخرون على ان السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروهٌ لأن السلعة المبيعة تستتر عيوبها أو بعضها فيدخل ذلك في بيوع الغرر المنهي عنها .. وأما الخيل المسومة فقد قيل انها المعلمة بعلامات مأخوذة من السيماء وهي العلامة .. وروى عن الحسن البصري في قوله تعالى (والخيـل المسوَّمة) قال سوّمت نواصيها وأذنابها بالصوف .. وقيل أيضاً ان المسوَّمة هي الحسان وروى عن مجاهد في قوله تعالى (والخيل المسوَّمة) قال هي المطهمة الحسان .. وقال آخرون بل هي الراعية وقد روى ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى أصل واحد وهو معنى العلامة لأن تحسين الخيل يجري مجرى العلامة فيها التي تعرف بها وتميز لمكانها وقد قيل ان السوم من الراعي يرجع الى هذا المعنى أيضاً لأن الراعي يجعل في المواضع التي يرعاها علامات أو كالعلامات بما يزيله من نباتها ويعفوه من آثارها فكأن الأصل في الكل متفق غير مختلف .. وقال لبيد في التوسيم الذي هو التعليم

وَغَداةَ قاعِ القرنتينِ أتينهم زَهْواً يلوحُ خِلالَها التَّوْسِيمُ

أراد التعليم .. وأما قوله في الملائكة (مسوَّمين) فالمراد به معلمين .. وكذلك قوله تعالى (حجارة من سجيل منضود مسوَّمة) أي معلمة وقيل انها كان عليها كأمثال الخواتيم وقال في الملائكة مسوَّمين أي معلمين .. [قال المرتضي] رضي الله عنه ونعود الى ما كنا وعدنا به من ذكرنا للبحتري في ذم الشيب والتألم من فقد الشباب فمن ذلك قوله

وكُنْتُ أُرَجّي في الشَّبابِ شَفاعةً فَكَيْفَ لِباغِي حاجَةٍ بِشَفيعِهِ

مَشيبٌ كَنَثِّ السِّرِّ أعْيِي بِحَمْلِهِ … مُحَدِّثَهُ أوضاقَ صَدْرُ مُذيعِهِ

تلاحَقَ حتَّى كادَ يأتِي بِطيئُهُ … لِحَثِّ اللَّيالِي قَبْلَ آتِي سَرِيعِهِ

وما أحسن هذا من كلام وأبلغه وأطبعه .. وقال أيضاً

رُدِّي عليَّ الصِبا إنْ كُنتِ فاعِلةً … إنَّ الصِبا ليسَ مِنْ شأنِي ولا أرَبِي

جاوَزتُ حَدَّ الشَّبابِ النَّضْرِ مُلْتفِتاً … إلى بناتِ الصِبا يَرْكُضْنَ فِي طَلَبِي

والشَّيبُ مَهْرَبُ مَنْ جارَى مَنيَّتَهُ … ولاَ نَجاءَ لهُ مِنْ ذَلِكَ الهَرَبِ

وَالمَرْءُ لوْ كانَتِ الشِّعْرَى لهُ وَطَناً

صُبَّتْ عليهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبِ (١)

---

(١) الأبيات من قصيدة له يمدح بها اسماعيل بن بليل مطلعها

اليــك ماأنا من لهو ولا طرب … منيتِ منّي بقلب غـير منقلب

ردي على الصـبا إن كنت فاعلة … ان الهوى ليس من شأني ولا أربي

جاوزت حد الشباب النضر ملتفتاً … الى بنات الصبا يركضن في طلبي

والشيب مهرب من جارى منيته … ولا نجاء له من ذلك الهرب

والمرء لو كانت الشعرى له وطناً … حطت عليه صروف الدهر من صبب

قد أقذف العيس من ايل كأن له … وشياً من النَوْر أو أرضاً من العشب

حتى اذا ما انجلت أخراه عن أفق … مضمخ بالصـباح الورد مختضب

أوردت صادية الآمال فانصرفت … بريها وأخذت النجح من كثب

هاتيك أخلاق اسماعيل في تعب … من العلى والعـلى منهن في تعب

أتعبت شكري فأضحى منك في نصب … فاذهب فمالىَ في جدواك من أرب

لا أقبـل الدهر نيلا لا يقوم به … شكرى ولو كان مسـديه اليَّ ابي

لمـا سألتــك وافانى نداك على … أضعاف ظني فلم أخفق ولم أخب

ويروى ـ حطت عليه صروف ـ .. وقال البحترى

لا بسٌ من شبيبةٍ أمْ ناضِ ... وَمليحٌ من شيبه أم راضي

وَإذَا ما امتُعضتُ من ولع الشيـ ... ـب برأسي لم يغنِ ذاكَ امتعاضي

ليسَ يرضَى عن الزَّمانِ مروٌّ ... فيه إلاَّ عن غفلةٍ أو تغاضي

وَالبَواقي منَ اللَّيالي وَإنْ خا ... لفنَ شيئا مشبِهاتٌ المواضي

ناكَرت لمَّتي وناكَرتُ منها ... سوءَ هذي الأبدالِ والأعواضِ

شَعَراتٌ أقصّهنّ وَيرجعـ ... ـنَ رُجُوعَ السّهامِ في الأغراضِ

وَأبتْ تركيَ الغُديّاتُ والآ ... صالُ حتّى خضبتُ بالمقراضِ

غيرَ نفعٍ إلاَّ التَّعلُّلَ من شخـ ... ـصٍ عدوّ لم يعنهُ إبغاضي

وَرَواء المشيبِ كالبحص في عيـ ... ـني فقُلْ فيه في العيونِ المراضِ

طبتُ نفسا عنِ الشَّبابِ وما سـ ... ـوَّدَ من صبغِ بُردهِ الفضفاضِ

فهلِ الحادِثَاتُ يابنَ عويفٍ ... تاركاتي وَلُبسَ هذا البياضِ

وقال أيضاً

تَعيبُ الغانياتُ عليّ شيبي ... ومَنْ لى أنْ أمتَّعَ بالمَعيبِ

لم يحظ مأبض خلسات تعمدها ... فشك ذا الشعبة الطولي فلم يصب

لأشكرنك إن الشكر نائله ... أبقى على حاله من نائل النشب

بكل شاهدة للقوم غائبة ... عنهم جيماً ولم تشهد ولم تغب

مرصوقة باللآلى من نوادرها ... مسبوكة اللفظ والمعنى من الذهب

ولم أحابك في مدح تكذبه ... بالفعل منك وبعض المدح من كذب

وَوجْدِي بالشَّبابِ وَإنْ تولّى ... حَميداً دُونَ وَجْدِي بالمَشيبِ

وقال أيضاً

أُرَيْتُهُ من بعدِ جَثْلٍ فاحِمٍ ... جَوْنَ المَفارِقِ بالنّهارِ خَضيبا

فَعَجِبْتُ من حالَيْنِ خالفَ فيهما ... صَرْفُ الزّمانِ وما رَأَيْتُ عَجيبا

إنَّ الزّمانَ إذا تتابَعَ خَطْوُهُ ... سَبَقَ الطَّلُوبَ وأدركَ المطلُوبا

وقال أيضاً

رَأَتْ فلتاتِ الشَّيْبِ فابتسمتْ لها ... وَقالَتْ نُجُومٌ لوْ طَلَعْنَ بأسْعُدِ

أعاتِكُ ما كانَ الشَّبابُ مُقَرِّبي ... إليكِ فألحى الشَّيْبَ إذْ كانَ مُبْعِدِي

وقال أيضاً

غَشِيَتْ كَبِدِي قَسْوَةٌ منكِ ما إنْ ... تَزالُ تُجَدِّدُ فيها نُدُوبا

وَحُمِّلْتُ عنكِ ذَنْبَ المَشيبِ ... حتّى كأنّي ابتَدَعْتُ المَشيبا

وَمَنْ يَطَّلِعْ شَرَفَ الأرْبَعينَ ... يُحَيِّ من الشَّيْبِ زَوْراً غريبا

[قال الشريف المرتضى] رحمه الله . . ولي في هذا المعنى

قُلْنَ لَمّا رَأَيْنَ وخطاً مِنَ الشَّيْبِ بِرَأْسي أغيَ على مجهُودي

كَسَنا بارِقٍ تَعَرَّضَ وَهْناً ... في حَواشي بَعضِ اللّيالي السُّودِ

أبَياضٌ مُجَدَّدٌ مِنْ سَوادٍ ... كانَ قِدْماً لا مَرْحَباً بالجَديدِ

يالَحاكُنَّ مَن رَماكُنَّ بالحُسْـ ... ـنِ لِتَقْهَرْنَنا بِغَيْرِ جُنُودِ

ليسَ بيضٌ مِنّي فاجرِي عليهِـ ... ـنَّ صُدُوداً أوْ ليسَ فيكنّ سُود

قلّ ما ضَرّكُنَّ مِنْ شَعَراتٍ ... كُنَّ يوماً على الوَقارِ شُهُودي

وقال البحتري أيضاً

خَلّيَاهُ وَجِدَّةَ اللَّهْوِ مادَا ... مَ رِدَاءُ الشَّبَابِ غَضّاً جَدِيدَا
إنَّ أَيَّامَهُ منَ البِيضِ بِيضٌ ... مارَأَيْنَ المَفارِقَ السُّودَ سُودَا

وقال أيضاً

تَرَكَ السَّوَادَ للاَبِسِيهِ وَبَيَّضَا ... وَنَضَا منَ السِّتينَ عنهُ مانَضَا
وَسباهُ أغيَدُ في تَصَرُّفِ لَحظِهِ ... مَرَضٌ أعَلَّ بِهِ القُلُوبَ وَأمْرَضَا
فَكأَنَّهُ وَجدَ الصبا وَجَدِيدَهُ ... دَيْنا دَنا مِيقَاتُهُ أَنْ يُقْتَضَى
أسْيَانُ أثْرَيَ منْ جَوىً وَصَبابَةٍ ... وَأَسافَ منْ وَصْلِ الحِسانِ وأنْقَضا(١)

ويروى ـ اسوان ـ .. وقال أيضاً

هلْ أنتَ صارفُ شيبةٍ إنْ غاسَتْ ... في الوقتِ أوْ عَجِلَتْ عنِ الميعادِ
جاءتْ مُقَدَّمَةً أمامَ طوالعٍ ... هذِي تُرَاوِحُنِي وَتِلْكَ تُغَادِي
وَأخُو الغَبِينَةِ تاجرٌ في لِمَّةٍ ... يَشْرِي جَدِيدَ بَياضِها بِسَوادِ
لاَ تَكْذِبَنَّ فَما الصبا بِمُخَلَّفٍ ... لهوًا ولاَ زَمَنُ الصبا بِمُعَادِ
وَأرى الشَّبابَ على غضارةِ حُسْنِهِ ... وَجمالِهِ عَدداً منَ الأعْدَادِ

وقال أيضاً

أَيُثْنِي الشَّبابُ أمْ ما تَوَلَّى ... منهُ في الدَّهْرِ دَوْلَةٌ ما تَعُودُ
لاَ أرَى العيشَ وَالمفارِقُ بِيضٌ ... إسْوَةَ العيشِ والمفارِقُ سُودُ
وَأعُدُّ الشَّقِيَ جِدّاً وَلَوْ اغْـ ... ـطِيَ غُنْماً حَتَّى يُقَالَ سعيدُ

---

(١) ـ أساف ـ الرجل اذا هلكت ابله

مَنْ عدَتهُ العيُونُ وَانصَرَفتْ عنهُ إلتفاتاً الى سِوَاهُ الخدُودُ

وقال أيضاً

قدّمنّي فمَا جرَى السقْمُ إلاّ ... في ضلوعٍ علي جوَى الحبّ تحنى

لوْ رأتْ حادِثَ الخضابِ لأنّتْ ... وأرنّتْ من احمرارِ اليرنيّ

كافُ البيضِ بالمُمَرّ قذراً ... حين يكلفنَ والمصفّرِ سنا

يتشاغفنَ بالغريرِ المُسمّي ... منْ تصابٍ دُونَ الجليلِ المكنيّ

وقال أيضاً

أخيّ إنّ الصبا استمرّ به ... سيرُ الليالي فانهجتْ بُرُدُهْ

تصدّ عني الحسانُ مبْعدَةً ... إذ انا لاقربه ولا صددُهُ

شيبٌ علي المفرقين يارضهُ ... يكثّرُني أنْ أبينهُ عددُه

تطالبُ عندِي الشبّابَ ظالمةً ... بعَيْدَ خمسينَ حينَ لاَ تجدُه

لا عجبٌ إنْ مَللتِ خلّتنا ... فاُفتقدَ الوصلَ منكِ مُفتقدُه

مَن يتطاوَلْ على مُطاوَلةِ العيش تقعقع منْ ملّهُ عمده

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه •• ورأيت الآمدي وقد أخطأ في معنى البيت الأخير لانه قال معنى يتقعقع من مله عمده أى عظامه يجيء لها صوت اذا قام وقعد من كبره وضعفه قال وقوله ــ من مله ــ أى من تملى العيش يريد طوله ودوامه ومنه تمليت حبيبك والأمر بخلاف ما توهمه ومعنى ــ تقعقع من مله عمده ــ أي من تطاول عمره تعجل ترحله وانتقاله من الدنيا وكنى عن ذلك بتقعقع العمد وهذا مثل معروف للعرب يقولون من يجمع يتقعقع عمده يريدون أن التجمع داعى التفرق وان الاجتماع يعقب ويورث مايدعو الى الانتقال الذى يتقعقع معه العمد •• [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه والآمدى مع كثرة مايدعيه من التنقيب والتنقير على علوم العرب ان كان لم

يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف وان كان قد سمعه وجهل ان معنى بيت البحترى يطابقه فهو أطرف ٠٠ فأما قوله ـ من مله ـ فانما أراد به من ملل وملة فعلة من الملل وكيف يكون من تملى العيش ولم يسمع في تمليت مله وهذا خطأ على خطأ ٠٠ وقال البحترى

مَا كَانَ شَوْقِي بِبِدْعٍ يومَ ذَاكَ ولاَ دمعي بأَوَّل دَمْعٍ في الهَوَى سُفِحَا
وامَّةٍ كُنْتُ مَشغُوفاً بجِدَّتِها فما عفى الشَّيْبُ عنها لاَ ولاَ صفحا

وقال أيضاً

وَمَا أنسَ لاَ أنسَ عَهْدَ الشَّبَابِ وَعَلْوَةَ إِذْ عَيَّرَتني الكِبَرْ
كَوَاكِبُ شَيْبٍ علقن الصبا فقلَّلْنَ من حُسْنِهِ ما كَثُرْ
وإني وَجَدْتُ وَلاَ يكْذِبَنَّ سوادَ الهوى في بَياضِ الشَّعَر
ولاَبُدَّ من تَرْكِ إحدى اثنتين إمَّا الشَّبَاب وإما العُمُرْ

قال الآمدي وعليه في قوله ـ ولا بد من ترك إحدى اثنتين ـ معارضة وهو أن يقال ان من مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر فهو تارك لهما معاً ومن شاب فقد فارق الشباب وهو مفارق للعمر لا محالة فهو أيضاً تارك لهما جميعاً ٠٠ وقوله إما وإمّا لا توجب الا أحداهما قال والعذر للبحترى أن يقال انه من مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر وحده لانه لا يعمر فيكون مفارقاً للعمر ألا ترى انهم يقولون عمّر فلان اذا أسن وفلان لم يعمّر اذا مات شاباً ومن شاب وعمّر ثم مات لم يكن مفارقاً للشباب فى حال موته لانه قد قطع أيام الشباب وتقدمت مفارقته له وانما يكون فى حال موته مفارقاً للعمر وحده فالى هذا ذهب البحتري وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التى يعمرها الانسان وانما أراد بالعمر ههنا الكبر كما قال زهير

رَأَيْتُ المنَايَا خَبْطَ عَشْوَى فمن تُصِبْ تمته وَمَنْ تخطئ يُعمَّرْ فيهرَم

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ٠٠ وما رأيت أشد تهافتاً فى الخطأ منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى البيت غير ما توهمه وهو أظهر من

أن يخفى حتى يحتاج فيه الى هذا التعليل والتعسف وانما أراد البحتري ان الانسان بين حالتين إمّا أن يفارق الشباب بالشيب أو العمر بالموت فمن مات شاباً وان كان قد خرج من العمر وخرج بخروجه عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فانه لم يفارق الشباب وحده وانما فارق العمر الذى فارق بمفارقته الشباب وغيره وقسمة الرجل تناولت أحد الأمرين إمّا مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولا يكون ذلك إلاّ بالشيب أو مفارقة العمر بالموت وتلخيص كلامه إنه لابد للحي من شيب أو موت فكأن الشيب والموت متعاقبان والبحترى انما جعل قوله العمر مقام قوله الحياة والبقاء وانما قال العمر لأجل القافية مع انه مبين عن مراده ولو قال ولا بد من ترك الحياة أو ترك الشباب لقام مقام قوله العمر ٠٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عليّ بن محمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال من معاني ابن الرومي التى فتقها قوله يذم من جعل مصيبة غيره مصيبة له وعاب من تعلل بالتأسي بما نال غيره وهو يرثي شبابه وأحسن

يا شبابي وأين مني شبابي ... آذنتني أيّامُهُ بانقضاب

لهف نفسي على نعيمي ولهوى ... تحت أفنانه اللدان الرّطاب

ومعزّ عن الشبّاب مؤسّ ... بمشيب اللّدات والأصحاب

قلتُ لمّا أنتحي بعيد أساةٍ ... بمصابٍ شبابُهُ كمصابِ

ليس تأسو كلومُ غيري كلومي ... ما بهِ ما بهِ وما بيَ ما بي

ولابن الرومي

لهفي على الدُّنيا وهل لهفةٌ ... تنصفُ منها إن تلهّفتُها

قبحاً لها قبحاً على أنّها ... أقبحُ شيء حين كشّفتُها

وقد يُعزّيني شبابٌ مضى ... ولذّةٌ للعيش أسلفتُها

فكّرتُ في خمسين عاماً مضت ... كانت أمامي ثمّ خلّفتُها

جهلتها إذ هي موفورة ثم مضت عني فعرفتها
ففرحة الموهوب أعدمتها وترحة المسلوب ألحفتها
لو أن عمري مائة هدني تذكري أني تنصفتها

وله في هذا المعنى وقد تقدمت هـذه الأبيات في الأمالي السالفة وقد أحسن فيها كل الاحسان

كفى بسراج الشيب للرأس هاديا لمن قد أضلته المنايا لياليا
أمن بعد إبداء المشيب مقاتلي لرامي المنايا تحسبني ناجيا
غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه لشخصي أخلق أن يصبن سواديا
وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى فلما أضاء الشيب شخصي رمانيا

مجلس آخر ٤٨

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) .. فقال كيف جاءت أو بعد ما لا يجوز أن يعطف عليه وما الناصب لقوله تعالى (أو يتوب عليهم) وليس في ظاهر الكلام ما يقتضي نصبه .. الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه .. أولها أن يكون قوله تعالى (أو يتوب عليهم) معطوفاً على قوله ليقطع طرفاً والمعنى انه تعالى عجل لكم هـذا النصر ومنحكم به ليقطع طرفاً من الذين كفروا أي قطعة منهم وطائفة من جمهم أو يكبتهم ويغلبهم ويهزمهم فيخيب سعيهم وتكذب فيكم ظنونهم أو يغلبهم مايرون من تظاهر آيات الله تعالى الموجبة لتصديق نبيه عليه الصلاة والسلام فيتوبوا ويؤمنوا فيقبل الله تعالى ذلك منهم ويتوب عليهم أو يكفروا بعد قيام الحجج وتأكيد البينات والدلائل فيموتوا أو يقتلوا كافرين فيعذبهم الله تعالى باستحقاقهم النار ويكون على هـذا الجواب قوله

تعالى (ليس لك من الأمر شيء) معطوفاً على قوله تعالى (وما النصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم) أى ليس لك ولا لغيرك من هـذا الأمر شيء وانما هو من الله عزوجل .. والجواب الثاني أن يكون أو بمعنى حتى وإلاّ أن والتقدير ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب عليهم وإلاّ أن يتوب عليهم كما قال امرؤ القيس

بكى صاحبي لمارأى الدَّرْبَ دُونَهُ ... وَأَيقنَ أنا لاحقان بقيصرا [1]

فقلتُ لهُ لاتبكِ عَيناكَ إنّما ... نُحاولُ مُلْكاً أوْ نَموتَ فنُعذَرَا

أراد إلاّ أن نموت فنعذرا وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لأن لقائل أن يقول ان أمر الخلق ليس الى أحد سوى الله قبل توبة العباد وعقابهم وبعد ذلك فكيف يصح أن يقول ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم حتى كأنه اذا كان أحد الأمرين كان اليه من الأمر شيء ..ويمكن أن ينصر ذلك بأن يقال قد يصح الكلام اذا حمل على المعنى وذلك ان قوله (ليس لك من الأمر شيء) معناه ليس يقع ماتريده وتوثره من ايمانهم وتوبتهم أو ما تريده من استئصالهم وعذابهم على اختلاف الرواية في معنى الآية وسبب نزولها إلاّ أن يلطف الله تعالى لهم في التوبة فيتوب عليهم أو يعذبهم وتقدير الآية ليس يكون ماتريده من توبتهم أو عذابهم بك وانما يكون ذلك الله تعالى .. والجواب الثالث أن يكون المعنى ليس لك من الأمر شيء أو من أن يتوب الله عليهم فأضمر من اكتفاء بالأول وأضمر أن بعدها لدلالة الكلام عليها أو اقتضائه لها وهي مع الفعل الذى بعدها بمنزلة المصدر وتقـدير الكلام ليس لك من الأمر شيء ومن توبتهم وعذابهم ..[قال المرتضى] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم

---

(١) قوله بكى صاحبي الخ .. هو من قصيدته المشهورة ومطلعها

سما لك شوق بعد ما كان أبصرا ... وحلت سليمى بطن قوّ فعرعرا

قالها لما ذهب الى قيصر يستنجده على بنى أسد بعد قتلهم أباه وعنى بقوله ـ صاحبي ـ عمرو ابن قميئة من قيس بن ثعلبة بن مالك رهط طرفة وهو قديم جاهلى كان مع حجر أبي امرىء القيس فلما خرج امرؤ القيس الى الروم صحبه

يطعن على هـذا الجواب ويستبعده قال لان الفعل لا يكون محمولا على اعراب الاسم الجامد الذى لا تصرف له على إضمار أن مع الفعل لانه ليس في كلام العرب عجبت من أخيك ويقوم على معـنى عجبت من أخيك ومن أن يقوم لأن أخاك اسم جامد محض لا يعطف عليه إلاّ ما شاكله قال هـذا انما يستقيم ويصلح فى رد الفعل الى المصـدر كقولهم كرهت غضبك ويغضب أبوك على معـنى كرهت غضبك وان يغضب أبوك فيطرد هذا في المصادر لانها تؤل بأن فيقول النحويون يعجبنى قيامك وتأويله يعجبنى أن تقوم قال والاسم الجامد لا يمكن مثل هذا فيه ٠٠[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وليس ماذكره مستبعداً وان لم يضعف هذا الجواب إلاّ من حيث ذكر فليس بضعيف وذلك ان فيما امتنع منه مثل الذى أجازه لانه قد أجاز ذلك في المصادر وان لم يجزه في غـيرها وقوله تعالى (ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم) فيـه دلالة الفعل لان الأمر مصـدر أمرت أمراً فكأنه تعالى قال ليس لك من أمرتهم أو تأمرهم شئ ولا من أن يتوبوا وجرى ذلك مجرى قولهم كرهت غضبك ويغضب أبوك في رد الفعل الى المصدر والوجه الأول أقوي الوجوه والله أعلم بما أراد

[تأويل خبر] ٠٠ إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه ٠٠ الجواب قيل له أما النجش فهو المدح والاطراء ٠٠ قال نابغة بني شيبان يذكر الخمر

وَتُرْخِي بالَ منْ يَشْرَبُها ... وَتُفَدِّى كَرْمَها عِندَ النَّجَشْ[1]

---

(١) هو من قصـيدة له مشهورة روى ان أبا كامل مولي الوليد بن يزيد غنى يوماً بحضرته

أمدح الكاس ومن أعملها ... واهجُ قوماً قتلونا بالعطش

فسأل الوليد عن قائل هذا الشعر فقيل نابغة بني شيبان فأمر باحضاره فاستنشده القصيدة فأنشده إياها وظن ان فيها مدحاً له فاذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم فقال له الوليد لو سعد جدك لكانت مديحاً فينا لا فى بني شيبان ولسنا نخليك على ذلك من حظ ووصله

أى عند مدحها ومنه النجش فى البيع وهو مدح السلعة والزيادة فى ثمنها من غير ارادة لشرائها بل ليقتدى بالزائد فى زيادته غيره وأصل النجش استخراج الشئ والتسعير عنه .. قال بعض الفقعسيين

أجْرِشْ لها يابنَ أبي كِبَاشِ — فَما لها اللَّيلةَ منْ إنفاشِ
غيرَ السُّرَى وسائقٍ نجّاشِ — اسمَرَ مثلَ الحيَّةِ الخُشْخاشِ

ويروى الخشخاش ـ والنجاش ـ هو المستثير لسيرها والمستخرج لما عندها منه ومعنى ـ أجرش لها ـ أي أحد لها اتسمع الحداء فتسير وهو مأخوذ من الجرش وهو الصوت ومعنى

وانصرف .. وأول هذه القصيدة قوله

حل قلبي من سليمى نبلها — إذ رمتنى بسهام لم تطش
طفلة الأعطاف رؤد دمية — وشواها بخترى لم يحش
وكأن الدر في أخراصها — بيض كحلاء أقرته بعش
ولها عينا مهاة في مهي — ترتعي نبت خزامى وتقش
حرة الوجه رخيم صوتها — رطب تجنيه كف المنتقش
وهي من الليل اذا ماعونقت — منية البعل وهمّ المفترش

.. ومنها

أيها الساقي سقته مزنة — من ربيع ذى أهاضيب وطش
أمدح الكاس ومن أعملها — وأهج قوماً قتلونا بالعطش
انما الكاس ربيع باكر — فاذا ماغاب عنّا لم نعش
وكأن الشرب قوم موّتوا — من يقم منهم لأمر يرتعش
خرس الألسن مما نالهم — بين مصروع وصاح منتعش
من حميا قرقف حصية — قهوة حولية لم تمتحش
ينفع المزكوم منها ريحها — ثم تنفي داءه إن لم تنش
كل من يشربها يألفها — ينفق الأموال فيها كل هش

ـ الأنفاش ـ أراد انها لاتترك ترعى ليلا والنفش أن ترعى الابل ليلا وقد أنفشتها اذا أرسلتها ليلا ترعى ـ والخشخاش ـ الخفيف الحركة السريع التقلب ٠٠ والنجش في البيوع يرجع معناه الى هذا أيضاً من الزيادة لان الناجش يستثير بزيادته في الثمن ومدحه السلعة الزيادة في ثمنها فيكون معنى الخبر على هذا لا تناجشوا أى لا يمدح أحدكم السلعة فيزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيده وقد يجوز أيضاً أن يريد بذلك لا يمدح أحدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعي منفعته ويستثير فائدته وهذا المعنى أشبه بأن يكون مراده عليه الصلاة والسلام لأن قوله ولاتدابروا أشد مطابقة له ٠٠ ومعنى ـ لا تدابروا ـ أى لا تهاجروا ويولّي كل واحد منكم صاحبه دبر وجهه ٠٠ قال الشاعر

وأوصى أَبُو قيسٍ بأَنْ تتَوَاصلُوا   وأوصى أَبو كُمْ وَيحكُمْ أنْ تَدابرُوا

فكأنه قال عليه الصلاة والسلام لا تمادحوا ولا تتواصلوا بالمدح الذى ليس بمستحق ولا تهاجروا وتتقاطعوا ٠٠ فأما قوله عليه الصلاة والسلام ـ كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه ـ فقد ذهب قوم الى أن عرض الرجل انما هو سلفه من آبائه وأمهاته وما جرى مجراهم وذهب ابن قتيبة الى أن عرض الرجل عرض نفسه واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر أهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوّطون انما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك أى من ابدانهم قال ومنه قول أبي الدرداء أقرض من عرضك اليوم من قذفك أراد من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به ودع ذلك قرضاً لك عليه ليوم الجزاء والقصاص ٠٠ واحتج أيضاً بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان اذا خرج من منزله قال اللهم إنى قد تصدّقت بعرضي على عبادك قال فمعناه قد تصدقت بنفسي وأحللت من يغتابني فلو كان العرض الاسلاف ماجاز أن يحل من سب الموتي لان ذلك اليهم لا اليه ٠٠ قال ويدل على ذلك أيضاً حديث سفيان بن عيينة لو أن رجلا أصاب من عرض رجل شيئاً ثم تورّع من بعده فجاء الى ورثته بعد موته فأحلوه لم يكن ذلك

كفارة له ولو أصاب من ماله شيئاً ثم دفعه الى ورثته لكنا نرى ان ذلك كفارة له قال ويدل على ان عرض الرجل نفسه قول حسان

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فأَجَبْتُ عنهُ ... وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ[1]

فإِنَّ أَبي ووالده وَعِرْضي ... لعِرْضِ مُحمَّدٍ مِنكُمْ وِقاءُ

أَتَهْجُوهُ وَلستَ لهُ بكُفْءٍ ... فشَرُّ كُما لِخَيْرِكُما الفِداءُ

أراد ان أبي وجدّي ونفسي وقاء لنفس محمد صلى الله عليه وسلم .. وقال آخرون وهو الصحيح العرض موضع المدح والذّم من الرّجل فاذا قيل ذكر عرض فلان فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ويمدح أو يذم به وقد يدخل في ذلك ذكر الرجل نفسه وذكر آبائه وأسلافه لان كل ذلك مما يمدح به ويذم والذي يدل على هذا ان أهل اللغة لا يفرقون في قولهم شتم فلان عرض فلان بين أن يكون ذكره في نفسه بقبيح الأفعال أو شتم سلفه وآباه ويدل عليه قول مسكين الدارمي

رُبَّ مَهزُولٍ سَمينٍ عِرْضُهُ ... وسَمينِ الجِسْمِ مَهزُولِ الحَسَبْ[2]

---

(١) روي انه لما انتهى الى هذا البيت قال له النبي صلى الله عليه وسلم جزاؤك على الله الجنة يا حسان ولما انتهى الى قوله * فان أبي ووالده وعرضي * الخ قال صلى الله عليه وسلم وقاك الله ياحسان حر النار ولما انتهى الى قوله * أتهجوه ولست له بكفء * الخ قال من حضر هذا أنصف بيت قالته العرب .. وقوله ــ فشركما لخيركما الفداء ــ قال السهيلي في ظاهر هذا اللفظ شناعة لأن المعروف أن لا يقال هو شرهما إلاّ وفي كلاهما شر وكذلك خير مثله ولكن سيبويه قال تقول مررت برجل شر منك اذا نقص عن أن يكون مثله وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول ونحو منه قوله عليه الصلاة والسلام شر صفوف الرجال آخرها يريد نقصان حظهم عن حظ الصف الأول كما قال سيبويه ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشر والله أعلم

(٢) ذكر أبو عليّ القالي العرض بأنواعه فتركنا كل ما لا تعلق له بموضع البحث

فلو كان العرض نفس الانسان لكان الكلام متناقضاً لان السمن والهزل يرجعان الى

فقال والعرض أيضاً ماذم من الانسان أو مدح يقال فلان نقي العرض أى هو بريء من أن يشتم أو يعاب واختلف فيه فقال أبو عبيدة عرضه آباؤه وأسلافه وخالفه ابن قتيبة فقال عرضه جسده واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم فى صفة أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون انما هو عرق يجرى من اعراضهم مثل المسك يعنى من أبدانهم ونصر شيخنا أبو بكر بن الانباري أبا عبيدة فقال ليس هذا الحديث حجة له لان الاعراض عند العرب المواضع التى تعرق من الجسد قال والدليل على غلط ابن قتيبة فى هذا التأويل وصحة تأويل أبي عبيدة قول مسكين الدارمى

رب مهزول سمين عرضه وسمين الجسم مهزول الحسب

فمعناه رب مهزول البدن والجسم كريم الآباء قال وأما احتجاجه ببيت حسان بن ثابت

فان أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

في أن العرض الجسم فليس كما ذكر لان معناه فان أبي ووالده وآبائي فأتى بالعموم بعد الخصوص ذكر الأب ثم جمع الآباء كما قال الله جل وعز (ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم) فخص السبع ثم أتي بالقرآن العام بعد ذكره إياها والذي قاله ابن قتيبة قد قاله غيره ويمكن أن ينصر ابن قتيبة بيت مسكين ومعناه رب مهزول الجسم سمين الحسب أي عظيم الشرف وسمين الجسم مهزول الحسب أى ضعيف الشرف اه قلت وبعد بيت مسكين المتقدم

أكسبته الورق البيض أباً ولقد كان ولا يدعي لأب

ـ الورق ـ بفتح الواو وكسر الراء وهي الدراهم المضروبة وكذلك الرقة والهاء عوض عن الواو وقوله ـ ولايدعى لأب ـ أى ولا ينتسب من الدعوة بكسر الدال .. المعنى انه كان مجهول النسب ولم يكن له أب يدعي اليه فلما أعطي مالا ظهر له نسب واشتهر له أب يدعى اليه .. وقوله ـ ولقد كان ـ الواو للحال واللام للتأكيد وقد للتحقيق وكان تامة فلا تحتاج الى خبر .. وقوله ـ ولا يدعى لأب ـ جملة وقعت حالا أيضاً وهى مضارع منفى جاء بالواو وهو قليل والأكثر مجيئه بلا واو

شيء واحد وانما أرادت مهزول كريمة أفعاله أو كريم آباؤه وأسلافه .. وقد قال ابن عبدل الأسدى

وَإِنّى لأَستَغني فَما أَبطَرُ الغِنىَ وابذُلُ مَيسُورِى لِمَنْ يَبتَغِي قَرْضي

واعسرُ أحيانا فَتَشتَدُّ عُسْرَتِى وادرِكُ مَيسُورَ الغِنىَ وَمَعِي عِرْضى

ولا يليق ذلك إلاّ بما ذكرناه .. [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه وجدت أبا بكر ابن الانباري قد رد على ابن قتيبة هذا وطعن على ما احتج به فقال في الحديث المروى عنه عليه الصلاة والسلام في وصف أهل الجنة ان المراد بالاعراض مغابن الجسد .. وحكى عن الأموى انه قال الاعراض المغابن التى تعرق من الجسد نحو الابطين وغيرهما وقال في حديث أبى الدرداء معناه من عابك وذكر أسلافك فلا تجازه ليكون الله تعالى هو المثيب لك .. وقال في قول أبي ضمضم معناه انه أحل من أوصل اليه أذى بذكره وذكر آبائه فلا يحل إلاّ من أمره اليه .. وقال في قول حسان المراد بعرضه أيضاً أسلافه فكأنه قال ان أبي ووالده وجميع أسلافى الذين أمدح وأذم من جهتهم وقاءله عليه الصلاة والسلام فأتى بالعموم بعد الخصوص كما قال الله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) فأتي بالعموم بعد الخصوص ولم أجده ذكر في خبر سفيان ابن عيينة شيئاً وتأويله يقرب من تأويل خبر أبي ضمضم لأن من آذى رجلا بسبه في نفسه أو سب سلفه وأدخل عليه بذلك وضعاً ونقصاً لم يكن الى ورثته بعد موته الاحلال من ذلك لأن الأذى لم يدخل عليهم ولو كان داخلا عليهم أيضاً مع دخوله على المسبوب لكان إحلالهم مما يرجع الى غيرهم لم يصح على ان الاحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه وهل يسقط باسقاط مستحقه أم لا فيه كلام ليس هذا موضعه وقد ذكرناه في مواضع .. وبعد فلو سلم لابن قتيبة ان المراد بالعرض في كل المواضع التى ذكرناها النفس دون السلف أو سلم له ذلك في بيت حسان خاصة فانه أقرب الى أن يكون المراد به ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه لانا لم نقل ان العرض مقصور على سلف الانسان بل ذكرنا انه موضع الذم والمدح من الانسان ولا فرق

بين سلفه ونفسه فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعناً علينا وانما ينفع ابن قتيبة أن يأتي بما يدل على ان العرض لا يستعمل إلاّ في النفس دون السلف وكل شيء ورد مما المراد بالعرض فيه النفس أو المراد به السلف فهو مؤكد لقولنا في ان هذه اللفظة مستعملة في موضع الذم والمدح من الانسان وانما يكون ما استشهدنا به وما جرى مجراه مما يدل على استعمال لفظة العرض في السلف حجة على ابن قتيبة لانه قصر معناها على النفس والذات دون السلف وهذا واضح بحمد الله .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة معمر بن المثنى صفرياً وكان يكتم ذلك فأنشد لعمران بن حطان (١)

أنكرتَ بعدك من قد كنتُ أعرفهُ ... ما الناسُ بعدكَ يا مرداسُ بالناس

إمّا تكنْ ذقت كأساً دار أوّلها ... على القرونِ فذاقوا نهلة الكاس

قد كنتُ أبكيك حيناً ثمّ قد يئستْ ... نفسي فما ردَّ عني عبرتي ياسي

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا الاسناباذاني قال قال الثوري كنت اذا أردت ان أبسط أبا عبيدة ذكرته بأخبار الخوارج فابعج منه نبج بحر لجته يوماً وهو مطرق ينكت في الأرض في صحن المسجد وقد قربت منه الشمس

(١) وهو أحد بني ذهل بن ثعلبة وكان رأس القعدة من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم وهذه الأبيات يرثي بها أبا بلال وهو مرداس بن ادية وهي جدته وأبوه حدير وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة ورواية أبي العباس

يا عين بكي لمرداس ومصرعه ... يارب مرداس اجعلني كمرداس

تركتني هائماً أبكي لمرزأتي ... في منزل موحش من بعد إيناس

أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يامرداس بالناس

إمّا شربت بكأس دار أوّلها ... على القرون فذاقوا اجرعة الكاس

فكل من لم يذقها شارب عجلا ... منها بأنفاس ورد بعد أنفاس

فسلمت عليه فلم يرد فتمثلت

وَما للمَرْءِ خَيْرٌ في حَياةٍ إذا ماعُدَّ مِنْ سَقَطِ المَتاعِ

والبيت لقطري بن الفجاءة فنظر اليّ ثم قال ويحك أتدري من يقوله قلت قطري قال اسكت فض الله فاك فإلاّ قلت أمير المؤمنين أبو نعامة ثم انتبه فقال اكتمها عليّ يانوري فقلت هي ابنة الأرض فأنشدني

أَقُولُ لَها وَقَدْ جاشَتْ حَياءً مِنَ الأَبْطَالِ وَيْحَكِ لا تُراعي

فإِنَّكِ لَوْ طَلَبْتِ حَياةَ يَوْمٍ على الأَجَلِ الَّذِي لَكِ لَنْ تُطاعي

فَصَبْرًا في مَجالِ المَوْتِ صَبْرًا فَما نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطاعِ

وَما طُولُ الحَياةِ بِثَوْبِ مَجْدٍ فَيُطْوَى عنْ أَخي الخَنَعِ اليَرَاعِ

سَبِيلُ المَوْتِ مَنْهَجُ كُلِّ حَيٍّ وَدَاعِيهِ لأَهْلِ الأَرْضِ دَاعِي

وَمنْ لم يَغْتَبِطْ يُسأَمْ وَيَهْرَمْ وَيُفْضِ بِهِ القَضاءُ إلى انْقِطاعِ

وَما لِلمَرْءِ خَيْرٌ في حَياةٍ إذاماعُدَّ منْ سَقَطِ المَتاعِ[1]

---

(١) رواية الحماسة

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن تراعي

فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذى لك لم تطاعى

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع

وما ثوب الحياة بثوب عز فيطوى عن أخى الخنع اليراع

سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الأرض داعى

ومن لا يغتبط يسأم ويهرم وتسلمه المنون الى انقطاع

وما للمرء خير فى حياة اذا ما عُدَّ من سقط المتاع

فكتبتها وقت لأنصرف فقال اقعد ثم أنشدني

إلى كَمْ تُغازيني السُّيُوفُ ولاَ أَرَى مُغازَاتِها تدعُو إليَّ حِمامِيا

أُقارِعُ عن دَارِ الخُلُودِ ولاَ أَرَى بَقاءً على حالٍ لِمَنْ ليْسَ باقِيا

ولوْ قرَّبَ الموْتَ القِراعُ لقَدْ أَنى لِموْتِيَ أنْ يدْنُو لطُولِ قِرَاعِيا

أُغادِي جِلاَدَ المُعْلِمِينَ كأَنَّني على العَسلِ الماذِيّ أُصبِحُ غادِيا

وادْعُو الكُماةَ للنزَالِ إذا القنا تَحطّمَ فيما بيْننا منْ طِعانِيا

وَلستُ أرَى نَفْساً تمُوتُ وَإنْ دَنتْ منَ الموْتِ حتّى يَبْعث اللهُ داعِيا

فقال ابن دريد وهذا الشعر أيضاً لقطري . . أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال جئت أبا عبيدة يوماً ومعي شعر عروة بن الورد فقال فارغ حمل شعر فقير ليقرأه على فقير فقلت ما معي غيره فأنشدني أنت ما شئت فأنشدني

يا رُبَّ ظِلِّ عُقابٍ قدْ وقَيْتُ بهِ مُهْرِي منَ الشّمْسِ والأَبْطالُ تجْتلِدُ

وَرُبَّ يوْمِ حِمًى أرْعى عقْوتَهُ خيلي اقْتِساراً وأطْرافُ القنَا قِصَدُ

وَيوْمِ لَهْوٍ لأَهْلِ الخفْضِ ظلَّ بهِ لَهْوِي اصطِلاءُ الوَغا إذْ نارُهُ تقِدُ

مُشَهِّراً موْقفِي والحرْبُ كاشفةٌ عنْها القِناعَ وَبحْرُ الموْتِ يطّرِدُ

وَرُبَّ هاجِرَةٍ تغْلي مَرَاجِلُها صخَرْتُها بمَطايا غارَةٍ تخِدُ

تجْتابُ أوْدِيَةَ الأَفْزاعِ آمِنةً كأَنّها أُسُدٌ يقْتادُها أسَدُ

فإنْ أمُتْ حتْفَ نَفْسِي لاَ أمُتْ كَمَدًا

على الطِّعانِ وَقصْرُ العاجِزِ الكَمَدُ

وَلمْ أقلْ لمْ أساقِ القَتْلَ شارِبَهُ في كأْسهِ والمَنايا شُرَّعٌ وُرُدُ

ثم قال لي هذا الشعر لا ما تعللون به نفوسكم من أشعار الخنائث والشعر لقطري ‥ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة يأنس اليّ في أول ما اختلفت اليه ويسألني عن خوارج سجستان لانه كان يظنني على رأيهم وكنت أوهمه أنى منهم فدالني منه لذلك عناية خاصة فكان كثيراً ينشدني أشعارهم ثم يتمثل

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوا احْسَنُوا البِنَا ‏ ‏ ‏ وَإِنْ عاهَدُوا أَوْفُوا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

قال وأنشدني يوماً لرجل من طيء من الخوارج

لاَ كابْن ملحانَ منْ شارأخي ثقة ‏ ‏ ‏ أوْ كابْن علقمةَ المُسْتَشْهِدِ الشاَّرِى

منْ صادق كُنْتُ أصفيه مُخالصتَى ‏ ‏ ‏ فباعَ داري بأَغْلَى صفْقةِ الدّارِ

إِخْوانُ صِدْق أُرَجّيهمْ واحذَرُهمْ ‏ ‏ ‏ اشْكُو الى الله إِخْوَاني وإِحذارَى

فَصُرْتُ صاحِبَ دُنيااَسْتُأَمْلِكُها ‏ ‏ ‏ وصارَ صاحِبَ جنَّاتٍ وأَنْهارِ

مجلس آخر ٤٩

[تأويل آية] ‥ إن سأل سائل عن قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّتْ أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) ‥ فقال ما اليد التي أضافتها اليهود الى الله تعالى وادّعوا انها مغلولة فما نرى ان عاقلا من اليهود ولا غيرهم يزعم ان لربه يداً مغلولة واليهود تتبرأ من أن يكون منها قائل بذلك وما معنى الدعاء عليهم بغلت أيديهم وهو تعالى ممن لا يصح أن يدعو على غيره لانه تعالى قادر على أن يفعل ما يشاء وانما يدعو الداعي بما لا يتمكن من فعله طلباً له ‥ الجواب قلنا يحتمل أن يكون قوم من اليهود وصفوا الله تعالى بما يقتضى تناهي مقدوره فجرى ذلك مجرى أن يقولوا ان يده مغلولة لان عادة الناس جارية بان يعبروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة

عن كذا وكذا ويده لا تنبسط الى كذا اذا أرادوا وصفه بالفقر والقصور ويشهد بذلك قوله تعالى فى موضع آخر (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) ثم قال تعالى مكذباً لهم (بل يداه مبسوطتان) أي انه لا يعجزه شئ وثنى اليدين تأكيداً للأمر وتفخيماً له ولان ذلك أبلغ فى المعني المقصود من أن يقول بل يده مبسوطة .. وقد قيل أيضاً ان اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطؤا فضله ورزقه وقيل انهم قالوا على سبيل الاستهزاء ان إله محمد الذي أرسله يداه الى عنقه إذ ليس يوسع عليه وعلى أصحابه فرد الله قولهم وكذبهم بقوله (بل يداه مبسوطتان) واليد ههنا الفضل والنعمة وذلك معروف فى اللغة متظاهر فى كلام العرب وأشعارهم ويشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) ولا معنى لذلك إلا الأمر بترك امساك اليد عن النفقة فى الحقوق وترك الاسراف الى القصد والتوسط ويمكن أن يكون الوجه فى تثنية النعمة من حيث أريد بها نعم الدنيا ونعم الآخرة لان الكل وان كانت نعماً لله فن حيث اختص كل واحد من الأمرين بصفة تخالف صفة الآخر صارا كأنهما جنسان وقبيلان ويمكن أيضاً أن يكون فى تثنية النعمة لانه أريد بها النعم الظاهرة والباطنة .. فأما قوله تعالى (غُلّتْ أيديهم) ففيه وجوه .. أولها أن لا يكون ذلك على سبيل الدعاء بل على وجه الاخبار منه عز وجل عن نزول ذلك بهم وفى الكلام ضمير وقد قيل قوله (غُلّتْ أيديهم) وموضع غُلّت نصب على الحال كأنه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا فى حال ماغل الله تعالى أيديهم ولعنهم أو حكم بذلك فيهم ويسوغ إضمار قد ههنا كما ساغ فى قوله عز وجل (إن كان قميصه قُدَّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قُدَّ من دبر فكذبت) والمعني فقد صدقت وقد كذبت .. وثانيها أن يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلت أيديهم أو وغلت أيديهم فأضمر تعالى الفاء والواو لان كلامهم تم واستؤنف بعده كلام آخر ومن عادة العرب أن تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع من ذلك قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً) أراد فقالوا أتتخذنا هزواً فأضمر تعالى الفاء لتمام كلام موسى عليه الصلاة والسلام

ومنه قول الشاعر

لمَّا رَأَيْتُ نَبَطا أنصَارَا ... شَمَّرتُ عن رُكبَتِيَ الإزَارَا

كُنتُ لَها منَ النَّصارَى جارَا

أراد وكنت لهـا فأضمر الواو .. وثالثها أن يكون القول خرج مخرج الدعاء إلاّ أن معناه التعليم من الله تعـالى لنا والتأديب فكأنه تعالي وقفنا على الدعاء عليهـم وعلمنا ما ينبغى أن نقول فيهم كما علمنا الاستثناء فى غير هـذا الموضع بقوله (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وكل ذلك واضح والمنّة لله

[تأويل خبر] .. ان سأل سائل عن الخبر الذي روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده .. الجواب قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس فالخوارج تتعلق به وتدعى ان القطع يجب فى القليـل والكثير ويستشهد على ذلك بظاهر قوله تعالي (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهـما) ويتعلق بهذا الخـبر أيضاً الملحدة والشكاك ويدعون انه مناقض للرواية المتضمنة انتفاء القطع إلاّ فى ربع دينار ونحن نذكر ما فيه .. فأول ما نقوله ان الخبر مطعون فيه عند أصحاب الحديث وعلى اسناده أيضاً طعن وقد حكى ابن قتيبة فى تأويله وجهاً عن يحيي بن أكثم طعن عليه وضعفه وذكر عن نفسه وجهاً آخر نحن نذكرهما وما فيهـما ونتبعهما بما نختاره .. قال ابن قتيبـة كنت حضرت يوماً مجلس يحيي بن أكثم بمكة فرأيته يذهب الى ان البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التى تغفر الرأس فى الحرب وان الحبل من حبال السـفن قال وكل واحد من هـذين يبلغ ثمنه دنانير كثيرة .. قال ورأيته يعجب بهذا التأويل ويبدئ فيه ويعيد ويرى انه قطع به حجة الخصم .. قال ابن قتيبة وهـذا انما يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام وليس هذا موضع تكثير لما يأخـذه السارق فيصرفه الى بيضة تساوى دنانير وحبل لا يقدر السارق على حمله ولا من عادة العرب والعجم أن يقولوا قبح الله فلاناً عرض نفسه للضرر فى عقد جوهر وتعرض لعقوبة الغلول في جراب مسك وانما العادة جارية

بان يقال لعنه الله تعرض لقطع اليد فى حبل رث أو أداوة خلق أو كبة شعر فكل ما كان من ذلك حقيراً كان أبلغ .. قال والوجه في الحديث ان الله تعالى لما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم (والسارق والسارقة) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده على ظاهر ما أنزل عليه في ذلك الوقت ثم أعلمه الله تعالى بعدُ ان القطع لا يكون إلاّ في ربع دينار فما فوقه ولم يكن عليه الصلاة والسلام يعلم من حكم الله تعالى إلاّ ما أعلمه الله تعالى ولا كان الله يعرفه ذلك جملة بل يبين له شيئاً بعد شيء .. [قال المرتضى] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر الانبارى يقول ليس الذى ذكر ابن قتيبة على تأويل الخبر بشيء قال لأن البيضة من السلاح ليست علماً في كثرة الثمن ونهاية علو القيمة فتجري مجرى العقد من الجوهر والجراب من المسك الذين يساويا الألوف من الدنانير والبيضة من السلاح ربما اشتريت بأقل مما يجب فيه القطع وانما أراد عليه الصلاة والسلام انه يكتسب قطع يده بما لا غناء له به لان البيضة من السلاح لا يستغنى بها أحد والجوهر والمسك فى اليسير منهما غناء .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه والذى نقوله ان ماطعن به ابن الانباري على كلام ابن قتيبة متوجه وليس فى ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظن فيشبه العقد والجراب من المسك غير انه يبقى فى ذلك أن يقال أي وجه لتخصيص البيضة والحبل بالذكر وليس هما النهاية فى التقليل وان كان كما ذكره ابن الانبارى من ان المعنى انه ايسرق مالا يستغنى به فليس ذكر ذلك بأولى من غيره فلا بد من ذكر وجه في ذلك .. وأما تأويل ابن قتيبة فباطل لان النبى عليه الصلاة والسلام لا يجوز أن يقول ماحكاه عند سماع قوله تعالى (والسارق والسارقة) لان الآية مجملة مفتقرة الى بيان ولا يجوز أن يحملها أو يصرفها الى بعض محتملاتها دون بعض بلا دلالة على ان أكثر من قال ان الآية مجملة وان ظاهر القول يقتضي العموم ويذهب الى ان تخصيصها بسارق دون سارق لم يتأخر عن حال الخطاب بها فكيف يصح ماقاله ابن الانباري ان الآية تقدمت ثم تأخر تخصيص السارق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتأخر ناسخاً للأول وعلى تأويله هذا يقتضى أن يكون كل الخبر منسوخاً واذا أمكن تأويل أخباره عليه الصلاة والسلام على مالا يقتضى

رفع أحكامها او نسخها كان أولى . . والأشبه أن يكون المراد بهذا الخبران السارق يسرق الكثير الجليل فتقطع يده ويسرق الحقير القليل فتقطع يده فكأنه تعجيز له وتضعيف لاختياره من حيث باع يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره . . وقد حكى أهل اللغة ان بيضة القوم وسطهم وبيضة الدار وسطها وبيضة السنام شحمته وبيضة الصيف معظمه وبيضة البلد الذى لا نظير له وان كان قد يستعمل ذلك في المدح والذم على سبيل الاضداد واذا استعمل فى الذم فمعناه ان الموصوف بذلك حقير مهين كالبيضة التى تفسدها النعامة فتتركها ملقاة ولا تلتفت اليها فماجاءمن ذلك في المدح قول أخت عمرو ابن عبد ود ترثيه [1] وتذكر قتل أمير المؤمنين عليه السلام إياه وقيل ان الأبيات لامرأة من العرب غير أخته

لوْ كانَ قاتلُ عمْرو غيْرَ قاتلِهِ ... لـكُنْتُ أبْـكي عليهِ آخرَ الأَبَدِ

لـكنَّ قاتلهُ مَنْ لاَ يُعابُ بهِ ... قَدْ كانَ يُدْعى قَدِيمًا بَيْضةَ البلَدِ

---

(١) عمرو بن عبد ود هذا من بني عامر بن لوى خرج فى فرسان من قريش منهم عكرمة بن أبى جهل وهبيرة بن أبى وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب فى غزوة الخندق فتيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين سلع والخندق وخرج علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التى اقتحموا منها خيلهم فقال لعمرو بن عبد ود ياعمرو إنك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش الي خلتين إلاّ أخذت منه احداهما قال أجل قال له علىّ فإنى أدعوك الى الله عزوجل والى رسوله والي الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فإني أدعوك الى النزال قال ولم يابن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك قال علىّ ولكنى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه ثم أقبل على علىّ فتنازلا وتجاولا فقتله علىّ عليه السلام وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو منبه بن عثمان الدارى ونوفل بن عبد الله بن المغيرة

وقال آخر فى المدح

كانَتْ قُرَيْشا بَيْضَةٌ فتفَلَّقَتْ   فالمُخُّ خالِصة لِعبْدِ مَنافِ

وقال آخر فى الذم

تأْبي قُضاعةُ أنْ تعرِفَ لكُم نَسبا   وابنا نِزارٍ فأنتُم بَيْضَةُ البلَدِ

أراد أن تعرف فأسكن .. وقال آخر في ذلك

لكنَّهُ حَوْضُ مَنْ أُودَى بإخوتِهِ   رَيْبُ الزَّمان فأمْسَي بَيْضَةَ البَلَدِ [1]

فقد صار معنى البيضة كله يعود الى التفخيم والتعظيم .. وأما الحبل فيذكر على سبيل المثل والمراد المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القائل ما اعطاني فلان إلاّ عقالاوما ذهب من فلان عقال ولا تساوى كذا نقيراً كل ذلك على سبيل المثل والتقليل وليس الغرض بذكر الحبل الواحد من الحبال على الحقيقة واذا كان على هذا تأويل الخبر زال عنه المناقضة التى ظننت وبطلت شبهة الخوارج فى ان القطع يجب فى القليل والكثير .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أبو عبيد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثنى أبو وهب عليّ بن ثابت قال قال الأصمعي تصرفت بالأسباب على باب الرشيد مؤملا بالظفر به والوصول اليه حتى إنى صرت لبعض حرسه خديناً فإنى فى ليلة قد نثرت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج خادم فقال أما بالحضرة أحد يحسن الشعر فقلت الله أكبر رب قيدٍ مضيقه قد حله التيسير فقال لي الخادم ادخل فاملها أن تكون ليلة تغرس في صباحها بالغنى ان فزت بالحظوة عنده

---

(١) وقبله

لو كان حوض حمار ماشربت به   إلاّ باذن حمار آخر الأبد
لكنه حوض من أودى باخوته   وريب الزمان فأمسى بيضة البلد
لوكان يشكي الى الأموات مالقى الا   احياء بعدهم من شدة الكمد

فدخلت فواجهت الرشيد في بهوة والفضــل بن يحيى الى جانبه فوقف بي الخــادم بحيث يسمع التســليم فســلمت فرد عليّ الســلام ثم قال ياغلام أرجه قليــلا ليفرخ روعه ان كان قد وجد للروعة حساً فدنيت قليلا ثم قلت ياأمير المؤمنين إضاءة مجدك وبهاء كرمك مجيران لمن نظر اليك من اعتراض أذية فقال ادن فدنوت فقال أشاعر أم راوية فقلت راوية لكل ذى جد وهزل بعد أن يكون محســناً فقال تالله مارأيت ادعاء أعم فقلت أنا على الميدان فأطلق من عناني ياأمير المؤمنين فقال قد أنصف القارة من راماها ثم قال مامعنى هــذه الكلمة بديا قال قلت فيهــا قولان القارة هي الحرّة من الأرض وزعمت الرواة ان القارة كانت رماة للتبابعة والملك إذ ذاك أبو حسان فواقف عسكره عسكر السعد فخرج فارس من الســعد قد وضع سهمه فى كبد قوسه فقال أين رماة العرب فقالت العرب قد أنصف القارة من راماها[1] فقال لي الرشيد أصبت ثم قال

---

(١) القارة قبيلة وهم عضل والديش أبناء الهون بن خزيمة وانمــا ســموا قارة لالتفافهم واجتماعهم لما أراد الشداخ أن يفرقهم فى بني كنانة وقريش قال شاعرهم

دعونا قارة لاتنفــرونا فنجفل مثل إجفال الظليم

وهم رماة الحدق في الجاهلية وهم اليوم فى اليمن ويزعمون ان رجلين إلتقيا أحــدهما قاري والآخر أســدي فقال القاري ان شئت صارعتك وان شئت سابقتك وان شئت راميتك فقال الآخر قد اخترت المراماة فقال الأســدي قــد اخترت المراماة فقال القاري قد أنصفتنى وأنشد

قدأنصف القارةمن راماها إنّا اذا ما فئــة نلقاها

* نرد أولاها على أُخراها *

ثم انتزع له سهماً وشك فؤاده • • وانما قيل ألصف القارةمن راماها فى حرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناف بن كنانة وكانت كنانة مع قريش وهم قوم رماة فلما التقى الفريقان راماهم الآخرون فقيل قد أنصــفهم هؤلاء اذ ساووهم في العمل الذي هو شأنهم وصناعتهم

أتروي لرؤبة بن العجاج والعجاج شيئاً فقلت هما شاهـدان لك بالقوافي وان غيبا عن بصرك بالأشخاص فأخرج من ثني فرشه رقعة ثم قال أنشدني

أَرَّقَنِي طارِقُ هَمٍّ طَرَقا

فمضيت فيها مضي الجواد في متن ميدانه تهدر بها أشداقي فلما صرت الى مديحه لبني أمية ثنيت لساني الى امتداحه للمنصور في قوله

قُلْتُ لِزِيرٍ لم تَصِلْهُ مَرْيَمُهْ

فلما أراني قد عدلت من أرجوزة الى غيرها قال أعن حيرة أم عن عمد قلت عن عمد تركت كذبه الى صدقه فيما وصف به المنصور من مجد فقال الفضل أحسنت بارك الله عليك مثلك يؤهل لهـذا المجلس فلما أتيت على آخرها قال لي الرشـيد أتروي كلمة عدى بن الرقاع

عَرَفَ الدِّيارَ تَوَهُّماً فاعْتادَها

قلت نعم قال هات فمضيت فيها حتى صرت الى وصف الجمل قال لي الفضل ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أمتعنا به السهر من ليلتنا هـذه بصفة جمل أجرب فقال له الرشـيد اسكت فالابل هي التي أخرجتك من دارك واستلبت تاج ملكك ثم ماتت وعملت جلودها سياطاً ثم ضربت بها أنت وقومك فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب الحمد لله فقال الرشيد أخطأت الحمد لله على النعم ولو قلت أستغفر الله كنت مصيباً ثم قال لي امض في أمرك فأنشدته حتى اذا بلغت الى قوله

تُزْجِي أَغَنَّ كأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصابَ مِنَ الدَّواةِ مِدادَها

استوى جالساً ثم قال لي أتحفظ في هذا ذكراً قلت نعم ذكرت الرواة ان الفرزدق قال كنت في المجلس وجرير الى جانبي فلما ابتدأ عدي في قصيدته قلت لجرير مسرًّا اليه هلم نسخر من هذا الشامي فلما ذقنا كلامه يئسنا منه فلما قال

تُزْجِي أَغَنَّ كأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

وعدى كالمستريح فقال جرير اذاً تراه يستلب بها مثلا فقال الفرزدق يالكع انه يقول

قلم أصابَ منَ الدَّواةِ مِدَادَها

فقال جرير كأنّ سمك مخبو فى صدره فقال لي اسكت شغلني سبُّك عن جيد الكلام[1] فلما بلغ الى قوله

ولقَدْ أَرَادَ اللهُ إذ ولاَّ كَها مِنْ أُمَّةٍ إصلاَحَها وَرَشَادَها

قال الأصمعي قال لي الرشيد ماتراه قال حين أنشده الشاعر هذا البيت فقلت قال كذلك أراد الله فقال الرشيد ما كان فى جلالته يقول هذا أحسبه قال ماشاء الله قال وكذا جاءت الرواية فلما أتيت على آخرها قال لى أتروي لذي الرمة شيئاً قلت الأكثر قال فماذا أراد بقوله

مُمَرٌّ أُمِرَّتْ فَتْلُهُ أَسَدِيَّةٌ ذِرَاعِيَّةٌ حَلاَّلَةٌ بالمَصانِعِ

قلت وصف حمار وحش أسمنه بقل روضة تواشجت أصوله وتشابكت فروعه عن مطر سحابة كانت بنوء الأسد فى الذراع فقال الرشيد أرخ فقد وجدناك ممتعاً وعرفناك محسناً ثم قال إني لأجد ملالة ونهض فأخذ الخادم يصلح عقب النعل فى رجله وكانت عربية فقال الرشيد عقرتنى ياغلام فقال الفضل قاتل الله الأعاجم أما انها لو كانت سندية لما احتجت الى هذه الكلفة فقال الرشيد هذه نعلي ونعل آبائي كم تعارض فلا تترك من جواب ممضٍ ثم قال ياغلام تأمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم

---

(١) وقال أبو العباس يروي ان جريراً دخل الى الوليد وابن الرقاع العاملي عنده ينشده القصيدة التى يقول فيها

غلب المساميحَ الوليدُ سماحة وكفى قريش المعضلات وسادها

قال جرير فحسدته على أبيات منها حتى أنشد فى صفة الظبية * تزجي أغن كأن إبرة روقه * الخ قال فقلت فى نفسى وقع والله ما يقدر أن يقول أو يشبه به قال فقال * قلم أصاب من الدواة مدادها * قال فما قدرت حسداً له أن أقيم حتى انصرفت

على هذا الرجل فى ليلته هـذه ولا يحجب فى المستأنف فقال الفضل لولا انه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لأمرت لك بمثل ما أمر لك به وقد أمرت لك به إلا ألف درهم فتلقى الخادم صباحاً .. قال الأصمعي فما صليت من غد إلاّ وفى منزلى تسعة وخمسون ألف درهم

مجلس آخر ٥٠

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (أللهُ وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) .. فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضى انه هو الفاعل للايمان فيهم لأن النور ههنا كناية عن الايمان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي ولا معنى لذلك غير ماذكرناه واذا كان مضيف الاخراج اليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين وهذا خلاف مذهبكم .. الجواب قلنا إن النور والظلمة المذكوران في الآية جائز أن يكون المراد بهما الايمان والكفر وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب فقد تصح الكناية عن الثواب والنعيم فى الجنة بانه نور وعن العقاب فى النار بانه ظلمة فاذا كان المراد بهما الجنة والنار ساغت اضافة اخراجهم من الظلمات الى النور اليه تعالى لانه لا شبهة فى انه جل وعز هو المدخل للمؤمن الجنة والعادل به عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه أشبه لانه يقتضى ان المؤمن الذى ثبت كونه مؤمناً يخرج من الظلمة الى النور ولو حمل على الايمان والكفر لتناقض المعنى ولصار تقدير الكلام انه يخرج المؤمن الذى قد تقدم كونه مؤمناً من الكفر الى الايمان وذلك لايصح واذا كان الكلام يقتضى الاستقبال فى اخراج من ثبت كونه مؤمناً كان حمله على دخول الجنة والعدول به عن طريق النار أشبه بالظاهر على أنا لو حملنا الكلام على الايمان والكفر لصح ولم يكن مقتضياً لما توهموه ويكون وجه اضافة الاخراج اليه تعالى وان لم يكن الايمان من فعله من حيث بيّن ودل وأرشد ولطف وسهّل وقد علمنا انه لولا هذه الأمور لم يخرج المكلف من الكفر الى الايمان فيصح اضافة الاخراج اليه تعالى لكون ما عددناه من

جهته وعلى هذا يصح من أحدنا اذا أشار على غيره بدخول بلدٍ من البلدان ورغبه في ذلك وعرّفه ما فيه من الصلاح والنفع أو بمجانبة فعــل من الأفعال أن يقول أنا أدخلت فلاناً البلد الفلاني وأنا أخرجته من كذا وانتشته منــه ويكون وجه الاضافة ما ذكرناه من الترغيب وتقوية الدواعي ألا ترى انه تعالى قد أضاف اخراجهم من النور الى الظلمات ومن الايمان الي الطاغوت وان لم يدل ذلك على ان الطاغوت هو الفاعل للكفر في الكفار بل وجه الاضافة ما تقدم لان الشياطين يغوون ويدعون الي الكفر ويزينون فعله فتصح اضافته اليهم من هذا الوجه والطاغوت هو الشيطان وحزبه وكل عدو لله تعالى صدّ عن طاعته وأغرى بمعصيته يصح اجراء هذه التسمية عليه فكيف اقتضت الاضافة الأُولي ان الايمان من فعل الله تعالي في المؤمن ولم تقتض الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله المخالفين وغفلتهم . . وبعد فلو كان الأمر على ما ظنوه لما صار الله تعالي ولياً للمؤمنين وناصراً لهــم على ما اقتضته الآية والايمان من فعــله تعالي لا من فعلهم ولما كان خاذلا للكافرين مضيفاً لولايتهــم الي الطاغوت والكفر من فعله تعالى فيهم ولما فصل بين الكافر والمؤمن فى باب الولاية وهو المتولي لفعل الأمرين فيهما ومثل هذا لا يذهب على أحد ولا يعرض عنــه إلاّ معاند مغالط لنفسه . . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال قال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري حدثنا أحمد بن حيان قال حدثنا أبو عبد الله بن البطاح قال أخــبرنا أبو عبيدة قال قال عبد الملك بن مسلم كتب عبــد الملك بن مروان الى الحجاج انه لم يبق شيءٌ من لذة الدنيا إلاّ وقد أصبت منه ولم يبق لى من لذة الدنيا إلاّ مناقلة الاخوان الأحاديث وقبلك عامر الشعبي فابعث به اليّ يحدثني فدعا الحجاج بالشعبي وجهزه وبعث به اليــه وأطراه فى كتابه فخرج الشعبي حتي اذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استأذن لى قال ومن أنت قال عامر الشعبي قال حياك الله ثم نهض وأجلسه على كرســيه فلم يلبث أن خرج الحاجب اليه فقال ادخل قال فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسى وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية على كرسي فسلمت فرد السلام ثم أومأ اليّ بقضيبه فقعدت عن يساره ثم أقبل على الذى بين يديه فقال ويحك من أشعر الناس قال أنا يا أمير المؤمنين

فأظلم عليّ مابيني وبين عبد الملك ولم أصبر ان قلت ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم انه أشعر الناس فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي ثم قال هذا الأخطل فقلت يا أخطل أشعر منك الذي يقول

هَذَا غُلَامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ ... مُقْتَبِلُ الخَيْرِ سَرِيعُ التَّمامْ

للحارث الأَكْبَرِ وَالحارثِ الأَصْغَرِ والحارثِ خَيْرِ الأَنامْ

خَمْسَةٌ آباؤُهُمْ ماهُمُ هُمْ ... خَيْرُ مَنْ يَشْرَبُ صَوْبَ الغَمامْ (١)

فقال عبد الملك ردّدها عليّ فرددتها حتى حفظها فقال الأخطل من هذا ياأمير المؤمنين فقال هذا الشعبي قال صدق والله النابغة أشعر مني .. قال الشعبي ثم أقبل عليّ عبد الملك فقال كيف أنت يا شعبي قلت بخير لا زلت به ثم ذهبت لأصنع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد الأشعث فقال مه فانا لا نحتاج الى هذا المنطق ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم أقبل عليّ فقال ماتقول في النابغة قلت يا أمير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء وذلك انه خرج يوماً وببابه وفد غطفان فقال يامعاشر غطفان أي شعرائكم الذي يقول

حَلَفْتُ فلم أَتْرُكْ لنفسك رِيبةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ للمَرْءِ مَذْهَبُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أعطاكَ سوْرَةً ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَها يتذبذبُ

لأَنَّكَ شَمْسٌ والمُلُوكُ كَواكِبٌ ... إِذَا طَلَعَتْ لم يبدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

لئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيانَةً ... لمُبْلِغُكَ الوَاشِي أَغَشُّ وأَكْذَبُ

ولستَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لاَ تَلُمُّهُ ... على شَعَثٍ أَيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ

---

(١) وروى ان الشعبي لما أنشد هذه الأبيات قال الأخطل ان أمير المؤمنين انما سألني عن أشعر أهل زمانه ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حرياً أن أقول كما قلت

قالوا النابغة قال فأيكم الذي يقول

فإنكَ كالليلِ الذي هوَ مُدرِكي ... وإنْ خلتُ أنَّ المُنتأي عنكَ واسعُ

خطاطيفُ حُجْنٌ في حبالٍ متينةٍ ... تَمُدُّ بها أيدٍ اليكَ نوازِعُ

قالوا النابغة قال أيكم الذي يقول

إلى ابنِ مُحَرِّقٍ أعملتُ رحلي ... وَراحلتي وقدْ هدَتِ العيُونُ

أتيتُكَ عاريًا خَلَقٌ ثيابي ... على خوفٍ تُظَنُّ بيَ الظُّنُونُ

فألفيتَ الأمانةَ لم تخُنْها ... كذلكَ كانَ نُوحٌ لا يَخُونُ

قالوا النابغة قال هذا أشعر شعرائكم .. ثم أقبل عبد الملك على الأخطل فقال أتحب ان لك قياضاً بشعرك شعر أحد من العرب أو تحب إنك قلته فقال لا والله إلاّ أني وددت أني كنت قلت أبياتاً قالها رجل منّا كان والله مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع قال وما قال فأنشده

إنَّا مُحَيُّوكَ فاسلَمْ أيُّها الطَّلَلُ ... وإنْ بَلِيتَ وإنْ طالَتْ بكَ الطِّيَلُ

ليسَ الجديدُ بهِ تبقى بشاشتهُ ... إلاَّ قليلا ولاَ ذُو خُلَّةٍ يَصِلُ

وَالعيشُ لاَ عيشَ إلاَّ ماتَقَرُّ بهِ ... عينٌ ولاَ حالَ إلاَّ سوفَ ينتقِلُ

إنْ ترجعِي عنْ أبي عثمانَ مُنجحةً ... فقدْ يهونُ على المُستَنجحِ العَمَلُ [1]

---

(١) أبو عثمان هو عبد الواحد بن الحارث بن الحكم بن أبي العاصي بن عبد شمس بن عبد مناف .. وقال مصعب الزبيري هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وكان عبد الواحد والياً في المدينة لمروان بن محمد هكذا في خزانة الأدب وهذا الأخير لا يخفى انه غلط لأن القصة وقعت مع عبد الملك بن مروان بنفسه فكيف يكون عبد الواحد والياً لابن ابنه ومروان بن محمد أيضاً هو آخر ملوك بني أمية ومن القصيدة

أهل المدينة لا يحزنك شأنهم ... اذا تخطأ عبدَ الواحد الأجل

والنَّاسُ من يلقَ خيرًا قائلون له ... ما يشتهي ولأمِّ المخطئِ الهَبَلُ
قد يُدرِكُ المتأنِّي بعضَ حاجتِهِ ... وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزَّلَلُ

قال الشعبي فقلت قد قال القطامي أفضل من هذا قال وما قال قلت قال

طرقَتْ جَنوبُ رحالَنا من مَطرِقِ ... ما كُنتُ أحسِبُهُ قريبَ المعنَقِ (١)

أما قريش فلن تلقاهم أبداً ... إلاّ وهم خير من يحفى وينتعل
ألا وهم جبل الله الذي قصرت ... عنه الجبال فما سوّى به جبل
قوم هم ثبتوا الاسلام وامتنعوا ... رهط الرسول الذي ما بعده رسل
من صالحوه رأى في عيشه سعة ... ولا يرى من أرادوا ضره يئل
كم نالني منهم فضلا على عدم ... إذ لا أكاد من الإقتار أحتمل
وكم من الدهر ما قد ثبتوا قدمي ... إذ لا يزال مع الأعداء ينتضل
فما هم صالحوا من يتقي عنتي ... ولا هم كدروا الخير الذي فعلوا
هم الملوك وأبناء الملوك لهم ... والآخذون به والساسة الاول

(١) وبعده

قطعت اليك بمثل جيد جداية ... حسن معلق تومتيه مطوق
ومصرعين من الكلال كأنما ... سمروا الغبوق من الرحيق المفبق
متوسدين ذراع كل نجيبة ... ومفرّج عرق المقد منوّق
وجثت على ركب تهديها الصفا ... وعلى كلاكل كالنقيل المطرق
واذا سمعن الى هماهم رفقة ... ومن النجوم غوائر لم تلحق
جعلت تميل خدودها آذانها ... طرباً بهن الى حداء السوق
كالمنصتات الى الغناء سمعنه ... من رائع لقلوبهن مشوق
واذا نظرن الى الطريق رأينه ... لهقاً كشاكلة الحصان الأبلق
واذا تخلف بعدهن لحاجة ... حاد يشمشع نعله لم يلحق
واذا يصيبك والحوادث جمة ... حدث حداك الى أخيك الأوثق
ليت الهموم عن الفؤاد تفرقت ... وخلى التكلم للسان المطلق

حتى أتيت الى آخرها فقال عبد الملك بن مروان ثكلت القطامي أمه هذا والله الشعر قال فالتفت اليّ الأخطل فقال يا شعبي ان لك فنوناً فى الأحاديث وان لنا فناً واحداً فان رأيت أن لا تحملنى على أكتاف قومك فادعهم حرضاً قلت لا أعرض لك فى شئ من الشعر أبداً فأقلني هذه المرة فقال من يكفل بك قلت أمير المؤمنين فقال عبدالملك هو على أن لا يعرض لك أبداً ٠٠ثم قال ياشعبي أى شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء قلت خنساء قال ولم فضلتها على غيرها قلت لقولها

وقا ئلةٍ والنَّعشُ قدفاتَ خَطوَها ... لِتُدرِكَهُ يا لَهفَ نفسي على صخرِ

ألا ثَكِلَتْ أمُّ الّذينَ غدَوْا بهِ ... إلى القبرِ ماذا يَحمِلونَ إلى القبرِ

فقال عبد الملك أشعر منها والله ليلى الأخيلية حيث تقول

مُهَفهَفُ الكَشحِ والسِّربالِ مُنخرِقٌ ... عنهُ القَميصُ لِسَيرِ اللَّيلِ مُحتقِرُ

لاَ يأْمَنُ النَّاسُ مُمساهُ وَمُصبَحَهُ ... في كُلِّ حَيٍّ وَإنْ لم يَغزُ يُنتظَرُ

ثم قال ياشعبي لعله شق عليك ماسمعته فقلت أى والله يا أمير المؤمنين أشد المشقة إني لمحدثك منذ شهرين لم أفدك الا أبيات النابغة فى الغلام ثم قال يا شعبي انما أعلمناك هذا لانه بلغنى ان أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ويقولون ان كانوا غلبونا على الدولة فلن يغلبونا على العلم والرواية وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق ثم ردد عليّ أبيات ليلى حتى حفظتها وأذن لي فانصرفت فكنت أول داخل وآخر خارج ٠٠[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه والصحيح فى الرواية ان البيتين اللذين رواهما عبدالملك ونسبهما الى ليلى الأخيلية لأعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي وهذه القصيدة من المراثي المفضلة المشهورة بالبلاغة والبراعة وهي

إنِي أَتتني لِسانٌ لاَ أُسَرُّ بِها ... منْ علْوَ لاَ عَجَبٌ مِنها ولا سَخَرُ (١)

---

(١) رواية ثعلب

إني أتيت بشئ لا أسر به ... من عَلُ لا عجب فيه ولا سخر

فَظَلْتُ مُكْتَئِبًا حَرَّانَ أَنْدُبُهُ   وَكُنْتُ أَحْذَرُهُ لَوْ يَنْفَعُ الحَذَرُ
فَجَاشَتِ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمُ   وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ تَثْلِيثَ مُعْتَمِرُ(١)
يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ   حَتَّى التَقَيْنَا وَكَانَتْ بَيْنَنَا مُضَرُ(٢)
إِنَّ الَّذِي جِئْتَ مِنْ تَثْلِيثَ تَنْدُبُهُ   مِنْهُ السَّمَاحُ وَمِنْهُ النَّهْيُ وَالغِيَرُ(٣)

وروى أبو زيد في نوادره

إني أتانيَ شيءٌ لا أُسر به   من علُ لا عجب فيه ولا سخر

وروى المبرد في الكامل

إني أتتني لسان لا أسر بها   من علُ لا عجبٌ منها ولا سخر

ـ اللسان ـ هنا بمعنى الرسالة وأراد بها نعي المنتشر ولهذا أنث الفعل فانه اذا أريد به الكلمة أو الرسالة يؤنث ويجمع على ألسن واذا كان بمعنى جارحة الكلام فهو مذكر ويجمع على ألسنة أي أتاني خبر من أعلى نجد وقيل أراد العالية وقيل من أعالي البلاد ويقال من علو بتثليث الواو ومن علِ بكسر اللام وضمها ومن علا ومن أعلى ومن معال .. وقوله ـ لا عجب ـ الخ أي لا عجب منها وان كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة ولا سخر بالموت وقيل معناه لا أقول ذلك سخرية وهو بفتحتين وبضمتين مصدر سخر منه

(١) قوله ـ فجاشت النفس ـ الخ أي غثت ويقال دارت للغثيان فان أردت انها ارتفعت من حزن أو فزع قلت جشأت بالهمز وروى بدل جمعهم فلّهم أي الذين شهدوا مقتله فلّهم بفتح الفاء وتشديد اللام يقال جاء فل القوم أي منهزموهم يستوى فيه الواحد والجمع وربما قالوا فلول وفلال ـ وتثليث ـ بكسر اللام وياء ساكنة وثاء أخرى مثلثة موضع بالحجاز قرب مكة ـ ومعتمر ـ صفة راكب بمعنى زائر ويقال من عمرة الحج

(٢) قوله ـ يأتي على الناس ـ الخ فاعل يأتي ضمير الراكب ـ ويلوي ـ مضارع لوى بمعنى توقف وعرج أي يمر هذا الراكب على الناس ولم يعرج على أحد حتى أتاني لاني كنت صديقه .. ويروي دوننا بمعنى قدام بدل بيننا

(٣) قوله ـ ان الذي جئت ـ الخ أي فقلت لهذا الراكب ان الذي جئت الخ

تَنعى امرَأً لاَ تَغِبُّ الحيَّ جَفنَتُهُ ... إذَا الكَوَاكِبُ أخطى نَوْءَها المَطَرُ[١]
وَرَاحتِ الشَّوْلُ مغبرّاً مناكِبُها ... شُعْثاً تَغيَّرَ منها النيُّ وَالوَبَرُ[٢]
وَالجأَ الكلبَ مرْفُوعُ الصَّقيعِ بِهِ ... وَالجأَ الحيَّ من تَنفاحِهِ الحُجَرُ[٣]

ـ والندب ـ مصدر ندب الميت من باب نصر بكى عليه وعدد محاسنه •• وجملة منه السماح خبر ـ والنهي ـ خلاف الأمر ـ والغير ـ بكسر المعجمة وفتح المثناة التحتية اسم من غير الشيء فتغير أقامه مقام الغير

(١) قوله ـ تنعي امرأ ـ الخ رواية أبي العباس ينعي بالياء المثناة والنعي خبر الموت يقال أنعاه ينعاه •• قال الأصمعي كانت العرب اذا مات ميت له قدر ركب راكب فرساً وجعل يسير في الناس ويقول نعاء فلاناً أي أنعه وأظهر خبر وفاته وهي مبنية على الكسر ـ ولا تغب ـ هو من قولهم فلان لا يغبنا عطاؤه أي لا يأتينا يوم دون يوم بل يأتينا كل يوم ـ والجفنة ـ القصعة ـ وأخطاه ـ كتخطاه تجاوزه ـ والنوء ـ سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل يوم الى ثلاثة عشر يوماً وهكذا كل نجم الى انقضاء السنة وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها •• يريد ان جفانه لا تنقطع في القحط والشدة

(٢) قوله ـ وراحت ـ هو معطوف على مدخول اذا ـ والشول ـ كما في القاموس الشائلة من الابل وهي ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها والجمع شول على غير قياس •• وفي النهاية الشول مصدر شال ابن الناقة أي ارتفع وتسمي الناقة الشول أي ذات شول لانه لم يبق في ضرعها إلاّ شول من لبن أي بقية ويكون ذلك بعد سبعة أشهر من حملها •• وروي ـ مباءتها ـ أي مراحها بدل مناكبها ـ ومغبر ـ يعني من الرياح والعجاج ـ والني ـ بفتح النون الشحم ومصدر نوت الناقة تنوي نواية ونيا اذا سمنت يريد ان الجدب وقلة المرعى خشن لحمها وغيره

(٣) قوله ـ وألجأ ـ معطوف أيضاً على مدخول اذا وألجأ اضطر ويروي أحجر يقال أجحرته أي ألجأته الى ان دخل جحره ـ والصقيع ـ الجليد ـ وتنفاحه ـ ضربه

عليهِ أوّلُ زادِ القومِ قدْ علموا	ثمّ المطيُّ إذاما أرملوا جزُرُ (١)
قدْ تكظمُ البزْلُ منهُ حينَ تبصرُهُ	حتّى تقطّعَ في أعناقِها الجرَرُ (٢)
أخُو رَغائبَ يعطيها ويسألُها	يأبي الظلامةَ منهُ النوفلُ الزفرُ (٣)
لم ترَ أرضا ولم تسمعْ بساكنها	إلاّ بها منْ نوادي وقعهِ أثرُ (٤)

وهو مصدر نفحت الريح اذا هبت باردة والضمير للصقيع والباء في به بمعنى على والضمير للكلب ــ والحجر ــ بضم الحاء وفتح الجيم جمع حجرة بالضم الغرفة وحظيرة الابل من شجر .. يقول هو في مثل هذه الأيام الشديدة يطعم الناس الطعام

(١) قوله ــ عليه أول ــ الخ يعني انه يرتب على نفسه زاد أصحابه أولا واذا نفد الزاد نحر لهم ــ وأرمل ــ الرجل نفد زاده ــ والمطي ــ جمع مطية وهي الناقة ــ والجزر ــ بضمتين جمع جزور وهي الناقة التي تنحر وروى بفتحتين جمع جزرة وهي الناقة والشاة تذبح

(٢) يروي * وتفزع الشول منه حين يفجأها * ــ والكظم ــ من كظم البعير بالفتح يكظم بالكسر كظوماً اذا أمسك عن الجرة وقيل الكظم أن لا تجتر لشدة الفزع اذا رأت السيف ــ والبزل ــ جمع بازل وهو الداخل في السنة التاسعة ــ والجرر ــ جمع جرة بكسر الجيم فيهما وهي ما يخرجه البعير للاجترار .. يقول تعودت الابل انه يعقر منها فاذا رأته كظمت على جرتها ــ وتقطع ــ فعل مضارع منصوب بان

(٣) ــ الرغائب ــ الأشياء التي يرغب فيها يريد يعطي ما يرغب الرجال في ادخاره ويحرصون على التمسك به لنفاسته ــ وأخو ــ خبر مبتدإ محذوف أي هو أخو رغائب وجملة يعطيها ويسألها مفسرة لوجه الملابسة في قوله أخو رغائب ــ ويسألها ــ بالبناء للمجهول من السؤال ويروى موضعه ويسلبها بالبناء للمعلوم من السلب ــ والظلامة ــ بالضم ومثله الظليمة والمظلمة بكسر اللام وضمها وهو ما تطلبه عند الظالم وهو اسم ما أخذ منك ــ والنوفل ــ البحر والكثير العطاء .. وقال ثعلب النوفل العزيز الذى ينفل عنه الضيم أى يدفعه ــ والزفر ــ الكثير الناصر والأهل والعدة

(٤) ــ نوادى ــ كل شيء بالنون أوائله وما ندر منه واحده نادية ومنه قولهم لا يندك

وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ ... وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَاسَرْتَهُ عُسُرُ
فَإِنْ يُصِبْكَ عَدُوٌّ فِي مُنَاوَءَةٍ ... يَوْماً فَقَدْ كُنْتَ تَسْتَعْلِي وَتَنْتَصِرُ (١)
مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مَنٌّ يُكَدِّرُهُ ... عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدَرُ (٢)
أَخُو شُرُوبٍ وَمِكْسَابٌ إِذَا عَدِمُوا ... وَفِي الْمَخَافَةِ مِنْهُ الْجِدُّ وَالْحَذَرُ (٣)
مِرْدِي حُرُوبٍ وَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... كَمَا أَضَاءَ سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ (٤)
مُهَفْهَفٌ أَهْضَمُ الْكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ ... عَنْهُ الْقَمِيصُ لِسَيْرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ (٥)

منى سوء أبداً أى لا يندر اليك ــ والوقع ــ النزول

(١) ويروى ــ فقد كان يستعلى وينتصر ــ والمناوأة ــ المعاداة يقال ناوأت الرجل مناوأة وقيل هي المحاربة ناوأته أى حاربته .. قال الشاعر

اذا أنت ناوأت القرون فلم تنوء ... بقرنين عزتك القرون الكوامل

(٢) قوله ــ من ليس فى خيره منّ ــ الخ رواية المبرد من ليس في خيره شر يكدره ــ كدّره ــ جعله كدراً يقال تكدر الماء نقيض صفا وكدره غيره جعله كدراً

(٣) ــ الشروب ــ جمع شَرب وهو جمع شارب كصحب جمع صاحب .. ويروى أخو حروب ــ والمكساب ــ مبالغة كاسب ــ والعدم ــ الفقر وفعله من باب فرح

(٤) ــ المردى ــ بكسر الميم حجر يرمى به ومنه قيل للشجاع انه لمردى حروب ومعناه انه يقذف فى الحروب ويرجم فيها ويروي * كما أضاء سواد الطخية القمر * الطخية بضم المهملة وسكون المعجمة الظلمة والطخياء بالمد الليلة المظلمة يريد انه كامل شجاعة وعقلا فشجاعته كونه يرمى فى الحروب وعقله كون رأيه نوراً يستضاء به وهما وصفان متضادان غالباً

(٥) ــ المهفهف ــ الخميص البطن الدقيق الخصر ــ والأهضم ــ المنضم الجنبين ــ والكشح ــ ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهذا مدح عند العرب فانها تمدح الهزال والضمر وتذم السمن .. وفى العباب ورجل منخرق السربال اذا طال سفره

طاوِى المَصيرِ علي العَزّاءِ مُنْجَرِدٌ بالقَوْمِ لَيْلَةَ لاَ ماءٌ وَلاَ شَجَرُ[1]

لاَ يُصْعِبُ الأَمْرَ إلاَّ رَيْثَ يَرْكَبُهُ وَكُلَّ أَمْرٍ سِوَى الفَحْشاءِ يأْتَمِرُ

معنى ـ لا يصعب الأمر ـ أي لا يجده صعباً

لاَ يَتأَرَّي لِما في القِدْرِ يَرْقُبُهُ ولاَ يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ[2]

فشققت ثيابه ـ ولسير الليل ـ متعلق بما بعده وهذا يدل على الجلادة وتحمل الشدائد

(١) ـ الطوى ـ الجوع وفعله من باب فرح وطوى بالفتح يطوى بالكسر طياً اذا تعمد الجوع ـ والمصير ـ المعا الرقيق وجمعه مصران كرغيف ورغفان وجمع هذا مصارين أراد طاوى البطن ـ والعزاء ـ بفتح العين المهملة وتشديد الزاى المعجمة الشدة والجهد وقال فى الصحاح هي السنة الشديدة ـ والمتجرد ـ المتشمر ٠٠ وقوله ـ ليلة لا ماء ولا شجر ـ أي يرعى وزاد عبد القادر البغدادى هنا بيتاً وهو

لايهتك الستر عن أنثي يطالعها ولا يُشَدُّ الى جاراته النظر

ومعناه انه لا ينظر الى جارته ولا يشد اليهن النظر من غيره احتراماً له والله أعلم

(٢) ـ لا يتأرى ـ لا يتحبس ويتلبث يقال تأري بالمكان اذا أقام فيه أى لا يتلبث لادراك طعام القدر وجلة ـ يرقبه ـ حال من المستتر فى يتأري ٠٠ يمدحه بأن همته ليست في المطعم والمشرب وانما همته فى طلب المعالى فليس يرقب نضج مافى القدر اذا هم بأمر له شرف بل يتركها ويمضى ـ والشرسوف ـ طرف الضلع ـ والصفر ـ دويبة مثل الحية تكون في البطن تعترى من به شدة الجوع ٠٠ قال فى النهاية في حديث لا عدوى ولا هامة ولا صفر لان العرب كانت تزعم ان في البطن حية يقال لها الصفر تصيب الانسان اذا جاع وتؤذيه فابطل الاسلام ذلك وقيل أراد به النبي صلى الله عليه وسلم النسىء الذي كانوا يفعلونه فى الجاهلية وهو تأخير المحرم الى صفر ويجعلون صفراً هو الشهر الحرام انتهى ولم يرد الشاعر ان فى جوفه صفراً لا يعض على شراسيفه وانما أراد انه لا صفر في جوفه فيعضه يصفه بشدة الخلق وصحة البنية

لاَ يَغمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ ولاَ وَصَبٍ ... ولاَ يَزَالُ أَمامَ القَوْمِ يَقْتَفِرُ (١)
لاَ يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ وَمُصْبَحَهُ ... في كُلِّ فجٍّ وانْ لمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ (٢)
تَكْفِيهِ حُزَّةُ فِلْذَانٍ أَلَمَّ بِها ... منَ الشِّوَاءِ وَيُرْوِى شُرْبَهُ الغُمَرُ (٣)
لاَ تأْمَنُ البَازِلُ الكَوْماءُ عَدْوَتَهُ ... وَلاَ الأَمُونُ اذَا ما اخْرَوَّطَ السَّفَرُ (٤)
كأَنَّهُ بعْدَ صِدقِ القَوْمِ أَنْفُسَهُمْ ... باليأْسِ تَلْمَعُ منْ قُدَّامِهِ البُشُرُ (٥)

(١) ـ لا يغمز الساق ـ لا يجيبها يصف جلده وتحمله للمشاق ـ والأين ـ الاعياء ـ والوصب ـ الوجع ـ والاقتفار ـ بتقديم القاف على الفاء اتباع الآثار .. في الصحاح وقفرت أثره أقفره بالضم أي قفوته واقتفرت مثله وأنشد هذا البيت ورواه أبو العباس في شرح نوادر أبي زيد يقتفر بالبناء للمجهول ومعناه انه يفوت الناس فيتبع ولا يلحق

(٢) قوله ـ لا يأمن الناس ـ أى لا يأمنه الناس على كل حال سواء كان غازياً أم لا فان كان غازياً يخافون أن يغير عليهم وان لم يكن غازياً فانهم في قلق أيضاً لانهم يترقبون غزوه وينتظرونه

(٣) ـ الحزة ـ بضم الحاء المهملة وتشديد الزاى المعجمة قطعة من اللحم قطعت طولا ـ والفلذان ـ جمع فلذة بكسر الفاء فيهما ـ وألم بها ـ أصابها يعني أكلها ـ والغمر ـ بضم الغين المعجمة وفتح الميم قدح صغير لا يروى

(٤) ـ البازل ـ البعير الذى فطر نابه بدخوله في السنة التاسعة ويقال للناقة بازل أيضاً يستوي فيه الذكر والأنثى ـ والكوماء ـ بالفتح الناقة العظيمة السنام ـ والعدوة ـ التعدى فانه ينحرها لمن معه سواء كانت المطية مسنة كالبازل أو شابة كالأمون وهي الناقة الموثقة الخلق يؤمن عثارها وضعفها ـ واخروط ـ امتد وطال ورواية المبرد

لا تنكر البازل الكوماء ضربته ... بالمشرفي اذا ما اجلوذ السفر

ومعنى اجلوذ امتد

(٥) ـ لمع ـ أضاء ـ والبشر ـ بضمتين جمع بشير يقول اذا فزع القوم وأيقنوا بالهلاك

قال المبرد لا نعلم بيتاً في يمن النقيبة وبركة الطلعة أبرع من هذا البيت

لَا يُعْجِلُ القَوْمَ أَنْ تَغْلِي مَرَاجِلُهُمْ ... وَيَدْلِجُ اللَّيْلَ حَتَّى يُفْسِحَ البَصَرُ [١]

عِشْنَا بِهِ حِقْبَةً حِيناً فَفَارَقَنَا ... كَذَلِكَ الرُّمْحُ ذُو النَّصْلَيْنِ يَنْكَسِرُ [٢]

أَصَبْتَ فِي حَرَمٍ مِنَّا أَخَا ثِقَةٍ ... هِنْدَ بْنَ أَسْمَاءَ لَا يَهْنِي لَكَ الظَّفَرُ [٣]

عند الحروب أو الشدائد فكأنه من ثقته بنفسه قدامه بشير يبشره بالظفر والنجاح فهو منطلق الوجه نشيط غير كسلان

(١) يريد انه رابط الجاش عند الفزع لا يستخفه الفزع فيعجل أصحابه عن الاطباخ ٠٠ وقوله — حتى يفسح البصر — أي يجد متسعاً من الصبح وقيل معناه ليس هو شرها يتعجل بما يؤكل — والمراجل — القدور جمع مرجل

(٢) وروى ٭ عشنا بذلك دهراً ثم ودعنا ٭ و — النصلان — هما السنان وهي الحديدة العليا من الرمح والزج وهي الحديدة السفلى ويقال لهما الزجان أيضاً وهذا مثل أي كل شيء يهلك ويذهب

(٣) خاطب المنتشر هند بن أسماء وأراد بالحرم ذا الخلصة ثم دعا عليه والتهنئة خلاف التعزية وكانت قصة هند بن أسماء ان المنتشر بن وهب الباهلي خرج يريد حج ذي الخلصة ومعه غلمة من قومه والأقيصر بن جابر أخو بني فراص وكان بنو نفيل ابن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذا الخلصة أهدى له هديا يحرم به ممن لقيه فلم يكن مع المنتشر هدي فسار حتى اذا كان بهضب النباع انكسر له بعض غلمته الذين كانوا معه فصعدوا في شعب من النباع فقالوا في غار فيه وكان الأقيصر يتكهن وأنذر بنو نفيل بالمنتشر بني الحارث بن كعب فقال الأقيصر النجاء يامنتشر فقد أتيت فقال لا أبرح حتى أبرد فضى الأقيصر فأقام المنتشر وأتاه غلمته بسلاحه وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر هند بن أسماء المتقدم فسأله أن يفدي نفسه فأبطأ عليه فقطع أنملة ثم أبطأ فقطع منه أخرى وقد أمنه القوم ووضع سلاحه فقال أتؤمنون مقطعاً وإلهي لا آمنه ثم قتله

لو لم تخنهُ نفيلٌ وهيَ خائنةٌ ... لَصَبَّحَ القومَ وِرْدٌ ماله صَدَرُ (١)

وأقبلَ الخيلَ من تثليث مُصغيةً ... وضَمَّ أعينَها رَغوانُ أو حَضَرُ (٢)

إمَّا سلكتَ سبيلاً كنتَ سالكَها ... فاذهبْ فلا يُبعدنْكَ اللهُ مُنتشرُ

[قال الشريف] رضى الله عنه ٠٠ وقد رويت هذه القصيدة للدَّعجاء أخت المنتشر وقيل لليلى أخته ولعل الشبهة الواقعة فى نسبهما الى ليلى الأخيلية من ههنا والصحيح ماذكرناه ٠٠ أخبرنا أبو القاسم علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال وفد الأخطل على معاوية فقال إنى قد امتدحتك بأبيات فاسمعها فقال ان كنت شبهتني بالحيّة أو الأسد أو الصقر فلا حاجة لى فيها وان كنت قلت فىّ كما قالت الخنساء

وما بلغتْ كفُّ امرِءٍ متطاولٍ ... به المجدُ إلاَّ حيثُما نلتَ أطولُ

وما بلغَ المُهدُونَ في القولِ مِدحةً ... وإنْ صدقوا إلاَّ الذي فيكَ أفضلُ

فهات فقال الأخطل والله لقد أحسنت وقد قلت فيك بيتين ما هما بدون ما سمعته فأنشد

اذا متَّ ماتَ العُرفُ وانقطعَ الغِنى ... فلم يَبقَ إلاَّ من قليلٍ مُصَرَّدِ

وقتل غلمته انتهى وزاد عبد القادر البغدادى بين البيتين بيتاً وهو

فان جزعنا فقد هدَّت مُصابتنا ... وإن صبرنا فإنَّا معشرٌ صبرُ

ــ المصابة ــ بضم الميم بمعنى المصيبة يقال جبر الله مصابه وهو فاعل والمفعول محذوف أي قوانا والصبر بضمتين جمع صبور مبالغة صابر وروي مصيبتنا

(١) ــ صبحه ــ سقاه الصبوح وهو الشرب بالغداة أراد انه كان يقتلهم

(٢) ــ أقبل الخيل ــ جعلها مقبلة ومقبلة مائلة نحوكم ــ ورغوان وحضر ــ موضعان أى كانت تأتي خيله عليكم في هذين الموضعين وما كانت تنام فى منزل إلاّ فيهما

وَرُدَّتْ أَكُفُّ الرَّاغبينَ وأَمسَكُوا

عنِ الدِّينِ وَالدُّنيا بخِلْفٍ مُجَدَّدِ

فأحسن صلته .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا ابراهيم بن محمد النحوي قال أخبرنا أحمد بن يحي النحوى ان ابن الاعرابى أنشدهم

مرَرْنا عليهِ وَهُوَ يكْعَمُ كلبَهُ ... دَعِ الكلبَ يَنبحْ إنَّما الكلبُ نابِحِ

قال قوله ــ يكعم كلبه ــ أي يشد فاه خوفاً أن ينبح فيدل عليه .. وقال آخر

وَتكْعَمُ كلبَ الحيِّ منْ خشيةِ القِرَي ... وَنارُكَ كالعذْرَاءِ منْ دُونِها سِتْرُ

وقد قال الأخطل

قومٌ اذا استَنبحَ الأَضيافُ كلبَهمْ ... قالوا لأُمِّهِمْ بُولِي علي النَّارِ

قال أبو عبد الله وسمعت محمد بن يزيد الأزدي يقول هذا من أهجى ما هجى به جرير لأنه جعل نارهم تطفيها البولة وجعلهم يأمرون أمهم بالبول استخفافاً بها

مجلس آخر ٥١

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) الآية .. فقال أو ليس ظاهر الآية يقتضى انه تعالى يجوز أن يزيغ القلوب عن الايمان حتي تصح مسألته تعالى أن لا يزيغها ويكون هذا الدعاء مفيداً .. الجواب قلنا فيهذه الآية وجوه .. أولها أن يكون المراد بالآية ربنا لا تشدد علينا المحنة فى التكليف ولا تشق علينا فيه فيفضى بنا ذلك الى زيغ القلوب منا بعد الهداية وليس يمتنع أن يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى عليهم المحنة اليه كما قال عز وجل فى السورة (إنها زادتهم رجساً الى رجسهم) وكما قال مخبراً عن نوح عليه السلام (فلم يزدهم دعائي إلاّ فراراً) .. فان قيل كيف يشدد المحنة عليهم .. قلنا بأن يقوى

شهواتهم لما قبحه في عقولهم ونفورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقاً والثواب المستحق عليه عظيماً متضاعفاً وانما يحسن أن يجعله شاقاً تعريضاً لهذه المنزلة .. وثانيها أن يكون ذلك دعاء بالتثبيت لهم على الهداية وامدادهم بالألطاف التي معها يستمرون على الايمان فان قيل وكيف يكون مزيغاً لقلوبهم بان لا يفعل اللطف .. قلنا من حيث المعلوم انه متى قطع امدادهم بألطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الايمان ويجرى هذا مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخلّ بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا ومثله قول الفرزدق

أَتَانِي وَرَحْلِي بِالمَدِينَةِ وَقْعَةٌ لِآلِ تَمِيمٍ اقْعَدَتْ كُلَّ قَائِمِ

أراد قعد لها كل قائم فكأنهم قالوا لا تخلّ بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا ألطافك فنزيغ ونضل .. وثالثها ما أجاب به أبو عليّ الجبائي محمد بن عليّ لانه قال المراد بالآية ربنا لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعنى هذا السؤال انهم سألوا الله تعالى أن يلطف لهم في فعل الايمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الايمان أن يزيغ قلوبهم عن الثواب وان يفعل تعالى بهم بدلا منه العقاب .. قال فان قال قائل فما هذا الثواب الذى هو فى قلوب المؤمنين حتى زعمتم انهم سألوا الله أن لا يزيغ قلوبهم عنه وأجاب بان من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى من الشرح والسعة بقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وقوله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام (ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك) وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحزن اللذان يفعلان بالكفار عقوبة قال ومن ذلك أيضاً التطهير الذي يفعله فى قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) قال ومن ذلك كتابته فى قلوب المؤمنين كما قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان) وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر التى فى قلوب الكافرين فكأنهم سألوا الله تعالى أن لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب الى ضده من العقاب .. ورابعها أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب

عن اليقين والايمان ولا يقتضي ذلك انه تعالى سـئل ماكان لايجب أن يفعله وما لولا المسألة لجاز فعله لانه غير ممتنع أن يدعوه على سبيل الانقطاع اليه والافتقار الى ماعنده بان يفعل تعالى ما نعلم انه لا بد من أن يفعله وبأن لا يفعل ما نعلم انه واجب أن لا يفعله تعالى اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكياً عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام (ولا تخزني يوم يبعثون) وكما قال في تعليمنا ماندعوه به (قل ربّ احكم بالحق) وكقوله تعالى (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) على أحـد الأجوبة وكل ماذكرناه واضح بحمدالله ٠٠[قال الشريف] رضى الله عنه وإني لأستحسن قول الراعي في وصف الاثافي والرماد فانه طبق وصفه المفصل مع جزالة الكلام وقوته واستوائه واطراده

وَأَورَقَ من عهدِ ابنِ عفّانَ حَوْلَهُ حَواضِنُ الأَفُّ على غيرِ مَشرَبِ
ورَادُ الأَعالي أَقبلَتْ بنُحُورِها على رَاشحٍ ذي شامةٍ مُتَقَوِّبِ
كأَنَّ بقايا لونِهِ في مُتُونِها بَقَايا هناء في قلائصِ مُجرَبِ

ـ الأورق ـ الرماد جعل الاثافي له كالحواضن لاحتضانها له واستدارتها حوله ٠٠ وأراد ـ بوراد الأعالي ـ ان ألوانها تضرب الى الحمرة وخصّ الأعالي لانها مواضع القدر فلا تكاد تسودّ ـ والراشح ـ هو الراضح وانمـا شبه الرماد بينهن بفصيل بين أظآر ـ والمتقوب ـ الذى قد انحسر أعلاه وشـبه ما سودت النار منهن بأثر قطران على قلائص جربى ـ والمجرب ـ الذى قد جربت إبله ٠٠ ونظيرهذا المعنى بعينه أعني تشبيه تسويد النار بالهناء قول ذي الرمة

عفى الزُّرْقُ من أَطلالِ ميّةَ فالدَّحلُ فأَجمادُ حوضي حيثُ زاحمها الحبلُ[1]

---

(١) ـ الزرق ـ رمال بالدهناء وقيل هي قرية بين النباج وسمينة وهي صعبة المسالك ـ والدحل ـ بالفتح ماء نجدي لغطفان ـ والأطلال ـ جمع طلل محركة وهو الشاخص من آثار الدار ـ والاجماد ـ جمع جمد بالتحريك وهو ما ارتفع من الأرض ـ وحوضي ـ

سِوَى أَنْ يَرَى سَوْدَاءَ مِنْ غَيْرِ خِلْقَةٍ تَخَطَّأَهَا وَارْتَثَّ جَارَاتِهَا النَّقْلُ
مِنَ الرَّضَمَاتِ البِيضِ غَيَّرَ لَوْنَهَا نَبَاتُ فِرَاضِ المَرْخِ وَاليَابِسُ الجَزْلُ
كَجَرْبَاءَ دُسَّتْ بِالهِنَاءِ فَأَصْبَحَتْ بِأَرْضِ خَلَاءٍ أَنْ تُقَارِبَهَا الإِبْلُ

قوله ــ سوداء من غير خلقة ــ يعني أثفية لان السواد ليس بخلقة وانما سوّدتها النار .. وقوله ــ تخطّأها النقل ــ أي تجاوزها فلم تحمل من مكان الى مكان بل بقيت منفردة ــ وارتث جاراتها ــ يعني بجاراتها أي نقلن عنها الاثافي اللواتي كنّ معها ــ والمرتث ــ هو المنقول من مكان الى مكان وأصــل ذلك في الجريح والعليل يقال ارتث الرجل ارتثاثاً اذا حمل من المعركة وبه رمق .. قال النضر بن شميل معنى ارتث صرع .. وقال أبو زيد مأخوذ من قولهم ارتثينا رثة القوم اذا جمعوا ردي متاعهم بعد أن يحملوا من موضعهم وكلا المعنيين يليق ببيت ذي الرمــة لانه يجوز أن يريد صرعن وبقيت ثانيــة قائمة ــ والرضمات ــ حجارة بيض بعضها على بعض ــ والفراض ــ جمع فرض وهو الحزّ يكون في الزند .. وعنى بنبات فراض المرخ شرر النار الخارجة من ذلك الفرض ــ والمرخ ــ شجر تتخذ منه الزندة .. ومن أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وهذا المثل يضرب للرجل الكريم الذي يفضــل على القوم ويزيد عليهم فكأن المعــنى كل القوم كرام وأكرمهم فلان [1] ومعنى ــ كجرباء دست بالهناء ــ انه

بالفتح ثم السكون مقصور بوزن سكرى اسم ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة الى جنب جبل في ناحية الرمل ــ وزاحمها ــ ضايقها ــ والحبل ــ الرمل المستطيل

(١) وقال الميداني في تفسيره له يقال مجدت الابل تمجد مجوداً اذا نالت من الخلي قريباً من الشبع واستمجد المرخ والعفار أي استكثرا وأخذا من النار ما هو حسبهما شبها بمن يكثر العطاء طلباً للمجد لانهما يسرعان الورى يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض .. قال أبو زياد ليس في الشجر كله أوري زناداً من المرخ قال وربمــا كان المرخ مجتمعاً ملتفاً وهبت الريح فحك بعضــه بعضاً فأورى فاحترق الوادي كله ولم نر

شـبه الاثفية المفردة بناقة جرباء قد أفردت وأبعدت عن الابل حتى لا تجربها ولا تعديها ومعنى دست بالهناء أي طليت به .. وفى معنى قول الراعي ورواد الأعالي شبه من قول الشماخ بن ضرار

أَقامَتْ على رَبْعَيْهِما جارَتَا صَفا ... كُمَيْتَا الأَعالي جَوْنَتا مُصْطَلاهُما (١)

ذلك فى سائر الشجر .. قال الأعشى

زنادك خـير زناد الملوك ... خالط فيهـن مرخ عفارا

ولو بت تقـدح فى ظلمة ... حصاة بنبع لاوريت نارا

والزند الأعلى يكون من العفار والأسفل من المرخ .. قال الكميت

اذا المرخ لم يور تحت العفار ... وضن بقدر فلم تعقب

(١) وقبله

أمن دِمنتين عرج الركب فيهما ... بحقل الرخامي قد أنى لبلاهما

أقامت على ربعيهما جارتا صفا ... كُميتا الأعالي جَوْنتا مصطلاهما

وإرث رماد كالحمامة ماثل ... ونؤيان من مظلومتين كداهما

أقاما لليـلى والرباب وزالتا ... بذات السلام قد عفا طللاهما

ففاضت دموعي في الرداء كأنها ... عزالي شَعيب مخلف وكلاهما

ليالي ليلى لم يشب عـذب مائها ... بملح وحبلانا متـين قواهما

ولو دَيْن للبيض الهجان وحالك ... من اللون غربيب بهيم علاهما

اذا اجتهـدا التزويج مدا عجاجة ... أعاصـير مـما يستثير خطاهما

وسر بين كدريين قدرعت غدوة ... على المـاء معروف الي لفاهما

اذا غادرا منـه قطاتين ظلتا ... أديم النهار تطلبان قطاهما

وإنى عداني عنكم غـير ماقت ... نواران مكتوب عليَّ بغاهما

وعلس كألواح الإران نسأتها ... اذا قيـل للمشبوبتين هما هما

تغالى برجليها اليك ابن مربع ... فيالم لم المقتـلي مقتلاهما

يعني ـ بربعيهما ـ منزلي المرأتين اللتين ذكرهما ويعني ـ بجارتا صفا ـ الاثفيتين لانهما مقطوعتان من الصفا الذي هو الصخر ٠٠ ويمكن في قوله جارتا وجه آخر هو احسن من هذا وهو ان الاثفيتين توضعان قريباً من الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما وممسكة للقدر معهما ولهذا تقول العرب رماه بثالثة الاثافي أي بالصخرة أو الجبل وشبه أعلاهما بلون الكميت وهو لون الحجر نفسه لأن النار لم تصل اليه فتسوده ـ ومصطلاهما جون ـ أي اسود لان النار قد سفعته وسوّدته ٠٠ وقال الراعي في وصف الاثافي أيضاً

أَذَاعَ بِأَعْلاَهُ وَأَبْقَى شَرِيدَهُ ... ذَرَى مُجْنِحاتٍ بَيْنَهُنَّ فُرُوجُ

كأَنَّ بِجَزْعِ الدَّارِ لمَّا تَحَمَّلُوا ... سَلاَئِبَ وُرْقاً بَيْنَهُنَّ خَدِيجُ

ـ أذاع بأعلاه ـ يعني الرماد لأن السافي طيّر ظاهره وما علا منه ـ وأبقى شريده ـ يريد به الذي أبقى لما شرد على السافي فلم يطيره ـ وذرى مجنحات ـ يعني الاثافي وذرى كل شيء جانبه وما استذريت به منه ـ والمجنحات ـ المسيلات منه ـ والسلائب ـ جمع سلوب وهي الناقة التي سلبت ولدها بموت أو نحر وقد عطفت على حوار آخر ـ والخديج ـ الذي قد سقط لغير تمام ـ والورق ـ اللواتي ألوانهن كلون الرماد ٠٠ وفي معنى قول الراعي وأبقى شريده ذرى قول المخبل السعدي

اذا ماحصيرا زورها لم يعلقا ... لها الضفر إلاّ من امام رحاها

كست عضديها زورها وانحت بها ... ذراعا لجوج عوهج ملتقا هما

فباتت بأبلى ليلة ثم ليلة ... بحاذة واجتابت نوى عن نواهما

وراحت على الأفواه أفواه غيقة ... نجاء بفتلاوين ماض سراهما

أجدت هباباً عن هباب وساعت ... قوى لسعتيها بعد طول اذاهما

ولولا فتى الأنصار ماسلك سمها ... ضمير ولا حورانه فقراهما

وإني لأرجو من يزيد بن صبيح ... حذيته من خيرتين اصطفاهما

حذيته من نائل وكرامة ... شمى في بناء المجد حتى احتواهما

وأَرَى لَها دَارًا بأَغْدِرَةِ السِّيـــدَانِ لم يَدْرُسْ لها رَسْمُ [(١)]
إلاَّ رَمادًا هامِــدًا دَفَعَتْ عنهُ الرِّياحَ خَوَالِدٌ سُحْمُ [(٢)]

ــ لا ــ ههنا بمعنى الواو فكأنه قال وأرى رماداً هامداً ولولاان إلاّ ههنا بمعنى الواو لفسد الكلام ونقض آخره أوّله لانه يقول في آخر البيت ان الخوالد السحم دفعت عنه الرياح فكيف خبر بانه قد درس وانما أراد انه باق ثابت لان الاثافي دفعت عنه الرياح فلم تستنه إذهو من جملة مالم يدرس بل هو داخل في جملته وللراعي أيضاً في الاثافي

أُنِخْنَ وَهُنَّ أَغْفالٌ عليْها فقَدْ تَرَكَ الصِّلاءُ بِهِنَّ نارَا

شبه الاثافي بنوق أنخن أغفالا ليست عليهنّ سمة ثم أخبر ان الوقود قد أثر فيهن أثراً كالسمة فالنار السمة تقول العرب ما نار بعيرك أى ماسمته وفى أمثالهم نجارها نارها أي

---

(١) ــالأغدرةــ جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركهاوهو فعيل في معنى مفعول على اطراح الزائد وقد قيــل انه من الغدر لانه يخون وراده فينضب عنهم ويغدر بأهله فينقطع عند شدة الحاجة اليه .. وقال اللحياني الغدير اسم ولا يقال هذا ماء غدير وقال الليث الغدير مستنقع الماء ماء المطر صغيراً كان أو كبيراً غير انه لا يبقى الى القيظ إلاّ ما يتخذه الناس من عد ووجذ ووقط أو صهريج أو حائر قال أبو منصور العد الماء الدائم الذي لا انقطاع له ولا يسمي الماء الذى يجمع فى غدير أو صهريج أو صنع عدا لان العد ما يدوم مثل ماء العين والركية

(٢) ــالرمادــ دقاق الفحم من حراقة النار وما هبا من الجمر فصار دقاقاً والطائفة منه رمادة .. وفي حديث أم زرع زوجي عظيم الرماد أى كثير الأضياف لان الرماد بكثرة الطبخ ــوهامداًــ طافئاً .. قال الأصمعي طفئت النار اذا سكن لهبها وهمدت همودا اذا طفئت البتة فاذا صارت رماداً قيل هبا يهبو وهو هاب ــوالخوالدــ الصخور .. قال الجوهرى قيل لاثافى الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الاطلال ــوسحمــ جمع سحماء أي سوداء وهو صفة لخوالد

سمتها تدل على كرمها يضرب ذلك للرجل ترى له ظاهراً حسناً يدل على باطن خبره ٠٠ وقال عدي بن الرقاع العاملي

إلاَّ رَوَاكِدَ كُلُّهُنَّ قَدِ اصْطَلَى حَمْرَاءَ أَشْعَلَ أَهْلُهَا إِيقَادَهَا

كَانَتْ رَوَاحِلَ لِلْقُدُورِ فَعُرِّيَتْ مِنْهُنَّ وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ رَمَادَهَا

وقال مالك الجعفي

إلاَّ رَوَاكِدَ بَيْنَهُنَّ خَصَاصَةٌ سُفْعَ الْمَنَاكِبِ كُلُّهُنَّ قَدِ اصْطَلَى

وقال حميد بن ثور

فَتَغَيَّرَتْ إلاَّ مَلاَعِبَهَا وَمُعَرَّساً مِنْ جَوْنِهِ ظَهْرِ

عَرْشَ الثِّقَابُ لَهَا بِدَارِ إِقَامَةٍ لِلْحَيِّ بَيْنَ نَظَائِرٍ وِتْرِ

ـ الجونة ـ القدر ويقال قدر ظهر وقدور ظهور اذا كانت قديمة ـ وعرش ـ أي جعل مثل العريش يعني الوقود ـ والثقاب ـ ما أثقبت به النار من الوقود ـ والنظائر ـ هي الأثافي ـ والوتر ـ الفرد وأراد انها ثلاث ٠٠ وقال الكميت بن زيد

وَلَنْ تُحَيِّيكَ أَظْآرٌ مُعَطَّفَةٌ بِالْقَاعِ لاَ تَمَكٌ فِيهَا وَلاَ مَيَلُ

لَبِسْنَ بِعُوذٍ وَلَمْ تُعْطَفْ عَلَى رُبَعٍ وَلاَ يَهِيبُ بِهَا ذُو النِّيَّةِ الأَبِلُ

يعني الأثافي فشبه عطفها على الرماد بنوق أظآر قد عطفت على فصيل ـ والتمك ـ انتصاب السنام ـ والميل ـ من صفة السنام أيضاً ـ والعائذ ـ من النوق التي يتبعها ولدها ـ والربع ـ الذي نتج في الربيع ـ والاهابة ـ الدعاء أهاب بابله اذا دعاها ـ وذو النية ـ الذي قد نوى الرحيل ـ الأبل ـ صاحب الابل ٠٠ وقال ذو الرمة

فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَنْ تَرَى فِي مَحَلِّهِ رَمَاداً نَحَتْ عَنْهُ الْخُيُولُ جَنَادِلُهْ

كَأَنَّ الْحَمَامَ الْوُرْقَ فِي الدَّارِ وَقَّعَتْ عَلَى خَرِقٍ بَيْنَ الظُّؤُورِ جَوَازِلُهْ

شبه الأثافي بالحمام الورق وجعلها ظؤوراً لتعطفها على الرماد وشبه الرماد بفرخ خرق

قد سقط ريشه ـ والجوازل ـ الفراخ واحدها جوزل •• وقال البعيث

أَلاَ حَيِّيا الرَّبْعَ القِوَاءَ وَسلِّما   وَرَسْماً كَجُثْمانِ الحَمامَةِ أَدهَمَا

قيل ان الحمام ههنا القطاة وانه شبه ألوان الرسوم من الرماد وموقد نار ودمنة ومجرّ طنب وما أشبه هذه الأشياء بألوان ريش القطاة •• ومثله لجرير

كأَنَّ رُسُومَ الدَّارِ رِيشُ حَمامَةٍ   مَحَاها البِلى واستَعْجَمَتْ أَنْ تَكلَّمَا

ولقد أحسن كل الاحسان كثير في قوله

أَمِنْ آلِ قيلةَ بالدَّخولِ رُسومُ   وَبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَدُومُ

لَعِبَ الرِّياحُ بِرَسْمِهِ فأَجَدَّهُ   جُونٌ عواكفُ في الرَّمادِ جُثُومُ

سُفْعُ الخُدُودِ كأَنَّهُنَّ وقَدْ مضَتْ   حِجَجٌ عَوائدُ بينَهُنَّ سَقيمُ

وقيل في قوله ـ فأجده جون عواكف ـ يعني الأثافي لأن الريح لما كشفت عنها وظهرت صارت كأنها هي أجدت الرسم •• ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون معنى أجدّت انها حملت الرماد الذي أحاطت به من لعب الرّياح فبقي بحالة يستدل بها المترسم فكأن الرياح درست الربع ومحته إلاّ ما أجدّته هـذه الأثافي من الرماد ومنعت الريح عنه ويجرى ذلك مجرى قول المخبل * إلاّ رماداً هامداً * البيت •• وقال مرار الفقعسي في الأثافي

أَثَرُ الوَقُودِ على جوَانِبها   بِخدُودِهِنَّ كأَنَّهُ لَطْمُ

ويقال ان أبا تمام الطائي أخذ ذلك في قوله

قِفُوا نُعْطِ المَنازِلَ منْ عُيُونٍ   لَها في الشَّوْقِ أَحْشاءٌ غِزارُ

عَفَتْ آياتُهُنَّ وَأَيُّ رَبْعٍ   يكُونُ لهُ على الزَّمَنِ الخِيارُ

أَثافٍ كالخُدُودِ لُطِمْنَ حُزْناً   وَنُؤْيٌ مِثْلُ ما انْفَصَمَ السِّوَارُ

وقد عاب عليـه قوله لطمن حزناً بعض من لا معرفة له وقال لا فائدة في قوله حزنا ولذلك فائدة وذلك ان لطم الحزن أوجع فتأثيره أبلغ وأظهر وأبين وقد يكون اللطم

لغير الحزن فأما قوله * ونؤيٌ مثل ما انفصم السوارُ * فمأخوذ من قول الشاعر

نؤيٌ كما انقضَّ الهلالُ مخافةً   أو مثلما فصَمَ السِّوَارَ المِعصَمُ

وقد شبه الناس النؤي بالسوار والخلخال كثيراً أو بغير ذلك .. قال كثير

عَرَفْتُ لِسُعْدَى بعدَ عشرِينَ حجّةً   بِما دَرْسَ نُؤْيٌ في المَحَلَّةِ مُنْحَنِ[1]

قَدِيمٌ كَوَقْفِ العاجِ ثَبْتٌ حِوَاؤهُ   مُغَادِرُ أوْتادٍ بِرَضْمٍ مُوَضَّنِ

ـالوقفـ السوارمن الذبل ومن العاجـ والرضمـ صخور عظام ـوالموضنـ الذي بعضه فوق بعض .. وقال بشار

وَنؤْيٌ كخلخالِ الفتاةِ وَصائمٌ   أشَجُّ على رَيْبِ الزَّمانِ رَقوبُ

ـالصائم الأشجـ يعني الوتد وانما وصفه بانه صائم لقيامه وثباته وجعله رقوباً لانفراده والمرأة الرقوب والشيخ الرقوب الذي لا يعيش له ولد .. ومن مستحسن ما وصف به النؤي قول أبي تمام

وَالنُّؤْيُ أَهْمَدَ شَطْرُهُ فَكأَنَّهُ   تحتَ الحوَادِثِ حاجِبٌ مَقْرُونُ[2]

---

(١) ـدرسـ بسكون الراء أصله درس بفتحها وسكنت وكل ذلك جائز في كل فعل ثلاثي فان كانت عينه حلقية فهو مقيس وإلاّ فحكمه الضرورة يقال درس الرسم عفا ودرسته الريح محته لازم متعد ـ ومنحن ـ دارس

(٢) البيت من قصيدة يمدح بها الواثق بالله أولها

وأبي المنازل إنها لشجون   وعلى العجومة انها لتبين

فاعقل بنضو الدار نضوك يقتسم   فرط الصبابة مسعد وحزين

لا تمنعن وقفة أشفي بها   داء الفؤاد فانها ماعون

واسق الاثافي من شؤونك ريها   ان الضنين بدمعه لضنين

والنؤي أهمد شطره فكأنه   تحت الحوادث حاجب مقرون

حزن غداة الحزن هاج غليله   في أبرق الحنان منك حنين

وقال المتنبي في ذلك

قِفْ على الدِّمْنَتَيْنِ بالدَّوِّ مِنْ رَيـــــا كَخالٍ في وَجْنَةٍ جَنْبَ خالِ

بِطُلُولٍ كأنَّهُنَّ نُجُومٌ في عِراصٍ كأنَّهُنَّ لَيالِي

وَنُؤَيٍّ كأنَّهُنَّ عليهِـ نَّ خِدامٌ خُرْسٌ بِسُوقٍ خِدالِ(١)

ـالخدام ـ جمع خدمة وهي الخلخال وجعلها خرس لانها غير قلقة وشبه ما أحدق به النوءى من الأرض وامتلائها بامتلاء الخلخال من الساق الخدلة وهي الممتلئة

سمة الصبابة زفرة أو عبرة متكفل بهما حشا وشؤون

لولا التفجع لادعى هضب الحمى وصفى المشقر انه محزون

(١) الأبيات من قصيدة يمدح بها عبد الرحمن بن المبارك الانطاكي ومطلعها

صلة الهجر لي وهجر الوصال نكساني في السقم نكس الهلال

فغدا الجسم ناقصاً والذي ينـ * ـقص منه يزيد في بلبالي

قف على الدمنتين . . الأبيات الثلاثة . . ومنها

ماتريد النوى من الحية الذوّاق حر الفلا وبرد الظلال

فهو أمضى في الروع من ملك الموت وأسرى في ظلمة من خيال

ولحتف في العز يدنو محب ولعمر يطول في الذل قال

نحن ركب مِلجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال

من بنات الجديل تمشي بنا في الـ * ـبيد مشي الايام في الآجال

كل هوجاء للديامِيم فيها أثر النار في سليط الذبال

عامدات للبدر والبحر والضر * ـغامة ابن المبارك المفضال

من يزره يزر سليمان في المـ * ـلك جلالا ويوسفاً في الجمال

وربيع يضاحك الغيث فيه زهر الشكر من رياض المعالي

نفحتنا منه الصبا بنسيم ورواحاً في ميت الآمال

همّ عبد الرحمن نفع الموالي وبوار الأعداء والأموال

مجلس آخر ٥٢

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) الى قوله (الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) .. فقال ماتأويل هذه الآيات وهل البقرة التى نعتت بهذه النعوت هى البقرة المرادة باللفظ الأول والتكليف واحد والمراد مختلف أو التكليف متغاير .. الجواب قلنا أهل العلم فى تأويل هذه الآية مختلفون بحسب اختلاف أصولهم فمن جوّز تأخير البيان عن وقت الخطاب يذهب الى أن التكليف واحد وان الأوصاف المتأخرة هي البقرة المتقدّمة وانما تأخر البيان عن وقت الخطاب ولما سئل عن الصفات ورد البيان شيئاً بعد شيء ومن لم يجوّز تأخير البيان يقول ان التكليف متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم إلاّ ذبح أي بقرة شاؤا من غير تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا أى بقرة اتفقت كانوا قد امتثلوا الأمر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ولو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من أي لون كان لأجزأ عنهم فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الأخيرة .. ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال فى التكليف الأخير انه يجب أن يكون مستوفياً لكل صفة تقدّمت حتى تكون البقرة مع انها غير ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها صفراء فاقعٌ لونها ولا فارض ولا بكر فمنهم من قال انما يجب أن يكون بالصفة الأخيرة فقط دون ما تقدّم فظاهرها ماتقدم الكتاب بالقول الأول أشبه وهو المبنى على جواز تأخير البيان وذلك انه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا للرسول عليه الصلاة والسلام (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) فلا يخلو قولهم ما هي من أن يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها أو عن التى أمروا بها ثانياً على قول من يدعي ذلك وليس يجوز أن يكونوا سألوا عن الصفة التى تقدم ذكرها لان الظاهر من قولهم ما هي بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضى أن يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها لانهم لاعلم لهم بتكليف ذبح بقرة أُخرى فيستفهموا عنها واذا صح أن السؤال انما كان عن صفة البقرة المنكّرة التى أمروا فى الابتداء بذبحها فليس يخلو قوله انها بقرة

لافارض ولا بكرٌ من أن يكون كناية عن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك عن بقرة ثانية لان ظاهرقوله تعالى (انها بقرة لا فارضٌ ولا بكرٌ) من أن يكون كنايةعن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية لان ظاهر قوله تعالى (إنها بقرة) من صفتها كذا وكذا بعد قولهم ماهي يقتضي أن يكون كناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم وان الأمر لو لم يكن على ماذكرناه لم يكن ذلك جواباً لهم بل كان يجب أن يكونوا سألوه عن شئ فأجابهم عن غيره وهذا لايليق بالنبي عليه الصلاة والسلام على انه تعالى لما أراد أن يكلفهم تكليفاً ثانياً عند تفريطهم فى الأول على مايدعيه من يذهب الى هذا المذهب قد كان يجب أن يجيبهم عن سؤالهم وينكر عليهم الاستفهام فى غير موضعه وتفريطهم فيما أمروا به مما لا حاجة بهم الى الاستفهام عنه فيقول فى جواب قولهم ماهي انما كلفهم أي بقرة شئتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرّطتم في ترك الامتثال وأخطأتم فى الاستفهام مع وضوح الكلام إلاّ انكم قد كلفتم ثانياً كذا وكذا لان هذا مما يجب عليه بيانه لازالة الشك والابهام واللبس فلما لم يفعل ذلك وأجاب بالجواب الذى ظاهره يقتضى التعلق بالسؤال علم ان الأمر على ماذكرناه وهب انه لم يفعل ذلك فى أول سؤال كيف لم يفعله مع تكرار الأسئلة والاستفهامات التى لم تقع على هذا المذهب بموقعها ومع تكرر المعصية والتفريط كيف يستحسن أن يكون جميع أجوبته غير متعلقة بسؤالاتهم لانهم يسألونه عن صفة شئ فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان بل على أقوى الوجوه الموجبة لتعلق الجواب بالسؤال لان قول القائل فى جواب من سأله ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح فى ان الهاء كناية عن ماوقع السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا لانهم لم يقولوا ذلك إلاّ وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين فلم لم يقل أى تشابه عليكم وانما أمرهم فى الابتداء بأي بقرة كانت وفى الثاني انما اختص باللون المخصوص من أي البقر كان ‥ فان قيل كيف يجوز أن يأمرهم بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة الى آخر الكلام ولا يبين ذلك لهم وهذا تكليف مالا يطاق ‥ قلنا لم يرد منهم أن يذبحوا البقرة في الثانى من حال الخطاب ولو كانت حال الحاجة الى الفعل حاضرة لما

جاز أن يتأخر البيان لان تأخيره عن وقت الحاجة هو القبيح الذي لا شبهة فى قبحه وانما أراد أن يذبحوها فى المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم عند الحاجة اليه •• فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما أمروا بذبحه فوجوده كعدمه وهـذا يخرجه من باب الفائدة ويوجب كونه عبثاً •• قلنا ليس يجب ماظننتم لان القول وان كان لم يفد صفة البقرة بعينها فقد أفاد تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة ولم يكن ذلك معلوماً قبل هذا الخطاب فصار مفيداً من حيث ذكرناه وخرج من أن يكون وجوده كعدمه وفوائد الكلام لا يجب أن يدخلها الاقتراح وليس يخرج الخطاب من تعلقه ببعض الفوائد كونه غير متعلق بغيرها وبما هو زيادة عليها ••فان قيل ظاهر قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) يدل على استبطائهم وذمهم على التقصير فى امتثال الأمر •• قلنا ليس ذلك صريح ذم لأن كادوا للمقاربة وقد يجوز أن يكون التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التى تكاملت لها تلك الصفة فقد روي انهم ابتاعوها بملء جلدها ذهباً على ان الذم يقتضى ظاهره أن يصرف الى تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد البيان التام لان قوله تعالى (وما كادوا يفعلون) انما ورد بعد تقدم البيان التام المتكرر ولا يقتضى ذمهم على ترك المبادرة فى الأول الى ذبح بقرة فليس فيه دلالة على مايخالف ما ذكرناه •• فان قيل لو ثبت تقديراً ان التكليف فى البقرة متغاير أى القولين اللذين حكيتموهما عن أهل هذا المذهب أصح وأشـبه •• قلنا قول من ذهب الي أن البقرة انما يجب أن تكون بالصفة الأخيرة فقط لان الظاهر بهأشـبه من حيث انه اذا ثبت تغاير التكليف وليس في قوله إنهـا بقرة لاذلول تثير الأرض الى آخر الأوصاف ذكر لما تقدم من الصـفات وهذا التكليف غـير الأول فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه •• فأما ــ الفارض ــ فهى المسنة وقيل هي العظيمة الضخمة يقال غرب فارض أي ضخم والغرب الدلو ويقال أيضاً لحية فارضـة اذا كانت عظيمة والأشبه بالكلام أن يكون المراد المسنة •• فأما ــ البكر ــ فهي الصغيرة التى لم تلد فكأنه تعالى قال غير مسنة ولا صغيرة ــ والعوان ــ دون المسنة وفوق الصغيرة وهى النصف التي قد ولدت بطناً أو بطنين يقال حرب عوان اذا لم تكن أول حرب وكانت ثانية وانمـا

جاز أن يقول بين ذلك وبين لا يكون إلا بين اثنين أو أكثر لان لفظة ذلك تنوب عن الجمل تقول ظننت زيداً قائماً فيقول القائل قد ظننت ذاك وقد ظننت ذلك وقد ظن ذاك ٠٠ ومعنى ـفاقع لونهاـ أي خالصة الصفرة وقيل ان كل ناصع اللون بياضاً كان أوغيره فهو فاقع وقيل انه أراد بصفراء ههنا سوداء٠٠ ومعنى قوله تعالى (لا ذلول تثير الأرض) أى تكون صعبة لا يذللها العمل في إثارتها الأرض وسقي الزرع ٠٠ ومعنى ـمسلمة ـمفعلة من السلامة من العيوب٠٠وقال قومٌ مسلمة من الشية أى لاشية فيها تخالف لونها٠٠وقوله ـلاشية فيهاـ أى لا عيب فيها وقيل لا وضح وقيل لا لون يخالف لون جلدها والله أعلم بما أراد وإياه نسأل التوفيق ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ٠٠ كنت أظن ان المتنبي قد سبق الى معنى قوله فى مرثية أخت سيف الدولة

طوى الجزيرةَ حتّى جاءني خبرٌ فزعتُ فيهِ بآمالي إلى الكَذِبِ
حتّى إذا لمْ يدعْ لي صدقهُ أملاً شرِقتُ بالدّمعِ حتى كادَ يشرَقُ بي

حتى رأيت هذا المعنى لمسلم بن الوليد الأنصاري وللبحتري٠٠ أما الذى لمسلم فقوله في قصيدة يرثي بها سهل بن الصباح

وَقفَ العُفاةُ عليكَ منْ متحيِّرٍ وَلهُ الرَّجاءُ وَذو غنى يَسترْجِعُ
وَمخادِعُ السمْعِ النَّعيَّ وَدُونهُ خطْبٌ ألمَّ بِصادِقٍ لمْ يخْدعِ

وقال البحتري يرثي وصيفا التركي

إذا جدَّ ناعيهِ توهّمتُ أنّهُ يُكرِّرُ منْ أخبارِهِ قوْلَ مازِحِ

وكنت أظن ان المتنبي سبق الى قوله

تَحُلُّ القَنا يَوْمَ الطِعانِ بعَقْوَتي فأحرِمهُ عِرضي وأُطعِمهُ جِلدِي (١)

(١) ـالقناـ جمع قناة وهي الرمح ـ وعقوتيـ ساحتي ـوالعرضـ موضع الذم والمدح من الانسان ٠٠ والمعنى ان الطعن يقع في ساحته فيجعل جلده طعماً له ولا ينهزم خوفاً من الطعن فى عرضه وهو من قصيدة يودع بها ابن العميد عند مسيره قاصداً سيف

حتى رأيت هذا المعنى بعينه واللفظ لجهم بن شبل الكلابي من أهل اليمامة فى قوله

ثَني قَوْمَهُ عنْ خِذْرِجانٍ وقَدْحَنا ... الى المَوْتِ دَامِي الصَّفْحَتَيْنِ كَليمُ

أخُوالحَرْبِ إمَّاجِلْدُهُ فَمُجَرَّحٌ ... كَلِيمٌ وَإمَّا عِرْضُهُ فَسَلِيمُ

وكنت أظن ان البحترى سبق الى معنى قوله فى الفتح بن خاقان

حَمَلْتَ إليهِ السَّيْفَ لا عَزْمُكَ انْثَنى ... ولاَ يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلاَ حَدُّهُ نَبا

حتى وجدت لشاعر متقدم

طعنْتُ ابنَ دَهمانٍ بنَجْرانَ طَعْنَةً ... شَقَقْتُ بِها عنهُ مُضاعَفَةَ السَّرْدِ

الدولة ثم قتله فاتك الأسدى ومطلعها

نسيت وما أنسى عتاباً على الصد ... ولا خفراً زادت به حمرة الخد

ولا ليلة قصرتها بقصيرة ... أطالت يدى في جيدها صحبة العقد

ومن لي بيوم مثل يوم كرهته ... قربت به عند الوداع من البعد

وإلاَّ يخص الفقد شيئاً لانني ... فقدت فلم أفقد دموعي ولا وجدى

تمنٍّ يلذ المستهام بذكره ... وان كان لا يغني فتيلا ولا يجدى

وغيظ على الأيام كالنار فى الحشى ... ولكنه غيظ الأسير على القِد

فإمَّا تريني لا أقيم ببلدة ... فآفة غمدي في دلوقي وفى حدى

يحل القنا يوم الطعان بعقوتي ... فأحرمه عرضى وأطعمه جلدي

تبدل أيامي وعيشى ومنزلي ... نجائب لا يفكرن فى النحس والسعد

وأوجه فتيان حياء تلثموا ... عليهنَّ لا خوفاً من الحر والبرد

وليس حياء الوجه فى الذئب شيمة ... ولكنه من شيمة الأسد الورد

اذا لم تجزهم دار قوم مودة ... أجاز القنا والخوف خير من الود

يحيدون عن هزل الملوك الى الذى ... توفر من بين الملوك على الجد

فَلاَ الكَفُّ أوْهَتْ بِي وَلاَ الرُّمْحُ خانَني ... وَلاَ الأَدْهَمُ المَنْعُوتُ حادَ عنِ القَصْدِ

قال محمد بن يحيى الصولي وصف الناس صفرة اللون في العلل فكل حكى ذلك وقال بلا فضيلة الا البحتري فانه أغرق من أبيات قال اعرابي بن أبيات[1]

جَعَلْتُ وَما عايَنْتُ عِطْراً كأَنَّما ... جَرَى بينَ جِلْدِي والعِظامِ خَلُوقُ

وقال أبو تمام

لم يَشِنْ وجهَهُ المَلِيحَ وَلكِنْ ... جَعَلَتْ وَرْدَ وَجنَتَيهِ بَهارَا

وقال غيره

لم تُشِنْ شَيْئاً وَلكِنَّها ... بَدَّلَتِ التُّفَّاحَ باليَاسَمِينِ

وقال أبو بكر عيسى الزلفي

عِلَّةٌ زَعفَرَتْ مُوَرَّدَ خَدٍّ ... كَادَ مِنْ رِقَّةٍ وَرِيٍّ يَفِيضُ

ولأحمد بن يزيد المهلبي

وَقالوا عَرَتْ غراءَ حمى شَديدَةٌ ... فَوَجنَتُها مِنها شَديدٌ صَفارُها

فَقُلْتُ لَهُمْ هَيهاتَ هاتِيكَ رَوضَةٌ ... مَضَى وَرْدُها عنا وَجاءَ بَهارُها

ولأبي العتاهية

وكأنَّني مِمَّا تَطاوَلَ بِي ... مِنكَ السَّقامُ طُلِيتُ بالوَرْسِ

وقال ابن المعتز

وَصَفَّرَتْ عِلَّتُهُ وَجهَهُ ... فصارَ كالدِّينارِ مِنْ حُقِّ

وقال البحتري

بَدَتْ صُفْرَةٌ في لَوْنِهِ إنَّ حَمْدَهُمْ ... مِنَ الدُّرِّ ما اصفَرَّتْ نَواحِيهِ في العِقْدِ

---

(١) هكذا فيما وقفنا عليه من النسخ على انه لم يظهر لنا استقامة المعنى فليحرر

وَجَرَّتْ علي الأَيْدِي مَجَسَّةُ كَفِّهِ ... كَذَلِكَ مَوْجُ البَحْرِ مُلْتَهِبُ الوَقْدِ
وَما الكَلْبُ مَحْمُوماً وإِنْ طَالَ عُمْرُهُ ... أَلاَ إِنَّما الحُمَّي علي الأَسَدِ الوَرْدِ[١]

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ٠٠ أما تشبيه صفرة اللون بصفرة الدر فهو لتشبيه مليح موافق لغرضه إلاّ أنه أخطأ في قوله ان حمدهم من الدر ما اصفرّت نواحيه في العقد لان ذلك ليس بمحمود بل مذموم ولو شبه وترك التعليل لكان أجود ٠٠ وروى أبو العباس أحمد بن فارس المنبجي قال حدثنا أبو أحمد عبيد الله بن يحيى البحتري قال حدثني أبي قال حدثني جدّي البحتري قال كنت عند أبي العباس المبرد يوماً فتذاكرنا شعر عمارة بن عقيل فقال أبو العباس لقد أحسن عمارة في قوله لخالد بن يزيد لما وجّه اليه بهذين البيتين

لمْ أستَطِعْ سَيْرًا لِمَدْحَةِ خالدٍ ... فَجَعَلْتُ مَدْحِيهِ إليْهِ رَسُولاَ
فَلَيَرْحَلَنَّ إليَّ نائِلُ خالدٍ ... وَلَيَكْفِيَنَّ رَوَاحِلِي التَّرْحِيلاَ

قال البحتري فقلت له لمروان بن أبي حفصة في عبـد الله بن طاهر وقد أتاه نائله من الجزيرة ما هو أحسن من هذا وأنشدته

لَعَمْرِي لَنِعْمَ الغَيْثُ غَيْثٌ أَصابَنا ... بِبَغْدادَ مِنْ أَرْضِ الجَزِيرَةِ وَابِلُهْ
فَكُنَّا كَحَيٍّ صَبَّحَ الغَيْثُ أَهْلَهُ ... وَلَم يُرْتَحَلْ أَظْعانُهُ وَرَوَاحِلُهْ

---

[١] هى من أبيات يمدح بها ابراهيم بن المدبر ويذكر علة نالته ومطلعها

بأنفسنا لا بالطوارف والتلد ... نقيك الذى تخفى من الشكو أوتبدى
بنا معشر العافين ما بك من أذى ... فان أشفقوا مما أقول فبي وحدي
ظللنا نعود الجد من وعكك الذي ... وجدت وقلنا اعتلّ عضو من المجد
ولم ننصف الليث افتسمنا نواله ... ولم نقتسم حمّاه إذ أقبلت تردى
بدت صفرة من لونه الأبيات الثلاثة ٠٠ وبعدها
ولست ترى عود القتادة خائفاً ... سموم الرياح الآخذات من الرند

فقال لم هذا أحسن فقلت له ان لي في بنى السمط وقد أتانى برهم من حمص مالا يتضع عن الجميع وأنشدته

جَزَى اللهُ خيرًا والجزاء بكفه ... بني السِّمطِ أخدانَ السَّماحةِ والمجدِ

هُمُ وَصلوني وَالمهامهُ بيننا ... كما أرفضَّ غيثٌ من تهامةَ في نجدِ

فقال هذا والله أرق مما قالا وأحسن .. وروي أحمد بن فارس المنيجي عن عبيد الله ابن يحيى بن البحترى قال حدثنا أبي عن جماعة من أهل العلم والأدب منهم يموت بن المزرع قال قلت لأبي عثمان الجاحظ من أنسب العرب فقال الذى يقول

عَجِلَتْ إلى فضلِ الخمارِ فأثَّرتْ ... عذباتُهُ بمواضعِ التقبيلِ

وقال هذا للبحترى في القصيدة التى أولها

صَبٌّ يخاطبُ مُفحماتِ طلُولِ (١)

---

[١] هو مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن اسماعيل الهاشمي

صب يخاطب مفحمات طلول ... من سائل باك ومن مسؤول

حملت معالمهن أعباء البلى ... حتى كأنت نحولهن نحولى

ياوهب هب لأخيك وقفة مسعد ... يعطي الأسى من دمعه المبذول

أو ماترى الدمن المحيلة تشتكى ... غدرات عهد للزمان محيل

إن كنت تنكرها فقد عرف الهوى ... قدماً معارف رسمها المجهول

تلك التي لم يعدها قصد الهوى ... مالت مع الواشين كل مميل

عجلت الى فضل الخمار فأثرت ... عذباته بمواضع التقبيل

وتبسمت عند الوداع فأشرقت ... إشراقه عن عارض مصقول

أأخيب عندكِ والصبا لى شافع ... وأرد دونك والشباب رسولى

ولقد تأملت الفراق فلم أجد ... يوم الفراق على امرىء بطويل

قصرت مسافته على متزود ... منه لدهر صبابة وعويل

[وقال الشريف المرتضي] رضى الله عنه ٠٠ وفي نسيب هذه القصيدة بيت ليس يقصر في الملاحة والرشاقة وأخذه بمجامع القلوب عن البيت الذي فضله به الجاحظ وهو

أَأَخيبُ عِندَكِ والصِّبا لِي شَافِعٌ ... وَأُرَدُّ دُونَكِ والشَّبابُ رَسُولِي

وفي مديح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو

لاَ تَطْلُبَنَّ لَهُ الشَّبِيهَ فَإِنَّهُ ... قَمَرُ التَّأَمُّلِ مُزْنَةُ التَّأْمِيلِ

وبهذا الاسناد عن يحيى بن البحتري قال انصرفت يوماً من مجلس أبي العباس محمد بن يزيد المبرد فقال لي أبي البحتري ما الذى أفدت يومك هـذا من أبي العباس قلت أملى علىّ أخباراً حسـنة وأنشدني أبياتاً للحسين بن الضحاك فقال أبى أنشـدني الأبيات فأنشدته

كأَنِّي إِذَا فارَقْتُ شَخْصَكَ ساعَةً ... لِفَقْدِكَ بيْنَ العَالَمِينَ غَرِيبُ

وَقَدْرُمْتُ أَسْبابَ السُّلُوِّ فَخَانَنِي ... ضَمِيرٌ عَلَيْهِ في هَوَاكَ رَقِيبُ

أَغَرَّكَ صَفْحِي عَنْ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ ... وَغَضِّي على أَشْيَاءَ مِنْكَ تَرِيبُ

كأَنْ لمْ يَكُنْ في النَّاسِ قَبْلِي مُتَيَّمٌ ... وَلَمْ يَكُ في الدُّنْيا سِوَاكَ حَبِيبُ

إِلى اللهِ أَشْكُو إِنْ شَكَوْتُ فَلَمْ يَكُنْ ... لِشَكْوَايَ مِنْ عَطْفِ الحَبِيبِ نَصِيبُ

وإذا الكرام تنازعوا أكرومة ... فالفضل للفضل بن اسماعيل

قسموا على أخلاقهم فتفاوتوا ... فيهنّ قسمة غرّة وحجول

في كل مكرمة يدٍ مبسوطة ... من فاضل منهم به مفضول

لا تطلبنّ له الشبيه فانه ... قمر التأمل مزنة التأميل

جاز المدى قرمي بغير مناضل ... في سُودد وجرى بغير رسيل

فمتى سمت عين الحسود لفخره ... طرفت بطرف من علاه كليل

فقال ما أحسن هذا الكلام وأنشدني لنفسه

حبيبي حبيبٌ يكتمُ الناسَ إنَّهُ ... لنا حين تلقانا العيونُ حبيبُ
يباعدني في الملتقى وفؤادُهُ ... وإنْ هو أبدى لي البعادَ قريبُ
ويعرضُ عنّي والهوى منهُ مقبلٌ ... إذا خافَ عيناً أو أشارَ رقيبُ
فتنطقُ منّا أعينٌ حينَ نلتقي ... وتخرسُ منّا ألسنٌ وقلوبُ

ثم قال يا بني اروِ هذين فانهما من أحسن الشعر وطريفه ٠٠ روى أحمد بن فارس المنيجي عن أبي نصر محمد بن اسحق النحوى قال سمعت بعض أهل الأدب يقول للزجاج قد كنت تعرف أبا العباس المبرد وكبره وانه ما كان يقوم لأحدٍ ولا يتطاول له وينشد اذا أشرف عليه الرجل

ثهلانُ ذو الهضباتِ لا يتحلحلُ [(١)]

ولقد رأيته يوماً وقد دخل عليه رجل متدرع فقام اليه أبو العباس فاعتنقه وتنحى عن موضعه وأجلسه فجعل الرجل يكفه ويستعفيه من ذلك فلما أكثر من ذلك عليه أنشده أبو العباس

أتنكرُ أنْ أقومَ وقد بدا لي ... لأكرمهُ وأعظمهُ هشامْ
فلا تنكرْ مبادرتي اليهِ ... فإنْ لمثلهِ خلق القيامْ

فلما انصرف الرجل سألت عنه فقيل لي هذا البحترى

﴿ مجلس آخر ٥٣ ﴾

[تأويل آية أخرى] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل حاكياً عن هابيل (لئن بسطت اليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسطٍ يديَ اليك لأقتلك إني أخاف

---

(١) صدر البيت ٭ فارفع بكفك ان أردت بقاءنا ٭

الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك الآية).. فقال كيف يجوز أن يخبر تعالى عن هابيل وقد وصفه بالتقوى والطاعة بانه يريد أن يبوء أخوه بالإثم وذلك ارادة القبيح وارادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال ووجه قبحها كونها ارادة لقبيح وليس قبحها مما يتغير وكيف يصح أن يبوء القاتل بإثمه وإثم غيره وهل هذا الا ما يأبونه من أخذ البريء بجرم السقيم.. الجواب قلنا جواب أهل الحق عن هذه الآية معروف وهو ان هابيل لم يرد من أخيه قبيحاً ولا أراد أن يقتله وانما أراد ما خبر الله تعالى به عنه من قوله (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) أي تبوء بجزاء ما قدمت عليه من القبيح وعقابه وليس بقبيح أن يريد نزول العقاب المستحق بمستحقه ونظير قوله إثمي مع أن المراد به عقوبة إثمي الذي هو قتلي قول القائل ممن يعاقب على ذنب جناه هذا ما كسبت يداك والمعني هذا جزاء ما كسبته يداك وكذلك قولهم لمن يدعون عليه لقاك الله عملك وستلقى عملك يوم القيامة معناه ما ذكرناه .. فان قيل كيف يجوز أن يحسن ارادة عقاب غير مستحق لم يقع سببه لان القتل على هذا القول لم يكن واقعاً.. قلنا ذلك جائز بشرط وقوع الأمر الذي يستحق به العقاب فهابيل لما رأى من أخيه التصميم على قتله والاضمار والعزم على إمضاء القبيح فيه وغلب على ظنه وقوع ذلك جاز أن يريد عقابه بشرط أن يفعل ما هم به وعزم عليه .. فأما قوله اثمي واثمك فالمعنى فيه واضح لانه أراد باثمي عقاب قتلك لي وباثمك أي عقاب المعصية التي أقدمت عليها من قبل فلم يتقبل قربانك لسببها لان الله تعالى أخبر عنهما بانهما قرّبا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر وان العلة في ان قربان أحدهما لم يتقبل انه غير متق وليس يمتنع أن يريد باثمي ما ذكرناه لأن الاثم مصدر والمصادر قد تضاف الى الفاعل والمفعول جميعاً وذلك مستعمل مطرد في القرآن والشعر والكلام فمثال ما أضيف الى الفاعل ..قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) ومن اضافته الى المفعول ..قوله تعالى (لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر) .. وقوله تعالى (لقد ظلمك بسؤال نعجتك

الى لماجه) •• ومما جاء فى الشعر من اضافته الى المفعول ومعه الفاعل قول الشاعر

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَرْبَعٌ وَمَصِيفُ ... لِعَينَيكَ مِنْ مَاءِ الشُّؤُونِ وَكِيفُ[1]

(١) قوله * أمن رسم دار الخ * هو مطلع قصيدة للحطيئة عدتها ثمانية عشر بيتاً مدح بها سعيد بن العاص الأموي لما كان والياً بالكوفة لعثمان بن عفان رضى الله عنه قوله * أمن رسم دار الخ * الهمزة للاستفهام التقريري ومن تعليلية متعلقة بوكيف وهو مصدر وكف وكوفاً ووكيفاً سال شيئاً فشيئاً وتأويله أمن رسم داراً مربع أى أثر فيها آثاراً والرسم الأثر بلا شخص ـ والشؤون ـ مجاري الدمع من الرأس الى العين واحدها شأن •• وقوله ـ لعينيك ـ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم على المبتدا وهو وكيف يروى بالتثنية ويروى بالافراد ـ ومربع ـ فاعل المصدر وهو رسم وهو على حذف مضاف والتقدير مطره ونحوه وهو وما بعده اسمان لزمن الربيع والصيف ويأتيان اسمى مكان ومصدرين أيضاً وهذه الصيغة تشترك فيها هذه المعانى وهى صيغة قياسية يذكرها الصرفيون والمذكور فى كتب اللغة انما هو المربع بمعنى منزل القوم في الربيع خاصة وبعد البيت

رشاش كغربى هاجري كلاهما ... له داجن بالكسرتين عليف

اذا كرّ غرباً بعد غرب أعاده ... على رغمه وافى السبال عنيف

تذكرت فيها الجهل حتى تبادرت ... دموعي وأصحابى علىّ وقوف

يقولون هل يبكى من الشوق مسلم ... تخلى الى وجه الإله حنيف

فلأياً أزاحت علتي ذات ملدم ... نكيب تغالى فى الزمام خنوف

مقذفة باللحم وجناء عدوها ... على الأين إرقال معاً ووجيف

اليك سعيد الخير جبت مهامها ... يقابلنى آل بها وتنوف

ولولا الذي العاصي أبوه تعلقت ... بحوران بجذام الغنى عصوف

ولولا أصيل اللب غضّ شبابه ... كريم لأيام المنون عروف

اذا همّ بالأعداء لم يثن همه ... كعاب عليها لؤلؤ وشنوف

حصان لها فى البيت زى وبهجة ... ومشي كما تمشى القطاة قطوف

في الكلام يقول القائل أعجبني ضرب عمرو خالداً اذا كان عمرو فاعلا وضرب عمرو خالدٌ اذا كان عمرو مفعولا ٠٠وقد ذكر قومٌ في الآية وجهاً آخر وهو أن يكون المراد إني أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك لانه لم يرد له إلاّ الخير والرشد فحذف الزوال وأقام ان وما اتصل بها مقامه كما قال تعالى (وأُشربوا في قلوبهم العجل) أراد حب العجل فحذف الحب وأقام العجل مقامه وكما قال تعالى (واسأل القرية) وهذا قول بعيد لانه لادلالة في الكلام على محذوف وانما تستحسن العرب الحذف في بعض المواضع لاقتضاء الكلام المحذوف ودلالته عليه ٠٠وذكر أيضاً وجه آخر وهو أن يكون المعنى إني أريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك أي أريد أن لا تقتلني ولا أقتلك فحذف لا واكتفى بما في الكلام كما قال تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) معناه أن لا تضلوا وكقوله تعالى (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) معناه أن لا تميد بكم وكقول الخنساء

فأَقسَمتُ آسي على هالكٍ ... وَأَسأَلُ نائحةً مالَها

أرادت لا آسى ولا أسأل ٠٠وقال امرؤ القيس

فقالَتْ يَمينَ اللهِ أَبرَحُ قاعِدًا ... وَلوقَطَعُوارَأْسِي لَدَيكِ وأوصالِي

أراد لا أبرح ٠٠ وقال عمرو بن كلثوم

نَزَلتم منزِلَ الأَضيافِ مِنا ... فعَجَّلْنا القِرَى أَنْ تَشتِمُونَا

أراد أن لا تشتمونا والشواهد في هذا كثيرة جدًّا وهذا الجواب يضعفه كثير من أهل

ولو شاء وارى الشمس من دون وجهه ... حجاب ومطوي السراة منيف
ولكنَّ إدلاجاً بشهباء فخمة ... لها لُقَّحٌ في الأعجمين كشوف
اذا قادها للموت يوماً تتابعت ... أُلوف على آثارهنَّ أُلوف
فصفوا وما ذي الحديد عليهم ... وبيض كأولاد النعام كثيف
أنابت الى جنات عدن نفوسهم ... وما بعدها للصالحين حتوف
خفيف المعي لا يملأ الهم صدره ... اذا سمته الزاد الخبيث عيوف

العربية لانهم لا يستحسنون اضمار لافى مثل هـذا الموضع •• فأما قوله تعالى حاكياً عنه (لئن بسطت اليّ يدك لتقتلني ماأنا بباسطٍ يدى اليك لأقتلك) ••فقال قومٌ من المفسرين ان القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحاً في ذلك الوقت وان الله تعالى أمره بالصبر عليه وامتحنه بذلك ليكون هو المتولي للانتصاف •• وقال آخرون بل المعنى انك ان بسطت اليّ يدك مبتدئاً ظالماً لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك على وجه الظلم والابتداء فكأنه نفى عن نفسه القتل القبيح وهو الواقع على سبيل الظلم •• والظاهر من الكلام بغير ما ذكر من الوجهين أشبه لانه تعالى خبر عنه انه وان بسط أخوه اليه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله أي وهو مريد لقتله ويجري اليه لان هـذا اللام بمعنى كى وهي منبئة عن الارادة والغرض ولا شبهة فى حظر ذلك وقبحه لان المدافع انما تحسن منه المدافعة للظالم أو طلب التخلص منه من غير أن يقصد الى قتله والاضرار به ومتى قصد ذلك كان فى حكم المبتدى بالقتل في انه فاعل القبيح والعقل شاهد بوجوب التخلص من المضرة بأي وجه تمكن منه بعد ان يكن غير قبيح •• فان قيل فكأنكم تمنعون من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة ووجوبهما على كل حال •• قلنا لا يمتنع من ذلك وانما بينا ان الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصاف على ما ذهب اليه قوم لان قوله لأقتلك يقتضى أن يكون البسط لهذا الغرض والمدافعة لا يقتضى ذلك ولا يحسن من المدافع أن يجري بها الى الضرب فلا دلالة فى الآية على تحريم المدافعة ووجب أن يكون ما ذكرناه أولى بشهادة الظاهر

[تأويل خبر]•• إن سأل سائل عن معنى الخبر الذى رواه أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم من انه قال لا يموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد فتمسه النار الا تحلة القسم •• الجواب قلنا أما أبو عبيد القاسم بن سلام فانه قال يعنى بتحلة القسم قوله تعالى (وان منكم إلاّ واردها كان على ربّك حتماً مقضيا) فكأنه عليه الصلاة والسلام قال لا يرد النار إلاّ بقدر مايبر الله قسمه •• وأما ابن قتيبة فانه قال فى تأويل أبى عبيد هـذا مذهب حسن من الاستخراج ان كان هذا قسماً •• قال وفيه مذهب آخر أشبه بكلام العرب ومعانيهم وهو ان العرب اذا أرادوا تقليل مكث الشئ وتقصير مدته شبهوه بتحلة

القسم وذلك أن يقول الرجل بعد حلفه ان شاء الله فيقولون ما يقيم فلان عنـدنا الا تحلة القسم وما ينام العليل إلاّ كتحليل الألية وهو كثير مشهور ٠٠ قال مزاحم بن أحمر وذكر الريح

إِذَا عَصَفَتْ رَسْماً فَلَيْسَ بِدَائِمٍ   بِهِ وَتِدٌ إِلاَّ تَحِلَّةَ مَقْسَمِ

يقول لا ينبت الوتد الا قليـلا كتحلة القسم لان هبوب الريح يقلعـه ٠٠ وقال آخر يذكر ثوراً

يَخْفِي التُّرَابَ بِأَظْلاَفٍ ثَمَانِيَةٍ   فِي أَرْبَعٍ مَسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيلُ (١)

يقول هو سريع خفيف فقوائمه لا تثبت فى الأرض إلاّ كتحليل اليمين ٠٠ وقال ذو الرمة كأنه يصف صاحب سفر أغفى غفاةً ثم انتبه سريعاً

---

(١) ـ يخفى التراب ـ يستخرجها لشدة عدوه ويقال خفيت الشئ اذا استخرجته وقرأ بعضهم (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) أى أظهرها ومن قرأ أُخفيها أراد أسرها ومنه الحديث ليس على مختفٍ قطع ومنه قول امرئ القيس

خفاهن من أنفاقهن كأنما   خفاهن ودق من عشيٍّ مجلّبِ

ويروي مجلّب أى مجلب الماء ومجلبة من الجلبة جلبة الريح والرعد ٠٠ وقوله ـ باظلاف ثمانيـة في أربع ـ يريد ثمانيـة اظلاف فى أربع قوائم فى كل قائمة ظلفان ٠٠ وقوله ـ مسهن الأرض تحليل ـ أى كتحلة اليمين وأهـل الحجاز يسمون النباش المختفى وقال مسهن الأرض تحليل قدر تحلة اليمين كأنه أقسم لمسهن الأرض كما قال الراعى

حدت السراب وألحقت أعجازها   روح يكون وقوعها تحليـلا

والبيت من قصيدة لعبدة بن الطبيب وهى مفضلية ومطلعها

هل حبل خولة بعد الهجر موصول   أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

حلت خويلة فى دار مجاورة   أهـل المدائن فيها الديك والفيل

يقارعون رؤوس العجم ضاحية   منهـم فوارس لا عزل ولا ميل

فخامر القلب من ترجيع ذكرتها   رس لطيف ورهن منك مكبول

طَوى طَيَّهُ فَوقَ الكَرَا جفنُ عينِهِ على رَهَبَاتٍ من جَنَانِ المَخَادِرِ
قَليلاً كَتَحليلِ الأَلَى ثمَّ قَلَّصَتْ بهِ شِيمَةٌ رَوعاءُ تَقليصَ طائِرِ

—والألى— جمع ألوة وهي اليمين قال ومعنى الخبر على هذا التأويل ان النار لا تمسه إلاّ قليلا كتحليل اليمين ثم يجيه الله منها •• وقال أبو بكر محمد بن القاسم الانبارى الصواب قول أبي عبيد لحجج ثلاث •• منها ان جماعة من كبار أهل العلم فسروه على تفسير أبي عبيد •• ومنها انه ادعى ان النار تمس الذى وقعت منزلته عند الله جليلة لكن مساً قليلا والقليل من النار لا يقع به الألم العظيم وليس صفة الأبرار في الآخرة صفة من تمسه النار لا قليلا ولا كثيراً •• ومنها ان أبا عبيد لم يحكم على هذا المصاب بولده بمس وانما حكم عليه بالورود والورود لا يوجب أن يكون من الأبرار لان إلاّ معناه الاستثناء المنقطع فكأنه قال فتمسه النار لا كن تحلة اليمين أى لا كن ورود النار لا بد منه فجرى مجرى قول العرب سار الناس الا الاثقالا وارتحل العسكر الا الخياما وأنشد الفرّاء

وَسَمْحَةِ المَشْيِ شِمْلالٍ قَطَعتُ بِها أَرضاً يَحارُ بِها الهادُونَ دَيمُوما[1]
مَهامِهاً وَحُزُوناً لا أَنِيسَ بِها إلاَّ الصَّوائِحَ وَالأَصداءَ وَالبُوما[2]

وأنشد الفرّاء

---

(١) —الديموم— والديمومة الفلاة الواسعة يدوم السير فيها لبعدها وقيل هى المفازة لا ماء بها وأنشد ابن برى لذى الرّمة * اذا انتخّ الدياميم * وقيل الديمومة الأرض المستوية التى لا أعلام بها ولا طريق ولا ماء ولا أنيس •• وقال أبو عمرو الدياميم الصحارى الملس المتباعدة الأطراف

(٢) —الصوائح— جمع صائح وهو مايصيح أى يصوت والمراد به الأصوات التى تسمع فى الخلاء ولا حقيقة لها — والأصداء— جمع صدى وهو ما يرده الجبل على المصوت فيه — والبوم— طائر معروف

لَيسَ عليكَ عَطَشٌ ولاَ جُوع　　إلاَّ الرُّقَادَ وَالرُّقَادُ مَمنُوع

فمعنى الحديث لا يموت لمسلم ثلاثة من الأولاد فتمسه النار البتة لاكن تحلة القسم لا بد منها وتحلة اليمين الورود والورود لا يقع فيه مس .. قال أبو بكر وقد سنح لى فيه قول آخر وهو أن يكون إلاّ زائدة دخلت للتوكيد وتحلة اليمين منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت تحلة القسم وإلاّ زائدة .. قال الفرزدق شاهداً لهذا

هُمُ القَومُ إلاَّ حَيثُ سَلُّوا سُيُوفَهُمْ　　وَضَحَّوْا بِلَحْمٍ منْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ

معناه هم القوم حيث سلوا سيوفهم وإلاّ مؤكدة .. وقال الأخطل

وَيَقطَعْنَ إلاَّ من فُرُوعٍ يَرِدْنَها　　بِمَدحَةِ مَحمُودٍ ثَنَاهُ وَنَائِلُهْ (١)

معناه يقطعون الابل من فروع يردنهاوالفروع الواسعة من الأرض .. [قال الشريف

---

(١) وفي ديوانه

اليكم من الأغوار حتى يزرنكم　　بمدحة محمود ثناه ونائله

ـ الأغوار ـ جمع غور بالفتح وهو القعر من كل شئ وهى هنا الأمكنة المطمئنة ـ والثنا ـ بالفتح والقصر الخبر .. والبيت من قصيدة يمدح بها بشر بن مروان ومطلعها

صحا القلب عن أروى وأقصر باطله　　وعاد له من حب أروى أخابله

أجدك ما نلقاك إلاّ مريضة　　تداوين قلباً ما تنام بلابله

عفا واسط منها فالجام حامر　　فروض القطا صحراؤه وحمائله

.. ومنها

ومستقبل لفح الحرور بحاجة　　اليكم أبا مروان شدت رواحله

اليكم من الأغوار حتى يزرنكم　　بمدحة محمود ثناه ونائله

جزاء وشكراً لامرىء لا تغبنى　　اذا جئته نعماؤه وفواضله

أخو الحرب ماينفك يدعى لعصبة　　حرورية أو أعجمى يقاتله

المرتضى] رضى الله عنه والوجوه المذكورة فى تأويل الخبر متقاربة لان الوجه الذى اختص به ابن الانبارى فيه أدنى تعسف وبعد من حيث جعل إلاّ زائدة وذلك كالمستضعف عند جماعة من أهل العلم بالعربية وقد تبقى في الخبر مسئلة التشاغل بالجواب عنها أولى مما تكلفه القوم وهى متوجهة على كل الوجوه التى ذكروها في تأويله ٠٠ وهو أن يقال كيف يجوز أن يخبر عليه الصلاة والسلام بان من مات له ثلاثة أولاد لا تمسه النار إما جملة أو مقدار تحلة القسم وهو النهاية فى القلة أوَ ليس ذلك يوجب أن يكون إغراء بالذنوب لمن هذه حاله واذا كان من يموت له بهذا العدد من الأولاد غير خارج عن التكليف فكيف يصح أن يؤمن من العقاب ٠٠ والجواب عن ذلك اذاً قد علمت أوّلا خروج هذا الخبر مخرج المدحة لمن كانت هذه صفته للتمييز ولا مدحة فى مجرد موت الأولاد لان ذلك لا يرجع الى فعله ولا بد من أن يكون تقدير الكلام ان النار لا تمس المسلم الذى يموت له ثلاثة من الأولاد اذا حسن صبره واحتسابه وعزاؤه ورضاه بما جرى به القضاء عليه لانه بذلك يستحق الثواب والمدح واذا كان اضمار الصبر والاحتساب لا بد منه لم يكن فى القول اغراء لان كيفية وقوع الصبر والوجه الذى اذا وقع عليه تفضل الله تعالى بغفران ما لعله أن يستحقه من العقاب فى المستقبل غير معلوم واذا لم يكن معلوماً متميزاً فلا وجه للاغراء وأكثر ما في هذا الكلام أن يكون القول مرغباً في حسن الصبر وحاثاً عليه رغبة فى الثواب ورجاء لغفران ما لعله أن يستحق فى المستقبل من العقاب وهذا واضح لمن تأمله

مجلس آخر ٥٤

[تأويل آية]٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة)٠٠ فقال ما معنى أوههنا وظاهرها يفيد الشك الذى لا يجوز عليه تعالى ٠٠ الجواب قلنا في هذه الآية وجوه ٠٠ أوّلها أن تكون أو ههنا للاباحة كقولهم جالس الحسن أو ابن سيرين والق الفقهاء أو المحدثين ولم يريدوا الشك بل

كأنهم قالوا هذان الرجلان أهل للمجالسة وهذان القبيلان من العلماء أهل للقاء فان جالست الحسن فأنت مصيبٌ وان جالست ابن سيرين فأنت مصيبٌ وان جمعت بينهما فكذلك فيكون معنى الآية على هذا ان قلوب هؤلاء قاسية متجافية عن الرشد والخير فان شبهتم قسوتها بالحجارة أصبتم وان شبهتموها بما هو أشد أصبتم وان شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا يتأوّل قوله تعالى (أو كصيّبٍ من السماء) لان أو لم يرد بها الشك بل على نحو الذى ذكرناه من انكم إن شبهتموهم بالذي استوقد ناراً فجائز وان شبهتموهم بأصحاب الصيّب فجائز وان شبهتموهم بالجميع فكذلك ٠٠ وثانيها أن تكون أو دخلت للتفصيل والتمييز ويكون معنى الآية ان قلوبهم قست فبعضها ما هو كالحجارة في القسوة وبعضها ما هو أشد قسوة منها ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا) ومعناه قال بعضهم كونوا هوداً وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى وهم النصاري فدخلت أو للتفصيل وكذلك قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون) معناه فجاء بعض أهلها بأسنا بياتاً وجاء بعض أهلها بأسنا في وقت القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى (أو كصيّب من السماء) هذا الوجه أيضاً ويكون المعني ان بعضهم يشبه الذى استوقد ناراً وبعضهم يشبه أصحاب الصيّب ٠٠ وثالثها أن يكون أو دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان الله تعالى عالماً بذلك غير شاك فيه لانه تعالى لم يقصد في إخبارهم عن ذلك إلاّ التفصيل بل علم عزوجل ان خطابهم بالاجمال أبلغ فى مصلحتهم فأخبر تعالى ان قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمهم كالحجارة أو أشد قسوة والمعنى انها كانت كأحد هذين لايخرج عنهما ويجري ذلك مجرى قولهم ماأطعمتك إلاّ حلواً أو حامضاً فيبهمون على المخاطب مايعلمون انه لافائدة فى تفصيله والمعنى ما أطعمتك إلاّ أحد هذين الضربين وكذلك يقول أحدهم أكلت بسرة أو تمرة وهو قد علم ما أكل على التفصيل الا انه أبهمه على المخاطب ٠٠ قال لبيد

تَمَنَّى ٱبْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا ‏ وَهَلْ أَنَا إِلاَّ مِنْ رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرْ [1]

أراد هل أنا إلاّ من أحد هذين الحيين فسبيلي ان أفنى كما فنيا وانما حسن ذلك لان قصده الذى أجرى اليه وغرضه الذي نحاه وهو أن يخبر بكونه ممن يموت ويفنى ولا يخل به اجمال ما أجمل من كلامه فاضرب عن التفصيل لانه لافائدة فيه ولانه سواء كان من ربيعة أو مضر فوته واجب وكذلك الآية لانالغرض فيها أن يخبر تعالى عن شدة قسوة قلوبهم وانها مما لا تنثنى لوعظ ولا تصغي الى حق فسواء كانت فى القسوة كالحجارة أو أشد منها فقد تم ما أجرى اليه من الغرض فى وصفها وذمها وصار تفصيل تشبيهها بالحجارة وبما هو أشد قسوة منها كتفصيل كونه من ربيعة أو مضر فى انه غير محتاج اليه ولا يقتضيه الغرض فى الكلام •• ورابعها أن تكون أو بمعنى بل كقوله تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) معناه بل يزيدون وروى عن ابن عباس في قوله تعالى (وأرسلناه الىمائة ألف أو يزيدون) قالكانوا مائة ألف وبضعاً وأربعين

---

(١) وبعده

فقوما وقولا بالذى تعلمانه ‏ ولاتخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذي لاصديقه ‏ أضاعولا خانالصديق ولاغدر

الىالحول ثم اسم السلامعليكما ‏ ومن يبك حولا كاملافقداعتذر

والبيت الأخير يورده بعض النحاة على ان لفظ اسم مقحم •• قال ابن جنى هذا قول أبي عبيدة وكذلك قال في بسم الله ونحن نحمل الكلام على ان فيه محذوفاً قال أبوعلىّ وانما هو حد حذف المضاف أى ثم اسم معنى السلام عليكما واسم معنى السلام هو السلام وكأنه قال ثم السلام عليكما فالمعنىلعمرى ماقاله أبو عبيدة لكنه من غير الطريق التي أتاه هو منها ألا تراه هو اعتقد زيادة شئ واعتقدنا نحن نقصان شئ اه •• وروى ان لبيد رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال لابنتيه هذه الأبيات فكانتا بعد وفاته تلبسان ثيابهما فى كل يوم وتأتيان مجلس جعفر بن كلاب قبيلته فترثيانه ولا تعولان فأقامتا على ذلك حولا كاملا ثم انصرفتا

ألفاً •• وأنشد الفرّاء

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشمسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى ... وَصُورَتِهَا أَوْ أَنْتِ فِي العَيْنِ أَمْلَحُ

وقد تكون أم فى الاستفهام أيضاً بمعنى بل كقول القائل أضربت عبد الله أم أنت رجل متعنت معناه بل أنت رجل متعنت •• وقال الشاعر

فَوَاللهِ ما أَدْرِي أَسَلْمَى تَغَوَّلَتْ ... أَمِ النَّوْمُ أَمْ كُلٌّ إِلَيَّ حَبِيبُ

معناه بل كلٌّ •• وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال وكيف يجوز أن يخاطبنا تعالى بلفظة بل وهي تقتضى الاستدراك والنقض للكلام الماضى والاضراب عنه وليس ذلك بشئ إما الاستدراك فان أريد به الاستفادة أو التذكر لما لم يكن معلوماً فليس بصحيح لان أحدنا يقول اعطيته ألفاً بل ألفين وقصدنه دفعة بل دفعتين وهو عالم في ابتداء كلامه بما أخبر به فى الثانى ولم يتجدد به علم وان أراد به الأخذ فى كلام غير الماضى واستئناف زيادة عليه فهو صحيح ومثله جائز عليه تعالي فأما النقض للكلام الماضى فليس بواجب فى كل موضع يستعمل فيه لفظ بل لان القائل اذا قال اعطيته ألفاً بل ألفين لم ينقض الأول وكيف ينقضه والأول داخل في الثاني وانما زاد عليه وانما يكون ناقضاً للماضى اذا قال لقيت رجلا بل حماراً واعطيته درهماً بل ثوباً لان الأول لم يدخل فى الثاني على وجه وقوله تعالى (أو أشد قسوة) غير ناقض للأول لانها لا تزيد فى القسوة على الحجارة إلاّ بعد أن تساويها وانما تزيد عليها بعد المساواة •• وخامسها أن تكون أو بمعني الواو كقوله (أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم) معناه وبيوت آبائكم •• قال جرير

نَالَ الخِلافَةَ أَوْ كانَتْ لهُ قَدَرًا ... كما أَتَى رَبَّهُ مُوسَى على قَدَرِ [١]

---

(١) قوله نال الخلافة الخ •• هو من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى •• ويروى جاء الخلافة وأتى الخلافة وفى ديوانه نال الخلافة •• والبيت من شواهد النحاة في باب الفاعل على توسط المفعول بين الفعل والفاعل جوازاً ومطلع القصيدة

وقال توبة بن الحمير

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بأَنيَ فاجِرٌ		لِنَفْسِي تُقاها أَوْعلَيْها فجُورُها[1]

لجت امامة فى لومي وما علمت		عرض اليمامة روحاتي ولا بكري

وقال العيني وأولها قوله

كم باليمامة من شعثاء أرملة		ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

وهذا غلط لان البيت قبله اثنا عشر بيتاً ومنها

إنا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا		من الخليفة ما نرجو من المطر

•• ومنها

أصبحت للمنبر المعمور مجلسه		زيناً وزين قباب الملك والحجر

(١) هو من قطعة أولها

حمامة بطن الواديين ترنمي		سقاك من الغر الغوادي مطيرها

أبينى لنا لا زال ريشك ناعماً		ولا زلت فى خضراء غض نضيرها

وكنت اذا مازرت ليلى تبرقعت		وقد رابنى منها الغداة سفورها

وقد رابنى منها صدود رأيته		واعراضها عن حاجتي وبسورها

وأشرف بالقور اليفاع لعلنى		أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها

يقول رجال لايضيرك نأيها		بلى كل ماشف النفوس يضيرها

بلى قد يضير العين أن تكثر البكى		ويمنع منها نومها وسرورها

وقد زعمت ليلى بأني فاجر		لنفسى تقاها أو عليها فجورها

يروي ان ليلى الأخيلية لما أنشدت الحجاج هذه الأبيات قال لها ما الذى رابه من سفورك فقالت أيها الأمير كان يلم بي كثيراً فأرسل الىّ يوماً إنى آتيك وفطن الحي فأرصدوا له فلما أتانى سفرت عن وجهى فعلم انذلك لشر فلم يزد على التسليم والرجوع فقال لله درك فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه فقالت لا والذي أسأله أن يصلحك غير انه قال مرة قولا ظننت انه قد خضع لبعض الأمر فأنشأت أقول

وقال جرير أيضاً

أثعلبةَ الفوارسَ أم رياحاً ... عدلتَ بهم طُهيّه والخشابا[1]

أراد أو رياحاً .. وقال آخر

فلو أنَّ البكاءَ يردُّ ميتاً ... بكيتُ على بُجيرٍ أو عفاقِ

على المرأينِ إذ هلكا جميعاً ... لشأنهما بشجوٍ واشتياقِ

أراد على بُجير وعفاق .. وحكي المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قطرب وطعن عليه بان قال ليس شئ يعلم أشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فيشبه قلوبهم الزيادة عليها وانما يصح ذلك في قولهم أطعمتك تمراً أو أحلا منه لان أحلا منه معلوم واختار

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها ... فليس اليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه ... وأنت لأخرى فارغ وخليل

فلا والله الذى أسأله أن يصلحك ما رأيت منه شيئاً حتى فرق الموت بينى وبينه

(١) قوله – أثعلبة – أراد بها القبيلة وهي ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غطفان .. وفي أسد بن خزيمة ثعلبة أيضاً وهى ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة .. وقوله – أم رياحاً – بكسر الراء وبالياء آخر الحروف وهى أيضاً قبيلة وهى رياح بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .. وفي قضاعة أيضاً رياح بطن وهو ابن عوف ابن عميرة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن حزم بن أبان بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .. وفي سليم أيضاً وهى رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف ابن امرئ القيس بن بُهثة بن سليم .. وقوله – طهية – بضم الطاء وفتح الهاء وتشديد الياء آخر الحروف وفي آخره هاء وهي حى من بنى تميم يقال لهم بنو طهية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم .. وقوله – والخشابا – بكسر الخاء المعجمة وبالشين المعجمة وبعد الألف باء موحدة وهى أيضاً قبيلة .. قال الجوهري وبنو رزام بن مالك بن حنظلة يقال لهم الخشاب ثم أنشد البيت المذكور

المفضل الوجه الذى يتضمن أنّ أو بمعنى بل وهـذا الذى طعن به المفضل ليس بشيء لانهم وان لم يشاهدوا أو يعرفوا ما هو أشد قسوةً من الحجارة فصورة قسوة الحجارة معلومة لهم ويصح أن يتصوروا ما هو أشد قسوة منها وما له عليها فضل لان قدراً ما اذا عرف جاز أن يعرف ما هو أزيد منه أو أنقص لان الزيادة والنقصان انمـا يضافان الى معلوم معروف على ان الآية خرجت مخرج المثل وأراد تعالى بوصف قلوبهم بالزيادة فى القسوة على الحجارة انها قد انتهت الى حد لا تلين معه للخير على وجه من الوجوه وان كانت الحجارة ربما لانت وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كأنها أشد قسوة منها تمثيلا وتشبيهاً وقول المفضل ليس يعرفون ما هو أقسى من الحجارة لامعنى له اذا كان القول على طريق المثل .. وبعد فان الذي طعن به على هذا الجواب يعرض على الوجه الذى اختاره لانه اذا اختار أن أو فى الآية بمعني بل فكيف جاز بان يخبرهم بان قلوبهم أشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو أقسى من الحجارة واذا جاز أن يقول لهم بل قلوبهم أقسى مما يعرفون من الحجارة جاز أن يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول قلوبهم كالحجارة التي يعرفون فى القوّة وهى مع ذلك تزيد عليها .. فان قيـل كيف يكون أو فى الآية بمعنى الواو والواو للجمع وليس يجوز أن تكون قلوبهم كالحجارة أو أشد من الحجارة فى حالة واحدة لان الشئ اذا كان على صفة لم يجز أن يكون على خلافها .. قلنا قد أجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بان قال ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالحجارة فى حالٍ وأشد من الحجارة فى حال أُخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وهذا قريب ويكون فائدة هذا الجواب ان قلوب هؤلاء في بعض الأحوال مع القسوة والعدول عن تصور الحق والفكرة فيـه ربمـا لانت بعض اللين وفى حال أُخرى تكون في نهاية البعد عن الحق وكادت تصغى الى الحق فتكون فى هذا الحال كالحجارة التى ربما لانت وفى حال أُخري ربما تكون في نهاية البعد عن الحق والنفور منه فتكون فى هذا الحال أشـد قسوة من الحجارة على انه يمكن في الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر وقد تقدم معناه فى بعض كلامنا وهو ان قلوبهم لاتكون أشد من الحجارة إلاّ بعد أن يكون فيها قسوة الحجارة لأن القائل اذا قال فلان أعلم من فلان فقد أخبر انه زائد عليه فى العلم

الذي اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فليس ههنا تناف على ماظن المعترض ولا اثبات لصفة ونفيها فكل هذا بيّن بحمد الله تعالى ٠٠ [قال المرتضي] رضى الله عنه وإنى لأستحسن من الشعر قول الأحوص بن محمد الأنصاري

ومَوْلى سَخِيفِ الرَّاىِ رَخوٍ تَزِيدُهُ ... أَناتِي وعَفوِي جهْلَهُ عِندَهُ ذَمّاً [1]

وَصلْتُ وَلوْ عيّرتُهُ لأَصبتُهُ ... بِشَنْعاء باقٍ عارُها يَقرأُ العَظْما

طَوى حَسَدًا ضِغنًا عليّ كأنّما ... اداوى بهِ في كُلِّ مَجمَعةٍ كَلْما

وَيَجهلُ أحيانًا فلاَ يَستَخِفُّني ... ولاَ أَجْهَلُ العُتْبى إذا راجعَ الحِلْما

يَصِدُّ وَيَنأَى في الرَّخاء بوُدِّهِ ... وَيَدعُو وَيَدعُونِي إذا خَشِيَ الهَضْما

فَيُفرِجُ عنهُ إِرْبةَ الخَصْمِ مَشْهَدِي ... وأَدْفَعُ عنهُ عِندَ عَثْرَتِهِ الظُّلْما

ـ الاربة ـ الدهاء والاربة العقدة وكلا المعنيين يحتمل لفظ البيت

وكُنتُ أَمْرَأً عوَّدَ الفَعالِ تَهُزُّني ... مآثِرُ مجدٍ تَالِدٍ لم يَكُنْ زَعْما

وكُنت وشَتْمِي في ارُومةِ مالِكٍ ... بِسَبّي لهُ كالكَلبِ إذْ يَنبَحُ النَّجْما

ولَستَ بِلاقٍ سَيِّدًا سادَ مالِكًا ... فَتَنسِبَهُ إلاّ أَبًا لِيَ أَوْ عَمّا

ستَعْلَمُ إنْ عادَيتَنِي فَقَعَ قَرْقَرٍ ... امالاً أَفَدْتَ لاَ أَبالَكَ أَوْ عُدْما [2]

---

(١) ـ المولي ـ القريب كابن العم ونحوه والواو فيه واو رب أى رب مولى سخيف الرأى أي ضعيفه ـ والاناة ـ الحلم والوقار ٠٠ المعنى أن اناتي وعفوى يزيد انه من ذمى عنده

(٢) ـ الفقع ـ البيضاء من الكمأة وهي منصوبة على الذم ـ والقرقر ـ الأرض المطمئنة ٠٠ وهذا مأخوذ من قولهم أذل من فقع بقرقر لانه لايمتنع على من اجتناه ويقال بل لانه

لقدْ أبقَتِ الأيّامُ مِنّاوجَرْسَها لأعْدائنا ثُكلاً وَحُسّادِنا رَغْما
وكانتْ عُرُوقُ السوءِ أوْدَتْ وقصّرَتْ بهِ أنْ ينالَ الحمْدَ فالتمَس الذّما

ومن مختار شعره

إنّي إذَا خفِيَ الرِّجالُ رَأيْتَني كالشّمْسِ لاَ تخْفي بِكلِّ مَكانِ
ما مِنْ مُصِيبَةِ نَكْبَةٍ أمْنى بِها إلاّ تشَرِّفُني وَتُعظِمُ شانِي
وَتَزُولُ حِينَ تَزُولُ عنْ مُتَخَمّطٍ تُخْشى بَوادِرُهُ لَدَى الأقْرَانِ

ومن جيد شعره

خَليلاَنِ باحا بالهَوَى فتَشاحَنَتْ أقارِبُها في وَصْلِها وَأقارِبُهْ
ألاَ إنّ أهْوَى النّاسِ قُرْباً وَرُؤْيَةً وَرِيحاً إذَاما للّيْلُ غارَتْ كَوَاكِبُهْ
ضَجِيعٌ دَنَا مِنّي جَذِلْتُ بقُرْبِهِ فَباتَ يُمَنّيني وَبِتُّ أعاتِبُهْ
وأُخبِرُهُ بالسّرِّ بَيْني وَبيْنَهُ بأنْ لَيْسَ شيءٌ عِنْدَ نَفْسي يقارِبُهْ

وقد عبّر في وجه كل من وصف المضاجعة امرؤ القيس حيث يقول

يوطأ بالأرجل والجمع فقعة مثل جبء وجبأة ويقال حمام فقيع اذا كان أبيض ويشبه الرجل الذليل بالفقع فيقال هو فقع قرقر لان الدواب تجله بأرجلها .. قال النابغة يهجو النعمان بن المنذر

حدثوني بني الشقيقة ما يمـــنع فقعا بقرقر أن يزولا

لان الفقعة لا أصول لها ولا أغصان ويقال فلان فقعة لقاع كما يقال في مولد الأمثال لمن كان كذلك هو كشوث الشجر لان الكشوث نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض قال الشاعر

هو الكشوث فلا أصل ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

تقولُ وقد جرّدتها من ثيابها ... كما رُعتَ مكحولاً من العين أتلما
وجدّك لو شيٌ أتانا رسولهُ ... سواك ولكن لم نجد عنك مدفما
فبتنا نذودُ الوحشَ عنّا كأنّنا ... قتيلان لم تعلمْ لنا الناسُ مصرعا
إذا أخذتها هزّةُ الرّوعِ أمسكتْ ... بمنكبِ مقدامٍ على الهولِ أروعا

وقال عليّ بن الجهم في وصفه شدة الالتزام

سقى اللهُ ليلاً ضمّنا بعدَ هجعةٍ ... وأدنى فؤادًا من فؤادٍ معذّبِ
فبتنا جميعا لو تُراقُ زجاجةٌ ... من الرّاحِ فيما بيننا لم تُسرّبِ

ولعبد الصمد بن المعذل في هذا المعنى

كأنّني عانقتُ ريحانةً ... تنفّستْ في ليلها البارِدِ
فلو ترانا في قميصِ الدّجا ... حسبتنا في جسدٍ واحدِ

ولبشار

إنّني اشتهي لقاءكَ واللـ ... ـهِ فماذا عليكَ أنْ تلقاني
قدْ تلفُّ الرّياحُ غُصنًا من البـ ... ـانِ الى مثلهِ فيلتقيانِ

ومثله للبحتري

ولم أنسَ ليلتنا في العنـ ... ـاقِ لفَّ الصبا بقضيبٍ قضيبا
كما أقبلتِ الرّيحُ في مرّها ... فطورًا خفوتا وطورًا هبوبا

ولآخر في مثل هذا بعينه ولسنا ندري هل سبق البحتري أو تأخر عنه

وضمٌّ لا ينهنهُهُ اعتناقٌ ... كما لفَّ القضيبُ على القضيبِ

ولعلي بن الجهم

وبتنا على رغمِ الحسودِ كأنّنا ... خليطانِ من ماءِ الغمامةِ والخمرِ

وهذا وان جعله فى العناق فهو مأخوذ من قول بشار

وإنْ نلتقِي خلفَ العيُونِ كأنَّنا   سلافُ عقارٍ بالنقاخِ مشُوبُ

والأصل فى هذا قول الأخطل والناس من بعده على أثره

منَ الجارِياتِ الحُورِ مطلَبُ سرِّها   كبَيْضِ الأنُوقِ المُستَكنةِ في الوكْرِ

وإنّي وإيَّاهَا إذَا مالقيتُها   لكالماءِ منْ صوْبِ الغمامةِ والخمرِ

وقد أخذه أيضاً ابن أبي عيينة فقال

ماأنْسَ لاَ أنسَ يُمْناها مُعطَّفةً   على فؤَادِي وَيُسْرَاها علي رَاسِي

وَقولَها ليتَهُ ثوْبا على جسَدِي   أوْليتَني كُنْتُ سِرْبالاً لِعبَّاسِ

أوْليتَهُ كانَ لِي خمْرًا وكُنْتُ لهُ   منْ ماءِمزْنٍ فكنَّا الدّهْرَ في كاسِ

ومثل هذا للبحترى

وَجدْتُ نفْسكَ منْ نفْسِي بمنزِلةٍ   هي المُصافاةُ بيْنَ الماءِ والرَّاحِ

ولقد أحسن بشار فى قوله

لقدْ كانَ مابيْني زَمانا وبيْنَها   كما كانَ بيْنَ المسْكِ والعنْبرِ الوَرْدِ

أخبرنا أبو عبيدالله المرزبانى قال حدثنا أحمد بن محمدالمكي قال حدثنا أبوالعيناء قال حدثني القتبي عن أبيه قال سير الوليد بن عبد الملك [1] الأحوص الى دهلك فكتب

(١) قوله سير الوليد بن عبد الملك الأحوص الخ ٠٠المشهور ان الذي نفاه سليمان ابن عبد الملك وسبب ذلك ان الأحوص كان ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ويتغنى فى شعره معبد ومالك ويشيع ذلك فى الناس فنهي فلم ينته فشكي الى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتاب فيه اليه ففعل ذلك فكتب سليمان الي عامله يأمره أن يضربه مائة سوط ويقيمه على البلس للناس ثم يصيره الى دهلك ففعل ذلك به فثوى هناك سلطان سليمان بن عبد الملك ثم وُلي عمر بن عبد العزيز فكتب

الأحوص الى عمر بن عبد العزيز حين استخلف

وَكَيْفَ تَرَى لِلنَّوْمِ طَعْماً وَلَذَّةً ... وَخَالُكَ أَمْسَى مُوثَقاً فِي الحَبَائِلِ

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى سَائِلاً عَنْ شَمَاتَةٍ ... لِيَشْمَتَ بِي أَوْ شَامِتاً غَيْرَ سَائِلِ

فَقَدْ عَجَمَتْ مِنِّي الحَوَادِثُ مَاجِداً ... صَبُوراً عَلَى غَمَّاءِ تِلْكَ البَلَابِلِ

إِذَا سُرَّ لَمْ يَفْرَحْ وَلَيْسَ لِنَكْبَةٍ ... أَلَمَّتْ بِهِ بِالْخَاشِعِ المُتَضَائِلِ

فبعث عمر بن عبد العزيز الى عراك بن مالك الذي كان شهد عليه فقال ما ترى في هذا

اليه يستأذنه في القدوم ويمدحه فأبى أن يأذن له وكتب فيما كتب اليه به

أيارا كباً إمّا عرضت فبلغن ... هديت أمير المؤمنين رسائلي

وقل لأبي حفص اذا مالقيته ... لقد كنت نفّاعاً قليل الغوائل

وكيف ترى للعيش طيباً ولذة ... وخالك أمسى موثقاً في الحبائل

ثم ان رجالا من الأنصار كلموا فيه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال لهم فمن الذي يقول

فما هو إلاّ أن رآها فجاءة ... فأبهتَ حتى ما أكادَ يجيب

قالوا الأحوص والصحيح ان هذا البيت لعروة بن حزام .. قال فمن الذي يقول

أدور ولولا ان أرى أم جعفر ... بأبياتكم مادرت حيث أدور

وما كنت زوّاراً ولكنّ ذا الهوى ... اذا لم يزر لابد أن سيزور

قالوا الأحوص .. قال فمن الذي يقول

كأن لبنى صبير غادية ... أو دمية زينت بها البيع

الله يبني وبين قيّمها ... يفر مني بها وأتبع

قال بل الله بين قيمها وبينه .. فمن الذي يقول

ستبقى لها في مضمر القلب والحشى ... سريرة حب يوم تبلى السرائر

قالوا الأحوص قال ان الفاسق عنها يومئذ لمشغول والله لا أرده ما كان لي سلطان

البائس فقال عراك مكانه خير له فتركه فى موضعه فلما وُلى يزيد بن عبد الملك جلب الأحوص وسير عراكا .. [قال المرتضى] رضى الله عنه وانما كان الأحوص خال عمر بن عبد العزيز من جهة ان أم عمر هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وأمها أنصارية .. فأما قوله ــ اذا سر لم يفرح ــ فمأخوذ من قول لقيط بن زرارة

لَامُتْرَفًا إنْ رَخاءُ العَيْشِ ساعَدَهُ ... وَليسَ إنْ عضَّ مكْرُوهٌ بهِ خَشَعَا [1]

.. وللأحوص

وَبِبَطْنِ مَكَّةَ لاَأَبُوحُ بِهِ ... قُرَشِيَّةٌ غَلَبَتْ على قَلْبِي

لوْ أَنَّها إذْ مَرَّ مَرْكَبُها ... يَوْمَ الكَدِيدِ أَطاعَنِي صَحْبِي

قُلْنا لَها حُيِّيتِ منْ شَجَنٍ ... وَلِرَكْبِها حُيِّيتَ منْ رَكْبِ

---

(١) البيت من قصيدته المشهورة التي أنذر بها قومه غزو كسرى إياهم وكان لقيط كاتباً في ديوان كسرى فلما رآه مجمعاً على غزو إياد كتب اليهم بهذا الشعر فوقع الكتاب في يد كسرى فقطع لسان لقيط وغزا إياداً ومطلعها

يادار عمرة من محتلها الجرعا ... هاجت لي الهم والاحزان والوجعا

تامت فؤادي بذات الجزع خرعبة ... مرت تريد بذات العذبة البيعا

بمقلتي خاذل أدماء طاع لها ... نبت الرياض تزجي وسطه ذرعا

.. ومنها

وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لامترفاً ان رخاء العيش ساعده ... ولا اذا عض مكروه به خشعا

لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه ... هم يكاد سناه يقصم الضلعا

مسهد النوم تعنيه أموركم ... يروم منها الى الأعداء مطلعا

ماانفك يحلب هذا الدهر أشطره ... يكون متبعاً طوراً ومتبعا

حتى استمرت على شزر مريرته ... مستحكم الرأي لاقحماً ولاضرعا

وَالشَّوقُ أَقتَلُهُ بِرُؤيَتِها ... قَبلَ الظَّما بِالبارِدِ العَذبِ
وَالنّاسُ إِنْ حَلّوا جَميعُهُمُ ... شِعَباً سَلامُ وَكُنتِ في شِعَبِ
لَحَلَلتُ شِعبَكِ دُونَ شِعبِهِمُ ... وَلَكانَ قُربُكِ مِنهُمُ حَسبي

قوله ـ والشوق أقتله ـ نظير قول جرير

فَلَما التَقى الحَيّانِ أُلقِيَتِ العَصا ... وَماتَ الهَوى لَمّا أُصيبَتْ مَقاتِلُهْ

مجلس آخر ٥٥

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) .. فقال كيف يأمرهم تعالى بان يخبروا بما لا يعلمون وليس أقبح من تكليف ما لا يطاق الذي تأبونه والذي لا يجوز أن يكلف تعالى مع ارتفاع القدرة لا يجوزه .. الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجهان .. أولهما ان ظاهر هذه الآية إن كان أمراً يقتضي التعلق بشرط وهو كونهم صادقين عالمين بانهم اذا أخبروا عن ذلك صدقوا فكأنه قال تعالى خبروا بذلك ان علمتموه ومتى رجعوا الى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم وهذا بمنزلة أن يقول القائل لغيره خبرني بكذا وكذا ان كنت تعلمه وان كنت تعلم أنك صادق فيما تخبر به عنه .. فان قيل أو ليس قد قال المفسرون في قوله تعالى (ان كنتم صادقين) ان المراد به ان كنتم تعلمون بالعلة التي من أجلها جعلت في الأرض خليفة أو ان كنتم صادقين في اعتقادكم انكم تقومون بما أنصب الخليفة له وتضطلعون به وتصلحون به .. قلنا قد قيل كل ذلك وقيل أيضاً ما ذكرناه واذا كان القول محتملا للأمرين جاز أن يبنى الكلام على كل واحد منهما وهذا الجواب لم يتم لمن يذهب الى ان الله تعالى لا يصح أن يأمر العبد بشرط قد علم انه لا يحصل ولا يحسن أن يريد منه الفعل على هذا الوجه ومن ذهب الى جواز ذلك صح منه أن يعتمد على هذا الجواب .. فان

قيل فأى فائدة فى أن يأمرهم بان يخبروا عن ذلك بشرط أن يكونوا صادقين وهو عالم
نهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به .. قلنا لمن ذهب الى الاصل الذى ذكرناه أن
يقول لا يمتنع أن يكون الغرض فى ذلك هو أن يكشف باقرارهم وامتناعهم من الإخبار
بالأسماء ما أراد تعالى بيانه من استئثاره بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح
فى الدين .. فان قيل فهذا يرجع الى الجواب الذي تذكرونه من بعده .. قلنا هو وان
رجع الى هذا المعنى فبينهما فرق من حيث كان هـذا الجواب على تسليم ان الآية
تضمنت الأمر والتكليف الحقيقيين والجواب الثانى لا نسلم فيه ان القول أمر على
الحقيقة فن ههنا افترقا .. والوجه الثاني أن يكون الأمر وان كان ظاهره أمر فغير
أمر على الحقيقة بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد يرد بصورة الأمر
ماليس بأمر والقرآن والشعر وكلام العرب مملوء بذلك وتلخيص هذا الجواب ان الله
تعالى قال للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم إنى أعلم ما لا تعلمون) أي
إنى مطلع من مصالحكم وما هو أنفع لكم من دينكم على مالا تطلعون عليه ثم أراد
التنبيه على انه لا يمتنع أن يكون غير الملائكة مع انها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصى
أولى بالاستخلاف فى الأرض وان كان في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم تعالى آدم
عليه الصلاة والسلام أسماء جميع الأجناس أو أكثرها وقيل أسماء النبي محمد صلى الله
عليه وآله والأئمة من ولده وسلم وفيه أحاديث مروية ثم قال تعالى للملائكة أنبؤونى بأسماء
هؤلاء مقرراً لهم ومنبهاً على ما ذكرناه ودالا على اختصاص آدم عليه الصلاة والسلام
بما لم يخصوا به فلما أجابوا بالاعتراف والتسليم اليه علم الغيب الذي لا يعلمونه فقال تعالى
(ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدُون وما كنتم تكتمون)
منبهاً على انه تعالي هو المتفرد بعلم المصالح في الدين وان الواجب على غير مكلف أن يسلم
لأمره تعالى ويعلم انه لا يختار لعباده إلاّ ما هو أصلح لهم فى دينهم علموا وجه ذلك أم
جهلوه وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالي (ان كنتم صادقين) محمولا على كونهم
صادقين فى العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة أو فى ظنهم انهم يقومون بما يقوم به هذا

الخليفــة ويكملون له ولولا ان الأمر على ماذكرناه وان القول لا يقتضى التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم (ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) معنى لان التكليف الأول يتغير حاله بان يخبرهم آدم عليه الصلاة والسـلام بالأسماء ولا يكون قوله تعالى (إنى أعلم غيب السموات) الى آخر الآية الا مطابقاً لما ذكرناه من المعنى دون معـنى التكليف فكأنه تعالى قال اذا كنتم لا تعلمون هـذه الأسماء فأنتم عن علم الغيب أعجز وبان تسلموا الأمر لمن يعلمه ويدبر أمركم بحسبه أولى .. فان قيل كيف علمت الملائكة بأن فى ذرية آدم من يفسد فى الأرض ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك وان كانت غـير عالمة فكيف يجوز أن تخبر عنه بغير علم .. قلنا قد قيـل انها لم تخبر وانما استفهمت فكأنها قالت متعرفة أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقيل أيضاً ان الله تعالى أخبرها بانه سيكون من ذرية هذا المستخلف من يعصي ويفسد فى الأرض فقالت على وجه التعرف لما فى هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه الحكمة فيه أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب الأخير يقتضى أن يكون في أول الكلام حذف ويكون التقدير (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل في الأرض خليفة) وإني عالم أن سيكون من ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فاكتفى عن إيراد هذا المحذوف بقوله تعالى (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) لان ذلك دلالة على الأول وانما حذفه اختصاراً وفى جملة جميع الكلام اختصار شديد لانه تعالى لما حكى عنهم قولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها) الآية كان في ضمن هذا الكلام فنحن على ما نظنه وما يظهر لنا من الأمر أولى بذلك لانا نطيع وغـيرنا يعصى وقوله تعالى (إنى أعلم ما لا تعلمون) يتضـمن إنى أعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون مخالفاً لما تظنونه على ظواهر الأمور وفى القـرآن من الحذوف العجيبة والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد فى شيء من الكلام فن ذلك قوله تعالى في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام والناجي من صاحبيه في السجن رؤيا الملك البقر السمان والعجاف أنا أنبئكم بتأويله فارسلون يوسف أيها الصديق افتنا ولو بسط الكلام فأورد محـذوفه لقال أنا أنبئكم بتأويله فارسـلون ففعلوا فأتى يوسف فقال له

يايوسف أيها الصديق ومثله قوله في الأنعام (قل إني أُمرت أن أكون أوّل من أسلم ولا تكونن من المشركين) أى وقيل لي ولا تكونن من المشركين وكذلك قوله تعالى في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام (ولسليمان الرّيح غدوّها شهر ورواحها شهر) الى قوله تعالى (اعملوا آل داود شكراً) أي وقيل لهم (اعملوا آل داود شكراً) ‥ وقال جرير

وَرَدْتُمْ علي قَيْسٍ بِخُورِ مُجَاشِعٍ ‏ ‏ فَنُؤْتُمْ على ساقٍ بَطِيء جُبُورُها

أراد فنؤتم على ساق مكسورة بطيء جبورها كأنه لما كان فى قوله بطيء جبورها دليل على الكسر اقتصر عليه ‥ وقال عنترة

هَلْ تُبْلِغَنّي دَارَها شَدَنِيَّةٌ ‏ ‏ لُعِنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّرابِ مُصَرَّمِ

يعني ناقته ‥ ومعني ـ لعنت ـ دعاء عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك والناقة اذا كانت لا تنتج كان أقوى لها على السير ‥ قال تأبط شراً ويروي للشنفرى

فَلاَ تَدْفِنُونِي إنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ ‏ ‏ عَلَيكُمْ ولكِنْ خامِرِي أُمَّ عامِرِى [1]

---

(١) ـ خامري أم عامر ـ مثل وأم عامر وأم عمرو وأم عويمر الضبع يشبه بها الأحمق ويروي عن عليّ رضى الله عنه انه قال لا أكون مثل الضبع تسمع اللدم فتبرز طمعاً في الحية حتى تصاد وهي كما زعموا من أحمق الدواب لانهم اذا أرادوا صيدها رموا فى جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك ويقال لها ابشرى بجراد عظال وكمر رجال فلا يزال يقال لها حتي يدخل عليها رجل فيربط يديها ورجليها ثم يجرها والجراد العظال الذى ركب بعضها بعضاً كثرة وأصل العظال سفاد السباع ‥ وقوله وكمر رجال يزعمون ان الضبع اذا وجدت قتيلا قد انتفخ جردانه ألقته على قفاه ثم ركبته ‥ قال العباس بن مرداس

ولومات منهم من جرحنا لأصبحت ‏ ‏ ضباع بأعلى الرقتين عرائسا

وبعد البيت

لانه أراد فلا تدفنوني بل دعوني تأكلني التي يقال لها خامري أم عامر وهى الضبع
•• وقال أوس بن حجر

حتّى إذَا الكلابُ قالَ لها ... كاليَوم مَطلُوبٌ ولاَ طلَبا

أراد لم أراك اليوم فحذف •• وقال أبو دواد الايادي

إنَّ من شيمَتى لبَذل تلادِي ... دُونَ عِرضِى فإنْ رَضيتِ فكُونى

أراد فكوني معي على ما أنا عليه وان سخطت فبيني فحذف هذا كله •• ولآخر

إذَا قِيلَ سِيرُوا إنَّ لَيلَى لَعلَّنا ... جرَى دُونَ لَيلَى مائِلُ القرْنِ أعضَب

أراد لعلها قربت وهـذا باب يتسع وهو أكثر من أن يحيط به قول•• والحذف غير الاختصار وقوم يظنون انهما واحد وليس كذلك لان الحـذف يتعلق بالألفاظ وهو أن يأتي بلفظ يقتضى غيره ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون في الموجود دلالة على المحذوف فيقتصر عليه طلباً للاختصار والاختصار يرجع الى المعاني وهو أن يأتي بلفظ مفيد لمعانٍ كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج الى أكثر من ذلك اللفظ فلا حذف الا وهو اختصار وليس كل اختصار حذفاً ••فمثال الحذف قوله ـ ولكن خامرى أم عامرـ ولنظائره مما أنشدناه لان القول غير مستغنٍ بنفسه بل يقتضى كلاماً آخر غير انه لما كان فيه دلالة على ماحذف حسن استعماله•• ومثال الاختصار الذى ليس بحذف قول الشاعر

أولادُ جفنَةَ حَوْلَ قبرِ أبيهمُ ... قبرِ ابنِ مارِيةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ (١)

اذا احتملت رأسي وفي الرأس أكثري ... وغودر عنـد الملتقى ثمّ سائري

هنالك لا أرجو حياة تسرني ... سجيس الليالي مبسلا بالجرائر

(١) قوله ـ قبر ابن مارية ـ الخ •• قال أبو عبيدة هى مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمـرو بن جفنة وقال ابن الكلبي مثل قول أبي عبيدة ثم قال وقالت كندة جماعة هى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة وقال القعنبي بنت ظالم ابن وهب بن الحارث وقال ابن السكيت هى مارية بنت أرقم بن ثعلبة •• والبيت من قصيدة

أراد أنهم أعزاء مقيمون بدار مملكتهم لاينتجعون كالاعراب فاختصر هذا المبسوط كله في قوله حول قبر أبيهم ٠٠ ومثله قول عدي بن زيد

عالِمٌ بالَّذِي يُرِيدُ نقِي الصَّـــدرِ عفٌّ على جَنَاهُ نحُورُ (١)

وفي معنى الاختصار قول أوس بن حجر

وَفتيانِ صدقٍ لا تَخِمُ لحامهُمْ   إذَا شبَّهَ النَّجمُ الصوّارَ النّوَافِرا

فقوله ـ لا تخم لحامهم ـ لفظ مختصر لو بسط لقال انهم لا يدخرون اللحم ولا يستبقونه فيخم بل يطعمونه الأضياف والطراق ٠٠ ومعنى قوله ـ اذا شبه النجم الصوار النوافرا ـ يعني في شدة البرد وكلب الشتاء لان الثريا تطلع في هذا الزمان عشاء كأنها صوار متفرق وهذا أيضاً أكثر من أن يحصى وانما فضل الكلام الفصيح بعضه على بعض لقوة حظه من افادة المعاني الكثيرة بالألفاظ المختصرة ٠٠ فأما قوله تعالى (ثم عرضهم على الملائكة) بعد ذكر الأسماء التي لا تليق بها هذه الكناية فالمراد به عرض المسميات لان الكناية لا تليق بالأسماء ولا بد من أن تكون تلك المسميات أو فيها ما يجوز أن يكنى عنه بهذه

حسان رضي الله عنه المشهورة التي مدح بها آل جفنة ومطلعها

أسألتَ رسم الدار أم لم تسأل   بين الجوابي فالبضيع فحومل

ومنها

لله در عصابة نادمتهم   يوماً بجلّقَ في الزمان الأول

ومنها

يغشون حتى ما تهر كلابهم   لا يسألون عن السواد المقبل

يسقون من وَرَدَ البريص عليهم   بردى يصفق بالرحيق السلسل

بيض الوجوه كريمة أحسابهم   شم الأنوف من الطراز الأول

ومنها

ولقد شربت الخمر في حانوتها   صهباء صافية كطعم الفلفل

يسعى عليَّ بكأسها متنطف   فيعلني منها ولو لم أنهل

إن التي ناولتني فرددتها   قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني   بزجاجة أرخاهما للمفصل

(١) ـ هكذا في الاصول التي بايدينا ولم نقف عليه

الكناية لانها لاتستعمل إلاّ في العقلاء وما يجري مجراهم •• وقيل ان فى قراءة أُبيّ ثم عرضها وفى قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضهنّ وعلى هاتين القراءتين يصلح أن تكون عبارة عن الأسماء •• وقد يبقى فى هذه الآية سؤال لم نجد أحداً ممن تكلم فى تفسير القرآن ولا في متشابهه ومشكله تعرض له وهو من مهم مايسأل عنه •• وذلك أن يقال من أين علمت الملائكة عليها السلام لما أخبرها آدم عليه الصلاة والسلام بتلك الأسماء صحة قوله ومطابقة الأسماء للمسميات وهى لم تكن عالمة بذلك من قبل اذ لو كانت عالمة لأخبرت بالأسماء ولم تعترف بفقد العلم والكلام يقتضيه لانهم لما أنبأهم آدم عليه الصلاة والسلام علموا صحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله تعالى (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض) معنىً ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته وتمييزه واختصاصه بما ليس لهم لان كل ذلك انما يتم مع العلم دون غيره •• الجواب انه غير ممتنع أن تكون الملائكة عليها السلام فى الأول غير عارفين بتلك الأسماء فلما أنبأهم آدم عليه السلام بها فعل الله لهم فى الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات لها أما عن طريق أو ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك تمييزه واختصاصه وليس لأحدٍ أن يقول ان ذلك يؤدي الى انهم علموا نبوّته اضطراراً وفي هذا منافاة لطريق التكليف وذلك انه ليس في علمهم بصحة ماأخبر به ضرورة مايقتضي العلم بالنبوّة ضرورة بل بعده درجات ومراتب لابد من الاستدلال عليها ويجري هذا مجرى أن يخبر أحدَنا نبيٌّ بما فعل على سبيل التفصيل على وجه تجري به العادة وهو وان كان عالماً بصدق خبره ضرورة لا بد له من الاستدلال فيما بعد على نبوّته لان علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوّته لكنه طريق يوصل اليها على ترتيب •• ووجه آخر وهو انه لايمتنع أن يكون للملائكة لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس فى لغته دون لغة غيره إلاّ أن يكون احاطة عالم واحد بأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما أراد تعالى التنبيه على نبوّة آدم عليه السلام علمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ماخبر به من الأسماء للغته وهذا لا يحتاج فيه الي الرجوع الى غيره وعلم مطابقته ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل ولا شك في ان كل قبيل اذا كانوا كثيرة وخبروا بشيءٍ

يجرى هذا المجرى علم صحة مخبرهم واذا أخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك فى لغة غيره ما علمته من لغته وهذا الجواب يقتضى أن يكون قوله تعالى (أنبؤنى بأسماء هؤلاء) أي ليخبرنى كل قبيل منكم جميع الأسماء وهذان الجوابان جميعاً مبنيان على ان آدم عليه السلام لم يتقدم لهم العلم بنبوّته وأن إخباره بالأسماء كان افتتاح معجزاته لانه لو كان نبياً قبل ذلك وكانوا قد علموا بتقدم ظهور معجزاتٍ على يده لم يحتج الى هذين الجوابين معاً لانهم يعلمون اذا كان الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد ان لم يعلموا ذلك بقوله الذى قد أمنوا به فيه غير الصدق وهذا لمن تأمله بيّن بحمد الله

٠٠[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه رأيت قوماً ممن تكلم على معانى الشعر يذكرون فى بيت حسان بن ثابت

لَمْ تَفُتْها شَمْسُ النّهارِ بِشَيْءٍ غيرَ أَنَّ الشَّبابَ لَيسَ يَدُومُ [١]

ان المراد به الاعتذار من كبرها وعلو سنها فكأنه قال — لم تفتها شمس النهار بشيء — انها كبيرة طاعنة فى السن وعذرها فى ذلك ان الشباب ليس يدوم لأمثالها وهذا الذى

---

(١) البيت من قصيدته التى قالها بعد وقعة أُحد يروي انه دعا قومه ليلا فقال لهم خشيت أن يدركنى أجلى قبل ان أصبح فلا ترووها عنى ومطلعها

منع النوم بالعشاء الهموم وخيال اذا تغور النجوم
من حبيب أصاب قلبك منه سقم فهو داخل مكتوم
يال قومي هل يقتل المرء مثلي واهن البطش والعظام سؤوم
همها العطر والفراش ويعلوها لجين وحالك منظوم
لو يدب الحولي من ولد الذر عليها لأندبتها الكلوم
لم تفتها شمس النهار بشيء غير أن الشباب ليس يدوم
ان خالي خطيب جابية الجولان عند النعمان حين يقوم
وأبي في سميحة القائل الفاصل يوم التفت عليه الخصوم
وأنا الصقر عند باب ابن سلمي يوم نعمان في الكبول مقيم

ذكروه ليس بشئ والاشبه والاولى أن يكون مراد حسّان ان شمس النهار لم تفقها بشئ غير ان شبابها مما لا يدوم ولا بد من أن يلحقها الهرم الذي لا يلحق الشمس ولم يدر انها في الحال كذلك وكيف يريد ما توهموه مع قوله

يالقَوْمي هَلْ يَقْتُلُ المَرْءَ مِثْلِي   واهِنُ البَطْشِ والعِظَامِ سَؤُومُ

شأْنُها العِطْرُ والفِرَاشُ وَيَعْـ   لُوها لُجَيْنٌ وَلُؤْلُؤٌ مَنْظُومُ

لوْ يَدِبُّ الحَوْلِيُّ منْ وَلَدِ الذَّ   رِّ عليْها لأَنْدَبَتْها الكُلُومُ (١)

وهذه الاوصاف لا تليق لمن طعن في السن من النساء ولا يوصف بمثلها إلاّ الصبيان والاحداث ‥ ومن العجائب ان هذا الاستخراج على ركاكته مسند الى الاصمعي وما أولى من يكون نتيجة تغلغله وثمرة توصله مثل هـذه الثمرة بالاضراب عن استخراج المعاني والبحث عنها ‥ ومما فسره أصحاب المعاني على وجه وهو بغيره أشبه وأقل الاحوال أن يكون محتملا للامرين ولا يقتصر على أحدهما قول الخنساء

ياصخرُ وَرّاد ماءٍ قدْ تناذَرَهُ   أهْلُ المَوَارِدِ مافي وِرْدِهِ عارُ

وأبي وواقـد أطلقا لي   حين رحنا وكبلهم محطوم

ورهنت اليدين عنهم جميعاً   كل كف فيها جزءٌ مقسوم

وسطت نسبتي الذوائب منهم   كل دار فيها أب لي عظيم

رب حلم أضاعه عدم الما   ل وجهل غطا عليه النعيم

ماأبالي أنبّ بالحزن تيس   أم لحاني بظهر غيب لئيم

تلك أفعالنا وفعل الزّبعرى   خامل في صديقه مذموم

ولي البأس منهم إذ حضرتم   أسرة من ذرى قصي صميم

تسعة تحمل اللواء وطارت   في رعاع من القنا مخزوم

(١) يقول لو يدب الصغير من ولد الذر على جلدها لأثّر فيه وجرحه ولم يرد بالحولي ماأتى عليه حول ولكن جعله في صغره كالحولي من ولد الحافر والخف

لانهم يقولون مرادها بالبيت ما فى ترك ورده عار ويظنون انه متى لم يحمل على ذلك لم يكن له فائدة ولا فيه مدح ويجرونه مجرى قول المرقش

لَيْسَ على طولِ الحياةِ نَدَمْ ... وَمِنْ وَرَاء المرْءِ مايَعْلَمُ [1]

وليس الأمر كما ظنوه لانه يحتمل أن يريد انه لاعار في ورده على ظاهر الكلام والفائدة فيه ظاهرة لان البيت وان تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الأمور العظيمة الصعاب التي من جملتها إيراد الماء غلبة وقهراً فكأنها قالت انك تورد ماء قد تناذره الناس وتركب أمراً صعباً قد نكل عنه الخلق ولك بذلك حظ الشجاعة والبسالة ومع ذلك فلا عار عليك فى ركوبه لانه ربما فعل الانسان فعلاً يحوز به أكثر الحظ من الشجاعة وان لحقه بعض العار من قطيعة رحمٍ أو نكث عهدٍ أو ماجرى ذلك المجرى

---

(١) قوله ـ ليس على طول الحياة ـ الخ ٠٠ قال الأصمعي أراد ليس على فوت طول الحياة ندم ٠٠ وقوله ـ ومن وراء المرء ما يعلم ـ يقول من عمل شيئاً وجده ووراء هنا أمام من الاضداد قال الله جل ذكره (ومن ورائه عذاب غليظ) وقال الشاعر

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي ... وقومي تميم والفلاة ورائيا

أي امامي ٠٠ قال أبوعبيدة ومنه قول الله عز وجل (وكان وراءهم ملك) أي امامهم هذا قول أبي عِكرمة ٠٠ وقال غيره ومن وراء المرء مايعلم أى الهرم والكبر والضعف وكثرة العلل ٠٠ والبيت للمرقش الأكبر واسمه عوف بن سعد وهو عم الأصغر والأصغر عم طرفة بن العبد وهو من قصيدة مطلعها

هل بالديار أن تجيب صمم ... لوكان رسم ناطقاً كلّمْ

الدار قفر والرسوم كما ... رقش في ظهر الأديم قلم

ديار أسماء التي تبلت ... قلبي فعيني ماؤها يسجم

أضحت خلاء نبتها ثئد ... نوّر فيها زهوها فاعتم

بل هل شجتك الظعن باكرة ... كأنهن النخل من ملهم

النشر مسك والوجوه دنا ... نير وأطراف البنان عنم

فكأنها نفت عن فعله وجوه العار وليس يجري هذا مجري قول المرقش ـ ليس على طول الحياة ندم ـ لان البيت متي لم يحمل على ان المراد به ليس على فوت طول الحياة ندم لم يفد شيئاً وقد بينا فائدة قول الخلساء اذا كان المراد ما ذكرناه

مجلس آخر ٥٦

[تأويل آية] ‥ إن سأل سائل عن قوله تعالى (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن) الآية ‥ الجواب قد ذكر في هذه الآية وجوه ‥ أولها أن يكون المعنى واسأل أتباع من أرسلنا قبلك من رسلنا ويجرى ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم والشعر زهير يريدون السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير وأقاموا حاتماً مقام السخاء المضاف اليه وقوله تعالى (ولكن البر من آمن بالله) ومثله قول الشاعر

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبَالِ أَذِلَّةٌ سَوَاسِيَةٌ أَحْرَارُها وَعَبِيدُها[1]

والمأمور بالسؤال في ظاهر الكلام النبي عليه الصلاة والسلام وهو في المعنى لا منه لانه عليه الصلاة والسلام لا يحتاج الى السؤال لكنه خوطب خطاب أمته كما قال تعالى (المص كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرجٌ منه) فأفرده الله تعالى بالمخاطبة ثم رجع الى خطاب أمته فقال (اتبعوا ما أنزل اليكم) (فلا يكن في صدرك حرج) وفي موضع آخر (ياأيها النبيّ اتق الله) الآية فخاطبه عليه الصلاة والسلام والمعنى لأمته لانه بين بقوله تعالى (ان الله كان بما تعملون خبيراً) ‥ وقال تعالي (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) فوحّد وجمع فى موضع واحد وذلك للمعني الذى ذكرناه

---

(١) أى لهم أهل مجلس ـ وصهب ـ جمع أصهب أى فى سبالهم صهبة وهي حمرة أو شقرة فى الشعر ـ والسبال ـ بالكسر جمع سبلة بالتحريك وهى الدائرة فى وسط الشفة العليا أو ماعلى الشارب من الشعر أو طرفه أو مجتمع الشاربين أو ما على الذقن الى طرف اللحية كلها أو مقدمها خاصة ويقال للأعداء صهب السبال ـ وأذلة ـ جمع ذليل ـ وسواسية ـ مستوون

•• وقال الكميت

إلى السِّرَاجِ المُنِيرِ أَحْمَدَ لاَ تَعْدِلُنِي رَغْبَةٌ وَلاَ رَهَبُ
عَنْهُ إِلى غَيْرِهِ وَلو رَفَعَ النَّـــاسُ إِليَّ العُيُونَ وارْتَقَبُوا
لوْقِيلَ أَفرَطتَ بلْ قصدتَ ولوْ عَنَّفَنِي القَائِلُونَ أَو ثَلَبُوا
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلوْ أُكْثِرَ فيكَ الضِّجَاجُ واللَّجَبُ
أَنْتَ المُصَفَّى المَحْضُ المُهَذَّبُ في التَّشْبِيهِ إِنْ نَصَّ قَوْمَكَ النَسَبُ

فظاهر الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمقصود به أهل بيته عليهم الصلاة والسلام لان أحداً من المسلمين لايمتنع من تفضيله عليه الصلاة والسلام والاطناب فى وصف فضائله ومناقبه ولا يعنف فى ذلك أحد وانما أراد الكميت وان أكثر فى أهل بيته وذريته عليهم الصلاة والسلام الضجاج واللجب والتقريع والتعنيف فوجه القول اليه عليه الصلاة والسلام والمراد غيره وبهذلك وجه صحيح وهو ان المراد بهوالاتهم الانحياز اليهم والانقطاع الى حبهم لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المقصود بجميع ذلك جاز أن يخرج الكميت الكلام هذا المخرج ويضعه هذا الموضع •• وقد قيل ان المراد باتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين أمر بسؤالهم أهل الكتاب كعبد الله ابن سلام ونظرائه ولا يمتنع على هذا الجواب أن يكون هو عليه الصلاة والسلام المأمور بالمسئلة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب وان لم يكن شاكا فى ذلك ولا مرتاباً به ويكون الوجه فيه تقرير أهل الكتاب به وإقامة الحجة عليهم باعترافهم أو لان بعض مشركى العرب أنكر أن تكون كتب الله المتقدمة وأنبياؤه الآتون بها دعوا الي التوحيد فأمر عليه الصلاة والسلام بتقرير أهل الكتاب بذلك لتزول الشبهة عمن اعترضته الشبهة ••والجواب الثاني أن يكون السؤال متوجهاً اليه عليه الصلاة والسلام خاصة دون أمته والمعنى اذا لقيت النبيين في السماء فسألهم عن ذلك لان الرواية قد وردت بانه عليه الصلاة والسلام لقي النبيين في السماء فسلم عليهم وأمهم ولا يكون أمره تعالي بالسؤال لانه كان

شاكا لان مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه لكن لبعض المصالح الراجعة الى الدين إمّا لشئ يخصه عليه الصلاة والسلام أو يتعلق ببعض الملائكة الذين يستمعون ما يجري بينه وبين النبيين من سؤال وجواب .. والجواب الثالث ما أجاب به ابن قتيبة وهو ان المعنى واسأل من أرسلنا اليه قبلك رسلا من رسلنا يعني أهل الكتاب وهذا الجواب وان كان يوافق في المعنى الجواب الأول فبينهما خلاف في تقدير الكلام وكيفية تأويله فلهذا صارا مفترقين وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل انه خطأ في الاعراب لان لفظة اليه لا يصح اضمارها في مثل هذا الموضع لانهم لا يجوزون الذي جلست عبد الله على معنى الذي جلست اليه عبد الله لان اليـه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضمر فلما كان القائل اذا قال الذي أكرمت إياه عبد الله ولم يجز أن يضمر إياه لانفصاله من الفعل كانت لفظة اليه بمنزلته وكذلك لا يجوز الذي رغبت محمد بمعنى الذي رغبت فيه محمد لان الاضمار انما يحسن في الهاء المتعلقة بالفعل كقولهم الذي أكلت طعامك والذي لقيت صديقك معناهما الذي أكلته ولقيته [1] وقال الفراء انما حذفت الهاء لدلالة الذي عليها

---

(١) هذا الكلام يحتاج الى تبيين لعـدم إيضاح ما تضمنه والحاصـل أن العائد المنصوب يجوز حذفه ان كان متصلا وناصبه فعل أو وصف غير صـلة الألف واللام فالفعل نحو يعلم ما يسرون وما يعلنون ويجوز في ماهنا أن تكون موصولا حرفياً قيل وشرط جواز حذف العائد المنصوب أن يكون متعيناً للربط كما مثل فلو كان غير متعين لم يجز حذفه نحو جاء الذي أكرمته في داره فان العائد أحدهما لا بعينه وفيه نظر عند صاحب التوضيح وشرط الفعل أن يكون تاماً فلا يجوز جاء الذي كانه زيد على الأصح ومثال الوصف قوله

ما الله موليك فضل فاحمدنه به   فما لدى غـيره نفع ولا ضرر

بخلاف جاء الذي إيّاه أكرمت لانه منفصل وحذفه يوقع في إلباسه بالمتصل ومفوت لما قصد به من التخصيص وانما حذف منفصلا من قوله سـبحانه وتعالى (ومما رزقناهم ينفقون) والأصل رزقناهم إيّاه لان تقديره متصلا يلزم منه اتحاد الضميرين المتحدي

وقال غيره في حذفها غير ذلك وكل هذا ليس مما تقــدم فى شيء فصح ان جواب ابن قتيبة مستضعف والمعتمد ما تقدم

آخر الجــزء الثالث من كتاب أمالي الســيد المرتضى .. ويليه الجزء الرابع وأوله تأويل خبر .. والحمد لله أولا وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الرتبة فى ضميري الغيبة وهو قليل وبخلاف جاء الذي انه فاضل أو كأنه أسد لان اسم ان وكأن المشددتين لايحذف الا شذوذاً وبخلاف جاءنى الضاربه زيد لان الوصف صلة الألف واللام واسمية أل خفية والضمير اذا كان مذكوراً يدل على اسميتها نصاً فاذا حذف فات هذا المعنى وهم بصدد التنصيص على اسميتها

﴿ فهرس الجزء الثالث من أمالي السيد المرتضى ﴾

صحيفه

صحيفه

﴿ تم الفهرس ﴾

*